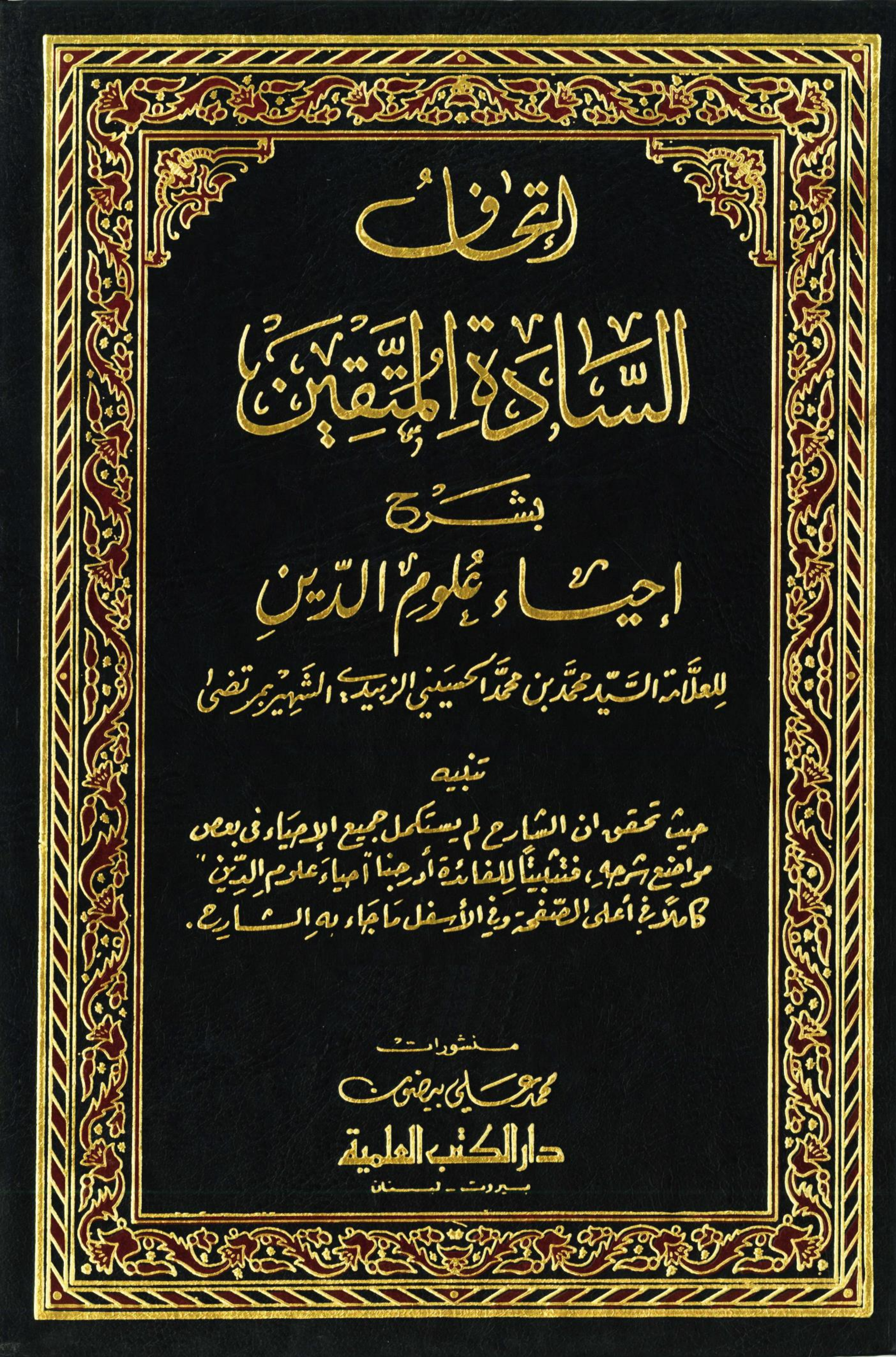

إتحاف
السادة المتقين
بشرح
إحياء علوم الدين
للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
تنبيه
حيث تحقق ان الشارح لم يستكمل جميع الإحياء فى بعض
مواضع شرحه، فتثبيتاً للفائدة أدرجنا "إحياء علوم الدين"
كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح.
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

إتحاف السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

تصنيف

العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي
الشهير بمرتضى
المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه فتتميماً للفائدة
أدرجنا إحياء علوم الدين كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح

الجزء الخامس

كتاب آداب تلاوة القرآن ، كتاب الأذكار والدعوات
كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل ، كتاب آداب الأكل

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت . لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي وفق قلوب الأحباب لموافقة مراسم السنّة وأحكام الكتاب، وفتح بصائر أبصارهم فابصروا مواقع الصواب إذ رفع لهم عن مشاهدة عين الحقائق الحجاب، والهمهم سلوك المحجة البيضاء وناداهم بلسان المحبة من جناب جنات الاقتراب فكحلوا نواظرهم بالسهاد وجفوا مضاجعهم طيب الرقاد وقاموا بتلاوة الكتاب، وجدوا في أثر الإطلاب مع الطلاب، جعلوا نهارهم ليلاً، وأفراحهم ميلاً، وتذللوا على الأعتاب، فأقامهم على حاضره وباديه، وأسمعهم أوامره ونواهيه وهداهم إلى الباب، وأذاقهم لذيذ الخطاب يا عبادي أنا التواب، وروق لهم شراب الاتصال في دار الوصال فناهيك به من شراب، وناهيك بهم من شرَّاب، أحمده حمداً استوجب به أثواب الثواب، وأشكره شكراً استزيد به زيادات أولي الألباب، وأشهد أن لا إلَـه إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنزهه عن الحلول والاتحاد، والظهور والبطون والابتداء والانتهاء والاستتار والاحتجاب، وتقدس ذاته المقدسة عن مقالات أولي الجهالات من الكم والكيف والأين والمكان والزمان والإياب والذهاب، ونمجده فيما أبرزه بحكمته من الأكوان لا عن التفكر والتدبر والمعاونة والمشاورة والراحة والنصب والانتصاب، ونعظمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل والتبديل والتركيب والارتكاب. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف محبوب وأعظم مشرف وأكرم مرسل وأطهر منسل وأخص الأحباب، أرسله بفضل الكتاب وفصل الخطاب وأيده بأفضل كتاب، وأجل خطاب، أخجل فصحاء الأعراب بالإعراب والإيجاز والإسهاب، واعجز بلغاء الأحزاب ببدائع النهي والإيجاب، وأضربهم عما يعبدونه مما ينحتونه ما أتى به من الإضراب، فانفذ الأحباب من مهاوي الارتياب ومغاوي الأعراب، واعقب الإعراب بالعقاب على الأعقاب، وكشف عن وجه نور الإسلام مكفرات ظلمات الإشراك والضباب، صلى الله عليه وعلى آله الأنجاب وأصحابه الأحباب، وعلى الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين الأقطاب. أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر بن الخطاب، وأبي عمرو ذي النورين جامع القرآن والأخشى في ذات الله أبي تراب وسلم تسليماً كثيراً كثيراً، ورضي عنهم وأرضاهم عنا وعن التابعين لهم بإحسان إلى ما بعد يوم الحساب، وبعد فهذا شرح:

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل ﷺ وكتابه المنزل الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ

كتاب آداب تلاوة القرآن

وهو الثامن من الربع الأول من كتاب إحياء العلوم للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي روَّح الله روحه ومنحنا فتوحه حللت منه عقدة الألفاظ وحللت بوضعه ذروة الحفاظ، معولاً ثاقب الفكر على إيضاح ما خفي من الإشارات والرموز، معتنياً بفك ما أغفله الأكثرون مما فيه من الذخائر والكنوز، مع الكشف عن مظان الروايات، وتطبيق العبارات بالعبارات، وعزو الأقوال إلى أربابها، ورد الوجوه لأصحابها معترفاً بغاية العجز الوقير، متلففاً برداء الزمانة والتقصير، سائلاً من المولى اللطيف الخبير، متوسلاً بهذا الإمام إليه في تفريج كروبي، وتيسير كل عسير إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، لا إله غيره ولا خير إلا خيره.

فأقول استفتح المصنف رحمه الله تعالى كتابه بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

لما أن نسبتها من متلو الكتب نسبة أم القرآن من القرآن، فحسن مراعاة اقترانها بالأقوال والأفعال في سائر الأحيان، وكما أنها افادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده، وذلك هو إجمال تفصيل ما في الكتاب، وبها يتم سر أسرار الخطاب، ولما كان اسم الجلالة علماً، وكان جامعاً لمعاني الأسماء الحسنى أعقبه بالرحمن من حيث أنه كالعلم في أنه لا يوصف به غيره، ومن حيث أنه أبلغ من الرحيم، فأولى الأبلغ، وذلك موافق لترتيب الوجود والإيجاد، ثم النعم العامة ثم النعم الخاصة، وفي ذكر الوصفين ترغيب. وطويت النقمة في إفهام اختصاص الثاني لتمام الترغيب بلا إشارة الترهيب، والمراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته، وفيهما الدلالة على سائر الصفات الحسنى، لأن من عمت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص. ولما كانت البسملة نوعاً من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع افراده فقال:

(الحمد لله) وهو المستحق للمحامد كلها لا غيره، **(الذي امتن)** يقال: من عليه وامتن

البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ﴾ [فصلت : ٤٢] حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار . واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام . وفرّق به بين الحلال والحرام فهو الضياء

وامتنه أيضاً بمعنى واحد **(عباده)** المضافين إليه بالعبودية المحضة **(بنبيه المرسل)** أي بإرسال هذا النبي الكريم ، وقد أشار بذلك أنه تعالى جمع له بين مقامي النبوة والرسالة ، والنبوة سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عبيده لإزاحة عللهم في معاشهم ومعادهم ، والنبي سمي به لكونه منبئاً بما تسكن إليه العقول الزكية ، ويصح كونه فعيلاً بمعنى فاعل ، وكونه بمعنى مفعول . والرسالة من الرسل وهو الانبعاث على تؤدة ، وقد أرسله الله فهو رسول ومرسل سمي به لتتابع الوحي عليه ، وهو باعتبار الملائكة أعم من النبي إذ قد يكون من الملائكة ، وباعتبار البشر أخص منه إذ الرسول رجل بعثه الله لتبليغ الأحكام ، **(وكتابه المنزل)** وهو القرآن **(الذي﴿ لا يأتيه الباطل)** ضد الحق وهو ما لا ثبات له من المقال والفعال عند الفحص عنه ، **(من بين يديه ولا من خلفه)** أي هو محفوظ من إتيان الباطل إليه من سائر جهاته **(تنزيل من حكيم)** هو المحكم للأشياء وموجدها على غاية الإحكام **(حميد﴾)** [فصلت :٤٢]هو المحمود الفعال ، فالتنزيل إذا كان من عند من هذه صفاته كيف يأتيه الباطل وفيه الاقتباس من قوله تعالى : ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] الآية . والكلام في الفرق بين الإنزال والتنزيل مشهور لا نطيل به ، **(حتى اتسعت على أهل الافتكار)** الصحيح **(طريق الاعتبار)** وهي الحالة التي يتوصل بها من معرفة الشاهد إلى غيره ، وقيل : هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر ، **(بما فيه من القصص والاخبار)** من سوالف الأعصار . قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ [آل عمران : ١٣ ، والنور : ٤٤] في آي كثيرة تلوح إلى ذلك ، **(واتضح به سلوك المنهج)** هو الطريق الواضح **(القويم)** المعتدل الذي لا اعوجاج فيه ، **(وهدى به الصراط المستقيم)** وهو الطريق الحق الواضح المعتدل ، **(بما فصل فيه من الأحكام)** الإلهية ، **(وفرق به بين الحلال والحرام)** فيه تخصيص بعد تعميم ، **(فهو الضياء والنور)** هما مترادفان ، وقيل : الضياء أخص من النور . وتقدم ذلك في أوائل كتاب العلم ، وقال بعضهم : النور هو الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار ، وهنا قاعدة نذكرها وهي أنهم قالوا إن نفي العام يدل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ونفيه لا يدل على نفيه ، ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجد الالتذاذ به ، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام فالأول : كقوله : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾ [البقرة : ١٧] ولم يقل : « بضوئهم » بعد قوله : « اضاءت » لأن النور أعم من الضوء إذ يقال على القليل والكثير ، وإنما يقال : الضوء على الكثير من النور ، ولذلك قال : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾ [يونس : ٥] ففي الضوء دلالة على النور ، فهو أخص منه فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس ، والقصد إزالة النور عنهم أصلاً ولذا قال عقبه : ﴿وتركهم في ظلمات﴾ [البقرة : ١٧] والثاني كقوله : ﴿جنة

والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور . من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضلّه الله. هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى، وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير . لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد. هو الذي أرشد الأوّلين والآخرين، ولما سمعه الجن لم يلبثوا إن ولّوا إلى

عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣] ولم يقل طولها لأن العرض أخص إذ كل ما له عرض له طول ولا عكس، والله أعلم.

(**وبه النجاة من الغرور**) وهو كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشيطان، وفسر أيضاً بالدنيا لأنها تغر وتمد وتضر، وأصل الغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع. (**وفيه شفاء لما في الصدور**) من سائر أمراضها وعللها الخفية من الوساوس والأوهام والخطرات والشكوك (**من خالفه**) أي أحكامه بأن لم يعمل بموجبها (**من الجبابرة**) جمع جبار. قال الخطابي: جبر خلقه على ما أراد من أمره ونهيه. يقال: جبره وأجبره بمعنى (**قصمه الله**) أي كسر ظهره إذ القصم يستعمل في كسر الشيء طولاً، (**ومن ابتغى العلم**) أي طلبه (**في غيره**) ظناً منه بأنه ليس فيه (**أضله الله**) أي أطمه في هوة الضلال والخسران، (**وهو حبل الله المتين**) أي القوي فمن تعلق به وصل وبالحق اتصل، (**ونوره المبين**) أي الظاهر الواضح، (**والعروة**) بالضم ما تشد به الثياب ونحوها بتداخلها بعضها في بعض دخولاً لا ينفصم بعضه عن بعض إلا بفصم طرفه إذا فصمت منه عروة انفصم جميعه (**الوثقى**) فعلى للمبالغة من الوثوق ليشد باستيثاقه ما يخاف وهنه سماه بها على التشبيه بالعروة التي يستمسك بهاوليستوثق. ومنه الحديث: « وذلك أوثق عرا الإيمان». (**والمعتصم**) على صيغة إسم المفعول الموضع الذي يعتصم ويلتجأ إليه (**الأوفى**) أفعل من الوقاية وهي الحفظ. وروى البيهقي عن رجل من الصحابة لم يسم رفعه: « القرآن هو النور المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم». (**وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير**) لقوله تعالى: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩] (**لا تنقضي**) على ممر الدهور (**عجائبه**) لكثرتها، (**ولا تتناهى**) ما كرت العصور (**غرائبه**) أي نوادره الغريبة لا يعرفها إلا من يمارسها ويغوص في تيارها (**لا يحيط بفوائده**) جمع فائدة وهي ما استفيدت من طريقة مال هذا هو الأصل، ثم استعير منه في فائدة العلم والأدب (**عند أهل الفهم**) وفي نسخة: العلم (**تحديد ولا يخلقه**) أي لا يبليه (**عند أهل التلاوة**) له (**كثرة الترديد**) بل يزداد جدة كلما ردّدفيه، (**فهو الذي أرشد**) وفي نسخة أعيا (**الأولين والآخرين**) أي أرشدهم إلى الصواب، وسلموا من طرق الضلال، والعناد، وعلى النسخة المذكورة معناه أعياهم فهم معانيه الخفية، (**ولما سمعه**) أي القرآن نفر من (**الجن**) من وفد نصيبين قيل: كانوا سبعة، وروي ذلك عن ابن عباس، وقيل: تسعة رواه عاصم عن زر بن حبيش (**لم يلبثوا أن ولّوا إلى قومهم**) انصرفوا (**منذرين**) مخوفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

قومهم منذرين ﴿فَقَالُوا إنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجباً★ يَهْدي إلى الرُّشْدِ فآمنَّا بهِ ولَنْ

قال ابن عباس: جعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم وهو قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين★ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم★ يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١] وقال في سورة الجن ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن **(فقالوا إنا سمعنا قرآناً)** أي كتاباً **(عجباً)** أي بديعاً مبايناً لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة **(يهدي إلى الرشد)** أي الحق والصواب **(فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾)** [الجن: ١ ،٢]على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد.

وروى البخاري في صحيحه فقال: حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: قد حيل بيننا وبين خبر السماء فأرسلت علينا الشهب. فقالوا: ما حال بينكم وبينها إلا شيء حدث فأضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا: يا قومنا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ فأنزل الله على نبيه ﴿قل أوحي إلي﴾ وإنما أوحي قول الجن».

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي هند، عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول ﷺ ليلة الجن؟ فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فقالوا: لا ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ففقدناه فالتمسناه من الأودية والشعاب، فقلنا استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت القرآن فانطلق بنا فأرانا آثارهم وأثار نيرانهم» الحديث.

ورواه كذلك عن علي بن حجر: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بهذا الإسناد قال الشعبي: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة.

وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي زياد بن كعب القرظي: «أن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من الجن أهل نصيبين اليمن فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم

نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أحداً ﴾ [الجن : ١ ، ٢] فكل من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ، ومن تمسك به فقد هُدِيَ ، ومن عمل به فقد فاز . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه ، والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة . وذلك لا بدّ من بيانه وتفصيله ؛ وتنكشف مقاصده في أربعة أبواب .

منذرين قد آمنوا فأجابوا لما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه فقال : ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ » الآية .

قال البغوي في تفسيره : وروي أنهم لما رجموا بالشهب بعث إبليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث ركباً من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم ، فبعثهم إلى تهامة .

وقال أبو حمزة الثمالي بلغنا أنهم من بني الشيعبان وهم أكثر الجن عدداً وهم عامة جنود إبليس ، فلما رجعوا قالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً ﴾ .

(فكل من آمن به فقد وفق) في أحواله ، **(ومن قال به فقد صدق)** في أقواله ، **(ومن تمسك به فقد هدي)** إلى الاستقامة **(ومن عمل به فقد فاز)** فوزاً أبدياً إلى يوم القيامة ، ثم ان هذا السياق الذي أورده المصنف بعد سياق جملة الحمد من غير أن يتبعها بالصلاة والسلام على نبيه ﷺ كما جرت به عادته وغادات المصنفين إما نسياناً منه أو اكتفاء بما صلى به وسلم في نفسه منتزع من حديث علي رضي الله عنه ، وهو ما أورده صاحب القوت من حديث علي رضي الله عنه على ما سيأتي للمصنف في أواخر الباب الثالث من هذا الكتاب .

(قال الله عز وجل : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾) بنون العظمة في الموضعين مع ضمير المتكلم مع الغير إشارة إلى فخامة أمره وعظم شأنه ، والمراد بالذكر القرآن وقد سمى الله إياه بالذكر في عدة مواضع : منها هذا ، ومنها قوله : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] **(﴿ وإنا له لحافظون ﴾)** [الحجر : ٩] أي من التغيير والتبديل وتحريف المبطلين .

وقال مجاهد ﴿ إنا له لحافظون ﴾ أي عندنا رواه ابن أبي شيبة وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وقال قتادة : أي من إبليس فلا يستطيع أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً حفظه الله من ذلك رواه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته) أي قراءته **(والمواظبة على دراسته)** أي مدارسته مع غيره بالمناوبة كما كان يفعله النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام **(بآدابه)** المعلومة **(وشروطه)** التي لا بد منها ، والمحافظة **(على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة ، وذلك لا بد من بيانه وتفصيله)** والكشف عن مظانه ، **(وتنكشف مقاصده في أربعة أبواب .**

الباب الأول: في فضل القرآن وأهله.

الباب الثاني: في آداب التلاوة في الظاهر.

الباب الثالث: في الأعمال الباطنة عند التلاوة.

الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره.

البـاب الأول): منها **(في)** بيان **(فضل القرآن وأهله)** أي حملته وما فيه وفيهم من الأحاديث والآثار عن السلف.

(الباب الثاني: في آداب التلاوة في الظاهر) وفيه من آثار السلف.

(الباب الثالث: في الأعمال الباطنة عند التلاوة) التي هي كالروح لها.

(الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره) وما فيه من اختلاف الأقوال عند العلماء.

الباب الأوّل

في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن:

قال ﷺ: « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى ». وقال ﷺ: « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره ». وقال ﷺ: « لو كان القرآن في إهاب ما مسّته النار ». وقال

الباب الأول

في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته والغافلين

فضيلة القرآن:

(قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى ») قال العراقي: « رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه في الكبير، ورواه كذلك محمد بن نصر في كتاب قيام الليل، وأبو بكر بن أبي شيبة، لكنه موقوف على ابن عمرو ولفظهم جميعاً: « من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله » الحديث. ورواه الخطيب كذلك عن ابن عمر.

(وقال ﷺ: « ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره »).

قال العراقي: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً وللطبراني من حديث ابن مسعود: « والقرآن شافع ومشفع ». ولمسلم من حديث أبي أمامة « اقرؤا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه ».

(وقال ﷺ: « لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار »).

قال التور بشتي. إنما ضرب المثل بالإهاب وهو جلد لم يدبغ لأن الفساد إليه أسرع ولفح النار فيه أنفذ ليبسه وجفافه بخلاف المدبوغ للينه، والمعنى: لو قدر أن يكون في إهاب ما مسته النار

ﷺ : « أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن » : وقال ﷺ أيضاً : « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا » . وقال ﷺ :

بركة مجاورته للقرآن ، فكيف بمؤمن تولى حفظه والمواظبة عليه ، والمراد نار الله الموقدة المميزة بين الحق والباطل اهـ .

وقال الطيبي : تحريره أن التمثيل وارد على المبالغة والفرض كما في قوله تعالى : ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ [الكهف : ١٠٩] أي ينبغي ويحق أن القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي لا يؤبه به ويلقى في النار ما مسته اهـ .

وقال المناوي : تحريره لو جاز حلول القرآن في محل ثم حل الإهاب لم تمس الإهاب النار ، وفائدة الخبر حفظ مواضع الشكوك من الناس عند احتراق مصحف ، أو ما كتب فيه قرآن فيستعظمون إحراقه ويدخلهم الشك والله أعلم .

قال العراقي : رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل بن سعد ، ولأحمد والدارمي والطبراني نحوه من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة . ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف اهـ .

قلت : لكن لفظ الطبراني من حديث عقبة وعصمة : « ما أكلته النار » وفي رواية : « ما أحرقته النار » وعند البيهقي عن عصمة بن مالك بلفظ : « لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقه الله بالنار » اهـ .

والإهاب : بالكسر الجلد قبل أن يدبغ ، وبعضهم يقول : الإهاب الجلد ، وهذا الإطلاق محمول على ما قيده الأكثر ، فإن قوله ﷺ : « أيما إهاب دبغ » يدل عليه كما في المصباح .

(وقال ﷺ : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن ») لأنه أصل العلوم وأسها وأهمها ، فالاشتغال به أفضل من غيره من سائر الاذكار إلا ما ورد فيه نص خاص في وقت مخصوص .

قال العراقي : رواه أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير ، وأنس بإسناد ضعيف اهـ .

قلت : رواه البيهقي كذلك ، ورواه ابن نافع ، عن أسيد عن جابر التميمي والسنجري في الإبانة عن أنس بلفظ : « أفضل العبادات قراءة القرآن » .

(وقال ﷺ : « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا . وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تنطق بهذا ») قال العراقي : رواه الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ .

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وقال ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » . وقال ﷺ : « ثلاثة يوم

قلت : وأخرجه كذلك ابن خزيمة في التوحيد ، والعقيلي في الضعفاء ، والطبراني في الأوسط ، وابن عدي في الكامل ، وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ : « قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام » وتتكلم بدل تنطق ، والباقي سواء .

(وقال ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ») قال العراقي : رواه البخاري من حديث عثمان بن عفان اهـ .

قلت : ورواه كذلك الطيالسي ، وأحمد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث عثمان ، ورواه البخاري والترمذي عن علي بن أبي طالب ، والخطيب عن عبد الله بن عمر وابن مردويه في كتاب أولاد المحدثين ، وابن النجار عن ابن مسعود ، ورواه ابن الضريس والبيهقي عن عثمان بزيادة : « وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » ، وذلك لأنه منه . وعند الطبراني عن ابن مسعود : « خيركم من قرأ القرآن وأقرأه » . ورواه البيهقي عن أبي أمامة بزيادة « إن لحامل القرآن دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له » .

(وقال ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين ») .

قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي سعيد « من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » وقال : حسن غريب رواه ابن شاهين بلفظ المصنف اهـ .

قلت : رواه الترمذي عن محمد بن إسماعيل عن شهاب بن عباد عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال الترمذي : غريب وفي بعض النسخ حسن غريب .

وقال الدارمي في سننه : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجمان ، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد فساقه مثل سياق الترمذي .

وقال أبو نعيم : حدثنا محمد بن حميد ، ثنا حامد بن شعيب ، حدثنا الحسن بن حمدان ، ثنا محمد ابن الحسين بن أبي يزيد فساقه أيضاً كسياق الترمذي والدارمي .

وقال الطبراني في الدعاء : ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ومحمد بن عبد الله الحضرمي قالا : حدثنا الحسن بن حمدان ، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد فساقه بلفظ : « من شغله القرآن وذكري عن مسألتي » والباقي سواء .

وقال البزار : حدثنا محمد بن عمر الكردي ، وقال العقيلي في الضعفاء : حدثنا بشر بن موسى قال : ثنا الحسين بن عبد الأول بن محمد بن الحسن . وقال الدارقطني : تفرد به محمد بن الحسن عن عمرو بن قيس ، وكذا قاله البزار أيضاً . قال الحافظ ابن حجر هو وعطية ضعيفان إلا أنهم لا

القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أَمَّ به قوماً وهم به راضون». وقال ﷺ: «أهل القرآن أهل الله وخاصته». وقال ﷺ: «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل يا رسول الله، وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وذكر الموت».

يخرجون لها إلا في المتابعات. قال ابن عدي في محمد بن الحسن مع ضعفه يكتب حديثه هذا ما يتعلق بحديث الترمذي.

وقال الطبراني في الدعاء: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا عثمان بن زفر، ويحيى هو ابن عبد الحميد الحماني.

وقال الطبراني أيضاً: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا أبو نعيم ضرار بن صرد قالوا: ثنا صفوان بن أبي الصهباء التيمي عن بكير بن عتيق، عن سالم عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل إذا شغل عبدي ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» ورواه البخاري هكذا في كتاب خلق أفعال العباد فقال: حدثنا ضرار بن صرد. وقال في التاريخ قال لي ضرار بن صرد، فذكره.

ورواه البزار، عن رافع بن ابن سهل، عن عثمان بن زفر، ورواه العسكري في فضائل القرآن، عن يوسف بن يعقوب الواسطي، ورواه ابن شاهين في الترغيب عن البغوي كلاهما عن يحيى الحماني، ووقع في رواية ابن شاهين وحده بلفظ المصنف، والله أعلم.

(وقال ﷺ «ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسُود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس. رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وأَمَّ به قوماً هم به راضون» الحديث) أي إلى آخر الحديث، وقد تقدم الكلام عليه في باب الإمامة من كتاب الصلاة.

(وقال ﷺ «أهل القرآن) هم **(أهل الله وخاصته»)** والمراد بأهل القرآن حفظته، الملازمون له بالتلاوة، العاملون بما فيه أي أن هؤلاء هم أولياء الله وخاصته أي المختصون به اختصاص أهل الإنسان به سموا بذلك تعظيماً لهم كما يقال «بيت الله».

قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى، وابن ماجه، والحاكم من حديث أنس بإسناد حسن اهـ.

قلت: وكذا أحمد. وأخرجه أبو القاسم بن حيدر في مشيخته عن علي بن أبي طالب.

(وقال ﷺ «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل يا رسول الله: ما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن وذكر الموت») قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ.

قلت: وفي المعجم الصغير للطبراني «وجلاؤها الاستغفار».

وقال ﷺ : « لله أشد أذناً إلى قارىء القرآن من صاحب القينة إلى قينته ».

الآثار:

قال أبو أمامة الباهلي: اقرأوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلباً هو وعاء للقرآن. وقال ابن مسعود: إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين. وقال أيضاً: اقرأوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه

(**وقال** ﷺ **« لله أشدّ أذناً**) بالتحريك أي استماعاً وإصغاء وذلك عبارة عن الإكرام والإنعام (**إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته »**) هي أمته المغنية.

قال العراقي: رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد اهـ.

قلت: رواه من طريق الاوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله بن فضالة بن عبيد عن فضالة بن عبيد. وقال الحاكم على شرطهما، وردّه الذهبي فقال: بل منقطع، ورواه البيهقي كذلك بلفظ « الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته » وفيه « حل سماع الغناء من قينته » ونحوها. لأن سماع الله لا يجوز أن يقاس على محرم وخرج بقينته قينة غيره فلا ينبغي سماعها، بل يحرم إن خاف فتنة.

(**الآثار**) الواردة في ذلك.

(**قال أبو أمامة**) صدي بن عجلان (**الباهلي**) رضي الله عنه: (**اقرأوا القرآن**) أي ما تيسر منه على الوجه الذي يسهل عليكم، (**ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن**) أي حفظه وتدبره وعمل بما فيه، فمن حفظ ألفاظه وضيع حدوده فهو غير واع له، ثم إن هذا الأثر مشتمل على ثلاثة جمل.

الأولى: « اقرأوا القرآن » رواه أحمد ومسلم من حديث أبي أمامة مرفوعاً بزيادة « فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ».

الثانية: قوله « ولا تغرنكم » إلى آخر الحديث رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديثه مرفوعاً بلفظ « لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة إن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن ».

الثالثة: « فإن الله لا يعذب » إلخ رواه تمام الرازي في فوائده من حديثه مرفوعاً بلفظ « اقرأوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن » وإذا علمت ذلك ظهر لك أن هذا الأثر ليس بموقوف عليه بل هو مرفوع إلى النبي ﷺ.

(**وقال**) عبد الله (**بن مسعود**) رضي الله عنه: (**إذا أردتم العلم**) أي الفهم فيه (**فانثروا القرآن**) أي ابحثوا فيه، (**فإن فيه علم الأولين والآخرين**) ولفظ القوت: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن.

عشر حسنات أما إني لا أقول الحرف (الم) ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف. وقال أيضاً: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله ﷺ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله ﷺ. وقال عمرو بن العاص: كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في

قلت: وسيأتي ذلك للمصنف في الباب الرابع وقد روي بهذا اللفظ من حديث أنس مرفوعاً أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

(وقال) ابن مسعود **(أيضاً: اقرأوا القرآن)** أي لازموا على قراءته، **(فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات، أما اني لا أقول « ألم » حرف، ولكن أقول: ألف حرف واللام حرف والميم حرف)** رواه البخاري في تاريخه، والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن الضريس، والحاكم والبيهقي: عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول « ألم » حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ».

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، والطبراني في الكبير عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعاً بلفظ « من قرأ حرفاً من القرآن كتب له حسنة لا أقول ﴿ألم ذلك الكتاب﴾، ولكن الألف واللام والميم والذال واللام والكاف ».

وروى البيهقي عنه بلفظ: « لا أقول بسم الله ولكن باء وسين وميم ولا أقول الم ولكن الألف واللام ».

وروى الديلمي عن أنس « من قرأ القرآن كتب له بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأ القرآن كتب له بكل حرف حسنة وحشر في جملة من يقرأ ويرقى ».

(وقال أيضاً: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله) كذا في القوت، وقد فسره سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى فقال: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي حب السنّة، وعلامة حبها حب الآخرة، وعلامة حبها بغض الدنيا، وعلامة بغضها أن لا يتناول منها إلا البلغة.

(وقال عمرو بن العاص) رضي الله عنه: **(كل آية في القرآن درجة)** فيقال للقارئ أرق في درجها على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميعه استوى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءاً منها فرقيه في الدرج بقدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة، **(ومصباح في بيوتكم)** من كثرة الملائكة المفيضين للرحمة والمستمعين لتلاوته، ثم إن هذا القول قد أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف، وروى البيهقي عنه مرفوعاً بلفظ « من قرأ آية من القرآن كان له درجة في الجنة ومصباح من نور ».

بيوتكم. وقال أيضاً: من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوّة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه. وقال أبو هريرة: إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين. وقال أحمد بن حنبل: رأيت الله عز وجل في المنام. فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمد، قال قلت: يا رب بفهم أو بغير فهم؛ قال: بفهم وبغير فهم. وقال محمد بن كعب القرظي: إذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم

(وقال أيضاً من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحي إليه) هكذا رواه ابن أبي شيبة في المصنف موقوفاً على عبد الله بن عمرو بلفظ « فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحي إليه ».

ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة والطبراني في الكبير عنه مرفوعاً.

وأخرج ابن الأنباري في المصاحف، والبيهقي، وابن عساكر عن أبي أمامة مرفوعاً، والخطيب عن ابن عمر كذلك بلفظ « من قرأ ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوة، ومن قرأ نصف القرآن أعطي نصف النبوة، ومن قرأ ثلثيه أعطي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه » الحديث.

وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبدالله بن عمرو رفعه: « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره)** أي بورك فيه، **(وحضرته الملائكة)** أي لاستماعه فيضيء لهم البيت ويحضرون بالرحمة والخير والبركة والسكينة، **(وخرجت منه الشياطين)** فإنهم لا يطيقون سماع القرآن، **(وأن البيت الذي لا يتلى فيه القرآن ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين)**.

وقد روى أبو نعيم في المعرفة من حديث باسط بن أبي حميضة الجمحي رفعه « أن البيت الذي يذكر الله فيه ليضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ».

(وقال أحمد بن حنبل) الإمام رحمه الله تعالى: **(رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب: ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمد، قال: قلت بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم)**. هكذا نقله ابن الجوزي في مناقب الإمام، والمراد بفهمه فهم معانيه ومعرفة أحكامه فيحل حلاله ويحرم حرامه.

(وقال محمد بن كعب القرظي) تابعي حجة ثقة، روى عن أبي ذر وغيره مرسلاً، وعن أبي

يسمعوه قط. وقال الفضيل بن عياض: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم، فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه. وقال أيضاً: حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن. وقال سفيان الثوري: إذا قرأ الرجل

هريرة وعائشة وزيد بن أرقم، وعنه يزيد بن الهاد، وأبو معشر السندي، وعبد الرحمن بن أبي الموالي، قال أبو داود: سمع من علي وابن مسعود. توفي سنة ثمان ومائة روى له الجماعة: **(إذا سمع الناس القرآن من الله يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط)**.

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً من حديث بريدة عند الحكيم الترمذي ولفظه: « إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن فإذا سمعوه منه كأنهم لم يسمعوه قبل». وفي رواية « لم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه » الحديث.

(وقال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته في كتاب العلم، **(وينبغي لحامل القرآن)** أي حافظه والعامل به **(أن لا يكون له إلى أحد حاجة)** أي لا يظهر ذله إلى أحد في قضاء حاجة لنفسه **(ولا إلى الخلفاء)** والملوك ومن في معناهم، **(فمن دونهم)** من الأمراء ورؤساء العشائر، **(وينبغي أن تكون حوائج الخلق)** كلهم **(إليه)** تعظيماً لما حمله واحتراماً له فإنه نعمة جسيمة، ومتى احتاج حامله الى أهل الدنيا فقد استصغر ما عظمه الله ولحقه الوعيد السابق.

(وقال أيضاً: حامل القرآن حامل راية الإسلام) فيه استعارة فإنه لما كان حاملاً للحجة المظهرة للإسلام وقمع الكفار كان كحامل الراية في حربهم، **(فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن)** واشتغالاً برفع راية الإيمان هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل.

روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف « حامل القرآن حامل راية الإسلام من أكرمه فقد أكرم الله ومن أهانه فعليه لعنة الله ».

وأخرجه محمد بن نصر في الصلاة والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه « ليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب أو يحقد فيمن يحقد لكن يعفو ويصفح لفضل القرآن ».

ورواه ابن أبي شيبة موقوفاً عليه، ورواه البيهقي والحاكم بلفظ « لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحد مع من حدّ، ولا يجهل مع من يجهل، وفي جوفه كلام الله ».

ورواه الخطيب عن ابن عمر رفعه « لا ينبغي لحامل القرآن أن يحد فيمن يحد ولا يجهل فيمن يجهل ولكنه يعفو ويصفح لعز القرآن ».

القرآن قبل الملك بين عينيه. وقال عمرو بن ميمون: من نشر مصحفاً حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا. ويروى: «أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: اقرأ علي القرآن فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠] الآية. فقال له: اعد فأعاد فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا

(وقال سفيان) بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(إذا قرأ الرجل القراءة)** أي ابتغاءً لمرضاة الله تعالى وقصداً للتقرب إليه به **(قبّل الملك بين عينيه)** تعظيماً لما قرأه واحتراماً لقارئه، والملائكة أكثر الخلق حباً في استماع القرآن من بني آدم.

(وقال عمر بن ميمون) الرماح قاضي بلخ: روى عن الضحاك وغيره، وعنه ابنه عبد الله قاضي نيسابور، ويحي بن يحي، وداود بن عمرو، وآخرون وثقوه، وروى له الترمذي. ومات سنة إحدى وسبعين ومائة: **(من نشر مصحفاً حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا)**. والمراد من قوله: نشر مصحفاً أي يقرأه نظراً فيه، وقد ورد في فضله عن أنس عند ابن النجار، وعن حذيفة عند الرافعي، وفي قراءة مائة آية ورد عن تميم الداري عند ابن السني في عمل يوم وليلة، وعن أنس عند الرافعي، وعن أبي الدرداء عند البيهقي.

(ويروى أن خالد بن عقبة) بن أبي معيط **(جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ عليّ القرآن)** أي شيئاً منه مما أنزل إليك **(فقرأ عليه)** هذه الآية **(﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [النحل: ٩٠] فقال له: أعد فأعاد فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة)** بالضم والفتح لغة فيه أي بهجة **(وأن أسفله لمغدق)** أي كثير الغدق **(وإن أعلاه لمثمر)** أي ذو ثمر **(وما يقول هذا بشر)**.

قال العراقي: ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد، ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال: الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة، وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة بنحوه اهـ.

قلت: وهذه الآية فيها الإيجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة، فالعدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المؤتى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية، والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه» أي تعبده مخلصاً في نيتك واقفاً في الخضوع آخذاً أهبة الحذر إلى ما لا يحصى ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ هو الزيادة على الواجب من النوافل، هذا في الأوامر.

وأما النواهي، فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية، وبالمنكر الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعاً، وبالبغي إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية، ولهذا قال ابن مسعود:

بشر. وقال الحسن: والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة. وقال الفضيل: من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء، ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء. وقال القاسم بن عبد الرحمن: قلت لبعض النساك ما ههنا أحد يستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال: هذا. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم، السواك والصيام وقراءة القرآن.

« ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية » أخرجه الحاكم في المستدرك. وروى البيهقي في الشعب عن الحسن أنه قرأها يوماً ثم وقف فقال « إن الله جمع لكم الخير والشر في آية واحدة فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه ».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(والله ما دون القرآن من غنى)** أي من حازه حاز غنى ما بعده غنى مثله، **(وما بعده من فاقة)** أي ليس بعد فقده من فاقة أشد منها، ولو ملك أموالاً.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء، ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء)**. وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أبي أمامة بلفظ « من قرأ خواتم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة » هكذا رواه ابن عدي، وابن مردويه، والبيهقي، والخطيب وبلفظ « من قرأ آخر سورة الحشر، فمات من ليلته مات شهيداً » هكذا رواه أبو الشيخ.

(وقال القاسم بن عبد الرحمن) أبو عبد الرحمن مولى بني أمية أرسل عن علي، وسلمان، والكبار. وروى عن معاوية، وعمرو بن قتيبة، وقيل: لم يسمع من صحابي سوى أبي أمامة وعنه ثابت بن عجلان، ويونس بن يزيد، ومعاوية بن صالح، مات سنة ثلاث عشرة ومائة: **(قلت لبعض النساك)** أي العباد **(ما هنا أحد يستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه في حجره وقال: هذا)** أي وأشار إلى المصحف فإنه نعم الأنيس.

(وقال علي بن أبي طالب) رضي الله عنه: **(ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم، السواك والصوم وقراءة القرآن)** وما يذهب البلغم يزيد في الحفظ لأن البلغم رطوبات لزجة تضعف قوة الحافظة، فالسواك يقطع رطوبة الدماغ، والصوم ينشف العروق، وقراءة القرآن تذيب البدن. وقد تقدم ذلك في كتاب الصلاة في فضيلة السواك.

في ذم تلاوة الغافلين:

قال أنس بن مالك: ربَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه، وقال ميسرة: الغريب هو القرآن في جوف الفاجر، وقال أبو سليمان الداراني: الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن. وقال بعض العلماء: إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له: مالك ولكلامي. وقال ابن الرماح: ندمت على استظهاري القرآن لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة. وقال ابن مسعود: ينبغي لحامل القرآن

ما قيل في ذم تلاوة الغافلين:

(قال أنس بن مالك) رضي الله عنه: **(رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه)** سيأتي معناه قريباً عند قوله: وقال بعض العلماء.

(وقال ميسرة) الأشجعي: روى عن أبي حازم وابن المسيب وعنه سفيان وزائدة: **(الغريب هو القرآن في جوف الفاجر)** أي لكونه يحمله استظهاراً ولا يعمل بما فيه فهو كالغريب عنده، وقد روى معناه من حديث أبي هريرة رفعه عند الديلمي بلفظ «الغرباء في الدنيا أربعة قرآن في جوف ظالم» فساقه.

(وقال أبو سليمان الداراني) تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله بعد القرآن)**، وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أنس عند الطبراني في الكبير، وأبي نعيم في الحلية بلفظ «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم» وقد تقدم في كتاب العلم.

(وقال بعض العلماء: إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد يقرأ ناداه الله عز وجل مالك ولكلامي). ولفظ القوت: يقال للعبد إذا تلا القرآن واستقام نظر الله إليه برحمته، فإذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله عز وجل مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تنب إليّ.

(وقال ابن الرماح) هو عمير بن ميمون قاضي بلخ وقد تقدم ذكره قريباً. **(ندمت على استظهاري القرآن)** أي حفظي له على ظهر الغيب **(لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل الأنبياء يوم القيامة)**. أي لأن حامل القرآن في مقام النبوة إلا أنه لا يوحى إليه كما تقدم قريباً.

(وعن ابن مسعود) رضي الله عنه فيما رواه صاحب الحلية فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، حدثنا مالك ابن مغول، حدثنا أبو يعفور، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود قال: **(ينبغي لحامل**

أن يعرف بليله إذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا ممارياً ولا صيّاحاً ولا صخاباً ولا حدّيداً. وقال ﷺ: «أكثر منافقي هذه

القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ونهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون) كذا في النسخ وفي الحلية «يخلطون». **(وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون)** باكياً محزوناً حكيماً حليماً **(سكيتاً)** بكسر فتشديد الكاف أي كثير السكوت **(ليناً)** وليس هذه في الحلية، **(ولا ينبغي)** لحامل القرآن **(أن يكون جافياً)** أي غليظ الخلق، **(ولا ممارياً)** أي مخاصماً. وفي الحلية بعد قوله: جافياً ولا غافلاً، **(ولا صيّاحاً)** كثير الصياح، **(ولا صخّاباً)** شديد الصوت في الأسواق، **(ولا حدّيداً)** أي صاحب حدة في الخلق بأن يغضب سريعاً، وقد تقدم شيء من ذلك من حديث ابن عمرو قريباً.

(وقال ﷺ «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها») قال العراقي: رواه أحمد من حديث عقبة ابن عامر، وعبد الله بن عمرو، وفيهما ابن لهيعة اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير مثل رواية أحمد، ورواه كذلك البيهقي في السنن، وفي الشعب عن ابن عمر، ورواه كذلك ابن عدي في ترجمة الفضل بن مختار، والحاكم في تاريخ نيسابور في ترجمة عبد الله بن خالد التميمي عن عصمة بن مالك، قال الهيثمي: أحد أسانيد أحمد ثقات أثبات، وسند الطبراني فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف، ولفظهم كلهم: «أكثر منافقي أمتي».

وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف قال: حدثنا زيد بن الحارث قال: حدثني عبد الرحمن ابن شريح، حدثنا شرحبيل بن يزيد بن يزيد العامري قال: سمعت محمد بن صدقة الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول فساقه.

قال الزمخشري: أراد بالنفاق الرياء لأن كليهما إراءة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن.

وقال غيره: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد لأن المنافق أظهر الإيمان بالله، وأضمر عصمة دمه وماله، والمرائي أظهر بعمله الآخرة وأضمر ثناء الناس وعرض الدنيا، والقارئ أظهر أنه يريد الله وحده، وأضمر حظ نفسه وهو الثواب، ويرى نفسه أهلاً له وينظر إلى عمله بعين الإجلال، فأشبه المنافق واستويا في مخالفة الباطن الظاهر.

وقال صاحب القوت: هذا نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى، والنظر إلى غيره لا نفاق الشرك والإنكار لقدرة الله عز وجل، فهو لا ينتقل من التوحيد ولكن لا ينتقل إلى مقام المزيد.

الأمة قراؤها » . وقال ﷺ : « اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرأه » وقال ﷺ : « ما أنس بالقرآن من استحل محارمه » . وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإنّ العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحلَّ حلالها وحرَّم حرامها صلت عليه وإلاَّ لعنته . وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول : ﴿ألاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود : ١٨] وهو ظالم نفسه ﴿ألاَ لَعنَةُ اللهِ عَلَى الكَاذِبينَ﴾ [آل عمران : ٦١] وهو منهم .

(وقال ﷺ « إقرأ القرآن ما نهاك) عن المعصية ، وأمرك بالطاعة أي ما دمت مؤتمراً بأمره منتهياً بنهيه وزجره **(فإن لم ينهك فلست تقرأه »)** وفي رواية : « فلست تباري » أي لإعراضك عن متابعته لم تظفر بفوائده وعوائده فيعود حجة عليك وخصماً ، فقراءته بدون ذلك لقلقة لسان بل جار إلى النيران إذ من لم ينته بنهيه ، فقد جعله وراء ظهره ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النيران ، فلا بدّ لقارئه من الاهتمام بامتثال أوامره ونواهيه .

قال العراقي : رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف اهـ .

قلت : وكذا أبو نعيم ، ومن طريقهما أخرجه الديلمي وفيه اسماعيل بن عياش . قال الذهبي في الضعفاء : ليس بقوي ، وقال ابن عدي : لا يحتج به .

ومما يؤيد معنى ما ذكرته في تفسير الحديث المذكور ما رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس رفعه « من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له » ورواه نحو ذلك البيهقي من حديث أبي هريرة .

(وقال ﷺ « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ») قال الطيبي : من استحل ما حرم الله فقد كفر مطلقاً وإنما خص القرآن لعظمه وجلالته .

قال العراقي : رواه الترمذي من حديث صهيب ، وقال : ليس إسناده بالقوي اهـ .

قلت : ورواه الطبراني في الكبير والبغوي والبيهقي ، وقال البغوي : حديث ضعيف ، ورواه عبد ابن حميد عن أبي سعيد .

(وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة) من القرآن **(فتصلي عليه حتى يفرغ منها)** أي من قراءتها ، **(وأن العبد ليفتتح سورة)** من القرآن **(فتلعنه حتى يفرغ منها)** قراءة **(فقيل له : كيف ذلك؟ قال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها)** أي إذا ائتمر بأمرها وانتهى عن زجرها **(صلّت عليه وإلا لعنته)** نقله صاحب القوت هكذا .

(وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم) بذلك **(يقرأ ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود : ١٨] وهو ظالم نفسه)** أو غيره **(﴿ألا لعنة الله على**

وقال الحسن: إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جَمَلاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار. وقال ابن مسعود: أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به. وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما: لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها. ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل. وقد ورد في التوراة: يا

الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١] وهو منهم) أي من المتصفين بالكذب. نقله صاحب القوت هكذا. وفي هذين القولين تفسير لقول أنس السابق «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله مخاطباً للقراء: **(إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه وتقطعون به مراحله وإن من كان قبلكم رأوه رسائل)** أتتهم **(من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار)** نقله صاحب القوت هكذا، ومعنى ينفذونها بالنهار أي يمضون العمل بما فيها إذا أصبحوا.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه من قبله: **(انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحداً ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به)** نقله صاحب القوت هكذا.

(وفي حديث) عبد الله **(بن عمر)** بن الخطاب، **(وحديث)** أبي ذر **(جندب)** بن جنادة الغفاري رضي الله عنهم قالا: **(لقد عشنا دهراً)** وفي القوت: برهة من دهرنا. **(وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة)** من القرآن **(على محمد ﷺ فيعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها)** كما تعلمون أنتم القرآن، **(ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه فينثره نثر الدقل)**. هكذا نقله صاحب القوت.

أخرجه النحاس في كتابه فقال: حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن القاسم بن عوف النكري قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول «لقد عشنا برهة في دهرنا» فساقه. ثم قال: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن، وقوله: لقد عشنا الخ يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة اهـ.

عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابي أنزلته إليك أنظر كم فصلت لك فيه من القول، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه. أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك؟ يا عبدي يقعد إليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كفّ، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك؟

قال السيوطي: هذا الأثر أخرجه البيهقي في سننه عن علي في قوله ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل: ٤] وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب العلم مفصلاً.

ثم قال صاحب القوت بعد إيراده الكلام السابق ما نصه: وهذا كما قال لأن المراد والمقصود بالقرآن الائتمار لأوامره والانتهاء عن زواجره إذ حفظ حدوده مفترض، ومسؤول عنه العبد ومعاقب عليه، وليس حفظ حروفه فريضة ولا عقاب على العبد إذا لم يحفظ ما وسعه منه.

(**وقد ورد في التوراة: يا عبدي**) ولفظ القوت: وقرأت في سورة الحنين من التوراة (**أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابي أنزلته إليك أنظر كم وصلت لك فيه من القول، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك**) عزّ ربي وجل (**من بعض إخوانك، يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم**) إليك (**متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف، وها أنا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني فجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك**) عزّ ربي وجل، أو كما قال، هكذا نقله صاحب القوت بتمامه.

الباب الثاني

في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة:

الأول: في حال القارىء: وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير متربع ولا متكىء ولا جالس على هيئة التكبر. ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه. وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال. فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعاً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك. قال

الباب الثاني

في ظاهر آداب التلاوة

(وهي عشرة:

الأول: فـي حال القارئ وهو أن يكون على)أكمل حالات الطهارة فيغتسل لقراءة القرآن إن أمكنه، ويلبس أحسن ثيابه، ويتطيب، ويتبخر بأطيب ما يجد عنده إن أمكنه ذلك، وإلا اقتصر على **(الوضوء)**، والتيمم ينوب عنه، ويسن أن يستاك تعظيماً وتطهيراً، فقد روى ابن ماجه والبزار عن علي مرفوعاً بسند جيد « إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك » ولو قطع القرآن وعاد عن قرب فمقتضى استحباب التعوذ إعادة السواك أيضاً **(واقفاً على)** أحسن **(هيئة الأدب والسكون)** في نفسه وتسكين الأطراف على أي حال كان **(إما قائماً)** على قدميه **(وإما جالساً)** حالة كونه **(مستقبل القبلة)** إذ أشرف المجالس ما استقبل به القبلة **(مطرقاً رأسه)** فإن كان متطيلساً فهو الأحسن إذ هو الخلوة الصغرى **(غير متربع)** على قرفصاه، **(ولا متكئ)** على وسادة أو جدار أو شبهها، **(ولا جالساً على هيئة التكبر)** بأن يجعل إحدى رجليه على الأخرى أو غير ذلك، **(ويكون جلوسه وحده)** لكونه يختلي بربه **(كجلوسه بين يدي أستاذه)** على غاية المهابة، **(وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً)** سواء كانت فرضاً أو نفلاً، **(وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال)** لشرف المكان، وكره قوم القراءة في الحمام والطريق، قال النووي: ومذهبنا لا تكره فيهما. قال: وكرهها الشعبي في الحش وبيت الرحا وهي تدور، قال: وهو مقتضى مذهبنا.

(فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعاً في الفراش) وهو في البيت كل ذلك مع عدم

الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعاً. قال علي رضي الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرآه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات. وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب. قال أبو

قيام المانع، **(فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك)** وذلك لأنه **(قال الله تعالى)** في مدح الذاكرين الله وهو يشمل التالين **(﴿الذين يذكرون الله)** أي في سائر أحوالهم **(قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)** أي مضطجعين عليها **(ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٩١] فأثنى على الكل)** في معرض واحد، **(ولكن قدم القيام في الذكر)** فعرف منه أنه أفضل، **(ثم القعود)** فيه، **(ثم الذكر مضطجعاً)** ففضل تلك الحالات على هذا الترتيب.

قال إمام الحرمين: لا تكره القراءة للمحدث لأنه صح أن النبي ﷺ كان يقرأ مع الحدث، وفي شرح المهذب: وإذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستتم خروجها، وأما الْجُنب والحائض فيحرم عليهما القرآن. نعم يجوز لهما النظر في المصحف وايراده على القلب، وأما المتنجس الفم فتكره له القراءة، وقيل: تحرم كمس المصحف باليد النجسة.

(قال علي) بن أبي طالب **(رضي الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأ في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات)**. وهذا قد أخرجه الديلمي من حديث أنس مرفوعاً وفيه: «ومن قرأه قاعداً كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة».

(وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه افرغ للقلب) من الاشغال، ومما يدل على أن القراءة بالليل أفضل منها بالنهار ما أخرجه مسلم، والأربعة، وابن حبان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفعه: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

وقد جاء ذلك صريحاً لكنه مقيد بآخر الليل فيما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه رفعه قال: «أيكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر ثم ليرقد، ومن وثق بالقيام من الليل فليوتر من آخر الليل، فإن قراءة آخر الليل محضورة وذلك أفضل».

ذر الغفاري رضي الله عنه: إن كثرة السجود بالنهار وإن طـول القيام بالليل أفضل.

الثاني: في مقدار القراءة وللقرّاء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار، **فمنهم** من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة، وبعضهم مرتين، وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من

(قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل). هكذا نقله صاحب القوت، وقد ورد في كل من كثرة السجود وطول القيام أخبار حسان تقدم ذكر بعضها في كتاب الصلاة.

(الثاني: في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار) في تمكنهم من الحفظ وسرعة اللسان وبطئه، **(فمنهم من يختم)** القرآن **(باليوم والليلة مرة)** وكان الشافعي يفعل ذلك في سائر سنته غير شهر رمضان.

وأخرج ابن أبي داود في كتاب الشريعة من طريق مالك أن عمر بن حسين كان يختم القرآن في كل يوم وليلة. وروى ابن أبي شيبة ذلك عن علي الأزدي وعلقمة.

(وبعضهم مرتين) كان الشافعي إذا دخل شهر رمضان ختم في اليوم والليلة مرتين، وكذلك كان يفعله الأسود، وصالح بن كيسان، وأبو شيخ الحنائي. قال ابن عبد البر: كان سعيد بن جبير وجماعة يختمون القرآن مرتين وأكثر في ليلة.

(وانتهى بعضهم إلى ثلاث) ختمات أي في اليوم والليلة.

وروي ذلك عن سليم بن عتر وهو تابعي كبير شهد فتح مصر في عهد عمر، ثم ولاه معاوية القصص، ثم ضم إليه القضاء. مات بدمياط سنة خمس وسبعين أخرجه أبو عبيد، عن سعيد بن عفير، عن بكر بن مضر عنه «أنه كان يختم من الليلة ثلاث ختمات ويجامع ثلاث مرات» فلما مات قالت امرأته: يرحمك الله إن كنت لترضي ربك وترضي أهلك.

وأخرجه ابن أبي داود من رواية ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد عنه بنحوه مختصراً.

قال النووي في الاذكار: وأكثر ما بلغنا في ذلك عن ابن الكاتب أنه كان يقرأ في اليوم والليلة ثماني ختمات.

قال الحافظ في تاريخه: ابن الكاتب هذا حسين بن أحمد يكنى أبا علي ذكره أبو القاسم القشيري في الرسالة، وأرخ وفاته بعد الأربعين وثلاثمائة.

وأخرج أثره هذا أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية عن أبي عثمان المغربي واسمه سعيد قال: كان ابن الكاتب فذكره.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي، حدثني محمد بن عيينة، حدثني مخلد بن الحسين، سمعت هشام بن حسان يقول:

يختم في الشهر مرة، وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه» وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل. وقد قالت

كنت أصلي إلى جنب منصور بن زاذان، فكان إذا جاء شهر رمضان ختم بنا بين المغرب والعشاء ختمتين، ثم قرأ إلى الطواسين قبل أن تقام الصلاة، وكانوا إذ ذاك يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يذهب ربع الليل، وكان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ويختمه فيما بين المغرب والعشاء.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق الثقفي، ثنا محمد بن زكريا بن إسماعيل، سمعت مخلد بن الحسين يحدث، عن هشام بن حسان: صليت إلى جنب منصور بن زاذان يوم الجمعة في مسجد واسط فختم القرآن مرتين، وقرأ الثالثة إلى الطواسيم. قال مخلد: ولو غير هذا حدثني بهذا لم أصدقه.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا جعفر بن محمد، حدثنا عباس هو الدوري، حدثنا يحي بن أبي بكر، حدثنا شعبة عن هشام بن حسان قال: صليت إلى جنب منصور بن زاذان فقرأ القرآن فيما بين المغرب والعشاء، وبلغ في الثانية إلى النحل.

وأخرجه محمد بن نصر في قيام الليل عن الدورقي عن يحي بن أبي بكر وسنده صحيح.

(ومنهم من يختم في الشهر مرة) وقد ورد الأمر به مصرحاً في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند الترمذي والنسائي، وأصله في الصحيحين كما سيأتي قريباً، وأكثر العلماء على أنه لا تقدير في ذلك، وإنما هو بحسب النشاط والقوّة، **(وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه»)**.

قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن عمرو، وصححه الترمذي اهـ.

قلت: رواه الترمذي والنسائي من رواية سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي العلاء يزيد بن عبدالله بن الشخير، عن عبدالله بن عمرو رفعه بلفظ: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

ورواه أحمد عن عفان بن مسلم، ويزيد بن هارون. كلاهما عن همام بن يحي، عن قتادة.

ورواه أبو داود والدارمي عن محمد بن المنهال، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة.

ورواه أبو داود الطيالسي عن همام بن يحي.

وقد جاء في كراهية قراءته في أقل من ثلاث عن جماعة من الصحابة.

منهم: معاذ بن جبل قال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا يزيد هو ابن هارون، حدثنا هشام بن حسان، عن حفصة بنت سيرين، عن أبي العالية، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث».

وأخرجه ابن أبي داود من رواية سفيان الثوري، وخالد بن عبدالله كلاهما عن هشام بن حسان.

عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً « إن هذا ما قرأ القرآن ولا

ومنهم: عبدالله بن مسعود، أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي داود من طريق أبي الأحوص عنه قال: « لا تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث ». وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طرق عنه من قوله ومن فعله.

وقال أبو عبيد: حدثنا حجاج هو ابن محمد ويزيد هو ابن هارون، الأوّل عن شعبة، والثاني عن سفيان الثوري كلاهما عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة وهو ابن عبدالله بن مسعود عن ابن مسعود قال: « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز ».

وأخرجه ابن أبي داود من رواية شعبة، وسفيان من طرق أخرى، عن أبي إسحاق عن عبيدة.

وروى سعيد بن منصور من طرق جماعة من التابعين أنهم كانوا يقرأون في ثلاث منهم: ابراهيم النخعي، وأبو إسحاق السبيعي، والمسيب بن رافع، وطلحة بن مصرف، وحبيب بن أبي ثابت.

وقد جاء ذلك في حديث مرفوع قال الدارمي حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا عقبة بن خالد، حدثنا عبدالرحمن بن زياد، حدثني عبد الرحمن بن رافع، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « أمرني رسول الله ﷺ أن لا أقرأ القرآن في أقل من ثلاث » عبد الرحمن بن زياد فيه مقال، ولكن يتقوّى حديثه بشواهد.

(لأن الزيادة على ذلك تمنع الترتيل). وجعل ابن حزم الظاهري قراءته في أقل من ثلاث حراماً فقال: يستحب أن يختم القرآن مرة في الشهر، ويكره أن يختم في أقل من خمسة أيام، فإن فعل ففي ثلاثة أيام لا يجوز أن يختم القرآن في أقل من ذلك، ولا يجوز لأحد أن يقرأ أكثر من ثلث القرآن في يوم وليلة، ثم استدل على ذلك بالحديث المتقدم.

قال الولي العراقي: ولا حجة في ذلك على تحريمه، ولا يقال كل من لم يتفقه في القرآن فقد ارتكب محرماً. ومراد الحديث أنه لا يمكن مع قراءته في أقل من ثلاث: النفقة فيه، والتدبر لمعانيه، ولا يتسع الزمان لذلك.

وقد روي عن جماعة من السلف قراءة القرآن كله في ركعة واحدة منهم: عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير اهـ.

(فقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً: إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت). أخرج ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن محمد بن بشار، ويزيد بن محمد بن المغيرة كلاهما عن وهب بن جرير، عن أبيه: سمعت يحي بن أيوب يحدث عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن زياد بن ربيعة بن سفيان الحضرمي عن مسلم بن مخران قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: إن رجلاً يقرأ حزبه القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً فقالت: « قرأه ولم يقرأه » الحديث.

سكت » وأمر النبي ﷺ عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع ، وكذلك كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يختمون القرآن في كل جمعة ، كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم. ففي الختم أربع درجات:

(وأمر النبي ﷺ عبدالله بن عمرو) بن العاص **(رضي الله عنهما : « أن يختم القرآن في كل سبع »)** قال العراقي : متفق عليه من حديثه اهـ .

قلت : رواه البخاري عن إسحاق بن منصور ، ومسلم عن القاسم بن زكريا كلاهما عن عبيدالله بن موسى ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : أعني يحيى واحسبني سمعته من أبي سلمة ، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ القرآن في شهر ؟ قلت : إني أجد قوة . قال : اقرأه في عشر . قلت : إني أجد قوّة ، قال : اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » وله شاهد من حديث غريب .

قال الحافظ أبو عبدالله بن منده : أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم ، حدثنا أبو حاتم الرازي ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني حبان بن واسع بن حبان ، عن أبيه ، عن قيس بن أبي صعصعة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ؛ في كم أقرأ القرآن ؟ قال : « في خمس عشرة . قال : إني أجدني أقوى من ذلك . قال : اقرأه في جمعة » .

وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن عن يحيى بن بكر عن ابن لهيعة . وأخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل ، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب الشريعة جميعاً عن محمد بن يحيى ، عن سعيد بن أبي مريم . وأخرجه أبو علي بن السكن في كتاب الصحابة ، عن ابراهيم بن حمدويه ، عن أبي حاتم الرازي . قال ابن السكن : وابن أبي داود ليس لقيس غيره زاد الأخير : وهو الضاري شهد بدراً ، وزاد ابن السكن لم يروه غير ابن لهيعة .

(وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة) مرة **(كعثمان)** بن عفان ، **(وزيد بن ثابت ، و)** عبدالله **(بن مسعود ، وأبي بن كعب رضي الله عنهم)** هكذا نقله عنهم صاحب القوت ، فنقل عن عثمان رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في وجه القسمة في الأدب الثالث ، ثم قال : وكذلك زيد بن ثابت وأبي بن كعب كانا يختمان القرآن في كل سبع ، وروينا عن ابن مسعود أنه سبع القرآن في سبع ليال اهـ .

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن الصحابة الذين كانوا يختمون في سبع ومن بعدهم من التابعين فذكر فيهم تميماً الداري رضي الله عنه قال : وأمر به ابن مسعود ، وذكر عبد الرحمن بن يزيد ، وابراهيم النخعي ، وعروة بن الزبير ، وأبا مجلز ، واستحسنه مسروق . وذكر أبياً فيمن كان يختمه في ثلاث ، وتقدم عن ابن مسعود أيضاً أنه كان يختمه في ثلاث .

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن : حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا شعبة عن محمد بن ذكوان من

....

أهل الكوفة قال: سمعت عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود يقول: كان عبدالله بن مسعود يقرأ القرآن في شهر رمضان من الجمعة إلى الجمعة.

وأخرجه ابن أبي داود في الشريعة من رواية ابن عامر العقدي من رواية يحي بن سعيد القطان، عن شعبة بلفظ: « في كل أسبوع ».

وأخرج أيضاً من طريق أبي الأحوص، عن ابن مسعود أنه كان يقول « اقرأوا القـرآن في سبـع » وسنده صحيح. وهذا هو مراد ابن أبي شيبة حيث قال: وأمر به ابن مسعود.

وقال أبو عبيد أيضاً: حدثنا علي بن عاصم، حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة قال: كان أبيّ بن كعب يختم في كل ثمان. وكان تميم الدارمي يختم في كل سبع.

وأخرج ابن أبي الدنيا الختم في السبع بأسانيد صحيحة عن عثمان، وابن مسعود، وتميم الداري.

وأخرج أيضاً عن أبي العالية في أصحابه نحو ذلك. ومن طريق أبي مجلز عن أئمة الحي، وعن عبد الرحمن بن يزيد، وعلقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع. وهؤلاء من كبار التابعين من أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وأخرج عن جماعة ممن دونهم نحو ذلك. ومن طريق الهيثم بن حميد عن رجل عن مكحول قال: كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك. قال الحافظ وهذا أثر ضعيف من أجل الرجل الذي لم يسم.

قلـت: ولكن ذكر الحافظ الذهبي في الكاشف في ترجمة الهيثم بن حميد أنه رواية مكحول كما سيأتي.

تنبيه:

وممن كان يختم في كل عشر الحسن البصري، رواه ابن أبي داود بسند لين، ومنهم أبو رجاء العطاردي واسمه عمران بن ملحان رواه ابن أبي داود أيضاً عن أبي الأشهب العطاردي عنه، لكن قيده بشهر رمضان.

وأما من كان يختم في ثمان فأخرج ابن أبي داود من طريق أبي قلابة عن ابن المهلب عن أبي بن كعب قال: « اقرأوا القرآن في كل ثمان ».

وأخرج سعيد بن منصور من وجه آخر عن أبي قلابة: « أن أبي بن كعب كان يختم القرآن في كل ثمان ».

وأما في كل ست فقال أبو عبيد: حدثنا جرير، عن منصور، عن ابراهيم قال: كان الأسود بن يزيد يختم القرآن في كل ست.

وأما في كل خمس فرواه أبو عبيد بهذا السند إلى ابراهيم قال: كان علقمة بن قيس يختم في

الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة، والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءاً ـ وكأنه مبالغة في الاقتصار كما ان الأوّل مبالغة في الاستكثار ـ وبينهما درجتان معتدلتان. إحداهما في الأسبوع مرة، والثانية في الأسبوع مرتين تقريباً من الثلاث. والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار، ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمة بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأوّل الليل بختمته فإن الملائكة عليهم السلام تصلي عليه إن كانت ختمته ليلاً حتى يصبح وإن كانت نهاراً حتى يمسي فتشمل بركتها جميع الليل والنهار.

خمس. ومن طريق شعبة عن منصور عن ابراهيم قال: كان علقمة يكره أن يختم في أقل من خمس.

وأما في كل أربع فأخرج ابن أبي داود من طريق مغيث بن سمي قال: كان أبو الدرداء يختم القرآن في كل أربع والله أعلم.

(ففي الختم أربع درجات: في يوم وليلة، وقد كرهه جماعة) من أهل العلم لما تقدم منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، **(والختم في شهر كل يوم حزبين ثلاثين يوماً)** بستين حزباً كل حزب نصف الجزء، **(وكأنه مبالغة في الاقتصار كما أن الأوّل مبالغة في الاستكثار)** غير أنه روي عن الإمام أحمد أنه قال: أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين، وكره أصحابه تأخيرها أكثر من ذلك لأنه يفضي إلى التهاون به والنسيان له. قالوا: وهذا إذا لم يكن له عذر، فأما مع العذر فواسع له.

وقال أبو الليث السمرقندي، من أصحابنا في كتابه البستان: ينبغي للقارىء أن يختم القرآن في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة.

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: قراءة القرآن في كل سنة مرتين إعطاء لحقه، لأن النبي ﷺ عرض على جبريل عليه السلام في السنة التي قبض فيها مرتين اهـ.

(وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما: في الأسبوع مرة) وعليه أكثر السلف كما أورده النووي في الاذكار والتبيان، **(والثاني: في الأسبوع مرتين تقريباً من الثلث، والأحب)** للمريد **(أن يختم)** في كل أسبوع مرتين **(ختمة بالنهار وختمة بالليل)**. قال ابن المبارك: إن كان الصيف فيكون بالنهار، وإن كان الشتاء فيكون بالليل. **(ويجعل ختمة النهار يوم الإثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما، ليستقبل بختمتيه أوّل النهار وأوّل الليل، فإن الملائكة تصلي عليه إن كان ختمه ليلاً حتى يصبح، و)** تصلي عليه **(ان كان)** ختمه **(نهاراً حتى يمسي)**. فهذان الوقتان يستوفيان كلية الليل، والنهار كذا في القوت. **(فتشمل بركتها جميع الليل والنهار)**. فروى ابن أبي داود من طريق أبي مكين نوح بن ربيعة عن عمر بن مرة قال: كانوا يحبون أن يختم القرآن في أوّل الليل أو في أوّل النهار.

والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع. وإن كان من السالكين لأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل.

وقال الدارمي في سننه: حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن يزيد بن عبد الرحمن، عن طلحة بن مصرف، وعبد الرحمن بن الأسود قالا: من قرأ القرآن ليلاً أو نهاراً صلت عليه الملائكة إلى الليل أو إلى النهار. وقال: أحدهما: غفر له.

وأخرج ابن أبي داود من رواية عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بلفظ: «إن ختمه نهاراً صلت عليه الملائكة حتى يمسي وإن ختمه ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح».

وقال الدارمي: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة فذكر معناه.

وقال الدارمي أيضاً: حدثنا محمد بن حميد، ثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة بن سعيد، عن ليث، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «من وافق ختم القرآن أول الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه حتى يصبح».

(والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل) لا شغل له سواه، **(فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع)** على الوجه الذي ذكر، **(وإن كان من السالكين بأعمال القلب)** بأن كان اشتغاله حفظ الأنفاس والذكر القلبي، **(وضروب الفكر)** بأن كان من أهل المراقبة، **(أو)** كان **(من المشتغلين)** بطلب العلم من أهله مطالعة وحفظاً ومدارسة ونسخاً، أو كان من الكاملين الراسخين المهتمين **(بنشر العلم)** تدريساً وإلقاء، أو من أهل الكد على تحصيل القوت لعياله، **(فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة)** واحدة، **(وإن كان نافذ الفكر)** ثاقبه **(في معاني القرآن)** ويغوص في استنباط جواهره ودرره، **(فقد يكتفي في الشهر بمرة)** واحدة **(لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل)**، وهذا يستدعي عدم فراغ الوقت للتلاوة المجردة.

وقال النووي في الاذكار: المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بعد كمال فهم ما يقرأ النشاط فله ما يقرأ، ومن كان مشغولاً بنشر العلم والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل به إخلال ما هو مرصد له ولا فوات كماله، وإن لم يكن من أهل هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والمندوب من القراءة.

الثالث: في وجه القسمة: أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن أحزاباً، فروي أن عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن، ويختم ليلة الخميس. وابن مسعود كان يقسمه أقساماً لا على هذا الترتيب، وقيل أحزاب القرآن سبعة، فالحزب الأوّل ثلاث سور،

(الثالث: في وجه القسمة أما من ختم في الأسبوع مرة) كما عليه أكثر السلف، **(فيقسم القرآن سبعة أحزاب، فقد حزب الصحابة رضوان الله عليهم القرآن أحزاباً)**. وأصل الحزب الورد يعتاده الإنسان من صلاة وقراءة ونحو ذلك.

قال صاحب القوت: وليقرأ القرآن أحزاباً في كل يوم وليلة حزب، فذلك أشد لمواطأة القلب وأقوم للترتيب وأدنى إلى الفهم، وإن أحب قرأ في كل ركعة ثلث عشر القرآن أو نصف ذلك يكون من أجزاء الثلاثين في كل ركعة أو ركعتين، وإن قرأ في كل ورد حزباً أو حزبين أو دون ذلك فحسن.

(فروي أن عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن، ويختم ليلة الخميس).

قال صاحب القوت: روينا عن يحيى بن الحارث الزماري، عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يفتتح، فساقه.

قلت: وأخرجه أيضاً ابن أبي داود في كتاب الشريعة من طريق القاسم هذا بسند لين، وثبت أن عثمان رضي الله عنه كان يختم القرآن في ركعة كما تقدمت إليه الإشارة.

قال أبو عبيد: حدثنا هاشم، حدثنا منصور، عن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين دخلوا عليه ليقتلوه إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليل في ركعة يجمع فيها القرآن.

وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن ابن سيرين بنحوه، وهذا يدل على انه كانت له أحوال مختلفة في ختم القرآن.

ثم قال صاحب القوت: **(و)** روينا عن **(ابن مسعود)** أنه **(كان يقسمه سبعة أقسام)** في سبع ليال، ولكنه **(لا على هذا الترتيب)** لأن تأليفه على غير ترتيب مصحفنا هذا، فلم يذكر هنا لأن الاعتبار لا يستبين به، وقد ذكر ترتيب مصحفه القسطلاني في شرح البخاري.

ثم قال صاحب القوت: **(وقيل أحزاب القرآن سبعة، فالحزب الأوّل ثلاث سور،**

والحزب الثاني خمس سور، والحزب الثالث سبع سور، والرابع تسع سور، والخامس إحدى عشرة سورة، والسادس ثلاث عشرة سورة، والسابع المفصل من قٓ إلى آخره. فهكذا حزبه الصحابة رضي الله عنهم، وكانوا يقرأونه كذلك. وفيه خبر عن رسول الله ﷺ. وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فما سوى هذا محدث.

والحزب الثاني خمس سور، والحزب الثالث سبع سور، والرابع تسع سور، والخامس إحدى عشرة، والسادس ثلاث عشرة سورة، والسابع المفصل من ق إلى آخره) وهو الذي يعبر عنه بعض القراء [1] يسوق من الفاتحة إلى المائدة، ومنها إلى يونس، ثم منها إلى بني إسرائيل، ثم منها إلى الشعراء، ثم منها إلى والصافات، ثم منها إلى ق إلى آخر القرآن.

(فهكذا) كانت أحزاب القرآن، وكذلك **(حزبه الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرأونه كذلك، وفيه خبر)** وارد **(عن النبي ﷺ)**، وكأنه حزب على عدد الآي إذ عددها ستة آلاف ومائتا آية وست وثلاثون آية. قال صاحب القوت: وقد اعتبرت ذلك في كل حزب فرأيته يتقارب. **(وهذا قبل أن تعمل الأخماس والعواشر والأجزاء فما سوى هذا محدث)**.

وأما الخبر المذكور في التحزيب فقال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه: «أنه طرأ علي حزبين من القرآن» قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل.

وفي رواية للطبراني فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يجزىء القرآن؟ فقالوا: كان يجزئه ثلاثاً فذكره مرفوعاً وإسناده حسن اهـ.

قلت: رواه أبو داود، عن مسدد، عن قران، عن عبدالله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبدالله بن أوس، عن جده أوس بن حذيفة.

ورواه الطبراني من وجهين الأول عن معاذ بن المثنى عن مسدد، والثاني عن فضيل بن محمد المطلي، عن أبي نعيم، عن الطائفي ولفظ الطبراني قال أوس: «قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فأبطأ علينا ذات ليلة فقال: إنه طرأ عليَّ حزبين من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أقضيه» الحديث.

تنبيه:

قال الحافظ في تخريج الاذكار: لم يقع في أكثر الروايات في حديث أوس نسبة تحزيب القران للنبي ﷺ صريحاً، والذي وقع فيها بلفظ: كيف يحزبون القرآن، ولم يقع أيضاً في أكثرها تعيين أوّل المفصل، وقد ذكره عبد الرحمن بن مهدي في روايته فقال: من ق إلى أن يختم ومقتضاه أنه

---

(١) بياض في الأصل

الرابع: في الكتابة: يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فإنها تزيين وتبيين وصدّ عن الخطأ واللحن لمن يقرأه، وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الأخماس والعواشر والأجزاء. وروي عن الشعبي

ابتدأ في الغد بالبقرة، وكأنه لم يذكر الفاتحة لأنه يبتدأ بها في أوّل ركعة وغالب تلاوتهم كانت في الصلاة اهـ.

فقول المصنف تبعاً لصاحب القوت، وفيه: خبر عن النبي ﷺ محل تأمل.

(الرابع في الكتبة). بالكسر أي هيئة كتابة المصاحف. **(يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه)**، أما تحسينها فتجويد الحروف على القاعدة العربية المعتبرة مما ذكرها شعبان الآثاري في ألفيته، وأما التبيين فأن يميز الحروف بعضها عن بعض إفراداً وتركيباً، ولا يغور الميم والقاف والفاء والعين والغين وكل ما له جوف، ولا يطل المرسل، ولا يرسل المطوّل. **(ولا بأس بالنقط والعلامات)** كل منها **(بالحمرة وغيرها)** من الألوان، **(فإن ذلك تزيين وتبيين له)** وتمييز **(وصد عن اللحن والخطأ لمن يقرأه)**.

والمراد بالعلامات هي التي توضع على رؤوس الآي، والوقوفات بأنواعها، ووصل الهمزة وقطعها. فأما النقط فقد اتفقوا على إعجام بعض الحروف دون بعض، فالمهملة منها الألف والحاء والدال والراء والسين والصاد والعين والكاف واللام والميم والواو والهاء وما عدا ذلك معجمة، فمنها بواحدة وهي الباء والجيم والخاء والذال والزاي والضاد والغين والفاء والنون، ومنها باثنين وهي التاء والقاف والياء، وعلى هذا رأي المشارقة. وعلى رأي المغاربة الفاء معجمة بنقطة من أسفل والقاف بعكسه وهذا حسن لحصول التمييز والاقتصار على ما لا بدّ، ومنها بثلاث وهي الثاء والشين. ومن القواعد المقررة أن النون والياء والقاف والفاء إذا تطرفت في آخر الكلمة فإنها لا تنقط لحصول التمييز بهيئتها فاكتفي بها، وإن كل ما جاء على فعائل أو فواعل أو مفاعل من الجموع وعينها ياء، فإن كانت الياء أصلية في مجرد الكلمة فتنقط وإلاَّ فبالهمز. وفي تنقيط ياء معايش اختلاف عند القراء وهو مبني على اختلاف أئمة اللغة هل جمع معيشة أو عيش، وهل ميم معيشة أصلية أو زائدة كما هو مقرر في محله، ومن ذلك قولهم: نقط الكبائر من الكبائر وهذا من باب المبالغة، ثم ان النقط أعم من أن يكون على التدوير كهيئة الكرة، وهكذا وجد في خطوط أهل الكوفة القديمة أو على التربيع كما وجد في خطوط أخرى لهم لاصقة، أو بينهما مع الصغر في الجرم كما اصطلح عليه المتأخرون وهو حسن.

(وقد كان الحسن) البصري **(وابن سيرين)** محمد **(ينكران)** هذه **(الأخماس والعواشر والأجزاء)** نقله صاحب القوت والأخماس جمع خمس بضمتين وبضم فسكون، وهو جزء من خمسة أجزاء، والعواشر جمع عشير ككريم لغة في العشر بالضم جزء من عشرة أجزاء وهي الأعشار، والأجزاء جمع جزء بالضم وهو الطائفة من الشيء، وقد جزأه تجزيئاً جعله أجزاء متميزة فتجزأ

وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون: جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحسماً للباب وتشوّقاً إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييراً، وإذا لم يؤدّ إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به. ولا يمنع ذلك من

تجزئة، وتجزئة القرآن ثلاثون جزءاً يكتب على رأس الآية المبدوءة منها الجزء الأول والجزء الثاني والثالث، وهكذا في آخره.

ومنهم من يكتفي على رأس كل جزء بالعدد الهندي وهو حسن لحصول العلم والتمييز بذلك وقد وقع الاختلاف في رؤوس بعض الأجزاء بحسب اختلافهم في عد الكلمات والحروف والآي، فمن المختلف في الأجزاء الجزء الرابع عشر، فقيل: أوّله من أوّل السورة، وقيل أوّله من قوله: ﴿ربما يودّ﴾ [الحجر: ٢] والجزء التاسع عشر فقيل أوّله: ﴿وقال الذين لا يرجون﴾ [الفرقان: ٢١] وقيل أوّله: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا﴾ [الفرقان: ٢٥] والجزء العشرون فقيل أوّله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ [النمل: ٥٦] وقيل أوّله: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ [النمل: ٦٠] والجزء الواحد والعشرون فقيل أوّله: ﴿أتل ما أوحي إليك﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقيل أوّله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ [العنكبوت: ٤٦] والجزء الثالث والعشرون فقيل أوّله: ﴿وما لي لا أعبد﴾ [يس: ٢٢] وقيل: ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ [يس: ٢٨] والجزء السادس والعشرون فقيل أوّله: ﴿وبَدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ [الجاثية: ٣٣] وقيل من أوّل سورة الأحقاف.

ثم اختلفوا في تقسيم كل جزء من الثلاثين، فمنهم من قسمه على الاعشار فتارة يكتب العين بالأحمر إشارة له بإزاء الآية على الهامش، وتارة يكتب عشر، ومنهم من قسمه على الأخماس فيكتب خاء معجمة أو خمس، ومنهم من قسمه على الاثلاث فيكتب على رأس كل ثلث حزب أو ثلث، ومنهم من قسمه على الأرباع فيكتب على رأس كل ربع ربع ليميز عن العشر ويكتب على تمام الربعين نصف، وللمغاربة ترتيب آخر يرجع إلى مصاحفهم، ومما أحدثوا كتابه أسماء السور بالقلم الأحمر قبل البسملة مع عدد كلماتها وحروفها، وهل هي مكية أو مدنية؟ ومنهم من أحدث ختم الصفحة على الآية وهو حسن إن لم يتكلف في ذلك.

(وروي عن) عامر بن شراحيل **(الشعبي وإبراهيم)** النخعي **(كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجر على ذلك، وكانوا يقولون: جردوا القرآن)** كذا في القوت، ومعنى تجريده أن لا يضاف إليه شيء زائد، **(والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات حسماً للباب)** وسداً للذريعة، **(وشوقاً إلى حراسة القرآن)** وصيانته **(عما يطرق إليه)** أي يدخل عليه **(تغييراً)** واحداثاً، **(وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر الأمر)** وفي بعض النسخ: أمر الأمة **(فيه على ما يحصل به مزيد معرفة)** وتمييز، **(فلا بأس**

كونه محدثاً فكم من محدث حسن كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر رضي الله عنه وانها بدعة حسنة، إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنّة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها. وبعضهم كان يقول أقرأ من المصحف في المنقوط ولا أنقطه لنفسي. وقال الاوزاعي عن يحي بن أبي كثير كان القرآن مجرداً في المصاحف فأوّل ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به، فإنه نور له، ثم أحدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي، فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح. قال أبو بكر الهذلي: سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال: وما تنقيطها؟ قلت: يعربون الكلمة بالعربية. قال: أما إعراب القرآن

به ولا يمنع من ذلك كونه محدثاً) لم يكن ذلك في عصر الأولين، **(فكم من محدث حسن كما قيل في)** استعمال السبحة وفي **(إقامة الجماعات في التراويح أنها من محدثات عمر)** رضي الله عنه كما تقدم تحقيقه في كتاب الصلاة، **(وأنها بدعة حسنة، وإنما البدعة المذمومة ما تصادم)** أي تعارض **(السنّة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها)**، وقد قالوا إن البدعة المباحة هو ما شهد بحسنه أصل في الشرع أو اقتضته مصلحة تندفع بها مفسدة وفيما نحن فيه حصول مزيد المعرفة والتبيين مصلحة شرعية، فلا يكون النقط والعلامات من البدع المذمومة، **(وبعضهم كان يقول: اقرأ في المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسي.**

وقال الاوزاعي) تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(عن يحي بن أبي كثير)** أبي نصر اليمامي مولى طيئ أحد الأعلام العباد، روى عن أبي أمامة وأنس وجابر مرسلاً، وعن أبي سلمة وعنه هشام الدستوائي وهمام مات سنة ١٢٩: **(كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء، وقالوا: لا بأس به فإنه نور له ثم أحدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي فقالوا: لا بأس به يعرف به رأس الآية، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتيم والفواتح)** هكذا نقله صاحب القوت.

(وقال أبو بكر الهذلي) اسمه سلمان، وقيل: روح روى عن الحسن والشعبي ومعاذ. وعنه أبو نعيم ومسلم بن إبراهيم توفي سنة ١٩٧. **(سألت الحسن)** البصري **(عن تنقيط المصاحف بالأحمر. فقال: وما تنقيطها؟ قلت: يعربون الكلمة بالعربية. قال أما إعراب القرآن فلا بأس به).**

وروى البيهقي في السنن والصابوني في المائتين عن عمر رضي الله عنه رفعه قال « من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف أربعون حسنة، ومن أعرب بعضه ولحن في بعض كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن لم يعرب منه شيئاً كان له بكل حرف عشر حسنات ».

فلا بأس به. وقال خالد الحذاء: دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط، وقيل: ان الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسوّوا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر.

الخامس: الترتيل: هو المستحب في هيئة القرآن لأنا سنبين أن المقصود من القراءة

وروى البيهقي عن ابن عمر «من قرأ القرآن فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأ بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات».

(وقال خالد) بن مهران **(الحذاء)** الحافظ أبو المنازل، روى عن أبي عثمان النهدي، ويزيد ابن الشخير، وعنه شعبة وابن علية ثقة إمام توفي سنة ١٤١: **(دخلت على ابن سيرين)** محمد، **(فرأيته يقرأ في مصحف منقوط، وقد كان يكره النقط. وقيل: إن الحجاج)** بن يوسف الثقفي **(هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء)** من البصرة والكوفة منهم: عاصم الجحدري، ومطر الوراق، وشهاب بن شريفة فأمرهم **(حتى عدوا كلمات القرآن)** وآياته **(وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر)** من أخماس وأعشار.

قال السيوطي في الإتقان، قال أبو عبد الله الموصلي: اختلف في عدد الآي أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة، وعدد أهل مكة يروى عن ابن كثير عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب، وأما عدد أهل الشام فيروى عن مروان بن موسى الأخفش، عن ابن ذكوان، عن أيوب بن تميم، عن يحي بن الحارث الزيادي عن عبد الله بن عامر الأصبحي، عن أبي الدرداء، وأما عدد أهل البصرة فمداره على عاصم الجحدري، وأما عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات، وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام، قال حمزة: أخبرنا بهذا العدد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب اهـ.

وعدّد قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعة وثلاثين كلمة، وقيل غير ذلك.

وأما الحروف فقد عدّها ابن الجزري وكذا الانصاف والأثلاث إلى الأعشار، وأوسع القول في ذلك فراجعه فيه، وقال بعضهم: نصف القرآن باعتبار الحروف النون من نكراً من الكهف، وقيل الفاء من قوله وليتلطف وبالكلمات الدال من قوله والجلود في الحج، وبالآيات غافلون من الشعراء، وبالسور آخر الحديد، والله أعلم.

(الخامس: الترتيل) قال الله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل: ٤] وهو التمهل في القراءة وعدم الإعجال، وذلك **(هو المستحب في هيئة القرآن)** بل الأفضل لجمعه الأمر والندب، **(لأنا سنبين)** فيما بعد **(أن المقصود من القراءة التفكر)** في معاني ما يقرأ، والتدبر

التفكر والترتيل معين عليه، ولذلك نعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ، فإذا هي تنعت قراءته مفسرة حرفاً حرفاً. وقال ابن عباس رضي الله عنه: لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إليَّ من أن اقرأ القرآن كله هذرمة. وقال أيضاً: لأن اقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحبّ إلي من أن اقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً. وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحداً إلاّ إن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله، فقال: هما في الأجر سواء. واعلم أن

(والترتيل معين) له **(عليه)**، وقد روي عن علي رضي الله عنه قال: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها.

(وبذلك نعتت أم سلمة) رضي الله عنها **(قراءة رسول الله ﷺ)** لما سئلت عنها، **(فإذا)** للمفاجأة أفاد بها بأنها أجابت بذلك على الفور، وأن ذلك يدل على قوة ضبطها واستحضارها لصفة قراءته ﷺ **(هي تنعت)** أي تصف **(قراءة مفسرة حرفاً حرفاً)** أي مبينة واضحة مفصولة الحروف من التفسير وهو البيان، ووصفها لذلك إما بأن تقول: كانت قراءته كذا أو بالفعل بأن تقرأ كقراءته ﷺ، قيل: وظاهر السياق يدل على الثاني.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن خزيمة، والحاكم، والدارقطني وغيرهم عن أم سلمة «أن النبي ﷺ كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها آية آية» الحديث. والمعنى: أن قراءته ﷺ كانت ترتيلاً لا هذاً ولا عجلة، بل مفسرة الحروف مستوفية ما تستحقه من مد وغيره لأنه كان يقطعها آية آية.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما **(لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة)** نقله صاحب القوت.

(وقال أيضاً: لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً) نقله أيضاً صاحب القوت.

وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن زيد بن ثابت: لأن أقرأ القرآن في شهر أحب إليَّ من أن أقرأه في خمس عشرة، ولأن أقرأه في خمس عشرة أحب إليّ من أن أقرأه في عشر، ولأن أقرأه في عشر أحب إليّ من أن أقرأه في سبع أقف وأدعو.

(وسئل مجاهد) بن جبير التابعي الجليل **(عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط، والآخر القرآن كله؟ فقال: هما في الأجر سواء)** لأن قيامهما كان واحداً، وأفضل الترتيل والتدبر ما كان في صلاة. ويقال: إن التفكر في الصلاة أفضل منه في غيرها لأنها عملان. هكذا أورده صاحب القوت، وفي النشر اختلف هل الأفضل الترتيل،

الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال.

السادس: البكاء: البكاء مستحب مع القراءة. قال رسول الله ﷺ: «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» وقال ﷺ: «ليس منّا من لم يتغن بالقرآن». وقال

وقلة القراءة أو السرعة مع كثرتها، أجاب بعض أئمتنا فقال: إن ثواب قراءة الترتيل أجل قدراً، وثواب الكثرة أكثر عدداً لأن بكل حرف عشر حسنات اهـ.

وقال في شرح المهذب: واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع وقالوا: قراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزأين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل.

(واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال). وهذا قد أورده النووي في شرح المهذب عن الأئمة قالوا: استحباب الترتيل للتدبر، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشد تأثيراً في القلب، ولهذا يستحب للأعجمي الذي لا يفهم معناه.

(السادس: البكاء) فهو **(مستحب مع القراءة)** والتباكي لمن لا يقدر عليه والحزن والخشوع قال الله تعالى ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ [الإسراء: ١٠٩] وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود على النبي ﷺ وفيه «إذا عيناه تذرفان».

(وقال رسول الله ﷺ أتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد جيد اهـ.

قلت: رواه عن عبد الله بن أحمد عن الوليد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن رافع، حدثني ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن مالك رضي الله عنه بعدما كف بصره، فأتيته مسلماً فانتسبت له فقال: مرحباً يا ابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن فليس منا» رواه أبو يعلى الموصلي عن عمرو الناقد عن الوليد بن مسلم، ورواه محمد ابن نصر في قيام الليل عن الهيثم بن خارجة عن الوليد بن مسلم، وإسماعيل بن رافع ضعيف، وقد تابعه عبد الرحمن المليكي وهو مثله في الضعف عن ابن أبي مليكة، ولكن خالف في اسم ابن السائب أخرجه أبو عوانة ومحمد بن نصر وابن أبي داود من طريق المليكي فقال الأوّلان: عن عبد الله بن السائب عن سعد، وقال ابن أبي داود في روايته عن عبد الله بن عبد الله بن السائب ابن نهيك، وبعض رواته قال: عبيد الله بن أبي نهيك والاضطراب فيه في اسم التابعي ونسبه،

صالح المري: قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: يا صالح هذه القراءة فأين البكاء؟ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه. وإنما طريق تكلف

واختلف عليه أيضاً في اسم شيخه فالأكثر أنه سعد بن مالك، وهو ابن أبي وقاص، وقيل: عن سعيد بدل سعد، وقيل عن أبي لبابة، وقيل عن عائشة.

والراجح قول من قال عن سعد وله شاهد عند الطبراني قال: حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العبسي، حدثنا حبان بن نافع، حدثنا صخر، حدثنا سعيد بن سالم القداح، حدثنا صخر بن الحسن، حدثنا بكر بن خنيس، حدثنا أبو شيبة، عن عبد الملك بن عمير، عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إني قارئ عليكم من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة، فقرأ من عند قوله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الزمر: ٦٧] الخ، فمنا من بكى ومنا من لم يبك. فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نبك. فقال: إني سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتباك» أبو شيبة اسمه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وقد روى بعض هذا المتن هشام عن أبي شيبة وهو أوثق من بكر بن خنيس، فأرسله.

قال أبو عبيد: حدثنا هشام، عن عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ «إني قارئ عليكم سورة من بكى فله الجنة، فقرأ فلم يبكوا حتى أعاد الثانية فقال ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا».

(وقال ﷺ «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»)، قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد، وأبو داود وابن حبان والحاكم من رواية عمرو بن دينار، والليث بن سعد كلاهما عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن أبي نهيك، عن سعد بن أبي وقاص.

وأخرجه أبو داود أيضاً عن أبي لبابة بن عبد المنذر، والحاكم أيضاً عن ابن عباس، وعائشة. وقد ذكر الاختلاف فيه قريباً في الحديث الذي قبله إذ هذا الحديث عند بعضهم بعض الحديث المتقدم، وسيأتي تحقيق معناه في الأدب العاشر قريباً.

(وقال صالح المري) من زهاد البصرة تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي «يا صالح هذه القراءة فأين البكاء»)** ولفظ القوت: وقال ثابت البناني: رأيت في النوم كأني أقرأ على رسول الله ﷺ القرآن، فلما فرغت قال «هذه القراءة فأين البكاء».

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: **(إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه)** نقله صاحب القوت. وزاد: فبكاء القلب حزنه

البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء . قال ﷺ : « إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا » ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبكِ على فقد الحزن والبكاء . فإن ذلك أعظم المصائب .

وخشيته أي فإن لم تبكوا بكاء العلماء عن الفهم فلتحزن قلوبكم على فقد البكاء ، وليخش كيف لم يوجد فيكم وصف أهل العلم .

وقد روينا في غرائب التفسير من معنى قوله تعالى : ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ [البقرة : ٧٤] قال هي العين الكثيرة البكاء ﴿وإنَّ منها لما يشَّقق فيخرج منه الماء﴾ [البقرة : ٧٤] قال : هي العين القليلة البكاء ﴿وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة : ٧٤] قال : هو بكاء القلب من غير دموع عين .

(وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء . قال النبي ﷺ « إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا ») قال العراقي : رواه أبو يعلى ، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ .

قلت : تقدم قريباً أن أبا يعلى رواه من حديث سعيد بن مالك بلفظ « إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » وتقدم الاختلاف فيه .

وقال أبو بكر الآجري في فوائده : حدثنا جعفر الفريابي ، حدثنا إسماعيل بن سيف بن عطاء الرياحي ، حدثنا عدن بن عمر ، وحدثنا سعيد الجريري ، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه رفعه « اقرأوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن » .

وأخرجه أبو يعلى عن إسماعيل بن سيف على الموافقة ، وعند الطبراني في الكبير عن ابن عباس رفعه « أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن به » .

(ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والزجر والوثائق والعهود ، ثم يتأمل القارئ تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لذلك لا محالة ويبكي ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية) من الأكدار ، **(فليبك على فقد الحزن والبكاء ، فإن ذلك أعظم المصائب)** وتقدم هذا عن صاحب القوت .

وقال النووي في شرح المهذب مثل ذلك قال وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يفكر في تقصيره فيها فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك فإنه من المصائب .

السابع: أن يراعي حق الآيات: فإذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة. وفي القرآن أربع عشرة سجدة. وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة. وأقله أن يسجد بوضع جبهته

(**السابع: أن يراعي حق الآيات فإذا مر بآية سجود سجد**) أي في أثناء قراءته سواء كان في صلاته أم لا، (**وكذلك إذا سمعها من غيره**) وهو يتلوها (**سجد إذا سجد التالي**) لها.

قال الرافعي: يسن السجود للقارئ والمستمع له سواء القارئ في الصلاة أم لا. وفي وجه شاذ لا يسجد المستمع لقراءة من في الصلاة، وليس للمستمع إلى قراءة المحدث والصبي والكافر على الأصح، وسواء سجد القارئ أو لم يسجد يسنّ للمستمع السجود، لكنه إذا سجد كان أوكد. هذا هو الصحيح الذي قطع به الجمهور.

وقال الصيدلاني: لا يسن له السجود إذا لم يسجد القارئ، واختاره إمام الحرمين، أما الذي لا يستمع بل يستمع من غير قصد، فالصحيح المنصوص أنه يستحب له ولا يتأكد في حقه تأكده في حق المستمع، ولو أصغى المنفرد بالصلاة لقراءة قارئ في الصلاة أو غيرها لم يسجد لأنه ممنوع من الإصغاء، فإن سجد بطلت صلاته والمصلي إماماً كالمنفرد في جميع ما ذكرنا.

(**ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة**) فلا يسجد إذا كان محدثاً ولا الجنب والحائض، (**وفي القرآن أربع عشرة سجدة**) على الجديد الصحيح. وقال في القديم: إحدى عشرة أسقط سجدات المفصل الثلاثة، وهي: في الأعراف والرعد والنحل والإسراء ومريم، و(**في الحج سجدتان**) والفرقان والنمل والَم تنزيل وفصلت والنجم وإذا السماء انشقت، (**وليس في ص سجدة**) أي ليست سجدة ص من عزائم السجود أي متأكداته، وإنما هي مستحبة، وزاد بعضهم آخر الحتم نقله ابن غلام الفرس في أحكامه.

قال الرافعي: ولنا وجه أن السجدات خمس عشرة ضم إليها سجدة ص، وهذا قول ابن سريج، والصحيح المنصوص أنها ليست من عزائم السجود، وإنما هي سجدة شكر، فإن سجد فيها خارج الصلاة فحسن، ولو سجد في ص في الصلاة جاهلاً أو ناسياً لم تبطل صلاته، وإن كان عالماً بطلت على الأصح، ولو سجد إمامه في (ص) لكونه يعتقدها لم يتابعه بل يفارقه أو ينتظره قائماً، فإذا انتظره قائماً فهل يسجد للسهو؟ وجهان. قال النووي: الأصح لا يسجد، وحكى صاحب البحر وجهاً أنه يتابع الإمام في سجود (ص) والله أعلم اهـ.

اعلم أن سجود التلاوة سنّة عند الشافعي ومالك وأحمد، وقال أبو حنيفة وصاحباه: واجب وهو: في الأعراف والرعد والنحل وبني إسرائيل ومريم والحج والفرقان والنمل والم تنزيل وص وحم فصلت والنجم والانشقاق والعلق كذا كتب في مصحف عثمان وهو المعتمد، ولا سجود عند مالك في المفصل أي السبع الأواخر وهو من الحجرات إلى آخره، وعند الشافعي وأحمد في الحج

....

سجدتان كما ذكره المصنف لما روي أنه ﷺ قال: « فضلت سورة الحج بسجدتين » وحمله أصحابنا على أن الأولى سجدة التلاوة، والثانية سجدة الصلاة بدلالة اقترانها بالركوع، وموضع السجدة في حم فصلت عند قوله ﴿وهم لا يسمعون﴾ وعند الشافعي عند قوله ﴿ إن كنتم تعبدون﴾ وهو واجب عندنا على التالي والسامع ولو غير قاصد، ويجب على التراخي، وسواء كان التالي كافراً أو حائضاً أو جنباً أو محدثاً أو صبياً عاقلاً أو سكران لأن النص لم يفصل. ولا يجب على من لا تجب عليه الصلاة كالحائض والنفساء والصبي والمجنون والكافر لا بقراءتهم ولا بسماعهم لأنهم ليسوا من أهل الصلاة لا أداء ولا قضـاء.

وفي التتمة روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة في السكران إذا قرأ آية السجدة لزمته، وكذا في المجنون إذا تلا تلزمه السجدة إذا أفاق.

قال الفقيه أبو جعفر: هذا إذا لم يكن مطبقاً.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في شرح مشكل الآثار: قد تواترت الآثار عن رسول الله ﷺ بالسجود في المفصل من طرق كثيرة عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وبها نقول، وهو قول أبي حنيفة، وأبي يوسف ومحمد.

وأما النظر في ذلك، فعلى غير هذا المعنى وذلك أنـا رأينا المتفق عليه منهن عشر سجدات منها: الأعراف وموضع السجود فيها قوله تعالى ﴿ إنَّ الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

ومنها: الرعد وموضع السجود منها عند قوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥].

ومنها: النحل وموضع السجود منها عند قوله عز وجل ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ إلى قوله ﴿يؤمرون﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠].

ومنها: سورة بني إسرائيل وموضع السجود منها عند قوله تعالى: ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ [الإسراء ١٠٩].

ومنها: سورة مريم وموضع السجود منها عند قوله عز وجل: ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا﴾ [مريم: ٥٨].

ومنها سورة الحج سجدة في أولها عند قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات﴾ [الحج: ١٨] إلى آخر الآية.

ومنها سورة الفرقان وموضع السجود منها عند قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ [الفرقان: ٦٠] إلى آخر الآية.

ومنها سورة النمل فيها سجدة عند قوله تعالى: ﴿فهم لا يهتدون ★ ألاَّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء﴾ [النمل: ٢٤، ٢٥] إلى آخر الآية.

ومنها: الم تنزيل فيها سجدة عند قوله عز وجل: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها﴾ [السجدة: ١٥] إلى آخر الآية.

ومنها: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ وموضع السجود منها فيه اختلاف فقال بعضهم موضعه ﴿تعبدون﴾ وقال بعضهم عند قوله ﴿وهم لا يسأمون﴾ [فصلت: ٣٧، ٣٨] وكان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد يذهبون إلى المذهب الأخير. وقد اختلف المتقدمون في ذلك فروي عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يسجد الآخرة من حم تنزيل وروي مثل ذلك عن أبي وائل وابن سيرين وقتادة، وروي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كانا يسجدان في الآية الأولى من حم، فهذه السجدة مما اتفق عليها، وإنما اختلفوا في موضعها وما ذكر قبلها من السجود في السور الأخر، فقد اتفقوا عليها وعلى مواضعها المذكورة، وكان موضع كل سجدة منها فهو موضع اخبار وليس بموضع أمر، وقد رأينا السجود في مواضع أمر كقوله عز وجل: ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي﴾ [آل عمران: ٤٣] وقوله تعالى ﴿وكن من الساجدين﴾ [الحجر: ٩٨] فكل قد اتفق أن لا سجود فيها فالنظر على ذلك أن يكون كل موضع منها اختلف فيه هل فيه سجود أم لا؟ ينظر فيه، فإن كان موضع أمر فإنما هو تعليم فلا سجود فيه، وكل موضع فيه خبر عن السجود فهو موضع سجود التلاوة، فكان الموضع الذي قد اختلف فيه من سورة النجم فقال بعضهم هو سجدة تلاوة، وقال الآخرون: لا. هو قوله عز وجل ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ [النجم: ٦٢] فذلك أمر وليس بخبر فكان النظر على ما ذكرنا أن لا يكون موضع سجود التلاوة.

وكان الموضع الذي اختلف فيه أيضاً من سورة العلق هو قوله تعالى: ﴿كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩] فذلك أمر وليس بخبر فالنظر على ما ذكرنا أن لا يكون موضع سجود تلاوة، وكان الموضع الذي اختلف فيه من إذا السماء انشقت قوله تعالى: ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ [الانشقاق: ٢١] فذلك موضع اخبار لا موضع أمر، فالنظر على ما ذكرنا أن يكون موضع سجود التلاوة فيكون كل شيء من السجود يرد إلى ما ذكرنا، وكان يجب على ذلك أن يكون موضع السجود من حم هو الموضع الذي ذهب إليه ابن عباس لأنه عند خبر وهو قوله تعالى: ﴿وهم لا يسأمون﴾ [فصلت: ٣٨] لا كما ذهب إليه من خالف لأن أولئك جعلوا السجدة عند أمر وهو قوله تعالى: ﴿واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ [فصلت: ٣٧] فكان ذلك موضع أمر.

وقد ذكرنا أن النظر يوجب أن يكون السجود في مواضع الخبر لا في مواضع الأمر وكان يجيء على ذلك أن لا يكون في سورة الحج غير سجدة واحدة، لأن الثانية المختلف فيها أيضاً موضعها

على الأرض. وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّداً وسبّحوا بِحَمْدِ رَبِّهِم وهُم لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥] فيقول: « اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك ». وإذا قرأ قوله تعالى: ﴿ويَخرُّون للأذقان يَبْكُونَ ويَزيدُهم خُشُوعاً﴾ [الاسراء: ١٠٩]. فيقول: « اللهم

في قول من يجعلها سجدة موضع أمر وهو قوله تعالى: ﴿اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم﴾ [الحج: ٧٧] فلو خلينا والنظر لكان القول في سجود التلاوة أن ننظر فما كان فيه موضع أمر لم نجعل فيه سجوداً، وما كان فيه موضع خبر جعلنا فيه سجوداً، ولكن اتباع قد ثبت عن رسول الله ﷺ أولى.

وقد اختلف في سورة ص فقال قوم فيها سجدة، وقال آخرون ليس فيها سجدة، فكان النظر عندنا في ذلك أن يكون فيها سجدة لأن موضعها خبر لا موضع أمر وهو قوله عز وجل: ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب﴾ [ص: ٢٤] فذلك خبر فالنظر أن يرد حكمه إلى حكم أشكاله من الأخبار فتكون فيه سجدة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ من طريق أبي سعيد أنه سجد في ﴿ص﴾ وعن ابن عباس نحوه، فبهذا نأخذ اتباعاً لما قد روي فيها ثم لما قد أوجبه النظر.

ونرى أن السجود في المفصل في النجم وإذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك لما قد ثبتت به الرواية في السجود في ذلك عن رسول الله ﷺ، ونرى أن لا سجود في آخر الحج لما قد نفاه ما ذكرنا من النظر ولأنه موضع التعليم لا موضع خبر، ومواضع التعليم لا سجود فيها للتلاوة.

وقد اختلف في ذلك المتقدمون فروي من طريق عبد الله بن ثعلبة قال: صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبح فقرأ بالحج وسجد فيها سجدتين، وكذلك روي عن أبي موسى الأشعري وابن عمر وأبي الدرداء مثله، وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في سجود الحج الأول عزيمة والآخرة تعليم قال: فبقول ابن عباس ناخذ وجميع ما ذهبنا إليه في هذا الباب هو قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى.

(وأقل السجود أن يسجد فيضع جبهته على الأرض) من غير تكبير ولا دعاء، **(وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى: ﴿خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ [السجدة: ١٥] فيقول: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك)** فهذه المعاني هي اللائقة بالآية المذكورة وفيها تضمين لما ذكر فيها. **(وإذا قرأ قوله تعالى: ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩] فيقول: اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك و)** يفعل **(كذلك في كل سجدة)**

....

يستخرج الدعاء من معاني تلك الآيات وما يناسب للسياق والحال، وقال أصحابنا: أقل الدعاء أن يقول سبحان ربي الأعلى ثلاثاً، وأكمله أن يقول: سجدت للرحمن فاغفر لي يا رحمن.

فصل

الكلام في سجدات القرآن وما لكل منها من الأدعية:

قد عقد الحكيم الترمذي في نوادر الأصول فصلاً في سجدات القرآن، وما لكل منها من الأدعية الخاصة، فلا بأس أن نتم بذكر كلامه تكثيراً للفوائد فأقول.

أخبرني بكتاب نوادر الأصول شيخي أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي، إجازة عن أبيه، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبي مهدي عيسى بن محمد الجعفري سماعاً وقراءة، أخبرنا علي بن محمد الأجهوري سماعاً وإجازة، عن الجمال يوسف بن زكريا، عن أبيه، عن الحافظ أبي الفضل العسقلاني بإجازته مشافهة، عن ابن أبي المجد الخطيب، عن سليمان بن حمزة عن عيسى بن عبد العزيز، عن أبي سعد السمعاني، عن أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد المطهر، أخبرنا أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن محمد البرقي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو نصر أحمد بن أحيد البيكندي، أخبرنا الحكيم محمد بن علي الترمذي قال: فصل ما يقرأ به في السجود قد روي عن رسول الله ﷺ من حديث ابن مسعود، وعائشة رضي الله عنها أدعية بروايات مختلفة وألفاظ متنوعة، فمما روي عن ابن مسعود رفعه أنه كان إذا سجد يقول «سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي هذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت».

وعن عائشة رفعته انه كان يقول في سجود القرآن بالليل مراراً «سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوّته».

وعنها أيضاً أنه كان يقول في سجوده «أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت يا عظيم».

وعنها أيضاً كان يقول في سجوده «اللهم اغفر لي ذنبي كله ودقه وجله أوّله وآخره سره وعلانيته». قال الشيخ: فهذا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ ولا نعلم أنه وقت شيئاً في ذلك، فهذه الأشياء التي ذكرتها كلمات نطق بها يريد أن يخرّبها إلى ربه من الأجداث، فكان ينطق بما يتراءى له في وقته وبذلك يناجي ربه ثم لمن بعده من الصحابة والتابعين مقالات في سجداتهم، وأما ما تراءى لنا في كل سجدة من سجود القرآن فهو ما ذكرنا ههنا.

سجدة الأعراف: طابت لهم منازل القربة عندك فتطهروا عن الاستكبار واذعنوا لك خضوعاً بما عاينوا من عظيم كبريائك وعزيز جبروتك من الملكوت، فتلقوا عظمتك واستكانوا بالسجود

....

لك خشوعاً هؤلاء بديع كلماتك ونحن ولد بديع فطرتك وصنع يدك وأمة حبيبك الممدوحين في التوراة والموصوفين في الإنجيل بما منحتنا من مننك وفضلك، وأهديت إلى المجتبين منّا هداياك وكراماتك رأفة، سجدنا لك بحظنا من رأفتك ورحمتك وألقينا بأيدينا سلماً نرجو مددك وسيبك ومعروفك يا معروفاً بالعطايا الجزيلة ومحموداً على صنائعك الجميلة.

سجدة الرعد: سجدت الأحباب طوعاً والأعداء كرهاً، سجد لك شخص الاحباب وظلال الاعداء، أدركت رحمتك شخص الأحباب فنالت وانزوت عن الأعداء فحرمت، سجدت لك ظلالهم بالغدوّ والآصال تميل مع ميل الأظلة والأفياء طهرت تلك الأجرام والأشباح بطهارة قلوبهم بقوى التوحيد فأهلتهم للسجود لك، ونزهت سجدتك عن تلك الأجرام النجسة التي نجست برجاسة الشرك، وتمكن العدوّ منها، فلك الحمد على ما اصطنعت إليَّ وإليك الرغبة يا إلهي من دوامها علي، فكما جعلتني أسجد لك سجود الأحباب طوعاً وسلماً فاجعلني في جميع متقلباتي من محياي لك طوعاً وسلماً.

سجدة النحل: لك سجدت الملائكة وخافوك من فوقهم وفعلوا ما أمرتهم ذلك بإنك عريتهم من الشهوات وطهرتهم من الآفات، ومكنت لهم الزلفات فخافوك من فوقهم وفعلوا ما أمرتهم ولم يسبقوا بقول، وهم من خشيتك مشفقون، فهم عبادك المكرمون ونحن عبيدك المرحومون المحبوبون، بالرأفة ابتدأتنا ومن باب الرحمة أخرجتنا، ومن ضعف خلقتنا، وبالشهوات ابتليتنا، وللحاجات عرضتنا، وبالوعد والوعيد من الوحي أدبتنا، وبجودك ونعمتك هديتنا، وبعظيم حظنا منك وسعت علينا، وأشرعت إليك السبيل لنا، وجعلت منا أولياء وأحباباً، فمنازل القربة لديك فخوفنا لك مع الشهوات وأفعالنا مع الوساوس والخطرات والآفات، فارحمنا فإنك أعلمتنا أنك معنا في العون والنصر والتأييد يا خير من أشفق علينا ورحمنا.

سجدة سبحان: لك خرت العلماء سجداً وحق لهم، فإنهم شاهدوا بقلوبهم عرصة التوحيد، وعاينوا بنور علم القربة ما هيأت لأحبابك هناك في مراتبهم من البر والوداد، فخروا لأذقانهم سجداً مع البكاء والعويل،وسبحوا لربوبيتك وأيقنوا بوعدك عند تلاوة وحيك، وزادهم بكاؤهم لك خشوعاً فخشعت لك جوارحهم، لأن الخشية ميراث بكاء الخشية ذلك بأنك جعلت للباكين من خشيتك من عاجل الثواب أن تملأ جوارحهم في الدنيا، وفي الآخرة ضحكاً فيا حنان تحنن علينا بعطفك، وزدنا علماً بقربنا إليك، واجعلنا من الشاكرين لك، وتقبلها منا كما تقبلتها من الذين أوتوا العلم من قبلنا.

سجدة مريم: يا خير المنعمين أنعمت على النبيين والمقربين والمهديين والمخبتين بالنبوّات والهداية والخباتة فيك، وصاروا إلى محبوبك من الأعمال وخروا لتلاوة آيات الرحمن لك سجداً وبكياً. تلك خشعة الأحباب وأهل الوداد سجدوا مع البكاء شوقاً إليك وقلقاً بطول الحبس عنك في سجون الدنيا يا ودود، فليس من لقيك في السجن عبداً قناً في العبودية، كمن لقيك في دارك

دار السلام حراً ملكاً محبوراً مسروراً يراك جهراً . قد كشفت الغطاء وتجليت لأهل الوداد ، عن حجب الكبرياء والجلال ، فانبأتنا عن أحوالهم وأخبارهم وحياً وتنزيلاً فحررنا على ذلك من فعلهم هذا سجودهم قد علمته ، فليت شعري من أين بكاؤهم . وما الذي أبكاهم وأين أصول ذلك المنبع ، وهم أهل صفوتك ونجباء عبيدك ،فسهل لنا السبيل إلى ذلك من فعلهم ظهراً وبطناً ووفر حظنا من ذلك برحمتك علينا .

سجدة الحج: سجد لك الخلق والخليقة علواً وسفلاً وبراً وبحراً ، والحجر والمدر والدواب والشجر ، وكثير من الآدميين ، وكثير حق عليه العذاب ، ثم قلت : ومن يهن الله فما له من مكرم . فلك الحمد إذ أكرمتنا بالسجود لك ، ولا تجعلنا مما أهنته فما له من مكـرم ثم قلت إن الله يفعل ما يشاء فلك الحمد على ما بدا من مشيئتك فينا ، وعلى الرحمة التي جرت بمشيئتك فينا ، وبـاكرامك إيانا الهي فلا تهنا بعدما أكرمتنا على تفريطنا ، وقلة شكرنا ووفائنا وجفوتنا ، ولا تسلبنا خير ما أوليتنا يا عظيم يا حسن البلايا كثير النعماء يا جزيل العطاء يا جليل الثناء .

الثانية من الحج: بك آمنا ولك ركعنا ولوجهك الكريم الباقي الدائم سجدنا ، وإياك عبدنا وإليك أنبنا ربنا ، وفعل الخير قصدنا ، والفلاح رجونا ، وأملنا والنجاح لك . بـك طلبنا فأعنا ولا تقطع مددك وعنايتك عنا ، وخذ إليك بنواصينا واجعل فيما لديك رغبتنا نور قلوبنا ، واشرح لنا صدورنا ، وحسن اخلاقنا ، واختم لنا بأحسن ما ختمت لعبادك الصالحين من أهل ملتنا .

سجدة الفرقان: للرحمن سجدنا وإياه وحدنا ، وما عنده أملنا ، وبما أمرنا من السجود ائتمرنا ، فالرحمن مولانا ، والرحمن خالقنا ، والرحمن هادينا ، وناصرنا ، والرحمن من علينا باسمه الرحمن ووفر منه حظنا وبالرحمة العظمى نلنا من الرحمن حظنا فالله ولينا ومولانا والرحمن أحيانا ، والرحيم أعاشنا ، والقيوم آوانا . فيا أكرم مأمول ، ويا خير معبود ، ويا أحسن خالق ، ويا أكرم مالك تمم علينا معروفك وما ابتدأت من الإحسان ، وتولّ منّا ما توليت من أهل رحمتك ، وتعطف علينا بجودك وكرمك . تبارك اسمك الرحمن ذو الجلال والإكـرام ، علمـت القـرآن ، وخلقـت الإنسان ، وعلمته البيان ، فلك الآلاء والنعماء يا ذا الملك والملكوت يا عزيز الجبروت إليك الرغبات ومنك الرهبات ، هديتنا لاسمك الرحمن ووفرت منه حظنا فأحييت به قلوبنا ، ونورت به افئدتنا ، فالفرح الدائم لمن وصل له اليوم الرحمن قلباً ، والسرور والبهجة وقرة العين لمن وصل إليه غداً . غمرتني رحمتك العظمى فزادني اسمك سروراً وزاد أعداءك نفوراً ، وإنما نفرهم من إسمك الرحمن حرمان حظهم من الرحمن ، فلم تنلهم رحمتك فجهلوا إسمك ونفروا من ذكره ، وهو الإسم الذي حييت به القلوب فتمكنوا به في دارك دار السلام .

سجدة النمل: سجدت لمن يخرج الخبء في السموات والأرض . عالم الخفيات محصل ما في الصدور ، ومبلي السرائر ولم تخف عليه حركات جوارحنا ومكتوم ضمائرنا وخواطر قلوبنا وهمّ

....

نفوسنا، ونوازع الأهجاس منا سجدت لله الذي لا إله هو رب العرش العظيم، يا ذا الأمثال العلى، والاسماء الحسنى، وأنت رب العرش العظيم، واستويت عليه وأنت عال على العرش. وكيف لا يعظم وهو مقامك للربوبية يا حي يا قيوم، فمن دون إلى تحت الثرى في جوف العرش العظيم علوت العرش العظيم، علوت على العرش العظيم، وأنت عال على العرش. يا شاهد كل نجوى ومن حبل الوريد أقرب وأدنى. هب لنا ما أحصيته علينا مما أسرفنا على أنفسنا، وتفضل علينا بعفوك يا ذا الجود والافضال.

سجدة السجدة: آمنا بآياتك وخررنا لك سجداً فسبحانك اللهم وبحمدك تعاليت، ولك الكبرياء في السموات والأرض وأنت العزيز الحكيم، نبوء لك من أن نتكبّر على عظمتك، ونعوذ بك من أن ننازع أمرك أو ان نسبقك بقول أو نخالفك عن أمر أو نلجأ إلى أحد سواك، أو نركن إلى مخلوق، أو نعلق قلوبنا بمن دونك. لجلالك خضعت رقبتي، ولكبريائك ذلت نفسي، ولوجهك الكريم الباقي الدائم وضعت وجهي، ولجاهك أرغمت نفسي، ولعظمتك خرت ناصيتي ساجدة، ولربوبيتك اسلم شخصي عبودية ورقاً، فاجعل مولاي حركاتي وشغلي وهمي لك خالصاً، وعلى حقوقك عكوفاً، وبالعبودية لك قائماً فانياً، وبقلبي إليك هائماً لا أوثر على حبك أحداً ولا على أمرك أمراً.

سجدة ص: لك خررت راكعاً وساجداً، مفتوناً وغير مفتون، مستغفراً تائباً منيباً، وأنت الذي مننت على عبدك داود في وقت طول الفتنة بأن جعلت له السبيل إلى التـوبة والاستغفار حتى خرّ راكعاً وأناب، فغفرت له ذلك، وأعلمت العباد أن له مع المغفرة عندك لزلفى وحسن مآب، وهذا من كرمك وفضلك على أحبابك. يا جواد وأنت به معروف، وما أنهيت إلينا هذا الخبر من صنيعك به إلا أنك رجيت عبيدك وأملتهم ما أوليته من معروفك لئلا يقنط المفتونون، ولا يتحير الخطاؤون، ولا ييأس المذنبون.

سجدة فصلت: سبح لك من عبدك فلم تلحقهم سآمة ولا فتور، ذلك بانك قويت مقامهم، وعريتهم من أشغال النفوس، ونقذتهم من الوسواس والآفات، وخلقتنا بمرضعـة رحمة من الشهوات والآفات. تعتورنا أسباب البلاء وأزمة القضاء، فنعوذ بك ان نتكبر عن عبادتك أو نرفع بانفسنا عن السجود لك والإلقاء بين يديك سلماً، فمن رام عزاً فإنما ناله بالتذلل لك وكيف لا يعز من انتصب لك خادماً، وألقى نفسه بين يديك عبودية وتسليماً، إلٓهي لوكانت لي نفوس غير واحدة لحق لها أن ألقيها بين يديك وأجود بها كلها، وكيف وأنها واحدة، وكيف لا أجود بها عليك، وإنما نلتها من عندك، وكيف لا أجود بها وإنما سألتنيها لترحمها وتكنفها وتحوطها برأفتك لتصلح لجوارك غداً، والمصير إلى ضيافتك في فردوس الجنان يوم الزيارة، فبك أعوذ من جماحات نفسي وحزنها عن حقوقك يا أكرم داع يا أحق مجاب.

....

سجدة النجم: لك سجدنا وإياك عبدنا وبك ائتمرنا، وحق ان نسجد. إلهنا خلقتنا من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة في ظلمات ثلاث في بطون الأمهات والأرحام والمشيمات، ثم أخرجتنا إلى محل الابتلاء والامتحان ودار السباق والمضمار وعرضتنا للبلايا والرزايا وعظيم الاخطار وفتن دار الغرور وكيد العدوّ وأمور الغيب في مشيئتك، يا ذا القدرة والعلو والرفعة، دعوتنا إلى دار السلام بسجون الأعداء، ومننت علينا منة الأحباب، وابهمت العواقب علينا من أمورنا، فمن ذا يرحمنا إن لم ترحمنا، ومن ذا يغفر لنا إن لم تغفر لنا، ومن ذا يكشف عنا ضرنا إن لم تكشف يا خير مدعوّ وأكرم مسؤول يا راحم المذنبين تفضل علينا بعفوك.

سجدة الانشقاق: الحين والشغل أحاط بهم مولاي، فاستكبروا عن توحيدك وفوت حظ منك نالهم، إلهي فتعظموا على الإيمان بك، وجعلوا معك إلهاً مفترين بقول العدوّ فلا إله إلا أنت سبحانك، وكيف يسجدون إذا قرىء عليهم القرآن وهم المطرودون من بابك ينادون من مكان بعيد إنما يسجد لك أحبابك وأهل رأفتك ورحمتك، والمؤمنون عليه بذلك قربتهم ووفرت حظهم منك، ونورت قلبهم بالسراج المنير، وشرحت صدورهم بعظيم آلائك، وأحييت قلوبهم بك، ووصلت حبلهم بحبلك، فكلما تلوا آياتك فذكروا ذكر الصفاء وأمّوا بانفسهم إليك خرّوا لوجوههم، واستروحوا إلى ذلك، وتنسموا روح القربة، وسكنوا بلطائف مقالتك ضم الشوق إليك منهم، وتلقوا أمرك بالقائهم بين يديك مترجلين لك فاجعلني ممن يترضى لك فترضى يا خير المقصودين.

سجدة القلم: لك سجدنا وبأسباب وسائلك تعلقنا، ونفوسنا بين يديك ألقينا قصداً للاقتراب منك، مولانا فقد أنزلت في وحيك علينا أن اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، ثم قلت لنبيك: واسجد واقترب، فجعلت له بالسجود إلى القربة سبيلاً. من ذا يستحق القربة منك يا مولاي إلا من رحمته فقربته، فقد اقتربت بفعلي والقاء نفسي بين يديك تأميلاً لفضلك وطمعاً في رحيب عفوك اهـ.

وإنما سقت عبارته بتمامها لما فيها من الغرابة تكثيراً للفوائد.

فصل

في اعتبار سجدات القرآن:

قال الشيخ الأكبر في كتاب الشريعة لما قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» ولم يذكر في القسمة إلا حال التلاوة، ولم يتعرض للهيئات من الركوع وغيره وذكر التلاوة علمنا أن التلاوة المطلوبة للحق ما فيها من التلاوة، فسمينا التالي مصلياً أي مناجياً لله بما يخص الله من الصفات، وبما يخص العبد منها، وبما يقع فيه الاشتراك فجاء في الذي يتلوه من كلام الله مواضع ينبغي السجود فيها، فعين الشارع ما نسجد فيه مما لا نسجد، فنسجد فيما سجد فيه رسول الله

....

ﷺ ونترك فيما ترك وإن كان اللفظ بالأمر يقتضي السجود، ولكن لا نسجد لكون الشارع ما شرع السجود إلا في مواضع مخصوصة لا تتعدى، والسجود المشروع في غير التلاوة مذكور، كسجود الانسان عند رؤية الآيات، وكسجود الشكر وغير ذلك عدد عزائم سجود القرآن، ونجمع المختلف فيه إلى المجمع عليه، وهي إحدى عشرة إلى خمس عشرة سجدة، فمنها ما ورد بصيغة الخبر، ومنها ما ورد بصيغة الأمر، فمنها في الاعراف في خاتمتها فأما الاعراف فسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وعليه رجال تساوت حسناتهم وسيئاتهم، ولم تثقل موازينهم ولا خفت، وخاتمة هذه السورة قوله: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وهذه الآية نزلت في القراءة في الصلاة، والسجود ركن من أركان الصلاة وختم هذه السورة بذكر الملائكة فوصفهم فقال ﴿إن الذين عند ربك﴾ وهم المقربون من الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ [الأعراف: ٢٠٦] يقول يذلون ويخضعون له ويسبحونه أي ينزهونه عن الصفات التي تقربوا بها إليه من الذلة والخضوع وله يسجدون، فوصفهم بالسجود له سبحانه مع هذه الأحوال المذكورة وقال في آية ذكر النبيين لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠] فأي هداية أعظم مما هدى الله به الملائكة فسجد هذا التالي في هذا الموضع اقتداء بالملأ الأعلى وبهديهم، ورأى أصحاب الأعراف أن موطن القيامة قد سجد فيه رسول الله ﷺ عند طلبه من ربه فتح باب الشفاعة، وسمع الله يقول ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود﴾ [القلم: ٤٢] فعلموا أنه موطن سجود فيسجد أهل الاعراف في ذلك الموطن، فيرجح ميزانهم بتلك السجدة لأنها سجدة تكليف مشروعة عن أمر الهي، فيدخلون الجنة فهذه سجدة الأعراف.

والسجدة الثانية: سجدة في سورة الرعد عند قوله: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥] وظلال الارواح أجسادها فأخبر الله تعالى أنه يسجد له من في السموات ومن في الأرض فهو خبر، فتعين على العبد أن يصدق الله تعالى في خبره بسجوده عنه فيسجد طائعاً. فإنه يسجد في نفس الأمر على كره وإن لم يشعر بذلك فيوقعها عبادة ليكون أنجى له، وذكر الغدوّ والآصال وهي الأوقات المنهي عنها، فاخرج حكم السجود من حكم النافلة، وجعل حكمه حكم الفرائض في الأداء، فتعين على التالي في هذه الآية السجود فيجازى من باب من صدق ربه في خبره، والأولى سجدة اقتداء، والثانية سجدة تصديق.

والسجدة الثالثة في النحل عند قوله: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥] فذكر الملائكة والظلال بالسجود، وسجدوا في الأعراف سجود اختيار لما يقتضيه جلال الله، وهنا أثنى الله عليهم بما وفقهم إليه من امتثال أمره فسجدها العبد رغبة في أن يكون ممن أثنى الله عليه بما اثنى به على ملائكته فهي للعبد سجود ذلة وخضوع، فإنه يقول يتفيأوا ظلاله الضمير في ظلاله يعود على الشيء المخلوق، وقد قلنا: إن الاجسام ظلال الأرواح ولا تتحرك إلا بتحريك الأرواح أياماً، ثم قال: عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون أي أذلاء فهو سجود ذلة وخضوع.

والسجدة الرابعة في بني إسرائيل عند قوله ﴿ويزيدهم خشوعاً﴾ [الإسراء : ١٠٩] فهذه سجدة الزيادة في الخشوع والخشوع لا يكون إلا عن تجل إلهي، فزيادة الخشوع دليل على زيادة التجلي، فهي سجدة التجلي.

والسجدة الخامسة في مريم عند قوله ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا﴾ [مريم : ٥٨] هذا بكاء فرح وسرور وآيات قبول ورضا، فإن الله قرن هذا السجود بآيات الرحمن، والرحمة لا تقتضي القهر والعظمة، وإنما تقتضي اللطف والعطف الإلهي فدمعت عيونهم فرحاً بما بشرهم الله به من هذه الآيات، فالصورة صورة بكاء لجريان الدموع، والدموع دموع فرح لا دموع كمد وحزن لأن مقام الإسم الرحمن لا يقتضيه.

والسجدة السادسة: في الحج عند قوله ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ [الحج : ٧٨] وذكر سجود كل شيء في هذه الآية، ولم يبعض إلا الناس فإنه قال: وكثير من الناس، وجعل ذلك من مشيئته فبادر العبد بالسجود في هذه الآية ليكون من الكثير الذي يسجد لله لا من الكثير الذي حق عليه العذاب، فإذا رأى هذا العبد أن الله تعالى قد وفقه للسجود ولم يحل بينه وبين السجود علم أنه من أهل العناية الذين التحقوا بمن لم يبعض سجودهم ممن في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب.

والسجدة السابعة: في سورة الحج في آخرها عند قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ [الحج : ٧٧] فهذا سجود الفلاح وهو البقاء والفوز والنجاة، فكان فعل الخير مبادرته بالسجود عند ما يسمع هذه الآية تتلى سبباً لإيمانه إذ كان الله رؤوفاً بالمؤمنين في هذه الآية، وأمرهم بالركوع والسجود له فالتحقوا بالملائكة في كونهم يفعلون ما يؤمرون، فسجد العبد فافلح وهي سجدة خلاف.

والسجـدة الثامنة: في الفرقان عند قوله ﴿وزادهم نفوراً﴾ [الفرقان : ٦٠] قيل لهم اسجدوا للرحمن فسجدها المؤمن عندما يتلـو ليمتاز بها عن الكافر المنكر لإسمه الرحمن فهذه تسمى سجدة الامتياز، والله يقول ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس : ٥٩] فيقع الامتياز بين المنكرين الإسم الرحمن، وبين العارفين به يوم القيامة بالسجود الذي كان منهم عند هذه التلاوة، وزادهم هذا الاسم نفوراً لجهلهم به، ولهذا قالوا: وما الرحمن؟ على طريق الاستفهام، فهذا سجود انعام لا سجود قهر، فإن الكفار أخطأوا حيث رأوا أن الرحمن يناقض التكليف، ورأوا أن الأمر بالسجود تكليف، فلا ينبغي أن يكون السجود لمن له هذا الاسم الرحمن لما فيه من المبالغة في الرحمة، فلو ذكره بالاسم الذي يقتضي القهر ربما سارع الكافر إلى السجود خوفاً فما زادهم نفوراً إلا اقتران التكليف بالاسم الرحمن، فإن الرحمن من عصاه عفا عنه وتجاوز فلا يكلف ابتداء، ولو علم منه الجاهل ان أمره تعالى بالسجود للرحمن لا يناقض التكليف، وإنما يناقض المؤاخذة ويزيد في الجزاء بالحسنى لبادر إلى ذلك كما بادر المؤمن.

والسجدة التاسعة: في النمل وموضع السجود منها مختلف فيه فقيل عند قوله ﴿يعلمون﴾ وقيل عند قوله ﴿رب العرش العظيم﴾ [النمل: ٢٤، ٢٥] فهذا هو سجود توحيد العظمة ان سجد في العظيم، وإن سجد في قوله ﴿الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ يقول إن الشمس التي يسجدون لها وإن اعتقدوا أنها تعلم ما يعلنون فالسجود لمن يعلم ما يخفون وما يعلنون أولى، ثم أنهم يسجدون للشمس لكونها تخرج لهم بحرارتها ما خبأت الأرض من النبات فقال الله لهم: ينبغي لكم أن تسجدوا للذي يخرج الخبء في السموات وهو إخراجه ما ظهر من الكواكب بعد أفولها وخبئها، ثم يظهرها طالعة من ذلك الخبء وفي الأرض ما تخرجه من نباتها، فالشمس ليس لها ذلك بل بظهورها يكون خبأ في السموات الكواكب، فالله أولى بأن يسجد له من سجودكم للشمس، فإن حكمها عند الله حكم الكواكب في الأفول والطلوع فطلوعها من الخبء الذي يخرجه الله في السماء مثل سائر الكواكب، فهذا سجود الرجحان، فإن الدليل هنا في خبء الله أرجح منه في الدلالة على ألوهية الشمس حين اتخذتموها إلهاً لما ذكرناه.

والسجدة العاشرة: في السجدة عند قوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ [السجدة: ١٥] هذا سجود الغافلين لانه سجود عن تذكر، فلما ذكروا أيقظتهم الذكرى عن غفلتهم قال تعالى ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥] فيسجدون ويسبحون في سجودهم بحمد ربهم وقوله ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يعني عند الذكرى لا يتكبرون عن قبول ما ذكروا به من آيات ربهم.

والسجدة الحادية عشرة في ص: عند قوله ﴿وخر راكعاً وأناب﴾ [ص: ٢٤] فهذا سجود الإنابة وهي سجدة شكر، وفي السجود فيها خلاف، فإن داود سجدها إنابة ونحن نسجدها شكرا لقوله تعالى: ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص: ٢٥].

والسجدة الثانية عشرة في حم السجدة: وفي موضعها خلاف فقيل عند قوله: ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ [فصلت: ٣٧] فهي عنده سجود عبادة ومن سجد عند قوله ﴿وهم لا يسأمون﴾[فصلت: ٣٨] كانت عنده سجدة نشاط ومحبة.

وأما السجدة الثالثة عشرة سجدة النجم: فإنها أمر بها أهل الغناء واللهو وهم السامدون أي وان كنتم أهل غناء فتغنوا بالقرآن واسجدوا لله فيه واعبدوه وهي لغة حميرية. يقال: اسجد لنا أي عن لنا، وكانت العرب إذا سمعت القرآن غنت حتى لا تسمع القرآن، فانكر عليهم من كونهم يغنون ويضحكون ولا يبكون، فإذا كنتم بهذه المثابة فاسجدوا لله أي من أجل الله واعبدوا فإن الذلة والافتقار تمنع من الضحك فهو أنفع لكم، فإن الله قد مدح قوماً خروا سجداً وبكياً، فان موطن الدنيا موطن حذر واشفاق ما هو موطن أمان، والحكيم العالم هو الذي يعامل كل موطن بما تقتضيه الحكمة. وهذه سجدة خلاف.

اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك » . وكذلك كل سجدة ، ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ، ومن لم يكن على طهارة عند السماع ، فإذا تطهر يسجد . وقد قيل في كمالها أنه

وأما السجدة الرابعة عشرة : فهي سجدة الانشقاق عند قوله ﴿وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون﴾ [الانشقاق :٢١] فهذا سجود الجمع لأنه سجود عند القرآن ، والجمع يؤذن بالكثرة فإن الأحدية لله تعالى ، فكأنه يقول : وإذا سُمِعَ القرآن الذي هو مجموع صفات جلال الله من التنزيه كيف لا يتذكر السامع جمعيته فيسجد لمن له جميع صفات التنزيه ، فيكون السجود لمقام جمع من حال جمع .

وأما السجدة الخامسة عشرة : فسجدة اقرأ عند قوله ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق : ١٩] وهذا يسمى سجود القربة ، وجاءت بعد كلمة ردع وزجر وهو قوله « كلا » لما جاء به من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يقول واقترب إليَّ منه تعتصم باقترابك مني مما دعاك إليه ، فتأمن من غائلة ذلك والله أعلم .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى : **(ويشترط في هذا السجود شروط الصلاة)** المذكورة في محلها لأنها جزء من أجزائها **(من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الحدث والخبث من الثوب)** بلا خلاف إلا في المحاذاة وفي القهقهة فإنه يعيدها دون الوضوء عند أصحابنا ، **(ومن لم يكن على طهارة عند السماع للسجدة فإذا تطهر سجد)** ، وبه قال الأئمة الثلاثة .

قال الرافعي : هذا إذا كان الفصل قصيرا وإن طال فاتت وهل يقضى؟ قولان . حكاهما صاحب التقريب أظهرهما ، وبه قطع الصيدلاني لا تقضى اهـ .

وقيل : يسجد وإن لم يكن طاهراً . نقل ذلك من فعل ابن عمر ، واختاره الشيخ الأكبر قدّس سره ، والاعتبار فيه أن طهارة القلب شرط في صحة السجود لله في كونه ساجداً ، وطهارة الجوارح في وقت السجود معقوله بأنها متصرفة في عبادة لم يشترط في فعلها استعمال بماء ولا تراب ، وإن كان على طهارة من ماء أو تراب فهو أولى ، وأما استقبال القبلة فالمتفق عليه بين الأئمة ما ذكر ، ومنهم من قال : يسجد للتلاوة لأي جهة كان وجهه ، والأولى استقبال القبلة والاعتبار في ذلك الله قبلة القلوب بلا خلاف فإذا سجد لله فقد سجد للقبلة ، فإن الله بكل شيء محيط لا تقيده الجهات ولا تحصره الأينيات ، فان جمع الساجد بين القبلتين فهو أكمل حساً وعقلاً فيقيد من يقبل التقييد ويطلق من يقبل الاطلاق فيعطي كل ذي حق حقه .

(وقد قيل في كمالها) إذا كانت في غير الصلاة **(أنه)** يقوم وينوي **(ويكبّر رافعاً يديه)** حذو منكبيه **(للإحرام)** أي كما يفعل به في افتتاح الصلاة ، **(ثم يكبّر)** أخرى للهوي من غير رفع اليد ثم يسجد ، ثم يكبر **(للارتفاع)** كما يفعل عند رفع الرأس عن سجود الصلاة ، وفي تكبيرة الافتتاح أوجه . أصحها انها شرط ، والثاني مستحبة ، والثالث لا تشرع أصلاً قاله أبو جعفر

يكبر رافعاً يديه لتحريمه، ثم يكبر للهوي للسجود، ثم يكبر للارتفاع، ثم يسلم. وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد، فإنه ورد الأمر في السجود فليتبع فيه الأمر وتكبيرة الهوي أقرب للبداية، وما عدا ذلك ففيه بُعد ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً.

الترمذي وهو شاذ منكر، والمستحب أن يقوم وينوي قائماً ويكبّر ثم يهوي للسجود من قيام قاله الشيخ أبو محمد، والقاضي الحسين، وصاحب المهذب والتتمة، وأنكره إمام الحرمين وغيره، قال الإمام لم أر لهذا ذكراً ولا أصلاً، وهذا الذي قاله الإمام هو الأصوب، فلم يذكر جمهور الأصحاب هذا القيام ولا ثبت فيه شيء مما يحتج به، فالاختيار تركه كذا في الروضة.

(**ثم يسلم**) يميناً وشمالاً، وهل يشترط السلام؟ فيه. قولان أظهرهما نعم، (**وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو**) قياس (**بعيد**) عن المعقول، (**فإنه ورد الأمر بالسجود**) فقط، (**فليتبع فيه الأمر**) ويقتصر عليه. وعدم اشتراط التشهد هو أصح الوجهين في المذهب، ومن الأصحاب من يقول في اشتراط السلام والتشهد ثلاثة أوجه. أصحها: يشترط السلام دون التشهد. وإذا قلنا التشهد ليس بشرط فهل يستحب؟ وجهان حكاهما في النهاية. قال النووي: الأصح لا يستحب.

(**وتكبيرة الهوي أقرب للبداية**) وهي مستحبة وليست بشرط، (**وما عدا ذلك**) أي ما ذكر (**ففيه بعد**) عن قواعد المذهب، وإذا كانت سجدة التلاوة في الصلاة فلا يكبر للافتتاح، لكن يستحب التكبير للهوي إلى السجود من غير رفع اليدين، وكذا يكبر عند رفع الرأس كما يفعل في سجدات الصلاة، وفي وجه شاذ أنه لا يكبر للهوي ولا للرفع قاله ابن أبي هريرة.

وإذا رفع رأسه قام ولا يجلس للاستراحة، ويستحب أن يقرأ شيئاً ثم يركع، ولا بدّ من انتصابه قائماً، ثم يركع فإن الهوي من القيام واجب كذا في الروضة.

وقال أصحابنا إذا أراد أن يسجد للتلاوة فإنه يكبّر لها ولا يرفع يديه، ويسجد، ثم يرفع رأسه ويكبر اعتباراً بالصلاة وهو المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وليس فيها تشهد ولا سلام لأنه للتحليل ولا تحريم هناك.

وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه لا يكبر إذا انحط للسجود، ويكبر إذا رفع رأسه. وفي التنبيه ذكر الصدر الشهيد في الواقعات: يكبر فيها عند الابتداء والانتهاء وهو المختار كما في المكتوبة.

(**ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام**)، فلو لم يفعل بطلت صلاته، وإذا لم يسجد الإمام لا يسجد المأموم ولو فعل بطلت صلاته، ويحسن القضاء إذا فرغ ولا يتأكد، ولو سجد الإمام ولم يعلم المأموم حتى رفع الإمام رأسه من السجود لم يسجد، وإن علم وهو بعد في

....

السجود سجد ، وإن كان المأموم في الهوي ورفع الإمام رأسه رفع معه ولم يسجد ، وكذا الضعيف الذي هوى مع الإمام لسجود التلاوة، فرفع الإمام رأسه قبل انتهائه إلى الأرض لبطء حركته يرفع معه ولا يسجد.

(ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً) بل يكون له قراءة السجدة ولا يسجد لقراءة غير الإمام، بل يكره له الاصغاء إليها، ولو سجد لقراءة نفسه أو قراءة غير إمامه بطلت صلاته. كذا في الروضة.

مسائل منثورة تتعلق بالباب

منها: أن المصلي إذا كان منفرداً يسجد لقراءة نفسه، فلو لم يسجد فركع، ثم بدا له أن يسجد لم يجز، فلو كان قبل بلوغه حد الراكعين جاز، ولو هوى لسجود التلاوة ثم بدا له فرجع جاز، كما لو قرأ بعض التشهد الأول ولم يتمه، فإنه يجوز.

ومنها: إذا قرأ آيات السجدات في مكان واحد سجد لكل واحدة، فلو كرر الآية الواحدة في المجلس الواحد نظر إن لم يسجد للمرة الأولى كفاه سجود واحد وإن سجد للأولى فثلاثة أوجه. الأصح يسجد مرة أخرى لتجدد السبب، والثاني: تكفيه الأولى، والثالث: إن طال الفصل سجد أخرى، وإلا فتكفيه الأولى لو كرر الآية الواحدة في الصلاة فإن كان في ركعة فكالمجلس الواحد، وإن كان في ركعتين فكالمجلسين، ولو قرأ مرة في الصلاة ومرة خارجها في المجلس الواحد وسجد فقال الرافعي: لم أر فيه نصاً للأصحاب، وإطلاقهم يقتضي طرد الخلاف فيه.

ومنها: لو كان يصلي فقرأ قارىء آية السجدة فإذا فرغ من صلاته هل يقضي سجود التلاوة؟ المذهب أنه لا يقضيه، وبه قطع الشاشي وغيره، واختاره إمام الحرمين لأن قراءة غير إمامه لا تقتضي سجوده، وإذا لم يجرما يقتضي السجود أداء فالقضاء بعيد. وقال صاحب التهذيب: يحسن أن يقضي ولا يتأكد، كما يجيب المؤذن إذا فرغ من الصلاة.

ومنها: إذا قرأ السجدة في الصلاة قبل الفاتحة سجد بخلاف ما لو قرأها في الركوع أو السجود، فإنه لا يسجد، ولو قرأ سجدت فهوى ليسجد فشكَّ هل قرأ الفاتحة فإنه يسجد للتلاوة، ثم يعود إلى القيام فيقرأ الفاتحة، ولو قرأ خارج الصلاة السجدة بالفارسية لا يسجد، وإذا سجد المستمع مع القارىء لا يرتبط به ولا ينوي الاقتداء به، وله الرفع من السجود قبله.

ومنها: لو قرأ آية سجدة في الصلاة فلم يسجد وسلم يستحب له أن يسجد ما لم يطل الفصل، وإن طال ففيه الخلاف المتقدم.

ومنها: لو سجد للتلاوة قبل بلوغ السجدة ولو بحرف لم يصح سجوده، ولو قرأ بعد السجدة آيات ثم سجد جازماً لم يطل الفصل.

ومنـها: لو قرأ سجدة فسجد فقرأ في سجوده سجدة أخرى لا يسجد ثانياً على الصحيح المعروف، وفيه وجه شاذ حكاه في البحر أنه يسجد.

قال صاحب البحر: إذا قرأ الامام السجدة في صلاة سرية استحب تأخير السجود إلى فراغه من الصلاة قال: وقد استحب أصحابنا للخطيب إذا قرأ سجدة أن يترك السجود لما فيه من كلفة النزول عن المنبر والصعود قال: ولو قرأ السجدة في صلاة الجنازة لم يسجد فيها. وهل يسجد بعد الفراغ؟ وجهان أصحهما لا يسجد.

فصل

في مسائل منثورة لاصحابنا تتعلق بالباب:

إن تلا الإمام السجدة سجد هو والمأموم معه، وإن لم يسمعها لالتزامه متابعته، وإن تلاها المأموم لم يسجداها لا في الصلاة ولا بعد الفراغ عند أبي حنيفة وأبي يوسف. وقال محمد: يسجدونها إذا فرغوا من الصلاة لأن السبب قد تقرر، ولا مانع بعد الفراغ، وإن سمعها من هو من أهل الخطاب ممن ليس هو من أهله لزمه أن يسجد لها، وإن لم تكن واجبة على من تلاها، ولو سمع آية السجدة من النائم أو من الطير فقال بعضهم: يجب عليه، وقال آخرون: لا. وهل يجب على النائم؟ فعلى هذا الاختلاف وإن تلاها بالفارسية فهو كما إذا تلاها بالعربية عند أبي حنيفة حتى يجب على كل من سمعها أن يسجدها سواء فهمها أو لم يفهمها بعد أن أخبر بذلك، وقالا: يجب عليه، وعلى كل من فهم التلاوة، ولا يجب على من لا يفهمها، وإن تلاها بالهجاء لا يجب عليه لأنه لا يقال قرأ القرآن فإن سمعها من ليس في الصلاة سجدها على الصحيح، وإن سمعها المصلي ممن ليس معه في الصلاة سجدها بعد الصلاة لأنها ليست من أفعال الصلاة، وقد تحقق سببها وهو السماع. ولو سجدها في الصلاة أعادها خارج الصلاة لأنها ناقص لمكان النهي فلا يتأدى به الكامل ولا يعيد الصلاة.

وفي النوادر تفسد صلاته لأنه زاد فيها ما ليس منها، وقيل: هو قول محمد ومن تلاها في الصلاة فلم يسجدها فيها سقطت، ولو تلاها في الصلاة إن شاء ركع بها وإن شاء سجدها، ثم قام وقرأ وهو أفضل يروى ذلك عن أبي حنيفة.

وفي الينابيع: تالي آية السجدة في الصلاة لا يخلو من ثلاثة أوجه. اما أن تكون السجدة في وسط السورة، أو في آخرها أو في خاتمتها وبعدها آيتان أو ثلاث آيات، ففي الأولى الأفضل أن يسجد ثم يقوم ويختم السورة، ولو لم يسجد وركع ونوى يجزئه قياساً، ولو لم يسجد ولم يركع حتى أتم السورة ثم ركع ونوى السجدة لا يجزئه ولا يسقط عنه بالركوع، وعليه قضاؤها بالسجود ما دام في الصلاة وفي الثاني الأفضل أن يركع بها فلو سجد ولم يركع فلا بدَّ أن يقرأ من سورة أخرى بعد رفع الرأس من السجود، وإن رفع رأسه ولم يقرأ شيئاً وركع وسجد للصلاة جازت صلاته، ولو لم

الثامن: أن يقول في مبتدأ قراءته: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

يركع ولم يسجد وجاوز إلى سورة أخرى فليس له أن يركع بها، وعليه أن يسجدها ما دام في الصلاة. وفي الثالث: هو بالخيار إن شاء ركع بها وإن شاء سجد، فإذا أراد أن يركع بها جاز أن يختم السورة وركع بها، ولو سجدها ثم قام فإنه يختم السورة ويركع للصلاة وسجد لها، فإن وصل إليها شيئاً آخر من سورة أخرى فهو أفضل، ولو قرأ آية السجدة في الصلاة وأراد أن يركع بها يحتاج إلى النية عند الركوع، وإلّا لم يجزه عن السجود، ولو نوى في ركوعه فقيل يجزىء وقيل لا اهـ ملخصاً.

فصل

في اعتبار من يتوجه عليه حكم السجود:

اعلم انه يجب السجود على القلب وهو سجود لا رفع بعده. اتفق لسهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى في أوّل دخوله إلى هذا الطريق أنه رأى قلبه قد سجد في الساجدين، فأراد أن يسأل شيوخ الطريق عن واقعته، فلم يجد أحداً يعرف ما يقول، فقيل له: إن في عبادان شيخاً معتبراً فرحل إليه من أجل هذه الواقعة، فلما دخل عليه قال له يا شيخ: أيسجد القلب؟ فقال له الشيخ: إلى الأبد فوجد شفاءه ولزم خدمته، ومدار هذه الطريقة على هذه السجدة إذا حصلت للإنسان فقد كملت معرفته وعصمته، فلم يكن للشيطان عليه سبيل، ويسمى هذا في حق الولي حفظاً أدباً مع الأنبياء ليتحققوا باسم العصمة، فإن لم يسجد القلب فليس بمحفوظ. وهذه مسألة دقيقة عظيمة في الطريق ما تحصل إلا لأفراد يعز وجودهم، وهم الذين هم على بينة من ربهم، والبينة تجليه، ويتلو تلك البينة شاهد من العبد وهو سجود القلب، فإذا اجتمعت البينة والشاهد عصم القلب وحفظ كما قررناه، وعلى هذا المقام من طريق القوم أسباب حار فيها القوم مثل قول أبي يزيد وكان أمر الله قدراً مقدوراً حين سئل أيعصي العارف؟ فأجاب بالأدب، ولم يقل نعم. ولا لا لمعرفته بما ثم والله أعلم.

(**الثامن: أن يقول في مبتدأ قراءته أعوذ بالله**) من الشيطان الرجيم هذا صفته المختارة قاله النووي. والأصل في سنية التعوّذ قبل القراءة قوله تعالى ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨] أي أردت قراءته. وذهب قوم إلى انه يتعوّذ بعدها لظاهر الآية، وقوم إلى وجوبها لظاهر الآية.

قال النووي: وكان جماعة من السلف يقولون في التعوّذ أعوذ بالله (**السميع العليم من الشيطان الرجيم**).

ونقل السيوطي في الاتقان عن حمزة: استعيذ ونستعيذ واستعذت، واختاره صاحب الهداية من الحنفية لمطابقته لفظ القرآن، وعن حميد بن قيس أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر، وعن ابن السماك أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي، وعن قوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو

﴿ربِّ أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وأعُوذُ بك ربّ أنْ يحضرون﴾ [المؤمنون: ٩٨] وليقرأ: قل أعوذ برب الناس، وسورة الحمد لله، وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى، وبلغ رسول الله ﷺ اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم، وفي أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر، وإذا مرّ بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر، وإن مرّ بمرجو سأل، وإن مر بمخوف استعاذ. يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول: سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا. اللهم ارحمنا. قال حذيفة:

السميع العليم، وفيها ألفاظ أخر. وقال الحلواني في جامعه: ليس للاستعاذة حد ينتهي إليه من شاء زاد ومن شاء نقص. وفي النشر لابن الجزري: المختار عند أئمة القراءة الجهر بالتعوّذ إظهاراً لشعائر القراءة كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد، ومن فوائده أن السامع ينصت للقراءة من أولها لا يفوته منها شيء، وإذا أخفى التعوّذ لم يعلم السامع بها إلا بعد أن فاته شيء من المقروء، وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة في الصلاة وخارجها، واختلف المتأخرون في المراد باخفائه، فالجمهور على أن المراد الإسرار فلا بدّ من التلفظ وإسماع نفسه، وقيل: الكتمان بأن يذكره بقلبه بلا تلفظ. قال: وهل الاستعاذة سنة كفاية أو عين حتى لو قرأ جماعة جملة، فهل يكفي استعاذة واحد منهم كالتسمية على الأكل أولا؟ لم أر فيه نصاً، والظاهر الثاني لأن المقصود اعتصام القارىء والنجاة بالله من شر الشيطان فلا يكون تعوّذ واحد كافياً عن آخر اهـ.

ولا بدّ من المحافظة على البسملة بعد الاستعاذة أوّل كل سورة غير براءة، وتتأكد عند قراءة نحو ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ و﴿هو الذي أنشأ جنات معروشات﴾ لما في ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان. كذا في الاتقان.

واستحسن بعض السلف أن يقول بعد التعوّذ المذكور: (﴿**ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون﴾ [المؤمنون: ٩٨] وليقرأ: قل أعوذ برب الناس**) إلى آخر السورة فإنها من أحسن ما يتحصن به من وسواس الشياطين، (**وسورة الحمد**) فإنها الجامعة المانعة، (**وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله**) العظيم وبلغ رسوله النبي الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين، أو يقول صدق الله (**وبلغ رسول الله**) ﷺ وليدع بما أحب، والاحسن أن يقول: (**اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه**)، ثم يقول عقيبه: (**والحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم**). أو استغفر الله العظيم. كل ذلك نقله صاحب القوت.

(**و**) من الآداب (**في أثناء القراءة إذا مرَّ بآية تسبيح سبَّح وكبّر وإن مر بآية دعاء واستغفار دعا**) بما يليق بمقام الآية واستغفر، (**وإن مرَّ بآية تضرع وسؤال**) تملق و (**تضرع وسأل وإن مرَّ بآية تخويف استعاذ ويفعل ذلك بلسانه أو بقلبه**) أو بهما وهو الأفضل، (**فيقول**) في محل التسبيح: (**سبحان الله**) وفي موضع التكبير: الله أكبر، وفي محل التعوّذ: (**أعوذ بالله**)، وفي محل الدعاء: (**اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا**) اللهم اغفر لنا اللهم استرنا اللهم أجرنا ونحو ذلك.

صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة، فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبّح. فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات

(قال حذيفة) بن اليمان العبسي رضي الله عنه: **(صليت مع رسول الله ﷺ)** ذات ليلة **(فابتدأ بسورة البقرة)** فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، **(فكان لا يمر بآية عذاب إلا استعاذ، ولا بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية تنزيه إلا سَبّح)** هكذا رواه مسلم في صحيحه مع اختلاف لفظ ولفظه: « كان إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوّذ تعوّذ ».

وروى أبو داود والترمذي، والنسائي، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: « قمت مع النبي ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ »

وروى أحمد وأبو داود عن ابن عباس « أن النبي ﷺ كان إذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الأعلى ».

وعند أبي داود والترمذي في حديث « من قرأ ﴿والتين والزيتون﴾ فانتهى إلى آخرها فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ فليقل بلى، ومن قرأ والمرسلات فبلغ ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل آمنا بالله ».

وروى الترمذي والحاكم عن جابر قال: « خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: لقد قرأتها ليلة الجن على الجن فكانوا أحسن مورداً منكم كنت كلما أتيت على قوله ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قالوا ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد »

وروى ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن إبراهيم النخعي عن علقمة قال: صليت إلى جنب عبد الله فافتتح سورة طه، فلما بلغ ﴿ رب زدني علماً﴾ قال رب زدني علماً رب زدني علماً.

وروى ابن مردويه، والديلمي، وابن أبي الدنيا بسند ضعيف عن جابر « أن النبي ﷺ قرأ ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ الآية [البقرة: ١٨٦] فقال: اللهم أمرت بالدعاء وتكلفت بالإجابة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك أشهد انك فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها، وإنك تبعث من في القبور ».

وروى أبو داود وغيره، عن وائل بن حجر « سمعت أن النبي ﷺ قرأ ولا الضالين فقال آمين يمد بها صوته ». ورواه الطبراني بلفظ: قال « آمين » ثلاث مرات، ورواه البيهقي بلفظ قال « رب اغفر لي آمين ». ويروى عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال « آمين ». وعن ميسرة أن جبريل لقن رسول الله ﷺ عند خاتمة البقرة « آمين »

الله عليه وسلامه عند ختم القرآن « اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين ».

(وإذا فرغ) من قراءته **(قال ما كان يقوله ﷺ عند ختم القرآن « اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وآناء النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين »)**.

قال العراقي: رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الأرجاني في فضائل القرآن، وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل. كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلاً.

تنبيه:

ويستحب الدعاء عند ختم القرآن.

روى الطبراني عن أنس « أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا ». وروى ابن أبي داود عن الحكم بن عتيبة قال: ارسل إلي مجاهد، وعنده ابن أبي لبابة وناس يعرضون المصاحف وقال: إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن والدعاء يستجاب عند ختم القرآن. وعن مجاهد قال: كانوا يجتمعـون عند ختم القرآن ويقول: عنده تنزل الرحمة. وروى الطبراني في المعجم الكبير عن العرباض بن سارية رفعه « من ختم القرآن فله دعوة مستجابة ». وروى ابن الضريس عن ابن مسعود قال: « من ختم القرآن فله دعوة مستجابة » وكان عبد الله إذا ختم جمع أهله ودعا وأمنوا على دعائه.

وروى الدارمي من طريق صالح المري عن قتادة قال: « كان رجل يقرأ القرآن في مسجد المدينة فكان ابن عباس قد وضع الرصد، فإذا كان يوم ختمه قام فتحول إليه ».

ويستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن وهي قراءة المكيين.

روى البيهقي في الشعب، وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة سمعت عكرمة بن سليمان قال قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكي، فلما بلغت الضحى قال: كبّر حتى تختم، فإني قـرأت على عبـد الله بـن كثير فأمرني بذلك، وقال: قرأت على مجاهد فأمرني بذلك، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك كذا أخرجه موقوفاً.

ثم أخرجه البيهقي من وجه آخر عن ابن أبي بزة مرفوعاً.

وأخرجه من هذا الوجه أعني المرفوع الحاكم في مستدركه، وصححه. وله طرق كثيرة عن البزي، وقد أخرجت هذا الحديث في جزء سميته التحبير في المسلسل بالتكبير استوفيت فيه تلك الطرق، وفي النشر اختلف القراء وفي ابتدائه هل هو من أول الضحى، أو من آخرها ؟ وفي وصله من أولها أو من آخرها وقطعه، والخلاف فيه مشهور وكذا في لفظه فقيل الله أكبر، وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر، وسواء في التكبير الصلاة وخارجها صرح به السخاوي وأبو شامة.

التاسع: في الجهر بالقراءة: ولا شك في أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف، ولا بدّ من صوت فأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته، فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر. ويدل على استحباب الإسرار ما روي أنه ﷺ قال: «فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية». وفي لفظ آخر:

وقال أبو العلاء الهمداني: وصفته ان يقف بعد كل سورة وقفة ويقول: الله أكبر.

وقال سليم الرازي: يكبر بين كل سورتين تكبيرة، ولا يصل آخر السورة بالتكبير، بل يفصل بينهما بسكتة، ومن لا يكبر من القراء حجتهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن بأن يداوم عليه فيتوهم أنه منه.

ويسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقيب الختم لحديث الترمذي وغيره عن ابن عباس «أحب الاعمال إلى الله تعالى الحال المرتحل الذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل».

وروى الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبي بن كعب رفعه «كان إذا قرأ قل أعوذ برب الناس افتتح من الحمدلله ثم قرأ من البقرة إلى المفلحون ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام».

تنبيه:

قال السيوطي في الاتقان: منع الإمام أحمد تكرير سورة الاخلاص عند الختم، لكن عمل الناس على خلافه. قال بعضهم: والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن فتحصل بذلك ختمة، أما التي قرأها وأما التي حصل ثوابها بتكرير السورة، وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ما لعله حصل في القراءة من خلل، وكما قاس الحليمي التكبير عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان، فينبغي ان يقاس تكرير سورة الاخلاص على اتباع رمضان بست من شوّال والله أعلم.

(التاسع: في الجهر بالقراءة) والاسرار بها وما الحكم فيها، **(ولا شك في أنه يجهر بها)** في صلاته **(إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف)** ووصل الكلمات بعضها ببعض، **(ولا بدّ من صوت)** هو الهواء المنضغط عن ذلك التقطيع فينتقش بصورة خاصة **(وأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته)**. وفي تهجيته حروف القراءة في الصلاة عند أصحابنا خلاف، فالذي في الينابيع أنها تفسد الصلاة. ومقتضى سياق الواقعات أنها تفسد لأنه من الحروف التي في القرآن.

(فاما الجهر حيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه مكروه على وجه آخر، ويدل على استحباب الإسرار ما روي عن رسول الله ﷺ انه قال «فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية») كذا في القوت ولم يرد بهذا اللفظ، ولكن

« الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ به كالمسر بالصدقة ». وفي الخبر العام: « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً » وكذلك قوله ﷺ: « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي » وفي الخبر: « لا يجهر بعضكم على بعض » في القراءة بين

معناه في الحديث الذي يليه وهو قوله: **(وفي لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ به كالمسر بالصدقة »)**.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر اهـ.

قلت: وفي السند إسماعيل بن عياش ضعفه قوم ووثقه آخرون، ورواه أيضاً الحاكم عن معاذ بن جبل، ووجه الشبه أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل لخائفه، وبه يظهر صحة معنى الحديث الأول، وروى الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود « وفضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية ». ورواه ابن المبارك في الزهد مثله.

(وفي الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفاً ») هكذا في القوت.

قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة اهـ.

قلت: وضعفه البيهقي ولفظه في الشعب « يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفاً » وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء.

(وكذلك) أي في العموم **(قوله ﷺ « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي »)** كذا في القوت.

قال العراقي: رواه أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص اهـ.

قلت: وكذا رواه البيهقي أيضاً، ونعيم بن حماد في الفتن، والعسكري في الأمثال، وعبد بن حميد، وأبو عوانة كلهم من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، عن سعد غير أنه بتقديم الجملة الثانية على الأولى، ومحمد بن عبد الرحمن هذا وثقه ابن حبان، وضعفه ابن معين، وبقية رجاله عند أحمد وابن حبان رجال الصحيح، وهذا الحديث قد عدّ من الحكم والأمثال.

وأخرج الخطيب عن المحاسبي في تفسير قوله « خير الرزق ما يكفي » انه قوت يوم بيوم، ولا يهتم لرزق غد، وبهذا الحديث استدل أصحابنا على ندب الاسرار لتكبير العيد.

(وفي الخبر « لا يجهر بعضكم على بعض ») فإن ذلك يؤذي المصلي رواه الخطيب عن جابر قاله **(في القراءة بين المغرب والعشاء)**، وهذه عبارة القوت، وليست الجملة من أصل الحديث، وظنها العراقي كذلك فقال: رواه أبو داود من حديث البياضي دون قوله « بين المغرب والعشاء » والبيهقي في الشعب من حديث علي « قبل العشاء وبعده » وفيه الحارث الأعور وفيه ضعف.

المغرب والعشاء. وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه: اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض من صوته. فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا وللرجال فيه نصيب، فرفع سعيد صوته وقال: يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً. فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته، فلما سلّـم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة، ويدل على استحباب الجهر ما روي أن النبي ﷺ سمع جماعة من أصحابه

قلت: وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال «الا إن كلكم مناج لربه فلا يؤذي بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة»

(وسمع سعيد بن المسيب) بن حزن القرشي التابعي **(ذات ليلة في مسجد النبي ﷺ عمر بن عبد العزيز)** الأموي الخليفة **(يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال)** سعيد **(لغلامه: إذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض صوته، فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا)** خاصة، **(وللرجل فيه نصيب، فرفع سعيد صوته وقال: أيها المصلي إن كنت تريد الله)** أي وجهه **(بصلاتك فاخفض)** أي فأخف صوتك، **(وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً)**. قال: **(فسكت عمر وخفف ركعته، فلما سلّم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة)**. هكذا أورده صاحب القوت وهو معدود في مناقب عمر بن عبد العزيز، ولعل بالمسجد كان بعض من يصلي فلذا منعه ولم يحاب كونه أميراً يومئذ.

(ويدل على استحباب الجهر ما روي عن رسول الله ﷺ أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون بالقراءة في صلاة الليل فصوّب ذلك) أي رآه صواباً إما بسكوته أو باستحسانه. وهذه العبارة انتزعها المصنف من كتاب القوت ونصه: وعلى ذلك فقد كان رسول الله ﷺ يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقراءة في صلاة الليل فيصوّب ذلك لهم ويسمع إليهم.

وقال العراقي في الصحيحين من حديث عائشة: ان رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله ﷺ «رحم الله فلانا» الحديث.

ومن حديث أبي موسى قال لي رسول الله ﷺ «لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة» الحديث.

وفي حديث أيضاً «إنما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن» الحديث.

قلت: وهذه الاخبار قد يذكرها المصنف فيما بعد ويأتي الكلام عليها.

يجهرون في صلاة الليل فصوّب ذلك، وقد قال ﷺ: « إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته » ومر ﷺ بثلاثة من أصحابه رضي الله عنهم مختلفي الأحوال فمرّ على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت، فسأله عن ذلك فقال: إن الذي أناجيه هو يسمعني. ومرّ على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال: أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان، ومرّ على بلال وهو يقرأ آياً من هذه السورة، وآياً من هذه السورة فسأله عن ذلك، فقال: اخلط الطيب بالطيب، فقال ﷺ: « كلكم قد أحسن وأصاب » فالوجه في الجمع بين

(وقد قال) ولفظ القوت وقد أمر بالجهر فيما روي عنه **(ﷺ « إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته »)** كذا في القوت.

وقال العراقي: رواه بنحوه بزيادة أبو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ ابن جبل وهو منكر ومنقطع.

(ومرّ رسول الله ﷺ على ثلاثة من أصحابه مختلفي الأحوال) أي منهم من يخافت، ومنهم من يجهر، ومنهم من يخلط الآية بالآية **(فمرّ على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت)** في قراءته، **(فسأله عن ذلك فقال: إن الذي أناجيه هو يسمعني)** أي قريب مني، **(ومرّ على عمر رضي الله عنه وهو يجهر)** في قراءته، **(فسأله عن ذلك فقال: أوقظ الوسنان)** أي انبه النائم **(وأزجر الشيطان)** أي أطرده، **(ومرّ على بلال)** بن رباح رضي الله عنه **(وهو يقرأ آياً من هذه السورة وآياً من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال: اخلط الطيب بالطيب، فقال ﷺ « كلكم قد أحسن وأصاب »)** هكذا أورده، وقد تقدم في كتاب الصلاة « انه ﷺ سمع بلالاً يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال: احسنت ». وقد رواه أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه، وقد تقدم الكلام عليه، وهذا يدل على جواز قراءة آية آية من كل سورة، وقد نقل القاضي أبو بكر بن العربي الإجماع على عدم جواز ذلك. قال البيهقي: وأحسن ما يحتج به هنا أن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ، وأخذه عن جبريل والأولى بالقارىء أن يقرأه على التأليف المنقول، وقد قال ابن سيرين تأليف الله خير من تأليفكم، وعدّ الحليمي خلط السورة بالسورة من ترك الأدب، واحتج بما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ مرّ ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فسأله فقال: اخلط الطيب بالطيب فقال « اقرأ السورة على وجهها » أو قال: على نحوها وهو مرسل صحيح، ووصله أبو داود عن أبي هريرة بدون آخره، وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر عن عمر مولى غفرة وهي أخت بلال أن النبي ﷺ قال لبلال « إذا قرأت السورة فانفذها » ثم قال أبو

هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل. لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره، فالخير المتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه، ولأنه قد يراه بطّال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة، فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن

عبيد الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة، كما انكر رسول الله ﷺ على بلال فتأمل ذلك مع سياق المصنف.

(**فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث**) المختلفة (**أن الاسرار**) بالقراءة (**أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك**) أي الرياء (**على نفسه**) ولفظ القوت المخافتة بالقراءة أفضل إذا لم تكن للعبد نيّة في الجهر، أو كان ذاهباً عن الهمة والمعاملة بذلك لأنه أقرب إلى السلامة وأبعد من دخول الآفة، (**وإن لم يخف**) ذلك (**ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعلق بغيره والخير المتعدي أفضل من اللازم**) ولفظ القوت: وإن الجهر أفضل لمن كانت له نية في الجهر ومعاملة مولاه به لأنه قد قام بسنة قراءة الليل، ولأن المخافتة نفعه لنفسه والجهر نفعه له ولغيره، وخير الناس من نفع الناس، والنفع بكلام الله عز وجل من أفضل المنافع، ولأنه قد أدخل عملاً ثانياً يرجو به قربة ثانية على عمله الأول فكان في ذلك أفضل،(**ولأن الجهر يوقظ قلب القارىء**) أي ينبهه عن سنة الغفلة، (**ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه**) ولا يوجد ذلك كله في الاسرار (**ولأنه يطرد النوم برفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله**) وتثبطه، (**ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه**) من غفلته (**ولأنه قد يراه بطال**) عن العمل (**غافل**) عن الذكر، (**فينشط**) في نفسه (**بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة**) والعمل. فهذه سبعة وجوه في أفضلية الجهر.

ولفظ القوت: وفي الجهر سبع نيات: منها الترتيل الذي أمر به، ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب إليه، ومنها ان يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعاني ولا يكون كل ذلك إلا في الجهر. ومنها أن يرد القوم عنه برفع صوته، ومنها ان يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله تعالى فيكون هو سبب احيائه. ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق للخدمة فيكون هو معاوناً له على البر والتقوى، ومنها ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك يكثر عمله.

(**فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل، وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف**

اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الابرار وتتضاعف أجورهم، فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة أجور، ولهذا نقول: قراءة القرآن في المصاحف أفضل إذ يزيد في العمل النظر، وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه، وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة.

الأجر وبكثرة النيات يزكو عمل الأبرار فتضاعف أجورهم، وإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور).

ولفظ القوت: فإذا كان العبد معتقداً لهذه النيات طالباً لها ومتقرباً إلى الله سبحانه بها عالماً بنفسه مصححاً لقصده ناظراً إلى مولاه الذي استعمله فيما يرضاه فجهره أفضل لأن له فيه أعمالا، وإنما يفضل العمل بكثرة النيات فيه، وارتفع العلماء وفضلت أعمالهم بحسن معرفتهم بنيات العمل واعتقادهم لها، فقد يكون في العمل الواحد عشر نيات يعلم ذلك العلماء فيعملون بها فيعطون عشر أجورهم، فأفضل الناس في العمل أكثرهم نية وأحسنهم قصداً وأدباً.

قلت: والى هذا الجمع جنح النووي حيث قال: الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام بجهره، والجهر أفضل في غير ذلك، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتأدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط. وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يمل فيستريح بالإسرار اهـ.

ثم قال صاحب القوت: وفي بعض التفسير ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى: ١١] قال: قراءة القرآن.

(ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف أفضل إذ يزيد عمل البصر، وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسبب ذلك) قال النووي: هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضاً، ولم أر فيه خلافاً. قال: ولو قيل انه يختلف باختلاف الأشخاص فتختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولاً حسناً اهـ.

قال السيوطي: وحكى الزركشي في البرهان ما بحثه النووي قولاً وحكى معه قولاً ثالثاً ان القراءة من الحفظ أفضل مطلقاً، وإن ابن عبد السلام اختاره لأن فيه من التدبر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف اهـ.

(وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة) مطلوبة.

ومن أدلة القراءة في المصحف ما رواه الطبراني فقال: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا رحيم، ثنا صفوان بن معاوية، عن أبي سعيد بن عوف المكي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن

وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما، فكان كثير من الصحابة يقرأون في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف. ودخل بعض

جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة».

ورواه ابن عدي في الكامل عن عبد الله بن محمد بن مسلم، عن رحيم. وأبو سعيد مختلف في توثيقه.

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا بقية، عن معاوية بن يحيى، عن سليمان بن مسلم، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة» معاوية وسليمان ضعيفان وبقية مدلس وقد عنعن.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن المظفر، حدثنا الحسن بن جبير الواسطي، حدثنا إبراهيم بن جابر، حدثنا الحر بن مالك، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف». قال: لم يروه عن شعبة إلا الحر تفرد به إبراهيم بن جابر.

وروى ابن النجار في تاريخه عن أنس رفعه: «من قرأ القرآن نظراً متع ببصره» وقد ورد الأمر بإدامة النظر في المصحف.

قال أبو الحسين بن بشران في فوائده: أخبرنا أبو جعفر الرزاز، حدثنا محمد بن عبيد الله بن يزيد، حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان هو الثوري، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اديموا النظر في المصحف». وأخرجه أبو عبيد عن زيد بن الحباب عن إسحاق الأزرق. وقد روينا في النظر في المصحف حديثاً مسلسلاً يقول: «كل راوٍ اشتكت عيني فقال لي انظر في المصحف» هو في مسلسلات إبراهيم بن سليمان.

(وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما) نقله صاحب القوت وثبت أنه رضي الله عنه لما قتل كان يقرأ في المصحف حتى سقط الدم على قوله: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ [البقرة: ١٣٧].

(وكان كثير من الصحابة) رضي الله عنهم **(يقرأون في المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف)** فمنهم عثمان رضي الله عنه وقد تقدم.

ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أبو عبيد، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا علي بن يزيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه.

فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعي: شغلكم الفقه عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح.

العاشر: تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم،

وقد روي ذلك عمن بعدهم أيضاً قال الدارمي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا همام، حدثنا ثابت هو البناني قال: كان عبد الرحمن بن أبي ليلى إذا صلى الصبح قرأ في المصحف حتى تطلع الشمس، وكان ثابت يفعله وعبد الرحمن تابعيان وهذا الأثر صحيح.

(ودخل بعض فقهاء مصر على) الإمام محمد بن إدريس **(الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه المصحف)** وهو يقرأ فيه **(فقال)** له الشافعي: **(شغلكم الفقه عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى الصبح)** وقد تقدم قريباً أنه رضي الله عنه كان يختم في كل يوم وليلة ختمة، فإذا جاء رمضان ختم في كل يوم وليلة ختمتين.

(العاشر: تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك هو السنة)

اعلم أن كيفيات القراءة ثلاثة.

أحدها: التحقيق وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف وإخراج بعضها من بعض بالسكت والرسل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من حركات، وتكرير الراآت، وتحريك السواكن، وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات، كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما فوق البياض برص، وما فوق الجعودة قطط، وما فوق القراءة ليس بقراءة.

الثانية: الحدر بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين وهو إدراج القراءة وتحقيقها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة، ونحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب، وتقديم اللفظ، وتمكين الحروف بدون بتر حروف المد، واختلاس أكثر الحركات، وذهاب الصوت إلى غاية لا تصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة.

الثالثة: التدوير وهو التوسط بين المقامين: التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن مد المنفصل ولم يبلغ فيه الإشباع وهو المنفصل، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء، والفرق بين التحقيق والترتيل أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط. فكل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقاً. وفي جمال القراء قد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصواتاً ويقال: أول ما غني به من القرآن قوله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ [الكهف: ٧٩] نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر:

فذلك سنّة. قال ﷺ: « زينوا القرآن بأصواتكم ». وقال عليه السلام: « ما أذن الله

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق عندي بعض ما فيها

وقد قال ﷺ في هؤلاء: « مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم ».

ومما ابتدعوه شيء وسموه الترقيص وهو أن يروم السكت على الساكن، ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة، وآخر يسمى التطريب، وهو أن يترنم بالقرآن ويتهيّم به فيمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد على المد على ما ينبغي، وآخر يسمى التحزين وهو أن يأتي على وجه حزن يكاد يبكي مع خشوع وخضوع.

(قال ﷺ: « زينوا القرآن بأصواتكم ») ففيه حث على ترتيله ورعاية إعرابه، وتحسين الصوت به، وتنبيه على التحرز من اللحن والتصحيف، فإنه إذا قرىء كذلك كان أوقع في القلوب وأشد تأثيراً وأرق لسامعيه، وسماه تزييناً لأنه تزيين للفظ وللمعنى. وقيل: هو على القلب، والمراد: زينوا أصواتكم بالقرآن أي الهجوا بقراءته واشغلوا أصواتكم به واتخذوه شعاراً وزينة لأصواتكم.

وقد روى الحاكم عن البراء رضي الله عنه هكذا: « زينوا أصواتكم بالقرآن فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً ».

وفي أدائه بحسن الصوت وجودة الأداء بعث للقلوب على استماعه، وتدبره، والإصغاء إليه.

قال التور بشتي: هذا إذا لم يخرجه التغني عن التجويد ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف، فإن انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب كراهة.

وأما الحديث المذكور فقال العراقي: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب اهـ.

قلت: قال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا شعبة، عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن ابن عوسجة، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « زينوا القرآن بأصواتكم » وهو حديث حسن صحيح أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر، ويحي بن سعيد كلاهما عن شعبة مطولاً.

وأخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي، وأخرجه أبو داود والنسائي من رواية الأعمش، وأحمد أيضاً والنسائي من رواية منصور كلاهما عن طلحة بن مصرف، وأخرجه النسائي أيضاً، وابن ماجه من رواية يحي بن سعيد، وله طريق أخرى عن البـراء بلفظ: « حسنوا القرآن بأصواتكم » فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً رواه ابن أبي داود عن إسحاق بن إبراهيم بن زيد عن محمد بن بكير.

وقد روي هذا الحديث أيضاً عن أبي هريرة بـلفظ المصـنف قال جعفر بن محمد: حدثنا أبو بكر بن أبي عثمان، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن سهيل بن أبي صالح،

لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن». وقال ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». فقيل أراد به الاستغناء، وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل

عن أبيه عنه. ذكره البخاري في أواخر كتاب التوحيد من صحيحه معلقاً. وقال في كتاب خلق أفعال العباد: روى سهيل بن أبي صالح فذكره، وأخرجه ابن أبي داود عن البخاري عن يحيى بن بكير، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمر بن محمد البحيري عن البخاري، وقد روي هذا الحديث أيضاً عن عبد الرحمن بن عوف، وعن أنس كلاهما عن البزار. وسند كل منهما ضعيف، وعن ابن عباس عند الطبراني وفي سنده انقطاع، وعند الدارقطني في الافراد وسنده حسن.

(**وقال ﷺ: «ما أذن الله تعالى**) أي ما استمع (**لشيء أذنه**) بالتحريك أي استماعه (**لحسن الصوت بالقرآن»**) قال الأزهري: أخبرنا عبد الملك عن الربيع، عن الشافعي أن معناه تحزين القراءة وترقيقها. وتحقيق ذلك في الحديث الآخر: «زينوا القرآن بأصواتكم» وهكذا فسره أبو عبيد.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن» زاد مسلم «لنبي حسن الصوت بالقرآن» وفي رواية له «كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن» اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في مستخرجه على صحيح مسلم: حدثنا عبد الله بن أحمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا سليمان بن داود الرشديني، حدثنا عبدالله بن وهب، حدثني عمر بن مالك وحيوة بن شريح كلاهما عن ابن الهاد، وهو يزيد بن عبد الله، عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن» وهو حديث صحيح رواه مسلم عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه عبد الله بن وهب.

وأخرج أيضاً عن بشر بن الحكم، عن عبد العزيز محمد الدراوردي، عن يزيد بن الهاد.

وأخرج البخاري من وجه آخر، عن ابن الهاد، وأخرجه أبو داود عن الرشديني عن عبد الله بن وهب، وأخرج الشيخان أصل هذا الحديث من طريق آخر عن أبي سلمة دون قوله: «حسن الصوت» وفي بعضها يجهر به.

(**وقال ﷺ: «ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن»**) تقدم تخريج هذا الحديث قريباً (**قيل: أراد به الاستغناء**) قال الأزهري في التهذيب، قال سفيان بن عيينة: معناه ليس منا من لم يستغن بالقرآن ولم يذهب إلى معنى الصوت.

وقال أبو عبيد: وهو فاش في كلام العرب يقولون: تغنيت تغنياً وتغانيت تغانياً بمعنى استغنيت.

(**وقيل: أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة**) ولفظ القوت: وهو أحد الوجهين وأوجهها إلى أهل اللغة.

اللغة. وروي أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه، فقال ﷺ: «ما حبسك». قالت: يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه، فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال ﷺ: «هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله» واستمع ﷺ أيضاً ذات ليلة إلى

قلت: والذي نقله الأزهري عن أبي عبيد يخالف ذلك لكن يقوي هذا الوجه حديث فضالة بن عبيد الذي تقدم ذكره للمصنف مرفوعاً «لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته» رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان وأبو عبيد وأبو مسلم الكجي في السنن والحاكم في المستدرك.

(وروي أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال لها رسول الله ﷺ: «ما حبسك»؟ فقالت يا رسول الله: كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه، فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله») هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات اهـ.

قلت: قال ابن ماجه: حدثنا العباس بن محمد الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني حنظلة ابن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط يحدث عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «أبطأت على رسول الله ﷺ بعد العشاء تعني في المسجد ثم جئت فقال: أين كنت؟ قلت: كنت اسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد. قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إليها فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا» هذا حديث حسن أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل عن داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم ورجاله رجال الصحيحين، لكن عبد الرحمن بن سابط كثير الإرسال.

وقد أخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد عن حنظلة شيخ الوليد فأرسله. قال ابن سابط: إن عائشة سمعت سالماً، وابن المبارك اتقن من الوليد بن مسلم.

قال الحافظ: وقد صححه الحاكم وخفيت عليه علته، لكن وجدت له طريقاً أخرى أخرجها البزار من رواية الوليد بن صالح بن أبي أسامة عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة فذكر الحديث دون القصة، وقال: تفرد به أبو أسامة.

قال الحافظ: وإذا انضم إلى السند الذي قبله تقوى به وعرف أن له أصلاً ولا يبعد تصحيحه، وسالم المذكور من المهاجرين الأولين، وكان مولى امرأة من الأنصار اعتقته قبل الإسلام فحالف أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه، فلما نزلت ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] قيل له مولى أبي حذيفة وهو أحد الأربعة الذين أمر ﷺ بأخذ القرآن عنهم، وهو في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر، واستشهد سالم وأبو حذيفة معاً باليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنهم أجمعين.

عبدالله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلاً، ثم قال ﷺ: « من أراد أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ». وقال ﷺ لابن مسعود: « اقرأ عليَّ فقال: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل فقال ﷺ: إني أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان ».

(واستمع) ﷺ **(أيضاً ذات ليلة إلى عبدالله بن مسعود)** رضي الله عنه وهو يقرأ **(ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلاً ثم قال: « من أراد أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد »)** كذا في القوت.

قال العراقي: رواه أحمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر، وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله ﷺ قال: « من أحب أن يقرأ القرآن » الحديث. وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: لفظ المصنف ساقه الطبراني في الكبير عن عبدالله بن عمر وبلفظ: « من أحب » أخرجه أحمد وابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم عن أبي بكر وعمر.

ورواه أبو يعلى والطبراني في الكبير عن ابن مسعود، ورواه أحمد أيضاً وابن منده عن عمرو بن المصطلق ورواه أبو نصر السجزي في الإبانة، والخطيب، وابن عساكر عن ابن عمر. ورواه الطبراني أيضاً في الكبير عن عمار بن ياسر. ورواه أبو يعلى أيضاً والعقيلي عن أبي هريرة.

وروى ابن عساكر من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده بلفظ: « من أحب أن يسمع القرآن جديداً غضاً كما أنزل فليسمعه من ابن مسعود ».

(وقال ﷺ) ذات يوم **(لابن مسعود: « اقرأ علي فقال يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل، فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان »)** أي تسيلان بالدموع. كذا في القوت وذلك عند قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١] سيأتي للمصنف إعادة ذلك قريباً.

قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود.

قلت: وزاد صاحب القوت هنا ما نصه: وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس أن يقرأ ين يديه يقول له: رتل فداك أبي وأمي وكان حسن الصوت بالقرآن اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في المستخرج: حدثنا أحمد بن جعفر بن سعيد، حدثنا عبدالله بن محمد بن النعمان، حدثنا أبو ربيعة واسمه زيد بن عوف، حدثنا سعيد بن زربي، حدثنا حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم يعني النخعي، عن علقمة قال: كنت رجلاً حسن الصوت فكان عبدالله بن مسعود يرسل إلي فآتيه فاقرأ فيقول: رتل فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « حسن الصوت زينة القرآن ».

واستمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى، فقال: «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود» فبلغ ذلك أبا موسى فقال: يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً، ورأى

وأخرجه ابن أبي داود في كتاب الشريعة، عن أسيد بن عاصم، عن زيد بن عوف وأخرجه أيضاً عن أبيه، وأخرجه البزار عن محمد بن يحي كلاهما عن مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن زربي قال البزار: تفرد به سعيد وليس بقوي. قال الحافظ: وأبو ربيعة فيه مقال لكنه توبع.

وقد أخرجه الطبراني، وابن عدي وغيرهما من طرق عن سعيد، ووقع في رواية الطبراني من الزيادة قال علقمة: فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا فإني سمعت فذكره.

(واستمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى) عبدالله بن قيس **(الأشعري)** رضي الله عنه **(فقال: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود» فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى اهـ.

قلت: ورواه النسائي من حديث عروة، عن عائشة أن النبي ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: «لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود».

وقال أبو نعيم في المستخرج: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا أحمد ابن إبراهيم الدورقي، حدثنا يحي بن سعيد الأموي، حدثنا طلحة بن يحي، عن خاله أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ ذات يوم: «لو رأيتني وأنا استمع قراءتك البارحة لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود» قلت يا رسول الله: لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيراً. أخرجه عن داود بن رشيد عن يحي بن سعيد.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا يوسف القاضي، حدثنا عمرو بن مرزوق وقال الدارمي: حدثنا عثمان بن عمر قال: حدثنا مالك بن مغول، عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوتي الأشعري أو أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود» أخرجه مسلم عن محمد بن عبدالله بن نمير بن أبيه عن مالك بن مغول.

وقال أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده: حدثنا شريح بن يونس، حدثنا خالد ابن نافع، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ وعائشة مرّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته، فلما أصبح أتى أبو موسى رسول الله ﷺ فذكر له فقال: أما أني يا رسول الله لو علمت لحبرته لك تحبيراً. أخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة خالد بن نافع وهو مختلف فيه.

وقال محمد بن أبي عمر المدني في مسنده: حدثنا بشر بن السري، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه: «أن أبا موسى كان يقرأ ذات ليلة فجعل أزواج النبي ﷺ يستمعن لقراءته فلما أصبح أخبر بذلك فقال: لو علمت لحبرته تحبيراً أو لسوقتكن تسويقاً»

أخرجه أحمد بن منيع في مسنده، ومحمد بن سعد في الطبقات جميعاً عن يزيد بن معروف زاد ابن سعد وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة، وزاد فيه: «وكان حلو الصوت».

والمراد بالمزمار في الحديث: الصوت الحسن وأصله الآلة التي يزمر بها شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار، وآل داود هنا داود نفسه ولفظ: «الآل» مقحم. وقيل: معناه هنا الشخص، وداود: هذا هو النبي ﷺ، وقد كان إليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة.

وقال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا عبدالله بن محمد البغوي، حدثنا عبيد الله ابن عمر القواريرى، وحدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي قال: صلى بنا أبو موسى الأشعري صلاة الصبح، فما سمعت صوت صنج ولا بربط كان أحسن صوتاً منه هذا موقوف صحيح أخرجه أبو عبيد في الفضائل، ومحمد بن سعد في الطبقات كلاهما عن إسماعيل بن إبراهيم.

أخبرنا سليمان التيمي، قال الولي العراقي في شرح التقريب: استدل بهذا الحديث على أنه لا بأس بالقراءة بالألحان، وبه قال أبو حنيفة وجماعة من السلف، وقال بكراهتها مالك وأحمد والجمهور، ونقل المزني والربيع المرادي عن الشافعي أنه لا بأس بها ونقل عنه الربيع الجيزي أنها مكروهة. قال بعض الأصحاب: وليس في هذا اختلاف، ولكن موضع الكراهة، أن يفرط في المد وفي إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع الإدغام، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة، وكذا حمل الحنابلة نص إمامهم على الكراهة على هذه الصورة وهي كراهة تنزيه. وقال النووي في الروضة: الصحيح أنه إذا فرط على الوجه المذكور، فهو حرام صرح به صاحب الحاوي فقال: هو حرام يفسق به القارىء ويأثم المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم، وهذا مراد الشافعي بالكراهة. وذكر الأسنوي في المهمات أن تصحيح النووي في هذه المسألة ضعيف مخالف لكلام الشافعي والأصحاب فلا معول عليه، قال: ثم أن القول بالتفسيق بتقدير التحريم مشكل لا دليل عليه، بل الصواب على هذا التقدير أن يكون صغيرة اهـ.

وقال أبو العباس القرطبي بعد ذكره الخلاف في ذلك: ولا شك أن موضع الخلاف في هذه المسألة إنما هو إذا لم يغير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان أو يبهم معناه بترديد الأصوات، فلا يفهم معنى القرآن فإن هذا مما لا أشك في تحريمه فأما إن سلم من ذلك وحذا به حذو أساليب الغناء والتطريب والتحزين فقط، فقال مالك: ينبغي أن تنزه أذكار الله وقراءة القرآن عن التشبه بأحوال المجون والباطل، فإنها حق وجد وصدق، والغناء هزل ولهو ولعب، وهذا الذي قاله مالك وجمهور العلماء هو الصحيح اهـ.

وفي الحديث منقبة لأبي موسى الأشعري، وفيه: جواز مدح الإنسان في وجهه إذا لم يخش من ذلك مفسدة بحصول العجب للممدوح والله أعلم.

هيثم القارىء رسول الله ﷺ في المنام قال: فقال لي: أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك؟ قلت: نعم. قال: جزاك الله خيراً. وفي الخبر: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربّنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط، فيقال: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة، فيقول: أوَلسنا في صلاة، إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿وَلِذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال ﷺ: «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة»، وفي الخبر: كتب له عشر حسنات. ومهما عظم أجـر الاستماع

(ورأى الهيثم القارىء) هو الهيثم بن حميد الغساني عن يحيى بن الحارث الزماري، وزيد بن واقد، وعنه هشام بن عمار، وعلي بن حجر قال وحيم: كان أعلم الناس بقول مكحول، وقال أبو داود ثقة. **(النبي ﷺ في المنام قال، فقال لي: أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك؟ قلت: نعم. قال: جزاك الله خيراً)** وهذا يقوي ما ذكرناه في حديث: «زينوا القرآن بأصواتكم» أنه لا قلب فيه.

(وفي الخبر: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن) نقله صاحب القوت، **(وقد كان عمر)** بن الخطاب **(يقول لأبي موسى)** الأشعري رضي الله عنهما **(ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط)** أي يصير وقتاً بين الوقتين، **(فيقال يا أمير المؤمنين: الصلاة الصلاة. فيقول: أو لسنا في صلاة)**. هكذا أورده صاحب القوت **(إشارة إلى قوله تعالى)** ولفظ القوت كأنه يتأول قوله تعالى **(ولذكر الله أكبر)** [العنكبوت: ٤٥] زاد صاحب القوت هنا:

وقال بعض عباد البصـرة لما وضع بعض البغداديين كتاباً في معاني الرياء وخفي آفات النفوس قال: لقد كنت أمشي بالليل أسمع أصوات المتهجدين كأنها أصوات الميازيب، فكان في ذلك أنس وحث على الصلاة والتلاوة، حتى جاءنا البغداديون بدقائق الرياء وخفايا الآفات، فسكت المتهجدون فلم يزل ذلك ينقص حتى ذهب فانقطع وترك إلى اليوم اهـ.

(وقال ﷺ: «من استمع إلى آية) أي اصغى إلى قراءة آية **(من كتاب الله)** وعدى الاستماع: «بإلى» لتضمنه معنى الإصغاء **(كانت له نوراً يوم القيامة» وفي الخبر: «كتب له عشر حسنات»)** هذا لفظ القوت وسياقه.

قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي هريرة: «من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً إلى يوم القيامة» وفيه ضعف وانقطاع اهـ.

قلت: قال الهيثمي: فيه عباد بن ميسرة ضعفه أحمد وغيره، وقد رواه ابن مردويه أيضاً من هذا الطريق إلا أنه قال: «نوراً يوم القيامة».

وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع.

وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس: «من استمع إلى كتاب الله عز وجل كان له بكل حرف حسنة».

وعند ابن عدي والبيهقي من حديثه: «من استمع حرفاً من كتاب الله طاهراً كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات» الحديث.

وروى الديلمي عن أنس: «من استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة».

(ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والصنع) ولفظ القوت: والتالي شريك المستمع في الأجر لأنه أكسبه ذلك، وقال بعضهم للقارىء أجر وللمستمع أجران، وقال آخر: وللمستمع تسعة أجور، وكلاهما صحيح، لأن كل واحد منهما على قدر انصاته ونيته فإذا كان التالي مكسباً لغيره هذه الأجور، فإن له بكل أجر كسبه أجراً يكسبه لقوله ﷺ: «الدال على الخبر كفاعله» سيما إن كان عالماً بالقرآن فقيهاً فيه فيكون مقرؤه ووقوفه حجة وعلماً لسامعه.

وقال في موضع آخر: فإن لم يكن للتالي نية في شيء مما ذكرنا وكان ساهياً غافلاً عن ذلك، أو كان واقفاً مع شيء من الآفات، أو تشج في قلبه شخص أو ساكن ذكر هوى، فقد اعتل فعليه أن يحتمي الجهر، فإن جهر على ذلك ثقل قلبه وفسد عمله لاستكنان الداء فيه، وكان الى النقصان أقرب، ومن الاخلاص أبعد، فعليه حينئذ بالإخفاء فهو دواؤه يعالج به حاله فهو أصلح لقلبه وأسلم لعمله وأحمد في عاقبته، وقد يكون العبد واجداً لحلاوة الهوى في الصلاة والتلاوة، وهو يظن أن ذلك حلاوة الإخلاص، وهذا من دقيق شأن الشهوة الخفية ولطيف الانتقاص، وقد تلبس ذلك على الضعفاء ولا يفطن له إلا العلماء، وإنما يجد حلاوة الاخلاص الزاهدون في الدنيا وفي مدح الناس لهم نصح المعاملة وصدق الخدمة المحبون لله تعالى العلماء به واعتبار فقد ذلك بأحد شيئين سقوط النفس باستواء المدح، والذم وهذا حال في مقام الزهد، أو خروج الخلق من القلب بشهادة اليقين. وهذا في مقام المعرفة. وفي هذين المقامين يستوي السر والعلانية، والله أعلم.

الباب الثالث

في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة:

فهم أصل الكلام، ثم التعظيم ثم حضور القلب، ثم التدبر ثم التفهم، ثم التخلي عن موانع الفهم، ثم التخصيص، ثم التأثر ثم الترقي، ثم التبرىء.

فالأوّل: فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى افهام خلقه. وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر، إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم

الباب الثالث

في ذكر أعمال الباطن في تلاوة القرآن

وهي التي لا اطلاع عليها لأهل الظاهر، وإنما يدركها المخلصون الزاهدون في الدنيا المبرؤون من رعونات النفوس الأمارة **(وهي عشرة)**.

الأول: (فهم أصل الكلام ثم التعظيم) له، **(ثم حضور القلب)** فيه، **(ثم التدبر)** لمعانيه، **(ثم التفهم)** لها بما قدر له فيه، **(ثم التخلي عن موانع الفهم)** أي الأحوال التي تمنعه عن أصل الفهم، **(ثم التخصص، ثم التأثر ثم الترقي، ثم التبرىء) فهذه عشرة** أعمال على سبيل الإجمال لا بدّ من مراعاتها لأهل التلاوة من أرباب الأحوال.

(فالأول: فهم عظمة الكلام) الذي يتلوه وجلالة قدره **(وعلوه و)** ملاحظة **(فضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه)**. اعلم أن الناس في التلاوة على ثلاث مقامات: أعلاهم من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ويعرف اخلاقه بمعاني خطابه كما سيأتي ذلك للمصنف في عمل الترقي، وهو التاسع من هذه الأعمال، فالخصوص يشاهدون في تلاوتهم معاني ما يتلونه ويتحققون في مشاهدتهم بمدد من سيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم فإن قصر مشاهدة التالي عن هذا المقام، **(فلينظر كيف لطفه بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه)** وأنه يناجيه به ويتملق بمناجاته، **(و)** يشهد **(كيف تجلت لهم تلك الصفة في طيّ حروف وأصوات هي صفات البشر)** كما تقدم توضيحه في كتاب (قواعد العقائد) وليعلم أن الله تعالى إنما خاطبه

صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه، ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكاً. ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حدّ فهم الخلق. ولهذا عبّر بعض العارفين عنه فقال: إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف، وأن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوّته وطاقته، ولكن الله عز وجل طوّقه ذلك واستعمله به. ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان تثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه، وذلك أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك

بلسانه، وكلمه بحركته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذي جعله له، ويعقل عنه بفهمه الذي قسمه له حكمة منه ورحمة. **(إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله تعالى إلا بوسيلة صفات نفسه، ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى، و)** لو تكلم الجبار جل جلاله بوصفه الذي يدركه سمعه **(لتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه)** وقهر جلاله **(وسبحات نوره)**. وتقدم تحقيق سبحات الأنوار في (قواعد العقائد). **(ولولا تثبيت الله تعالى موسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل)** أي الطور **(مبادىء تجليه حيث صار دكاً)** أي مدكوكاً مساوياً للأرض، فحجب ذلك في غيب علمه عن العقول وستره بصنيع قدرته عن القلوب، وأظهر للقلوب علوم عقولها، وأشهد للعقول عرف معقولها بلطفه وحنانته ورحمته وإحسانه، **(ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة)** بينة **(على حدّ فهم الخلق)** باختلاف عقولهم، **(ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال: إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف)** وهو المحيط بالدنيا، **(وأن الملائكة)** عليهم السلام **(لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه)** أي يحملوه **(ما أطاقوه)** أي ما قدروا عليه **(حتى يأتي إسرافيل)** عليه السلام، **(وهو ملك اللوح)** المحفوظ والموكل بالصور أيضاً **(فيرفعه فيقله)** أي يطيق على حمله **(بإذن الله تعالى ورحمته لا بقوّته وطاقته، ولكن الله تعالى طوّقه)** إطاقة **(ذلك واستعمله به)**. وفي بعض النسخ: طوّقه ذلك لما استعمله به، **(ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علوّ درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه وذلك أنه)** أي ذلك البعض من الحكماء **(دعا بعض الملوك)** ولفظ القوت: وبلغنا في الأخبار السالفة أن ولياً من أولياء الله عز وجل من الصديقين ابتعثه في الفترة إلى ملك من الجبابرة يدعوه إلى

عن أمور، فأجاب بما يحتمله فهمه، فقال الملك: أرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس، وأنه كلام الله عز وجل؟ فكيف يطيق الناس حمله؟ فقال الحكيم: إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنواع عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها، لكي يطيقوا حملها. وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته. فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس. ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً والحكمة للصوت نفساً

التوحيد، و **(إلى شريعة الأنبياء، فسأله الملك عن أمور)** ولفظ القوت: عن أشياء من معاني التوحيد، **(فأجاب بما يحتمله فهمه)** ولفظ القوت: فجعل الصديق يجيبه عنها بما يقرب من فهمه ويدركه عقله من ضرب الأمثال بما يستعمله الناس بينهم ويتعارفونه عندهم **(فقال الملك: أرأيت)** ولفظ القوت: إلى أن قال له الملك أفرأيت: **(ما يأتي به الأنبياء إذا ادعيت انه ليس بكلام الناس)** ولا رأيهم، **(وأنه كلام الله)** ولفظ القوت: أمن كلام الله هو؟ قال الحكيم: نعم. قال الملك: **(فكيف يطيق الناس حمله، فقال الحكيم: إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا)** أن **(الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا)** بذلك **(مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بها)** أي بالبهائم **(من النقر والتصفير والأصوات القريبة من أصواتها، لكن تطيق حملها)** ولفظ القوت: فوضعوا لها من النقر والتصفير والزجر ما عرفوا انها تطيق حمله، **(وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما يتراجعون به بينهم من الأصوات التي يسمعون بها الحكمة)** الإلهية **(كصوت النقر والصفير الذي به سمعت الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوأة)** أي المخفية **(في تلك الصفات من أن شرف الكلام لشرفها وعظم لتعظيمها)** هكذا هو في القوت، ويوجد في بعض نسخ الكتاب من أن يشرف الكلام فشرفت الأصوات لشرفها وعظمت لتعظيمها، **(فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً)** أي بمنزلة الجسد والمسكن، **(والحكمة للصوت نفساً وروحاً)**، أي بمنزلة النفس والروح، **(فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان**

وروحاً. فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح، **فكذلك أصوات الكلام تشرف** للحكمة التي فيها، والكلام على المنزلة رفيع الدرجة **قاهر السلطان نافذ الحكم** في الحق والباطل، وهو القاضي العدل والشاهد المرتضي يأمر وينهى. **ولا طاقة للباطل** أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام **شعاع الشمس ولا طاقة** للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط. فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها **فهو** مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت، ودواء الأسقام الذي من سقي منه لم يسقم. فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة، فينبغي أن يقتصر عليه.

الروح) التي فيها، **(فكذلك أصوات الكلام تشرف)** وتكرم للحكمة التي فيها، **(والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل، وهو القاضي العدل)** الذي لا يجور في حكمه، **(والشاهد المرتضى يأمر وينهي، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدّام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة)** أي غايتها وباطنها **(كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس، ولكنهم ينالون من عين الشمس)** وفي القوت: من شعاع الشمس **(ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط، فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها)** كذا في القوت. وفي بعض النسخ: وعنصرها مكنون **(وكالنجوم الظاهرة)** أي المضيئة **(التي قد يهتدي بها من لا يقف)** وفي القوت: من لا يقع **(على سيرها)** وفي القوت علـى سرها فالكلام أعظم وأشرف من ذلك **(فهو مفتاح)** الخزائن النفيسة وباب المنازل العالية ومراقي الدرجات الشريفة، **(وشراب الحياة الذي من شرب منه)** شربة **(لم يمت، ودواء الأسقام الذي من سقي منه)** جرعة **(لم يسقم)** أي لم يمرض زاد صاحب القوت إذا لبسه من لم يتسلخ به أبدى عورته، وإذا تسلخ به غير أهله لم يخرج إلا منهم، ثم قال: فقلت: هذا نقلاً من كلام الصديق الحكيم الذي خاطب به الملك واستجاب له بإذن الله عز وجل، **(فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة، فينبغي أن يقتصر عليه)** ولفظ القوت: فهذا وصف كلام الله عز وجل الذي جعله الله لنا آية وعبرة ونعمة علينا ورحمة، فانظر إلى الحكيم كيف جعل عقول البشر في فهم كلام الله العظيم بمنزلة فهم البهائم والطير بالنقر والصفير إلى عقول البشر، وجعل النقر والصفير والأفهام من

الثاني: التعظيم للمتكلم فالقارىء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم، ويعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر، فإنه تعالى قال: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كل قلب. ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول: هو كلام ربي هـو كلام ربي، فتعظيم الكلام

الناس للأنعام مثلاً لما أفهم الله به الأنام من معاني كلامه الجليل بما ألهمهم فيه من الكلام إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم. فهذه قدرة لطيفة من قدره التي لا تتناهى وحكمة محكمة من حكمه التي لا تتضاهى إنه حكيم عليم.

(**الثاني: التعظيم للمتكلم فالقارىء عند البداية**) أي الابتداء (**بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم**) وجلالته وهيبته، (**ويعلم ان ما يقرأه ليس من كلام البشر وأن في تلاوته كلام الله عز وجل غاية الخطر**) وأن له في تلاوته حسبما له من تعظيمه، والفهم له، والمشاهدة منه، والمعاملة به لأنه من أكبر شعائر الله تعالى في خلقه، وأعظم آياته في أرضه الدالة عليه، وللعبد من التعظيم له بقدر تقواه، وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام على نحو ما أعطي من معرفة المتكلم وهيبته وإجلاله، فإذا عظم المتكلم في قلبه وكبر في همه أنعم تدبر كلامه، وأطال الفكرة في خطابه، وأكثر تكراره وتكريره على نفسه، وأسرع تذكره عند النازلة به والحاجة إليه فاتقى وحذر، ولذلك قال تعالى: ﴿واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٦٣] ﴿كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ [البقرة: ١٨٧] لأن كل كلام موقوف على قائله يعظم بتعظيمه ويقع في القلب بعلو مكانه، أو يهون بسهولة شأنه، فالله تعالى ليس كمثله شيء في العظمة والسلطان وليس ككلامه في الاحكام والبيان، (**فإنه تعالى قال: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾**) [الواقعة: ٧٩] وهو اخبار في معنى الإنشاء والتطهير أعم من تطهير الظاهر والباطن، (**وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس**) له، (**إلا إنْ كان متطهراً**) من الحدث والخبث، (**فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب**) أي قلب التـالي، (**إلا إذا كـان متطهـراً عـن كـل رجس**) معنـوي (**مستنيراً بنـور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه**) على سبيل الاستعاذة (**كل قلب، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل**) المخزومي القرشي أسلم بعد الفتح، وقتل يوم اليرموك وقد روى له الترمذي، ورواية مصعب بن سعد عنه مرسلة: (**إذا نشر المصحف**) بين يديه ليتلو فيه (**غشي عليه**) وبكى (**ويقول: هو**

تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله. فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم، ثم تعظيم الكلام.

الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس. قيل في تفسير: ﴿يا يحيى خُذِ الكِتَابَ بقوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره، وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال: أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن

كلام ربي هو كلام ربي) مرتين، **(فيعظم الكلام بتعظيم المتكلم)** وهيبته وجلاله، **(ولن تحضره عظمة المتكلم)** في نفسه **(ما لم يتفكر في صفاته)** العلى **(وأفعاله)** الجميلة ومعاملاته مع غيره وحسن بلائه لهم، **(فإذا حضر بباله)** من عظيم خليقته **(العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار)** وغيرها من مصنوعاته البديعة، **(وعلم)** وتحقق بشهادة اليقين **(أن الخالق لجميعها)** بأنواعها وأصنافها **(والقادر عليها)** إيجاداً وإعداماً **(والرازق)** والمفيض عليها بأنواع النعم اللائقة بكل منها **(واحد)** أحد لا شريك له، **(وأن الكل في قبضة قدرته)** وأسرة قهره **(مترددون بين فضله ورحمته)** لمن شاء **(وبين نقمته وسطوته)** لمن شاء **(إن أنعم فبفضله)** سبحانه **(وإن عاقب فبعدله)** لا معقب لحكمه **(وأنه الذي يقول هؤلاء)** يعني أهل اليمين **(في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء)** يعني أهل الشمال **(في النار ولا أبالي)** كذا ورد ذلك في الخبر الصحيح، **(وهذا غاية العظمة و)** نهاية **(التعالي)** دقت دونه الأعناق **(فالفكر في أمثال هذا يحضر)** أي يكون سبباً باعثاً لحضور **(تعظيم المتكلم)** في القلب، **(ثم)** ينشأ منه **(تعظيم الكلام.**

الثالث: حضور القلب) وهو عبارة عن حصول الجمعية بحفظ الأنفاس **(وترك حديث النفس)** أجل باعث عليه. **(قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يا يحيى خُذ الكتاب بقوّة﴾ [مريم: ١٢] أي بجد واجتهاد)** ومثله ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ قيل بعمل به، **(وأخذه بالجد)** هو **(أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهم إليه عن غيره)** فلا يخطر له في تلك الحالة سوى ما يتعلق به، **(و)** من هنا **(قيل لبعضهم)** من العارفين: **(إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء)** أي يخطر في بالك حديث نفس؟ **(فقال: أو شيء أحب إليَّ من القرآن أحدث به نفسي)** نقله صاحب القوت.

قلبه فيها أعادها ثانية. وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم، فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان ... أهلاً له. فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في منتزه ومتفرج. والذي يتفرج في المنتزهات لا يتفكر في غيرها، فقد قيل: إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضاً وخانات فالميمات ميادين القرآن، والراءات بساتين القرآن، والحاءات مقاصيره، والمسبحات عرائس القرآن، والحاميات ديابيج القرآن، والمفصل

(**وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها**) أي لم يحصل له حضور القلب عند تلاوتها (**اعادها ثانية**) ليكون قلبه بوصف كل كلمة يتلو مشاهداً لمعناها نقله صاحب القوت (**وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم**) للمتكلم، (**فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس به ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب**) وينشرح له الصدر (**إن كان التالي أهلاً لذلك**) أهلية حقيقية، (**فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج**) والمتنزه على صيغة اسم المفعول البساتين والمواضع البعيدة عن المساكن، والمتفرج على وزنه أعم من ذلك. (**والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها**) فإنه إليها نهاية الاطماع، (**فقد قيل: إن في القرآن ميادين**) جمع ميدان بالكسر وهو الموضع المتسع، (**وبساتين**) جمع بستان بالضم الجنة. قال الفراء عربي. وقال غيره: رومي معرب، (**ومقاصير**) جمع مقصورة وهي العلية في الدار أو جمع قصر على غير قياس، (**وعرائس**) جمع عروس وصف يستوي فيه الذكر والأنثى ما داما في اعراسهما وجمع الرجل عُرُس بضمتين، وجمع المرأة عرائس، (**ودبابيج**) بباءين موحدتين جمع ديباج بالكسر، والأصل دباج بالتضعيف، فأبدل من أحد المضعفين حرف العلة، فهذا يرد في الجمع إلى أصله، وقيل: الياء أصلية فعلى هذا جمعه بياءين تحتيتين وهو ثوب سداه ولحمته ابريسم ويقال هو معرب، (**ورياضاً**) جمع روضة، (**وخانات**) جمع خان وهي التي ينزلها المسافرون، (**فالميمات ميادين القرآن**) كأنه لمناسبة ميم الميدان أو لأن الميم من الحروف الجوفية، وهو على بادي نظر الناظرين وإن كان يرى ضيقاً فهو أوسع من الميدان، (**والراءات بساتين القرآن**) كأنه لمناسبة راء الراحلة فإن الإنسان يرتاح إلى البساتين، وفي ذكر الراء بعد الميم إشارة إلى الخروج من الضيق إلى الفضاء، (**والحامدات مقاصيره**) والحمد منها السور المبدوءة بالحمد لله أو الآيات التي فيها ذكر الحمد، (**والمسبحات عرائس القرآن**) وهي السور المبدوءة بالتسبيح، وإنما شبهت بالعرائس لما لها من العز بين قومها ومن هنا قالوا: كاد العروس أن يكون ملكاً. (**والحواميم**) وفي نسخة وآل حم وفي أخرى والحاميات (**دبابيج القرآن**) شبهت بها لما في ظاهرها وباطنها من لباب الحكم كما أن الديباج سداه ولحمته ابريسم، (**والمفصل رياضه**) لما فصل فيه من أنواع الأحكام والقصص والأمثال فهي كالرياض فيها أنواع الفواكه والثمار، (**والخانات ما سوى ذلك**) ينزل فيها السالكون في طريق الله بفهم أسرارها

رياضه، والخانات ما سوى ذلك، فإذا دخل القارىء الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره.

الرابع: التدبر وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن، ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره. والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سنّ فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن. قال علي رضي الله عنه: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها. وإذا لم يتمكن من التدبر

واستنباط معانيها من باب الاعتبار، ولا يقفون عندها طلباً للترقي كما أن الخان ينزله المسافر لكي يستريح ليلته، فإذا أصبح سافر، **(فإذا دخل القارىء)** ولفظ القوت: فإذا جال المريد في **(الميادين)** بأن تحرك بهمته في قطع مفاوزها، **(وقطف من البساتين)** أنواع ثمارها، **(ودخل المقاصير)** والعلالي المشرفة فيها، **(وشهد العرائس)** وجلوتها، **(ولبس الديابيج)** أي حللها على أكتافه، **(وتنزه في الرياض)** وتفرج فيها، **(وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب)** أي لم يغب **(قلبه ولم يتفرق فكره)** ولفظ القوت: اقتطعه ووافقه ما يراه وشغله الشاهد به عما سواه.

(الرابع: التدبر) معناه النظر في دبر الأمور ـ أي عواقبها وهو قريب من التفكر إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب **(وهو وراء حضور القلب فإنه قد)** يتفق أنه **(لا يتفكر في غير القرآن، ولكنه يقتصر على سماع من نفسه)** حال تلاوته **(وهو لا يتدبره، والمقصود من القرآن التدبر)** في معانيه، **(ولذلك سن فيه الترتيل)** وهو رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف أو هو حفظ الصوت والتحزن بالقراءة على ما سبق بيانه، **(لأن الترتيل في الظاهر)** إنما سنّ **(ليتمكن من التدبر في الباطن. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها)** كذا أورده صاحب القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي، حدثنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم بن الحكم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا شجاع بن الوليد، عن زياد بن خشبة، عن إسحاق، عن عاصم بن حمزة عن علي قال: « لا خير في قراءة لا علم فيها ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في عبادة لا تدبر فيها ».

وقال ابن عبد البر في جامع العلم: حدثنا عبد الرحمن بن يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا محمد بن زبان، حدثنا الحرث بن مسكين، حدثنا ابن وهب، أخبرني عقبة بن نافع، عن إسحاق بن أسيد، عن أبي مالك وأبي إسحاق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ألا أنبئكم بالفتية كل الفتية؟ قالوا: بلى » الحديث وفيه: « ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه

إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئاً مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه. وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس. فقد روي عن عامر بن عبد قيس أنه قال: الوسواس يعتريني في الصلاة. فقيل: في أمر الدنيا؟ فقال: لأن تختلف فيّ الأسنّة أحب إليّ من ذلك، ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل وأني كيف أنصرف فعدَّ ذلك وسواساً وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه، والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني، ولكن يمنعه به عن الأفضل. ولما ذكر ذلك للحسن قال: إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا. ويروى: «أنه ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة» وإنما

ولا علم ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر» وقال ابن عبد البر: لا يأتي هذا الحديث مرفوعاً إلا من هذا الوجه وأكثرهم يوقفونه على علي رضي الله عنه.

(**وإذا لم يتمكن من التدبر**) في الآية (**إلا بترديد فليردد**) فإنه مطلوب (**إلا أن يكون خلف إمام فإنه**) يمنع من ذلك حينئذ إذ (**لو بقي**) المأموم (**في تدبر آية**) تلاها الإمام، (**وقد اشتغل الإمام بآية أخرى**) انتقل إليها (**كان مسيئاً**) في تردده فيها، ومثله (**مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه**). وهذا يدل على قصوره في عمله، (**وكذلك إذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها**) إمامه أو هو بنفسه (**فهو وسواس**) يحترز منه لأنه مأمور إذ ذلك بإتيان ما يناسب فيه من الأذكار والتسبيح، (**فقد روي عن عامر بن عبد قيس**) الزاهد. روى عنه أبو مجلز أخرج له النسائي (**أنه قال**) يوماً لأصحابه: (**الوسواس يعتريني في الصلاة. فقيل في أمر الدنيا؟ فقال: لأن تختلف في الأسنّة**) جمع سنان وهو من الرمح معروف (**أحبّ إليّ من ذلك، ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل وأني كيف انصرف**) أي من المقبولين من أهل اليمين أو خلاف ذلك (**فعدَّ ذلك وسواساً**) مع أنه تفكر في أمر ديني، (**وهو كذلك**) أي كما قاله، (**فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه**) من أمر الصلاة، (**والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني لكن يمنعه بذلك من الأفضل**) وهي دسيسة خفية من الشيطان يدس بها على أكثر السالكين، (**ولما ذكر ذلك**) أي قول عامر بن عبد قيس (**للحسن**) البصري رحمه الله (**قال: إن كنتم صادقين عنه**) في نقله (**فما اصطنع الله ذلك عندنا. وروي «أن رسول الله ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة»**) كذا في القوت.

قال العراقي: رواه أبو ذر الهروي في معجمه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف انتهى.

قلت: كأنه يشير إلى أنه أخرجه من طريق أبي الشيخ الأصبهاني في كتابه أخلاق النبي ﷺ

رددها ﷺ لتدبره في معانيها. وعن أبي ذر قال: قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُم فإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية. وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]

من طريق روح بن مسافر، عن محمد بن الملائي، عن أبيه، عن أبي هريرة، أو عن محمد عن أبي هريرة قال: «صحبت النبي ﷺ في سفر في ليلة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فبكى حتى سقط فقرأها عشرين مرة كل ذلك يبكي حتى يسقط ثم قال في آخر ذلك: لقد خاب من لم يرحمه الرحمن الرحيم»

روح أبو بشر كناه البخاري وغيره وكناه لوين أبا المعطل وهو أحد المتروكين. تركه ابن المبارك وأحمد وابن معين. قال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه.

(وإنما رددها لتدبره ﷺ في معانيها) فإنها تتضمن جميع أسرار القرآن وفي القوت: فكان له في كل ذلك فهم، ومن كل كلمة علم.

(وعن أبي ذر) الغفاري **(رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾)** [المائدة: ١١٨] قال العراقي: رواه النسائي وابن ماجه بسند صحيح اهـ.

قلت: قال الضياء المقدسي صاحب المختارة، أخبرنا أبو زرعة اللفتواني، أخبرنا الحسين بن عبد الملك، أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن، أخبرنا جعفر بن عبدالله، حدثنا محمد بن هارون، حدثنا محمد بن بشار وعمرو بن علي قالا: حدثنا يحي بن سعيد، وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي حدثنا مروان بن معاوية، ويحي بن سعيد قالا: حدثنا قدامة بن عبدالله، وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن قدامة العامري، عن حسبرة بنت دجاجة العامرية قالت: حدثنا أبو ذر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي يقرأ آية واحدة الليل كله حتى أصبح يقوم بها ثم يركع ويسجد فقال القوم لأبي ذر أية آية؟ فقال: ﴿ان تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ هذا لفظ أبي عبيد وساقه الإمام أحمد مختصراً وأعاده مطوّلاً جداً.

وأخرجه أيضاً عن واسع، عن قدامة نحو رواية أبي عبيد. وأخرجه ابن خزيمة، وابن ماجه جميعاً عن يحي بن حكيم، عن يحي بن سعيد نحو رواية أبي عبيد، وله شاهد أخرجه أحمد أيضاً من حديث أبي سعيد مختصراً، وأخرجه سعيد بن منصور من مرسل أبي المتوكل الناجي ورواته ثقات.

(وقام تميم) بن أوس **(الداري)** رضي الله عنه **(ليلة بهذه الآية: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية)** [الجاثية: ٢١] رواه أبو عبيد في الفضائل، وابن أبي داود في الشريعة، ومحمد بن نصر في قيام الليل، والطبراني في الدعاء.

أما أبو عبيد فقال: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة، عن عمر بن مرة، عن أبي الضحى،

الآية. وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية: ﴿وامْتَازُوا اليَـومَ أَيُّهَـا الْمُجْـرِمُـونَ﴾

عن مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته بات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يتلو آية، ويركع ويسجد، ويبكي ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إلى قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾.

ورواه أيضاً عن هشام عن حصين بن عبد الرحمن، عن أبي الضحى فذكر نحوه.

وأما ابن أبي داود فرواه عن سهل بن صالح، عن يزيد بن هارون نحوه، ورواه أيضاً عن إسحاق بن شاهين، عن هشام.

وأما محمد بن نصر فرواه عن بندار، عن غندر، حدثنا شعبة.

وأما الطبراني فقال: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا غندر فساقه. وهو أثر صحيح لولا الرجل المكي الذي لم يسمّ لكان على شرط الصحيح.

(وقام سعيد بن جبير ليلة بهذه الآية يرددها ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾)
[يس: ٥٩] كذا في القوت.

والذي في كتاب الفضائل لأبي عبيد حدثنا أبو الأسود هو النضر بن عبد الجبار، عن ضمام بن إسماعيل، عن المعلى، عن رجل قال: كنت بمكة فلما صليت العشاء فإذا رجل أمامي أحرم بنافلة، فاستفتح ﴿إذا السماء انفطرت﴾ فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر، فسألت عنه، فإذا هو سعيد بن جبير.

قلت: وقد جاء نحو ذلك من ترديد الآيات في الصلاة عن عبدالله بن مسعود، وعن عائشة، وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم.

أما ابن مسعود، فأخرج أبو عبيد، عن معاذ بن معاذ العنبري، عن عبدالله بن عون، حدثني رجل من أهل الكوفة قال: صلى عبدالله بن مسعود ليلة فذكروا ذلك فقال بعضهم: هذا مقام صاحبكم بات هذه الليلة يردد هذه الآية حتى أصبح. قال ابن عون: بلغني أنها ﴿ربِّ زدني علماً﴾ [طه: ١١٤].

وأخرجه ابن أبي داود بسند صحيح، عن ابراهيم عن علقمة قال: صليت إلى جنب عبدالله فافتتح سورة طه، فلما بلغ ﴿رب زدني علماً﴾ قال: رب زدني علماً رب زدني علماً.

وأما أثر أسماء فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: دخلت على أسماء بنت أبي بكر وهي تصلي تقرأ هذه الآية: ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ [الطور: ٢٧] فقمت فلمّا طال عليَّ ذهبت إلى السوق ثم رجعت وهي مكانها وهي تكرر الصلاة. وهو موقوف رجاله ثقات من رواية الصحيحين، لكن اختلف فيه على هشام. فأخرجه أبو عبيد، ومحمد بن أبي عمر العوفي، وأبو داود جميعاً من طريق أبي معاوية، عن هشام فقال: عن عبد

[يس : ٥٩] ، وقال بعضهم : إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر . وكان بعضهم يقول : آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعدّ لها ثواباً . وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال : إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها . وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها . وقال بعض العارفين : لي في كل جمعة ختمة .

الوهاب بن يحيى بن حمزة عن أبيه عن جدته أسماء فذكر نحوه. ويحتمل أن يكون لهشام فيه طريقان.

وأما اثر عائشة فأخرجه ابن أبي داود من طريق شيبة بن نصاح، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: غدوت يوماً على عائشة وهي تصلي الضحى فإذا هي تقرأ هذه الآية ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ [الطور : ٢٧] وهي تبكي وترددها ، فقمت حتى مللت فذهبت إلى السوق، ثم رجعت فإذا هي ترددها وتبكي.

ومما جاء في ذلك عن التابعين قال عبد الله بن أحمد في زيادات المسند : حدثنا زياد بن أيوب ، عن علي بن يزيد الصدائي ، حدثنا عبد الرحمن بن عجلان ، حدثنا نسير بن ذهاو وقال : بات الربيع ابن خيثم ذات ليلة وقام يصلي فمر بهذه الآية ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ الى قوله ﴿ساء ما يحكمون﴾ [الجاثية : ٢١] فجعل يرددها حتى أصبح.

وقال أبو عبيد : حدثنا قدامة أبو محمد ، عن امرأة من آل عامر بن عبد قيس أن عامر بن عبد قيس قرأ ليلة سورة المؤمن ، فلما انتهى إلى هذه الآية ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ [غافر : ١٨] فلكم فلم يزل يرددها حتى أصبح.

وأخرج محمد بن نصر في قيام الليل من طريق هارون بن رياب أنه قرأ هذه الآية : ﴿فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا﴾ [الأنعام : ٢٧] فجعل يبكي ويرددها حتى أسحر.

وأخرج ابن أبي داود عن جماعة من التابعين أشياء نحو ذلك.

(وقال بعضهم: اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الصبح) وما قضيت منها وهي كذا في القوت ، **(وكان بعضهم يقول كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعدّ لها ثواباً)** كذا في القوت ، وكان بعضهم إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية ، وقد ذكره المصنف قريباً.

(وحكي عن أبي سليمان الداراني) رحمه الله **(أنه قال: إني لأتلو الآية فاقيم فيها أربع ليال وخمس ليال، ولولا أني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها)** نقله صاحب القوت ، **(و)** روينا **(عن بعض السلف انه بقي في سورة هود يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها)** كذا في القوت . **(وقال بعض العارفين: لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة، وفي كل**

وفي كل شهر ختمة. وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد، وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا أيضاً يقول: أقمت نفسي مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة.

الخامس: التفهم: وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار.

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السَّمِيع البصير﴾ [الشورى: ١١]، وكقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ القُدُوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ العَزِيزُ الْجَبَّارُ

سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد) يعني ختمة التفهم والمشاهدة نقله صاحب القوت، **(وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه)** أي بحثه واستنباطه للمعاني، **(وكان هذا)** أي قائل القول الذي سبق **(يقول)** أيضاً **(أقمت نفسي)** في العبودية **(مقام الأجراء)** جمع أجير وهو من يستعمل نفسه بالأجرة **(فأنا أعمل مياومة)** وهي معاملة يوم بيوم، وفي بعض النسخ موايمة وهي لغة العامة **(ومشاهرة)** وهي معاملة الشهر إلى الشهر، **(ومجامعة)** وهي معاملة الجمعة إلى الجمعة ولم يسمع استعماله عن العرب، **(ومسانهة)** وهي معاملة السنة إلى السنة، ويقال فيه أيضاً المسانهة والمعاومة ولم يسمع المحاولة، والسنة محذوفة اللام وفيها لغات: احداها: جعل اللام هاء وتبنى عليها تصاريف الكلمة، والاصل سنهة كسجدة وعامله مسانهة من ذلك.

(الخامس: التفهم وهو) وصول المعنى إلى فهم التالي بواسطة اللفظ، والمراد منه **(ان يستوضح)** ويستكشف **(عن)** معنى **(كل آية)** مما يتلوها **(ما يليق بها)** على حسب قوته في معرفته **(إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل، وذكر أفعاله، وذكر أحوال الانبياء)** عليهم السلام، **(وذكر أحوال المكذبين لهم)** من المحجوبين، **(وأنهم كيف أهلكوا)** بتكذيبهم للرسل **(و)** على **(ذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار، أما صفات الله تعالى فكقوله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] وكقوله تعالى ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ [الحشر: ٢٣].**

اعلم أن المصنف قدس سره قد ذكر في آخر كتاب (المقصد الأسنى)أن الأسماء الحسنى والصفات العلى المذكورة في القرآن يرجع جميعها إلى سبع صفات التي هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، ومجموعها يرجع إلى ما يدل على الذات أو على الذات مع سلب، أو على الذات مع إضافة، أو على الذات مع سلب وإضافة، أو على واحد من الصفات السبعة، أو على صفة وسلب وإضافة، أو إلى صفة مع زيادة إضافة، أو على صفة وإضافة وسلب، أو صفة سلب وإضافة، أو على صفة فعل، أو على صفة فعل وإضافة أو سلب، فهذه عشرة أقسام فلا تخرج هذه الأسماء عن مجموع هذه الأقسام.

المتكبّرُ﴾ [الحشر : ٢٣] ، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين . وإليه أشار علي رضي الله عنه بقوله : ما أسرّ إلى

فإذا علمت ذلك فالذي ذكره المصنف هنا من الصفات السميع والبصير وهما من القسم الخامس ، وهو ما يرجع إلى صفة . والملك والعزيز من القسم الرابع وهو ما يرجع إلى الذات مع سلب وإضافة ، والقدوس والسلام من القسم الثاني ، وهو ما يدل على الذات مع سلب ، والمؤمن والمهيمن والجبار والمتكبر من القسم السابع ، وهو ما يرجع إلى القدرة مع زيادة اضافة .

(فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لتنكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين) أي الذين وفقهم الله تعالى لفهمها ، فكان له حظ وافر من معانيها .

وأما من تلاها لفظاً أو سمعها وفهم في اللغة تفسيرها ووضعها واعتقد بالقلب معناها لله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة ليس له ان يتبجح بما ناله ، فإن سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التي بها تدرك الأصوات ، وهذه رتبة تشاركه فيها البهائم . وأما فهم وضعه في اللغة فلا يستدعي إلاّ معرفة العربية ، وهذه رتبة يشاركه فيها الأديب اللغوي بل الغبي البدوي ، وأما ثبوت معناه لله تعالى من غير كشف فلا يستدعي إلا فهم معاني هذه الألفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشاركه فيها العامي بل الصبي فإنه بعد فهم الكلام إذا ألقي إليه هذه المعاني تلقاها وتلقنها واعتقدها بقلبه وصمم عليها . وهذه درجات أكثر العلماء فضلاً عن غيرهم ، ولا ينكر فضل هؤلاء بالإضافة إلى من لم يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث . ولكنه نقص ظاهر بالاضافة إلى ذروة الكمال ، فإن حسنات الابرار سيئات المقربين ، بل حظوظ المقربين الموفقين من معاني هذه الأسماء والصفات ، ثلاثة :

الحظ الأول : معرفة هذه على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى تتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ ، وينكشف لهم اتصاف الله تعالى بها انكشافاً يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنه لا باحساس ظاهره .

الحظ الثاني : من حظوظهم استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام تشوّفهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليتقربوا بها من الحق قرباً بالصفة لا بالمكان ، فيأخذوا من الاتصاف بها شبهاً بالملائكة المقربين عند الله تعالى ، ولن يتصور أن يمتلىء القلب باستعظام صفة واستشرافها إلا ويتبعه شوق إلى تلك الصفة ، وعشق لذلك الكمال والجلال ، وحرص على التحلي بذلك الوصف إن كان ذلك ممكناً للمتعظم بكماله ، فإن لم يمكن بكماله فينبعث الشوق إلى القدر الممكن منه لا محالة ولا يخلو عن الشوق أحد إلا لأحد أمرين إما لضعف المعرفة واليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال ، وإما لكون القلب ممتلئاً بشوق آخر مستغرقاً به ، والتلميذ إذا شاهد كمال أستاذه في العلم انبعث شوقه إلى التشبه والاقتداء به إلا اذا كان ممنوعاً بالجوع مثلاً ، فإن الاستغراق بشوق القوت ربما يمنع انبعاث شوق العلم ، ولهذا ينبغي أن

رسول الله ﷺ شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله عز وجل عبداً فهماً في كتابه، فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأوّلين والآخرين فليثور القرآن. وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلاّ أموراً لائقة بأفهامهم، ولم يعثروا على أغوارها.

وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها. فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته،

يكون الناظر في صفات الله تعالى خالياً بقلبه عن إرادة ما سوى الله تعالى، فإن المعرفة بذر الشوق ولكن مهما صادف قلباً خالياً عن حسيكة الشهوات فإن لم يكن خالياً لم يكن نيراً منجحاً.

الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب، فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق تعالى.

(وإلى ذلك أشار علي) بن أبي طالب **(رضي الله عنه في قوله ما أسّر إلي رسول الله ﷺ شيئاً كتمه عن الناس، إلا أن يؤتي الله تعالى فهماً في كتابه)**.

قال العراقي: رواه النسائي من رواية أبي جحيفة قال: « سألنا علياً رضي الله عنه فقلنا: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن؟ فقال: لا. والذي خلق الجنة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عز وجل فهماً في كتابه » الحديث وهو عند البخاري بلفظ « هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال مرة: « ليس عند الناس » ولأبي داود والنسائي فقلنا: « هل عهد عندك رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس؟ فقال: لا إلا ما في كتابي » الحديث ولم يذكر الفهم في القرآن.

(وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن) كذا في القوت، والتثوير التحريف. وفي بعض الروايات فليثر القرآن من الإثارة وهو معناه، وتقدم أن قول ابن مسعود هذا قد رواه الديلمي عن أنس بن مالك مرفوعاً.

(وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بافهامهم). فمنهم من اكتفى بسردها وتلاوتها وفهم معناها اللغوي واثبات ذلك لله تعالى، ومنهم من ترقى عن ذلك وكل ذلك حوم حواليها من غير كشف إلهي وهو قصور كما سبقت الإشارة إليه قريباً. **(ولم يعثروا)** أي لم يطلعوا **(على أغوارها)** أي على حقائقها الجلية ودقائقها المخفية.

(وأما أفعاله تعالى فذكره خلق السموات والأرض وغيرها) كالجبال والبحار، **(فليفهم التالي من ذلك صفات الله تعالى وجلاله)** وعظمته وكمال قدرته **(إذ الفعل يدل على الفاعل)** وهو الذي صدر منه الفعل **(فتدل عظمته على عظمته)** وجلاله على جلاله، **(فينبغي أن**

فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله. فهو الكل على التحقيق. ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا

يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه وإليه وبه وله).

اعلم أن معرفة الله سبحانه بطريق الأسماء والصفات والأفعال بالكمال في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى إلا إذا علمنا ذاتاً عالمة فقد علمنا شيئاً مبهماً لا ندري حقيقته لكن ندري أن له صفة العلم، وإن كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بأنه عالم أيضاً علماً تاماً بحقيقة هذه الصفة، وإلا فلا. ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى إلا من له مثل علمه وليس ذلك إلا له فلا يعرفه سواه تعالى، وإنما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه، وعلم الله تعالى لا يشبه علم الخلق البتة فلا تكون معرفته به معرفة تامة حقيقة أصلاً. بل ايهامية تشبيهية. وكذلك الحاصل عندنا من قدرة الله تعالى وانه وصف ثمرته واثره وجود الاشياء وينطلق عليه اسم القدرة لأنه يناسب قدرتنا مناسبة لذة الجماع لذة السكر، وهذا كله بمعزل عن حقيقة تلك القدرة. نعم كلما ازداد العبد إحاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع في ملكوت الأرض والسموات كان حقه من معرفة صفة القدرة أوفر، لأن الثمرة تدل على المثمر، فهذا معنى قول المصنف: إذ الفعل يدل على الفاعل، وإلى هذا يرجع تفاوت العارفين في معرفة الله تعالى، فمن قال: لا أعرف إلا الله فقد صدق، ومن قال: لا أعرف الله فقد صدق، فإنه ليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله، فإذا نظر إلى أفعاله من حيث هي أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث أنها سماء وأرض وشجر، بل من حيث أنها صنعة فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية، فيمكنه أن يقول ما أعرف إلا الله ولا أدري إلا الله، وهذا معنى قول المصنف: فمن عرف الحق رآه في كل شيء الخ. ولو تصور شخص لا يرى إلا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح أن يقول ما أرى إلا الشمس فإن النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجاً عنها، وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الأزلية، وأثر من آثارها. وكما ان الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير، فكذلك المعنى الذي قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الأزلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود فليس في الوجود إلا الله.

(فهو الكل على التحقيق) ومنه قول بعض العارفين: كل شيء [1] فيه كل شيء. **(ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه)**، فصاحب هذا المقام هو الذي يقول لا أعرف الله وهو صادق، كما أن قائل القول الأول صادق أيضاً ولكن هذا بوجه وذلك بوجه فلا تناقض، **(ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن كل شيء هالك إلا بوجهه)** اعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم، لأنه مظلم وسمي مظلماً لأنه ليس يظهر للأبصار إذ ليس كل موجود يصير موجوداً،

---

(١) لعل هنا سقطاً اهـ. من هامش الأصل.

وجهه. لا أنه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وبقدرته، فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض. وهذا مبتدأ من مبادىء علم المكاشفة. ولهذا

للبصر، مع أنه موجود في نفسه، فالذي ليس موجوداً لا بنفسه ولا بغيره كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور، فإن الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره والوجود بنفسه أيضاً ينقسم إلى ما الوجود له من ذاته، وإلى ما الوجود له من غيره وماله الوجود من غيره موجود مستعار لا قوام له بنفسه، بل إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإنما هو وجوده من حيث نسبته إلى غيره، وذلك ليس بوجود حقيقي، ومن هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى قلاع التحقيق، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله، وان كل شيء ما خلا الله باطل، وان كل شيء هالك إلا وجهه **(لا أنه سيبطل)** ويهلك **(في حال ثان)** أي في وقت من الأوقات **(بل هو الآن باطل)** وهالك أزلاً وأبداً لا يتصوّر إلا كذلك. فإن كل شيء **(إن اعتبر ذاته من حيث هو)** أي من حيث ذاته فهو عدم محض، **(إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وقدرته)** أي من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول، **(فيكون له بطريق التبعية ثبات)** أي يرى موجوداً لا في ذاته. لكن من الوجه الذي يلي موجـده فيكون الموجود اصالة وجه الله فقط، **(وبطريق الاستقلال)** والاصالة **(بطلان محض)** ولكل شيء وجهان. وجه إلى نفسه، ووجه إلى ربه، فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود، فإذاً لا موجود إلا الله ووجههفإذا كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبداً. ولم يفتقر هؤلاء إلى قيام القيامة ليسمعوا نداء الباري: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦]، بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً.

(وهذا) الذي ذكر **(مبدأ من مبادىء علوم المكاشفة)** ووراء ذلك أسرار يطول الخوض فيها، فوجه في كل ذي وجه إليه فأينما تولوا فثم وجه الله فإذا لا اله إلا هو فلا هو إلا هو لأن هو، لأن هو عبارة عما إليه إشارة، وكيفما كان فلا إشارة إلا إليه، بل كلما أشرت اليه فهو بالحقيقة إشارة إليه وإن كنت لا تعرفه أنت بغفلتك، فكل ما في الوجود فنسبته إليـه في ظـاهـر المثـال، كنسبـة النـور إلى الشمس، فإذا لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا هو إلا هو توحيد الخواص، لأن هذا أدخل لصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة، ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية، فليس وراء ذلك مرقى إذ المرقى لا يتصور إلا بكثرة فإنه نوع إضافة يستدعي ما منه الارتقاء وما إليه الارتقاء. وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة، فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتفع، فاستحال الترقي واستحال العروج، فليس وراء الأعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج، فإن كان من تغير حال فبالنزول إلى السماء الدنيا. أعني بالاشراف من علو إلى أسفل لأن الأعلى له أسفل وليس له أعلى، فهذا غاية الغايات ومنتهى

ينبغي إذا قرأ التالي قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُم ما تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُم ما تَمنُون﴾ [الواقعة: ٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الماء الذي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُم النَّار التي تُورون﴾ [الواقعة: ٧١] فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتأمل في المني وهي نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ أنّا خَلَقناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإذَا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ﴾ [يس: ٧٧] فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى أعجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع.

الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجهله، وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون، وأرى الآن قبض عنان البيان فما أراك تطيق من هذا الفن أكثر من هذا المقدار.

(**ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قول الله تعالى ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ [الواقعة:٦٣] ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ [الواقعة: ٥٨] ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون﴾ [الواقعة: ٦٨] ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ [الواقعة: ٧١] فلا يقصر نظره على الماء والحرث والنار والمني بل يتأمل في**) كل من هؤلاء ما يوصله إليه فهمه من عجائب صنع الله فيه مثل أن يتأمل في (**المني وهو نطفة متشابهة**) وفي نسخة متناسبة (**الاجزاء ثم**) ينتقل و (**ينظر**) نظر تأمل (**في كيفية انقسامها إلى**) كل من (**اللحم والعظم والعروق والعصب و**) يتأمل في (**كيفية تشكل الاعضاء بها بالاشكال المختلفة**) الأنواع (**من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها**) وهذا على طريق الاجمال، (**ثم**) يتأمل وينظر (**إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها**) كالنطق والمعرفة والادراك والحياة والسخاء والحلم وغير ذلك، (**ثم**) ينظر (**إلى ما ظهر منها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر**) والعجب (**والجهل والتكذيب والمجادلة**) وغيرها (**كما قال تعالى ﴿أو لم يرَ الإنسان إنَّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾**) [يس: ٧٧] إلى آخر السورة.

روى ابن أبي حاتم عن السدي أن هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، وكذا رواه عبد بن حميد عن عكرمة، وابن المنذر عن مجاهد، وابن جرير عن قتادة، وسعيد بن منصور عن أبي مالك، وابن مردويه عن أبن عباس، وقيل: في العاص بن وائل. رواه الحاكم والإسماعيلي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس، وقيل: في أبي جهل رواه ابن مردويه عن أبن عباس.

(**فليتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى أعجب العجائب وهو الصنعة**) المحكمة (**التي صدرت منها هذه الأعاجيب، فلا يزال ينظر إلى الصنعة ويرى الصانع**) جل وعز فلا يرى

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام، فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئاً وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق.

وأما أحوال المكذبين؛ كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب اغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية، وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها، لأن ذلك لا نهاية

في الوجود إلا الواحد الحق، ثم منهم من تكون له هذه الرؤية عرفاناً علمياً، ومنهم من يصير له ذوقاً وحالاً وحينئذ يحصل لهم الاستغراق بالفردانية المحضة، وتنتفي عنهم الكثرة بالكلية، ولا يبقى فيهم متسع لذكر غير الصانع ولا لذكر أنفسهم أيضاً فاعرف ذلك.

(وأما أحوال الانبياء عليهم السلام فإذا سمع منها انهم كيف كذبوا) فيما بلغوه من رسالات ربهم إليهم **(و)** كيف **(ضربوا)** وأوذوا، **(وقتل بعضهم)** كيحيي بن زكريا عليه السلام وغيره فليفهم منه **(صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليه)** إذ الغني هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته، بل يكون منزهاً عن العلاقة مع الاغيار فمن تعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته يتوقف عليه وجوده وكماله فليس بغني. وقد ثبت غناه عن كل شيء فلا افتقار له إلى الرسل ولا إلى المرسل إليه أولئك الرسل **(وأنه لو اهلك جميعهم لم يؤثر ذلك في ملكه)** خللاً لكمال غنى ذاته وغنى صفاته، **(وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر)** وعصمتهم من أعدائهم، **(فليفهم قدرة الله تعالى)** الباهرة **(وارادته لنصرة الحق)** حيث كان وإنه إنما نصرهم الله تعالى لكونهم قائمين باداء الحق ونصرته، فليفهم السالك من هذا انه إذا ثبت على الحق فلن يعدم من ناصر له عليه.

(وأما أحوال المكذبين) لرسل الله عليهم السلام **(كعاد وثمود)** وفرعون واضرابهم **(وما جرى عليهم)** من ضروب نقم الله تعالى بانواع الهلاك، **(فليكن فهمه من ذلك استشعار الخوف من سطوة الله تعالى)** وقهره **(ونقمته)** من جنس ما أهلكوا به، **(وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه)** خاصة، **(وأنه ان غفل)** عن طاعة الله تعالى **(وأساء الأدب)** لمخالفته لاوامر الله تعالى، **(واغتر بما أمهل)** في دنياه ممتعاً بجواسه وحشمه وخدمه مفاضاً عليه الخيور، **(فربما تدركه)** صاعقة **(النقمة)** القهرية **(وتنفذ فيه القضية وتحق فيه كلمة الله فلا يجد عن ذلك محيداً ولا لأحواله شفيعاً، وكذلك** إذا سمع وصف **الجنة والنار)** وما أعد الله فيهما من أنواع الثواب وأجناس العقاب، **(و)** كذلك **(سائر ما في القرآن)** من وعد ووعيد رجاء

له، وإنما لكل عبد منه بقـدر رزقه ﴿فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩]. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مداداً لكلماتِ رَبِّي لَنَفدَ البَحْرُ قبل أن تَنْفدَ كلماتُ ربِّي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ [الكهف: ١٠٩] ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب.

وخوف وتضرع وتبرىء وابعاد وتقريب وتوبيخ وعتاب وتأمين وإمهال، فليكن حظ التالي من كل ذلك ما يهديه إليه فهمه من المعاني المناسبة للمقام، **(فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأنه لا نهاية له)** وحسنه لا تنقضي عجائبه، **(وإنما لكل عبد منه بقدر ما رزق)** فيه من الفهم الصحيح **(﴿فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾)** [الأنعام: ٥٩]، وفيه علم الأولين والآخرين.

قال الشيخ الاكبر قدّس سره في كتاب الشريعة: البرودة أصل فاعلي والحرارة أصل فاعلي والرطوبة واليبوسة فرعان منفعلان، فتبعت الرطوبة البرودة لكونها منفعلة عنها، فلهذا تكوّنت الفضة على النصف من زمان تكوين الذهب لأن المدة لحصول كمال الورق ثماني عشرة ألف سنة وهو نصف زمان كمال الذهب، وهو ستة وثلاثون ألف سنة، ولما كان المنفعل يدل على الفاعل ويطلبه بذاته، لهذا استغنى بذكر المنفعل عن ذكر ما انفعل عنه لتضمنه اياه فقال ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩] ولم يذكر ولا حار ولا بارد وهذا من فصاحة القرآن واعجازه، وحيث علم ان الذي أتى به وهو محمد ﷺ لم يكن ممن اشتغل بالعلوم الطبيعية، فيعرف هذا القدر فعلم قطعاً أن ذلك ليس من جهته ﴿وانه تنزيل من حكيم حميد﴾ وأن القائل بهذا عالم وهو الله تعالى فعلم النبي ﷺ كل شيء بتعليم الله واعلامه لا بفكره ونظره وبحثه فلا يعرف مقدار النبوّة إلا من أطلعه الله على مثل هذه الأمور.

(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) [الكهف: ١٠٩] روى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كلمات ربي يقول علم ربي، وروى ابن أبي حاتم عن قتادة قال قبل أن تنفد كلمات ربي يقول: ينفد ماء البحر قبل أن ينفد كلامه وحكمه.

(ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب) نقله صاحب القوت، وابن أبي جمرة في شرحه على المختصر. قال: وبيان ذلك أنه إذا قال الحمدلله رب العالمين يحتاج إلى تبيين معنى الحمد وما يتعلق بالإسم الجليل الذي هو الله، وما يليق به الإسم الجليل من التنزيه ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهي ألف عالم. أربعمائة في البر وستمائة في البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كله، فإذا قال ﴿الرحمن الرحيم﴾ يحتـاج إلى بيان الاسمين الجليلين، وما يليق بهما من الجلال وما في معناهما، ثم يحتاج إلى بيان جميع الأسماء والصفات، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما، فإذا قال ﴿مالك يوم الدين﴾ يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال، وكيفية مستقره، فإذا قال ﴿أياك نعبـد واياك نستعين﴾ يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته والعبادة

فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: ﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمعُ إلَيْكَ حتَّى إذَا خَرَجُوا من عِنْدِكَ قَالُوا لِلّذِينَ أوتُوا العِلْمَ مَاذَا قَال آنِفاً أولَئِكَ الّذِين طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ [محمد ﷺ: ١٦] والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم، وقد قيل: لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد.

السادس: التخلي عن موانع الفهم، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن. قال ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت» ومعاني

وكيفيتها وصفتها وآدابها، فإذا قال ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان الهداية ما هي والصراط المستقيم، واضداده وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم، وتبيين المرضي عنهم وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله علي من هذا القبيل اهـ.

(**فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم ليفتح بابه**) للسالكين، (**فأما الاستقصاء**) والاشراف على الاغوار (**فلا مطمع فيه**) لأحد (**ومن لم يكن له فهم ما في القرآن**) من المعاني والاسرار، (**ولو في أدنى الدرجات دخل في**) حكم قوله تعالى (﴿**ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً**) ومثله مثل من سمع وقلبه مشغول عن المسموع بما يضره عما ينفعه، حتى إذا خرج عن الكلام سأل من حضر بقلبه ماذا فهم من الخطاب الذي كان هو عنه بغفلته قد غاب وقد كان حاضراً بجسمه (**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم**﴾)[محمد ﷺ :١٦] أي عن فقه الخطاب فلم تسمعه القلوب ولم تعه واتبعوا أهواءهم يعني أباطيلهم وظنونهم الكاذبة. (**والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم**) بعد هذا، (**وقد قيل لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد**) نقله صاحب القوت عن بعض العارفين.

(**السادس: التخلي عن موانع الفهم**) أي الاعراض عن الأمور التي هي أسباب للمنع عن الفهم في القرآن (**فإن أكثر الناس**) إنما (**منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب**) عرضت (**وحجب**) طبعت وأغطية (**أسدلها الشيطان على قلوبهم**) فصارت حائلة بينها وبين الفهم، (**فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن**) فلم يدركوها.

(**قال ﷺ «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت»**)

القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة **فهو** من الملكوت وحجب الفهم أربعة.

أوّلها: أن يكون الهمّ منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس.

تقدم تخريجه في كتاب الصوم، وقد ثبت بالحديث «حومات الشياطين على قلوب الآدميين» والحجب كناية عن ذلك.

(ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس) الظاهرة **(ولم يدرك الا بنور البصيرة)** الباطنة، **(فهو من الملكوت)** فهو عالم الغيب المختص ـ وسيأتي تحقيق ذلك في العمل العاشر ـ.

(وحجب الفهم أربعة) أمور.

(أولها: أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها) بان يرد كل حرف إلى أصله مع معرفة كيفية الوقف والامالة والادغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم، **(وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن)** فهم **(معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف)**، وممارستها ورياضة الالسن بها **(ويخيل إليهم ان الحروف لم تخرج من مخارجها)** بعد ويوهم عليهم أنهم كما تعبدوا بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه المتلقاة من أئمة القراءة ويزيد عليهم شيئاً آخر أجلى مما سبق بان يخطر على بالهم بان القراءة بغير تجويد لحن، ولولا أنكم تجوّدون الالفاظ لا تصلون إلى فهم المعاني منها. ولعمري هذا الذي يخيل إليهم به حق وصدق لكنه يريد بالقاء مثل ذلك إليهم تثبيطهم عن المهم، **(فهذا)** الذي شغله ترديد الحروف **(يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف)** فقط، **(فمتى)** وفي نسخة فأنى **(تنكشف له المعاني)** فمثله مثل من اشتغل بالوسائل وأعرض عن المقاصد ونرى هذه الحالة في قراء الزمن بل وقبل هذا الزمن كثيرة، **(وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس)**، فالواقف مع قراءته والمهتم بتجويد حروفه واختياره محجوب بعقله مردود إلى ما تقرر في علمه موقوف مع ما تقرر في قلبه مزيده على مقدار علمه وغريزة عقله، فهو مشرك بعقله داخل في الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء، وقد ورد أكثر منافقي أمتي قراؤها فهذا نفاق الوقوف مع سوى

ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة. فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه، فإن لمع برق على بُعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله. ولمثل هذا قالت الصوفية: إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم.

الله تعالى والنظر إلى غيره لا نفاق الشك والإنكار لقدرة الله عز وجل، فهو لا ينقل عن التوحيد، ولكنه لا ينقل إلى المزيد، فإذا كان العبد ملقي السمع بين يدي سميعه مصغياً إلى سر كلامه شهيد القلب لمعاني صفات شهيده ناظراً إلى قدرته تاركاً لمعقوله ومعهود علمه متبرياً من حوله وقوته معظماً للمتكلم واقفاً في حضوره مفتقراً إلى التفهم بحال مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين سمع فصل الخطاب وشهد عيب الجواب.

(**ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه**) من غير تحريك باعث على تحقيق ما يقلده، وفي بعض النسخ لمذهب سمعه وحمل عليه بالتقليد، (**ويثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة**) نيرة (**ومشاهدة**) ساطعة، (**فهذا شخص قيده معتقده**) أي ما يعتقده تقليداً لا عن تحقيق (**عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه**). وهذا كذلك محجوب بعقله مردود إلى ما ركز في ذهنه، (**فإن**) اتفق أنه (**لمع برق**) من شرف (**على بعد و**) ثنى ببودق بأن (**بدا له معنى من المعاني**) الشريفة العزيزة (**التي تباين مسموعه**) ومتلقاه عن أفواه مشايخه (**حمل عليه شيطان التقليد حملة**) منكرة وجلب عليه خيله ورجله، (**وقال: كيف هذا يخطر ببالك**) أو تعير له أذنك، (**وهو خلاف معتقد آبائك**) أي شيوخك الذين درجوا؟ (**فيرى أن ذلك**) أي الذي فتح له فهم في ذلك المعنى الذي بدا له (**غرور الشيطان**) ويعده من تلبيساته، (**فيتباعد عنه**) مرة (**ويحترز عن**) الوقوع في (**مثله ولمثل هذا قالت الصوفية**) قدس الله أسرارهم: (**إن العلم حجاب**) أي بين العبد والوصول إلى الله، وأصل الحجاب جسم حائل بين جسدين، ثم استعمل في المعاني فقيل: العجز حجاب بين الرجل ومراده والمعصية حجاب بين العبد وربه، وعلى هذا يحمل قولهم العلم حجاب لأنه ساتر يمنع من الوصول إلى الله وربما يزيدون فيقولون حجاب الله الأكبر، (**وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب، وألقوها إليهم، فأما العلم**

فأما العلم الحقيقي: الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجاباً

الحقيقي الذي هو) عبارة عن **(الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجاباً وهو منتهى المطلب)** وغاية المرغب.

ونقل الشيخ الأكبر في كتاب الشريعة ـ في باب الصوم ـ إن الحق سبحانه لما كان من أسمائه الدهر كما ورد في الصحيح: « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » فأمر بتنزيه الزمان من حيثما سمي دهراً لكون الدهر اسماً من أسماء الله تعالى كما تنزه الحروف أعني حروف الهجاء من حيث انها كتب بها كلام الله تعالى وعظمناها فقال فأجره حتى يسمع كلام الله وما سمع إلا أصواتاً وحروفاً فلما جعلها كلامه أوجب علينا تعظيمها وتقديسها وتنزيهها، ثم ساق عبارة طويلة ثم قال ما نصه: ولا يحجبنك عن هذا العلم الغريب الذي بيناه لك الرؤيا الشيطانية التي رؤيت في حق أبي حامد الغزالي فحكاها أصحاب علوم الرسوم وذهلوا عن أمر الله سبحانه لنبيه في قوله: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ لم يقل عملاً وحالاً ولا شيئاً سوى العلم أتراه أمره بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد منه والصفة الناقصة عن درجة الكمال، فحكى أصحاب الرسوم عن شخص سموه أنه رأى أبا حامد الغزالي في النوم فقال لـه أو سأله عن حاله فقال له: لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير، فتأوّلها علماء الرسوم على ما كان عليه أبو حامد من علم هذا الطريق وقصد إبليس بهذا التأويل الذي زين لهم أن يعرضوا عن هذا العلم فيحرموا هذه الدرجات هذا إذا لم يكن لإبليس مدخل في الرؤيا وكانت الرؤيا ملكية، فإذا كانت الرؤيا من الله فالرائي في غيـر موطـن الحس والمرئي ميت، فهو عند الحق لا في موطن الحس والعلم الذي كان يحرض عليه أبو حامد وأمثاله في أسرار العبادات وغيرها ما هو غريب عن ذلك الموطن الذي الإنسان فيه بعد الموت بل تلك حضرته، وذلك محله. فلم يبق الغريب عن ذلك الموطن إلا العلم الذي كان يشتغل به في الدنيا من علم الطلاق والنكاح والبيع والشراء والمزارعة وعلوم الأحكام التي تتعلق بالدنيا ليس لها إلى الآخرة تعلق البتة لأنه بالموت يفارقها فهذه علوم غريبة عن موطن الآخرة كالهندسة، وأمثال هذه العلوم التي لا منفعة لها إلا في الدنيا وإن كان له الأجر فيها من حيث قصده ونيته لا عين العلم، فإن العلم يتبع معلومه، ومعلومه هذا كان حكمه في الدنيا لا في الآخرة، فكأنه يقول له في رؤياه: لو اشتغلنا زمان شغلنا بهذا العلم الغريب عن هذا الموطن بالعلم الذي يليق ويطلب هذا الموضع لكنا على خير كثير ففاتنا من خير هذا الموطن على قدر اشتغالنا بالعلم الذي كان تعلقه بالدار الدنيا، فهذا تأويل رؤيا الرائي لا ما ذكروه ولو عقلوا لتفطنوا في قوله: العلم الغريب. فلو كان علمه بأسرار العبادة وما يتعلق بالجناب الأخروي لم يكن غريباً لأن ذلك موطنه، والغربة إنما هو بفراق الوطن، فثبت ما ذكرناه فإياك أن تحجب عن طلب هذه العلوم الإلهية والأخروية وخذ من علوم الشريعة على قدر ما تمس الحاجة إليه ما يتفرض عليك طلبه وقل رب زدني علماً على الدوام دنيا وآخرة اهـ.

وقد تحصل من هذا التقرير أن العلم الذي يكون حجاباً بين العبد وربه هو علم المعاملات

وهو منتهى المطلب؟ وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فإن خطر له مثلاً في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه، ولو استقر في نفسه لانجرّ إلى كشف ثان وثالث ولتواصل. ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره

الدنيوية نظراً إلى معلوماتها، وهذا هو الذي كنت أسمع من مشايخنا. وما ذكره المصنف هو أيضاً صحيح فإن العقائد الزائغة المؤسسة على مجادلات ومناقضات أقربها أن تكون حجاباً مانعاً عن الوصول إلى فهم أسرار القرآن.

وقال الشيخ شمس الدين بن سوركين في الأسئلة التي تلقى جوابها من لسان الشيخ الأكبر قدس سره ما نصه: وسمعته رضي الله عنه يقول: الأشياء لا تحجب عن الله تعالى بل كلها طرق موصلة إليه سبحانه دالة عليه إنما يحجب للوقوف مع الأشياء، كمن يقول العلم حجاب والعلم ليس بحجاب وهو يرد على هذا القائل قوله، ويقول له إنما تعلقت في حقك بمعلوم ما فوقفت أنت مع ذلك المعلوم، فكان وقوفك معه حجابك فلا تقف مع شيء سوى الحق تأمن الحجاب، وكذلك العلم بنفسه هو أشرف الأشياء بعد الحق سبحانه ان وقفت معه حجبك عن العلم، لكن استعمله في كل موطن بما يليق ولا تستند إليه دون الحق سبحانه الذي علمك العلم وجعله من بعض نعمه عليك، فإذا استعملت العلم على ما تقتضيه حقيقة العلم فقد أتيت كل ذي حق حقه والسلام.

(**وهذا التقليد**) في ذلك المعتقد (**قد يكون باطلاً**) في نفسه (**فيكون مانعاً**) عن وصول الفهم، (**كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار**) الذي هو من شأن الحوادث، (**فإن خطر له مثلاً**) في اسمه (**القدوس أنه**) هو (**المقدس**) أي المنزه (**عن كل ما يجوز على خلقه**) من أوصاف الكمال الذي يظنه الخلق كمالاً في حقهم، وإنما قلنا ذلك لأن الخلق أولا نظروا إلى أنفسهم وعرفوا صفاتهم وأدركوا انقسامها إلى ما هو كمال، ولكن في حقهم مثل علمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم وكلامهم وإرادتهم واختيارهم ووضعوا هذه الألفاظ بإزاء هذه المعاني، وقالوا: إن هذه هي أسماء الكمال، ونظروا أيضاً إلى ما هو نقص في حقهم مثل جهلهم وعجزهم وعماهم وصممهم وخرسهم، فوضعوا بإزاء هذه المعاني هذه الألفاظ. ثم كان غايتهم في الثناء على الله تعالى وصفه بما هو أوصاف كمالهم وهو منزه عن أوصاف كمالهم، كما أنه منزه عن أوصاف نقصهم بكل صفة تتصوّر للخلق فهو منزه مقدس عنها وعما يشبهها ويماثلها، ولولا ورود الرخصة والاذن بإطلاقها لم يجز اطلاق أكثرها.

فإذا خطر هذا الذي ذكرناه للمقلد عقيدة القائلين بالاستواء بمعناه الحقيقي (**لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه**) على ما ينبغي، (**ولو استقر في نفسه لانجر إلى كشف ثان وثالث**) ورابع وخامس، (**ولتواصل به إلى الحق**) الصريح، (**ولكن يتسارع إلى دفع ذلك**

لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن، وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد.

ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدأه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون وكلما كانت الشهوات أشدّ تراكماً كانت معاني الكلام أشد احتجاباً، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه. فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء

عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل) فلا ينجع فيه إقامة البراهين **(وقد يكون)** ما اعتقده **(حقاً)** في ذاته، **(ويكون أيضاً مانعاً من الفهم)** في معاني القرآن **(والكشف)** الحقيقي فيها **(لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات له مبدأ ظاهر)** هو بمنزلة القشر **(وغور باطن)** هو بمنزلة اللب، **(وجمود الطبع على الظاهر)** الذي يبدو له **(يمنع من الوصول إلى الغور الباطن)**، فهذا هو الحجاب كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن **(في كتاب قواعد العقائد)** فراجعه هنالك تظفر بالمراد والله أعلم.

(ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب) أو أدنى بدعة **(أو متصفاً بكبر)** وعجب **(أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع)** يطاع فيما تميل إليه نفسه وتهواه، **(فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدأه وهو كالخبث)** الذي يعرض **(على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون)** وهم على أقسام، فمنهم من كان سبب ظلمة قلبه الاصرار على الذنب وعدم مساعدة التوفيق الإلهي للتنصل عنه، ومنهم من كان بسبب ارتكابه البدعة ولو أدناها، ومنهم من كان بسبب الكبر الذي قام به والعجب في شأنه، ومنهم من كان بسبب إطاعة نفسه لهواها قد استكن في قلبه، ومنهم من يجتمع فيه الأمران والثلاثة، وكلها ظلمات بعضها فوق بعض تحجب عن معرفة معاني نور شمس القرآن فإن من خواص الظلمات الحجب.

(وكلما كانت الشهوات أشد تراكماً) وأكثر توارداً **(كانت معاني الكلام أشد احتجاباً)** وأكثر استتاراً، **(وكلما خفت عن القلب أثقال الدنيا)** وكشطت عنه أشغالها **(قرب تجلي المعنى فيه)** لما فيه من القابلية لتلقيه، **(فالقلب مثل المرآة)** المجلوة **(والشهوات)** عليه **(مثل الصدأ)** على المرآة، **(ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة)** فما دام صدأ الشهوات عليها لا تتجلى الصور على حقيقتها، **(والرياضة للقلب بإماطة**

للمرآة، ولذلك قال ﷺ : « إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي ». قال الفضيل: يعني حرموا فهم القرآن. وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير، فقال

الشهوات) وإماتتها وإزالتها **(مثل تصقيل الجلاء للمرآة)**، والجلاء هو الذي يجلو المرآة ويصقلها.

واعلم أن معاني القرآن كما سبق من عالم الملكوت واللوح المحفوظ الذي نزل منه القرآن من ذلك العالم، وقلب التالي مثل المرآة واللوح المحفوظ أيضاً مثل المرآة لأن صورة كل موجود فيه، فإذا قابلت المرآة المرآة الأخرى ظهرت صور ما في إحداهما في الأخرى، وكذلك تظهر صور معاني القرآن في القلب عند مقابلة مرآته بمرآة اللوح المحفوظ إذا كان فارغاً عن شهوات الدنيا فإن كان مشغولاً بها كان عالم الملكوت محجوباً عنه والله أعلم.

(ولذلك قال ﷺ : « إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم) بالتهافت على تحصيلها وادخارها ومنع الانفاق منها في وجوه القرب **(نُزع)** بالبناء للمفعول أي نزع الله **(منها هيبة الإسلام)** لأن من شرط الإسلام تسليم النفس لله عبودية، فمن عظم الدينار والدرهم أخذتا بقلبه فسبته فصار عبداً لهما، فلم يقدر على بذل النفس لله لأنه عبد الدينار والدرهم، فلا يملك نفسه فيبذلها في سبيل الخير، وإذا فسد الباطن ذهبت الهيبة والبهاء لأن الهيبة إنما هي لمن هاب الله ولا يجتمع تعظيمهما مع تعظيم الحق في قلب أبداً، **(وإذا تركوا الأمر بالمعروف)** والنهي عن المنكر **(حرموا بركة الوحي»)** وسيأتي تفسيره من كلام الفضيل.

قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلاً من حديث الفضيل بن عياض قال: ذكر عن نبي الله ﷺ اهـ.

قلت: ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي هريرة بلفظ: « إذا عظمت أمتي الدنيا نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله ».

(قال الفضيل) بن عياض رحمه الله في تفسير قوله: « حرموا بركة الوحي » **(يعني حرموا فهم القرآن)** وبيانه أن في ترك الأمر بالمعروف مع القدرة عليه وغلبة ظنه سلامة العاقبة خذلاناً للحق وجفوة للدين، وفي خذلان الحق ذهاب البصيرة وفي جفاء الدين فقد النور فينحجب القلب فيحرم بركته وحرمان بركته أن يقرأه فلا يفهم أسراره ولا يذوق حلاوته، وهو من أعلم الناس بعلوم العربية وأبصرهم بتفسيره وقد عمي عن زواجره وقوارع وعيده وأمثاله، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ [الأعراف: ١٤٦] قال سفيان بن عيينة يقول: انزع منهم فهم القرآن أخرجه ابن أبي حاتم.

(وقد شرط الله الإنابة في الفهم والتذكير) ولفظ القوت: وقد اشترط الله تعالى الإنابة

تعالى : ﴿ تَبْصِرَةً وذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق : ٨] ، وقال عز وجل : ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [غافر : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾[الزمر : ٩] ، فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب ، ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب .

رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي ، وإن من فسر القرآن برأيه فقد تبوّأ مقعده من النار ، فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع . وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن ، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه .

السابع : التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن ، فإن سمع

للتبصرة وحضور القلب للتذكرة فقال تعالى : (**﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [ق:٨] وقال تعالى: ﴿ وما يتذكر إلا من ينيب ﴾ [غافر : ١٣] وقال تعالى: ﴿ إنما يتذكر أولوا الألباب)** الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ [الرعد : ١٩ ، ٢٠] فالاستقامة على التوبة من الوفاء بالعهد وتعدي الحدود من نقض الميثاق وقلة الصدق والإنابة هي التوبة بالاقبال على الله عز وجل والألباب هي العقول الزاكية والقلوب الطاهرة ، (**والذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب)** ، بل على قلبه من ظلمات حب الدنيا سحاب ، (**فلذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب)** ولا يفتح له في فهمها باب .

(**رابعها)** : الوقوف عند النظر إلى قول مفسر ساكن إلى علمه الظاهر وهو : (**أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً فاعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما)** من أئمة التابعين ، وإنما خصهما بالذكر لشهرتهما في هذا العلم ، (**وان ما وراء ذلك)** لا مجال فيه للعبد لأنه (**تفسير بالرأي)** وبيان بالحدس ، (**وإن من فسر القرآن برأيه فقد تبوّأ مقعده من النار)** سيأتي الكلام عليه قريباً ، فلا طريق للإقدام عليه إلا بما نقل عن هؤلاء الأئمة ، (**فهذا أيضاً من الحجب)** العظيمة المانعة عن فهم القلب للمعاني ، (**وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع، وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه)** الذي تقدم ذكره من حديث أبي جحيفة لما قال له : هل عندكم شيء مما ليس في القرآن . وفيه : (**إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول)** عن أئمة التفسير ، (**لما اختلف الناس فيه**

السابع التخصيص وهو أن يقدر) التالي في نفسه ، ويشهد (**أنه)** هو (**المقصود بكل خطاب)** جاء (**في القرآن)** من فاتحته إلى خاتمته وهو المراد المعني به ، (**فإن**

أمراً أو نهياً قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي ﷺ وأمته. ولذلك قال تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه فيه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى. وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة، بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى: ﴿واذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ

سمع أمراً ونهياً قدر أنه المنهي والمأمور) وأن الخطاب بكل منها متوجه إليه **(وإن سمع وعداً)** بالثواب **(أو وعيداً)** بالعقاب، **(فكمثل ذلك)** في التقدير والشهود، **(وإن سمع قصص الأولين)** من السالفين **(والأنبياء)** عليهم السلام **(علم)** وتحقق **(ان السمر)** بحكاياتهم فقط **(غير مقصود)** لذاته، **(وإنما المقصود)** الأعظم من ذلك **(ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه)** من الأحوال التي يعتبر بها **(ما يحتاج إليه)** في اتخاذه عبرة وتذكرة، **(فما من قصة)** سيقت **(في القرآن إلا وسياقها لفائدة)** متجددة **(في حق النبي ﷺ، و)** في حق **(أمته)** ولو تكررت القصة، ولذا جاء سياقها على انحاء مختلفة ففي التكرار تثبيت لليقين في القلوب **(ولذلك قال تعالى)** مخاطباً لحبيبه ﷺ ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل **(ما نثبت به فؤادك﴾)** [هود: ١٢] وثبات الفؤاد إنما يكون بمزيد اليقين فيه، **(فليقدر العبد)** التالي **(أن الله تعالى ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء)** عليهم السلام، **(وصبرهم على الأذى)** من المحجوبين عن نور اليقين، **(وثباتهم في)** نصرة الحق واعلاء كلمة **(الدين لانتظار نصر الله تعالى)** إياهم بموجب وعده جل وعز إنّا لننصر رسلنا، **(وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله ﷺ)** وحده **(خاصة بل هو شفاء)** لجهل أمراض القلوب، **(وهدى)** يهتدي به السارون، **(ورحمة)** عامة أفيضت على المقتبسين من أنواره **(ونور)** ظاهر **(للعالمين)**.

قال المصنف في مشكاة الأنوار: اعلم أن أعظم الحكم كلام الله تعالى، ومن جملة كلامه القرآن خاصة فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة، إذ به يتم الابصار، فبالحري ان يسمى القراءة نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً، فمثال القرآن نور الشمس، ومثال العقل نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ [التغابن: ٨] وقوله تعالى: ﴿قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [النساء: ١٧٤] اهـ.

(ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب) وأردفه بالحكمة لما كانت المبصرات

الكِتَابِ والحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُم أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد ﷺ: ٣] ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥] ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠] ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد. فهذا القارىء الواحد مقصود فما له ولسائر الناس، فليقدر أنه المقصود قال الله تعالى: ﴿وأُوحِيَ إليَّ هَذَا القُرْآنَ لأنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، قال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن

منها ما لا يغادر العقل في كل حال إذا عرض عليه بل كان محتاجاً إلى أن يحضر اعطافه ويستوري زناده وينبه عليه بالتنبيه، وإنما ينبهه كلام الحكمة، فعند إشراق نور الحكمة يصير العقل مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوّة **(فقال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾)** [البقرة: ٢٣١] فهذا معنى اردافه الحكمة.

(وقال تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم) أفلا تعقلون﴾ [الأنبياء: ١٠] **(وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ ﴿النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿واتّبعوا** أحسن ما أنزل إليكم **من ربكم﴾ [الزمر: ٥٥] وقال تعالى: ﴿**وهذا بصائر **للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ [الجاثية: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾)** [آل عمران: ١٣٨]، وقال تعالى: ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ [محمد ﷺ: ٣] يعني صفاتهم، وقال تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات﴾ [النور: ٣٤] كما قال تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ [البقرة: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر﴾ [يونس: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ [الأعراف: ٣] وقال تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ فهذه الآيات كلها فيها جميع ما ذكره وأوصافه.

(وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد) لأن الله سبحانه وتعالى لما تكلم بهذا الكلام وخاطب به المؤمنين كان هو أحدهم، وكان حاضراً معهم، وقد سوّى الله تعالى بين المؤمنين في تنزيل القرآن عليهم، وبين النبي ﷺ بمعنى من المعاني، **(فهذا الواحد القارىء المقصود فما له ولسائر الناس)** غير انه سبحانه وتعالى عم الجملة بالبصائر والبيان، وخص بالهدى والرحمة أولي التقوى والايمان، **(فليقدر انه المقصود قال الله تعالى: ﴿وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾)** [الأنعام: ١٩] فالموقنون هم المتقون والمهديون هم الموحدون.

(قال محمد بن كعب القرظي) التابعي تقدمت ترجمته: **(من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل)** أي فينبغي للتالي أن يشهد في تلاوته أن مولاه يخاطبه بكلامه، **(وإذا قدر ذلك لم**

عمله بل يقرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه. ولذلك قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات. وكان مالك بن دينار يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض. وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان. قال الله تعالى: ﴿هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلا خَسَاراً﴾ [الإسراء: ٨٢].

الثامن: التأثر، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره. ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فإن التضييق غالب على آيات

يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله. ويعمل بمقتضاه) لا أن يشتغل عنه إلى غيره، **(ولذا قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من)** قبل **(ربنا عز وجل بعهوده)** ومواثيقه **(نتدبرها في الصلاة ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات)**، وقد تقدم عن الحسن البصري ما نصه: وان من كان قبلكم رأوه رسائل أتتهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار.

(وكان مالك بن دينار) رحمه الله **(يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الأرض)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالكاً يقول: يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم، فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فينبت الحشيش فتكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم، أين أصحاب سورة أين أصحاب سورتين ماذا عملتم فيهما؟.

(وقال) أبو الخطاب **(قتادة)** بن دعامة السدوسي الحافظ: **(لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال الله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾)** [الإسراء: ٨٢] أي فإن كان من الموصوفين بالايمان فيكون شفاء لامراضهم. وأما المقعدون عن الحدود فلا يزيدهم القرآن إلا نقصاً في أعمالهم.

(الثامن: التأثر وهو ان يتأثر قلبه) عند تلاوته **(بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن)** والبكاء **(والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته)** في معاني ما يتلو **(كانت الخشية أغلب الأحوال على**

القرآن، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل: ﴿وإنِّي لَغَفَّارٌ﴾ [طه: ٨٢] ثم أتبع ذلك بأربعة شروط ﴿لمنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿وَالعَصْرِ ★ إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ★ إلاَّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصوْا بالصَّبْرِ﴾ [العصر] ذكر أربعة شروط. وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال تعالى: ﴿إنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِين﴾ [الأعراف: ٥٦]، فالإحسان يجمع الكل. وهكذا من يتصفح القرآن من أوّله إلى آخره. ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن. ولذلك قال الحسن: والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلاَّ كثر حزنه وقلَّ فرحه وكثر بكاؤه وقلّ ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطـالتـه.

وقال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق

قلبه) والرهبة ألزم الأوصاف به، **(فإن التضييق غالب على آيات القرآن فلا ترى ذكر الرحمة والمغفرة)** في آية **(إلا مقروناً بشروط يقصر القارىء عن نيلها)** وأنى له ذلك مع عدم تلك الشروط، **(كقوله عز وجل ﴿وإني لغفار﴾)** [طه: ٨٢] أتاه بصيغة الكثرة اشعاراً بعمـوم مغفـرتـه وهـو يـدعـو إلى فتـح بـاب الرجـاء، **(ثم اتبـع ذلــك بــأربعــة شروط)** فقال: **(﴿لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾)** [طه: ٨٢] فعلق تمام المغفرة بالتوبة والايمان والعمل الصالح والاهتداء الى سبيل الحق ولما كان الاهتداء كذلك متوقفاً على ما قبله ذكره بكلمة، ثم إشارة إلى بعد منزلته ورفعة رتبته.

(وقوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر ★ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحق وتواصوابالصبر﴾) [العصر] فهذه السورة **(ذكر)** فيها **(أربعة شروط)** لنفي الخسارة عن الإنسان فإذا لم توجد فيه، فهو خاسر في تجارته الإيمان، والعمل الصالح، والمواصاة بالحق، والمواصاة بالصبر، **(وحيث اقتصر)** على شرط واحد **(ذكر شرطاً جامعاً)** لغالب الشروط المذكورة **(فقال تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾)** [الأعراف: ٥٦] ولم يقل من المؤمنين ولا من العاملين ولا غير ذلك، **(فالإحسان يجمع الكل)** من الشروط بل هو إشارة إلى كمال كل شرط مذكور، **(وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره)** آية آية يجد ما ذكر، **(ومن فهم ذلك)** في تلاوته **(فجدير)** أي حقيق **(بأن يكون حاله الخشية)** والرهبة **(والحزن)** والوجد والبكاء وتغير اللون والصعق وغير ذلك، **(ولذلك قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(والله ما أصبح اليوم عبد يتلو)** هذا **(القرآن يؤمن به إلاّ كَثُر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقلّ ضحكه وكثر نصبه)** أي تعبه **(وشغله وقلت راحته وبطالته)** كذا نقله صاحب القوت.

(وقال وهيب بن الورد) المكي رحمه الله تعالى: **(نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم**

للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت. وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح. وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته. وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولداً وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها. وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها، ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: «اقرأ عليَّ قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بشهيدٍ وجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤلاءِ شهيداً﴾ [النساء: ٤١] رأيت عينيه تذرفان بالدمع. فقال لي: حسبك الآن».

نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره).

قال أبو نعيم في الحلية: أخبرنا علي بن يعقوب بن أبي العقب في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا أبو علي صاحب القاضي، عن عبدالله بن المبارك، عن وهيب بن الورد قال: نظرنا في هذا الحديث فلم نجد شيئاً أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلاباً للحق من قراءة القرآن لمن تدبره.

(**فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند**) ذكر (**الوعيد**) والزجر والتهديد، (**وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل**) أي يحتقر ويتصاغر (**من خيفة كأنه يكاد يموت**)، ويغلب عليه الحزن والكآبة، (**وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر**) ويفرح (**كأنه يطير من الفرح**) والاستبشار بما اعد الله له من النعيم، (**وعند ذكر الله تعالى وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً**) وتذللاً (**لجلاله**) وهيبته (**واستشعاراً لعظمته**) وكبريائه، (**وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولداً وصاحبة يغض صوته**) قليلاً عن عادته المستمرة، (**وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم**) ونسبتهم إليه عز وجل ما لا يليق بذاته المقدسة كل ذلك تأدباً في المقام وإجلالاً للملك العلام، (**وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً لها**) وإلى ما أعد الله فيها لأهلها من النعيم المقيم، (**وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها**) وهيبة مما فيها من العذاب المقيم لأهلها.

(**ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود**) رضي الله عنه (**«اقرأ علي»**) قال اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» قال: (**فافتتحت سورة النساء فلما بلغت**) قوله تعالى: (**﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١] رأيت عينيه تذرفان**) أي تفيضان (**بالدمع فقال لي: «حسبك الآن»**) أي

وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية، ولقد كان في الخائفين من خرّ مغشياً عليه عند آيات الوعيد، ومنهم من مات في سماع الآيات، فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكياً في كلامه. وإذا قال: ﴿إِنِّي أخافُ إنْ عَصيتُ ربِّي عَذابَ يوم عظيم﴾ [يونس: ١٥]، ولم يكن خائفاً كان حاكياً، وإذا قال: ﴿عَلَيْكَ تَوكَّلْنَا وَإلَيْـكَ

أمسك عن القراءة. تقدم تخريج الحديث في الباب الذي قبله، **(وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة)** الحاصلة في الموقف بين يدي الله عز وجل قد **(استغرقت قلبه بالكلية)** فصارت كأنها حاضرة عنده.

(ولقد كان في الخائفين من خرّ مغشياً عليه عند آيات الوعيد) منهم: الربيع بن خيثم، وقد تقدمت قصته في كتاب الصلاة.

قال عبدالله بن أحمد في زوائد المسند: حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي، حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثنا عيسى بن سليم، عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبدالله ـ يعني ابن مسعود رضي الله عنه ـ ومعنا الربيع بن خيثم، فمررنا على حدّاد فقام عبدالله ينظر إلى حديدة في النار، فنظر إليها الربيع فتمايل للتيقظ فمضى عبدالله حتى أتينا على أتون بشاطىء الفرات، فلما رآه عبدالله والنار تلتهب فيه قرأ: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ إلى قوله: ﴿ثبوراً﴾ [الفرقان: ١٢] فصعق الربيع فاحتملناه إلى أهله، فرابطه عبدالله إلى الظهر فلم يفق، ثم رابطه إلى العصر فلم يفق، ثم رابطه إلى المغرب فلم يفق، ثم أفاق فتوجه عبدالله إلى أهله.

ومنهم أبو أسيد كان يصعق إذا سمع آية شديدة، وكان مستجاب الدعوة وكان يقال انه من الأبدال وهو تابعي صغير أخرج قصته ابن أبي داود في كتاب الشريعة، وقد جاء في حديث مرفوع بسند معضل: قال أبو عبيد حدثنا وكيع، حدثنا حمزة الزيات، عن حمدان بن أعين قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً ★ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] فصعق.

(ومنهم من مات عند سماع بعض الآيات) تقدم ذكر جماعة منهم في كتاب الصلاة وأورد أبو إسحاق الثعلبي المفسر في كتابه قتلى القرآن منهم عدداً كثيراً. ومن المشهورين بذلك: زرارة ابن أوفى من ثقات التابعين وكان قاضي البصرة أخرج الترمذي في أواخر كتاب الصلاة من جامعه من طريق بهز بن حكيم قال: صلى بنا زرارة ابن أوفى صلاة الفجر فلما بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ [المدثر: ٨] شهق شهقة فمات وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصلاة بأبسط مما هنا.

(فمثل هذه الأحوال تخرجه عن أن يكون حاكياً في كلامه) غير متحقق بمضمونه، **(فإذا قال: ﴿إنِّي أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ [يونس: ١٥] ولم يكن خائفاً)** من عذاب الله **(كان حاكياً)** للعبارة **(وإذا قال: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا**

أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المصير﴾ [الممتحنة: ٤]، ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً، وإذا قال: ﴿ولنصبرَنَّ عَلَى ما آذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢]، فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة، فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى: ﴿ألاَ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وفي قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] وفي قوله عز وجل: ﴿وَهُمْ في غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، وفي قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تولَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يردْ إلاَّ الحيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَم يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

وإليك المصير﴾ [**الممتحنة: ٤] ولم يكن حاله التوكل والإنابة)** والتفويض إلى الله في سائر أموره (**كان حاكياً**) لفظ التلاوة. (**وإذا قال: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ [إبراهيم: ١٢] فليكن حاله حالة الصبر**) على أذى المخالفين، (**أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة**) فيما يتلوه، (**فإن لم يكن بهذه الصفات**) متصفاً (**ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات**) من الخوف والتوكل والانابة (**كان حظه من التلاوة حركةاللسان**) فقط وهو غير مجد منها (**مع صريح اللعن على نفسه في قوله: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾**) [هود: ١٨] وهو ظالم لنفسه أو على غيره (**وفي قوله تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**) [الصف: ٣] وهو يقول ما لا يفعل فيمقت بذلك عند الله والمقت أشد الغضب. (**وفي قوله تعالى: ﴿وهم في غفلة معرضون﴾**) [الأنبياء: ١] وهذه الغفلة عن ذكر الله والإعراض عنه بما سواه. (**وفي قوله تعالى: ﴿فأعرض عَن مَّن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾**) [النجم: ٢٩] وعنده التولي عن ذكر الله وحب المال والجاه. (**وفي قوله تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾**) [الحجرات، ١١] وهو لا يتوب وليست له عزيمة عليه (**إلى غير ذلك من الآيات**) الواردة في ذلك فلولا أنه يكون هو الخائف لليوم العظيم وهو المتوكل المنيب وهو الصابر على الأذى والمتوكل على المولى، وإلا كان مخبراً عن قائل قاله فلا يجد حلاوة ذلك ولا ميراثه، فإذا كان كذلك وجد حلاوة التلاوة وتحقق بحسن الولاية وإذا تلا الآي المذموم أهلها الممقوت فاعلها من التولي والظلم وحب الدنيا فما أقبح أن يعيب ذلك وهو من أهله، وما أعظم أن يذم أهل ذلك وهو بوصفه، فهذا من حجج القرآن عليه فلا يجد مع ذلك حلاوة المناجاة، ولا يسمع خطاب المتناجى لأن وصفه المذموم قد حجبه وهو المردي، وعن حقيقة الفهم قد حرمه ولأن قسوة قلبه عن الفهم صرفه وكذبه في حاله عن البيان أحرمه، فإذا كان هو المتيقظ المقبل وهو التائب الصادق سمع فصل الخطاب، ونظر إلى الداعي وله استجاب.

والتالي إذا خالف هذا الوصف الذي شرحناه أو كان على ضد ذلك من السهو والغفلة والعماء والحيرة محادثاً لنفسه مصغياً إلى هواه ووسوسة عدوه ومتوهماً للظنون عاكفاً على الأماني.

إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلاً في معنى قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلاّ أماني﴾ [البقرة: ٧٨] يعني التلاوة المجردة وقوله عز وجل: ﴿وكَأَيِّنْ مِنْ آيةٍ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ يمرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها، ولذلك قيل: إن لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إليَّ، ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه، فلعله لو ترك الدراسة عند

(**كان داخلاً في معنى قوله عز وجل: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ [البقرة: ٧٨] يعني التلاوة المجردة**) لا غير ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ فوصفهم بالظن وهو ضد اليقين كما أخبر عن الظانين في قولهم ﴿إن نظن إلّا ظناً وما نحن بمستيقنين﴾، (**وفي معنى قوله تعالى: ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ [يوسف: ١٠٥] لأن القرآن**) من أجل آيات الله و(**هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض**) الدال على فاطرهما ومنزله، (**ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها**) وأيضاً كان داخلاً بوصف من تهدده بعلمه فيه عند استماعه لكلامه العزيز متهاوناً به مناجياً لغيره إذ يقول تعالى: ﴿نحن أعلم بمايستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ [الإسراء: ٤٧] وبوصف من أخبر عنه إذ يقول تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩] هذا وصفهم الظن الكاذب والرجاء المخلف اللذان لم يقترنا إلى خوف واشفاق وخالفوه عاجلاً وتمنوا عليه المغفرة جهلاً منهم بحكمته تعالى وأعرضوا عن أحكامه، قال الله تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ [الأعراف: ١٦٩] ثم أخبر عن علمهم بذلك علم قول وخبر لا علم يقين ومعاينة فقال تعالى: ﴿ودرسوا ما فيه﴾ [الأعراف: ١٦٩] أي قرأوا ما فيه وعلموه ولم يعملوا به فلم ينتفعوا بشيء منه فكان هذا توبيخاً لهم وتقريعاً كقوله تعالى: ﴿قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة: ٩٣] (**ولذلك قيل إن لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن**) منصبغاً بمعانيه، (**فإذا قرأ القرآن ناداه الله عز وجل مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إليّ**) وهذا المعنى قد تقدم للمصنف بلفظ: إن العبد إذا تلا القرآن واستقام نظر الله إليه برحمته، فإذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله تعالى مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إلي.

(**ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته**) بالعدل والإصلاح، (**وهو مشغول بتخريبها**) بالظلم والإفساد (**ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة**) المتحققة لأوامره

المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت، ولذلك قال يوسف بن اسباط: **إني لأهمّ بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار**. والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل: ﴿فَنَبَذُوه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ واشتروْا بِهِ ثَمَناً قَليلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرأونه ـ وفي بعضها ـ فإذا اختلفتم فقوموا عنه». قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ

ونواهيه (**لكان أبعد عن الاستهزاء**) لكلام الملك (**واستحقاق المقت**) منه، (**ولذلك قال يوسف بن اسباط**) الشيباني: (**إني لأهم بقراءة القرآن**) أي أعزم عليها، (**فإذا ذكرت ما فيه**) أي في القرآن (**خشيت المقت**) من الله على نفسي، (**فاعدل إلى التسبيح والاستغفار**) كذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق سمعت المؤمل بن الشماخ المصيصي يقول: سمعت يوسف بن اسباط يقول: إني لأهم بقراءة السورة فإذا كان ليس يعمل بما فيها لم تزل السورة تلعنه من أولها إلى آخرها، وما أحب أن يلعنني القرآن.

حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن يحي بن منده، حدثنا أبو عمران الطرسوسي، سمعت أبا يوسف الغسولي يقول: كتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن اسباط، أو يوسف إلى حذيفة أما بعد: فإنه من قرأ القرآن ثم آثر الدنيا فهو ممن اتخذ آيات الله هزواً، ومن كان طلب الفضائل أهم إليه من ترك الذنوب فهو مخدوع، وقد خشيت أن يكون خير أعمالنا أضر علينا من ذنوبنا.

(**والمعرض عن العمل به**) أي بالقرآن (**أريد إثماً لقوله تعالى: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾**) [آل عمران: ١٨٧] وفي قوله تعالى السابق ذكره ﴿ودرسوا ما فيه﴾ وجه غريب ذكره صاحب القوت وهو أن معناه محوه بترك العمل به والفهم له من قولك: درست الريح الآثار إذا محتها، وخط دارس وربع دارس إذا أمحى وعفا أثره، وهذا المعنى مواطىء لقوله تعالى: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ الآية وهي التي ذكرها المصنف ومواطىء لقوله تعالى: ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وأتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ [البقرة: ١٠١] أي ما تتبع وتهوى وكل آية في التهديد والوعيد فللخائفين منها وعظ وتخويف وللغافلين منها وصف وتعريف علمه من علمه.

(**ولذلك قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن ما ائتلفت**) أي اجتمعت (**عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرأونه وفي بعضها**) أي الروايات (**فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه»**) هكذا أورده في القوت بالروايتين.

قال العراقي: متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي باللفظ الثاني دون قوله: «ولانت جلودكم» اهـ.

قُلُوبُهُم وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إيماناً وعلى ربِّهم يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال : ٢] ، وقال ﷺ : « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعـالى » .

قلت : وكذلك رواه أحمد ، والنسائي ، ورواه مسلم أيضاً والطبراني عن أبي بكر ، ورواه النسائي أيضاً عن معاذ بن جبل.

ومعنى الحديث : دوموا على قراءته ما دامت قلوبكم تألف القراءة بنشاط وخواطركم مجموعة ، فإذا صارت قلوبكم في فكرة شيء سوى قراءتكم وحصلت القراءة بالسنتكم مع غيبة قلوبكم فلا تفهمون ما تقرأون فاتركوه إلى وقت تعودون في محبة قراءته إلى الحالة الأولى ، فإنه أعظم من قراءته بغير حضور قلب فان الاختلاف في القرآن يؤدي إلى الجدال والجدال إلى الجحد وتلبيس الحق بالباطل.

وقوله : « ولانت جلودكم » ليس عند الجماعة وهو مواطىء لقوله تعالى : ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذلك الله﴾ [الزمر : ٢٣] وهو كناية عن الخشية والإذعان لقبول ما يرد عليه من آثار الفهم ، فإذا صفا القلب بنور اليقين وأيد العقل التوفيق والتمكين وتجرد الهم من تعلق بخلق وتألف السر بالعكوف على الخالق وخلت النفس من الهوى سرت الروح فجالت في الملكوت الأعلى كشف للقلب بنور اليقين الثابت ملكوت العرش عن معاني صفات موصوف ، وأحكام خلاق ومألوف ، وباطن أسماء معروف وغرائب علم رحيم رؤوف ، فشهد عن الكشف أوصاف ما عرف ، فقام حينئذ بشهادة ما عرف ، فكان ممن **(قال الله تعالى)** : ﴿يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ [البقرة : ١٢١] وممن قال الله تعالى : **(﴿إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً)** أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ [الأنفال :٢-٤] لأنه إذا أعطاه حقيقة من الإيمان أعطاه من معناه حقيقة من مشاهدة ، وكانت تلاوته عن شهادة ، وكان مزيده من معنى تلاوته . وكان ذلك على معيار حقيقة من إيمانه ، فيكون العبد يوصف من نعت بالحضور والإنذار ، وخص بالمزيد والاستبشار في قوله : ﴿فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين﴾ [الأحقاف : ٢٩] ومن قوله تعالى : ﴿فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾ [التوبة : ١٢٤] ويكون بنعت من مدحه بالعلم وأثنى عليه بالرجاء ووصفه بالخوف في قوله تعالى : ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر : ٩] .

ثم ان أعلم الخلق بمعاني الكلام أعرفهم بمعاني الصفات ، وأعرف العباد بمعاني الأوصاف والأخلاق وغامضات الأحكام أعرفهم بسرائر الخطاب ووجه الحروف ومعاني باطن الكلام ، وأحقهم بذلك أخشاهم له وأخشاهم له أقربهم منه وأقربهم منه من خصه باثرته وشمله بعنايته.

(و) قد **(قال ﷺ : « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى »)** ولا يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله ولا يعامله حتى يقربه ولا يقربه حتى يعنى فيه وينظر إليه ، فعندها عرف سر الخطاب واطلع على باطن الكتاب.

....

قال العراقي: رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث جابر اهـ.

قلت: ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة، والبيهقي في السنن، والخطيب في التاريخ عن ابن عباس.

ورواه السجزي في الإبانة، والخطيب أيضاً عن ابن عمر، ورواه الديلمي عن عائشة كلهم بلفظ: «أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله».

أما حديث جابر الذي أشار إليه العراقي، فرواه ابن ماجه عن بشر بن معاذ، حدثنا عبد الله ابن جعفر، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعت قراءته حسبت أنه يخشى الله».

ورواه الآجرى في فوائده، عن عمر بن أيوب السقطي، حدثنا القواريري، حدثنا عبد الله بن جعفر فذكر مثله.

وأخرجه ابن أبي داود من وجه آخر عن عبد الله بن جعفر وهو المديني والد علي وفيه في شيخه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ضعف، وهذا معنى قول العراقي بسند ضعيف.

وأما حديث ابن عمر، فروي من طرق منها مرسل رواه سفيان الثوري، عن ابن جريج، عن ابن طاوس عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال: سئل رسول الله ﷺ: من أحسن الناس صوتاً بالقرآن؟ قال: «الذي إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله».

وقال الدارمي حدثنا جعفر حدثنا مسعر، عن عبد الكريم عن طاوس بنحوه.

وهكذا أخرجه محمد بن نصر من رواية وكيع عن مسعر وهو مرسل حسن السنة.

وجاء من وجه آخر عن طاوس موصولاً قال عبد بن حميد: حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا مرزوق أبو بكر عن سليمان الأحول عن طاوس، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سئل أي الناس أحسن قراءة؟ قال: «الذي إذا سمعت قراءته رأيت أنه يخشى الله عز وجل» أخرجه محمد بن نصر عن محمد بن يحيى عن عمر بن أبي عمر عن مرزوق.

وأخرجه ابن أبي داود في كتاب الشريعة، عن عبد الله بن محمد، عن أبي نعيم، عن مرزوق مولى طلحة الباهلي. وثقه أبو زرعة الرازي.

ومنها قال الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا محمد بن معمر، حدثنا حميد بن حماد، عن مسعر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قيل للنبي ﷺ: «من أحسن الناس صوتاً بالقرآن» فذكر مثله.

وأخرجه البزار عن محمد بن معمر، وأخرجه ابن أبي داود من وجه آخر عن حميد بن حماد قال البزار: لم يتابع حميد عليه، وإنما رواه مسعر عن عبد الكريم يعني كما تقدم مرسلاً.

وقال ﷺ : « لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل » فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به، وإلاَّ فالمؤونة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة، ولذلك قال بعض القراء: قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانيا فانتهرني وقال: جعلت القرآن عليَّ عملاً اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك. وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال. فمات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا

ولحديث طاوس شاهد من مرسل الزهري قال عبد الله بن المبارك: حدثني يونس بن يزيد عن الزهري: بلغنا عن النبي ﷺ قال: « أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله ».

(وقال ﷺ : « لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل »).

قال العراقي: رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكر أبو القاسم الغافقي في كتاب فضائل القرآن اهـ.

قلت: ولم يذكر صحابيه وقد رواه ابن المبارك عن طاوس مرسلاً، ورواه السجزي في الإبانة عن طاوس عن أبي هريرة.

(فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب وللعمل به) والاهتداء بانواره، **(وإلا فالمؤونة في تحريك اللسان بالحروف خفيفة، ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن)** ولفظ القوت: وحدثني شيخ فاضل قرأت عليه القرآن قال: قرأت القرآن **(على شيخ لي ثم)** لما ختمته عليه **(رجعت)** إليه **(لاقرأ ثانياً فانتهرني وقال: جعلت القراءة عليَّ عملاً اذهب فاقرأ على الله تعالى، فانظر ماذا يأمرك وينهاك وماذا يفهمك، ولقد كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال)** لا في الأقوال، **(فمات ﷺ عن عشرين ألفاً من الصحابة)**.

قال العراقي: لعله أراد بالمدينة وإلا فقد روينا عن أبي زرعة الرازي أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه اهـ.

قلت: تقدم قول أبي زرعة وهكذا ذكره غيره وقد أسلفناه مفصلاً في كتاب العلم فراجعه.

(ولم يحفظ القرآن) كله **(منهم إلا ستة)** أنفس **(اختلف منهم في إثنين)** ففي الصحيحين من حديث أنس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد.

قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي.

وزاد ابن أبي شيبة في المصنف من رواية الشعبي مرسلاً وأبو الدرداء، وسعيد بن عبيد.

ستة اختلف في اثنين منهم. وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين. وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم، ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨] قال: يكفي هذا وانصرف. فقال ﷺ: « انصرف الرجل وهو فقيه ». وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو: « استقرئوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب ».

وقال صاحب القوت عن بعضهم: ولم يكن جمعه من الخلفاء الأربعة أحد، وختم ابن عباس على أبي، وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس، وقرأ عثمان بن عفان على زيد بن ثابت، وقرأ أهل الصفة على أبي هريرة.

(وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين) رواه ابن الأنباري في المصاحف بسنده إلى عمر رضي الله عنه قال: « كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة أو نحوها » الحديث وسنده ضعيف.

(وكان الذي يحفظ) الحزب منه وهو السبع أو **(البقرة والأنعام)** يعد **(من علمائهم)**.

روي الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال: « بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال: ما معك يـا فلان؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم. قال: إذهب فأنت أميرهم » الحديث.

وروى أحمد في مسنده من حديث أنس قال: « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين » رواه مالك في الموطأ.

ولما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يتعلم العلم فلما كان عند باب المسجد سمع النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨] فقال يكفيني هذا فانصرف، فقال النبي ﷺ: « انصرف الرجل وهو فقيه ».

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في الكبرى، وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمـرو قال: « أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: اقرئني يا رسول الله » الحديث وفيه: « فاقرأه رسول الله ﷺ إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: « أفلح الرويجل أفلح الرويجل ».

ولأحمد والنسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة وقال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

(وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على قلب العبد عقيب فهم الآية فأما مجرد

من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية، فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، وبقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَها وَكَذَلِكَ اليومَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٦] أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها، فإن المقصر في الأمر يقال: إنه نسي الأمر. وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ.

التاسع: الترقي. وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث: أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفاً

حركة اللسان) وشقشقته **(فقليل الجدوى)** ناقص الفائدة، **(بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله عز وجل (﴿ومن أعرض عن ذكري)** أي عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي **(فإنّ له معيشة ضنكاً)** أي ضيقاً مصدر وصف به وذلك لأن مجامع همه ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهالكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها **(ونحشره يوم القيامة أعمى)** أعمى البصر أو القلب، ويؤيد الأول: قوله **(قل رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال: كذلك أتتك آياتنا)** الواضحة **(فنسيتها)** أي عميت عنها **(وكذلك اليوم تنسى﴾)** [طه: ١٢٤ - ١٢٦] أي تترك في العمى والعذاب قيل معنى فنسيتها **(أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها)** أي لم تحتفل بشأنها **(فإن المقصر في الأمر يقال انه نسي الأمر)** أي تركه وقصر فيه وهذا شائع عند أهل اللغة، ثم قال: ﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ [طه: ١٢٧] وكذلك قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ [الاسراء: ٧٢] وفي بعض الأخبار: «من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة» وإنما أراد بالنسيان الترك، **(و)** المراد من **(تلاوة القرآن)** في قوله تعالى: ﴿يتلونه **(حق تلاوته﴾ أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف)** وتجويدها **(بالترتيل)** المسنون، **(وحظ العقل تفسير المعاني)** المتحصلة من تلك الألفاظ، **(وحظ القلب الاتعاظ والتأثر والانزجار)** عن النواهي، **(والائتمار)** بالأوامر. **(فاللسان واعظ)** ناصح **(والعقل ترجمان)** يترجم ما يفهمه من ذلك الوعظ، **(والقلب متعظ)** يقبله أو يرده.

(التاسع: الترقي وهو) يكون من حضيض إلى أوج، والمراد منه **(أن يترقى)** في تلاوته **(إلى أن يسمع الكلام)** الذي يتلوه **(من الله عزوجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث:**

بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال.

الثانية: أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بانعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم.

الثالثة: أن يرى في الكلام المتكلم، وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الانعام به من حيث أنه منعم عليه، بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره. وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين، وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين. وعن الدرجة العليا أخبرنا جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال: والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون. وقال أيضاً، وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة

أدناها أن يقدر العبد) في نفسه (**كأنه يقرأ على الله عز وجل)** ويناجيه بكلامه (**واقفاً بين يديه)** بالإجلال والتعظيم (**وهو ناظر إليه)** بعين رحمته والطافه، (**ومستمع منه)** ما يتلوه، (**فيكون حاله عند هذا التقدير)** ومقامه (**السؤال والتملق والتضرع والابتهال)** والطلب والتعلق، فالسؤال والتملق مقامه والطلب والتعلق حاله.

(**الثانية: أن يشهد بقلبه كأنّ الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم و)** حاله (**الإصغاء والفهم)** لما يتلوه.

(**الثالث: أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات)** أي يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ويعرف أخلاقه بمعاني خطابه، (**فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث أنه منعم عليه)** بإحسانه، (**بل يكون مقصور الفهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره)**، بل لا يخطر السوى بباله (**وهذه درجة)** العارفين (**المقربين)** ومقامهم وهي أعلاها، (**وما قبله درجة)** الأبرار من (**أصحاب اليمين)** كما أن ما قبله درجة المتعرفين والمريدين، (**وما خرج عن هذا فهي درجات الغافلين)** فإذا كان التالي من أصحاب اليمين فينبغي له أن يشهد في التلاوة أن مولاه يخاطبه بالكلام لأنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام نفسه وليس للعبد في كلامه كلام، وإنما جعل له حركة اللسان بوصفة وتيسير الذكر بلسانه لحكمة ربه تعالى حدّاً للعبد ومكاناً له كما كانت الشجرة وجهة لموسى عليه السلام كلمه ربه منها.

(**وعن الدرجة العليا)** من الدرجات الثلاث (**أخبر)** الإمام أبو محمد (**جعفر بن محمد)** ابن علي بن الحسين (**الصادق رضي الله عنه فقال: والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون)** نقلهُ صاحب القوت أي لا يدركونه بحجب بصيرتهم عن ذلك، (**وقال أيضاً وقد**

حتى خرّ مغشياً عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال: ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته، ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة، ولذة المناجاة. ولذلك قال بعض الحكماء: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيماً لا أصبر عنه. وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما: لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام. ولذلك قال ثابت البناني: كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة. وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل: ﴿فَفِرُّوا إلى اللهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]. ولقوله

سألوه عن حالة لحقته) ولفظ القوت عن شيء لحقه **(في الصلاة حتى خر مغشياً عليه، فلما سرى عنه)** أي كشف عنه وأفاق **(فقيل له في ذلك فقال: ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته)** تعالى، فكذلك الخصوص يرددون الآية في قلوبهم ويتحققون في مشاهدتهم بمدد من سيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم، **(ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة)** في التلاوة **(و)** تكثر **(لذة المناجاة)** وينتج الاستغراق، **(ولذلك قال بعض الحكماء)** وفي القوت وقال بعض العلماء **(كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول ﷺ يتلوه على أصحابه)** أي قدرت في نفسي ذلك، **(ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه إلى رسول الله ﷺ، ثم جاء الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن اسمعه من المتكلم به عز وجل فعندها وجدت لذة ونعيماً لا أصبر عنه)** هكذا ساقه في القوت.

(وقال عثمان) بن عفان **(وحذيفة)** بن اليمان رضي الله عنهما: **(لو طهرت القلوب)** أي عن دنس الأغطية **(لم تشبع من قراءة القرآن)** كذا نقله صاحب القوت، **(وإنما قالا ذلك لأنها بالطهارة)** القلبية **(ترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام)** ومعاينة أخلاقه في صفاته، **(ولذلك قال ثابت البناني: كابدت القرآن عشرين سنة)** أي جاهدت نفسي في تحصيله على أعلى الدرجات، **(وتنعمت به عشرين سنة)** نقله صاحب القوت.

وفي الحلية لأبي نعيم حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم ابن كثير، حدثني محمد بن مالك، حدثنا عمرو بن محمد بن أبي رزين قال: قال ثابت كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة.

(وبمشاهدة المتكلم) في كلامه **(دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل﴿ ففروا**

تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ﴾ [الذاريات: ٥١]، فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره، وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي، بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل.

العاشر: التبريء، وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوّته والالتفات إلى نفسه بعين

إلى الله﴾)[الذاريات:٥٠] أي من الخلق أعلم أن التالي إذا كان من أهل العلم بالله والفهم عنه والسمع من الله تعالى والمشاهدة فيشهد ما غاب عن غيره وأبصر ما عمى عنه سواه، وقد قال تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ [الحاقة: ٣٨] وقال تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢] معناه في الفهم اعبروا إلي فقد ابصرتم فلما أعطاهم الأيدي والأبصار هبروا بقواهم إلى ما أبصروا، ففروا إلى الله عز وجل من الخلق حين ذكروه مما خلق فخرجوا على معيار حسن الابتلاء ولم ينقصهم البلاء شيئاً، فكانوا كما أخبروا كالذي أمر في قوله: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون★ ففروا إلى الله﴾ [الذاريات: ٤٩، ٥٠] (**ولقوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾**) [الذاريات:٥١] فكانوا هم الموحدون المخلصون له وكان هو المنفرد المستخلص لهم، ثم جاوزوا التذكرة بالأشياء إليه فذكروه عنده به، فحينئذ هربوا إليه منه حين هللوا به فلم يتألهوا إلى سواه كما لم يعبدوا إلا إياه.

قال صاحب القوت: وكذلك رأيتها في مصحف عبد الله ﴿ففروا إلى الله منه إني لكم نذير مبين﴾.

(**فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي**) الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، (**بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل**) وهذا هو المعبر عنه بحقيقة الحقائق، وأصحاب هذا المقام بعد اتفاقهم على ذلك منهم من كان له هذا الحال عرفانياً علمياً، ومنهم من صار له ذلك ذوقاً حالاً وانتفت عنهم الكثرة واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً، فلم يكن عندهم إلا الله فسكروا سكرا وقع دون سلطان عقولهم فشطوا وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى، فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل يشبه الاتحاد وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالاضافة إلى صاحب الحالة فناء، بل فناء الفناء لأنه فني عن نفسه وفني عن فنائه فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه كان قد شعر بنفسه، وتسمى هذه الحال بالإضافة إلى المستغرق به بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً، والله أعلم.

(**العاشر: التبريء واعني**) به (**ان يتبرأ**) أي يظهر البراءة (**من حوله وقوته والالتفات إليه بعين الرضا والتزكية**) ولا يتحقق التولي لمولاه إلا بهذا التبريء فإنه ما دام يثبت لنفسه حولاً

الرضا والتزكية. فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوّف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً. ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري، فقيل له: هذا الظلم فما بال الكفر؟ فتلا قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقيل ليوسف بن اسباط: إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ فقال: بماذا أدعو استغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة، فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه، فإن من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراءها، ومن شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه. ومهما كان مشاهداً

أويضيف إليها قوّة أو ينظر إليها بعين استحسان فهو قاصر الدرجة عن مقام محبة الحق ولا يجتمع الحبان في قلب، **(وإذا)** كان التالي خائفاً ناصحاً لنفسه وللخلق سليم القلب و**(تلا آيات الوعد والمدح)** ومحاسن الوصف **(للصالحين)** ومقامات المقربين، **(فلا يشهد نفسه)** هناك ولا يراها مكاناً لذلك **(عند ذلك، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها)** وينظر إليهم منها سلامة للقلب ونصحا للخلق، **(ويتشوف أن يلحقه الله تعالى بهم)** ويرقيه إلى مقاماتهم، **(وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين)** أي الآي الممقوت أهلها المتهدد عليها المذموم وصفها من مقامات الغافلين وأحوال الخاطئين **(شهد نفسه هناك وقدر انه)** هو **(المخاطب)** المقصود بذلك **(خوفاً)** منه **(واشفاقاً)** فبهذه المشاهدة يرجو للخلق ويخاف على نفسه، ومن هذه الملاحظة يسلم قلبه للعباد ويمقت نفسه، **(ولذلك كان عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه يقول)** في دعائه: **(اللهم إني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له)** يا أمير المؤمنين: **(هذا الظلم فما بال الكفر؟ فتلا قوله عز وجل ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾**[إبراهيم: ٣٤] نقله صاحب القوت.

(وقيل ليوسف بن اسباط: إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ فقال: بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة) نقله صاحب القوت، ولم أره في الحلية في ترجمته وتعيين العدد بالسبعين مرة اتباعاً لما ورد في الخبر أنه ليغان على قلبي وإني استغفر الله كل يوم سبعين مرة، **(فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه)** ومشاهدته على قدر مقامه في رؤيته، **(فان من اشهد البعد في القرب لطف به في الخوف)** وفي نسخة لطف له بالخوف **(حتى يسوقه إلى درجة أخرى في القرب وراءه ومن اشهد القرب في البعد مكر به بالأمر الذي يقضي به إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه)** أي أن قلب هذان المعنيان على عبد حتى يشهد نفسه في المدح

نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه، فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت. قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: وعد ابن ثوبان أخاً له أن يفطر عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له: وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت، فقال: لولا ميعادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك! إني لما صليت العتمة قلت: أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من

والوصف ويشهد غيره في الذم، والمقت انقلب قلبه عن وجهة الصادقين وتنكب بقصده عن صراط الخائفين فهلك وأهلك، فهذا هو المحجوب بنفسه وهلاكه متحقق وإهلاكه لغيره لأنه يرى أنه وصل وما شم رائحة الوصول، (**فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت**) وفي نسخة انكشف له الملكوت.

قال المصنف في مشكاة الانوار: «العين عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة والباطنة من عالم الملكوت، ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار احداهما ظاهرة والأخرى باطنة، والظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة، والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن، وكتب الله المنزلة، ومهما انكشف لك هذا انكشافاً تاماً، فقد انفتح لك أوّل باب من أبواب الملكوت، وفي هذا العالم عجائب تستحقر إليها بالإضافة إلى عالم الشهادة، ومن لم يسافر إلى هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد محروم عن خاصية الإنسانية، بل أضل من البهيمة إذ لم تستعد البهيمة اجنحة الطيـران إلى هذا العالم، ثم قال: فأما العبد فلا تفتح له أبواب الملكوت ولا يصير ملكوتيا إلا وتبدل في حقه الأرض غير الأرض والسموات ويصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه، ومن جملتهاالسموات وكل ما ارتفع من الحس سماؤه، وهذا هو المعراج الأوّل لكل سالك ابتداء سفره إلى قرب الحضرة الربوبية والانبياء إذا بلغ معراجهم إلى عالم الملكوت، فقد بلغوا المبلغ الأقصى واشرفوا على جملة من علوم الغيب ومن اطلع على كنه حقيقته انكشفت له حقائق أمثلة القرآن على يسر والله أعلم.

(**وقال سليمان بن أبي سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**وعد ابن ثوبان**) بالثاء المثلثة والموحدة هكذا هو في نسخ الكتاب، ولعله ابن بويان بضم الموحدة والياء التحتية وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عثمان بن بويان القارىء رواية خلف بن هشام البزي أحد القراء المشهورين (**أخاً له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له: وعدتني أنك تفطر عندي**) أمس (**فاخلفت**) الموعد، (**فقال: لولا ميعادي معك**) وفي نسخة: لولا ميعادك (**ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة**) أي العشاء الأخيرة (**قلت: أوتـر قبل أن أجيئك لأني ما آمن**) على نفسي (**ما يحدث من الموت، فلما كنت في الدعاء من الـوتر رفعت لي روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة، فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت**) هكذا نقله صاحب القوت.

الجنة، فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت. وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبرىء عن النفس وعدمِ الالتفات إليها وإلى هواها، ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عياناً وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها، وذلك لأن كلامِ الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف، وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش، فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات، وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلفاً إذ فيه كلامِ راضٍ وكلامِ غضبان وكلامِ منعم وكلامِ منتقم وكلامِ جبار متكبـر لا يبالي وكلامِ حنّان متعطف لا يهمل.

(**وهذه المكاشفات لا تكون**) ولا تتحقق (**إلا بعد التبرىء عن**) مذمات (**النفس وعدم الالتفات إليها وإلى ثوابها**) وفي نسخة: وإلى هواها، (**ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف**) على صيغة اسم المفعول، (**فحيث يتلو آيات الرجاء**) كقوله تعالى: ﴿إن الله غفور رحيم﴾ وقوله تعالى ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر: ٥٣] وما أشبه ذلك (**ويغلب على حاله الاستبشار**) والفرح (**تنكشف له صورة الجنة**) وتمثل بين يديه، (**فيشاهدها كأنه يراها عياناً**) أي معاينة في عالم الشهادة، (**وان غلب عليه الخوف**) عند تلاوته آيات العذاب (**كوشف بالنار**) فتمثل بين يديه (**حتى يرى أنواع عذابها**) من شعل النار واللهيب والأفاعي، (**وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف**) الظاهر المعنى، (**والشديد العسوف**) بما فيه من سوق القهر والتهديد، (**والمرجوّ والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش**) وبمعاني كلامه تعرف معاني صفاته وأفعاله وأحكامه ومعاني كلامه من معاني أوصافه واخلاقه، (**فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات**) ما بين رجاء وخوف، (**وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها**) ومن وجد عنده الاستعداد ولم يطرِ إلى مشاهدة عالم الملكوت فهو أخس حالا من البهيمة كما تقدم. (**إذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلفاً إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي**) أحداً، (**وكلام حنان متعطف**) يمهل و(**لا يهمل**).

وبالجملة؛ فمن لم يصلح أن يعرفه كعلمه بنفسه لم يصلح ان يعرف كنه كلامه، فاعلم الخلق بمعاني الكلام أعرفهم بمعاني الصفات، واعرف العباد بمعاني الأوصاف والاخلاق أعرفهم بسرائر الخطاب.

الباب الرابع

في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول: عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه، فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ: « من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار ». وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل

الباب الرابع

في فهم القرآن وتفسيره بالرأي

أي من عند نفسه **(من غير نقل)** مأثور

(لعلك تقول: عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن) وعجائبه، **(وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية)** المطهرة عن دنس الأوهام **(من معانيه)** الغريبة، **(فكيف يستحب ذلك)** أي كيف يختار على الاستحباب، **(وقد قال ﷺ « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »)**رواه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه، وهو عند أبي داود في رواية ابن العبد، وعند النسائي في الكبرى وقد تقدم ذلك في الباب الثالث من كتاب العلم.

وروى النقاشتي في مقدمة تفسيره عند أبي عصمة عن زيد العمي، عند سعيد بن جبير، عن ابن عمر رفعه « من فسر القرآن برأيه فأصاب تكتب عليه خطيئةإلـو قسمت بين العباد لوسعتهم فإن أخطأ فليتبوّأ مقعده من النار ».

وروى عن الحسن عن أبي هريرة « من فسر القرآن على رأيه فإن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ محي النور من قلبه ».

ومن حديث جندب بن عبد الله رفعه « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » وليس في الكتب الستة إلا حديث ابن عباس وهو الذي ذكرناه قبل، وحديث جندب بمعنى ما هنا. وحديث جندب رواه الترمذي وقال غريب. ورواه النسائي وابن جرير والبغوي وابن الانباري في المصاحف والطبراني وابن حبان.

ويروى عن ابن عباس أيضاً مرفوعاً « مِن قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار » رواه الترمذي وصححه وابن الانباري والطبراني والبيهقي، وروى الديلمي من حديث أبي هريرة « من فسر القرآن برأيه وهو على وضوئه فليعد وضوءه ».

التصوف من المفسرين المنسوبين إلى التصوف في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين، وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما قاله أهل التفسير فما معني فهم القرآن سوى حفظ تفسيره، وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار» فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطىء في الحكم بردّ الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه، بل الاخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم. قال علي رضي الله عنه: إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ وقال ﷺ: «إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً». ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو من علماء التفسير. فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع؟ وقال علي كرّم الله

(**ومن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير**) الواقفين على حدود الظاهر (**على أهل التصوف**) في معاني الألفاظ (**من المفسرين المنسوبين الى التصوّف**) كأبي عبد الرحمن العلمي في حقائق التفسير والقاشاني وغيرهما (**في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن**) ترجمان القرآن (**ابن عباس وسائر المفسرين**) ممن بعده، (**وذهبوا إلى أنه**) أي التأويل (**كفر**) إذ هو ازالة الالفاظ عن معانيها الأصلية ومخالفة النقل الصريح، (**فإن صحَّ ما قاله أهل التفسير**) الظاهر، (**فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره**) الذي أوردوه، (**وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله** ﷺ «من فسر **القرآن برأيه» الحديث**) ولا بدّ من رفع النقاب عن وجه البيان في هذه المسألة، (**فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه**) وبينه (**ظاهر التفسير فهو مخبر عن نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه**) إذ هو لم يدرك إلا هذا القدر ولم يتطلع إلى ورائه، (**ولكنه مخطىء في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه**) ومبلغ علمه وفي نسخة ومتخطاه بدل ومحطه، (**بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم**) والرياضات منها ما (**قال علي رضي الله عنه: الا أن يؤتي الله عبداً فهما في القرآن**) وقد تقدم في الباب الذي قبله، (**فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم**) الذي يؤتاه العبد وما معناه.

(و) منها ما (**قال** ﷺ: **« إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداًومطلعاً »**) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود مرفوعاً وتقدم ذلك في قواعد العقائد بلفظ ظاهراً وباطناً (**ويروى أيضاً**) ذلك (**عن ابن مسعود موقوفاً عليه**) أي من قوله ولم يرفعه ذكره صاحب القوت، (**وهو**) أي ابن مسعود (**من علماء التفسير**) وقد شاهد التنزيل فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع.

وجهه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب. فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار؟ وقال أبو الدرداء: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن

وقال الفريابي: حدثنا سفيان عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال رسول الله ﷺ: « ظهر وبطن لكل آية ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ».

وعند الديلمي من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً « القرآن تحت العرش له بطن وظهر يحاج العباد ».

وعند الطبراني وأبي يعلى والبزار عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ « إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع ».

واختلفوا في معاني هذه الألفاظ على أوجه فقيل: ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها، وقيل: ظاهرها الاخبار بهلاك الأولين وباطنها وعظ الآخرين، ورجحه أبو عبيد وقيل: ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق ذكره ابن النقيب.

وقيل: الظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد احكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد، وقيل: الحد منتهى ما أراد الله من معناه، وقيل: المقدار من الثواب والعقاب، وقوله « مطلع » أي يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد منه. وقيل: كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة.

(وقال علي رضي الله عنه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب) كما تقدم قريباً، **(فما معنى ذلك وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار)** يأتي في أوراق معدودة.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل بن علية، حدثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة قال: قال أبو الدرداء: إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع الى نفسك، فتكون لها أشد مقتا للناس.

قلت: وروى ابن لال من حديث جابر رفعه « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يبغض الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فتكون أمقت عنده من الناس أجمعين » وروى نحوه الخطيب في المتفق والمفترق، وابن عبد البر من حديث شداد بن أوس.

قال ابن عبد البر في جامع العلم: حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا سعيد بن أحمد الفهري، حدثنا عبد الله بن أبي مريم، حدثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي، حدثنا صدقة بن عبد الله، عن إبراهيم بن أبي بكر، عن أبان بن أبي عياش، عن أبي قلابة، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ

وجوهاً. وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر. وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع. وترديد

قال «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ولا يفقه العبد كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة» قال ابن عبد البر: صدقة ضعيف مجمع على ضعفه، وهذا حديث لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء.

ثم ساق من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء من قوله مثل سياق الحلية.

وقال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال: لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن عبيد عن حماد بن زيد. قلت لايوب: أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة فسكت يتفكر. قلت أهو أن يرى له وجوها الاقدام عليه، فقال هذا هو هذا هو أخرجه ابن عساكر كذلك.

وأخرج أبو سعد من طريق عكرمة قال ابن عباس عن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج، فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة فجاءهم بالسنن فلم يبق بايديهم حجة، واختلفوا في معرفة الوجوه فقيل المراد به أن ترى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد، وقيل: المراد به استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر، وسيأتي الكلام في الفرق بين الوجوه والنظائر في آخر الباب.

(وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر) نقله صاحب القوت. وقال: قال بعض علمائنا يعني به أبا محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله وأورده أيضاً ابن سبع في شفاء الصدور.

(وقال بعضهم: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعاً لكل واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع).

ولفظ الطوت: وأقل ما قيل في علوم القرآن التي تحويه من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألفاً وثمانمائة علماً إذ لكل آية علوم أربعة، وقد قيل: إنه يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتين من علوم لأن كل كلمة علم، وكل علم عن وصف، فكل كلمة مقتضى صفة وكل صفة موجبة أفعالاً حسنة وغيرها على معانيها اهـ.

وقال أبو بكر بن العربي في قانون التأويل: علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم على عدد كلم القرآن المضروبة في أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع، وهذا مطلق

رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة » لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلاّ فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن، وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر.

وبالجملة: فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته. وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات

دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط، وهذا مما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله تعالى.

(وترديد رسول الله ﷺ لبسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر) في بادىء الرأي، **(ولا يحتاج مثله ﷺ إلى تكرير)** وتقدم تخريجه قريباً.

(وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن) وهذا أيضاً قد تقدم قريباً. **(وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر)**. وأعظم دليل على كثرة علوم القرآن المستنبطة منه قوله تعالى ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ [النحل: ٨٩].

وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والأخرين. قال البيهقي: يعني أصول العلم.

وأخرج البيهقي عن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن، وقال أيضاً جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن.

وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله أخرجه ابن أبي حاتم.

وقال ابن مسعود إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله عز وجل أخرجه ابن أبي حاتم أيضاً، وقال الشافعي أيضاً: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها.

(وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارات الى مجامعها) قال ابن أبي

في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظّار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره

الفضل المرسي جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة واعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه منهم القراء والمعربون والمفسرون والأصوليون والكلاميون والفقهاء والفرضيون والصوفية والوعاظ والخطباء والمؤرخون والمعبرون والبيانيون والمؤقتون وغير هؤلاء على تباينهم، وغير ذلك من الفنون التي أحدثها الإسلامية منه، وقداحتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك، وفيه أصول للصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها كالخياطة والحدادة والنجارة والغزل والحراثة والغوص والصياغة والزجاجة والتجارة والملاحة والكتابة والخبازة والقصارة والجزارة والبيع والشراء والصباغة والنحت والكيالة والرمي، وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات ما تحقق معنى قوله ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ اهـ كلام المرسي ملخصاً.

وقال أبو بكر بن العربي في قانون التأويل: وأم العلوم القرآنية ثلاثة توحيد وتذكير وأحكام فالتوحيد يذكر فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والامر والنهي والندب، ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد.

وقال ابن جرير القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء التوحيد والاخبار والديانات، ولهذا كانت سورة الاخلاص ثلثه لأنها تشمل التوحيد كله. قال شيدلة: وعلى ان تلك الثلاثة تشمل سائر الأشياء التي تذكر فيــه بل اضعافها فإن القرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه.

(والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، ففي القرآن إليه رموز) جلية وخفية **(ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركه، فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره)**، ومن أعظم علوم النظر الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج، والقول بالموجب والمعارضة، وغير ذلك شيئاً كثيراً.

وتفسيره؟ ولذلك قال ﷺ: «اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه» وقال ﷺ في حديث علي كرّم الله وجهه: «والذي بعثني بالحق نبياً لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار، فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم. من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل، وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوّج فيقوّم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد»

ومناظرة إبراهيم عليه السلام نمروذ ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم، **(ولذلك قال رسول الله ﷺ «اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه»)** هكذا هو في القوت، والمعنى دوموا على قراءته والتمسوا معانيه الغريبة بالاستنباط والفهم.

قال العراقي: رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وأبو يعلى الموصلي، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ «اعربوا» وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الحاكم كذلك، وقال: صحيح عند جماعة، وقد ردّ عليه الذهبي في التلخيص فقال: مجمع على ضعفه، وقال الهيثمي فيه متروك، وقال الصدر المناوي فيه ضعيفان.

وأورده السيوطي في الاتقان وقال: ليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن، وقد أفرد بالتصنيف في غريبه جماعة كأبي عبيدة، وأبي عمر الزاهد، وابن دريد، ومن أشهرها كتاب العزيز فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ومن أحسنها المفردات للراغب.

(وقال ﷺ في حديث علي رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده») ولفظ القوت والذي بعثني بالحق نبياً **(لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالى فإن فيه نبأ ما كان قبلكم وبيان)** وفي القوت نبأ **(ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى)** أي طلب **(العلم في غيره أضله الله تعالى هو حبل الله المتين)** أي القوي **(ونوره المبين)** أي الظاهر **(وشفاؤه النافع)** عن سائر الامراض **(وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج)** أي لا يقبل العوج **(فيقام)** أي فيحتاج إلى اقامته **(ولا يزيغ)** أي لا يميل **(فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد»)** إلى آخر **(الحديث)** أورده صاحب القوت بتمامه فقال هو الذي سمعته الجن فلما تناهى أن ولّوا إلى قومهم منذرين ﴿فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد﴾ [الجن: ١، ٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، إلى هنا آخر الحديث.

الحديث. وفي حديث حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده قال: فقلت يا رسول الله، فماذا تأمرني إن أدركت ذلك؟ فقال: «تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك» قال: فاعدت عليه ذلك ثلاثاً فقال ﷺ ثلاثاً: «تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة». وقال علي كرّم الله وجهه: من فهم القرآن فسر به جمل العلم، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] يعني الفهم

وقد بنى المصنف على هذا خطبته من أولها إلى آخرها تضميناً له إياها كما أشرنا إليه هناك ووعدنا بذكر هذا الحديث.

قال العراقي: هو عند الترمذي دون ذكر افتراق الأمة بلفظ «ألا ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم» فذكره مع اختلاف وقال: غريب وإسناده مجهول اهـ.

قلت: هو من حديث الحارث الأعور قال الذهبي: حديثه في فضائل القرآن منكر. وأورده السيوطي في النوع الخامس والستين من الاتقان بلفظ «ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم» وقال: أخرجه الترمذي وغيره.

قال صاحب القوت: (و) قد روينا معناه (**في حديث حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنه (**لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده قال: قلت يا رسول الله: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال «تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك» قال فأعدت عليه ثلاثاً. فقال ﷺ «تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة» ثلاثاً**) قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في الكبرى وفيه «تعلم كتاب الله واتبع ما فيه» ثلاثاً.

(**وقال علي رضي الله عنه: من فهم القرآن فسر به جمل العلم**) نقله صاحب القوت (**أشار به**) علي رضى الله عنه (**إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في**) تفسير (**قوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] يعني الفهم في القرآن**) كذا في القوت.

وروي عن ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله.

وروى ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً «يؤت الحكمة» قال: القرآن قال ابن عباس يعني تفسيره فإنه قد قرأه البر والفاجر.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء «يؤت الحكمة» قال قراءة القرآن والفكرة فيه وروى ابن جرير مثله عن قتادة ومجاهد وأبي العالية.

في القرآن. وقال عز وجل: ﴿فَفَهَّمنَاهَا سُلَيْمَان وكُلاًّ آتينَا حُكَماً وعِلْماً﴾ [الأنبياء: ٧٩] سمى ما آتاهما علماً وحكماً وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدماً على الحكم والعلم. فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه، فأما قوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه» ونهيه عنه ﷺ، وقول أبي بكر رضي الله عنه: أي أرض تقلني وأيّ سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي؟ إلى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي. فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم، أو المراد به أمراً آخر. وباطل قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه.

(**وقال تعالى ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً﴾ [الانبياء ٧٩] فسمى ما آتاهما حكماً وعلماً وخصص ما انفرد به سليمان**) عليه السلام (**بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدماً على الحكمة والعلم**) ولفظ القوت: فرفع الفهم على الحكم والعلم واضافه إليه للتخصيص وجعله مقاماً عاماً فيهما.

(**فهذه الأمور**) واشباهها (**تدل على ان في فهم معاني القرآن**) لأربابه (**مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه**) بل الأمر وراء ذلك لمن أعطي المزيد فيه وكان له الحظ الوافر في الفهم، (**فأما قوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه»**) الحديث (**ونهيه ﷺ عنه**) أي عن التفسير بالرأي، (**وقول أبي بكر رضي الله عنه**) حين سئل عن قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال: (**أي أرض تقلني**) أي تحملني، (**وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي**) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن من طريق إبراهيم التيمي عنه بلفظ: ان انا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وروى أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر ﴿وفاكهة وأبا﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب. ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر، فهؤلاء الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى، ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً (**إلى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار**) الواردة (**في النهي عن التفسير بالرأي**) مما سقنا بعضها قريباً، (**فلا يخلو**) من أحد أمرين (**إما أن يكون المراد الاقتصار على النقل والمسموع**) بأن لايتعداهما، (**وترك الاستنباط**) للمعاني والاحكام، (**و**) ترك (**الاستقلال بالفهم أو**) يكون (**المراد به أمراً آخر**) غير ما ذكر. (**وباطل قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه**) ويتلقاه (**لوجوه** .

أحدها: أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من رسول الله ﷺ ومسنداً إليه، وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن، فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم، فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ. وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

والثاني: أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال، ولو كان الواحد مسموعاً لرد الباقي. فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه

أحدها: انه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من) ثم (**رسول الله ﷺ ومسنداً إليه**) من طرق معروفة، (**وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن**) وهو قليل والأصل المرفوع منه في غاية القلة كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعرض والقوّة بالرمي في قوله ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾ [الأنفال: ٦٠] وقد سرد السيوطي في آخر الاتقان جملة ما ورد فيه على ترتيب السور وسألحقها في آخر الباب.

(**فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود**) وغيرهما من أصحاب التفسير من طبقتهما (**من أنفسهم**) وفي بعض النسخ من نفسيهما، (**فينبغي أن لا يقبل**) منهم ذلك، (**ويقال هو تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ**)، وإنما فسروه بحسب ما ظهر لهم في الآية. (**وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم**). إذا قالوا في تفسير لفظ من ألفاظ القرآن ولم يسندوه إلى النبي ﷺ، فيكون ذلك تفسيراً بالرأي، وقال الحاكم في مستدركه: تفسير الصحابي بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ، وقال أبو الخطاب، من الحنابلة: يحتمل أن لا يرجع إليه إذا قلنا ان قوله ليس بحجة، قال ابن تيمية: والصواب ما قاله الحاكم لأنه من باب الرواية لا الرأي.

قال السيوطي في الإتقان: ما قاله الحاكم نازعه فيه الصلاح وغيره من المتأخرين بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأي فيه، ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال: الموقوفات تفسير الصحابة، وأما من يقول ان تفسير الصحابة منه، فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم في المستدرك فاعتمدوا الأول انتهى.

(**والثاني: أن الصحابة**) رضي الله عنهم (**والمفسرين**) من بعدهم قد (**اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها**) إلا بتكلفات (**وسماع جميعها**) مع اختلافها، (**عن رسول الله ﷺ محال**) لكونه ﷺ لا يختلف كلامه (**ولو كان**) القول (**الواحد منها مسموعاً**) منه ﷺ (**لترك الباقي**) منها ورد، (**فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى**) للفظ القرآن (**بما ظهر له باستنباطه**) وبحثه واجتهاده فيه

حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها.

(حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل) والحروف التي افتتحت بها أوائل السور يجمعها قولك: نص حكيم له سر قاطع، وكذا قولك: صراط على حكمه قسط. وهي أربعة عشر حرفاً وهي من الأحرف التسعة والعشرين.

روى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: ليس فيها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا هو مدة أقوام وآجالهم، ثم إن أوائل السور من المتشابه والمختار فيها أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

روى ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور، فقال: إن لكل كتاب سراً وإن سر هذا القرآن فواتح السور وخاض في معناه قوم آخرون فذكروا فيه أكثر من عشرين قولاً.

الأول: أنها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية قال الشاعر:

قلت لها قفي فقالت قاف

أي وقفت وهذا القول اختاره الزجاج.

الثاني: أنها الاسم الأعظم نقله ابن عطية وقد رواه ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود وروى ابن أبي حاتم عن السدي قال: بلغني عن ابن عباس قال «الم» اسم من أسماء الله الأعظم.

الثالث: أنها أقسام أقسم الله بها وهذا القول قد رواه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ويصلح أن يكون هذا القول من الأول لأن القسم لا يكون إلا بأسماء الله فهي برمتها أسماء الله تعالى وعليه مشى ابن عطية أو من القول الثاني.

الرابع: أنها أسماء للقرآن كالفرقان والذكر، وهذا قد رواه عبد الرزاق عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم بلفظ كل هجاء في القرآن فهو اسم من أسماء القرآن.

الخامس: أنها أسماء للسور نقله الماوردي عن زيد بن أسلم، وعزاه صاحب الكشاف إلى الأكثر.

السادس: أنها فواتح السور افتتح الله بها القرآن. رواه ابن جرير من طريق الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، ورواه أبو الشيخ من طريق ابن جريج عنه.

السابع: أنها حساب أبا جاد لتدل على مدة هذه الامة. قال الحوبي: وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى ﴿الم★ غلبت الروم﴾ [الروم: ٢١١] إن البيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ووقع كما قال. وقال السهيلي: لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة. قال الحافظ ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن أبا جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك

فقيل: إن « الر » هي حروف من الرحمن. وقيل: إن الألف الله، واللام لطيف، والراء رحيم. وقيل غير ذلك، والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً؟

ببعيد، فإنه لا أصل له في الشريعة فهذه سبعة أقاويل، وقد زيد على ذلك فقال بعضهم: هي تنبيهات كما في النداء عده ابن عطية مغايراً للقول بأنها فواتح.

قال السيوطي: والظاهر أنه بمعناه. وقال الحوبي: القول بأنها تنبيهات جيد لأن القرآن كلام عزيز وفوائده عزيزة، فينبغي أن يرد على سمع متنبه فكان من الجائز أن يكون قد علم في بعض الأوقات كون النبي ﷺ في عالم البشر مشغولاً فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله « الم » و« حم » ليسمع النبي ﷺ صوت جبريل فيقبل عليه ويصغي إليه. قال: وأنها لم تستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كألا، وأما لأنها من الألفاظ التي تعارفها الناس في كلامهم، والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد ليكون أبلغ في قرع سمعه اهـ.

وقيل إن العرب إذا سمعوا القرآن لغوا فيه، فأنزل الله تعالى هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم له واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده فترق القلوب وتلين الأفئدة، وقد عد جماعة هذا قولاً مستقلاً، والظاهر خلافه، وإنما هذا مناسبته لبعض الأقوال لا قولاً في معناها إذ ليس فيه بيان معنى، وقيل: إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي ا ب ت ث فجاء بعضها مقطوعاً وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تعريفاً ودلالة على عجزهم ان يأتوا بمثله بعد أن علموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها، وقيل: إن المقصود بها الاعلام بالحروف التي يتركب منها الكلام فذكر منها أربعة عشر حرفاً وهي نصف جميع الحروف، وذكر من كل جنس نصفه، فمن حروف الحلق الحاء والعين والهاء ومن التي فوقها القاف والكاف ومن الحرفين الشفهيين الميم ومن المهموسة السين والحاء والكاف والصاد والهاء، ومن الشديدة الهمزة والطاء والقاف والكاف، ومن المطبقة الطاء والصاد، ومن المجهورة الهمزة واللام والميم والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون، ومن المنفتحة الهمزة والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، ومن المستعلية القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة الهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، ومن القلقلة القاف والطاء، ثم أنه تعالى ذكر حروفاً مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة لأن تراكيب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة، وقيل: أمارة جعلها الله تعالى لأهل الكتاب أنه منزل على محمد ﷺ كتاباً في أول سور منه حروف مقطعة هذا ما وقفت عليه من الأقوال في أوائل السور من حيث الجملة، وفي بعضها أقوال:

(**فقيل: « الر »**) من الرحمن رواه أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي، وروى ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: « الر و حم و ن » (**هي حروف من الرحمن**) مفرقة (**وقيل: إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم**) فكأنه يقول انا الله اللطيف الرحيم، (**وقيل**

والثالث: أنه ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ». فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك؟

والرابع: أنه قال عز وجل: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَه مِنْهُمْ﴾ [النساء : ٨٣] فاثبت لأهل العلم استنباطاً. ومعلوم أنه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم

غير ذلك) منها ما رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى عن ابن عباس قال قوله « الر » معناه أنا الله أرى وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد تقدم ذكره هو إن فواتح السور حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى، **(والجمع بين الكل)** من هذه الأقوال **(غير ممكن، فكيف يكون الكل مسموعاً) .**

والثالث: (أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس وقال: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ») رواه الطبراني عن ابن عباس ولفظه أنه كان في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها، فوضع للنبي ﷺ طهوراً فقال النبي ﷺ : « من وضعه ؟ قيل ابن عباس قال: فضرب على منكبي وقال »فذكره ،وقد تقدم في الباب الثاني من كتاب العلم وقال له أيضاً « اللهم آته الحكمة » وفي رواية « اللهم علمه الحكمة ».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال دعا رسول الله ﷺ لابن عباس فقال « اللهم بارك فيه وانشر منه ».

(فإن كان التأويل كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك) والتأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح أو لما يظن دليلاً ففاسد أو لا لشيء فلعب لا تأويل، كذا في جمع الجوامع وفيه أقوال أخر تذكر مع التفسير قد تقدمت الإشارة إليها في كتاب العلم وفي قواعد العقائد.

(والرابع: أن الله عز وجل قال) في كتابه العزيز ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم **(لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾ **)** [النساء : ٨٣] قال البيضاوي : أي يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل : المعنى لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يستخرجون علمه من جهتهم، وأصل الاستنباط إخراج النبط وهو الماء يجتمع في البئر أول ما يحفر اهـ.

(فأثبت لأهل العلم استنباطاً) وأنهم يستخرجون من القضايا أموراً **(ومعلوم أن الاستنباط)** أمر **(وراء السماع)** وإنما هو راجع إلى علمه وفهمه، **(وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال)** الذي توهموه في عقولهم وسمى صورة ما تصوروه خيالاً

القرآن يناقض هذا الخيال، فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله. وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين.

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى. وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك، ولكن يلبس به على

مجازاً، **(فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد)** ممن مكنه الله تعالى في علوم القرآن **(أن يستنبط من القرآن)** معاني وأحكاماً **(بقدر فهمه)** الذي رزقه **(وحد عقله)** الذي استكمله بنور البصيرة والإتقان. وقال أبو الحسن الماوردي: وقد حمل بعض المتورعة حديث النهي عن تفسير القرآن بالرأي على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهد ولم يعارض شواهدها نص صريح، وهذا عدول عما تعبد على معرفته من التفكر في القرآن واستنباط الأحكام منه كما قال تعالى ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ولو صح ما ذهب إليه لم يعلم شيء بالاستنباط ولما فهم الأكثر من كتاب الله شيئاً.

(وأما النهي) عن التفسير **(فإنه)** مع الغرابة في الحديث الوارد فيه **(ينزل على أحد وجهين:**

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي) وفي نسخة غرض، **(وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج)** به **(على تصحيح غرضه)** الذي مال إليه هواه، **(ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم)** بقواعد الشرع أصلاً وفرعاً **(كالذي يحتج بآيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس ذلك هو المراد بالآية ولكنه يلبس بذلك على خصمه)** وهذا صنيع الزمخشري في الكشاف، فإن له فيه دسائس اعتزاليه نبه عليها علماء السنة كابن المنير والتقي السبكي وأبي حيان والعلم العراقي وغيرهم، فمن ذلك قوله في تفسير قول الله تعالى ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ [آل عمران: ١٨٥] فقال وأي فوز أعظم من هذا أراد به تصحيح بدعته من إنكاره الرؤية، وكقوله في تفسير قول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿لن تراني﴾ إنّ «لن» للجحد المؤكد وإنما أراد به نفي الرؤية وحمل «ناظرة» في قوله تعالى ﴿إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣] فقال أي منتظرة وغير ذلك من فضائحه التي أدرجها في تضاعيف تفسيره، ولذا منع العلماء من تعاطي كتابه وحذروا من مطالعته حتى صنف التقي السبكي في ذلك (الانكفاف عن مطالعة الكشاف).

وقد جمع السيوطي رحمه الله تعالى مواضع من تفسيره نحو أربعة وعشرين موضعاً في كتاب سماه

خصمه وتارة يكون مع الجهل. ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسّر برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه. وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة». ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل. وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله عز وجل: ﴿اذْهَبْ إلى فِرْعَون إنّه طَغى﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه ويومىء إلى أنه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو

(الإتحاف) ونقل كل قول من أقواله ورد عليه، وجاء في عصرنا رجل من فضلاء الروم فأجاب عن هذا التأليف، وساعد الزمخشري بعض مساعدة وقرظ عليه بعض علماء العصر ومنهم من كتب عليه في مواضع منه كالمساعد له، ولما سيق إليّ بواسطة حاكم مصر إذ ذاك وأمرني أن أكتب عليه لم يسعني السكوت والمواهنة في دين الله، فكتبت عليه رداً على طريق المحاكمة في كراسين أو ثلاثة وسميته (الانصاف في المحاكمة بين السيوطي وصاحب الكشاف).

(وتارة يكون مع الجهل) بأصول الشريعة والعقائد المختلفة، **(ولكن إذا كانت الآية محتملة)** وجهين أو أكثر فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون **(حينئذ)** ممن قد **(فسر القرآن برأيه وهواه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه)** وهواه، **(لما كان يترجح عنده ذلك الوجه)** الذي وافق غرضه دون الوجوه الأخر، **(وتارة قد يكون له غرض صحيح)** يحسن الإقدام عليه لترتيب فائدة، **(فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم)** ويتحقق **(أنه ما أريد به)** ذلك. **(كمن يدعو)** الناس **(إلى الاستغفار بالأسحار)** ويعظم أمره، **(فيستدل بقول النبي ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة»)** رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس، ورواه النسائي أيضاً عن أبي هريرة وابن مسعود وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب العلم.

(ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر) أي الذي يذكر الله بالأسحار وينزل عليه قوله تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل عمران: ١٧] **(وهو يعلم ان المراد به الأكل)** في السحر مع ما ورد من تسميته غداء في حديث آخر من رواية أبي الدرداء عند الطبراني، وما ورد من حديث أنس عند أبي يعلى: «تسحروا ولو بجرعة من ماء».

(وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي) بالرياضات والمخالفات **(فيقول قال الله تعالى ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه)** لأنه تعرض عليه الخطرات والوساوس والمراد به النفس الأمارة **(ويومى إلى أنه)** هو **(المراد بفرعون)** بجامع

ممنوع، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة

الطغيان، **(وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ)** والقصاص **(في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام)** وتزييناً له **(وترغيباً للمستمع)** على صيغة اسم المفعول، وهو لا ينكر موسى عليه السلام ولا فرعون، ولا أن هذا الخطاب إلى موسى عليه السلام، وقد أمر بذهابه إلى إرشاد فرعون، وقد بالغ بعضهم فقال: حيث ذكر فرعون في القرآن، فالمراد به النفس الأمارة، وقد نسب هذا القول إلى الشيخ الأكبر قدس سره، وأسلفنا تحقيق ذلك في كتاب العلم وفي قواعد العقائد فراجعه، وكقول بعضهم في ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ ما على العباد أضر من ربهم . ونسبه الذهبي في الميزان إلى صاحب القوت في ترجمته والظن به جميل إن صح عنه **(وهو ممنوع)** ومن هذا الجنس قول بعضهم في قوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال: أي من ذل ذي يشفع أي من أذل نفسه نيل مقام الشفاعة، ومنهم من زاد فقال: يشفع جعله مركباً من جملتين، وقد سئل عن ذلك السراج البلقيني فأفتى بأن قائله ملحد وقد قال الله تعالى ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾ [فصلت: ٤٠] قال ابن عباس هو أن يوضع الكلام في غير موضعه، رواه ابن أبي حاتم ولعله يدخل في هذا الجنس ما تقدم للمصنف في تفسير قوله ﷺ «اللهم أصلح الراعي والرعية» أي القلب والأعضاء وهذا المعنى وإن كان صحيحاً في نفسه لكنه لم يرد بذلك تصريح من الشارع فليجتنب.

(وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس) أي إيقاعهم في الغرور، **(ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم)** الفاسد، **(ومذهبهم)** الباطل **(على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به)**.

قال ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر ثم قال: وأنا أقول ان الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير ما ورد به القرآن، فإن ذلك النظير يذكر بالنظير ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والإلباس.

وقال النسفي في عقائده: النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد.

قال السعد في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية. قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف على

به. فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي. ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح. والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي.

والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع. والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير. فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كَثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي، فالنقل والسماع لا بدّ منه في ظاهر التفسير أوّلاً ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة. ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أوّلاً ولا

أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان اهـ. وسيأتي لذلك تحقيق في آخر الباب.

(فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي)، وأصل الرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة ظن، فإن كان عن اجتهاد صحيح مطابق لأصول السنة فصحيح وإلا ففاسد فالمذموم المعيب المهجور المنهي عنه في تفسير القرآن. هو هذا القسم دون الصحيح المطابق، وقد أشار إلى ذلك ابن عبد البر في آخر كتاب جامع العلم.

(والوجه الثاني) من وجهي النهي: **(أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية)** بالنظر إلى قواعدها **(من غير استظهار بالسماع والنقل)** المرفوعين **(فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة)** والمجملة **(والمبدلة وما فيها من)** الإيجاز و**(الاختصار)** والاطناب **(والحذف والإضمار والتقديم والتأخير)** وغير ذلك مما يأتي بيانها، **(فمن لم يحكم ظاهر التفسير)** المعبر عنه بترجمة الألفاظ على قواعد لغة العرب، **(وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية)** أي قواعدها **(كثر غلطه)** وبان سقطه، **(ودخل في زمرة من يفسر بالرأي)** وهوى النفس، **(فالنقل والسماع)** المرفوعان **(لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط)** ويأمن به غوائل المخالفة **(ثم بعد ذلك يتسع الفهم)** بقوة نور الإيمان وضعفه **(و)** يهتدي بذلك إلى **(الاستنباط)** في المعاني والأحكام **(والغرائب)** القرآنية **(التي لا تفهم إلا بالسماع)** من حضرة النبوة **(فنون)** أي أنواع **(كثيرة، ونحن نرمز)** أي نشير **(إلى جمل منها يستدل بها على أمثالها)** ونظائرها فيحمل النظير منها على النظير، **(ويعلم أنه لا يجوز**

مطمع في الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر . ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك، فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بدّ منها للفهم . وما لا بدّ فيه من السماع فنون كثيرة .

التهاون بحفظ التفسير الظاهر) منها **(أولاً و)**من القطع أنه **(لا مطمع في الوصول إلى)** العلم **(الباطن قبل إحكام)** العلم **(الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن)** ومعانيه وجواهره ودرره **(ولم يحكم التفسير الظاهر)** منه ، **(فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت)** وهو الموضع المرتفع منه **(قبل مجاوزة الباب، أو)** مثل من **(يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم مقاصد لغة الترك)** وأصولها التي بنيت عليها ، **(فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم) .**

ولنسق هنا من كلام الأئمة في هذا المبحث باباً جامعاً يحتوي على كلامهم ويقع إيضاحاً لما ساقه المصنف، وتفصيلاً لما أفهمه مع ذكر مناسبات، ونظائر لما أورده، فمن ذلك الكلام على تفسيره وتأويله والحاجة إليه وشرفه ومعرفة شروط المفسر وآدابه وبيان العلوم التي يحتاج إليها المفسر في تفسيره، وذكر غرائب التفسير كل ذلك بتلخيص واختصار .

أما التفسير فهو من الفسر وهو البيان والكشف، ويقال: هو مقلوب السفر أو هو من التفسرة اسم لما يعرف به الطبيب المرض هكذا قالوا . والأشبه أن يكون الأمر بعكس ذلك فيكون التفسرة مأخوذة من الفسر .

وأما التأويل فمن الأول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية الى ما تحتمله من المعاني، وقيل: من الايالة وهي السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه، واختلف في التفسير والتأويل فقال أبو عبيدة وطائفة: هما بمعنى، وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه. وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها ، وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً والتوجيه بيان لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة. وقال أبو منصور الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على الله أنه عنى بهذا اللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله .

وقال الثعلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق، والصبب بالمطر . والتأويل تفسير باطن اللفظ فهو إخبار عن حقيقة المراد . والتفسير إخبار عن دليل المراد مثاله قوله ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ تفسيره أنه من الرصد وهو التقرب، والمرصاد مفعال منه

وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله تعالى والغفلة عن نواهيه والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

وقال الأصبهاني: التفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز يتبين بشرح نحو ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾، وإما في كلام متضمن للقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ [التوبة: ٣٧] والتأويل يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى، واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود، وقال غيره التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية.

وقال أبو نصر القشيري: التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل، وقال غيره: ما وقع بينا في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنة سمي تفسيراً لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه، والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم.

وقال أبو حيان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك قال: فقولنا علم جنس، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هو علم القراءة، وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع، وقولنا: ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل عليه صاد، فيحمل على غيره وهو المجاز، وقولنا وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك.

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

فصل

وأما وجه الحاجة إليه، فاعلم أن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعملون بظواهره وأحكامه، وأما دقائق باطنه، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة على ذلك في أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجاً إليه، ومعلوم أن تفسيره بعضه يكون

....

من قبل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

وقال الحوبي: علم التفسير عسر يسر، أما عسره فظاهر من وجوه أظهرها أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه ولا إمكان للوصول إليه بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها، فإن الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه، وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأنه يسمع من الرسول ﷺ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن تتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

فصل

وأما شرفه، فقد تقدم بعض الكلام عليه عند قول المصنف في تفسير قوله ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ [البقرة: ٢٦٩] عن ابن عباس وغيره أنه الفهم في القرآن، وقيل: قراءة القرآن وتدبره، وقيل: تفسيره، وقيل المعرفة به.

وروى ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها، إلاّ أحزنتني لأني سمعت الله يقول ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣]

وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ الشعر هذاً، وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفاية وأجل العلوم الثلاثة الشرعية، فإن شرف كل علم إما بشرف موضوعه أو بشرف غرضه او لشدة الحاجة إليه، فموضوعه كلام الله تعالى، فأي شرف أشرف منه، وأما من جهة الغرض فإن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي متوقف على العلم بكتاب الله تعالى.

فصل

في معرفة شروط المفسر:

قالوا: من أراد تفسير القرآن طلبه أوّلاً منه، فما أجمل منه في مكان، فقد فسر في موضع آخر. وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياه ذلك طلبه من السنّة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، فإن لم يجده رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

وقال الطبري في أوائل تفسيره: من شرط المفسر صحة الاعتقاد أوّلاً ولزوم السنة فإن كان معترضاً عليه في دينه فلا يؤتمن على اخباره عن أسرار الله تعالى لأنه لا يؤمن إن كان متهماً بالالحاد أن يبغي الفتنة ويضر الناس بخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة، وإن كان متهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله الهوى على ما يوافق بدعته كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الايضاح فلال المساكن ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهوى، ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي ﷺ، وعن أصحابه ومن عاصرهم، وإن تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل نحو أن يتكلم مع الصراط المستقيم، وأقوالهم فيه ترجع إلى شيء واحد فيدخل منها ما يدخل فيه الجميع، فلا تنافي بين القرآن وطريق الأنبياء وطريق السنة وطريق النبي ﷺ وطريق أبي بكر وعمر، فأي هذه الأقوال أفرده كان محسناً، وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله منها، ولا يتهجم على تعيينه، ثم أنه ينزله منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه، وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئاً من عدة الاعراب لا يلبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان إما حقيقة أو مجازاً فتأويله تعطيله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع: يجب أن تعلم أن النبي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزّل إليهم﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا، وكانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل. روي ذلك عن عثمان وابن مسعود رضي الله عنهما قالوا فيعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ولهذا يبقون مدة في حفظ السورة وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ [النساء: ٨٢] وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً. وفي التابعين كذلك بالنسبة إلى من بعده، ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان.

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسير الصراط المستقيم باتباع القرآن أو بدين الإسلام، فالقولان يتفقان لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما انما نبه على وصف غير الوصف الآخر، وكذلك قول من قال هي السنّة والجماعة، وقول من قال هي طريق العبودية، وقول من قال هي طاعة الله ورسوله، وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة لكن وصفها كل بصفة من صفاتها.

الثاني: أن يذكر كل منهم من الإسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على

....

النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود من عمومه وخصوصه ومثاله ما يقال في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [فاطر: ٣٢] الآية. فمعلوم ان الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات، وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون، ثم إن كلاّ منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه هو الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، أو يقول السابق المحسن بالصدقة، مع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط والظالم مانع الزكاة، وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوّع التفسير تارة لتنوّع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى هذا هو الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظن أنه مختلف، ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين إما لكونه مشتركاً في اللغة كلفظ القسورة الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد ولفظ عسعس الذي يراد به اقبال الليل وادباره وإما لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر في قوله: ﴿ثم دنا فتدلّى﴾ [النجم: ٨] الآية. ولفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر، وأشباه ذلك فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك.

فالأول: إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه، وأما لكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً، إذا لم يكن لمخصصه موجب، فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان في الصنف الثاني. ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة كما إذا فسر بعضهم بستل بنجس وبعضهم بقرهن لأن كلاّ منهما قريب من الآخر ثم قال: والاختلاف في التفسير على نوعين منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك. والمنقول إما عن المعصوم أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من سقيمه عامته منها لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف وفي اسمه. وفي البعض الذي ضرب به القتيل في البقرة، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك. فهذه الأمور طريق العلم بها النقل فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ قبل، وما لا بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه، وكذا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما نقل عن التابعين، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال انه أخذه عن أهل الكتاب، وقد نهوا عن تصديقهم.

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود كثيراً ولله الحمد، وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق والفريابي ووكيع وعبد بن حميد وإسحاق بن راهويه وأمثالهم. أحدها: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، والثاني: فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ ان يريده من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به، فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مجرد اللفظ لذلك المعنى في اللغة غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام. ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق. والأولون صنفان: تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به وتارة يحملونه على ما يدل عليه ولم يرد به وفي كلا الأمرين قد يكون ما تعبدوا به نفيه أو اثباته من المعنى باطلاً، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقاً فيكون خطؤهم فيه في الدليل لا في المدلول، فالذين أخطأوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة، وعمدوا إلى القرآن فتأوّلوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وقد صنفوا تفاسير على أصول مذاهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم، والجبائي، وعبد الجبار، والزمخشري وأمثالهم. ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى أنه يرفع على خلق كثير من أهل السنة كثيراً من تفاسيرهم الباطلة، وتفسير ابن عطية وأمثاله اتبع للسنّة وأسلم من البدعة. ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً، ثم أنه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكتاب الذين قرروا أصولهم بطريق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه، فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشتركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا. وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً لأنهم كانوا اعلم به وبتفسيره وبمعانيه، كما أنهم اعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وأما الذين أخطأوا في الدليل لا في المدلول كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها، لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق، فإن كان فيما ذكروه معان باطلة دخل في القسم الأول والله أعلم اهـ، كلام ابن تيمية ملخصاً وهو

....

نفيس جداً.

فصل

وقال الزركشي في البرهان للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة.

الأول: النقل عن النبي ﷺ، وهذا هو الطراز المعلم، لكن يجب الحذر من الضعيف منه، والموضوع فإنه كثير، ولهذا قال أحمد: ثلاثة لا أصل لها المغازي والملاحم والتفسير. قال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك بعضه وهو قليل.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع كما قاله الحاكم في مستدركه، وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل من أصحابه المنع، وحكوه عن شعبة، لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكوا في كتبهم أقوالهم، لأن غالبها تلقوها عن الصحابة، وربما تحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ فيظن من لا فهم عنده أن ذلك اختلاف تحقيق فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك بل يكون كل واحد ذكر معنى من الآية، لكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، وإن لم يكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص يقدم ان استويا في الصحة عنه وإلاّ فالصحيح المقدم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربي، وهذا قد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد في مواضع لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ما يعجبني فقيل ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد، وقيل الكراهة تحمل على من صرف الآية على ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها. وروى البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كلام الله إلا جعلته نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» والذي عناه علي بقوله: إلا فهما يؤتاه الرجل في القرآن، ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل برأيه على مقتضى نظره، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الاسراء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ١٦٩] وقال ﷺ: «من تكلم

....

في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » رواه أبو داود والترمذي والنسائي ، قال البيهقي : هذا الحديث إن صح والله أعلم المراد به الرأي الذي يقلد من غير دليل قام عليه ، وأما الذي يشده برهان فالقول بـه جائز . وقال في المدخل في هذا الحديث نظر وإن صح ، وإنما أراد به والله أعلم فقد أخطأ الطريق فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة . وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله ، وأدوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة من بعده وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد ، وقال قد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفته منه بأصول العلم وفروعه فتكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة اهـ ، كلام الزركشي .

وقال الماوردي : الحديث ان صح فتأويله ان من تكلم في القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق وأصابته اتفاق إذ الفرض أنه مجرد رأي لا شاهد له ، وفي الحديث : « القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه » أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس فقوله : « ذلول » يحتمل وجهين . أحدهما : أنه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم ، والثاني : انه يوضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه افهام المجتهدين ، وقوله : « ذو وجوه » يحتمل معنيين . أحدهما أن من الناظر ما يحتمل وجوهاً من التأويل ، والثاني أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم ، وقوله : « فاحملوه على أحسن وجوهه » يحتمل معنيين أحدهما : الحمل على أحسن معانيه ، والثاني أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام ، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله اهـ .

وقال أبو الليث : النهي إنما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال تعالى : ﴿وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه﴾ [آل عمران : ٧] لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة ، فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره ، وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع ويكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير ، ولو أنه يعلم التفسير فأراد أن يستخرج من الآية حكماً أو دليلاً للحكم فلا بأس به ، ولو قال المراد كذا من غير أن يسمع فيه شيئاً فلا يحل وهو الذي نهى عنه .

وقال ابن الأنباري في الحديث الأول : حمله بعض أهل العلم على أن الرأي يعني به الهوى فمن قال في القرآن قولاً يوافق هواه فلم يأخذ عن أئمة الدين وأصاب فقد أخطأ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه ، وقال في الحديث الثاني وهو الذي أورده المصنف : له معنيان . أحدهما : من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله ، والثاني : وهو الصحيح « من قال في القرآن قولاً يعلم ان الحق غيره فليتبوّأ مقعده من النار » .

وقال البغوي والكواشي وغيرهما: التأويل صرف الآية إلى معنى يوافق ما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنّة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ [التوبة: ٤١] قيل شباباً وشيوخاً. وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل: عزاباً ومتأهلين، وقيل نشاطاً وغير نشاط، وقيل أصحاء ومرضى. وكل ذلك سائغ والآية محتملة. وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ [الرحمن: ١٩] إنهما علي وفاطمة ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن: ٢٢] يعني الحسن والحسين.

فصل

في بيان العلوم التي يحتاج المفسر إلى تفسيره:

وهي خمسة عشر علماً:

أحدها: اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ بحسب الوضع. قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب، ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد الآخر.

الثاني: النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب، فلا بدّ من اعتباره. روى أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقوّم بها قراءته فقال: حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيبغي توجيهها فيهلك فيها.

الثالث: التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس: ومن فاته علمه فاته المعظم، وقال الزمخشري: من بدع التفاسير قول من قال إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يوم تدعو كل أناس بإمامهم﴾ [الاسراء: ٧١] جمع «أم» وإن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم. قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف فإن أما لا يجمع على إمام.

الرابع: الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح هل هو من المساحة أو من المسح.

الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع لأنه يعرف بالأول تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام: وهذه العلوم الثلاثة من علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بدّ له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم.

الثامن: علم القراءات لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

....

التاسع: أصول الدين لما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله، فالأصولي يؤوّل ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر: أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: علم أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم وإليه الإشارة في حديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»

قال ابن أبي الدنيا: علوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً، إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً، بالرأي المنهي عنه، وأما الصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، وأنهم استفادوا العلوم الأخر من النبي ﷺ.

قال السيوطي: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان تحصيله، وليس كما ظننت من الاشكال والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد.

فصل

قال ابن النقيب جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأي طريق أمكن، وإن كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.

وقال الزركشي: القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد، والأول إما أن يرد عن النبي ﷺ أو الصحابة أو رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل ذلك اللسان، فلا شك في اعتماده إذ ربما

ومنها : الايجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى : ﴿وآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا

شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه ، فحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة ، فإن أمكن الجمع فذلك ، وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النبي ﷺ دعا له فيه ، وأما ما ورد عن التابعين فكذلك وإلاَّ وجب الاجتهاد ، وأما ما لم يرد فيه نقل فقليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى المفردات من تلك الألفاظ ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق .

فصل

في غرائب التفسير التي لا يحل الاعتماد عليها ولا تذكر إلا للتحذير منها :

من ذلك قول من قال في حم عسق إن الحاء حرب علي معاوية ، والميم ولاية المروانية ، والعين ولاية العباسية ، والسين ولاية السفيانية ، والقاف قدوة مهدي . وحكاه أبو مسلم . ومن ذلك قول من قال : ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ [البقرة : ١٧٩] إنه قصص القرآن ، واستدل بقراءة أبي الجوزاء بضم القاف وهو بعيد ، ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في قوله : ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة : ٢٦٠] ان ابراهيم عليه السلام كان له صديق وصفه بأنه قلبه أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً ، وهذا بعيد أيضاً ، ومن ذلك قول من قال في قوله : ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة : ٢٨٦] إنه الحب والعشق ، وقد حكاه الكواشي في تفسيره ، ومن ذلك قول من قال : ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ [الفلق : ٣] إنه الذكر إذا قام ، وقد ذكره صاحب القاموس . ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله : ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر﴾ يعني إبراهيم ﴿ناراً﴾ أي نوراً وهو محمد ﷺ ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ [يس : ٨٠] أي تقتبسون ومن ذلك ما سبق من قول الرافضة في قوله : ﴿مرج البحرين﴾ انهما علي وفاطمة ﴿واللؤلؤ والمرجان﴾ هما الحسن والحسين . وما أشبه ذلك من التفاسير المنكرة التي لا يحل الاعتماد عليها .

ولنرجع إلى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى ، **(ولا بدّ فيه من استتباع فنون كثيرة .**

منها : الايجاز) وهو من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم انه قال : البلاغة هي الإيجاز والاطناب ، ثم أن الإيجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح ، وصرح به الطيبي ، وقال بعضهم : الاختصار خاص بالجمل فقط بخلاف الايجاز ورده صاحب عروس الأفراح ، والايجاز قسمان ايجاز قصر وإيجاز حذف ، وإلى الثاني أشار المصنف بقوله : **(بالحذف والإضمار)** والأوّل هو الوجيز بلفظه الطويل بمعناه ، وقال بعضهم : هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة وسبب حسنه أنه يدل على التمكن من الفصاحة ، ولهذا قال ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم » وقال الطيبي في التبيان : الايجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام .

....

أحدها: ايجاز القصر وهو أن يقصر اللفظ في معناه مثاله قوله تعالى: ﴿إنه من سليمان﴾ إلى قوله: ﴿وآتوني مسلمين﴾ [النمل: ٣١] جمع في أحرف العنوان والكتابة والحاجة.

الثاني: ايجاز التقدير وهو أن يقدر معنى زائداً على المنطوق. وسماه ابن مالك في المصباح بالتضييق، لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه، ومثاله قوله: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢] أي للضالين الصائرين بعد الضلالة إلى التقوى.

الثالث: الايجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة، ومثاله قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] الآية، وقد تقدم ذكرها في الباب الأوّل من هذا الكتاب ومن بديع الايجاز سورة الإخلاص فإنها قد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة، وقد أفردت بالتأليف، وقوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ [هود: ٤٤] الآية، أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى. وقص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والايجاز والبيان لجفت الأقلام، وقد أفردت أيضاً بالتأليف، وقوله تعالى: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل: ١٨] الآية جمع في هذه الآية أحد عشر جنساً من الكلام فادت وكنت ونبهت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت، وأشارت وعذرت فادت خمس حقوق حق الله وحق سليمان وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان وقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٧٩] فإن معناه كثير واللفظ يسير لأن معناه إن الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعياً إلى أن لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضاً. وكان ارتفاع القتل حياة لهم، وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم: القتل أنفى للقتل بعشرين وجهاً أو أكثر، وأنكر ابن الأثير هذا التفضيل وقال: لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق، وأمثال ذلك من الآيات الجامعة في القرآن كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.

تنبيهات:

الأول: ذكر قدامة من أنواع البديع الإشارة وفسرها بالإتيان بكلام قليل وفي معان جمة، وهذا هو إيجاز القصر بعينه، لكن فرق بينهما ابن أبي الأصبع بأن الايجاز دلالته دلالة مطابقة، ودلالة الإشارة اما تضمن أو التزام.

الثاني: من الإيجاز نوع يسمى التضمين، وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باعم هو عبارة عنه، وهو نوعان: أحدهما ما يفهم من البنية كقوله معلوم فإنه يوجب انه لا بد من عالم، والثاني: في معنى العبارة كالبسملة، فإنها تضمنت معنى الاستفتاح في الامور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه.

الثالث: مما يصلح أن يعد من أنواع الإيجاز الاتساع من أنواع البديع وهو أن يؤتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله الفاظه من المعاني، كفواتح السور ذكره ابن أبي الأصبع.

بهَا﴾ [الإسراء : ٥٩] معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها ، فالناظر إلى ظاهر

الرابع: ذكر غير واحد ان من أنواع إيجاز القصر باب الحصر سواء كان بألا أو إنما أو غيرهما من أدواته لأن الجملة فيها نابت مناب جملتين ، وباب العطف لأن حرفه وضع للاغناء عن إعادة العامل وباب النائب عن الفاعل لأنه أدل على الفاعل باعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه ، وباب الضمير لأنه وضع للاستغناء عن الظاهر اختصاراً ، ولذا لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل ، وباب علمت انك قائم لأنه محتمل لاسم واحد سد مسد المفعولين من غير حذف ، ومنها طرح المفعول اقتصاراً على جعل المتعدي كاللازم ومنها الألفاظ الملازمة للعموم كأحد ، ومنها لفظ التثنية والجمع فإنه يغني عن تكرر المفرد وأقيم الحرف فيهما مقامه اختصاراً .

القسم الثاني: من قسم الإيجاز إيجاز الحذف وهو على أنواع **أحدها :** ما يسمى بالاقتطاع ، وهو حذف بعض حروف الكلمة ، وانكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن وردّ بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها اسم من أسماء الله تعالى كما تقدم ، وادعى بعضهم أن الباء في ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ أوّل كلمة بعض ، ثم حذف الباقي ومنه قراءة بعضهم : **(ونادوا يا مال)** بالترخيم لشدة ما هم فيه عجزوا عن اتمام الكلمة .

الثاني: ما يسمى بالاكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفي بأحدها عن الآخر لنكتة ويختص غالباً بالارتباط العطفي كقوله ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل : ٨١] أي والبرد وخصص الحر بالذكر لان الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم ، وقوله تعالى ﴿بيدك الخير﴾ أي والشر ، وإنما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب ومرغوبهم ، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم ، أو لأن اضافة الشر إليه تعالى ليس من الأدب كما في الخير والشر ليس إليك وقوله تعالى : ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٢] أي وللكافرين قال ابن الانباري : ويؤيده قوله ﴿هدى للناس﴾ وقوله تعالى : ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ [النساء : ١٧٦] أي ولا والد بدليل أنه أوجب للاخت النصف ، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها .

الثالث: ما يسمى بالاحتباك وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه مثاله قوله تعالى : ﴿فلا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فاتوهن﴾ [البقرة : ٢٢٢] أي حتى يطهرن من الدم ويتطهرن بالماء ، فإذا تطهرن وطهرن فاتوهن .

الرابع: الاختزال وهو ليس واحدا مما سبق وله اقسام لأن المحذوف إما كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر ، ولكل منها أمثلة سيأتي ذكر بعضها في السياق .

وقد مثل المصنف للموجز بالحذف والاضمار فقال : **(كقوله تعالى : ﴿وآتينا ثمود الناقة مُبصرةً فظلموا بها﴾)** [الإسراء : ٥٩] ففي هذا مضمر ومحذوفان ، فالمضمر قوله ﴿مبصرة﴾ والمعنى آية مبصرة فاضمر ومحذوفان قوله ﴿فظلموا بها﴾ أي نفوسهم بالتكذيب بها فاختصرت كلمتان من كلمتين للإيجاز ، وهذا معنى قول المصنف : **(معناه آية مبصرة فظلموا**

العربية يظن أن المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم. وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] أي حب العجل فحذف الحب. وقوله عز وجل: ﴿إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ

أنفسهم بقتلها) فذكر ما هو لازم التكذيب وهو القتل، (**فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولا يدري أنهم بماذا ظلموا غيرهم أو أنفسهم)** والإيتاء يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، فحذف منها المفعول الثالث، ومثال ما حذف منه المفعول الثاني قوله ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ [الأعراف: ١٥٢] أي الها ومثال ما اذا تعدى إلى واحد، وحذف قوله فظلموا بها أي أنفسهم ومن ذلك أيضاً قوله: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ [التكاثر: ٣] أي عاقبة أمركم، وكل هؤلاء من القسم الأول من أقسام الاختزال الذي تقدم ذكره، وهو ما كان المحذوف فيه كلمة اسم، وذكر أهل البيان ان مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريباً أو عظيماً دون سائر الأفعال، لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء، فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن يكون إلا مشيئة الجواب، ولذلك كانت الإرادة مثلها في اطراد حذف مفعولها ذكره الزملكاني والتنوخي في الأقصى القريب، وقد علم من سياقها ان حذف المفعول في المشيئة والإرادة كثيرة، ويرد في غيرهما قليلاً وقوله فظلموا بها إن قدرنا فيه أي بالتكذيب بها ففيه حذف حرف الجر ومجرورها. وقد ذكر ابن جني أن حذف الحرف من أصله ليس بقياس لأنه إجحاف، وإذا قررنا فيه كما قاله المصنف أي بقتلها فيكون المحذوف هنا المضاف وحذف المضاف في القرآن كثير، وتتبعه ابن جني فاوصله إلى زهاء ألف موضع، وقد سردها الشيخ عز الدين في كتابه المجاز، ويجوز أن يكون قوله مبصرة من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه ومثل ذلك قوله ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ [ص: ٥٢] أي حور قاصرات، وقوله ﴿أن اعمل سابغات﴾ [سبأ: ١١] أي دروعاً سابغات.

تنبيه:

في حذف المفعول اختصاراً أو اقتصاراً قال ابن هشام: جرت عادة النحويين أن يقولوا يحذف المفعول اختصاراً لدليل، ويريدون بالاقتصار الحذف بغير دليل ويمثلونه بنحو ﴿كلوا واشربوا﴾ أي أوقعوا هذين الفعلين والتحقيق ان يقال تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه، ومن أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام، فيقال حصل حريق أو نهب، وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد ايقاع الفاعل للفعل، فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول، ولا ينوى إذ المنوي كالثابت ولا يسمى محذوفاً لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له. ومنه ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ إذ المعنى أوقعوا الأكل والشرب وذروا الاسراف.

(و) من المختصر المحذوف المبدل (**قوله تعالى: ﴿واشربوا في قلوبهم العجل﴾ [البقرة: ٩٣] أي حب العجل فحذف)** المضاف وأبدل المضاف إليه مكانه، **(و)** من أمثلة حذف المضاف أيضاً والمبدل والمضمر (**قوله تعالى: ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف**

الحياةِ وضُعْفَ الْمَاتِ﴾ [الإسراء : ٧٥] أي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى . فحذف العذاب وأبدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت ، وكل ذلك جائز في فصيح اللغة . وقوله تعالى : ﴿واسْئَلِ القَرْيَـةَ التي كُنَّـا فِيهَـا والعِيرِ التي أقبلنـا فيهـا﴾ [يوسف : ٨٢] . فالأهل محذوف مضمر . وقوله عز وجل : ﴿ثَقُلَتْ في السَّمواتِ والأَرْضِ﴾ [الأعراف : ١٨٧] معناه خفيت على أهل السموات والأرض والشيء إذا خفي ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم (في) مقام (على) وأضمر الأهل وحذف . وقوله تعالى :

المات﴾ [الاسراء : ٧٥] أي ضعف عذاب الاحيـاء وضعـف عـذاب الموتـى ، فحـذف العذاب) أي أضمر ذكره ، **(وأبـدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت)** . **فأقام** الوصف مقام الاسم ويصلح أيضاً أن يترك الوصف على لفظه ، ويضمر « أهل » فيكون المعنى ضعف عذاب أهل الحياة وضعف عذاب أهل المات ، **(وكل ذلـك جائز في فصيح اللغة ، و)** من المحذوف المضمر أيضاً **(قوله تعالى : ﴿واسأل القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾ [يوسف : ٨٢] أي)** اسأل **(أهل القرية وأهل العير فالأهل فيها محذوف مضمر)** ، واختلف في الحذف هل هو من االمجاز ؟ فقيل : نعم . وهذا هو المشهور وانكره قوم وقالوا : لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه والحذف ليس كذلك . وقال ابن عطية : حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه وليس كل حذف مجازا ، وذكر القرافي للحذف أربعة أقسام الأول : منـها ما يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الاسناد نحو واسأل القـرية أي أهلها إذ لا يصـح اسناد السؤال إليها ، وذكر بقية الأقسام ثم قال : وليس في هذه الاقسام مجاز إلا الأول . وقال القزويني في الإيضاح : متى تغير إعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهي مجاز نحو أسأل القرية ليس كمثله شيء فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغير الاعراب نحو ﴿أو كصيب﴾ ﴿فبما رحمة﴾ فلا توصف الكلمة بالمجاز اهـ .

ومن أمثلة المختصر المحذوف قوله تعالى : ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ [البقرة : ٢٥٩] المعنى خاوية من ثمرها أو أهلها واقعة على عروشها ومن أمثلة حذف المضاف قوله تعالى : ﴿الحج أشهر معلومات﴾ [البقرة : ١٩٧] أي حج أشهر أو أشهر الحج وكذا قوله : ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ [النساء : ٢٣] أي نكاح أمهاتكم وقوله ﴿وفي الرقـاب﴾ [البقـرة : ١٧٧] أي تحريـر الرقاب وكذا قوله ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ [البقرة : ١٧٧] فحذف الفعل وأقيم الاسم مقامه فالمعنى ولكن البر بر من آمن بالله ، وقد يكون من البدل فيكون المحذوف هو الاسم أبدل الفعل مكانه فلما كان البر وصفه أقيم مكانه ، **(و)** من المبدل المضمر **(قوله تعالى : ﴿ثقلت في السموات والأرض)** لا تـأتيكم إلا بغتـة﴾ [الأعـراف : ١٨٧] **(معنـاه خفيـت على أهـل السموات و)** أهل **(الأرض)** فمبدله ثقلت أي خفيت ، **(فالشيء)** الفاء تعليلية أي لان الشيء **(إذا خفي)** علمه **(ثقل ، فأبدل اللفظ به)** بدلالة المعنى المذكور عليه ، **(و)** كذلك قوله في السموات والأرض معناه على هـذا هـو المضمـر **(أقيمـت)** في **(مقـام على وأضمـر الأهـل وحذف)** أي أهل السموات وأهل الأرض ، **(و)** من أمثلة المحذوف المضمر **(قوله تعالى**

﴿وَتَجْعَلُون رِزْقَكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي شكر رزقكم وقوله عز وجل: ﴿آتِنَا ما وَعَدْتَنا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي على ألسنة رسلك

﴿وتجعلون رزقكم انكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢] أي شكر رزقكم) فحذف المضاف وكذلك قوله تعالى ﴿بدلوا نعمة الله كفراً﴾ [إبراهيم: ٢٨] أي شكر نعمة الله كفرا بها، والصحيح ان في الآية الأولى حذف ثلاثة مضافات والمعنى بدل «شكركم» «رزقكم» وهو من القسم الثالث من أقسام الاختزال الذي حذف فيها أكثر من كلمة ونحو ذلك قوله ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم: ٩] المعنى فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب فحذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها، **(و)** من المحذوف المضمر **(قوله تعالى ﴿وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي على ألسنة رسلك فحذف الالسنة)** وقوله ﴿على ملك سليمان﴾ أي على عهد ملك سليمان فأضمر قوله «عهد» وهذه الآيات التي أوردها المصنف من الأول إلى هنا كلها أمثلة لايجاز الحذف بأقسامه على طريق الإجمال ولا بأس أن نذكر فوائد تتعلق بهذا المبحث.

فمن ذلك ذكر أسباب الحذف منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره، ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الاتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة التحذير والاغراء، ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء نحو ﴿يوسف أعرض﴾ ونون لم يك. وياء والليل إذا يسر. ومنها شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء قال الزمخشري وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها انطق من لسان المقال، ومنها صيانته عن ذكره تشريفاً كقوله ﴿قال: فرعون وما رب العالمين★ قال رب السموات والأرض﴾ [الشعراء: ٢٣] الآيات حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع ومنها صيانة اللسان عنه تحقيراً عنه نحو ﴿صم بكم﴾ أي هم، ومنها قصد العموم نحو ﴿وإياك نستعين﴾ أي على العبادة، وعلى الأمور كلها. ومنها رعاية الفاصلة نحو ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

وله أسباب أخر غير ما ذكرنا تستفاد من محالها، ومن ذلك ذكر شروط الحذف وهي سبعة: أحدها وجود دليل إما حالي نحو ﴿قالوا سلاماً﴾ أي سلمنا سلاماً أو مقالي نحو ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي أنزل خيراً، ومن الأدلة العقل حيث يستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف، ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه، بل يستفاد التعيين من دليل آخر نحو ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣] فإن العقل يدل على أنها ليست المحرمة لأن التحريم لا يضاف إلى الإحرام، وانما هو والحل يضافان إلى الافعال، فعلم بالعقل حذف شيء، وأما تعيينه وهو التناول فمستفاد من الشرع، وهو قوله ﷺ «إنما حرم أكلها» لان العقل لا يدرك محل الحل والحرمة، وأما قول صاحب التلخيص انه من باب دلالة العقل أيضاً فتابع فيه السكاكي من غير تأمل أنه مبني على أصول المعتزلة، وتارة يدل العقل أيضاً على التعيين نحو ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر:

....

٢٢] أي أمره بمعنى عذابه إذ العقل دال على استحالة مجيء الباري لأنه من سمات الحادث، وعلى ان الجائي أمره، وتارة يدل على التعيين العادة نحو ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ [يوسف: ٣٢] دل العقل على الحذف لأن يوسف لا يصح ظرفاً للوم، ثم يحتمل أن يقدر لمتنني في حبه لقوله ﴿قد شغفها حبا﴾ [يوسف: ٣٠] وفي مراودته لقوله ﴿تراود فتاها﴾ [يوسف: ٣٠] والعادة دلت على الثاني لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه، وتارة يدل عليه التصريح في مواضع أخر وهو أقواها نحو ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣] أي كعرض بدليل التصريح به في اية الحديد، ومن الادلة على أصل الحذف العادة بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من غير حذف نحو ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي مكان قتال والمراد مكاناً صالحاً للقتال، وإنما كان كذلك لإنهم كانوا أخبر الناس بالقتال ويعيرون بأن يتنوّهوا بانهم لا يعرفون فالعادة تمنع أن يريدوا لو نعلم حقيقة القتال، فلذلك قدره مجاهد مكان قتال.

ومنها الشروع في الفعل نحو « بسم الله » فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له فإن كانت عند الشروع في القراءة قدّرت اقرأ أو الأكل قدرت آكل، وعلى هذا أهل البيان قاطبة خلافاً لقول النحاة انه يقدر ابتدأت أو ابتدائي كائن باسم الله، ويدل على صحة الأول التصريح به في قوله ﴿وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها﴾ [هود: ٤١] وفي حديث « باسمك ربي وضعت جنبي ».

ومنها الصناعة النحوية فقد توجب التقدير، وإن كان المعنى غير متوقف عليه كقولهم في لا إله الا الله إن الخبر محذوف أي موجود، وقد أنكره الفخر الرازي وقال: هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير، وتقدير النحاة فاسد لأن نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القيد، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر ورد بان تقدير موجود يستلزم نفي كل اله غير الله قطعاً فان العدم لا كلام فيه فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة، ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهر ومقدر، وإنما يقدر النحوي لأجل أن يعطي القواعد حقها، وان كان المعنى مفهوماً.

والشرط الثاني: أن لا يكون المحذوف كالجزء ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان واخواتها.

الثالث: أن لا يكون مؤكداً لأن الحذف مناف للتأكيد إذ الحذف مبني على الاختصار والتأكيد مبني على الطول.

الرابع: أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، ومن ثم لم يحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل.

فحذف الألسنة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] أراد القرآن وما سبق له ذكر. وقال عز وجل: ﴿حَتَّى تَوَارت بالحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُم

الخامس: ان لا يكون عاملاً ضعيفاً، فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجارة إلا في مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل.

السادس: أن لا يكون عوضاً عن شيء ولذا لم يحذفوا التاء من إقامة واستقامة، وأما واقام الصلاة فلا يقاس عليه ولا خبر كان لأنه عوض أو كالعوض عن مصدرها.

السابع: أن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل القوي، ومن ثم لم يقس على قراءة ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ [النساء: ٩٥].

فائدة:

اعتبر الاخفش في الحذف التدريج حيث أمكن ولهذا قال في قوله: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ [التوبة: ٤٨] أن الأصل لا تجزي فيه بحذف حرف الجر، فصار تجزيه، ثم حذف الضمير فصار تجزي وهذه ملاطفة في الصناعة، ومذهب سيبويه أنهما حذفا معاً. قال ابن جني: وقول الاخفش أوفق في النفس وآنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد.

مهمة:

قال الشيخ عز الدين: ولا يقدر من الحروف إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها، لأن العرب لا يقدرون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب، لذلك الكلام كما يفعلون ذلك في الملفوظ به نحو: جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس قدَّر أبو علي جعل الله نصب الكعبة، وقدر غيره حرمة الكعبة وهو أولى لأن تقدير الحرمة في الهدي والقلائد والشهر الحرام لا شك في فصاحته وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة. قال: ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن لأن الله تعالى وصف كتابه بأنه أحسن الحديث، فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات.

ثم نرجع إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى: (**وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾**) [القدر: ١] هو من المكني المضمر (**أراد القرآن**) فكنى عنه (**وما سبق له ذكر و**) كذلك (**قوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾** [ص: ٣٢] أراد) توارت (**الشمس**) بحجاب الليل فكنى عنها، (**وما سبق لها ذكر**). واختلف في حذف الفاعل هل يجوز أم لا؟ فمنهم من قال لا يجوز إلا في فاعل المصدر نحو: لا يسأم الإنسان من دعاء الخير أي دعائه الخير، وجوزه السبكي مطلقاً لدليل. وخرج عليه ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ أي الشمس وقوله ﴿إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة: ٢٦] أي الروح (**و**) من أمثلة المضمر المختصر (**قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم﴾**) [الزمر: ٣] مضمرة (**أي يقولون ما نعبدهم**) ومثله

إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر : ٣] أي يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل: ﴿فَمَالِ هَؤُلاَءِ ٱلْقَوْمِ لاَ يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَديثاً * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمَنَ اللهِ وما أصَابَكَ مِنَ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء : ٧٨ ، ٧٩] معناه لا يفقهون حديثاً يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله، فإن لم يرد هذا كان مناقضاً لقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية.

ومنها: المنقول المنقلب كقوله تعالى: ﴿وطُورِ سنين﴾ [التين: ٢] أي طور سيناء ﴿سَلاَمٌ عَلَى آل ياسينَ﴾ [الصافات: ١٣] أي على الياس وقيل إدريس، لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين.

قوله ﴿فظللتم تفكهون إنا لمغرمون﴾ [الواقعة: ٦٥] أي يقولون انا لمغرمون والآيتان من أمثلة حذف القول ومثلهما ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي يقولان ربنا قال أبو علي: حذف القول من حدث عن البحر ولا حرج أي قل ولا حرج، (و) على هذا وجه (**قوله تعالى: ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٨] معناه لا يفقهون حديثاً يقولون ما أصابك**) الآية على معنى الاخبار عنهم والذم لهم، (**فان لم يرد هذا كان مناقضاً لقوله عز وجل**) في أول الآية وهو (**﴿قل كل من عند الله﴾**) وبه أحكم الباري جل وعز ابتداء شرعه وبيانه، (**ويسبق إلى الفهم منه**) ان لم نقدر القول (**مذهب القدرية**) أي المعتزلة وقد هلكوا لجهلهم بعلم العربية وظنهم انه ابتداء شرع وبيان من الله سبحانه.

قال صاحب القوت: وقرأت في مصحف ابن مسعود ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً قالوا ما أصابك﴾ [البقرة: ١٢٧] وقد كان ابن عباس يقول: إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في كلام العرب فإن الرجل يتلو الآية فيعنى لوجهها فيكفر، وقد رأيت في مصحف ابن مسعود ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم﴾.

(**ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى**) ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ [الحج: ١٣] اللام في من منقولة، والمعنى يدعو من لضره أقرب من نفعه، ومثله (**﴿وطور سينين﴾**) [التين: ٢] وهو ما قلب اسمه لأزدواج الكلم (**أي طور سيناء وقوله تعالى: ﴿سلام على آل ياسين﴾**) [الصافات: ١٣] وهو أيضاً مما قلب اسمه (**أي على الياس**) عليه السلام، (**وقيل: المراد**) به (**إدريس**) عليه السلام (**لأن في حرف ابن مسعود**) أي مصحفه (**سلام على إدراسين**) أي على إدريس نقله صاحب القوت، ومن أمثلة المنقول المنقلب قوله: ﴿لتنوء بالعصبة﴾ معناه لتنوء العصبة بها أي لتثقل بحملها لثقلها عليها وقوله تعالى: ﴿جعلوا القرآن عضين﴾ [الحجر: ٩١] أي أعضاء كأنهم عضوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

ومنها: المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله عز وجل: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ [يونس: ٦٦] معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن. وقوله عز وجل: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥] معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] معناه: لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاماً ولولاه لكان نصباً كاللزام. وقوله تعالى:

(ومنها) الموصل **(المكرر)** للبيان والتوكيد **(القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تعالى: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن﴾)** [يونس: ٦٦] قوله: إن يتبعون مردود للتوكيد والإفهام كأنه لما طال الكلام أعيد ليقرب من الفهم **(معناه: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن)** اتباعهم الشركاء ظن منهم غير يقين، **(و)** نحوه من المكرر المؤكد **(قوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ [الأعراف: ٧٥] معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا)** هذا اختصاره، فلما قدم الذين استضعفوا وكان المراد بعضهم كرر المراد بإعادة ذكر من آمن منهم للبيان، ومثله: ﴿إلا آل لوط إنّا لمنجوهم أجمعين﴾ [الحجر: ٥٩] إلا امرأته فادخل الاستثناء على الاستثناء وهو يطول في كلامهم لأنه أراد بالنجاة بعض الآل، فلما أجملهم أخرج مستثنى من مستثنى، وفي هذا دليل أن الأزواج من الآل لأنه استثنى امرأته من آله، ومن المكرر للتوكيد قوله تعالى: ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي﴾ هو مختصره [القصص: ١٩] فلما أراد أن يبطش، وقد قبل ان هذا من المختصر المضمر مما أضمر فيه الإسم وحذف منه الفعل وهو غريب فيكون تقديره فلما أن أراد الاسرائيلي أن يبطش موسى بالذي هو عدو لهما فلم يفعل قال يا موسى: أتريد؟ فهذا حينئذ من أخصر الكلام وأوجزه ومن المكرر المؤكد قوله تعالى: ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾ [الروم: ٩] مفهومه وجائزه فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد قوة فوصله «بمن» ووكد «بكان» وعمد بهم.

قال صاحب القوت وقرأتها في مصحف ابن مسعود. **(عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد قوة)** ليس فيها كانوا ولا قوله «هم» وبمعناه وإن قصر قوله تعالى: ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً﴾ [الزخرف: ٣٣] هذ مما يطول للبيان والمعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن فلما قدم من وهي أسماء من يكفر أعيد ذكر البيوت مؤخراً.

(ومنها: المقدم والمؤخر) لحسن تأليف الكلم ومزيد البيان **(وهو مظنة الغلط)** لأن معناه يشكل بحسب الظاهر أنه من باب التقديم والتأخير أفصح، وهذا النوع قسم من أقسام المقدم والمؤخر، وهو جدير أن يفرد بالتصنيف وقد تعرض لذلك السلف في آيات منها ما أشار إليه المصنف فقال: **(كقوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى﴾)**

﴿يسألُونَك كأنَّك حَفِي عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي يسألونك عنها كأنك حفي بها. وقوله عز وجل: ﴿لَهُم مَغْفِرَةٌ ورِزْق كَرِيم★ كما أَخْرَجكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالْحَقّ﴾ [الأنفال: ٤، ٥] فهذا الكلام غير متصل، وإنما هو عائد إلى قوله السابق: ﴿قل الأنْفَالُ للهِ والرَّسُول﴾ [الأنفال: ١ـ٥] ﴿كمَا أَخْرجكَ ربُّك مِنْ بَيْتِكَ بالحقِّ﴾ أي فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض

[التوبة: ٥٥] أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال هذا من تقاديم الكلام **(معناه: ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً)** وبه ارتفاع الأجل، **(ولولاه لكان نصباً كاللزام)** فأخر لتحسين اللفظ.

وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ التوبة: ٥٥] قال هذا من تقاديم الكلام تقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة.

وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال هذا من المقدم والمؤخر إني رافعك إلي ومتوفيك.

وأخرج عن عكرمة في قوله: ﴿لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [ص: ٢٦] قال وهذا من التقديم والتأخير يقول لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.

وأخرج جرير عن أبي زيد في قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ [النساء: ٨٣] قال هذه الآية مقدمة ومؤخرة إنما هي أذاعوا به إلا قليلاً منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير.

وقال صاحب القوت قوله: ﴿إلا قليلاً﴾هو متصل بقوله: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً﴾ وآخر الكلام لاتبعتم الشيطان قال: وهذا الوجه أحب إلي من الأول فإن في استثنائه من الأول بعداً. قال: وعلى هذا المعنى قرأ ابن عباس لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم جعله متصلاً بقوله: ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظلم، وصار آخر الكلام لا يحب الله الجهر بالسوء من القول أصلاً.

وأخرج عن ابن عباس في قوله: ﴿أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣] قال: انهم إذا رأوا الله جهرة فقد رأوه إنما قالوا جهرة أرنا الله قال هو مقدم ومؤخر قال ابن جرير ان سؤالهم كان جهره فهذه الآيات مما تكلم فيها السلف.

(و) مما ذكر صاحب القوت من أمثلة هذاالباب: **(قوله تعالى: ﴿لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم★ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ [الأنفال: ٤، ٥] فهذا الكلام غير متصل)** أي ليس هذا من صلة الكلام، **(وإنما هو)** مقدم **(عائد على قوله السابق﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ ﴿كماأخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ [الأنفال: ٤ ـ ٥] أي فصارت أنفال الغنائم لك إذا خرجت وأنت راض بخروجك)** ولفظ القوت: إذ أنت راض

بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره، ومن هذا النوع قوله عز وجل: ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وحْدَهُ إلاَّ قَوْلَ إبراهيمَ لأبيه﴾ [الممتحنة: ٤] الآية.

بإخراجك **(وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره)** كالإعلام والوصف بحقيقة الإيمان والصلاح فاشكل فهمه، **(و)** على هذا **(قوله تعالى: ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه﴾)** [الممتحنة: ٤] ﴿لأستغفرنّ لك﴾ موصول بقوله: ﴿لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ ﴿إلا قول إبراهيم﴾ [الممتحنة: ٤] الآية لأنها نزلت في قولهم فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك عند قوله: سأستغفر لك ربي قالوا: فهلا تستغفر لآبائنا المشركين فنزلت هذه الآية ليستثني القدوة بإبراهيم في هذا ثم نزلت الآية الأخرى معذرة له لوعده إياه إلى أن علم موته على الكفر فقال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ الآية. **(و)** مثل هذا وإن كان دونه في القرب **(قوله تعالى: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي يسألونك عنها كأنك حفي)** ومثله ﴿أو ننسها نأت بخير منها﴾ أي نأت منها بخير ومما ذكر صاحب القوت في أمثلة المقدم والمؤخر قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل: ١٠٦] ولكن من شرح بالكفر صدراً اختصاره وموجزه من كفر بالله من بعد إيمانه وشرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن وكد بقوله: ولكن من شرح بالكفر صدراً لما استثنى المكره وقلبه مطمئن بإيمانه، ولم يجعل المكره آخر الكلام لئلا يليه قوله تعالى: ﴿فعليهم غضب من الله﴾ [النحل: ١٠٦] فيتوهم أنه خبره وجعل آخر الكلام فعليهم غضب من الله وهو في المعنى مقدم خبر للأول من قوله ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ فاخر ليليه قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [النحل: ١٠٧] لأنه من وصفهم فيكون هذا أحسن في تأليف الكلام، وسياق المعنى وكذلك قوله تعالى: ﴿وقيل يا رب إن هؤلاء قوم﴾ [الزخرف: ٨٨] هذا من المعطوف المضمر ومن المقدم والمؤخر فعاطفه قوله: ﴿وعنده علم الساعة﴾ [الزخرف: ٨٥] وضميره قوله وعلم قيله، والمعنى وعنده علم الساعة وعلم (قيله يا رب) على حرف من كسر اللام، فأما من نصبها فإنه مقدم أيضاً، ومحمول على أن المعنى (وعنده علم الساعة) (ويعلم قيله يا رب) وأما من رفع اللام فتكون مستأنفة على الخبر وجوابها الفاء في قوله: ﴿فاصفح عنهم﴾ [الزخرف: ٨٩] أي قولك ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح، وقد تكون الواو في قوله: (وقيله) للجمع مضمومة إلى علم الساعة والمعنى وعنده علم الساعة وعنده (قيله يا رب) جمع بينهما بعند فهذا مجاز هذه المقاري الثلاث في العربية ومثله مما حمل على المعنى قوله تعالى: ﴿فالق الأصباح وجاعل الليل سكناً﴾ متبعة لجعل ظاهراً وبمعنى قوله تعالى: ﴿وامسحوا برؤسكم وأرجلكم﴾ في مقرأ من نصب اللام محمولاً على معنى الغسل من قوله: ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم﴾ أيضاً ومن قرأ (وأرجلكم) خفضاً على اتباع الإعراب من قوله (برؤسكم) فاتبع الأعراب الاعراب (قبله) لأن مذهبه الغسل لا المسح ومن المؤخر بعد توسط

....

الكلام قوله تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ [الانشقاق: ١٩] في قراءة من وحد الفعل وهو متصل بقوله: ﴿يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه لتركبن طبقا عن طبق﴾ وكذلك هو في قراءة من جمع فقال لتركبن، ويكون الإنسان في معنى الناس ويكون الجمع عطفاً على المعنى وإنما وحد للجنس فكأنه قال: يا أيها الناس فأخر هذا الخبر لما توسطه من الكلام المتصل بالقصة ومعناه التقديم وكذلك قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض﴾ [الأنفال: ٧٣] إنما هو من صلة قوله: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا تفعلوه تكن فتنة﴾ [الأنفال: ٧٢] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة﴾ [المائدة: ٣] هذا متصل بقوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾ [المائدة: ٣] إلى آخر المحرمات، ثم قال: ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ يعني مجاعة إلى هنا نص ما في القوت.

وذكر السيوطي في الإتقان من أمثلة القسم الأول: وهو ما أشكل معناه بحسب الظاهر أنه من باب التقديم والتأخير قوله تعالى ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها﴾ [البقرة: ٧٢] قال البغوي هذا أول القصة وإن كان مؤخراً في التلاوة ومنه قوله تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] والأصل هواه إلهه لأن من اتخذ إلهه هواه فغير مذموم وقوله تعالى ﴿أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾ [الأعلى: ٤، ٥] والمعنى أخرجه أحوى أي أخضر فجعله غثاء، وأخر رعاية للفاصلة، وقوله تعالى ﴿وغرابيب سود﴾ [فاطر: ٢٧] الأصل سود غرابيب لأن الغربيب الشديد السواد وقوله تعالى ﴿فضحكت فبشرناها﴾ [هود: ٧١] أي فبشرناها فضحكت وقوله تعالى ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: ٢٤] قيل: المعنى على التقديم والتأخير أي لولا أن رأى برهان ربه لهم بها وعلى هذا فالهم ينفى عنه.

وأما القسم الثاني من أقسام التقديم والتأخير، فقد ذكر الشيخ شمس الدين ابن الصائغ في كتابه المقدمة في سر الألفاظ المقدمة تفاصيل لأسباب التقديم وأسراره وقال ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع.

الأول: التبرك، الثاني: التعظيم، الثالث: التشريف، الرابع: المناسبة لسياق الآية. الخامس: الحث عليه حذراً من التهاون به. السادس: السبق وهو ما في الزمان باعتبار الإيجاد أو باعتبار الإنزال أو باعتبار الوجوب والتكليف، السابع: السببية. الثامن: الكثرة. التاسع: الترقي من الأدنى إلى الأعلى. العاشر: التدلي من الأعلى إلى الأدنى. ثم ذكر لها أمثلة وأطال في كل نوع منها الكلام وزاد غيره أسباباً أخر منها كونه أدل على القدرة وأعجب، ومنها رعاية الفواصل، ومنها إفادة الحصر للاختصاص. وقد يقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر، ونكتة ذلك إما لكون السابق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه واما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه، وأما القصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب والله أعلم.

ومنها: المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف. أما الكلمة فكالشيء والقرين والأمة والروح. ونظائرها قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عبداً مَمْلوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيء﴾ [النحل: ٧٥] أراد به النفقة مما رزق. وقوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدرُ عَلى شيء﴾ [النحل: ٧٦] أي الأمر بالعدل والاستقامة. وقوله عز وجل: ﴿فـإن اتَّبَعْتني فَلاَ تَسْـأَلْني عَـنْ شَـيء﴾ [الكهف: ٧٠] أراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى

(ومنها) المكنى **(المبهم)** المشتبه **(وهو)** أي المبهم **(اللفظ المشترك بين معان)** مختلفة **(من كلمة أو حرف)**، اعلم ان معرفة الوجوه والنظائر في الكتاب العزيز أمر مهم، وقد صنف فيه غير واحد من المتقدمين والمتأخرين، فالوجوه في اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجميع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر، وقد تقدم من قول أبي الدرداء رضي الله عنه لا يكون الرجل فقيهاً حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة، وقد يروى مرفوعاً، وتقدم ما المراد منه وقد فسره بعضهم بأن المراد أن ترى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد وإليه أشار المصنف بقوله:

(أما الكلمة فكالشيء والقرين والأمة والروح ونظائرها) منها الهدى والصلاة والسوء والرحمة والفتنة والقضاء والذكر والدعاء والإحصان. **(قال الله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾** [النحل: ٧٥] **أراد به)** أي بالشيء هنا **(النفقة مما رزق)** ولفظ القوت الإنفاق مما رزق الله. **(وقال تعالى)** بعده **﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء)** وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأتِ بخير ﴾ [النحل: ٧٦] **(أي الأمر بالعدل والاستقامة)** على الهدى، فالمراد بالشيء هنا غير الذي اراده في الاول **(وقال تعالى)** اخبارا عن قول الخضر لموسى عليهما السلام: **(﴿فإن اتّبعتني فلا تسألني عن شيء﴾** [الكهف: ٧٠] هذا الموضع وصف مخصوص **(أراد به من صفات الربوبية)** من العلم الذي علمه الخضر من لدنه: **(وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها للعارف في أوان الاستحقاق)**، فلذلك كنى عنه.

قال صاحب القوت: وكذلك العلم على ضربين ضرب لا يصلح أن يبتدئ به حتى يسأل عنه وهو مما لا يضيق علمه فلذلك وسع جهله وحسن كتمه، وعلم لا ينبغي أن يسأل عن معاني صفات التوحيد ونعوت الوحدانية لا يوكل الى العقول بل يخص به المراد المحمول بعلم الخضر الذي شرط

يبتدىء بها العارف في أوان الاستحقاق، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا من غَيْرِ شيء أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] أي من غير خالق، فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء.

وأما القرين فكقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ قَرِينُه هَذَا مَا لَدَيَّ عتيدٌ ★ أَلْقِيَا في جَهَنَّم كُلَّ كَفَّارٍ﴾ [ق: ٢٣، ٢٤] أراد به الملك الموكل به. وقوله تعالى: ﴿قالَ قَرِينُه رَبَّنا ما أَطْغَيْته وَلَكِنْ كَانَ﴾ [ق: ٢٧] أراد به الشيطان، وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه: الأمة الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣] وأتباع الأنبياء كقولك نحن من أمة محمد ﷺ ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى: ﴿إنَّ إبراهيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله﴾ [النحل: ١٢٠] والأمة: الدين كقوله عز وجل: ﴿إنّا وَجَدْنَا آباءَنا عَلَى أُمّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] والأمة: الحين والزمان كقوله عز وجل: ﴿إلَى أُمَّةٍ مَعْدُودةٍ﴾ [هود: ٨] وقوله عز وجل: ﴿وادّكر بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] والأمة:

على موسى أن لا يسأل عنه حتى يبادئه به من هذا النوع والله غالب على أمره، **(و)** مثله **(قوله تعالى ﴿أم خلقوا من غير شيء)** أم هم الخالقون﴾ [الطور: ٣٥] يعني الله تعالى **(أي)** كيف يكون خلق **(من غير خالق)** ففي وجودهم دليل على إثبات الخالق سبحانه وتعالى، **(فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء)**. قال صاحب القوت: روينا ذلك عن ابن عباس وزيد بن علي قالا في هذه الآية من غير شيء أي من غير رب كيف يكون خلق من غير خالق.

(وأما القرين كقوله تعالى ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته﴾ [ق: ٢٧] أراد به الشيطان) المقرون به. **(وقوله تعالى ﴿وقال قرينه هذا ما لدي عتيد﴾ [ق: ٢٣] أراد به الملك الموكل به)** أي بعمله وإطلاق القرين على كل منهما صحيح جائز ومثل ذلك قوله ﴿والله فضل بعضكم على بعض﴾ فالبعض الأول المفضل هم الأحرار والبعض الآخر المفضول هم المماليك.

(وأما الأمة فتنطلق على ثمانية أوجه. الأمة الجماعة) من الناس **(كقوله تعالى ﴿وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾)** [القصص: ٢٣] أي جماعة منهم. **(والأمة اتباع الأنبياء)** عليهم السلام **(كقولك: نحن من أمة محمد ﷺ)** أي من اتباعه والجمع أمم كغرفة وغرف، وقد ورد في أسمائه ﷺ نبي الأمة، **(والأمة: الرجل الجامع للخير)** كله **(المقتدى به)** في أحواله، **(كقوله عز وجل ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً﴾)** [النحل: ١٢٠] سمي بذلك لكونه يؤتم به، **(والأمة: الدين كقوله عز وجل: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾)** [الزخرف: ٢٢] أي على دين **(والأمة الحين والزمان كقوله تعالى ﴿إلى أمة معدودة﴾)** [هود: ٨] أي مدة معلومة من الزمان، **(ومنه)** أيضاً **(قوله تعالى: ﴿وادّكر بعد أُمَّةٍ﴾)** [يوسف: ٤٥] أي بعد حين وقرىء بعد أمة بالتحريك والهاء أي بعد نسيان. **(والأمة: القامة يقال: فلان حسن**

القامة. يقال: فـلان حسن الأمة أي القامة، وأمة: رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد. قال ﷺ: «يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده» والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد. والروح أيضاً ورد في القرآن على معان كثيرة فلا نطوّل بايرادها. وكذلك قد

الأمة أي) حسن **(القامة، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد)** يقال: رجل أمة إذا كان عالم عصره منفردا بعلمه.

(قال ﷺ «يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده»).

قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبي بكر باسنادين جيدين اهـ.

قلت: ورواه أحمد والطبراني في الكبير من حديث سعيد بن زيد وأبو يعلى، والبغوي، وابن عدي وتمامه من حديث جابر بلفظ: سئل النبي ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال «يبعث يوم القيامة أمة وحده بيني وبين عيسى».

(والأمة) لغة في **(الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد)** نقله أبو علي في البارع **(والروح أيضاً ورد في القرآن لمعان كثيرة، فلا نطول بإيرادها)** فمن ذلك الأمر كقوله تعالى ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ [النحل: ٢] والقرآن كقوله ﴿أوحينا إليك روحاً من أمرنا وأيدهم بروح منه﴾ [الشورى: ٥٢] والحياة كقوله ﴿فروح وريحان﴾ [يوسف: ٤٥] وجبريل عليه السلام كقوله ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء: ١٩٣] وملك عظيم كقوله ﴿يوم يقوم الروح﴾ [النبأ: ٣٨] وجنس من الملائكة كقوله ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ وروح القـدس كقـولـه ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء، ٨٥] وأما النظائر التي ذكرناها فالهدى يأتي على سبعة عشر وجهاً بمعنى الثبات والدين والبيان والإيمان والدعاء وبمعنى الرسل والكتب والمعرفة والنبي ﷺ والقرآن والاسترجاع والحجة والتوحيد والإصلاح والإلهام والتوبة والإرشاد.

ومن ذلك الصلاة تأتي على أوجه الصلوات الخمس، وصلاة العصر، وصلاة الجمعة، والجنازة، والدعاء والقراءة، والرحمة، والاستغفار، ومواضع الصلاة.

ومن ذلك السوء يأتي على أوجه الشدة والعقد والزنا والبرص والعذاب والشرك والشتم والضر والقتل والهزيمة.

ومن ذلك الرحمة وردت على أوجه الإسلام والإيمان والجنة والمطر والنعمة والنبوة والقرآن والرزق والنصر والعافية والسعة والمغفرة والعصمة.

ومن ذلك الفتنة وردت على أوجه: الشرك والإضلال والقتل والصد والضلالة والمعذرة والقضاء والإثم والمرض والعبرة والعقوبة والاختبار والعذاب والإحراق والجنون.

ومن ذلك القضاء ورد على أوجه الفراغ والأمر والأجل والفصل والمضي والهلاك والوجوب والإبرام والاعلام والوصية والموت والنزول والخلق والفعل والعهد.

ومن ذلك الذكر ورد على أوجه: ذكر اللسان وذكر القلب والحفظ والطاعة والجزاء والصلوات

يقع الإبهام في الحروف مثل قوله عز وجل: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ★ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً ﴾ [العاديات: ٤ ، ٥] فالهاء الأولى كناية عن الحوافر ، وهي الموريات أي أثرن بالحوافرَ نقعاً ، والثانية كناية عن الإغارة وهي المغيرات صبحاً فوسطن به جمعاً . جمع المشركون فأغاروا بجمعهم . وقوله تعالى: ﴿ فَأَنْزَلْنا به الماءَ ﴾ [الأعراف: ٥٧] يعني السحاب . ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [الأعراف: ٥٧] يعني الماء ، وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر .

ومنها: التدريج في البيان كقوله عز وجل: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فيهِ

الخمس والعظمة والبيان والحديث والقرآن والتوراة والشرف والعيب واللوح المحفوظ والثناء والوحي والرسول والصلاة وصلاة الجمعة وصلاة العصر .

ومن ذلك الدعاء ورد على أوجه العبادة والاستعانة والسؤال والقول والنداء والتسمية .

ومن ذلك الإحصان ورد على أوجه: العنت والتزوج والحرية ، ولكل ما ذكرنا شواهد من القرآن لا نطول بذكرها .

(وقد يقع الإبهام في الحروف مثل قوله تعالى ﴿ فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً ﴾ [العاديات: ٤،٥] فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي الموريات) قدحاً يعني الخيل تقدم بحوافرها فتوري النار أي **(أثرن بالحوافر نقعاً)** والنقع التراب ، **(و)**الهاء **(الثانية كناية عن الإغارة وهي المغيرات)** صبحاً **(وسطن به)** بالإغارة **(جمعاً)** أي جمع المشركين ، **(فأغاروا)** عليهم **(بجمعهم)** والمشركون غارون كذا في القوت . ومن غرائب التفسير أن المراد بالجمع هنا مزدلفة نقله الطبري في مناسكه ، **(و)**بهذا المعنى **(قوله عز وجل ﴿ فأنزلنا به الماء)** ﴾ [الأعراف: ٥٧] فأخرجنا به من كل الثمرات الهاء الأولى عائدة على السحاب **(يعني)** أنزلنا **(بالسحاب)** الماء وفي قوله **(فاخرجنا به من كل الثمرات)**[الأعراف: ٥٧] مبدل ومكني ، فالمكني هو ما ذكرناه من أسماء السحاب **(يعني بالماء)** ، والمبدل أريد به معنى منه كقوله ﴿ يشرب بها عباد الله ﴾ وقال في الصريح المفسر ﴿ من المعصرات ماء ثجاجا ﴾ [النبأ: ١٤] يعني السحاب فجمع بين اسم السحاب والماء بالهاء فاشكل .

(وأمثال هذا في القرآن لا تنحصر) ومن ذلك قوله ﴿ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ [النحل: ١٠٠] الهاء الأولى المتصلة بيتولون كناية عن إبليس والهاء المتصلة بالباء هي اسم الله تعالى ، وقد قيل: انها عائدة على إبليس أيضاً ، فيكون المعنى هم به قد أشركوا في التوحيد أي أشركوه بعبادة الله عز وجل ، ومن ذلك قوله ﴿ واخوانهم يمدونهم في الغي ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] فضمير اخوانهم المراد به أسماء الشياطين وضمير يمدونهم أسماء المشركين أي الشياطين اخوان المشركين يمدون المشركين في الغي ولا يقصرون عنهم في الإمداد .

(ومنها التدريج في البيان) بالثاني والثالث للخطاب المجمل **(كقوله تعالى ﴿ شهر رمضان**

الْقُرْآنُ﴾ [البقرة : ١٨٥] إذ لم يظهر أنه ليل أو نهار ، وبان بقوله عز وجل : **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾** [الدخان : ٣] ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى : **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** [القدر : ١] وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات . فهذا وأمثاله مما لا يغني فيه إلا النقل والسماع ، فالقرآن من أوّله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب ، فكان مشتملاً على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحماً لهم ومعجزاً في حقهم ، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسّر القرآن برأيه . مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه ،

الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] إذ لم يظهر منه) إلا أن القرآن أنزل في شهر رمضان، وهذا هو البيان الأول ولم يفهم **(أنه ليل أو نهار)** أي نهاراً أنزل فيه أو ليلاً **(فبان بقوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾)** [الدخان : ٣] أنه أنزل ليلاً وهذا هو البيان الثاني **(ولم يظهر)** منه إلا أنه أنزل في ليلة مباركة، ولم يدر **(أي ليلة هي، فظهر بقوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾)** [القدر : ١] وهذا هو البيان الثالث وهو غاية البيان، **(وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات)** وليس كذلك وبمعناه قوله عز وجل ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه﴾ [القصص: ١٤] فهذا البيان الأول زيادة على الأشد فغير مفسر، ثم قال في البيان الثاني حتى إذا بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة، ففسر الأشد بالأربعين إذا كانت للمدح والوصف في أحد الوجهين.

(فهذا وأمثاله) في القرآن كثير، وإنما وقع التنبيه بالقليل على الكثير ليستدل بما ذكر على نحوه، ويتطرق به إلى غيره و**(لا يغني فيه إلا النقل والسماع)** والتلقي من أفواه من له أهلية تامة فيه ، **(والقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب)** الذين هم أفضل الخليفة الإنسانية ولغتهم أشرف اللغات، **(فكان مشتملاً على أصناف كلامهم)** ومعاني استعمالهم ووجوه استحسانهم **(من إيجاز)** لفظ **(وتطويل)** البيان **(وإضمار)** لنكتة **(وحذف)** لفائدة، **(وإبدال)** لرعاية **(وتقديم)** لشرف، **(وتأخير)** لتحسين، وكله فصيح بليغ لأن وصف البلاغة عندهم رد الكثير المنشور إلى القليل المجمل وبسط القليل المجمل إلى المثبوت المفسر ، **(ليكون ذلك مفحماً)** أي مسكتاً **(لهم)** عند التحدي ، **(ومعجزاً في حقهم)** وحجة عليهم من حيث يعقلون لأنه أمرهم فيه بما يعلمون وما يستحسنون حكمة منه ولطفاً ، **(فكل من اكتفى)** فيه **(بفهم ظاهر العربية)** من معرفة التجويد والإعراب ولم يترشح بالأدوات والآلات التي تقدم ذكرها **(وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر)** مع ذلك **(بالسماع)** من أهله ، **(والنقل)** الصحيح من الطرق المقبولة **(في هذه الأمور)** التي ذكرت ، **(فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه)** ، ومثل هذا ولو أصاب فقد أخطأ **(مثل أن يفهم من لفظ الأمة**

فإذا سمعه في موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه، وترك تتبع النقل في كثير معانيه. فهذا ما يمكن أن يكون منهياً عنه دون التفهم لأسرار المعاني ـ كما سبق ـ فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ، ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال: وهو أن الله عز وجل قال: ﴿ومَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض، فإنه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرمِ من وجه ومن الوجه الذي لم يرمِ رمى الله عز وجل. وكذلك قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُم يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بأيديكُم﴾ [التوبة: ١٤] فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال؟ فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات

المعنى الأشهر منه) وهو اتباع الأنبياء عليهم السلام، **(فيميل طبعه ورأيه إليه)** فيفسره به، **(فإذا سمعه في موضع آخر مال رأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه)** الذي جبل عليه ذهنه، **(وترك تتبع النقل في كثير معانيه)** بحسب مواقع الاستعمال، **(فهذا يمكن أن يكون منهياً عنه)** مراداً به في حديث النهي **(دون الفهم لأسرار المعاني كما سبق)** بيانه، **(فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو)** كناية عن **(ترجمة الألفاظ)** وتأدية المعنى الصحيح الحاصل من قوالب الألفاظ مع مراعاة القواعد، **(ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني)** بل الفهم فيها للخصوص يشهدون فيها بقدر ما قسم لهم من العقل عنها فهم متفاوتون في الأشهاد والفهوم حسب تفاوتهم في الأنصبة من العقول والعلوم. إذ القرآن عموم وخصوص ومحكم ومتشابه وظاهر وباطن، فعمومه لعموم الخلق وخصوصه لخصوصهم، وظاهره لأهل الظاهر وباطنه لأهل الباطن والله واسع عليم ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾، **(ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال)** في كتابه العزيز **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** [الأنفال: ١٧] خاطب به نبيه ﷺ، **(فظاهر تفسيره واضح)** حيث نفى الرمي عنه، وأثبت الرمي له جل جلاله إذ كل شيء فتحت حيطة قدرته وأمره، **(وحقيقة معناه غامض)** إذا تأمله المتأمل، **(فإنه إثبات للرمي)** بقوله: ﴿إذ رميت﴾ **(ونفي له)** بقوله ﴿وما رميت﴾ **(وهما)** أي الإثبات والنفي **(متضادان)** أي لا يجتمعان معا **(في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رمى الله تعالى)**، فينتفي التضاد حينئذ، **(وكذلك قول الله تعالى ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ [التوبة: ١٤] فإذا كانوا)** أي المؤمنون **(هم المقاتلين)** أي المأمورين بقتالهم **(كيف يكون الله تعالى هو المعذب وإن كان الله تعالى هو المعذب)** كما ثبت في ظاهر الآية، ومعنى بأيديهم أي **(بتحريك أيديهم، فما معنى أمرهم بالقتال)؟** فعند التأمل فيه

لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة. ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ولعل العمر لو أنفق

التناقض، **(فحقيقة هذا يستمد من)** التوغل في **(بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال)** كلها أولاً **(بالقدرة الحادثة)** التي اتصف بها العبد، **(ويفهم)** ثانياً **(وجه ارتباط)** هذه **(القدرة الحادثة بقدرة الله عز وجل)** على ما سبق تفصيله في شرح كتاب (قواعد العقائد) **(حتى ينكشف بعد إيضاح علوم كثيرة غامضة)** عن افهام أكثر الخلق وهي من علوم المكاشفة **(صدق قوله عز وجل ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾)** وقد ألم المصنف بهذا المبحث في كتابه المقصد الأسنى، وأطال في تصوير المسألة، ونحن نختصر ذلك ونقتصر منه على القدر الذي يناسب سياق الكتاب.

قال: فإن قلت: فما السبيل إلى معرفة الله تعالى؟ فأقول: لو قال لنا صبي أو عنين ما السبيل إلى معرفة لذة الجماع، وإدراك حقيقته؟ قلنا: ههنا سبيلان، أحدهما: نصفه لك حتى تعرفه، والثاني تصبر حتى تظهر فيك غريزة الشهوة، ثم تباشر الجماع حتى تظهر فيك لذته فتعرفه، وهذا السبيل الثاني هو المحقق المفضي إلى حقيقة المعرفة، فأما الأول فلا يفضي إلا إلى توهم الشيء بما لا يشبهه إذ غايتنا أن نمثل له لذة الجماع عنده بشيء من اللذات التي يدركها العنين كلذة الطعام الحلو مثلاً، أفترى أن هذا يفهم حقيقة لذة الجماع كما هي حتى ينزل من معرفتها منزلة من ذاق تلك اللذة وأدركها هيهات هيهات! إنما غاية هذا الوصف إيهام وتشبيه ومشاركة في الاسم، لكن يقطع التشبيه بأن يقال ﴿ليس كمثله شيء﴾ فهو حي لا كالأحياء قادر لا كالقادرين، كما يقال: الجماع لذيذ كالسكر، ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتة، ولكن تشاركها في الاسم، وكأنا إذا عرفنا أن الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولاً إلا بأنفسنا فإذا قال القائل: كيف يكون الله تعالى عالماً بالأشياء؟ فنقول: كما تعلم أنت أشياء. فإذا قال: كيف يكون قادراً؟ فنقول: كما تقدر أنت فلا يمكنه أن يفهم شيئاً إلا إذا كان فيه ما يناسبه، فيعلم أولاً ما هو متصف به، ثم يعلم غيره بالمناسبة إليه. فهذه معرفة قاصرة يغلب عليها الإيهام والتشبيه، فينبغي أن يقترن بها المعرفة بنفي المشابهة أصلاً، وبنفي أصل المناسبة مع المشاركة في الاسم، ثم أطال في تصوير ذلك.

ثم قال في تفاوت درجات العارفين في المعرفة، إعلم أن للمعرفة سبيلين.

أحدهما: السبيل الحقيقي، وذلك مسدود إلا في حق الله تعالى، فلا يهتز أحد من الخلق لنيله وإدراكه إلا ردته سبحات جلاله إلى الحيرة.

وأما السبيل الثاني: وهو معرفة الصفات والاسماء، فذلك مفتوح للخلق وفيه تتفاوت مراتبهم، ثم أطال في تصوير ذلك إلى أن قال: وهذه المعرفة أعني بطريق الصفات والأسماء لا تكون بالكمال في الحقيقة إلا لله عز وجل، فالحاصل عندنا من قدرة الله تعالى أنه وصف ثمرته وأثره

في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه. وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك، وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب، ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة

وجود الاشياء، وينطلق عليه اسم القدرة لأنه يناسب قدرتنا مناسبة لذة الجماع بالسكر، وهو بمعزل عن حقيقة تلك القدرة. نعم كلما ازداد العبد احاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع في ملكوت الأرض والسموات كان حظه من صفة القدرة أوفر، لأن الثمرة تدل على المثمر، وإلى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين، وبه تعرف أن من قال: لا أعرف إلا الله فقد صدق، ومن قال: لا أعرف الله فقد صدق فإنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، فإذا نظر إلى أفعاله من حيث هي أفعاله، وكان مقصور النظر عليه ولم يرها من حيث أنها سماء وأرض وشجر، بل من حيث انها صنعته فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية فيمكنه أن يقول: ما أعرف إلا الله، ولو تصور شخص لا يرى إلا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح أن يقول: ما أرى إلا الشمس فإن النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجاً منها، وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الأزلية، وأثرمن آثارها، وكما ان الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير، فكذلك المعنى الذي قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الازلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود، فليس في الوجود إلا الله تعالى، فيجوز أن يقول العارف: ما أعرف إلا الله تعالى. ومن العجائب أن يقول: لا أعرف إلا الله تعالى ويكون صادقاً، ويقول: لا أعرف الله ويكون أيضاً صادقاً، ولكن ذلك بوجه وهذا بوجه، ولو كذبت المتناقضات، إذا اختلف وجود الاعتبارات لما صدق قوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ولكنه صادق لأن للرمي اعتبارين وهو منسوب إلى العبد بأحدهما ومنسوب إلى الرب بالثاني، ولا تناقض فيه. ولنقبض عنان الكلام فقد خضنا لجة بحر لا ساحل له، وأمثال هذه الأسرار لا ينبغي أن تبذل بايداع الكتب، والله اعلم.

(**ولعل العمر لو أنفق**) أي صرفت مدته (**في استكشاف أسرار هذا المعنى**) الذي ذكر، (**وما يرتبط بمقدماته ولواحقه**) التي منها معرفة درجات الكمال، ثم معرفة الرغبة في طلبه كيف يكون معرفة تماثل الضدين، ومعرفة ان واجب الوجود هل يرجع معناه إلى سلب السبب عنه أو إلى إضافة الافعال إليه، وما نهاية معرفة العارفين، وكيف تفاوت درجاتهم، وهل معرفته بالصفات معرفة تامة حقيقية أم لا وغير ذلك من العلوم التي تتعلق به، (**لانقطع قبل استيفاء جميع لواحقه**) لكثرتها وصعوبتها، (**وما من كلمة من**) كلمات (**القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك**) لما سبق ان لكل كلمة من كلماته أربعة علوم، (**وإنما ينكشف للراغبين في العلم**) الإلهي النافع المعرضين عن علوم الدنيا (**من أسراره**) وحقائقه ومعانيه (**بقدر غزارة علومهم**) أي كثرتها (**وصفاء قلوبهم**) بانوار اليقين، (**وتوفر دواعيهم على التدبر**) في معانيه (**وتجردهم للطلب**) أي للسلوك، وكذا تجرد الهم من تعلق بخلق وخلو النفس من الهوى

أعلى منه، فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله لا نهاية لها، فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه، ومثاله: فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ في سجوده: «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء

فأولئك يشهدهم تلك المعاني من علو مقامهم في مكان ما أظهر لهم من العلم به ونصيب ما قسم لهم من العقل منه، **(ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة منه)** فهم متفاوتون في الاشهاد والفهوم حسب تفاوتهم في الأنصبة من العقول والعلوم.

(فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه) لأحد **(ولو كان البحر مداداً)** لكتابته **(والأشجار أقلاماً)** تبرى كما تبرى الاقلام يستمد بها على الكتابة، **(فأسرار كلمات الله لا نهاية لها)** ومنها معلوماته ومقدوراته لا نهاية لها **(فتنفد)** أي تفنى **(الأبحر)** الممدة للكتابة **(قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل)**، وهذا الكلام مضمن قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية وقد سبق ذلك، **(فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم)** على قدر تفاوتهم في المعرفة **(بعد الاشتراك في ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه)** أي لا بدّ من تحصيله أوّلاً وإلا كان عاجزاً.

(ومثاله: فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ في سجوده) فيما رواه الستة إلا البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو بالمسجد وهما منصوبتان وهو يقول «اللهم إني **(أعوذ برضاك من سخطك)** أي بما يرضيك عما يسخطك، **(وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك)** استعاذ بمعافاته بعد استعاذته برضاه لأنه يحتمل أن يرضى عنه من جهة حقوقه ويعاقبه على حقوق غيره، **(وأعوذ بك منك)** أي برحمتك من عقوبتك. فإن ما يستعاذ منه عن مشيئته وخلقه بإذنه وقضائه، فهو الذي سبب الأسباب التي يستعاذ منها خلقاً وكوناً، وهو الذي يعيذ منها ويدفع شرها خلقاً وكوناً فمنه السبب والمسبب وهو الذي حرك الانفس والأبدان وأعطاها قوى التأثير، وهو الذي أوجدها وأمرها وهو الذي يمسكها إذا شاء ويحول بينها وبين قواها وتأثيرها، فتأمل ما تحت قوله: هذا من محض التوحيد وقطع الالتفات إلى غيره وتكميل التوكل عليه وافراده بالاستعاذة وغيرها. **(لا أحصي)** أي لا أطيق **(ثناء عليك)** في مقابلة نعمة واحدة من نعمك. والغرض منه الاعتراف بتقصيره عن اداء ما وجب عليه من حق الثناء عليه تعالى **(أنت كما أثنيت على نفسك»)** وهذا اعتراف بالعجز عن التفصيل فوكله إلى الله سبحانه، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه. هذا الذي ذكرناه هو تفسير أهل الظاهر ذكره القاضي أبو بكر بن العربي وغيره من العلماء.

عليك أنت كما أثنيت على نفسك » أنه قيل له: اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض، فإن الرضا والسخط وصفان، ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي إلى الذات فقال: « أعوذ بك منك » ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله: « لا أحصي ثناء عليك ». ثم علم أن ذلك قصور فقال: « أنت كما أثنيت على نفسك ». فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب. واختصاصه

وأما فهم بعض أرباب القلوب من هذا الدعاء **(انه قيل له)** ﷺ في خطاب الله عز وجل إليه: ﴿ كلا لا تطعه و **(اسجد واقترب** ﴾) فعلم منه أن السجود محل القربة من الله تعالى لأنه تنزيه بما يستحقه الله تعالى من العلوّ والرفعة عن صفات المحدثين وتحقيق بما عليه العبد من الذل والاستكانة، **(فوجد القرب في السجود)** ولذا قال لمن سأله القرب منه أعني بكثرة السجود، **(فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض، فإن الرضا والسخط وصفان)** منبئان عن مشاهدة الأفعال ومصادرها منه تعالى فقط، فكانه لم ير إلا الله فقط وأفعاله، **(ثم)** لما رأى ذلك نقصاً في التوحيد **(زاد قربه)** فاندرج القرب الأول فيه **(فرقي)** من مقام مشاهدة الصفات **(إلى)** مقام مشاهدة **(الذات فقال: « اعوذ بك منك »)** وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة بل رأى نفسه فاراً منه إليه ففني عن مشاهدة نفسه، **(ثم زاد قربه)** فاندرج القرب الثاني فيه **(بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فاثنى بقوله « لا أحصي ثناء عليك »)** فاخبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدة غيره، **(ثم علم أن ذلك قصور فقال « أنت كما أثنيت على نفسك »)** فأخبر أنه المثني والمثنى عليه، وان الكل منه بدأ واليه يعود وكل شيء هالك إلا وجهه، فكان أول مقامه نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى إلا الله وأفعاله هذا ما فهم البعض المذكور، وفسرنا كلامه من جنس كلامه الموافق لذوقه الذي ذاقه، وصرح به المصنف في مواضع من مصنفاته بعبارات مختلفة تؤول إلى هذا الذي ذكرته هنا.

ومن ذلك قال المصنف في المقصد الاسنى: نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة أنهم لا يعرفونه، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، فإذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي عناه رسول الله ﷺ حيث قال « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ولم يرد به، أنه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه، بل معناه إني لا أحيط بمحامدك وصفات إلهيتك، وإنما أنت المحيط بها وحدك، فإذاً لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة.

وأما اتساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته، **(فهذا خاطر يفتح لارباب القلوب)** المنورة والبصائر المقدسة، **(ثم لها أغوار وراء هذا)** الذي ذكر، **(وهو فهم معنى**

بالسجود. ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به، وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضاً لظاهر التفسير، بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره. فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم.

القرب) الأول واندراجه في الثاني واندراج القرب الثاني في الثالث، **(واختصاصه بالسجود)** دون غيره، **(ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة، و)** كذا معنى الاستعاذة **(منه به)** ومعنى الفرار منه إليه، **(وأسرار ذلك كثيرة. ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه)**.

وقد أشار إلى شيء من ذلك الشيخ الاكبر قدس سره في كتاب الشريعة إن العارف إذا تعوذ ينظر الحال الذي أوجب له التعوذ، وينظر إلى حقيقة ما يتعوذ به، وينظر إلى ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوّذ بحسب ذلك، فمن غلب عليه في حاله أن كل شيء يستعاذ منه بيد سيده، وأنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب استعاذ من سيده بسيده، وهو قوله ﷺ «وأعوذ بك منك» وهذه استعاذة التوحيد يستعيذ به من الاتحاد قال تعالى ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩] وقال ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ [غافر: ٣٥] وقال «الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني فيهما قصمته» ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم بما يلائم فعلاً كان أو صفة هذه قضية كلية، والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها.

ورد في الخبر «اعوذ برضاك من سخطك» فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بإقامة حرمة محبوبة، فهذا لله ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله «وبمعافاتك من عقوبتك» فهذا في حظ نفسه وأي المرتبتين أعلى في ذلك نظر، فمن نظر إلى ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغه ممكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم، وان ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه، فإن ذلك عائد عليه، ومن نظر في قوله ﴿إلا ليعبدون﴾ قال ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوتي، فأنا لا أعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي، فشرع الشارع الاستعاذتين لهذين الشخصين، ومن رأى ان وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود قال: «أعوذ بك منك» وهي المرتبة الثالثة، وثبت في هذه المرتبة عين العبد. والله اعلم.

(وليس هو مناقضاً لظاهر التفسير، بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه) وخالصه **(عن ظاهره، فهذا ما نريده بفهم المعاني)** الباطنة **(لا ما يناقض الظاهر والله أعلم)**.

وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان، وثم افهام باطنة تفهم عند الآية. والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث «لكل آية ظهر وبطن» فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول ذو جدل ومعارضة: هذا احالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقولون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهم اهـ.

....

خاتمة:

في بيان طبقات المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم قصدت التبرك بذكر أسمائهم.

اعلم انه اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة. الخلفاء الاربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير فأما الخلفاء فأكثرهم رواية رابعهم والرواية عن الثلاثة نزرة جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث.

وأما ابن عباس فقد سماه ﷺ «ترجمان القرآن» رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الدلائل، وقد روى عنه في التفسير جماعة من طرق مختلفة أجودها طريق علي بن أبي طلحة عنه، وله صحيفة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عنه، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس، وأخرج منها ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر كثير بوسائط بينهم، وبين أبي صالح.

ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه وهي صحيحة على شرط الشيخين، وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في المستدرك، ومن ذلك طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو هو وسعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد وهي جيدة واسنادها حسن، وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم كثيراً، وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء.

وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيراً ما يخرج منها الشعبي والواحدي وبعده مقاتل بن سليمان، وقد تكلم فيه. وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه، فهي ضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج من هذه كثيراً ابن جرير وابن أبي حاتم، وان كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفاً لأن جويبراً متروك، وقد أخرج منها ابن مردويه، وأبو الشيخ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ضعيفة لضعف العوفي، لكن ربما حسن له الترمذي.

ومن المبرزين في التفسير مجاهد. عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، واعتمد عليه الشافعي والبخاري وغيرهما، ومنهم سعيد بن جبير وكان أعلمهم بالتفسير، ومنهم عكرمة وكان أعلمهم بكتاب الله، ومنهم الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومرة، وأبو مالك، والربيع بن أنس، فهؤلاء قدماء المفسرين.

وبعد هذه الطبقة ألفت تفاسير جمعت أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينة،

ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هرون، وعبد الرزاق، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد، وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين. وبعدهم تفسير ابن جرير الطبري، وهو أجل التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، ثم ابن أبي الشيخ، وابن المنذر في آخرين وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين واتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك.

ثم ألف التفسير جماعة فاختصروا الاسانيد ونقلوا الأقوال بتراء فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً ان له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما روي فيه عن السلف الصالح، حتى أن بعضهم حكى في تفسير قوله تعالى ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ نحو عشرة أقوال. وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم، حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين، ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فمنهم المقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر والسمين، وغيرهم اقتصروا في تفاسيرهم على الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقلوا فيها قواعد النحو ومسائله وخلافياته، وكالثعلبي ليس له في تفسيره إلا القصص والاخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة، وكالقرطبي سرد في تفسيره الفقه من الطهارة إلى أمهات الاولاد، وربما استطرد فيه إلى اقامة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية أصلاً والجواب عن حجج المخالفين. وكالفخر الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وتتبعها حتى خرج من شيء إلى شيء يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير.

وأما المبتدع فليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها إلى مذهبه الباطل بحيث أنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه. ومنهم صاحب الكشاف فقد حشا في تضاعيف تفسيره مذاهب الاعتزال وحسنها وتحامل على أهل السنة، وجعل الأحاديث المرفوعة مرفوعة تنكيتاً على أهل الحديث، فلا تسأل عن الحاده وافترائه على الله ما لم يقله.

وأما بعد هؤلاء فارتفع القيد أصلاً ومالت الناس إلى الاختصار وأبطلوا الاسناد، وفسروا بوجوه المعقولات، ولم يبالوا صحت أو فسدت فأحسن التفاسير على الإطلاق تفسير ابن جرير وهو البحر الذي لا غاية بعده لطالب علم إذ لم يؤلف في قبيله مثله.

وقد انتهى بنا القول فيما أردناه من شرح كتاب أسرار تلاوة القرآن، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والشكر له على توفيقه لما فيه رضاه على أحسن الحالات، وأسأله سبحانه ان يمّن عليّ

تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين ـ وعلى آل محمد وصحبه وسلم. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه.

وعلى سائر المسلمين بكشف كربي وتفريج همـي وان يشفـي مـريضي ويحسـن عـواقـب الجميـع بحرمة حبيبه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته والتابعين لهم باحسان. وسلم.

وقد فرغ من تحريره وتهذيبه مع تشتيت البال واختلال الاحوال صبيحة يوم
الجمعة المباركة لأربع بقين من شهر ربيع الثاني من شهور
سنة ١١٩٨بمنزله بسويقة لا لا مؤلفه العبد المضطر
أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني أصلح
الله خلله وتقبل عمله وبلغه أمله
آمين حامداً لله ومصلياً
ومسلماً ومستغفراً
وحسبنا الله ونعم
الوكيل.

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر الحمد لله مستحق الحمد حتى لا انقطاع، ومستوجب الشكر بأقصى ما يستطاع، الذي لا يستفتح بأفضل إسمه كلام، ولا يستنجح بأحسن من صنعه مرام، الوهاب المنان، الرحيم الرحمن، المدعو بكل لسان، المرجو للعفو والإحسان، الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الجميل العوائد، الجزيل الفوائد، أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، عالم الغيوب مفرج الكروب، مجيب دعوة المضطر المكروب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، الوافي عهده، الصادق وعده، ذو الأخلاق الطاهرة، المؤيد بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الباهرة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وتابعيه وأحزابه، صلاة تشرق إشراق البدور وتتردّد تردد أنفاس الصدور ،وسلم وكرم، وشرف وعظم.

أما بعد؛ فهذا شرح **(كتاب الأذكار والدعوات)** وهو التاسع من الربع الأول من الإحياء للإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي تغمده الله بالرحمة الشاملة، والمغفرة الكاملة سلكت شعابه، ورضت صعابه، فكم من مشكل قد اعربت عنه، وبينت ما أبهم منه، وهذبت فوائده أحسن تهذيب، وأوضحت مروياته على أجمل ترتيب، بتحرير ما ينبغي تحريره، وتقرير ما يقتضي تقريره إحكاماً للقواعد، وإجراء على جميل العوائد، حتى وضح سبيله للواردين، وراق زلاله للشاربين، هذا مع ما أنا فيه من اختلاف الأحوال، وتشتيت البال، وتواتر الأنكاد والأهوال، وكدورات تفرق الأوصال، وأشغال تحجب الخواطر عن الأعمال، متوسلاً بيمين جاه مؤلفه إلى المولى اللطيف، أن يمن علينا بالعفو والعافية والنجدة من كل مخيف.

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب

إنه على فرجه قدير، وبما أملته جدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** إمام كتابه ومقدمة خطابه مضمراً فيه فعلاً من الحمد يقول: لا يثنى على الله إلا بأسمائه الحسنى وهي هنا ثلاثة: الإسم الله وهو الجامع ودلالته على الذات المجردة على الإطلاق لا من حيث هي بنفسها من غير نسبة ،ولكون الإسم الله غير مشتق لا يتوهم في البسملة إشتقاق، ولهذا سميت بها وهو الإسم مع الله، والرحمن الرحيم لا من

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره، **فقال** تعالى: ﴿فاذْكُروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] فاطمع المطيع والعاصي والداني

حيث المرحومين ولا من حيث تعلق الرحمة، بل من حيث ما هي صفة له جل جلاله، فإنه ليس لغير الله ذكر في البسملة، ومهما ورد إسم الإله لا يتقدمه كون ولا يتأخره كون فإن ذلك الإسم ينظر فيه العارف من حيث دلالته على الذات لا من حيث الصفة المعقولة منه ولا من حيث ما يطلبه الكون.

(الحمد لله) أي عواقب الثناء ترجع إليه سبحانه أي بكل ثناء يثنى به على كون من الأكوان دون الله تعالى فعاقبته إليه بطريقين.

إحداهما: إن الثناء على الكون إنما يكون بما هو عليه ذلك الكون من الصفات المحمودة، أو بما يكون منه وعلى أي وجه كان، فإن ذلك راجع إلى الله تعالى إذ كان الله هو الموجد لتلك الصفة، ولذلك الفعل لا للكون فعاقبة الثناء عادت إلى الله تعالى.

والثانية: أن ينظر العارف فيرى أن وجود الممكنات المستفاد إنما هو عن ظهور الحق فيها فهو متعلق الثناء لا الأكوان، ثم أنه ينظر في موضع اللام من قوله: «لله» فيرى أن الحامد عين المحمود لا غيره فهو الحامد المحمود، وينفي الحمد عن الكون من كونه حامداً وبقي كون الكون محموداً، فالكون من وجه محمود لا حامد، ومن وجه لا حامد ولا محمود. أما كونه غير حامد فقد بيناه أن الفعل لله، وأما كونه غير محمود فإنما يحمد المحمود بما هو له لا بما هو لغيره والكون لا شيء له فما هو محمود أصلاً، كما ورد في الخبر المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور، **(الشاملة رأفته العامة رحمته)** الشمول والعموم بمعنى واحد وهو الإكثار وإيصال الشيء إلى جماعة قاله أبو البقاء. وقال غيره: هو إحاطة الأفراد دفعة والرأفة عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة، فهي رحمة وفي الصلة بالرحم والرحمة تعم من لا صلة له بالرحم، والمرؤف به تقيمه الرأفة حتى تحفظ بمسراه في سره ظهور ما يستدعي العلو، وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة، وتارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب وهذا خاص بمن له بالنعم نوع وصلة والرحمة نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه. أدناه كشف الضر وكشف الأذى، وأعلاه الإختصاص برفع الحجاب.

وقال المصنف في المقصد الأسنى: عموم الرحمة من حيث تشمل المستحق وغير المستحق وعم الدنيا والآخرة وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها **(الذي جازى عباده)** أي عاملهم بالجزاء **(عن ذكرهم)** له بالقلب أو باللسان **(بذكره، فقال تعالى: ﴿اذكروني أذكركم﴾**. وفي الخبر: إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه فذكره لنا منوط بذكرنا له، **(ورغبهم في السؤال والدعاء)** والطلب والتضرع **(بأمره، فقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾)** وجاءت الأحاديث الصحيحة بالحث عليه سيأتي

والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله: ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني﴾ [البقرة: ١٨٦] والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى. فلا بدّ من شرح فضيلة الذكر

ذكرها في فضيلة الدعاء، **(فأطمع المطيع والعاصي والقاصي)** هو البعيد **(والداني)** هو القريب **(في الإنبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني)** جمع أمنية وهي كل ما يتمناه الإنسان، **(بقوله)** جل وعز ﴿وإذا سألك عبادي عني **(فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني)**﴾[البقرة: ١٨٦]وفي الآية إشعار بالإستجابة، وفيها لطائف سيأتي ذكرها في فضيلة الدعاء، **(والصلاة)**التامة الكاملة **(على محمد سيد أنبيائه)** أي رئيسهم إن خلقا وإن خلقا **(وعلى آله وصحبه خيرة أصفيائه)** يقال: رجل خير ككيس ذو خير، وقوم أخيار وخيرة والأصفياء جمع صفي وهو المختار، والمعنى أن آله وأصحابه هم المختارون لصحبته وهم ذوو الخير والفضل والمجد، أو خيار المختارين الذين اصطفاهم الله تعالى لمحبته وعشرته **(وسلم)** تسليماً **(كثيراً)**.

(أما بعد؛ فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل) ودراسته **(عبادة)** تعبدنا الله بها **(تؤدى باللسان)** وبالجنان أيضاً **(أفضل من ذكر الله تعالى و)** لا أعظم من **(رفع الحاجات إليه بالأدعية الخالصة)** وهي التي تكون بإخلاص قلب وإمحاض نية **(إلى الله تعالى)** خاصة لما فيها من إظهار عز الربوبية من ذل العبودية، وبها تحصل السعادة الأبدية والحياة السرمدية وهي الوصلة إلى الجنان والوسيلة إلى النظر والرضوان، ويحصل للداعي ما لا يحصل بغيره من العبادات لأن انتفاعه بفعله العبادات، ونفع الدعاء يقع في الحياة والمات فيكون الوالد لولده حياً وميتاً، وكذا الولد لوالده والحبيب لحبيبه والقريب للبعيد والبعيد للقريب وهو مظنة بالإجابة بدليل تأمين الملك.

وقوله: ولك مثله مع سهولة الدعاء وعدم تقيده بمكان ولا زمان، والدعاء واصل للمدعو له بإجماع، وكذا الصدقة عن الميت بخلاف غيره من العبادات ففي وصولها إليه خلاف، وفي قوله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة» ولم يرد ذلك في غيره من العبادات لطيفة، وهو أنه لما كان المخ من أعضاء الحيوان هو المغذي لها والمقوم لاستدامة بقائها شبه الدعاء به، لأنه يعمل هذا العمل ووجه تخصيصه بذلك من دون سائر العبادات اشتماله على حضور قلبي لا يوجد في غيره، فإن من تعبد بالصلاة أو الصوم أو الحج وغيرها يغلب عليه فيها الغفلة، فإذا دعا استدعى ذلك منه مزيد حضور في قلبه ذلك الحضور هو رفع العبادة، فلذا جاء التخصيص ويؤخذ منه تفضيل الداعي على العابد، وذلك لما فيه مع الحضور من التذلل وإظهار الفاقة وذل العبودية وعز الربوبية، فكل داع

على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار . وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها . ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة .

الباب الأوّل: في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلاً .

الباب الثاني: في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ .

الباب الثالث: في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها .

الباب الرابع: في أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة .

الباب الخامس: في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث .

عابد ولا ينعكس ، والدعاء دأب الأنبياء عليهم السلام ومفزعهم في الشدائد على ما أخبر تعالى في سورة الأنبياء وغيرها بقوله : ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا﴾ [الأنبياء : ٩٠] فنبه على علة الإجابة لدعائهم وأنها ثواب لهم بطاعتهم وتعجيلها جزاء لمسارعتهم إلى ما كلفوا به ، وفي ذلك حث على الطاعة ، (**فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة**) أي إجمالاً ، (**ثم على التفصيل في أعيان الأذكار . وشرح فضيلة الدعاء**) ومطلوبيته وأفضليته (**وشروطه وآدابه ونقل المأثور**) أي المروي (**من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا**) من جوامع الكلم الشريفة (**والدعوات الخالصة لسؤال المغفرة والإستعاذة وغيرها ، ويتحرر المقصود من ذلك**) كله (**يذكر أبواب خمسة**) .

(**الباب الأول: في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلاً**) .

(**الباب الثاني: في فضيلة الدعاء وآدابه**) وشروطه (**وفضيلة الإستغفار و**) فضيلة (**الصلاة على رسول الله ﷺ**) .

(**الباب الثالث: في أدعية مأثورة**) أي منقولة عن السلف (**ومعزية**) أي منسوبة (**إلى أصحابها وأسبابها**) .

(**الباب الرابع: في**) ذكر (**أدعية منتخبة**) مختارة (**محذوفة الإسناد**) وفي نسخة الأسانيد (**من الأدعية المأثورة**) عن النبي ﷺ .

(**الباب الخامس: في**) ذكر (**الأدعية المأثورة**) المروية المرفوعة (**عند حدوث الحوادث**) من نوائب الدهر .

الباب الأوّل

في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر في الجملة (**من الآيات**) قوله سبحانه وتعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] قال ثابت البناني رحمه الله: إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني. وقال تعالى: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال تعالى: ﴿فإذا أفضتُم مِنْ عرفاتَ فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال عز وجل: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد

الباب الأول

في فضيلة الذكر على الجملة

(والتفصيل من الآيات) القرآنية **(والأخبار)** النبوية **(والآثار)** السلفيـة، **(ويدل على فضيلة الذكر على الجملة)** أي إجمالاً **(من الآيات قوله تعالى: ﴿اذكروني أذكركم﴾)** أي استحضروا جلالي وعظمتـي في قلوبكم أذكركم بالألطاف والإحسان. **(وقال ثابت)** أبو محمد **(البناني)** بضم الموحدة وتخفيف النون التابعي الجليل: **(إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا بكر بن محمد، حدثنا جعفر، حدثنا ثابت البناني عن رجل من العباد قال يوماً لأخوانه: إني لأعلم حين يذكرني ربي تعالى قال: ففزعوا من ذلك وقالوا: تعلم حين يذكرك ربك عز وجل؟ قال: نعم. قالوا: ومتى؟ قال: إذا ذكرته ذكرني. قال: وإني أعلم حين يستجيب ربي تعالى قال: فعجبوا من قوله. قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك تعالى؟ قال: نعم. قالوا: فكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وجل قلبي واقشعر جلدي وفاضت عيني وفتح لي في الدعاء فثم أعلم أن قد استجيب لي فسكتوا.

(وقال تعالى: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ وقال تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾ الآية. وقال عز وجل: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً﴾) ولم يقل أبناءكم لأن ذكر الإنسان

ذكراً﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ [آل‌عمران: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ [النساء: ١٠٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية. وقال تعالى في ذم المنافقين: ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال عز وجل: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: له وجهان. أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه، والآخر إن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه. إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الأخبار: فقد قال رسول الله ﷺ: « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء

آباءه إنما يكون بالتعظيم، وذكر ابنه بالشفقة واللائق بحضرة الله التعظيم وفيه إشارة إلى استحضار الوحدانية لأن الابن لو انتسب إلى غير أبيه لاستنكف. (**وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾**) (**وقال عز وجل: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾**) أي: فدوموا الذكر في جميع الأحوال.

(**قال ابن عباس رضي الله عنه**) في تفسير هذه الآية (**أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية**) وهو تفسير للمداومة على الذكر في الأحوال كلها، وقيل: المعنى إذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فصلوها كيفما أمكنكم قياماً مقارعين وقعوداً مرامين وعلى جنوبكم منحنين.

(**وقال تعالى في ذم المنافقين: ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ وقال عز وجل: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ وقال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه**) في تفسير هذه الآية: (**له وجهان. أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه**) فيكون التقدير ولذكر الله إياكم أكبر وأعظم، (**والآخر: إن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه**) فيكون التقدير: ولذكر العبد الله تعالى أكبر من سائر العبادات (**إلى غير ذلك من الآيات**) الدالات على فضيلة الذكر.

(**وأما الأخبار**) الواردة فيها؛ (**فقد قال رسول الله ﷺ: « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم »**) قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقالا: في وسط الشجرة الحديث اهـ.

في وسط الهشيم ». وقال ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين ». وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي »، وقال ﷺ : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل، قالوا : يا رسول

قلت : المذكور هنا قطعة من الحديث، ولفظه : « ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحات من الصرير، وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وعجم، وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله عز وجل مقعده من الجنة ».

وقول العراقي : بسند ضعيف أي لأن فيه عمران بن مسلم القصير قال في الميزان، قال البخاري : منكر الحديث، ثم أورد له هذا الحديث، ولكن ذكر السيوطي في الجامع الكبير أنه رواه ابن صصري في أماليه، وابن شاهين في الترغيب في الذكر وقال : حديث صحيح الإسناد حسن المتن غريب الألفاظ اهـ.

والهشيم : اليابس المنكسر من النبات. قال الطيبي : شبه الذاكر كشجرة خضراء لها منظر بين الأشجار سقياها من فيض العطوف الغفار فهي رطبة بذكره لينة بفضله وأهل الغفلة بأشجار جفت فسقط ورقها ويبست أغصانها لأن حريق الشهوة أصابهم، فذهب ثمار القلوب وهي طاعة الأركان، وذهبت طلاوة الوجوه وسمتها وسكون النفس وهديها، فلم يبق ثمر ولا ورق وما بقي من الثمر فمر أو حنظلا طعم له كدر اللون عاقبته التخمة فهي أشجار هذه الصفة.

(وقال ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين ») هكذا في سائر نسخ الكتاب، ولم يتعرض له العراقي، وكأنه لم يكن عنده. وفي نسخة أخرى : « كالحي بين الأموات » وهو قطعة من حديث ابن عمر عند الجماعة، وهو الذي تقدم قبله بلفظ : « مثل الذي يقاتل عن الفارين ». وعند الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن مسعود : « ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين ». وعند البيهقي في السنن من حديث ابن عمر في إحدى رواياته : « كالمقاتل عن الفارين » الحديث.

(وقال ﷺ : « يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ») قال العراقي : رواه ابن ماجة، وابن حبان من حديث أبي هريرة، والحاكم من حديث أبي الدرداء وقال : صحيح الإسناد اهـ.

قلت : وعلقه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة بصيغة الجزم، ورواه ابن حبان أيضاً من حديث أبي الدرداء، وابن عساكر عن أبي هريرة وعند مسلم : « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني » الحديث بطوله.

(وقال ﷺ : « ما عمل ابن آدم) وفي رواية : « آدمي » **(من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله »)** رواه أحمد عن معاذ بن جبل. قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن أبي زياد راويه لم يدرك معاذاً أي : فهو منقطع.

الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع». وقال ﷺ: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل» وسئل رسول الله ﷺ: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل». وقال ﷺ: «أصبح

قلت: زياد بن أبي زياد إنما رواه عن أبي بحرية عن معاذ، فعلى هذا لا انقطاع إلا أنه رواه موقوفا ورواه مالك عن الموطأ عن زياد عن معاذ موقوفاً، ولم يذكر أبا بحرية، واسمه عبدالله بن قس شامي ثقة تابعي. وأما المرفوع: فرواه عثمان بن أبي شيبة من طريق أبي الزبير، عن طاوس، عن معاذ وهو منقطع أيضاً لأن طاوساً لم يلق معاذاً.

وقد روينا في هذا الحديث زيادة وهي قوله: (**«قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع»**) وهكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، والطبراني من حديث معاذ بإسناد حسن. قال الهيثمي: وقد رواه الطبراني أيضاً عن جابر مثله بسند رجاله رجال الصحيح، ورواه الفريابي كذلك في كتاب الذكر عن أبي خالد الأحمر، عن يحي بن سعيد، عن ابن الزبير، عن جابر مرفوعاً مثل سياق حديث طاوس عن معاذ. ومعنى كون الذكر أنجى من العذاب لأن حظ أهل الغفلة يوم القيامة من أعمارهم الأوقات والساعات حين عمروها بذكره وسائر ما عداه هدر، وكيف ونهارهم شهوة ونومهم استغراق وغفلة فيقدمون على ربهم فلا يجدون عندهم ما ينجيهم إلا ذكر الله تعالى.

(**وقال ﷺ: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل»**) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والطبراني في الكبير من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس، وهو عند الترمذي بلفظ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب العلم، والمراد برياض الجنة حلق الذكر.

(**وسئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل»**) قال العراقي: رواه ابن حبان، والطبراني في الدعاء، والبيهقي في الشعب من حديث معاذ اهـ.

قلت: قال الطبراني: حدثنا إدريس بن عبد الكريم الحداد، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن نفير، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل».

ورواه الفريابي في الذكر عن عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي الحافظ، عن الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن ثابت مثله، وله شاهد موقوف على أبي الدرداء أخرجه الفريابي من طريق معاوية

وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة ». وقال ﷺ : « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا ». وقال ﷺ : « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه، وإذا تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلي هرولت إليه » يعني بالهرولة

بن صلح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عنه قال: « إن الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون ».

وأخرج الترمذي والنسائي والفريابي أيضاً من طريق معاوية بن صلح، عن عمرو بن قيس، عن عبد الله بن بشر المازني رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إن شرائع كثرت علي فأنبئني بأمر أتشبث به. فقال: « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » ورواه الطبراني كذلك في الدعاء.

(وقال ﷺ : « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله عز وجل تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة »). قال العراقي: رواه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس: «من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة » وفيه من لا يعرف.

(وقال ﷺ : « لذكر الله) عز وجل **(بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً)** وحطم السيوف كسرها من كثرة القتال، وسحاً: أي فيضاً. قال العراقي: رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر في التمهيد اهـ.

قلت: رواه الديلمي عن أنس مرفوعاً إلى قوله: « في سبيل الله » إلا أنه قال: « خير » بدل « أفضل » وبتمامه رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عنه موقوفاً.

(وقال ﷺ) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: **(« قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه، وإذا تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا مشى إلي هرولت إليه »)**.

قال المصنف: **(يعني بالهرولة سرعة الإجابة)** رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ».

سرعة الإجابة. وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ من جلتهم ـ رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله ». وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ: « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل دائماً ».

وفي رواية لمسلم « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول ».

وروى الطيالسي، وأحمد، والبخاري من حديث قتادة عن أنس رفعه: « يقول الله عز وجل إذا تقرب مني عبدي شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيته هرولة ». ورواه البخاري أيضاً عن التيمي، عن أنس، عن أبي هريرة.

وروى ابن شاهين في الترغيب في الذكر من حديث ابن عباس: « يقول الله عز وجل ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ أفضل منهم وأكرم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن مشيت إلي هرولت إليك » في إسناده معمر بن زائدة. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه.

وروى الحاكم والبزار من حديث أبي ذر رفعه: « يقول الله عز وجل ابن آدم قم إلي أمش إليك أمش إلي أهرول إليك ابن آدم إن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً الحديث.

(وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله) فساق الحديث **(وذكر من جملتهم رجلاً ذكر الله خالياً)** أي حالة كونه في خلوة **(ففاضت عيناه)** أي سالتا بالدموع **(من خشية الله »)** متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم تخريجه وتفصيله في كتاب الزكاة.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم)** أي مالككم عز وجل **(وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل دائماً »)** قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجة، والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي الدرداء اهـ.

قلت: رواه جعفر الفريابي في كتاب الذكر فقال: حدثنا أحمد بن خالد الخلال، ويعقوب بن حميد. قال الأول: حدثنا مكي بن إبراهيم. وقال الثاني: حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن قالا: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد بن أبي زياد المخزومي، عن أبي بحرية عن أبي الدرداء

وقال ﷺ: « قال الله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ».

وأما الآثار: فقد قال الفضيل: بلغنا أن الله عز وجل قال: عبدي اذكرني بعد

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. إلا أنه قال: « من إنفاق الذهب والورق ومن أن تلقوا » ولم يقل في آخره « دائماً » وهو حديث مختلف في رفعه ووقفه وفي إرساله ووصله. أخرجه أحمد عن مكي بن إبراهيم، وأخرجه ابن ماجة عن يعقوب بن حميد، وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن مكي بن إبراهيم، وأخرجه أحمد أيضاً عن يحي بن سعيد القطان والترمذي من رواية الفضل بن موسى كلاهما عن عبد الله بن سعيد. قال الترمذي: رواه بعضهم عن عبد الله بن سعيد فأرسله. قال الحافظ: ورواه مالك في الموطأ عن زياد بن أبي زياد: قال أبو الدرداء. فذكره موقوفاً ولم يذكر أبا بحرية في سنده، وقد وقع هذا الحديث أيضاً من وجه آخر عن أبي الدرداء موقوفاً. أخرجه الفريابي من طريق صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة قال: سمعت أبا الدرداء يقول فذكره نحوه بتمامه ورجاله ثقات.

(وقال ﷺ: « قال الله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ») قال العراقي: رواه البخاري في التاريخ، والبزار في المسند، والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصفوان ابن أبي الصهباء ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات أيضاً اهـ.

قلت: ورواه البخاري أيضاً في خلق أفعال العباد، ورواه البيهقي أيضاً في السنن عن عمرو عن جابر أيضاً رضي الله عنهما. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن عمرو بن مرة مرسلاً بلفظ: « فوق » بدل « أفضل » وتقدم للمصنف في الكتاب الذي قبله بلفظ: « أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » وهكذا رواه ابن الأنباري في الوقف وابن شاهين في الترغيب في الذكر، وأبو نعيم في المعرفة، وأبو عمرو والداني في طبقات القراء عن أبي سعيد الخدري ولفظه: « يقول الله تبارك وتعالى من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي » الخ. ولفظ الدارمي، والترمذي، والحكيم، والبيهقي من حديث أبي سعيد « يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي » والباقي كسياق المصنف وقول العراقي: وصفوان بن أبي الصهباء الخ.

قلت: اقتصر المزي في ترجمة صفوان على توثيق ابن حبان له. وزاد الذهبي تضعيفه له أيضاً فجمع العراقي بين القولين واستدركه مغلطاي، وزاد أن ابن شاهين ذكره في الثقات وان ابن خلفون قال في الثقات أرجو أن يكون صدوقاً وأن ابن معين وثقه في رواية أبي سعيد ابن الأعرابي عن عباس الدوري عنه، وقد تقدم تحقيق هذا الحديث في آخر كتاب الحج فراجعه.

(وأما الآثار فقد قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(بلغنا أن الله عز وجل قال: ابن آدم أذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما)**

الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما. وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه. وقال الحسن: الذكر ذكران. ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل. ويروى: «أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل». وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها، والله تعالى أعلم.

فضيلة مجالس الذكر:

قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده». وقال ﷺ: «ما من قوم

قلت: قد روي ذلك مرفوعاً من حديث أبي هريرة رفعه: «قال الله ابن آدم اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما» رواه أبو نعيم في الحلية. وقال صاحب القوت: وروينا عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه قال: «يا ابن آدم» فساقه.

(وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه. وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل)** وهو المعبر عنه بذكر القلب وذكر الروح **(ما أحسنه وأعظم أجره)** إذ لا يطلع عليه سواه، **(وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل. ويروى: «أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله سبحانه)** فإنه يخرج من الدنيا مرتوياً لأن لسانه في الدنيا كان رطباً بذكر الله». **(وقال معاذ بن جبل)** رضي الله عنه: **(ليس يتحسر أهل الدنيا على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها)** وهو بمعناه في حديث أبي هريرة عند الترمذي كما سيأتي قريباً.

فضيلة مجالس الذكر:

(قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه عن محمد بن بشار، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن أبي إسحاق هو السبيعي قال: سمعت الأغر يقول: أشهد على أبي هريرة، وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:

اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات »، وقال أيضاً ﷺ : « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم

« لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » وأخرجه أبو داود الطيالسي عن شعبة، وأخرجه أبو عوانة في صحيحه عن يونس بن حبيب عن الطيالسي، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن حبيب بن الحسن: حدثنا يوسف القاضي، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة. وأخرجه مسلم أيضاً، والترمذي من رواية الثوري والنسائي من رواية عثمان بن زريق وابن حبان من رواية أبي الأحوص كلهم عن أبي إسحاق.

وللحديث طريق أخرى عن أبي هريرة أخرجها مسلم في أثناء حديث من طريق الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: « من نفس عن مؤمن كربة » فذكر الحديث وفيه: « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ». وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، وابن حبان أيضاً، وابن شاهين في الترغيب وقال: حسن صحيح عن ابن مسعود وأبي هريرة معاً بمثل سياق مسلم، وأوله موافق لما أورده المصنف.

(وقال ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم وقد بدلت لكم سيئاتكم حسنات ») قال العراقي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس اهـ.

قلت: هو مركب من حديثين.

الأول: عن أنس عند أحمد وأبي يعلى والطبراني في الأوسط والضياء في المختارة بلفظ: « ما جلس قوم يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم ».

والثاني: عن سهل بن الحنظلية عند الطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن، والضياء في المختارة بلفظ: « ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبدلت سيئاتكم حسنات ».

(وقال ﷺ : « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا علي إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة ») قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه عن أبي هريرة، وأبي سعيد معاً بلفظ: « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ».

القيامة » وقال داود ﷺ : « إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم، فإنها نعمة تنعم بها علي ». وقال ﷺ : « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وقال أبو هريرة رضي الله عنه: « إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم ». وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا. فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين ما يصنعون؟ فتقول الدنيا: دعهم. فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال: أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد؟ فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً، فقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد. قال: فماذا رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن، قال: فذلك ميراث

وعند ابن ماجة، وابن شاهين من حديث أبي هريرة: « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا فيه ربهم ولم يصلوا على نبيهم إلا كان ترة عليهم يوم القيامة إن شاء آخذهم الله وإن شاء عفا عنهم ».

(وقال داود عليه السلام) في بعض مخاطباته لربه عز وجل: **(إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذكر إلى مجالس الغافلين)** عن الذكر **(فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي)** وهذا هو معنى التوفيق.

(وقال النبي ﷺ : « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء ») قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس من حديث أسد بن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له إسناداً اهـ.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(« إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم »)** لأهل الأرض.

(وقال) أبو محمد **(سفيان بن عيينة)** الهلالي المكي الكوفي الأعور أحد الأعلام. روى عن الزهري، وعمرو بن دينار، وعنه الشافعي، وأحمد والأعمش، وابن جريج ثقة ثبت توفي في رجب سنة ١٩٨. **(إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين)** أي ألا تنظرين **(ما يصنعون)** أي من الذكر والتحلق؟ **(فتقول: دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك)** أجارنا الله من شرهما.

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق) أي سوق المدينة **(فقال)** لأهل السوق: **(أراكم ههنا وميراث محمد ﷺ يقسم في المسجد؟ فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً)** يقسم فرجعوا، **(فقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا في المسجد ميراثاً يقسم. قال: فما رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن، قال: فذلك**

رسول الله ﷺ. وروى الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال: «إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء فيقول الله تبارك وتعالى: أي شيء تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك. فيقول الله تبارك وتعالى: وهل رأوني؟ فيقولون: لا. فيقول جل جلاله: كيف لو رأوني. فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً. فيقول لهم من أي شيء يتعوّذون؟ فيقولون: من النار. فيقول تعالى: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول الله عز وجل: فكيف لو رأوها، [فيقولون لو رأوها] لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً. فيقول الله عز وجل: وأي شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول تعالى: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول تعالى: فكيف لو رأوها. فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً. فيقول جل جلاله: إني أشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقولون: كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة، فيقول الله عز وجل: هم القوم لا يشقى جليسهم».

ميراث محمد ﷺ). قال العراقي: رواه الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة وانقطاع.

(**وروى الأعمش**) هو سليمان بن مهران الكوفي الفقيه أحد الأعلام، (**عن أبي صالح**) المدني ويعرف بالسمان وبالزيات، (**عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما**) هكذا على الترديد، (**عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض**) من السياحة هي السير في الأرض للإعتبار (**فضلاً عن كتاب الناس**) أي هم غير الملائكة الموكلة ببني آدم، (**فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا**) أي بعضهم بعضاً (**هلموا**) أي تعالوا (**إلى بغيتكم**) أي مطلوبكم (**فيجيؤن أي فيحفون بهم إلى السماء**) الدنيا (**فيقول الله تبارك وتعالى**) وهو أعلم بهم (**على أي شيء تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك. فيقول الله تعالى: وهل رأوني؟ فيقولون: لا. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتمجيداً وتحميداً. فيقول لهم: من أي شيء يتعوذون؟ فيقولون: من النار فيقول تعالى: هل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول عز وجل: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً. فيقول عز وجل: وأي شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول تعالى: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول تعالى: وكيف لو رأوها. فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً. فيقول جل جلاله: وإني أشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقولون: كان فيهم فلان لم يردهم وإنما جاء لحاجة، فيقول عزوجل: هم القوم لا يشقى جليسهم»**) قال العراقي: رواه

فضيلة التهليل:

قال ﷺ: « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ».

وقال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة

الترمذي من هذا الوجه، والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده، وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب العلم اهـ.

قلت: يشير إلى أن البخاري أخرجه من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة بتمام السياق، وأشار إلى طريق سهيل تعليقاً.

وأخرجه مسلم عن محمد بن حاتم، عن بهز بن أسد، عن وهب بن خالد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لله ملائكة سيارة يلتمسون مجالس الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بأجنحتهم ما بينهم وسماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك ويهللونك ويسألونك جنتك ويستعيذونك من نارك. قال: وهل رأوا جنتي وناري؟ قالوا: لا. فقال: فكيف لو رأوهما، أشهدكم إني قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا. فيقال: إن فيهم رجلاً ليس منهم إنما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» ورواه الفريابي عن أمية بن بسطام، عن يزيد بن زريع، عن روح بن القاسم، عن سهيل. وأخرجه أبو عوانة في الصحيح عن عباس الدوري عن أمية بن بسطام. وأخرجه أبو داود الطيالسي عن وهيب عن سهيل.

وروى البزار عن أحمد بن مالك القشيري، وأبو نعيم في الحلية من طريق الحسن بن سفيان، عن محمد بن أبي بكر كلاهما عن زائدة بن أبي الرقاد عن زناد النميري عن أنس مرفوعاً: « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم وبعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة سبحانه فيقولون وهو أعلم أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألون لآخرتهم ودنياهم فيقول: غشوهم رحمتي هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ».

فضيلة التهليل:

(**وقال ﷺ: « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »**) تقدم الكلام عليه مفصلاً في الباب الثاني من كتاب الحج.

(**وقال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت**

ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ». وقال ﷺ: « ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ». وقال ﷺ: « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ». وقال ﷺ أيضاً لأبي هريرة: « يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها

عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه) ذلك **(حتى يمسي ولم يأت بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»)** رواه مالك في الموطأ عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيه: « ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا من عمل أكثر من ذلك » أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحي بن يحي كلاهما عن مالك، وأخرجه الترمذي عن إسحاق بن موسى، عن معن بن عيسى، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب كلاهما عن مالك.

(وقال ﷺ: « ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ») رواه أبو داود من حديث عقبة بن عامر، وقد تقدم مفصلاً في كتاب الطهارة.

(وقال ﷺ: « ليس على أهل لا إله إلا الله) يعني من نطق بها عن صدق وإخلاص، فمن قدم على ربه وهو مصر على الذنوب فليس من أهل هذه الكلمة بل من أهل قولها، ولذلك قال تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين★ عما كانوا يعملون﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] أي عن صدق لا إله إلا الله ولم يقل عما كانوا يقولون: **(وحشة في قبورهم ولا في النشور)** أي يوم النشور والحشر **(كأني أنظر إليهم عند الصيحة)** أي نفخة إسرافيل الثانية للقيام من القبور للحشر **(ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ »)** [فاطر: ٣٤] قال العراقي: رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ.

قلت: هو في المعجم الكبير للطبراني، وكذا في الأوسط بلفظ: « في الموت ولا في القبور ولا في النشور » قال الهيثمي: رواه الطبراني من طريقين في أحداهما وهي المذكورة هنا يحي الحماني، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو، وكلاهما ضعيف اهـ. وأورده ابن الجوزي في الواهبات وأعله.

(وقال ﷺ لأبي هريرة: « يا أبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا

توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان، لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك ». وقال ﷺ : « لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر الله له ذلك ». وقال ﷺ : « يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدماً قلت: يا رسول الله؛ هذا للموتى فكيف للأحياء ؟ قال ﷺ : هي أهدم وأهدم ». وقال ﷺ : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة ».

شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان، لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات والأرضون السبع وما فيهن كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك »).

قال العراقي: هذه الوصية لأبي هريرة موضوعة، وآخر الحديث رواه المستغفري في كتاب الدعوات « ولو جعلت لا إله إلا الله » وهو معروف من حديث أبي سعيد: « لو أن السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله » رواه النسائي في اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه اهـ.

قلت: وروى الديلمي عن أبي هريرة: « ولو جعلت لا إله إلا الله في كفة وجعلت السموات والأرض في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله » وروى الطبراني عن ابن عباس في أثناء حديث: « والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والأرضين ومن فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعت في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن ».

(وقال ﷺ : « لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر له ذلك ») قال العراقي: غريب بهذا اللفظ، وللترمذي من حديث لأنس: « يقول الله يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة ».

وقال حسن، ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس: « يا رب ما جزاء من هلل مخلصاً من قلبه ؟ قال: جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب »؛ وفيه انقطاع.

(وقال ﷺ : « يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدماً . قلت يا رسول الله: هذا للموتى فكيف للأحياء ، فقال: هي أهدم وأهدم ») قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابن المقري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه. ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف، ورواه أبي الدنيا في المختصرين من حديث الحسن مرسلاً اهـ.

قلت: ولفظ الديلمي في الفردوس: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان. قالوا: فكيف هي للأحياء ؟ قال: أهدم وأهدم ».

وقال ﷺ : « لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله . فقيل : يا رسول الله؛ من الذي يأبى ويشرد عن الله؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله » فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد ، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهي

وروي الطبراني في الكبير عن ابن عباس رفعه : « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة. قالوا يا رسول الله: فمن قالها في صحته؟ قال: تلك أوجب وأوجب » .

(وقال النبي ﷺ : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة ») قال العراقي: رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول زادوا في روايتهم: « قيل وما اخلاصها ؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله » ورواه ابن النجار في تاريخه من حديث أنس بزيادة: « قيل أفلا أبشر الناس ؟ قال: لا . إني أخاف أن يتكلوا » ورواه بلفظ المصنف البزار والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري، والبغوي. والطبراني في الكبير عن أبي شيبة الخدري.

(وقال ﷺ : « لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبي وشرد شرود البعير على أهله فقيل يا رسول الله: من يأبى؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله ») رواه البخاري بلفظ: « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » . زاد الحاكم وصححه: « وشرد شرود البعير على أهله » قال البخاري: « قالوا يا رسول الله: ومن يأبى ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » .

(فأكثروا) روى ابن عدي وأبو يعلى والطبراني في الدعاء والخطيب من حديث أبي هريرة رفعه: « أكثروا **(من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها)** ولقنوها موتاكم في طريق ابن عدي موسى بن وردان مختلف فيه، وأما طريق أبي يعلى فقد قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير ضمام بن إسماعيل وهو ثقة **(فإنها كلمة التوحيد »)** رواه أبو الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير مرسلاً: « إذا قلت لا إله إلا الله فهي كلمة التوحيد » الحديث. والحكم ضعيف **(وهي كلمة الإخلاص)** رواه الطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر: « وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله » الحديث ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث ابن مسعود في إجابة المؤذن: « اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص » **(وهي كلمة التقوى)** رواه الترمذي من حديث البراء بن عازب والزمهم كلمة التقوى قال: « لا إله إلا الله » ورواه الطبراني من حديث سلمة بن الأكوع، **(وهي الكلمة الطيبة)** رواه الطبراني في الدعاء عن ابن عباس: « كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله » . **(وهي دعوة الحق)** رواه أبو بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث ابن مسعود كما تقدم قريباً، ورواه الطبراني في الدعاء عن ابن

العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة. وقال الله عز وجل: ﴿هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن: ٦٠] فقيل الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله، وفي الآخرة الجنة. وكذا قوله تعالى: ﴿للذين أحسنُوا الْحُسْنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦]، وروى البراء بن عازب أنه ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة ـ أو قال ـ نسمة». وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

عباس قوله: «دعوة الحق قال شهادة أن لا إله إلا الله». **(وهي العروة الوثقى)** رواه الطبراني في الدعاء عن ابن عباس قال: «العروة الوثقى هي شهادة أن لا إله إلا الله». **(وهي ثمن الجنة)** رواه ابن عدي والمستغفري من حديث أنس. قال العراقي: ولا يصح شيء منها.

(وقال الله عز وجل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾) فقيل الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله، والإحسان في الآخرة الجنة سمى كلاً منهما إحساناً. **(وكذلك قوله عز وجل ﴿للذين أحسنوا الحسنى)** احسنوا أي قالوا لا إله إلا الله لهم الحسنى أي الجنة **(وزيادة﴾)** هو النظر إلى وجه الله الكريم، ويروى عن أبي بكر الحسنى الحسنة. والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى رواه أبو بكر بن أبي شيبة، والدارقطني، وابن جرير وابن المنذر.

(وروى البراء بن عازب) الأوسي الأنصاري شهد أُحُداً وتوفي بعد السبعين رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو)** قال: **(نسمة»)** قال العراقي: رواه الحاكم وقال صحيح على شرطها وهو عند أحمد دون قوله: «عشر مرات» اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو داود الطيالسي، وابن أبي شيبة والنسائي، وأبو يعلى، والروياني، وابن حبان، والطبراني في الصلاة والضياء في المختارة بلفظ: «كعدل نسمة».

(وروى عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله السهمي أقام بالطائف. قال يحي القطان: إذا روى عنه ثقة فهو حجة، وقال أحمد: وربما احتججنا به. وقال البخاري: رأيت أحمد وابن المديني وإسحاق وأبا عبيد، وعامة أصحابنا يحتجون به. مات بالطائف سنة ١١٨، **(عن أبيه)** هو سفيان بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي السهمي. روى عنه ابناه عمرو وعمر وثابت البناني، **(عن جده)** الضمير عائد إلى قوله: «أبيه» لا إلى «عمرو» وجده المذكور هو عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وسماع عمرو[1] عن جد أبيه متيقن ثابت عند الأئمة، وقد روى شعيب أيضاً عن أبيه محمد بن عبد الله إن كان محفوظاً، ومن العلماء من لا يحتج بهذا الإسناد لما فيه من إشتباه عود الضمير إلى عمرو وهو الظاهر، أو إلى شعيب وهو المختلف فيه فتركوه لذلك، فإن جاء في رواية عن جده عبد الله مصرحاً به فهو مقبول قطعاً **(أنه ﷺ قال: «من**

---

(١) هكذا في الأصل.

أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في يوم مائتي مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله». وقال ﷺ: «من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيت في الجنة». ويروى: «إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها» وفي الصحيح عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ أنه

قال في يوم مائتي مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله») قال العراقي: رواه أحمد بلفظ: «مائة مرة» وكذا رواه الحاكم في المستدرك وإسناده جيد، وكذا هو في بعض نسخ الإحياء اهـ.

قلت: هكذا هو في رواية أحمد والحاكم، ورواه الطبراني في الكبير نحوه، والذي رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، والخطيب عن عمرو بن شعيب بلفظ: «مائة مرة إذا أصبح ومائة إذا أمسى لم يجيء أحد بأفضل من عمله إلا من عمل أفضل من ذلك» ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي الدرداء موقوفاً عليه مثله، ورواه إسماعيل عن عبد الغافر في الأربعين له عن عمرو بن شعيب بلفظ: «ألف مرة جاء يوم القيامة فوق كل عمل إلا عمل نبي أو رجل» زاد في التهليل.

(وقال عمر)[1] بن الخطاب **(رضي الله عنه: «من قال)** حين يدخل **(في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحيت عنه ألف ألف سيئة وبني له بيت في الجنة»)** رواه ابن ماجة والحكيم الترمذي وابن السني من حديث سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه عن جده لكنه مرفوعاً وضعف زاد الحكيم في روايته: «ورفعت له ألف ألف درجة وهو في الأربعين لإسماعيل بن عبد الغافر الفارسي من حديث ابن عمر بدون هذه الزيادة، ورواه ابن السني عن ابن عباس رفعه بلفظ: «كتب الله له ألفي ألف حسنة».

(ويروى: «أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محيت حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جانبها») قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف.

(وفي الصحيح عن أبي أيوب) الأنصاري رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ أنه قال: «من**

---

(١) في الأحياء: «وقال ﷺ» بدلاً من «وقال عمر رضي الله عنه».

قال: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل ﷺ » وفي الصحيح أيضاً عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ أنه قال: « من تعارّ من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال: اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته ».

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار:

قال ﷺ: « من سبَّح دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وكبّر ثلاثاً وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السلام ») رواه البخاري ومسلم هكذا. وعند الترمذي وللطبراني في الكبير والبيهقي في السنن بلفظ: « كانت له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل » ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، وعبد بن حميد بلفظ: « كن له كعدل عشر رقاب ». وعند ابن حبان كان له: « عدل نسمة » ورواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود موقوفاً. وفي رواية لأحمد والطبراني والضياء: « كتب الله له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وكن له كعتق عشر رقاب وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره ولم يعمل يومئذ عملاً يقهقرهن ».

(**وفي الصحيح أيضاً عن عبادة بن الصامت**) أبو الوليد الخزرجي من بني عمرو بن عوف (**رضي الله عنه**) بدري نقيب أحد من جمع القرآن وكان طويلاً جسيماً مات عن اثنتي وسبعين سنة بالرملة سنة ٣٤، (**عن النبي ﷺ أنه قال: « من تعار**) أي استيقظ (**من الليل فقال**) حين يستيقظ: (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد »**) وفي رواية هنا زيادة « يحي ويميت بيده الخير (**وهو على كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته »**) رواه أحمد والدارمي والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والطبراني في الكبير.

فضيلة التحميد والتسبيح وبقية الأذكار:

(**قال النبي ﷺ: « من سبح دبر كل صلاة**) أي عقب الفراغ منها (**ثلاثاً وثلاثين**) مرة (**وحمد**) الله (**ثلاثاً وثلاثين**) مرة (**وكبر**) الله (**ثلاثاً وثلاثين**) مرة فتلك تسع وتسعون (**وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**

شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ». وقال ﷺ: « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: تولت عني الدنيا وقلّت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ: « فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون؟ قال فقلت: وماذا يا رسول الله؟ قال: قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة، ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه ». وقال ﷺ: « إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض، فإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض السفلى، فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل: سل تعط ». وقال

غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر »). رواه أحمد ومسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: « خطاياه » بدل « ذنوبه ». وعند النسائي من حديثه: « من سبح في دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة وهلل مائة تهليلة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ».

(وقال ﷺ: « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ») رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، وأحمد، والبخاري، ومسلم والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي) يعني بذلك أنه افتقر وقل مابيده من المال، **(فقال له ﷺ: « فأين أنت من صلاة الملائكة)** أي دعائهم، **(وتسبيح الخلائق وبها يرزقون؟ قال: قلت وما هي يا رسول الله؟ فقال: قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة)** أي منقادة ذليلة، **(ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه »)** قال العراقي: رواه المستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال: غريب من حديث مالك، ولا أعرف له أصلاً في حديث مالك. ولأحمد من حديث عبد الله بن عمر أن نوحاً قال لابنه: « آمرك بلا إله إلا الله » الحديث. ثم قال: « سبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق ». وإسناده صحيح اهـ.

قلت: وروى ابن السني والديلمي من حديث ابن عباس: « من قال بعد صلاة الجمعة قبل أن يقوم من مجلسه سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب ». وقد تقدم ذلك في كتاب الجمعة.

(وقال ﷺ: « إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض، وإذا قال الحمد لله) المرة **(الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض، وإذا قال الحمد لله)** المرة **(الثالثة قال الله عز وجل: سل تعطه »)** قال العراقي: غريب بهذا اللفظ لم أجده.

رفاعة الزرقي: « كنا يوماً نصلي وراء رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده قال رجل وراء رسول الله ﷺ: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ عن صلاته، قال: من المتكلم آنفاً؟ قال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أوّلاً؟» وقال رسول الله ﷺ: « الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله». وقال ﷺ: « ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت

(**وقال رفاعة**) ابن رافع بن مالك (**الزرقي**) بدري وأبوه نقيب روى له البخاري والأربعة بقي إلى امرة معاوية: (**« كنا يوماً نصلي وراء رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده. قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال: من المتكلم آنفاً؟ قال له**) رجل: (**أنا يا رسول الله، قال: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً**) هذا حديث صحيح رواه مالك في الموطأ، عن نعيم المجمر، عن علي بن يحي، عن أبيه هو ابن خلاد بن رافع عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنهما قال: « جاء يوماً فصلى وراء رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة وقال: سمع الله لمن حمده. قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد فساق الحديث كما هو عند المصنف. وقد أخرجه البخاري، وأبو داود عن القعنبي، وأخرجه أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، والنسائي من رواية عبد الله بن القاسم، وابن خزيمة من رواية ابن وهب أربعتهم عن مالك، وأخرجه ابن حبان عن عمر بن سعيد بن سنان عن أبي مصعب عن مالك، والسر في العدد بالخصوص أن الكلمات التي نطق بها بضعة وثلاثون حرفاً. وعند ابن ماجة والطبراني عن وائل بن حجر لقد فتحت لها أبواب السماء فما نهنهها شيء دون العرش. يعني قوله: « الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه». وعند النسائي عن وائل بن حجر أنه سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول في الصلاة الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فقال: لقد ابتدرها إثنا عشر ملكاً فما نهنهها شيء دون العرش.

(**وقال ﷺ: « الباقيات الصالحات هن، لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله »**) قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة دون قوله: « ولا حول ولا قوة إلا بالله » اهـ.

(**وقال ﷺ: « ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر »**) رواه ابن

مثل زبد البحر». رواه ابن عمر. وروى النعمان بن بشير عنه ﷺ **أنه قال: «الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن أو لا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به»**. وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال: **«لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»**. وفي رواية أخرى زاد: **«لا حول ولا قوّة إلا بالله وقال هي خير من الدنيا وما فيها»**. وقال ﷺ: **«أحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربع:**

عمر) هكذا في سائر النسخ، والصواب ابن عمرو وقال العراقي: رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال: صحيح على شرط مسلم، وهو عند الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة مختصراً دون قوله سبحان الله والحمد لله اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير، وابن شاهين في الترغيب في الذكر مثل سياق المصنف، وكلهم رووه عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

وروى ابن السني، وأبو نعيم، وابن حبان، وابن جرير، وابن عساكر عن أبي هريرة رفعه: «من قال حين يأوي إلى فراشه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

(وروى النعمان بن بشير) بن سعد الخزرجي أبو عبد الله الأمير ولي حمص ليزيد وقتل في أواخر سنة ٧٤ رضي الله عنه، **(عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتمجيده، ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه أو لا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله عز وجل ما يذكر به»)** قال العراقي: رواه ابن ماجة والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس» وفي رواية وزاد: «ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقال: خير من الدنيا وما فيها»)** قال العراقي: رواه مسلم باللفظ الأول، والمستغفري في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال للنبي ﷺ قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها. قال: «أنت أغنم القوم» وهو مرسل جيد الإسناد اهـ.

قلت: وباللفظ الأول أيضاً رواه أبو بكر بن أبي شيبة، والترمذي، وابن حبان، ومسلم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ورواه النسائي في الكبرى عن أحمد بن حرب عن أبي معاوية.

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت » رواه سمرة بن جندب.

وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ كان يقول: « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها ». وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان

(وقال ﷺ « أحبّ الكلام إلى الله عز وجل أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت» رواه سمرة بن جندب الفزاري) نزيل البصرة وليها، توفي سنة ٥١، وهذه الرواية أخرجها ابن حبان، عن مكحول، عن أحمد بن عبد الرحمن الكزبراني، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن الربيع بن عميلة، عن سمرة بن جندب. ورواه أحمد عن حسن بن موسى ويحيى بن آدم. ومسلم عن أحمد بن عبد الله بن يونس، وأبو داود عن أبي جعفر النفيلي أربعتهم عن زهير بن معاوية، عن منصور، عن هلال بن يسار، عن الربيع بن عميلة عن سمرة بلفظ « لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت ». وأخرجه مسلم أيضاً من رواية روح بن القاسم وجرير بن عبد الحميد كلاهما عن منصور بن المعتمر، وقد صحح ابن حبان الروايتين.

(وروى أبو مالك الأشعري) رضي الله عنه صحابي اختلف في اسمه على أقوال. روى عنه عبد الرحمن بن غنم وأبو سلام الأسود **(أن رسول الله ﷺ كان يقول « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والله أكبر تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها »)** هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يحيى بن إسحاق وعفان كلاهما عن أبان بن يزيد ،عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام عن جده أبي سلام عن أبي مالك. وأخرجه مسلم والترمذي جميعاً عن إسحاق بن منصور عن حبان بن هلال. وأخرجه النسائي عن عمرو بن علي عن عبد الرحمن بن مهدي كلاهما عن أبان بن يزيد وقد تقدم ذلك الحديث في كتاب الطهارة. وقال أبو هريرة رضي الله عنه، **قال النبي ﷺ**: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ») هذا حديث صحيح ختم به البخاري الصحيح، وذكره أيضاً في الدعوات، وفي الإيمان والنذور، أخرجه هو ومسلم جميعاً عن أبي خيثمة زهير بن حرب، وأخرجه البخاري أيضاً عن قتيبة وأحمد بن إشكاب، ومسلم أيضاً عن محمد بن عبد الله بن نمير وأبي كريب ومحمد بن صريف، والترمذي عن يوسف بن عيسى، والنسائي عن محمد بن آدم ومحمد بن حرب وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد عشرتهم عن

الله العظيم». وقال أبو ذر رضي الله عنه، قلت لرسول الله ﷺ: أيّ الكلام أحب إلى الله عز وجل؟ قال ﷺ: «ما اصطفى الله سبحانه لملائكته: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم». وقال أبو هريرة. قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فإذا قال العبد: «سبحان الله» كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة، وإذا قال: «الله أكبر» فمثل ذلك وذكر إلى

محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة. ورواه أحمد عن محمد بن فضيل بسنده.

(وقال أبو ذر) جندب بن جنادة الغفاري **(رضي الله عنه قلت لرسول الله ﷺ: أي الكلام أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «ما اصطفى الله عز وجل لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»)** هذا حديث صحيح رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف قال: حدثنا يحي بن أبي بكير، حدثنا شعبة، عن الجريري، عن أبي عبد الله الجسرق، عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أخبرني أي الكلام أحب إلى الله بأبي أنت وأمي. قال «ما اصطفى الله لملائكته سبحان ربي وبحمده سبحان ربي العظيم».

ورواه أبو نعيم في المستخرج عن أبي بكر الطلحي عن عبيد بن غنام عن أبي بكر بن أبي شيبة بسنده نحوه ولفظه «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى. قلت: بلى. قال: إن أحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده». وأخرجه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن إسماعيل بن إبراهيم عن الجريري، وأخرجه الحاكم من رواية يحي بن محمد بن يحي عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي عن إسماعيل بن إبراهيم ووهم في استدراكه، فإن مسلماً أخرجه، ولعله قصد الزيادة التي فيه، وأخرجه النسائي من طرق في اليوم والليلة فيه اختلاف على الجريري وغيره، وأخرجه الطبراني في الدعاء عن أبي مسلم الكشي عن الحجبي، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن فاروق الخطابي عن أبي مسلم الكشي.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل اصطفى من الكلام)** أربعاً وهي قول **(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»)** فهي مختار الله من جميع كلام الآدميين. وفي رواية «إن الله اصطفى لملائكته من الكلام أربعاً» الخ، **(فإذا قال العبد)** وفي رواية: فمن قال: **(«سبحان الله» كتبت له عشرون حسنة وحطت عنه عشرون سيئة)** وفي رواية: خطيئة، **(وإذا قال)** وفي رواية: ومن قال **(«الله أكبر» فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات)** أي إذا قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، وإذا قال «الحمد لله رب العالمين» من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون خطيئة. قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة اهـ.

آخر الكلمات. وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة ». وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال الفقراء لرسول الله ﷺ: ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال: « أوَليس قد جعل الله تعالى لكم ما تصدقون به؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة [صدقة] وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة في في أهله فهي له صدقة. وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا

قلت: وكذا رواه أحمد والضياء في المختارة. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح، وأقرَّ الذهبي في التلخيص قول الحاكم أنه على شرط مسلم.

تنبيه:

قال بعضهم: إن الحمد أفضل من التسبيح لأن في التحميد إثبات سائر صفات الكمال والتسبيح تنزيه عن سمات النقص والإثبات أكمل من السلب وادعى بعضهم أن الحمد أكثر ثواباً من التهليل ورد بأن في خبر البطاقة المشهور ما يفيد أن لا إله الا الله لا يعـدلها شيء.

(وقال جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن. والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ.

قلت: رواه الترمذي عن أحمد بن منيع، عن روح بن عبادة، عن حجاج بن أبي عثمان، عن أبي الزبير، عن جابر وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير. وأخرجه هو والنسائي من وجه آخر عن حجاج، ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة أبي الزبير، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن منيع وأبو يعلى والطبراني في الكبير، وأبو نعيم والضياء في المختارة كلهم عن جابر بلفظ « سبحان الله العظيم وبحمده » ورواه ابن أبي شيبة أيضاً عن أبي عمر موقوفاً. وروى الحاكم في تاريخ نيسابور، والديلمي من حديث أنس « من قال سبحان الله وبحمده غرس الله له بها ألف شجرة في الجنة أصلها من ذهب وفرعها در وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من الشهد كلما أخذ منه شيء عاد كما كان ». وروى أحمد والطبراني في الكبير من حديث معاذ بن أنس « من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة » الحديث.

(وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال الفقراء لرسول الله ﷺ: ذهب أهل الدثور) أي أهل الأموال **(بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم)** أي بما فضل من أموالهم من الحوائج الأصلية، **(فقال)** ﷺ: **(« أوليس قد جعل الله تعالى لكم ما تصدقون به؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة، ويضع أحدكم اللقمة في في)** أي فم **(أهله)** أي زوجته **(فهي له صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا يا رسول الله: يأتي**

رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال ﷺ: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ قالوا: نعم. قال: كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر». وقال أبو ذر رضي الله عنه: قلت لرسول الله ﷺ: «سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق، فقال رسول الله ﷺ: أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وتحمد ثلاثاً وثلاثين وتكبّر أربعاً وثلاثين» وروت يسيرة عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن وأعقدن بالأنامل فإنها

أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال) ﷺ: **(أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ قالوا: نعم. قال: كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر»)** رواه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ، وله وأبي داود والنسائي وابن خزيمة وأبي عوانة وابن حبان من طريق أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر مرفوعاً «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

(وقال أبو ذر) رضي الله عنه، **(قلت لرسول الله ﷺ: «سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون)** من فضول أموالهم **(ولا ننفق، فقال ﷺ: «أفلا أدلك على عمل إذا أنت فعلته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة)** أي من المكتوبات **(ثلاثاً وثلاثين)** مرة **(وتحمد ثلاثاً وثلاثين)** مرة **(وتكبر أربعاً وثلاثين»)** مرة. قال العراقي: رواه ابن ماجه إلا أنه قال: قال سفيان: لا أدري أيتهن أربع. ولأحمد في هذا الحديث «وتحمد أربعاً وثلاثين» وإسنادهما جيد، ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء «وتكبر أربعاً وثلاثين» كما ذكره المصنف اهـ.

قلت: حديث أبي الدرداء هذا أخرجه النسائي في اليوم والليلة بلفظ المصنف، وعنده مثله عن كعب بن عجرة.

(وروت يسيرة) بضم الياء التحتية وفتح السين المهملة مصغرة، ويقال: أنها بالهمز بدل الياء ذكروها في الصحابة وكنوها أم ياسر، وقال بعضهم: يسيرة بنت ياسر والأكثر لم يذكروا اسم أبيها، وذكر بعضهم أنها أنصارية، والصحيح أنها من المهاجرات، **(عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن)** بضم الفاء وسكون اللام وهي لغة القرآن، **(واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات»)** رواه عبد بن حميد، عن محمد بن بشر، عن هانئ بن عثمان، عن حميضة بنت ياسر، عن يسيرة وكانتا من المهاجرات قالت: قال رسول الله ﷺ «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات

مستنطقات » يعني بالشهادة في القيامة. وقال ابن عمر: رأيته ﷺ يعقد التسبيح، وقد قال ﷺ فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري: « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل: صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك

مستنطقات ». وأخرجه أحمد وابن سعد في الطبقات عن محمد بن بشر، وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد بهذا الإسناد. وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هانئ بن عثمان، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر، وذكر حميضة في ثقات التابعين ولا نعرف عنها راوياً إلا ابنها هانئ بن عثمان وهو كوفي روى عنه جماعة.

وأخرج أبو داود عن مسود، عن عبد الله بن داود الحربي، حدثنا هانئ بن عثمان الجهني، عن أمه حميضة بنت ياسر عن جدتها يسيرة رضي الله عنها أنها حدثتها « أن النبي ﷺ أمرهن أن يراعين التسبيح والتهليل والتقديس وأن يعقدن الأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات ». وأخرجه أبو عبد الله بن منده، عن خيثمة بن سليمان، عن إسحاق بن سيار عن الحزيبي، ورواه الحاكم من وجه آخر عن الحزيبي.

قال المصنف في تفسير قوله: مستنطقات **(يعني بالشهادة في القيامة)** يعني يستنطقن ويستشهدن في يوم القيامة.

(وقال ابن عمر) هكذا في سائر نسخ الكتاب ويعني به عبد الله بن عمر بن الخطاب **(رأيته ﷺ يعقد التسبيح)** قال العراقي: إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه والحاكم اهـ.

قلت: رواه أبو داود عن عبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن قدامة في آخرين قالوا: حدثنا هشام بن علي، حدثنا الأعمش، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: « رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح » وقال في آخره زاد محمد بن قدامة « بيمينه ». وأخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى جميعاً عن محمد بن عبد الأعلى زاد النسائي والحسين بن محمد الدارع كلاهما عن عثام بن علي. وأخرجه الحاكم من طريق عثام ومن طريق شعبة عن الأعمش عن عطاء بن السائب. وأخرجه الطبراني في الدعاء عن عمرو بن أبي الطاهر عن يوسف بن عدي عن عثام بن علي بسنده. قال الحافظ: ومعنى العقد المذكور في الحديث إحصاء العدد وهو اصطلاح للعرب بوضع بعض الأنامل على بعض عقد أنملة أخرى، فالآحاد والعشرات باليمين والمئون والآلاف باليسار.

(وقد قال ﷺ فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري) رضي الله عنهما **(أنه ﷺ قال: « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق عبدي**

لي، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله يقول الله سبحانه: صدق عبدي لا حول ولا قوّة إلا بي، ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار». وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة، فقيل: كيف ذلك يا رسول الله. فقال ﷺ: يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة

لا إله إلاأنا لا شريك لي، وإذا قال لا إله إلا الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه: صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي، ومن قالهن عند الموت لا تمسه النار») قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن، والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه والحاكم وصححه انتهى.

قلت: لفظ الترمذي «من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده يقول الله لا إله إلا أنا وأنا وحدي، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا لا حول ولا قوة إلا بي، وكان يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار».

(وروى مصعب بن سعد) أبو زرارة المدني نزل الكوفة. توفي سنة ١٠٢، **(عن أبيه)** سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أحد العشرة فارس الإسلام أسلم سابع سبعة وله مناقب جمة. روى عنه بنوه إبراهيم وعمر ومحمد وعامر ومصعب وعائشة توفي سنة ٥٥، **(عن النبي ﷺ أنه قال «أيعجز أحدكم ان يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فقيل له: كيف ذلك؟ فقال ﷺ: «يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف سيئة»)** قال العراقي: رواه مسلم إلا أنه قال «أو تحط» وقال الترمذي «وتحط» كما قال المصنف وقال حسن صحيح اهـ.

قلت: رواه عبد بن حميد، عن جعفر بن عون، عن موسى الجهني، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة. قالوا: وكيف يكسب أحدنا ألف حسنة» قال يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف خطيئة» وهكذا أخرجه أحمد عن عبد الله بن نمير، ويعلى بن عبيد ويحيى القطان. وأخرجه مسلم من رواية مروان بن معاوية، ومن رواية علي بن مسهر وابن نمير، وأخرجه الترمذي والنسائي من رواية يحيى القطان خمستهم عن موسى الجهني، وأخرجه أبو عوانة عن محمد بن إسحاق الصغاني، وأبو نعيم من رواية محمد بن أحمد بن أبي المثنى كلاهما عن جعفر بن عون، عن موسى الجهني، وقد حكى النووي قول الحميدي أنه في مسلم من جميع الروايات بلفظ «أو تحط» وأن البرقاني ذكر أن شعبة وغيره رووه عن موسى الجهني بلفظ «وتحط». قال الحافظ: ورواية شعبة عند أحمد والنسائي بالواو كما

ويحط عنه ألف سيئة ». وقال ﷺ: « يا عبدالله بن قيس ـ أو يا أبا موسى ـ أوَ لا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال: بلى، قال: قل لا حول ولا قوّة إلا بالله ». وفي رواية أخرى: « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش: لا حول ولا قوّة إلا بالله ». وقال أبو

قال، وهو عند أحمد عن الثلاثة المذكورين في موضعين. أحدهما بلفظ « وتمحى عنه الف سيئة » والثاني باللفظ الذي ذكره مسلم والله أعلم.

(**وقال رسول الله ﷺ « يا عبد الله بن قيس)** وهو اسم أبي موسى الأشعري **(أو)** قال **(يا أبا موسى)** أي ناداه بكنيته لأنه كان مشهوراً بها وهو شك من الراوي: **(أو لا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال: بلى. قال [قل] لا حول ولا قوة إلا بالله »)** هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه الأئمة الستة من طرق متعددة إلى أبي عثمان النهدي، واسمه عبد الرحمن بن مل منها للبخاري عن موسى بن إسماعيل عن عبد الواحد بن زياد عن عاصم الأحول، ومنها لمسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية ومحمد بن فضيل كلاهما عن عاصم.

الأول: عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم ». قال: فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال « يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال: قلت بلى يا رسول الله، قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله » ورواه المحاملي عن يعقوب بن إبراهيم عن أبي معاوية. وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا عاصم الأحول فذكره، وقال أبو بكر الشافعي: حدثنا مسدد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فرقينا عقبة أو ثنية وكان الرجل إذا علاها قال لا إله إلا الله والله أكبر فذكر الحديث بنحوه. أخرجه البخاري عن محمد بن مقاتل عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي، وخالد الحذاء فرقهما. كلاهما عن أبي عثمان النهدي، وأخرجه مسلم عن أبي كامل الجحدري عن يزيد بن زريع، وأخرجه أبو داود عن مسدد، وأبو عوانة عن إسحاق بن يسار عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن سليمان التيمي.

وقال المحاملي في الدعاء: حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري قال: قال لي رسول الله ﷺ « يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنز الجنة؟ قلت: بلى. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله » أخرجه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم، والنسائي في الكبرى عن عمرو بن علي، كلاهما عن الثقفي. وقال المحاملي أيضاً: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا مرحوم بن عبد العزيز العطار، حدثنا أبو نعامة السعدي عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: « يا عبد الله بن قيس » فذكر مثله. أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى جميعاً عن محمد بن

هريرة: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوّة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم». وقال ﷺ: «من قال حين يصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة». وفي رواية: «من قال ذلك رضي الله عنه». وقال مجاهد: إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله. قال الملك: هديت. فإذا قال:

بشار عن مرحوم، ومن طرقه ما أخرجه أحمد، وأبو داود من رواية حماد بن سلمة عن ثابت البناني وعلي بن زيد والجريري، وما أخرجه الشيخان من رواية حماد بن زيد عن أيوب السختياني، وما أخرجه مسلم والنسائي من رواية عثمان بن غياث، خمستهم عن أبي عثمان منهم من طوّله ومنهم من اختصره، والله أعلم.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ [«ألا أدلك على] عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم»)** قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وللحاكم «من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم» وإسناده صحيح اهـ.

(وقال ﷺ «من قال حين يصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً (وبالقرآن إماماً) وبمحمد ﷺ نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة») قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث خادم النبي ﷺ. ورواه الترمذي من حديث ثوبان وقال: حسن وفيه نظر ففيه سعيد بن المرزبان ضعيف جداً اهـ.

قلت: رواه عبد الرزاق، وأحمد، وابن ماجه، وابن سعد، والروياني، والبغوي، وأبو نعيم عن أبي سلام عن رجل خدم النبي ﷺ. ورواه ابن قانع عن أبي سلام، عن سابق خادم النبي ﷺ. ورواه الطبراني في الكبير، وابن أبي شيبة في المصنف عن أبي سلام عن خادم النبي ﷺ كلهم بلفظ «من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة» وأما حديث ثوبان عند الترمذي فكما ساقه المصنف إلا أنه قال «من قال حين يمسي» بدل «حين يصبح» وروى ابن النحام عن ثوبان بمثل سياق المصنف إلا أنه زاد بعد قوله «نبياً وبالقرآن إماماً» والباقي سواء، **(وفي رواية «من قال ذلك رضي الله عنه»)**. وروى الطبراني عن المقدومي «من قال إذا أصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فأنا الزعيم ولآخذن بيده حتى أدخله الجنة» وروى ابن أبي شيبة في المصنف، عن عطاء بن يسار مرسلاً «من قال حين يمسي رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً فقد أصاب حقيقة الإيمان».

(وقال مجاهد) بن جبير التابعي مرسلاً: **(إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله. قال**

توكلت على الله، قال الملك: كفيت. وإذا قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، قال الملك: وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون: ما تريدون من رجل قد هدي وكفي ووقي؟ لا سبيل لكم إليه.

فإن قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها؟ فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة. والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام

الملك: هديت. فإذا قال: توكلت على الله. قال الملك: كفيت. وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله. قال الملك: وقيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون: ما تريدون من رجل قد هدي وكفي ووقي؟).

قلت: المشهور أن هذا من مرسل عون بن عبد الله بن عتبة أن النبي ﷺ قال «إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله حسبي الله توكلت على الله. قال الملك: كفيت وهديت ووقيت» إسناده قوي على أنه قد روي ذلك مرفوعاً من حديث أنس.

قال الطبراني في الدعاء: حدثنا الحسين بن إسحاق والتستري، حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأقوى قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا ابن جريج، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله فإنه يقال له حينئذ هديت ووقيت وكفيت وتنحى عنه الشيطان» ورواه أيضاً من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج نحوه، لكن زاد في أوله «إذا خرج من بيته» وقال في آخره «ويلقى الشيطان شيطان آخر فيقول كيف لك برجل هدي ووقي وكفي» وهو حديث حسن أخرجه الترمذي عن سعيد بن يحيى. وأخرجه ابن السني عن المسيب بن واضح، عن الحجاج بن محمد. وأخرجه أبو داود عن إبراهيم بن الحسن الخثعمي، والنسائي عن عبد الله بن محمد بن تميم. كلاهما عن حجاج بن محمد. وأخرجه ابن حبان عن محمد بن المنذري بن سعيد عن سعيد بن يحيى. وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال الحافظ: رجاله رجال الصحيح، ولذلك صححه ابن حبان لكن خفيت عليه علته، قال البخاري: لا أعرف لابن جريج عن إسحاق إلا هذا ولا أعرف له منه سماعاً. وقال الدارقطني: رواه عبد المجيد بن عبد العزيز، عن ابن جريج قال: حدث عن إسحاق. قال: وعبد المجيد أثبت الناس في ابن جريج، والله أعلم.

(فإن قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات) البدنية والمالية **(مع كثرة المشقات فيها)** كما هو ظاهر؟ **(فاعلم أن تحقيق هذا)** البحث **(لا يليق إلا بعلم المكاشفة)** لخفاء أمره على عقول أهل المعاملة، **(والقدر الذي)** يليق و**(يسمح بذكره منه في علم المعاملة)** هو أن تعلم **(أن المؤثر النافع)**

مع حضور القلب، فأما الذكر باللسان والقلب لاهٍ فهو قليل الجدوى. وفي الأخبار ما يدل عليه أيضاً، وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى. بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات، وهو غاية ثمرة العبادات العملية. وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الإنس والحب وآخره يوجب الإنس والحب ويصدر عنه، والمطلوب ذلك الانس والحب. فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل، فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور. ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد في

للذاكر **(هو الذكر على الدوام)** بحفظ ما يقتنيه من المعرفة استحضاراً وإحرازاً **(مع حضور القلب)** الصنوبري، **(فأما الذكر باللسان فقط والقلب لاهٍ)** غير حاضر **(فهو قليل الجدوى)** غير مؤثر في الذاكر.

(وفي الأخبار) المروية **(ما يدل على ذلك أيضاً)** فمن ذلك في حديث أبي هريرة «واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاهٍ» رواه الترمذي وقال: حسن، والحاكم وقال: حديث مستقيم الإسناد، والمراد بالدعاء هنا الذكر، **(وحضور القلب في لحظة مع الذكر)** وفي نسخة: بالذكر، **(والذهول عن الله)** عز وجل **(مع الاشتغال بالدنيا)** أي بأعراضها المتعلقة بها **(أيضاً قليل الجدوى، بل حضور القلب مع الله عز وجل على الدوام)** في سائر أوقاته **(أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات)** كلها، وحينئذ يكون حضوره مع الحق ومع الخلق بالنسبة إليه سواء، **(بل به تشرف سائر العبادات)** لكونه نتيجتها وروحها، وإليه أشار بقوله: **(وذلك هو غاية ثمرة العبادات العملية)** بدنية كانت أو مالية أو مركبة منهما. **(وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الإنس)** بالمذكور **(والحب)** فيه ولو تكلفاً **(وآخره يوجبه الإنس والحب)** تخلقاً وانصباغاً **(ويصدر عنه)** أي عن مجموع الإنس والحب وفي نسخة عنهما، **(والمطلوب)** الأعظم عند السالكين من الذكر **(هو ذلك الحب والإنس)** لا غير، وهذا الحب والإنس يكونان وسيلتين إلى ذكر الروح وهو غلبة حضور الحق على الحضور مع الخلق، بل إلى ذكر السر وهو أن لا يكون له حضور مع غير الحق ولا يكون له خبر عن الكون، **(فإن المريد في بداية الأمر)** وأول وضع قدمه في السلوك **(قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس)** النفسي والخاطر الشيطاني **(إلى ذكر الله عز وجل، فإن وفق للمداومة)** على هذا التكلف **(أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور)** وذهب ذلك التكلف عنه بالكلية، ولكن هذا المقام لا يحصل إلا بالمداومة على ما أشار له مربيه بأن لا يتركه في سائر شؤونه، ومما يعرض له في أثناء ذلك كيفية متخيلة فليفرضها كالخط المستقيم، فإن تخيل هذا المعنى وشغل الخيال بأمر واحد ممد للجمعية. وقال بعض الأكابر: إذا تغيرت شعرة من بدنك بواسطة الحال وتأثرت ينبغي

العادات أن تذكر غائباً غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه. وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولاً صار مضطراً إلى كثرة الذكر آخراً بحيث لا يصبر عنه. فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره. ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الانس بالمذكور والحب له، ثم يمتنع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب موجباً والثمر مثمراً. وهذا معنى قول بعضهم: كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة، ولا يصدر

لك أن تتبع تلك الشعرة حتى يحصل المعطل، كما قال بعضهم: الشغل هو عدم الشغل وعدم الشغل هو الشغل، وسأل الشيخ عبد الكريم اليمني حضرة الولي سعد الدين الكاشفري: ما الذكر؟ قال: قلت لا إله إلا الله، فقال: ما هذا ذكر هذا عبادة. قال: فقلت له أفد أنت. فقال: الذكر أن تعلم أنك لا تقدر على وجدانه، ولذا قال الجنيد رحمه الله تعالى: الصدق هو أن تجلس ساعة متعطلاً عن ملاحظة كل شيء، ثم أن مقصود هذه الطائفة مشاهدة الحق في الذكر كأنه يراك وملكة الحضور يسمونها مشاهدة وتكون بالقلب.

(ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد) المحسوس **(في العادات)** الظاهرة **(أن يذكر غائب)** عن العين **(غير مشاهد)** بالبصر **(بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله)** الحميدة التي تبعث الذاكر على محبته **(عنده فيحبه)** أي يميل قلبه بالحب إليه، **(وقد يعشق)** الشيء ويحب **(بالوصف)** المتكرر **(وكثرة الذكر)** ومن هنا قالوا:

أذني لبعض صفات الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

(ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولاً) وهواه ومال إليه **(صار مضطراً الى كثرة الذكر آخراً)** من غير اختياره **(بحيث لا يصبر عنه)** لحظة لارتسامه في لوح القلب، **(فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره)** رواه بهذا اللفظ أبو نعيم، ثم الديلمي من حديث مقاتل بن حبان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة مرفوعاً وقد تقدم ذلك، **(ومن أكثر ذكر شيء)** وإن كان تكلفاً في الأول وتصنعاً **(أحبه)** لا محالة ولا دور فيه كما يظن، فإن الحب الأول تكلفي، والثاني حقيقي فتفارقا، **(فكذلك أول الذكر)** للذاكر **(تكلف)** فيما يجده من نفسه، فإذا داوم انتقل إلى مقام وسط يغلبه التكلف تارة ويغيب عنه أخرى **(إلى أن)** يترقى بهمة مربيه **(إلى)** مقام الفناء الأول و**(يثمر)** له **(الأنس)** والألفة **(بالمذكور والحب له)** وفيه، **(ثم يمتنع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب)** بكسر الجيم **(موجباً)** بفتحها **(ويصير الثمر مثمراً)** للغايات. **(وهذا معنى قول بعضهم)** من العارفين: **(كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة)** تقدم ذلك للمصنف، ونقله صاحب القوت عن ثابت البناني، وعن عتبة الغلام، ورأيته في الحلية في ترجمة ثابت: كابدت الليل بدل القرآن، **(ولا يصدر التنعم)**

التنعم إلا من الانس والحب. ولا يصدر الإنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً، فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول

بشيء **(إلا من الإنس والحب)** الحاصلين منه، **(ولا يصدر الإنس)** والحب **(إلا من المداومة على المكابدة)** والمجاهدة ورياضة النفس وتدريبها **(والتكلف)** من ذلك **(مدة طويلة)** بحسب همة السالك وقوته ومعرفته، **(حتى يصير التكلف طبعاً)** مناسباً له لا ينفك عنه ويصير حكمه حكم المزاج الذي لا محيد له عنه والسالكون في قطع هذه المفازة على مراتب: فمنهم من يقطع ذلك في ستين، ومنهم في أربعين، وهذا هو الحد الكامل عند السادة الخلوتية، ومنهم في عشرين كما وقع لعتبة الغلام وثابت البناني، ومنهم في عشر، ومنهم في أقل من ذلك. وقد قلنا أن الصحيح أن ذلك مربوط بهمة السالك وقوة مربيه، فقد تقع المصلحة في لمحة وتحصل الملاحظة في لحظة، وإليه الإشارة بقولهم: ما سلم حتى ودع أي ما دخل في أول قدمه حتى ترك ما سوى الله، وغالب البطر للسالكين إنما يحصل من امرين:

أحدهما: الوقوف مع الموطن الذي أقيم فيه فيكون حاجباً له عن الوصول إلى الترقيات. أولا ترى أن العلم أشرف شيء بعد الله تعالى، فمن وقف معه حجبه عن الله ورجع إلى كونه نعمة أنعم الله بها عليه، ولا صعود في حقه ما لم ينزع نفسه عن الوقوف في ذلك الموطن.

والثاني: الإيغال في تحرير أدلة التوحيد على طريقة المتكلمين، فكلما قام بباطنه أمر ما نفاه، ووقف مع قوله ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولو علم أن الطريق الى معرفة الله أسهل الأشياء وأوضحها لاستراح من أول قدم وفرغ المحل ليكون قابلاً للمواهب والمعارف وأما أصحاب الفكر؛ فهم الذين شغلوا المحل وصرفوه عن القبول الإلهي بالفكر فيما لا يصح اقتناصه بالفكر فتأمل ذلك.

ومما يؤيد ما ذكرت من بطء السالك تارة في سيره ما ذكره الشيخ الأكبر قدس سره في بعض مخاطباته ما معناه: كان الشيخ أبو مدين رحمه الله تعالى يقصد قرب الطريق على المريدين فينقلهم من هذه الطرق إلى الفتح من غير أن يمروا على الملكوت لما فيه من الخطر وتعشق الأنفس به، فإذا حصل للعبد الفتح تدلى إلى العالم فكشفه بالحق تعالى ثم سأله السائل وقال له: يا سيدي فهل للشيخ أثر في ذلك؟ قال: نعم هو بمنزلة الدليل الذي يقول لك اسلك هذه الجهة فإنها أقرب من هذه السلوك عندنا بمنزلة الدائرة وهي درج يعتضد السالك إلى أن يرقى جميعها، فإذا خالف الأمر على الترتيب فيتعب أو يطول سلوكه، فإذا وقع له العارف اختصر له الطريق. أما سمعت إشارة أبي يزيد رحمه الله بقوله وقفت مع المجاهدين فلم أر لي معهم قدماً، ووقفت مع الصائمين والمصلين إلى أن عد مقامات كثيرة في ذلك كله يقول: فلم أر لي معهم قدماً فقلت: يا رب كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال فاختصر له الطريق وهي ألطف كلمة وأخصر ما في الباب، فلما ترك نفسه قام الحق معه، وهذه أقرب الطرق.

ثم قال المصنف رحمه الله: **(وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام**

طعام يستبشعه أولاً ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف:

هي النفس ما عودتها تتعوّد

أي ما كلفتها أولاً يصير لها طبعاً آخراً. ثم إذا حصل الانس بذكر الله سبحانه

يستبشعه) أي يجده بشعاً كريهاً **(أولاً)** أي في أول الأمر **(ويكابد أكله ويواظب عليه)** أي يداوم **(فيصير موافقاً لطبعه)** ممازجاً لمزاجه **(حتى لا يصبر عنه، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف)** أي لما تحمل تكلفاً **(وقد قيل)** فيما مضى:

(هي النفس ما حملتها تتحمل)

وفي بعض النسخ: « ما عودتها تتعود » وهو قول المتنبي، ومثله قوله:

لكل امرئ من دهره ما تعودا

(أي ما كلفتها أولاً يصير لها طبعاً آخراً) وربما يفهم من سياق المصنف في قوله: حتى يكابد ويجاهد أن المراد به الرياضة المعروفة للسادة الصوفية من الصوم والخلوة وإمالة النفس عن الشهوات المألوفة كما هو الشأن عند الأكثرين في مبدأ السلوك العام وهو صحيح في نفسه، ولكن ينبغي أن تعرف أن الرياضة بالوجه المذكور إنما اشترطها الحكماء لتخلو أفكارهم للتلقي عن الروحانيات، فإن الروحانيات لا تعطيهم آثارها إلا بفراغ المحل واستعداده وتوجهه إلى أفقهم. وأما العارفون بالله تعالى فإنهم علموا أن الأشياء كلها نسبتها إلى الحق نسبة واحدة فهم يشهدونه سبحانه في كل شيء ولا يحجبهم عنه شيء، ولهذا جاءت الشرائع بالأمر العام فأثبت كل أحد على أصله إذ لكل نوع منهم أصل إلى الحق فافهم ذلك.

وإلى ذلك أشار الشيخ شهاب الدين السهروردي في أجوبة أسئلة وردت له من مشايخ خراسان هو أن الخلوة معينة على دفع آفات النفس ومعرفة الزيادة والنقص، وقد يترقى المريد بنفس الشيخ وصحبته من غير أن ينحبس في بيت مظلم بل يسري إليه من باطن الشيخ ما يستغني به عن الخلوة، لكن الخلوة تصلح لبعض المريدين غير أني لا أحب للمريد أن يترك الصلاة في جماعة، بل يحضر الفرض ويرجع إلى خلوته حتى لا تكون خلوته رهبانية، وأما من ترك الجماعة وزعم أنه في الخلوة وإن خرج يتشوّش عليه خاطره وتتفرق جمعيته، فهذا ضال مخطئ نعوذ بالله منه، ومن يحسن له ذلك فهو عين الضلال واتباع المحال بل ببركة المتابعة وابتغاء فضل الجماعة يعود عليه من الفتح والنور أجل مما فاته في خلوته اهـ.

(ثم إذا حصل الأنس بذكر الله عز وجل) وألفه ألفة تامة **(انقطع عن غير الله تعالى)** وعن نفسه، فإنها غير الله تعالى وهو المعبر عنه عندهم بالفناء وكل مشهد يعتمد الحق فيه بينك وبينه ذكر الأغيار أو ذكر نفسك، وتزعم أن ذلك قرب فليس ذلك بقرب لكنك مجاور غير

انقطع عن غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت، **فلا يبقى** معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل، **فإن كان** قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق، **فكأنه** خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عما به أنسه. **ولذلك قال** ﷺ: « إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنك مفارقه » أراد به كل ما

كائن في المقام، فإن القرب الإلهي يذهب الأكوان والأعيان إذا كنت فيه كائناً، وتحقيق هذا المقام أن البعد بعدان: بعد الحقائق وبعد المسافات، فبعد المسافات يتصور بعد القرب، وأما بعد الحقائق فلا يتبدل أبداً فإذا أقامك الحق في مشهد وأشهدك نفسك فأنت في عين البعد لأنك كون وأين الكون من الحق، فبينهما البعد البعيد. لكن لك حقيقة المجاورة المعنوية وهي أنه ليس بينك وبينه تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيز ثالث. ولله المثل الأعلى، ولا يكون في هذا المقام إلا المحققون. وأما أرباب الأحوال من الصوفية فلهم الفناء عن أنفسهم، فالمحقق أثبت الرب والبعد وهو المتحقق، فإذا انتفى البعد في حق العارف فذلك بالوقت هو صاحب حال لا صاحب تحقيق، فتأمل.

(وما سوى الله تعالى هو الذي يفارقه عند الموت، فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية) على شيء **(ولا يبقى معه إلا ذكر الله سبحانه)** وما والاه، وما ورد في الخبر « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ». الحديث. فإن المراد عمله الدنيوي وهو من عالم الملك، وأما ذكر الله فهو من عالم الملكوت فهو كالمستثنى في الأعمال، **(فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل، ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه يخلي بينه وبين محبوبه)** الذي ألفه، **(فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عما به انسه)**.

قال الشيخ الأكبر قدس سره: من عرف شيئاً تعلقت همته بطلبه كان له إما عاجلاً وإما آجلاً، فإن ظفر به كان ذلك اختصاصاً واعتناء، وإن لم يظفر به في حياته معجلاً كان مدخراً له بعد المفارقة قد يناله بعد المفارقة ثم ضرورة لازمة، ومن لم يتحقق منها في هذا الموطن لم يظفر، ثم وإنما سمي يوم القيامة يوم التغابن لهذا إذ ينقطع الترقي وإنما يكون الترقي تم في نفس المقام الذي حصله المكلف ههنا. وقال أيضاً قدس سره: ينبغي للعبد أن يستعمل همته في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكماً على خياله يصرفه بعقله نوماً كما كان يحكم عليه يقظة، فإذا تحقق للعبد هذا الحضور وصار خلقاً له وجد ثمرة ذلك في البرزخ وانتفع به جداً فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فإنه عظيم الفائدة.

(ولذلك قال ﷺ « إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنك مفارقه »)

يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى في حقه بالموت فـ﴿كل من عليها فان* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله . وهذا الإنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء . وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور . ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل ومعه بعد الموت فيقول : إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل؟ فإنه لم يعدم عدماً يمنع الذكر بل عدماً من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت . وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ :

تقدم ذلك في الباب السابع من كتاب العلم بلفظ « أحبب من أحببت » وتقدم أنه رواه الطبراني في الأوسط والأصغر من حديث علي بسند ضعيف. (**أراد به كل ما يتعلق بالدنيا**) من الأكوان والألوان، (**فإن ذلك يفنى في حقه بالموت**) ولا يبقى (**ف﴿كل من عليها فان**) أي هالك ومضمحل بالكلية (**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾**) فمن تعلقت همته بكون من الأكوان كائناً ما كان فهي مع غير الله تعالى فلا بد من دفع ذلك عنها وتعليقها به تعالى وحده الذي من صفته البقاء المطلق، وأنه ذو الجلال والإكرام، (**وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى**) هي (**في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله**) المحتوم. (**وهذا الانس**) بالمذكور (**يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء**) وإنما عبر عنه بالترقي لأن الذكر حجاب عن المذكور بمنزلة الدليل، والدليل متى أعطاك المدلول سقط عند تحققك بالمدلول، وكذلك الذكر فمتى كنت مع المذكور فلا ذكر وهذا هو اللقاء . (**وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور**) من النيات والهمم، فالعبد مع نيته وهمته فهي تجذبه وترفعه إلى محلها منه . (**ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عدماً يمنع الذكر بل عدماً من عالم الدنيا وعالم الملك و**) عالم (**الشهادة لا من عالم الملكوت**) الذي هو الغيب المختص .

وسئل الشيخ الأكبر قدس سره عن قول المصنف رحمه الله تعالى : إذا صار السالك في سماء الدنيا أمن خاطر الشيطان وعصم منه؟ فأجاب : ههنا تحقيق ينبغي أن يتفطن له، وذلك أن القول إنما يثبت إذا صار الجسد فوق سماء الدنيا إذا مات الإنسان وانتقلت نفسه، وأما إذا كان في عالم الكشف، وكذا كشف السموات فإنه فيها بروحانيته فقط وخياله متصل، وللشيطان موازين يعلم بها أين مقام العبد في ذلك المشهد فيظهر من مناسبات المقام ما يدخل عليه الوهم والشبهة، فإن كان عند السالك ضعف أخذ عنه وتحقق بالجهل ونال الشيطان منه غرضه في ذلك الوقت، وإن كان عارفاً أو على يد شيخ محقق، فإن تم سلوكاً يثبت به ما جاء به الشيطان ويستوفيه ثم يأخذ منه فيصير ذلك المشهد الشيطاني مشهداً ملكياً ثابتاً لا يقدر الشيطان أن يدفعه فيذهب خاسراً خاسئاً، ومنهم من أخذ من العدو ما أتى به ويقلب عين ذلك الشبه فيردّه خالصاً أبريزاً اهـ .

« القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ». وبقوله ﷺ: « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر » وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين: « يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي ﷺ هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ». والحديث في الصحيح. هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ: « أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ». وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل. وقال

(وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير، وقال: غريب.

قال العراقي: قلت: فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني من حديثه بتقديم وتأخير بسند ضعيف، ورواه أيضاً في معجمه الأوسط في ترجمة مسعود بن محمد الرملي من حديث أبي هريرة وسنده ضعيف أيضاً.

(وبقوله ﷺ « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ») وفي نسخة « طيور خضر تعلق من ثمر الجنة ». رواه الترمذي عن كعب بن مالك رضي الله عنه، رواه مسلم من قول أبي مسعود وسيأتي قريباً.

(وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين) وقد سحبوا في قليب بدر: **(« يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي ﷺ بأسمائهم)** وأسماء آبائهم **(هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً)** من القتل والخزي؟ **(فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً)** من النصر والغلبة، **(فسمع عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه قوله ﷺ فقال يا رسول الله: كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا)** أي صاروا جيفة وانتنوا؟ **(فقال ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » والحديث في الصحيح)** أي رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس **(هذا قوله عليه السلام في المشركين، وأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « إن أرواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش »)** أما المؤمنون، فرواه ابن ماجه من حديث كعب بن مالك « أن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة ». ورواه النسائي بلفظ « إنما نسمة المؤمن طائرة » ورواه الترمذي بلفظ « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق بثمر الجنة » وقال: حسن صحيح وقد تقدم للمصنف قريباً. وأما الشهداء: فرواه مسلم من حديث أبي مسعود ولم يرفعه وسيذكر قريباً.

(وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل. وقال الله عز

تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون★ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠] الآية. ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة، ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره، فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال، فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى. فمن ذلك أنه لما استشهد عبدالله بن عمرو الأنصاري يوم أُحُد قال رسول الله ﷺ لجابر: «ألا أبشرك يا جابر! قال: بلى بشرك الله بالخير. قال: إن الله عز وجل

وجل ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون★ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم﴾ الآية). روى مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر» فلم يسم فيه النبي ﷺ، وفي رواية الترمذي «أما أنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه في مسنده، **(ولأجل شرفهم)** أي الشهداء **(بذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة)** على غيرها، ففي الصحيح: فوذدت «أني أحيي فأقتل ثم أحيي فأقتل» **(لأن المطلوب)** الأعظم **(الخاتمة)** فإن حسنت قبلت الأعمال كلها، **(ونعني بالخاتمة)** هنا **(وداع الدنيا)** وتركها وما يتعلق بها وراء ظهره **(والقدوم على الله عز وجل)** بكمال همته **(والقلب مستغرق بالله تعالى منقطع العلائق عن غيره)**، وذلك بمراعاة الأنفاس الصاعدة مع الله تعالى. وهذه أعلى المراتب ودون ذلك من يراعي ساعاته، وأقل العارفين رتبة من يراعي يومه وذلك أقل الدرجات، فهذا معنى الاستغراق بالله.

(فإن قدر عبد على أن يجعل همه) كله بعد ضمه عن التشتت **(مستغرقاً بالله تعالى)** تاركاً ما سواه، وهذا الاستغراق يحصل بتهيئة المحل لما يجب عليه للربوبية وقطع العلائق الحسية والمعنوية، ومتى حصل له ذلك **(فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال)** مع أعداء الحق، **(فإنه قد قطع عند ذلك الطمع عن مهجته)** أي نفسه **(وأهله وماله وولده، بل من الدنيا كلها فإنه يريد إماتته في الشرع وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته ولا تجرد لله أعظم من ذلك في الشرع، ولذلك عظم أمر الشهادة)** ونوه بشأنها **(وورد فيها من الفضائل ما لا يحصى، فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله)** السلمي **(الأنصاري)** والد جابر رضي الله عنهما **(يوم أحد قال رسول الله ﷺ لجابر ابنه «ألا أبشرك يا جابر! قال: بلى بشرك الله بالخير. قال: إن الله عز وجل أحيا أباك وأقعده**

أحيا أباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى: تمنّ عليّ يا عبدي ما شئت أعطيكه؟ فقال: يا رب أن تردني إلى الدنيا حتى أُقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى. فقال عز وجل: سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون». ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل، ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة، فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ذلك ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر

بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال الله تعالى: تمن علي يا عبدي ما شئت أعطيكه. فقال يا رب: تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك) ﷺ **(مرة أخرى. فقال الله عز وجل: سبق القضاء مني أنهم إليها لا يرجعون»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن، وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث جابر اهـ.

ثم **(إن القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة)** المرضية، **(فإنه لو لم يقتل وبقي مدة)** من الزمان **(ربما عادت شهوات الدنيا)** إليه **(وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله تعالى)** فبعد أن كان مؤهلاً للرتبة العلية والحضور مال عنها وتشاغل بالحظوظ فذلك دليل الخذلان نعوذ بالله من ذلك، **(ولهذا عظم خوف أهل المعرفة)** بالله تعالى **(من سوء الخاتمة، فإن القلب وإن ألزم ذكر الله تعالى فهو متقلب)** وإليه الإشارة بقول القائل:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ... وما القلب إلا أنه يتقلب

فهو إذاً **(لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا)** ولذاتها، **(ولا ينفك عن فترة تعتريه)** فلكل عمل فترة، كما ورد في الخبر: فالفترة تكون من الأعمال وأما الوقفة فإنها تكون في الأحوال. وسبب الوقفة إهمال حكم الحال والإخلال بشيء من شروط الحال، وموجب الإخلال والإهمال لنقصان علم الحال ونقصان علم الحال لنقصان علم القيام، وهذا النقصان هو الفتور عن المراقبة. **(فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا على هذه الحالة، فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحيا بعد الموت على ذلك ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه)**. وقد روى ابن ماجه والضياء في المختارة عن جابر رفعه «يحشر الناس على نياتهم». وقال الشيخ الأكبر قدس سره: والناس إنما يحشرون يوم القيامة على قدر معرفتهم بالله الحاصلة في نفوسهم لا على قدر معرفتهم بطريق المعرفة والعلم.

على ما مات عليه، فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك. كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل واعلاء كلمته، فهذه الحالة هي التي عبّر عنها بـ ﴿ إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسَهُم وأموالهم بأنّ لهم الجنة ﴾ [التوبة: ١١١] ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة. وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلاَّ الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله: « لا إله إلا الله » إذ لا مقصود له سواه. ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر. ولذلك فضل رسول الله ﷺ قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار، وذكر ذلك

(وأسلم الأحوال من هذا الخطر) العظيم **(خاتمة الشهادة)** في سبيل الله **(إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال)** من الغنيمة **(أو أن يقال شجاع أو غير ذلك)** والحمية والعصبية **(كما ورد به الخبر بل)** محض **(حب الله تعالى وإعلاء كلمته)**.

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل يرى مكانه في سبيل الله قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » قاله العراقي، قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.

(فهذه الحالة هي التي عبر عنها بـ ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾) الآية **(ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة)** وفي الآية إشارة إلى أن الزكاة في النفوس آكد منها في الأموال، ولهذا قدمها الله في الشراء. فالعبد ينفق في سبيل الله نفسه وماله، **(وحالة الشهيد توافق معنى قولك: لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له)** أي للشهيد **(سوى الله عز وجل)** أي حبه وإعلاء كلمته **(ولا معبود له سواه وكل مقصود)** إليه في الحقيقة **(معبود)** أي مستحق لهذا الوصف **(وكل معبود إله)** حق، وقال مشايخنا النقشبندية: معنى « لا إله » نفي الإلهية الطبيعية « وإلا الله » إثبات المعبود بالحق، وقال بعضهم: بل يتصور في النفي لا معبود، والمتوسط يلاحظ لا مقصود، والمنتهى لا موجود وما لم ينته السير إلى الله بوضع القدم في السير في الله تكون ملاحظته لا موجود إلا الله كفراً، **(فهذا الشهيد قائل بلسان حاله « لا إله إلا الله » إذ لا مقصود له سواه، ومن يقول ذلك بلسانه)** أي ينفي المقصودية من غيره ويثبتها له تعالى **(ولم يساعده حاله)** لعارض الوقفة **(فأمره في مشيئة الله عز وجل إن شاء آخذه وإن شاء عفا)** عنه **(و)** لكن **(لا يؤمن في حقه الخطر)** لمخالفة حاله موطنه، **(ولذلك فضل رسول الله ﷺ قول « لا إله إلا الله » على سائر الأذكار)**. قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة من حديث جابر رفعه « أفضل الذكر لا إله إلا الله » اهـ.

مطلقاً في مواضع الترغيب، ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة: « من قال لا إله إلا الله مخلصاً » ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال. فنسأل الله تعالى

قلت: وتمام الحديث « وأفضل الدعاء الحمد لله » أخرجه الترمذي والنسائي: في الكبرى جميعاً عن يحيى بن حبيب قال: حدثنا موسى بن إبراهيم المدني، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وأخرجه ابن حبان عن محمد بن علي الأنصاري عن يحيى بن حبيب. وأخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن إبراهيم والحاكم من رواية إبراهيم بن المنذر كلاهما عن موسى بن إبراهيم. قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى، وقد روى علي بن المديني وغيره هذا الحديث عن موسى، قال الحافظ: ولم أقف في موسى على تجريح ولا تعديل إلا أن ابن حبان ذكره في الثقات وقال: يخطئ وهذا عجب منه لأن موسى مقل فإذا كان يخطئ مع قلة روايته فكيف يوثق ويصحح حديثه، فلعل من صححه أو حسنه تسمح لكون الحديث من فضائل الأعمال، والله أعلم.

(وذكر ذلك مطلقاً) أي من غير قيد **(في مواضع الترغيب)** وهي كثيرة.

فمن ذلك ما رواه الحاكم عن إسحاق بن أبي طلحة عن أبيه عن جده من قال « لا إله إلا الله وجبت له الجنة ».

ومنه ما رواه أحمد والبزار والطبراني من حديث أبي الدرداء « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. قال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق. قال: وإن زنى وإن سرق وفي الثالثة على رغم أنف أبي الدرداء ». ورواه الطبراني في الأوسط عن سلمة بن نعيم الأشجعي.

ومنه ما رواه الخطيب عن أنس « من قال لا إله إلا الله طلبت ما في صحيفته من الحسنات ».

ومنه ما رواه ابن شاهين عن أبي هريرة « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة » الحديث.

(ثم ذكر ذلك في بعض المواضع) مقيداً **(مع الصدق والإخلاص فقال مرة « من قال لا إله إلا الله مخلصاً)** دخل الجنة » تقدم ذكره قريباً في فضيلة التهليل، **(ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال)** أي بأن يكون حاله مساعداً لقاله، وقاله موافقاً لحاله. وقد جاء في إحدى روايات هذا الحديث زيادة وهي: قيل وما إخلاصها؟ قال « أن تحجزه عن محارم الله تعالى » وفي رواية أخرى « أطاع بها قلبه وذل بها لسانه ». أخرجها الطبراني في الأوسط عن سعد بن عبادة، وفي أخرى « لا يريد بها إلا وجهه أدخله الله بها جنات النعيم ». أخرجها الطبراني عن ابن عمر وهو في معنى الإخلاص.

وروى ابن النجار عن عقبة بن عامر، عن أبي بكر رضي الله عنهما « من قال لا إله إلا الله يصدق لسانه قلبه دخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء ».

أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً ومقالاً وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله، فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فهذه مرامز إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة.

(فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً) وذوقاً ومشهداً **(ومقالاً وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا)** ونتركها **(غير ملتفتين إليها)** أي إلى زخاريفها **(بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله عز وجل، فإن من أحب لقاء الله سبحانه أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله عز وجل كره الله لقاءه)** وهذا قد رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان عن أنس عن عبادة بن الصامت. ورواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن عائشة، ورواه الشيخان عن أبي موسى، ورواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة، ورواه النسائي والطبراني عن معاوية، زاد أحمد والنسائي في حديث أنس قالوا: يا رسول الله كلنا نكره الموت. قال «ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه وان الفاجر إذا حضر جاءه ما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله تعالى فكره الله لقاءه» وقد جاءت هذه الزيادة بنحوها في حديث عائشة عن عبد بن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت. وعند ابن ماجه عن عائشة، وعند أحمد عن رجل من الصحابة.

(فهذه مرامز) ولوامح **(إلى معاني الذكر)** مما يمنحها **(لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة)**. وهذه مسانحات من معاني الذكر نختم بها هذا الباب.

الأولى: السالك إذا تعجل طلب الشهود في هذا الموطن وعلل همته واستجلب الفناء، فإنه قد تحصل له منازلات لكنه في الحقيقة سوء أدب ويفوته أكثر مما ناله. وتحقيق هذا المقام أن الله تبارك وتعالى أوجد العبد وجعل له هذه الدار دار تكليف أمره فيها بأوامر ونهاه عن نواه، فوظيفته إن كان عبداً امتثل ما أمر به واجتنب ما نهى عنه ويستعين العبد بربه في طلب التوفيق في الامتثال، وعلى العبد أن يهيئ محله بأن لا يجعل في قلبه ربانية لغير ربه، فهو يجتهد في قطع العلائق التي تؤثر في عبوديته نقصاً مّا هذا أهم ما عليه وقطعه لهذه العلائق هو تهيؤ المحل للقيام بحق الربوبية عنده تكملة وصفة العبودية هذا شأن العبد، وأما نتائج ائتماره وعبوديته فلا يليق به طلبها وذلك راجع إلى ربه تعالى إن شاء عجله وإن شاء أجله، فإذا قصد تعجيل النتائج في دار التكليف فقد أساء الأدب وعامل الموطن بما لا تقتضيه حقيقته، فإذا استقام العبد في مقام العبودية وعجل له الحق نتيجة ما أو كرامة قبلها وكانت مطهرة من شوائب حظه، وإن أجل الله تعالى له النتائج رضي عنه سبحانه، واعلم أن الخيرة فيما اختاره الله تعالى. والله أعلم.

الثانية: إعلم أن الدنيا موطن العمل وتهيئ المحل والآخرة موطن النتيجة والثواب، فكما أن الآخرة ليست دار عمل، فكذلك هذه الدار ليست دار نتائج فلا يجب على المريد تهيؤ المحل،

....

وأما النتائج فإنها أمامه في الدار الآخرة ولا يلزم من كون الإنسان لم يكشف له في هذا الموطن لأنه ناقص الاستعداد، وليس له نصيب في هذا الأمر بل يقال أنه عند موته تهيأ محله وكمل استعداده، ولا فرق بين من كوشف ذلك الوقت في ذلك الموطن وبين من كوشف طول عمره إنما هو تقديم وتأخير، والله أعلم.

الثالثة: قال بعض العارفين لا تذكرني بذكرك فتحجب عني بك، واذكرني بذكري، وتحقيق هذا أن ذكرك بك هو أن تذكره للتنزيه أو لمعنى من معاني الذكر وذكرك به هو أن تذكره لكونه أمرك بالذكر، ولهذا اختار العارفون الذكر المفرد لكونه يعطيك معنى تتفرق بسببه ليكون الذكر تعبداً محضاً، فمتى سبحته للتنزيه أو هللته لنفي الشريك وقصدت هذه المعاني المعقولة من ذلك فقد ذكرته به فتتحقق، والله أعلم.

الرابعة: هذه الأذكار والأوراد التي رتبها المشايخ لمريديهم وعاهدوهم بها فيما يأخذون به أنفسهم، فاختلف فيه: فمنهم من كره ذلك لأن المريد فيها يبقى بحكم العادة يمر عليها بالطبع والغفلة وقلبه في محل آخر، وإذا لم يتقيد بها وذكر الله تعالى متى وجد لذلك سبيلاً في أي وقت كان بحيث يعقل ذلك بحضور وإقبال، فإنه يجد أثره بحضور همته ووجود عزيمته خلاف الأول. وأما المعاهدات فلا يأمن متعاطيها وقوع الخيانة والأحسن به أن يأتي ما يأتي بغير معاهدة ويفعل الله ما يشاء والله أعلم.

الخامسة: اعلم أن الفناء في الوصول أعلى لأن معه يصح التوحيد المجرد ومتى صحبه علمه بأنه موحده والبقاء في السلوك أعلى لأنه يفنى عما سوى المسلوك إليه، وهو في كل قدم يسلكها أعلى مما بعدها فتحققه بالفناء من غير قدمه التي هو سالكها، فإذا وكل إلى الحق سبحانه فني فيه لا عنه، والله أعلم.

السادسة: ينبغي للسالك أن لا يحكم على الله بشيء ولو بلغ أعلى المراتب وأكملها، وقال له رضيت عنك رضاي الأكبر، فبعد هذا كله لا يأمنه، بل ينبغي أن يعطي الألوهية حقها ولينظر إلى الخبر الذي ورد عن جبريل واسرافيل عليهما السلام أنهما كانا يبكيان فقال لهما الحق وهو أعلم: ما الذي يبكيكما؟ فقالا: خوفاً من مكرك. فقال لهما الحق سبحانه: كذلك فكونا، والله أعلم.

السابعة: هل الذاكر يصح له الاقبال على الحاضرين ومكالمتهم ويكون مع ذلك حاضراً في علم الباطن كحضوره في خلوته؟ فالجواب: لا يصح ذلك لمبتدىء ولا لمنته. ألا ترى رسول الله ﷺ وهو سيد المرسلين كان إذا أتاه الوحي اشتد عليه إلى أن ينقضي ذلك، ثم يسري عنه هذا مع كونه كان في خطاب ملكي، فكيف يكون الاستغراق في خطاب الحق، لكن المتمكن سريع الآخذ، فمن اشتغلت عنه وتركت اقباله عليك فلا تعلم أين يكون في وقته ذلك، فحينئذ يأتيه وارده والله أعلم.

....

الثامنة: ينبغي للذاكر أن لا يشتغل بمعاني الذكر بل بالذكر ويجعله معتمده ولا يعقل معناه، ويقول هذه عبادة أمرت بها فأنا ممتثل الأمر فإذا اعتقد الذاكر ذلك كان الذكر يعمل بخاصيته وما تقتضيه حقيقته، والله أعلم.

التاسعة: الشوق أول منازل السعادة ولا يحصل إلا بطريق المواهب، ومتى حصل الشرق جذب إلى الفناء عن الاكوان، والله أعلم.

العاشرة: إذا علم المريد من الأحكام ما لا بدّ له منه، فالأولى به الانقطاع إلى الله ودوام التبتل إلا أن يكون غير متأبد على الحق الصرف ونفسه لا تجيبه على الدأب على العمل والذكر وتنازعه بالفتور ومطالبة البطالة، فعند ذلك يجعل سهم البطالة الاشتغال بشيء من العلم من قبل فروض الكفايات ليكون تبتله عزيمة واشتغاله رخصة، والله أعلم.

الباب الثاني

في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ :

فضيلة الدعاء :

الباب الثاني

في آداب الدعاء وفضل بعض الأدعية المأثورة
وفضيلة الاستغفار وفضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء :

ولنذكر قبل الشروع في هذا الفصل بيان حقيقة الدعاء لغة وشرعاً، وقد تقدم لنا في الباب الذي قبله أن الدعاء من الألفاظ المشتركة فذكرت هناك إجمالاً من غير ذكر الشواهد، والآن أذكره مع الشواهد أما لغة فأصل هذه الكلمة مصدر من دعوت الشيء ادعوه دعاء أقاموا المصدر مقام الإسم. تقول: سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا ويطلق ويراد به التوحيد، كما في قوله الله تعالى ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ [الجن: ١٩] وقوله: ﴿ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ [الأعراف: ١٩٤] ويطلق ويراد به الاستغاثة، ومنه ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ [البقرة: ٢٣] أي استغيثوا ويطلق ويراد به النداء، ومنه قوله ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ [الإسراء: ٥٢] وقوله ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك﴾ [القصص: ٢٥] ومنع القرافي كونه هنا بمعنى الطلب لاستحالته. قال الزركشي: وليس كما قال لصحة يطلبك ليجزيك ويطلق، ويراد به السؤال والطلب وهو المراد هنا، ومنه قوله ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] وهو في الأصل مصدر، وأما حقيقته اصطلاحاً فمعنى قائم بالنفس وهو نوع من أنواع الكلام النفسي، وله صيغ تخصه في الإيجاب أفعل، وفي النفي لا تفعل، وقد اجتمعا في قوله ﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية. وقال الخطابي: حقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته اظهار الافتقار إليه والبراءة من الحول والقوّة التي له وهو بسمة العبودية وإظهار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله تعالى، وإضافة الجود والكرم إليه، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن في فضل الدعاء وردت آيات وآثار دالة على أنه مطلوب شرعاً والرد على من قال لا فائدة فيه مع سبق القدر.

قال الله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الدَّاع إذا دعان فليستجيبُوا لـي﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال تعالى: ﴿ادعُوا ربّكُم تضرّعاً وخُفيَةً إنه لا يحبّ

أما الآيات: (**قال الله عز وجل ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**) أي: فقل لهم إني قريب ففيه اضمار وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من كان قريباً مكانه منهم، روي أن اعرابياً قال لرسول الله ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت هذه الآية: (**أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾**) تقرير للقرب ووعد الداعي بالإجابة قرأ أهل المدينة غير قالون وأبو عمر وباثبات الياء فيهما في الوصل، والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً (**فليستجيبوا لي**) إذا دعـوتهم للإيمان والطاعة، كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم ﴿وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال أبو عبد الله الزركشي في كتاب الأزهية: وفي الآية لطائف: منها أنه جرت عادة القرآن حيث ورد لفظ السؤال جاء عقبه « قل » كقوله تعالى ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿يسألونك عن الانفال قل الأنفال﴾ [الأنفال: ١] وترك في هذا الموضع لفظ « قل » للإشارة إلى رفع الواسطة بين العبد والرب في مقام الدعاء وفيه إشعار بالأستجابة الشريفة.

ثانيها: إضافة العبد « بياء » التشريف يدل على أن العبد له. وقوله « قريب » يدل على أن الرب للعبد.

ثالثها: لم يقل العبد قريب مني بل أنا منه قريب، لأن العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو لا بد وأن يكون مركز العدم وحضيض الفناء، فكيف يكون قريباً من القريب وهو الحق؟ فالعبد لايمكنه القرب من الحق والحق بفضله وكرمه يقرب إحسانه منه، فلهذا قال ﴿فإني قريب﴾ ومعنى القرب أنه إذا أخلص في الدعاء واستغرق في معرفة الله امتنع أن يبقى بينه وبين الحق واسطة وذلك هو القرب اهـ.

قلت: وقال الشيخ الأكبر قدس سره، الطريق من الحق تعالى إلى الخلق هي على حكم واحد. قال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] وقال تعالى ﴿وهو على كل شيء شهيد﴾ [سبأ: ٤٧] لكن إنما الشأن أن يكون لطريقك أنت به تتصل لأنك أنت محل الحجاب، فإذا زالت الحجب عنك وذهبت الغفلة حينئذ تتصف بالقرب من هذه المرتبة والمقام الذي هو مقام الصالحين والمقربين، فالقرب إنما هو قرب مخصوص من مراتب مخصوصة وكذلك البعد، والذي يتقرب إليه إنما هو مقام السعادة الخاصة التي جاءت بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى. وقد تقدم قريباً في بيان معاني الذكر الكلام على القرب والبعد له شديد تعلق بهذا المقام فانظره.

(**وقال تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفيةً إنه لا يحب المعتدين﴾**) والمعنى: ادعوا ربكم ذوي تضرع واخفاء، فإن الإخفاء أقرب الى الاخلاص والمعتدون هم المتجاوزن في الدعاء بالإجهار فيه أو بالاسباب أو بطلب ما لا يقتضيه حاله وسيأتي الكلام عليه قريباً.

المعتدين﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وقال ربُّكم ادعوني أستجب لَكُم إنَّ الذين يَسْتكبرونَ عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين﴾ [غافر: ٦٠]، وقال عز وجل: ﴿قلْ ادعوا الله أو ادعُوا الرّحمن أيّاً ما تدعوا فلَهُ الأسماءُ الْحُسنى﴾ [الإسراء: ١١٠]

وقال عز وجل: ﴿قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١١٠] نزلت حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول: « يا الله يا رحمن » فقالوا: إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر. والمراد التسوية بين اللفظين، فإنها يطلقان على ذات واحدة وإن اختلف اعتبار اطلاقهما، والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود « والواو » للتخيير والتنوين في أيًّا عوض عن المضاف « وما » صلة لتأكيد ما في « أي » من الابهام. كان أصل الكلام وايّاً ما تدعوا فهو أحسن، فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه، وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والإكرام.

وقال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾) قيل: معناه اعبدوني إثب لكم لقوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ الآية و(**داخرين**) صاغرين وإن فسر الدعاء بالسؤال لأن الإستكبار الصادر عنه منزل منزلته للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء.

فإن قيل: ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداعي إذا دعاني وقوله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وقد يدعى كثيراً فلا يجيب؟ قلنا: اختلفوا في معنى الآية الأولى قيل: معنى الدعاء الطاعة ومعنى الإجابة الثواب، وقيل: معنى الآيتين خاص وإن كان لفظها عاماً. تقديرها: أجيب دعوة الداعي إذا شئت، كما قال تعالى: ﴿فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ [الأنعام: ٤١] وأجيب دعوة الداعي إن وافق القضاء وأجيبه إن كانت الإجابة خيراً له، وأجيبه إن لم يسأل محالاً.

وروى ابن زنجويه في فوائده عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس، عن أبي هريرة رفعه قال: « يستجيب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل. قالوا: ما الإستعجال يا رسول الله؟ قال: يقول قد دعوتك يا رب فلا أراك تستجيب لي فيتحسّر عند ذلك فيدع الدعاء » وقيل: هو عام، ومعنى قوله: « أجيب » أي أسمع. ويقال: ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور فيها، قد يجيب دعاء السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطي سؤاله فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوى، وقيل: معنى الآية أنه يجيب دعاءك فإن كان قدر له ما سأل أعطاه، وإن لم يقدر له أدخر له الثواب في الآخرة أو كف عنه سوءاً.

والدليل عليه ما رواه ابن زنجويه في فوائده من طريق مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت رفعه قال: « ما على الأرض رجل مسلم يدعوه إلا آتاه الله إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » وقيل: إن الله يجيب دعوة المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء

وروى النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ الآية». وقال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة». وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء». وقال ﷺ: «إن العبد

مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل إعطاءه من لا يحبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آداباً وشرائط كما سيأتي ذكرها، وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء فلا يستحق الإجابة.

(و) أما الأخبار؛ فقد (**روى النعمان بن بشير**) بن سعد الخزرجي أبو عبد الله الأمير رضي الله عنه تقدم ذكره، (**عن النبي ﷺ أنه قال: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ الآية**). قال العراقي: رواه أصحاب السنن والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، وابن حبان في صحيحه وقال البزاز: لا يروى إلا عن النعمان بن بشير مرفوعاً. وقال النووي: أسانيده كلها صحاح ويروى: هي العبادة.

قال الخطابي: أنثه على معنى الدعوة أو المسألة، والمعنى أنه معظم العبادة أو أفضلها، ومنه: الحج عرفة والنوم توبة. ورواه أبو يعلى في مسنده عن البراء رضي الله عنه، وقال القاضي: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستحق أن تسمى عبادة من حيث أنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله تعالى معرض عما سواه لا يرجو ولا يخاف إلا منه استدل عليه بالآية، فإنها تدل على أنه مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة، وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والمسبب على السبب، وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها. ويمكن حمل العبادة على المعنى اللغوي أي الدعاء ليس إلا إظهار غاية التذلل والإفتقار والإستكانة.

(**وقال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة»**) أي خالصها، وإنما كان مخاً لها لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة فوقها، أو لما فيه من إظهار الإفتقار والتبريء من الحول والقوة وهو سمة العبودية واستشعار ذلة البشرية. وقال الزركشي إنما كان مخاً لتضمنه التوحيد إذ الداعي لا يدعو الله إلا وهو يوحده ويعتقد أن لا معطي غيره.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس وقال: غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(**وروي أبو هريرة أنه ﷺ قال: «ليس شيء أكرم**) بالنصب خبر ليس (**على الله عز وجل من الدعاء»**) لدلالته على قدرة الله وعجز الداعي. قال العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجة، وابن حبان، والحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ.

لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث: إما ذنب يغفر له، وإما خير يعجل له، وإما خير يدخر له». وقال أبو ذر رضي الله عنه: يكفي من الدعاء مع البرّ ما يكفي الطعام من الملح. وقال ﷺ: «سلوا الله تعالى من فضله فإنه تعالى يحب أن يُسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج».

قلت: وكذلك رواه أحمد، والبخاري في الأدب، والبيهقي في السنن، وأقر الذهبي الحاكم على تصحيحه، وقال ابن القطان: رواته كلهم ثقات وما موضع في إسناده ينظر فيه إلا عمران وفيه خلاف.

قلت: هو عمران القطان ضعفه النسائي وأبو داود ومشاه أحمد.

(وقال ﷺ: «إن العبد لا يخطئه من الدنيا إحدى ثلاث: اما ذنب يغفر له، وإما خير يعجل له، وإما خير يدخر له») وفي نسخة: «وإما شر يعزل عنه» بدل الجملة الثالثة. قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبي عياش، وكلاهما ضعيف. ولأحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي سعيد: «إما أن تعجل له دعوته، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها» اهـ.

قلت: وروى الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، والبيهقي في السنن، والطبراني في الكبير، والضياء في المختارة عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل» الحديث.

وروى ابن زنجويه في فوائده، عن محمد بن يوسف، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول عن جبير بن نفير، عن عبادة بن الصامت حدثهم أن النبي ﷺ قال: «ما على الأرض رجل مسلم يدعوه إلا آتاه الله عز وجل إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» ورواه أحمد والترمذي أيضاً عن جابر بلفظ: «ما من أحد يدعو بدعاء» والباقي كسياق ابن زنجويه.

(وقال أبو ذر) رضي الله عنه: **(يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح)** وفي نسخة: ما يكفي الطعام من الملح، وهذا الأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الرحمن بن فضالة عن بكر بن عبد الله، عن أبي ذر.

(وقال ﷺ: «سلوا الله من فضله) أي من زيادة أفضاله عليكم أي إعطاء الله تعالى ليس بسبب إستحقاق العبد بل إفضال من غير سابقة ولا يمنعه شيء من السؤال، **(فإنه)** تعالى **(يحب**

....

أن يُسأل »)أي من فضله لأن خزائنه ملأى. ومنه الخبر الآخر: « من لم يسأل الله يغضب عليه » ولما حث على السؤال هذا الحث البليغ، وعلم أن بعضهم يمتنع من الدعاء لاستبطاء الإجابة قال: (**« وأفضل العبادة الإنتظار بالفرج »**) وفي رواية انتظار الفرج، والمعنى أفضل الدعاء انتظار الداعي الفرج بالإجابة فيزيد في خضوعه وتذلله وعبادته التي يحبها الله تعالى.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن مسعود، وقال حماد بن واقد: ليس بالحافظ. قال العراقي: وضعفه ابن معين وغيره اهـ.

قلت: رواه في الدعوات، ورمز السيوطي إلى صحته، وحسنه الحافظ ابن حجر، وكذلك رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في السنن، وروي ابن جرير، عن حكيم بن جبير، عن رجل لم يسمه بلفظ: « وإن من أفضل العبادة انتظار الفرج » وقد روي آخر الحديث وهو قوله: « أفضل العبادة انتظار الفرج » البيهقي في السنن، والقضاعي عن أنس.

ومما ورد في فضل الدعاء قال الإمام أحمد: حدثنا مروان الفزاري، حدثنا صبيح أبو المليح، سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من لم يدع الله غضب الله عليه ».

ورواه الترمذي والحاكم بلفظ: « من لم يسأل الله يغضب عليه ».

وعند العسكري في الوعظ قال الله تعالى: « من لا يدعوني أغضب عليه » قال بعض الأئمة وهو يدل على أن السؤال لله واجب.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » رواه الحاكم وصححه.

ورواه أبو يعلى في مسنده عن علي رضي الله عنه، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء مفتاح الرحمة والوضوء مفتاح الصلاة والصلاة مفتاح الجنة » رواه الديلمي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء يرد البلاء » رواه أبو الشيخ في الثواب.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء يرد القضاء وإن البر يزيد في الرزق وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » رواه الحاكم.

وعنه ﷺ قال: « الدعاء جند من أجناد الله مجند يرد القضاء بعد أن يبرم » رواه ابن عساكر عن بشير بن أوس مرسلاً.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « من فتح له باب من الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابة ». رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

ورواه الترمذي وقال: غريب بلفظ: « من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة،

آداب الدعاء وهي عشرة:

الأوّل: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل. قال تعالى: ﴿وبالأسحارِ هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال ﷺ: « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني

وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء ».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فانزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل » رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححاه. ومعنى يوشك يسرع ويقرب. والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وسيأتي ذكر بعضها في سياق المصنف.

آداب الدعاء:

وقد ذكر فيها ما يصلح أن يكون شرطاً له، ولم يميز المصنف بين الأدب والشرط هنا، كما فعل الحليمي في المنهاج وغيره، ونحن نشير إلى ذلك **(وهي عشرة)** تسعة منها ظاهرة والعاشر أدب باطني.

(الأول: أن يترصد لدعائه الاوقات الشريفة) أي ينظرها له ليكون أقرب إلى الإجابة ببركة تلك الأوقات، **(كيوم عرفة)** وهو التاسع من ذي الحجة **(من السنة)** سواء كان في الموقف أو غيره، **(ورمضان من الشهور)** أيامه ولياليه، **(ويوم الجمعة من الأسبوع)** من لدن طلوع الفجر إلى غروب الشمس وبعض ساعاته آكد من بعض في الإجابة كما تقدمت الإشارة إليه في كتاب الصلاة، **(ووقت السحر من ساعات الليل)** وهو قبيل طلوع الصبح والجمع أسحار. **(قال اللهوتعالى)** في مدح العابدين **(وبالأسحارهم يستغفرون)** فعلم من ذلك أنه وقت شريف، **(ولقوله ﷺ: « ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له »)** رواه مالك، والشيخان، وأبو داود، والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه: « ينزل الله في كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ». رواه أحمد والدارمي وابن خزيمة وابن السني والطبراني والضياء، ورواه الحاكم عن نافع بن جبير عن أبي هريرة قال حمزة الكناني الحافظ لم يقل فيه أحد عن نافع عن أبيه غير حماد بن سلمة. ورواه ابن عيينة فقال: عن نافع عن رجل من الصحابة وهو أشبه بالصواب.

فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له». وقيل: إن يعقوب ﷺ إنما قال: ﴿سوف استغفِرْ

وروى مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حتى يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر».

وعند مسلم أيضاً: «ينزل الله تبارك وتعالى في السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له أو يسألني فاعطيه، ثم يبسط يديه فيقول: من يقرض غير عديم ولا ظلوم».

وروى الطبراني في الكبير، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه: «ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له ألا مقتر رزقه، ألا مظلوم يدعوني فأنصره، ألا عانٍ يدعوني فأفك عانته فيكون كذلك حتى يصبح الصبح ثم يعلو عز وجل على كرسيه».

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن أبي أمامة رضي الله عنه رفعه: «ينزل الله في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر، وذلك قول الله: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ [الإسراء: ٧٨] فيشهده الله وملائكة الليل والنهار».

وعند ابن النجار من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ينزل الله في كل ليلة إلى السماء حين يبقى نصف الليل الآخر أو ثلث الليل الآخر، فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى ينصدع الفجر وينصرف القارىء من صلاة الفجر».

(وقيل: إن يعقوب عليه السلام) وهو الملقب بإسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام **(إنما قال لبنيه)**: وهم اثنا عشر سبعة منهم: أمهم ابنة خالته كان تزوجها يعقوب عليه السلام أولاً وهم: يهوذاوروبيل وشمعون ولاوي وروبالون ويشحر ودينه، فلما توفيت تزوج أختها راحيا فولدت له بنيامين ويوسف، وثلاثة آخرين يقتالي وجاد واشد من سريتين إسمهما زلفة وبلهة: **(سوف أستغفر لكم ربي)**، وذلك لأنهم لما قالوا: ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنا خاطئين﴾ [يوسف: ٩٧] فمن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة قال: ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ أي **(ليدعو)** لهم **(في وقت السحر)** فأخره إلى ذلك الوقت، أو إلى صلاة الليل، أو إلى ليلة الجمعة تحرياً لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم، فإن عفو المظلوم شرط المغفرة كما سيأتي.

لَكم ربِّي﴾ [يوسف: ٩٨] ليدعو في وقت السحر . فقيل: إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يـؤمنـون خلفـه فـأوحـى الله عـز وجـل أني قـد غفـرت لهم وجعلتهـم أنبيـاء .

(فقيل: إنه قام وقت السحر) مستقبل القبلة وهو **(يدعو و)** قام **(أولاده يؤمنون خلفه)** وقيل: قام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين، **(فأوحى الله إليه أني قد)** أجبت دعوتك في ولدك، و**(غفرت لهم وجعلتهم أنبياء)** بعده.

قال البيضاوي: وهذا إن صح فدليل على نبوتهم وإن صدر عنهم كان قبل استنبائهم.

قلت هنا أقوال. قيل أخرهم لوقت السحر، وقيل: إلى صلاة الليل، وقيل: إلى ليلة الجمعة. وكل هذه الأقوال مأثورة.

أما الأول: فمروي عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً، وعن ابن مسعود. أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس: « أن النبي ﷺ سأل لم أخر يعقوب بنيه في الإستغفار؟ قال: أخرجهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب ». وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عنه قال: « أخرهم إلى السحر وكان يصلي بالسحر ». وأخرج أبو عبيد سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن مسعود قال: « إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر ».

والقول الثاني: روي عن ابن عباس أيضاً أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عنه قال: قال النبي ﷺ في قصة قول أخي يعقوب عليه السلام لبنيه « **(سوف أستغفر لكم ربي)** يقول حتى تأتي ليلة الجمعة ». وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس قال: جاء علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ فقال: « بأبي أنت وأمي يا رسول الله تفلت هذا القرآن من صدري، وفيه: إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه **(سوف أستغفر لكم ربي)** يقول حتى تأتي ليلة الجمعة » الحديث.

والقول الثالث: رواه ابن جرير، وأبو الشيخ عن عمرو بن قيس في تفسير هذه الآية قال: « في صلاة الليل ».

وأما ما ذكره المصنف فقيل أنه قام الخ رواه ابن جرير عن أنس بن مالك قال: لما جمع الله يعقوب شمله ببنيه خلا ولده نجياً فقال بعضهم لبعض: ألستم قد علمتم ما صنعتم؟ قالوا: بلى. قالوا: فكيف لكم بربكم؟ فاستقام أمرهم أن يأتوا الشيخ فأتوا فجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد فقال: ما لكم يا بني؟ قالوا: نريد أن تدعـو الله فإذا جاءك من الله بأنه قد عفا عنا اطمأنت قلوبنا، فقام الشيخ فاستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما أذلة خاشعين فدعا وأمن يوسف، فلم يجب فيهم عشرين سنة حتى إذا كان رأس العشرين نزل جبريل على يعقوب عليهما السلام فقال: إن الله بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب الله دعوتك في ولدك، وأنه قد عفا عما صنعوا وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة.

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها. وقال مجاهد: إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات. وقال ﷺ: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد». وقال ﷺ

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن قال: «كان الله تبارك وتعالى عود يعقوب إذا سأله حاجة أن يعطيها إياه في أول يوم أو في الثاني أو في الثالث لا محالة، فلما سأل بنو يعقوب أباهم الدعاء قال لهم: إذا كان السحر فلتصبوا عليكم من الماء ثم البسوا ثيابكم التي تصونونها ثم هلموا إلي ففعلوا فجاؤا فقام يعقوب أمامهم ويوسف خلفه وهم خلف يوسف إلى أن طلعت الشمس لم تنزل عليهم التوبة، ثم اليوم الثاني، ثم اليوم الثالث، فلما كانت الليلة الرابعة باتوا فجاءهم يعقوب فقال: يا بني نمتم والله عليكم ساخط فقوموا فقام وقاموا عشرين سنة يطلبون إلى الله الحاجة، فأوحى الله إلى يعقوب أني قد تبت عليهم وقبلت توبتهم قال: يا رب النبوة. قال: قد أخذت ميثاقهم في النبيين».

هذا، ومن الأوقات الشريفة من السنة أيضاً أيام التشريق، ومن الشهور العاشر من المحرم وأول يوم منه وآخر يوم من ذي الحجة، ومن الأيام يوم الإثنين وعند زوال الشمس، ومن الليالي بين العشاء وجوف الليل فقد وردت في كل ذلك آثار عن السلف.

(الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف) أي حمل صفوف المسلمين على صفوف الكفار **(في سبيل الله تعالى، وعند الغيث)** أي المطر، **(وعند إقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها)** وهذا قد روي مرفوعاً من حديث عائشة. رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: «ثلاث ساعات للمرء المسلم ما دعا فيهن إلا إستجيب له ما لم يسأل قطيعة رحم أو مأثماً: حين يؤذن المؤذن بالصلاة حتى يسكت، وحين يلتقي الصفان حتى يحكم الله بينهما، وحين ينزل المطر حتى يسكن».

وروى أيضاً من حديث سهل بن سعد مرفوعاً «ثنتان لا تردان: الدعاء عند النداء، وعند الصف في سبيل الله حين يلحم بعضهم بعضاً» وزاد راويه عن سهل وهو أبو حازم فقال «وتحت المطر» وهكذا اخرجه أبو داود والدرامي وابن خزيمة وابن الجارود. ورواه مالك في الموطأ موقوفاً على أبي حازم، وأخرجه الدارقطني وابن حبان بلفظ «ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء وقلما ترد على داع دعوته عند النداء وعند الصف في سبيل الله». وعند الطبراني من حديث ابن عمر: «تفتح أبواب السماء لقراءة القرآن، وللقاء الزحف، ولنزول القطر، ولدعوة المظلوم والاذان» واسناده ضعيف.

(وقال مجاهد: إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات) يعني بذلك المكتوبات.

(وقال ﷺ: «الدعاء بين الأذان والاقامة لا يرد») قال العراقي: رواه أبو داود

أيضاً: «الصائم لا ترد دعوته». وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً. إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل، فهذا

والنسائي في اليوم والليلة، والترمذي وحسنه من حديث أنس، وضعفه ابن عدي وابن القطان. ورواه النسائي في اليوم والليلة باسناد آخر جيد، وابن حبان، والحاكم وصححه اهـ.

قلت: قال الطبراني في الدعاء: حدثنا إسحاق بن ابراهيم أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا الثوري، عن زيد العمي، عن ابن اياس هو معاوية بن قرة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة» أخرجه أبو داود عن محمد بن كثير عن الثوري. وأخرجه الترمذي، والنسائي في الكبرى جميعاً عن محمود بن غيلان، عن وكيع، وابن أحمد الزبيري، وأبي نعيم. زاد الترمذي: وعبد الرزاق أربعتهم عن الثوري، وسكت عليه أبو داود إما لحسن رأيه في زيد العمي، وإما لشهرته في الضعف، وإما لكونه من فضائل الأعمال. وضعفه النسائي، وأما الترمذي فقال: هذا حديث حسن، وقد رواه أبو إسحاق يعني السبيعي عن يزيد بن أبي مريم عن أنس. قال أبن القطان: وإنما لم يصححه لضعف زيد العمي، وأما بريد فهو موثق وينبغي أن يصحح من طريقه. وقال المنذري: طريق بريد أجود من طريق معاوية، وقد رواه قتادة عن أنس موقوفاً، ورواه سليمان التيمي عن أنس مرفوعاً اهـ.

قال الحافظ وقد نقل النووي أن الترمذي صححه، ولم أر ذلك في شيء من النسخ التي وقفت عليها. وكلام ابن القطان والمنذري يعطي ذلك، ويبعد أن الترمذي يصححه مع تفرد زيد العمي به وقد ضعفوه. نعم طريق بريد صححها ابن خزيمة وابن حبان ولفظه «الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد فادعوا هكذا». أخرجه ابن خزيمة بهذه الزيادة عن أحمد بن المقدام العجلي: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا اسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مريم عن أنس. وأخرجه من طرق أخرى عن أبي اسحاق. وعن يونس بن أبي إسحاق بدون تلك الزيادة وأخرجه النسائي عن إسماعيل بن مسعود عن يزيد بن زريع بمثله. وأخرجه ابن حبان عن أبي يعلى الموصلي، عن محمد بن المنهال، عن يزيد بن زريع، ووقع في رواية «مستجاب» بدل «لا يرد» والله أعلم.

(**وقال ﷺ «الصائم لا ترد دعوته»**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه.

(**وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت**) الفراغ والاختلاء (**يحصل به تمام صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات**) أي المكدرات الظاهرة والباطنة، (**ويوم عرفة ويوم الجمعة**) كلاهما (**وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب**) وتساعدها (**على استدرار رحمة الله تعالى**) واستجلاب رضاه، (**فهذه**) أي التي

أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها، وحالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة. قال أبو هريرة رضي الله عنها، قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء». وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «إني نهيت أن اقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن ان يستجاب لكم».

الثالث: أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه. روى جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ: «أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس». وقال سلمان: قال رسول الله ﷺ: «إن ربكم حي كريم يستحي من عبيده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها صفراً». وروى أنس أنه ﷺ: «كان يرفع يديه حتى

ذكرت في الأوقات الثلاثة **(أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها)** أي على حقيقتها إذ غالبها من عالم الملكوت، **(وحالة السجود أيضاً جديرة بالإجابة. قال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء»)** رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(وروى ابن عباس) رضي الله عنهما، **(عن النبي ﷺ انه قال «إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فاما الركوع فعظموا فيه ربكم، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم»)** رواه مسلم أيضاً.

(الثالث: أن يدعوه مستقبل القبلة)، فقد ورد: أكرم المجالس ما استقبل به القبلة. وقد تقدم ذلك في كتاب الصلاة. **(ويرفع يديه)**. وقد اختلف في كيفيته فقال الحليمي: يرفعها حتى يحاذّي بها المنكبين وغاية رفعها حذو المنكبين. واختار المصنف أن يكون رفعها **(بحيث يرى بياض إبطيه)** وهكذا أورده الطرطوشي في كتاب الدعاء، وقد استدل المصنف على الاستقبال ورفع اليدين بأحاديث وآثار، فقال: **(روي عن جابر عبد الله)** الأنصاري رضي الله عنهما **(أن رسول الله ﷺ «أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس»)** فاستدل به على سنية الاستقبال. والحديث رواه مسلم في صحيحه دون قوله «يدعو» وقال مكانه «واقفاً». وللنسائي من حديث أسامة بن زيد: «كنت ردفه بعرفات فرفع يده يدعو» ورجاله ثقات، وهذا يصلح أن يكون دليلاً للرفع مطلقاً من غير تقييد، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب الحج.

(وقال سلمان) الفارسي رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ «إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً»)** أي خالية.

يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه». وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ مر على إنسان يدعو ويشير باصبعيه السبابتين، فقال ﷺ: أحد أحد أي اقتصر

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال: اسناده صحيح على شرطهما اهـ.

قلت: هذا لفظ أبي داود إلا أنه قال «إذا رفع يديه إلى السماء» ولفظ الترمذي «أن يردهما خائبتين».

(وروى أنس) بن مالك رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ «كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعيه»)** قال العراقي: رواه مسلم دون قوله «ولا يشير بأصبعيه» والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء اهـ.

قلت: لفظ مسلم «كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه» قال القاضي عياض: وهذا يدل على رفعهما فوق الصدر وحذو الأذنين لأن رفعهما مع الصدر لا يكشف بياض الإبط.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أنه ﷺ مرّ على انسان يدعو وهو يشير بأصبعيه السبابتين، فقال ﷺ: أحد أحد»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن، وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الاسناد اهـ.

وقال المصنف: معنى أحد **(أي اقتصر على الواحدة)** أي أشر بأصبع واحدة فإن الذي تدعوه واحد.

قال الزمخشري: أراد «وحد» فقلبت الواو همزة كما قيل: أحد واحدى وأحاد، فقد تقلب بهذا القلب مضمومة ومكسورة ومفتوحة اهـ.

وحديث أبي هريرة هذا لفظه «أن رجلاً كان يدعو بأصبعيه فقال رسول الله ﷺ أحد أحد» وقال الترمذي: حسن غريب وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

ويروى هذا الحديث أيضاً عن أنس وفيه التصريح بذكر الرجل المبهم رواه أحمد ولفظه: «مر النبي ﷺ على سعد وهو يدعو بأصبعين فقال له ﷺ أحد يا سعد» قال الهيثمي: لم يسم تابعيه وبقية رجاله رجال الصحيح.

ورواه الحاكم في المستدرك عن سعد بن أبي وقاص قال: «مرَّ النبي ﷺ وأنا أدعو باصبعين فقال أحد أحد» وأشار بالسبابة، ثم أن عدم الاشارة في الدعاء بأصبعين عدّه الحليمي والطرطوشي والزركشي من شروط الدعاء لا من آدابه وقالوا: من شرطه أن لا يشير إلا بالسبابة من يده اليمنى فقط.

على الواحدة. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل

وأخرج أبو داود عن ابن عباس مرفوعاً «المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوها والاستغفار أن تشير باصبع واحدة والابتهال أن تمد يديك جميعاً».

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(ارفعوا هذه الأيدي بالدعاء قبل أن تغل بالاغلال)**. رواه الفريابي في الذكر. والأغلال: جمع غل بالضم وهو طوق من حديد يجعل في العنق، ومما يتعلق برفع الأيدي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً قال «رفع الايدي من الاستكانة التي قال الله عز وجل ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ [المؤمنون: ٧٦] رواه الحاكم في المستدرك، وقد ذم الله قوماً لا يبسطون أيديهم فقال ﴿ويقبضون أيديهم﴾ [التوبة: ٦٧] جاء في التفسير لا يرفعونها الينا في الدعاء.

قال الزركشي في كتاب الأزهية: وأما ما ذكره السهيلي في الروض عن ابن عمر أنه رأى قوماً يرفعون أيديهم في الدعاء فقال: أو قد رفعوها قطعها الله والله لو كانوا بأعلى شاهق ماازدادوا بذلك من الله قرباً، فقال الحافظ شمس الدين الذهبي: الصحيح عن ابن عمر خلاف هذا. قال يحي بن سعيد الأنصاري عن القاسم قال: رأيت ابن عمر رافعاً يديه إلى منكبيه يدعو عند القاص واسناده كالشمس اهـ.

فإن قيل: إذا كان الحق سبحانه ليس في جهة فما معنى رفع الأيدي بالدعاء نحو السماء. فالجواب من وجهين ذكرهما الطرطوشي. أحدهما: انه محل تعبد كاستقبال الكعبة في الصلاة والصاق الجبهة بالأرض في السجود مع تنزهه سبحانه عن محل البيت ومحل السجود فكان السماء قبلة الدعاء. وثانيهما: أنها لما كانت مهبط الرزق والوحي وموضع الرحمة والبركة على معنى أن المطر ينزل منها إلى الأرض فيخرج نباتاً وهي مسكن الملأ الأعلى، فإذا قضى الله أمراً ألقاه إليهم فيلقونه إلى أهل الأرض، وكذلك الأعمال ترفع وفيها غير واحد من الأنبياء، وفيها الجنة التي هي غاية الأماني. فلما كانت معدناً لهذه الأمور العظام ومعرفة القضاء والقدر تصرفت الهمم إليها وتوفرت الدواعي عليها. قال: ولقد أجاب القاضي ابن فريعة لما صلى ذات ليلة في دار الوزير المهلبي، وأبو إسحاق الصابي يرمقه فأحس به القاضي، فلما سلّم قال له: مالك ترمقني يا أخا الصابئة أحببت إلى الشريعة الصافية؟ قال: بل أخذت عليك شيئاً. قال: ما هو؟ قال: رأيتك ترفع يديك نحو السماء وتخفض بجبهتك على الأرض فمطلوبك أين هو؟ فقال: إننا نرفع أيدينا إلى مطالع أرزاقنا ونخفض جباهنا على مصارع أجسادنا نستدعي بالأول أرزاقنا ونستدفع بالثاني شر مصارعنا. ألم تسمع قوله تعالى ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه: ٥٥] فقال المهلبي: ما أظن أن الله خلق في عصرك مثلك اهـ.

بالأغلال، ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء. قال عمر رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا مدّ يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه». وقال ابن عباس: «كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه»، فهذه هيئات اليد

تنبيه:

هل يجوز رفع اليد النجسة في الدعاء خارج الصلاة؟ قال الروياني في البحر في باب إمامة المرأة: يحتمل أن يقال يكره من غير حائل، ولا يكره مع الحائل كتحريم مس المصحف بيده النجسة وهو على طهارة فيزول لكونها بحائل، وإذا جاز هذا فيما طريقه التحريم جاز أيضاً فيما طريقه الكراهة في الموضعين، لأن المقصود رفع اليد دون الحائل، والتعبد بهذا ورد ويخالف مس المصحف لأن اليد فيه في حرمة التعبد كالحائل ولا يجيء القول فيه بالتحريم اهـ.

تنبيه آخر:

لا يستثنى من مسألة رفع اليدين في الدعاء إلا مسألة واحدة وهي الدعاء في الخطبة على المنبر فإنه يكره للخطيب رفع اليدين فيه. ذكره البيهقي في باب صلاة الجمعة، واحتج بحديث في صحيح مسلم صريح في ذلك.

(ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء) أي بعد فراغه من الدعاء. **(قال عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا مدَّ يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب. والحاكم في المستدرك وسكت عليه وقال: ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ المستدرك عن ابن عباس في أثناء حديث «وامسحوا بها وجوهكم» ولعل هذا غير ما ذكره العراقي.

ومن آداب الدعاء أن يجعل بطون الكف إلى الوجه وظهورهما إلى الأرض **(قال ابن عباس)** رضي الله عنهما: **(«كان رسول الله ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه»)** قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم» ويستثنى من ذلك ما يشتد فيه الأمر. ففي صحيح مسلم «أنه ﷺ لما استسقى اشار بظهر كفيه إلى السماء» وهو المراد بالرهب في قوله تعالى: ﴿يدعوننا رغباً ورهباً﴾ [الانبياء: ٩٠] قالوا: الرهب: بسط الأيدي وظهورها إلى الأرض، والرغب: بسطها وظهورها إلى السماء. واستحب الخطابي كشفها غير ساتر لها بثوب أو غطاء.

(فهذه هيئات الأيدي) وكيفية رفعها **(ولا يرفع بصره إلى السماء)** أي في حال الدعاء:

ولا يرفع بصره إلى السماء. قال ﷺ: « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم ».

الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أن أبا موسى الأشعري قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ، فلما دنونا من المدينة كبّر وكبّر الناس ورفعوا أصواتهم،

واستدل على ذلك بقوله: **(قال رسول الله ﷺ « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقال: عند الدعاء في الصلاة اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي، والطبراني في الكبير. وفي رواية « ليخطفن الله أبصارهم ».

وروى أحمد، ومسلم، وأبو داود من حديث جابر بن سمرة « لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم » وقد ظهر بتلك الزيادة أن النهي خاص في الصلاة فلا يتم به استدلال المصنف كما لا يخفى على أنه ورد في صحيح مسلم من حديث ابن عباس ما يدل على جواز رفع البصر إلى السماء في حال الدعاء، وهو ما رواه عبد بن حميد، عن أبي نعيم عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي المتوكل عنه أنه بات في بيت النبي ﷺ فقام من الليل ثم خرج فنظر في السماء ثم تلا » إلى آخر الحديث. وأخرجه البخاري كذلك. قال النووي في الاذكار في باب ما يقول إذا استيقظ من الليل وخرج من بيته: ويستحب له أن ينظر إلى السماء ويقرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران. ثبت في الصحيحين « أنه ﷺ كان يفعله » إلا النظر إلى السماء فهو في صحيح البخاري دون مسلم.

قال الحافظ: بل ثبت ذلك في مسلم أيضاً وسبب خفاء ذلك على الشيخ أن مسلماً جمع طرق الحديث كعادته فساقها في كتاب الصلاة، وأفرد طريقاً منها في كتاب الطهارة وهي التي وقع عنده التصريح فيها بالنظر إلى السماء، ووقع ذلك أيضاً في طريقين آخرين مما ساقه في كتاب الطهارة وهي التي وقع عنده التصريح فيها بالنظر إلى السماء، ووقع ذلك أيضاً في طريقين آخرين مما ساقه في كتاب الصلاة، لكنه اقتصر في كل منهما على بعض المتن فلم يقع عنده فيهما التصريح بهذه اللفظة وهي في نفس الأمر عنده فيهما، وأما البخاري فلم يقع عنده التقييد بكون ذلك عند الخروج من البيت وليس في شيء من الطرق الثلاثة التي أشرت إليها التصريح بالقراءة إلى آخر السورة، وإنما وقع ذلك من طرق أخرى ليس فيها النظر إلى السماء، لكن الحديث في نفس الأمر واحد فذكر بعض الرواة ما لم يذكر بعض والله أعلم.

قلت: وروى الطبراني من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي صباحاً إلا رفع بصره إلى السماء وقال، الحديث وقد تقدم.

(الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أن أبا موسى) عبد الله بن قيس **(الأشعري)** رضي الله عنه **(قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ، فلما دنونا من المدينة كبّر**

فقال النبي ﷺ : « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم » . وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل : ﴿ ولا تجهرْ بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ [الإسراء : ١١٠] أي بدعائك . وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا

وكبَّر الناس ورفعوا أصواتهم ، فقال ﷺ : « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم ») قال العراقي : متفق عليه مع اختلاف لفظه ، واللفظ الذي ذكره المصنف لأبي داود اهـ .

قلت : أخرجه الأئمة الستة من طرق متعددة إلى أبي عثمان النهدي ، عن أبي موسى ، وقد تقدم ذكرها قريباً في فضيلة الحوقلة ، ومن ألفاظه : « كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . ومنها : كنا مع النبي ﷺ في سفر فرقينا عقبة أو ثنية فكان الرجل إذا علاها قال لا إله إلا الله والله أكبر » . الحديث .

(وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ أي بدعائك) . أخرجه البخاري ومسلم .

قال البخاري في كتاب التفسير : حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك ﴾ الآية قالت : نزلت في الدعاء . وقال البخاري أيضاً في كتاب التوحيد : حدثنا عبيد بن اسماعيل ، حدثنا أبو أسامة . وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف : حدثنا وكيع كلاهما عن هشام بن عروة بنحوه .

وأما مسلم ، فأخرجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع وأبي اسامة وأخرجه من طرق اخرى عن هشام وهو من افراده ، وقد جاء عن ابن عباس في نزولها سبب آخر قال : « كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا صلى رفع صوته فإذا سمع المشركون القرآن سبّوه ومن أنزله ومن جاء به فنزلت ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فيسمع المشركون ﴿ولا تخافت بها﴾ فلا تسمع أصحابك وابتغ بين الجهر والمخافتة » . أخرجه البخاري عن يعقوب بن ابراهيم ، وعن مسدد ، وحجاج بن منهال ، وعمرو بن زرارة . وأخرجه عن محمد بن الصباح وعمر والناقد ، وأخرجه الترمذي وابن خزيمة عن أحمد بن منيع ، وأخرجه النسائي وابن خزيمة أيضاً عن يعقوب بن ابراهيم . سبعتهم عن هشام عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأخرجه الترمذي أيضاً من رواية أبي داود الطيالسي عن هشام وشعبة فرقهما كلاهما عن أبي بشر ، لكن لم يذكر شعبة ابن عباس في السند بل أرسله . وقد أخرجه النسائي من رواية الأعمش عن أبي بشر موصولاً أيضاً ، وأخرجه ابن مردويه في التفسير من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس وزاد فيه : فنزلت ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ [الأعراف : ٢٠٥] فكان لا يسمع أصحابه ، فشق عليهم فنزلت **(ولا تجهر بصلاتك)** وقد رجح بعضهم السبب الثاني ويمكن الجمع بأن تكون الآية في الامرين معاً ، والله أعلم .

(وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال : ﴿ إذ نادى ربه نداء

عليه السلام حيث قال: ﴿ إذ نادى ربه نداء خفياً ﴾ [مريم: ٣]، **وقال عز وجل: ﴿ ادعوا** ربكم تضرعاً وخفية ﴾ [الاعراف: ٥٥].

الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء، **فإن** حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه. قال ﷺ: « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »، **وقد قال** عز وجل: ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ [الاعراف: ٥٥] **قيل**: معناه التكلف للأسجاع. والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة **فإنه** قد يعتدي في دعائه **فيسأل** ما لا

خفياً ﴾) قال البيضاوي: لأن الإخفاء والجهر سيان عند الله تعالى، والاخفاء أشد إخفاتاً وأكثر إخلاصاً أولئلا يلام على طلب الولد في أبان الكبر، أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم، أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته، واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون، وقيل خمس وستون، وقيل سبعون، وقيل خمس وسبعون، وقيل ثمانون.

(**وقال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾**) أي ذوي تضرع وخفية، فإن الإخفاء دليل الاخلاص.

(**الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء**) أصل السجع الهدير، وقد سجعت الحمامة. وهو في الكلام مشبه بذلك لتقارب فواصله، وسجع الرجل كلامه كما يقال نظمه إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر ولم يكن موزوناً. (**فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع**) متخشع (**والتكلف لا يناسبه**) لأنه يفضي إلى فوات تلك الحالة. (**قال النبي ﷺ: « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »**) قال العراقي: وفي رواية « والطهور » رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل اهـ.

قلت: وذكر صاحب القوت في كتاب العلم: قال عبد الله بن مغفل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الإمام وسمعه يسجع في كلامه: هذا الذي يبغضك إليَّ لاقضيت لك حاجة أبداً، وكان قد جاءه يسأله حاجة، فقال عن رسول الله ﷺ: « ما أوتي امرؤ شراً من طلاقة لسان » وقد قاله رسول الله ﷺ لعبد الله بن رواحة حين سجع فوالى بين ثلاث كلمات وقال « إياك والسجع يا بن رواحة » فكان السجع ما زاد على كلمتين، وكذلك قال رسول الله ﷺ للرجل الذي أمره بدية الجنين لما قال: كيف أودي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهلّ ومثل هذا يطل، فقال رسول الله ﷺ « أسجع كسجع الاعراب » وهذا الكلام قد تقدم بتفصيله في كتاب العلم فراجعه.

(**وقد قال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾**) أي المتجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره. (**قيل: معناه التكلف للاسجاع**). وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه، وقيل هو طلب ما لا يليق بالداعي كرتبة الانبياء والصعود إلى السماء. (**والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة**) من السنّة والسلف الصالح، (**فإنه إذا جاوزها ربما**

تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء، ولذلك روي عن معاذ رضي الله عنه: أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنّوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء. وقد قال ﷺ: «إياكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل». وفي الخبر: سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور. ومر بعض السلف بقاصّ يدعو بسجع فقال له: أعلى الله تبالغ؟ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي يدعو وما يزيد على قوله: اللهم اجعلنا خيرين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة. اللهم وفقنا للخير،

اعتدى في دعائه) وتجاوز عن حدوده **(فيسأل مالا تقتضيه مصلحته. ولذلك روي عن معاذ)** بن جبل **(رضي الله عنه: أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنّوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء)**. قال الشهاب القليوبي في البدور المنيرة: هو حديث موضوع.

قلت: رواه ابن عساكر في التاريخ من حديث جابر: إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة وذلك أنهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم: تمنوا عليَّ ما شئتم فيلتفتون إلى العلماء فيقولون: ماذا نتمنى؟ فيقولون: تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا هكذا أورده في ترجمة صفوان الثقفي عن جابر. ورواه الديلمي كذلك وفيه مجاشع راوي كتاب الأهوال والقيامة في جزأين. قال الذهبي في الميزان: كله موضوع. وقال البخاري: منكر مجهول وقال ابن معين هو أحد الكذابين.

(وقد قال ﷺ: «إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل») قال العراقي: غريب بهذا السياق، وللبخاري عن ابن عباس: وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك، ولابن ماجه والحاكم واللفظ له وقال: صحيح الإسناد من حديث عائشة: «عليك بالكوامل» وفيه «وأسألك الجنة» الخ اهـ.

قلت: وسيأتي هذا الدعاء للمصنف في الباب الثالث أطول من هذا.

(وفي الخبر: سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، وتقدم قريباً، وتقدم أيضاً في كتاب الطهارة. **(ومرّ بعض السلف بقاصّ)** يقص على الناس وهو **(يدعو بسجع، فقال له: أعلى الله تبالغ؟ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي)** أبا محمد **(يدعو ما يزيد على قوله: اللهم اجعلنا خيرين)** أي من زمرة أهل الخير، **(اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير)** وهي ثلاث جمل جامعة

والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه. وقال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق. ويقال: إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة، فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك. واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام، فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلاَّ ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة، كقوله ﷺ: «أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وانك تفعل ما

لمعاني الدعاء، **(والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه)**، وهو من المشهورين ترجمه أبو نعيم في الحلية وأخذ عن الحسن البصري وهو أحد وسائط الخرقة الصوفية. **(وقال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق)** أي: فإن الاشتغال بالفصاحة في الدعاء مما يذهب الخشوع فيه. **(ويقال: إن العلماء)** بالله تعالى **(والأبدال)** الطائفة المشهورة من الأولياء **(لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها)** ويرون الاسهاب فيه من جملة الاعتداء، **(ويشهد لذلك آخر سورة البقرة)** وهو قوله ﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة. **(فإن الله عز وجل لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك)**، ولا سيا وقد جمعت في أوّلها صيغتي الايجاب والنفي، واستوعبت جميع ما يحتاج إليه العبد في دنياه وآخرته.

(واعلم ان المراد بالسجع) المنهي في الدعاء **(هو المتكلف من الكلام)** لا ما أورده الداعي سهلاً عفواً من غير قصد، **(لأن ذلك)** أي التكلف **(لا يلائم الضراعة)** والافتقار **(والذلة)** والمسكنة، **(وإلا ففي)** بعض **(الأدعية المأثورة)** عن رسول الله ﷺ **(كلمات متوازنة)** الفواصل **(لكنها غير متكلفة كقوله ﷺ «أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد»)** ففي كل من الخلود والشهود والسجود والعهود والودود تقارب.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثاً طويلاً من جملته هذا، وقال: حديث غريب. قال العراقي: وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سيء الحفظ اه.

قلت: وكذا رواه محمد بن نصر في الصلاة، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الدعوات، وأوّل الدعاء «اللهم يا ذا الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد» الخ وفيه «انك تفعل ما تريد» وهو دعاء طويل.

(وأمثال ذلك) كقوله «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس

تريد » وأمثال ذلك. فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل.

السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة. قال الله تعالى: ﴿ إنهم كانوا يُسارعون في الخيراتِ ويدعوننا رَغَباً ورهَباً ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عز وجل: ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال ﷺ: « إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه ».

لا تشبع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع » كقوله « اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ». وكقوله « اللهم اجعلني شكوراً واجعلني صبوراً واجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً » ومن تصفح أدعيته المأثورة وجد من ذلك شيئاً كثيراً.

(**فليقتصر**) الداعي (**على المأثور من الدعوات**) ففيه النجاة (**أو يلتمس**) وفي نسخة: وليتملق (**بلسان التضرع والخشوع والرهبة**) ما ألهم الله له من الكلمات (**من غير سجع**) في فواصلها، (**و**) لا (**تكلف**) يخرجه عن حد الخشوع، (**فالتضرع**) في السؤال (**هو المحبوب عند الله تعالى**).

(**السادس: التضرع والخشوع**) أي التذلل والاستكانة والمبالغة في السؤال (**والرغبة والرهبة**). أما التضرع والخشوع فقد عرفت ما فيهما، وأما الرغبة والرهبة فقد (**قال الله تعالى**) في وصف أنبيائه عليهم السلام: (**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**) أي يتسابقون في تحصيلها (**ويدعوننا رغباً**) أي رغبة إلينا (**ورهباً**) أي رهبة منا وكانوا لنا خاشعين. وتقدم تفسير الرغب والرهب بمعنى آخر قريباً، وقال في آية أخرى ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ [الأنبياء: ٧٣] أي موحدين مخلصين في العبادة. (**وقال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾**) أي ذوي تضرع واخفاء استدل بهذه الآية على ان التضرع من جملة آداب الدعاء، وقد تقدم الكلام على هذه الآية.

(**وقال ﷺ « إذا أحب الله عبداً**) أراد به الخير ووفقه (**ابتلاه**) أي اختبره وامتحنه بنحو مرض أوهم أو ضيق (**حتى يسمع تضرعه »**) قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبداً صب الله عليه البلاء صباً الحديث وفيه « دعه فإني أحب صوته ». وللطبراني من حديث أبي أمامة « إن الله تعالى يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدي صبوا عليه البلاء » وفيه « فإني أحب ان أسمع صوته » وسندهما ضعيف اه.

قلت: ورواه البيهقي والديلمي أيضاً من حديث أبي هريرة بلفظ « ليسمع تضرعه » وفي بعض ألفاظه: فإذا دعا قالت الملائكة صوت معروف، وقال جبريل رب اقض حاجته. فيقول: دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته.

السابع: أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه. قال ﷺ: «لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له». وقال ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء». وقال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل» وقال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله إذ قال: ﴿ربّ فانظرني إلى يوم يبعثون★ قال فإنَّك مِنَ الْمُنْظَرينَ﴾. [الحجر: ٣٦ و ٣٧].

(**السابع: أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه**) أي يحسن ظنه بالله تعالى عند الدعاء، وكون الاجابة أغلب على قلبه من الرد إذ الباعث على الدعاء صدق الرجاء، وإذا لم يغلب الإجابة على قلبه لم يصدق رجاؤه. (**قال النبي ﷺ «لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت .اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له»**). رواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة بلفظ «لا يقل أحدكم اغفر لي إن شئت وليعزم في المسألة فإنه لا مكره له.» ورواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه بلفظ «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت اللهم ارزقني إن شئت وليعزم المسألة فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له».

(**وقال ﷺ «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء»**) قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث أبي هريرة.

(**وقال ﷺ «ادعوا الله**) أي اسألوه من فضله (**وأنتم موقنون**) أي جازمون (**بالاجابة**) قال الطيبي: فيه الأمر بالدعاء باليقين، والمراد النهي عن التعرض لما هو مناف للايقان من الغفلة واللهو والامر بضدهما من احضار القلب والجد في الطلب، فإذا حصل حصل اليقين ونبه على ذلك بقوله: (**واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل»**) لاهٍ أي لا يعبأ بسؤال سائل غافل عن خدمة مولاه مشغول القلب بما أهمه من دنياه.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: غريب. ورواه الحاكم وقال: مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة.

قال العراقي: لكنه ضعيف في الحديث انتهى، وسبقه شيخه الحافظ الذهبي فتعقب على الحاكم بقوله صالح متروك تركه النسائي وغيره، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد: هو صاحب قصص لا يعرف الحديث، وتلاهما الحافظ ابن حجر فقال: صالح وإن كان صالح ضعيفاً في الحديث ومن ثم تركه جمع، ومن قال بحسنه فضلاً عن صحته فقد وهم اهـ.

(**وقال سفيان بن عيينة**) الهلالي رحمه الله تعالى: (**لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه**) أي من القصور وعدم الإخلاص، (**فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس إذ (قال ربِّ فانظرني**) أي أمهلني (**إلى يوم يبعثون★ قال إنك من المنظرين**) أي المؤخرين

الثامن: أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً. قال ابن مسعود: كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً. وينبغي أن لا يستبطىء الإجابة لقوله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً فإنك تدعو كريماً». وقال بعضهم: إني أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني

إلى يوم الوقت المعلوم. قال الزركشي: وإنما سأل اللعين النظرة إلى يوم البعث طمعاً في الإقامة لئلا يذوق الموت.

(الثامن: ان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً) قال العراقي: رواه مسلم وأصله متفق عليه أهـ.

والإلحاح في الدعاء مما يفتح باب الإجابة ويدل على إقبال القلب ويحصل بتكراره مرتين وثلاثاً وأكثر. لكن الاقتصار على الثلاث مرات أعدل اتباعاً للحديث، **(وينبغي ان لا يستبطىء الاجابة)** أي لا يستعجل ولا يضجر من تأخير الإجابة كمن له حق على غيره إذ ليس لأحد على الله حق، وأيضاً فقد تكون المصلحة في التأخير، وأيضاً فالدعاء عبادة واستكانة والضجر والاستعجال ينافيها، ثم ان المصنف قد أدرج هذا الأدب في خلال الأدب الثامن وهو يصلح أن يعد مستقلاً كما فعله الحليمي والطرطوشي والزركشي.

ثم استدل المصنف على ما ذكره بقوله: **(لقوله ﷺ «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي»)** وقوله: فيقول هو منصوب على جواب النفي أجريت لم حيث كان معناها النفي مجراها في قولهم ما أنت بصاحبي، ما أنصرك قاله الزركشي. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. وفي روايه لمسلم قيل يا رسول الله وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء. وذكر مكي أن المدة بين دعاء زكريا عليه السلام بطلب الولد والبشارة أربعون سنة، وتقدم أن دعاء يعقوب عليه السلام في استغفاره لبنيه أجيب به بعد أربعين سنة. قال الزركشي: ومثل ذلك نقل ابن عطية عن ابن جريج ومحمد بن علي والضحاك ان دعوة موسى عليه السلام على فرعون لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة.

وقال ابن هبيرة من حديث أنس: قنت النبي ﷺ شهراً يدعو على رعل وذكوان فيه من الفقه انه لا يجوز للإنسان أن يستبطيء الاجابة ويقول: دعوت فما أجبت، بل يدوم على الدعاء.

وفي الصحيحين «أن الله يقول: أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا دعاني». وفي مسند بقي بن مخلد من حديث أبي هريرة مرفوعاً «اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات الله فإن لله نفحات يصيب بها من يشاء من عباده».

(فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً فإنك تدعو كريماً) جواداً عظيماً لا يخيب سائليه ولا يحرم مستعطيه. **(وقال بعضهم: إني أسأل الله منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو**

وأنا أرجو الإجابة. سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا يعنيني. وقال ﷺ: «إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ومن أبطأ عنه شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال».

التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال. قال سلمة بن

الإجابة) طمعاً في فضله. **(سألت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني»)** وهذه هي الحاجة التي سألها ربه عز وجل. رواه ابن مسدي في مسلسلاته في آخر الجزء الخامس منها قال: أخبرنا أبو القاسم بن بقي قال: كتب إلي أبو الحسن بن شريح، أنبأنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ، أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد الحبسودي، أخبرنا قاسم بن أصبغ، حدثنا محمد بن اسماعيل السلمي، حدثنا نعيم بن حماد عبد الله بن المبارك، حدثنا سفيان وغيره عن مورق العجلي قال: سألت ربي عز وجل مسألة عشر سنين. فما أعطانيها وما يئست منها وما تركت الدعاء بها، فسئل عن ذلك فقال: «سألته ترك مالا يعنيني» اهـ.

وقال بعض السلف: لأنا أشد خشية أن احرم الدعاء من أن أحرم الإجابة، وذلك لأن الله تعالى يقول: **(أدعوني أستجب لكم)** فقد أمر بالدعاء ووعد بالاجابة وهو لا يخلف الميعاد، وكان بعض السلف يقول: لا تستبطئن الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي، فكم من مستغفر ممقوت ومن ساكت مرحوم.

(وقال ﷺ «إذا سأل أحدكم ربه مسألة) مصدر ميمي أي طلب منه شيئاً **(فتعرف الإجابة)** أي تطلبها متى عرف حصولها بأن ظهرت أماراتها **(فليقل الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات)** أي تكمل النعم الحسان، **(ومن أبطأ عليه في ذلك شيء فليقل الحمد الله على كل حال»)** فإن أحوال المؤمن كلها خير وقضاء الله له بالسراء والضراء رحمة ونعمة، ولو انكشف له الغطاء لفرح بالضراء أكثر من السراء وهو أعلم بمصالح عباده.

قال العراقي: رواه البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة، وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصراً باسناد ضعيف اهـ.

قلت: وروى البيهقي في الأسماء والصفات من حديث حبيب ابن أبي ثابت قال: حدثنا شيخ لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا جاءه شيء يكرهه قال «الحمد لله على كل» وإذا جاءه شيء يعجبه قال «الحمد لله المنعم المتفضل الذي بنعمته تتم الصالحات».

(التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل ولا يبدأ بالسؤال)، والمراد يبدأ أوّلاً بما فيه الثناء على الله تعالى، ثم يسأل الحاجة كما قال تعالى حاكياً عن يونس عليه السلام ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] وعن ابراهيم عليه السلام: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ الى ﴿يوم يقوم الحساب﴾ [ابراهيم: ٣٨، ٤١] وعنه ﴿الذي خلقني فهو

الأكوع: ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول: « سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب ». وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما، وروي في الخبر عن رسول الله

يهدين﴾ [الشعراء: ٧٨] الآيات وعن شعيب عليه السلام: ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ إلى ﴿وأنت خير الفاتحين﴾ [الأعراف: ٨٩] وعن موسى عليه السلام ﴿رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ [الاعراف: ١٥١] وعن يوسف عليه السلام ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني﴾ الآية [يوسف:١٠١]. وعن الملائكة عليهم السلام: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا﴾ [غافر: ٧] وقال ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا﴾ [الأعراف: ١٥٥] وفي السنن عن أبي هريرة « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم »..

(وقال سلمة بن الاكوع) رضي الله عنه: **(ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه فقال « سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب »)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الاسناد. قال العراقي: فيه عمر بن راشد اليماني ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: أورده صاحب القوت في الفصل الخامس من الباب الأوّل بلفظ: « كان إذا افتتح دعاءه افتتحه بقوله » فذكره.

(وقال أبو سليمان) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية **(الداراني)** رحمه الله تعالى: **(من أراد أن يسأل الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة عليه، فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من ان يدع)** وفي رواية يرد **(ما بينهما)**. أورده الجزولي في أوّل دلائله بلفظ « فليكثر » بدل « فليبدأ ».

وقال الشارح: الفاء زائدة أو متعلقة بمحذوف أي: فليكثر اللهج بالصلاة ونحو ذلك، أو ضمن يكثر معنى يلهج ونحوه، وقال أيضاً من في قوله من أن يدع متعلقة بأفضل لما تضمنه من معنى النزاهة وليست الجارة للمفضول بل هو متروك أبدامع أفعل هذا لقصد التعميم اهـ.

والمعنى أن الكريم لا يناسبه أن يقبل الطرفين ويرد الوسط. قال الزركشي: واستشكل بعض مشايخنا قول الداراني بأن قولنا: اللهم صلّ على محمد دعاء والدعاء متوقف على القبول وفيه نظر اهـ.

قلت: ويروى عن الداراني أيضاً بلفظ: إذا أردت ان تسأل الله حاجة فصلّ على محمد ثم سل حاجتك، ثم صل على النبي ﷺ فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة والله عز وجل أكرم من أن يرد ما بينهما أخرجه النميري بالوجهين كذا في القول البديع للحافظ السخاوي.

ﷺ أنه قال: « إذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدأوا بالصلاة عليَّ فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى » رواه أبو طالب المكي.

العاشر: وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة: التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة، فذلك هو السبب القريب في الإجابة. فيروى عن كعب

(وروى في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة عليَّ فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى» رواه أبو طالب المكي) في القوت.

وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً وإنما هو موقوف على أبي الدرداء رضي الله عنه.

قلت: وهو وإن كان موقوفاً فهو شاهد لقول الداراني.

ومما يؤيده أيضاً ما أخرجه أبو داود عن فضالة قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال: « عجلَ هذا ثم دعاه فقال: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء ». ورواه النسائي وزاد: « فسمع النبي ﷺ رجلاً يصلي فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ فقال: ادع تجب وسل تعط ».

ومما يدل على إجابة الدعاء بعد التحميد ما روي عن أنس قال: جاءت أم سليم فقالت: يا رسول الله علمني كلمات ادعو بهن فقال: « تسبحين عشراً وتحمدين عشراً وتكبرين عشراً ثم تسألين حاجتك فإنه يقول قد فعلت ». رواه صاحب التبصرة. وأخرجه الترمذي عن معاذ سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والاكرام فقال: « قد استجيب لك فسل » وفي المستدرك عن أبي أمامة رفعه « إن لله ملكاً موكلاً بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثاً قال له الموكل إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل » والمعنى فيه: إن ذكر الله بالثناء والتعظيم كالإكسير العظيم للنفس في تصفيتها وإشراقها حتى يكون الماهوب أقرب إليها فلهذا قدم الثناء على الدعاء.

(العاشر: وهو الأدب الباطن وهو الأصل) الأصيل **(في الاجابة)** وهو **(التوبة)** الناصحة **(وردّ المظالم)** إلى أهلها **(والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة)** وخالصها، **(فذلك هو السبب القريب في الاجابة)**.

وقال الزركشي في الأزهية في آداب الدعاء: أحدها تقديم التوبة أمامه، وقد يكون اجابة الله المصر على ذنبه تعويضاً عاجلاً من مقامه، ودعاء التائب عبادة وحسنة وأقل جزائها عشرة أمثالها، فإذا عجلت له الاجابة كان ما وراءها مدخراً له، ولذا جعله الحليمي والغزالي من الآداب. ثم نقل عن الغزالي عباراته هذه. ثم قال: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً « في الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنَّى يستجاب لذلك! ». وقال ﷺ لسعد: « يا سعد أطب مطعمك تستجب دعوتك »

....

وقيل: الدعاء مفتاح الحاجة وأكل الحلال أسنانه، وقد يؤخذ من هذا الحديث أن هذا شرط لا أدب. وقال الطرطوشي من آدابه أكل الحلال ولعله من شروطه اهـ.

ولنذكر هنا بعض آداب للدعاء وشروط لم يذكرها المصنف، فمن الآداب أن يدعو وهو طاهر لأنه عبادة فكان كقراءة القرآن والأذان ذكره الحليمي. وفي الصحيحين عن أبي موسى قال لي أبو عامر قل لرسول الله ﷺ يستغفر لي فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ ورفع يديه الحديث. وعن سعد بن أبي وقاص توضأ حين دعا لأهل المدينة ورواه الواحدي في كتاب الدعوات، وتقدم حكم رفع اليد النجسة في الدعاء خارج الصلاة.

ومن الآداب أن يقدم عليه صلاة. ذكره الحليمي، واستدل بأنه ﷺ فعل ذلك حين دعا لأمته بقباء، وبقوله تعالى ﴿فإذا فرغت فانصب ★ وإلى ربك فارغب﴾ [الشرح: ٧، ٨] أي إذا فرغت من صلاة نفسك فاجهد نفسك بالدعاء. قال الزركشي: ولهذا شرع في دعاء الاستسقاء تقديم الصلاة والصيام والصدقة.

ومن الآداب أن يقدم أمامه صدقة. ذكره الحليمي أيضاً. وروي عن عبد الله بن عمر أنه كان يعجبه إذا أراد الرجل ان يدعو ربه أن يقدم صدقة وذكر خبراً رواه الفريابي.

ومن الآداب أن يقدم أمامه الصلاة على النبي ﷺ، وقد ذكره المصنف في ضمن الأدب التاسع إدراجاً وهو أدب مستقل، وقد أخرجه الترمذي من حديث النضر بن شميل عن أبي قرة الأسدي، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والارض فما يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ. وأخرجه الحسن بن عرفة في جزئه مرفوعاً فقال: حدثنا الوليد بن بكير عن سلام الخراز، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحسن، عن علي، عن النبي ﷺ قال «ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء والارض حجاب حتى يصلي على محمد ﷺ فإذا صلى على النبي ﷺ انخرق الحجاب واستجيب الدعاء وإذا لم يصل على النبي ﷺ لم يستجب الدعاء».

ومن الآداب الصلاة على النبي ﷺ في وسط الدعاء وآخره لأنه الذي علمنا الدعاء باركانه وآدابه فنقضي بعض حقه عند الدعاء اعتداداً بالنعمة قاله الحليمي.

أما الصلاة عليه آخر الدعاء، فقد ذكره المصنف ضمناً في الأدب التاسع من قول الداراني حيث قال: ثم ليختم بالصلاة عليه ﷺ، والدليل عليه ما أخرجه الطبراني في معجمه، والبزار عن محمد بن ابراهيم التيمي، عن أبيه، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «لا تجعلوني كقدح الراكب ان الراكب يملؤ قدحه فإذا فرغ وعلق تعاليقه فإن كان فيه ماء شرب حاجته أو الوضوء توضأ وإلا اهراق القدح فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوّله وفي آخره». قال أصحاب الغريب: معنى قوله «لا تجعلوني كقدح الراكب» أي لا تؤخروني في الذكر لأن الراكب يعلق قدحه في آخرة رحله ويجعله خلفه. وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يهجو أبا سفيان:

....

ولست كعباس ولا كابن أمه ولكن هجين ليس يورى له زند
وكنت دعياً نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ولعل المراد به الاقتصار في ذكره في الآخر. واعلم أن للصلاة عند الدعاء مراتب ثلاثة: أحدها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله ويشهد له حديث فضالة السابق، والثانية: أن يصلي عليه في أوّل الدعاء وأوسطه واخره ويشهد له حديث جابر المذكور آنفاً، والثالثة أن يصلي عليه في أوّله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما كما عليه عمل الناس وهو يناسب ما نقله الغزالي عن الداراني.

ومن الآداب أن يفتح دعاء باسم من أسمائه تعالى المناسبة لمطلوبه أو يختم به وتأمل دعاء الانبياء، كذلك قال سليمان عليه السلام في دعائه ﴿ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوّهاب﴾ [ص: ٣٥] وقال الخليل وابنه عليهما السلام ﴿وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ [البقرة: ١٢٨] و﴿تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ [البقرة: ١٢٧] وقال أيوب عليه السلام: ﴿رب أني مسَّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وعلم النبي ﷺ عائشة دعاء ليلة القدر « اللهم إنك عفوّ كريم تحب العفو فاعف عني ». وعلم الصديق دعاء الصلاة: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

وأما قول عيس عليه السلام: ﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨] ولم يقل الغفور الرحيم كما قال الخليل: ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [ابراهيم: ٣٦] لأنه في مقام أن مغفرتك لهم عن عز وحكمة فأخرجه مخرج التسليم، ولأن في ذكر الغفور تعريض السؤال بالمغفرة فعدل عنه أو كأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزك ولا تخرج عن حكمك.

واعلم ان للدعاء مراتب.

احداها: أن تدعو الله بأسمائه وصفاته والمناسب ذكر الصفة التي تقتضي المدعوّ كما سبق.

الثانية: أن تدعوه لحاجتك وفقرك ونحو ذلك فتقول: أنا العبد الذليل الفقير البائس المستجير ونحوه.

الثالثة: أن تسأل حاجتك ولا تترك واحدة منها، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل وهو عامة أدعية النبي ﷺ، وقد جمع للثلاثة تعليمه للصديق رضي الله عنه قال: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وهذا حال السائل ثم قال: وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وهذا حال المسؤول، ثم قال: فاغفر لي فذكر حاجته، وختم الدعاء باسم من أسمائه الحسنى بما يناسب المطلوب ويقتضيه.

ومن الآداب أن يستعمل في كل مقام الدعاء المأثور فيه، فهو أفضل من غيره لتنصيص الشارع

....

عليه وتعليم الشرع خير من اختيار العبد، ولهذا قال أكثر أصحاب الشافعي: إن الدعاء المأثور في الطواف أفضل من الاشتغال بالقراءة فيستعمل بعد التشهد دعاءه المأثور فيه وبعد الصلاة كذلك وفي الاستخارة كذلك، ويستعمل الأدعية الواردة عن الأنبياء الصادرة منهم إذا كان مطلوبه ذلك. قال جعفر الصادق: عجبت لمن بلي بالضر كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ والله تعالى يقول ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] وعجبت لمن بلي بالغمّ كيف يذهل عنه أن يقول ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] والله تعالى يقول ﴿فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: ٨٨] وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهل عنه أن يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، والله تعالى يقول: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ [آل عمران: ١٧٤] وعجبت لمن كوبد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول ﴿وأفوّض أمري إلى الله ان الله بصير بالعباد﴾ [غافر: ٤٤] والله تعالى يقول: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ [غافر: ٤٥] وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوّة إلا بالله﴾ [الكهف: ٣٩] وهكذا سنة الحق سبحانه مع من صدق في التجائه إليه ان يمهد مقيله في ظل كفايته، فلا البلاء يمسه ولا العناء يصيبه. وكذلك المواظبة على أدعية وقعت للأولياء في حالات استجيب لهم لا بأس بالمواظبة عليها لمن اتفقت له تلك الحالة تفاؤلاً بأن يناله ما نالهم.

فصل

في ادعية الانبياء المحكية في القرآن:

وقد رأيت ان أسرد أدعية الأنبياء المحكية في القرآن المقرونة بالإجابة قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿وقل ربِّ زدني علماً﴾ [طه: ١١٤] ﴿ربِّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ [الإسراء: ٨٠] ﴿ربِّ اما تريني مايوعدون ربّ فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ [المؤمنون: ٩٣، ٩٤] ﴿وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين★ وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] وقال عن آدم عليه السلام ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف: ٢٣] وقال عن نوح عليه السلام ﴿ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [نوح: ٢٨] وقال عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ﴿ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم★ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨] ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾ [ابراهيم: ٣٧] الآيات. وقال عن ابراهيم عليه السلام ﴿ربِّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين★ واجعل لي لسان صدق في الآخرين★ واجعلني من ورثة جنّة النعيم﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٥] وقال عن موسى عليه السلام ﴿ربِّ اشرح لي صدري★ ويسّر لي أمري★ واحلل عُقدة من لساني★ يفقهوا قولي﴾ [طه: ٢٥، ٢٨] ﴿ربِّ بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾

....

[القصص: ١٧] ﴿رَبِّ إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] وقال عن سليمان عليه السلام [ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ [النمل: ١٩] الآية وقال عن زكريا عليه السلام ﴿ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾ [الأنبياء: ٨٩] ﴿ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ [آل عمران: ٣٨] وقال عن يوسف عليه السلام ﴿ربِّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف: ١٠١] وعلى هذا النمط وجميع ما أجراه الله تعالى على ملك مقرب أو نبي مرسل أو صديق كقوله تعالى ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة: ٢٥٠] ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب﴾ [آل عمران: ٨] ﴿ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ الآية [آل عمران: ١٦] ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا﴾ الآية [آل عمران: ١٤٧] ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا اصرف عنا عذاب جهنم الآيات. ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذي سبقونا بالإيمان ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا الآية. فهذه جملة من الدعوات التي اختارها الله تعالى لخاصة عباده وصفوة أوليائه والمصطفين من أنبيائه ورسله وفيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

فصل

فهذا الذي قد تقدم من ذكر الآداب قد يستدرك به على المصنف.

وذكر ابن الجوزي في الحصن آداباً أخره: منها: الجثوّ على الركب والتوسل بانبيائه والصالحين، وأن يبدأ بنفسه أولاً وأن لا يخص نفسه إن كان إماماً وأن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم ولا بأمر قد فرغ منه ولا بمستحيل ولا يتحجر واسعاً.

قلت: وبعض ذلك يعد شرطاً كما ستأتي الإشارة إليه. وأما شروط الدعاء فقد عدها الحليمي أحد عشر.

الأول: أن يكون المسؤول بالدعاء ممتنعاً عقلاً ولا عادة كاحياء الموتى، ورؤية الله تعالى في الدنيا، وانزال مائدة من السماء، أو ملك يخبر بأخبارها وغير ذلك من الخوارق التي كانت للأنبياء إلا أن يكون السائل نبياً لأن بعض العادات إنما تكون من الله تعالى لتأييد من يدعو إلى دينه، ولك أن تبني ذلك على أن ما كان معجزة لنبي هل يجوز أن يكون كرامة لولي. قال: ويجوز أن

....

يسأل العبد سؤالاً مطلقاً أن يكشف عنه ضرورة وقعت له فينقض الله له عادة، كما إذا حدث له في بادية جوع أو عطش أو برد شديد وهو مأذون له في دخولها من جهة الشرع فدعا الله بكشف ما أصابه لا يضر مطلقاً، وكان ذلك جائزاً وإن كان في اجابته اياه نقض العادة وقد يفعل ذلك به من غير مسألته خيراً له لتوكله وقوّة إيمانه.

الثاني: أن لا يكون على السائل حرج فيما سأل كسؤاله الخمر يشربها أو امرأة يـزني بها لما تضمـن سؤاله من اباحة الحرام، ولقوله ﷺ «يستجاب لأحدكم ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم» رواه مسلم. فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم.

قال الحليمي: ويدخل في هذا أن يدعو بالشر على من لا يستحقه أو على بهيمة، وقد جاء أن رجلاً لعن بعيره في سفر، فقال رسول الله ﷺ «لا يصحبنا ملعون» فكأنه عاقبه عن لعنه، وقد جاء: لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة عطاء فيستجاب لكم أي عقوبة لكم لا كرامة.

الثالث: أن لا يكون فيما سأل غرض فاسد كسؤال المال والجاه والولد والعافية وطول العمر للتفاخر والتكاثر والاستعانة بها على قضاء الشهوات.

الرابع: أن لا يكون الدعاء على وجه الاختبار لربه تعالى، بل يكون سؤالاً محضاً إذ العبد ليس له أن يختبر ربه.

الخامس: أن لا يشغله الدعاء عن فريضة حاضرة فيفوتها فيكون عاصياً.

السادس: أن حاجته إذا عظمت لم يسألها الله تعالى سؤال مستعظم لها في ذات الله بل يسأله الصغيرة والكبيرة سؤالاً واحداً، وهذا قد سبق للمصنف في ذكر الآداب، وروى الترمذي عن أنس مرفوعاً «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطعت». وينبغي أن يرى منة الله عليه في إجابته إلى صغير الحوائج وكبيرها.

السابع: حسن الظن بالله عند الدعاء وغلبة الاجابة على قلبه، وهذا أيضاً قد ذكره المصنف في الآداب.

الثامن: أن لا يستعجل ولا يضجر من تأخير الإجابة، وهذا أيضاً قد ذكره المصنف في الآداب.

التاسع: أن لا يقتصر على دعاء لغيره مع الجهل بمعناه أو انصراف الهمة إلى لفظه. إذ الدعاء سؤال وهذا غير سائل بل حاك لكلام غيره.

قال الحليمي: نعم إذا كان دعاء حسناً أو كان صاحب الدعاء ممن يتبرك بكلامه فاختاره لذلك وأحضره قلبه ووفاه اخلاص الطلب حقه كان ذلك، وانشاء الدعاء من عنده سواء حينئذ.

....

قال الزركشي: وذكر بعضهم كراهة الدعاء بأمر لم يظهر له معناه، كما ذكر في الجامع الصغير أن أبا حنيفة كان يكره أن يدعو الرجل فيقول: اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك وإن جاء به الحديث لأنه ليس ينكشف معناه لكل أحد. قال الزركشي: وهذا جاء في حديث أخرجه البيهقي في الدعوات الكبيرة عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ في الدعاء في السجود «اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك واسمك الاعظم وكلماتك التامة ثم سل حاجتك» لكنه ذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

وقال ابن الاثير في النهاية: أي بالخصال التي استحق بها العرش العز أو بمواضع انعقادها منه وحقيقة معناه بعز عرشك. قال: وأصحاب أبي حنيفة يكرهون هذا اللفظ من الدعاء اهـ.

وذكر الحكيم الترمذي في مناسكه أن النبي ﷺ نهى العامة عند زيارة البيت يقوله «حيّنا ربّنا بالسلام» قال: ويحتمل هذا النهي لمن لم ينكشف له معناه، فأما من كشف له فهو غير داخل في هذا النهي كما كانت الصحابة يدعون به.

العاشر: أن يصلح لسانه إذا دعا ويحترز عما يعد إساءة في المخاطبات لوجوب تعظيم الله تعالى على عبده في كل حال وهو في حال السؤال أوجب، فإذا أراد غشيان النسيان فلا يصرح بل يقول: اللهم متعني بأعضائي وجوارحي، أو طاعة امرأته فليقل: اللهم أصلح لي زوجتي وظاهر كلام الحليمي أن تجنب اللحن من الشروط فلا يدعو بالجزم مثلاً فيما الصواب فيه الرفع لانقلاب المعنى وهو ظاهر كلام الخطابي، فإنه قال فيما يجب أن يراعى في الأدعية: الإعراب الذي من عماد الكلام، وبه يستقيم المعنى، وربما انقلب المعنى باللحن، وقد قال المازني لبعض تلامذته: عليك بالنحو فإن بني إسرائيل كفرت بحرف ثقيل خففوه قال تعالى لعيسى بن مريم: إني ولدتك فقالوا بالتخفيف فكفروا، وأنشد بعضهم:

ينادي ربه باللحن ليث لذاك إذا دعاه لا يجيبُ

وعن صاحب التبصرة: من الآداب أن يكون الدعاء صحيح اللفظ لأنه يتضمن مواجهة الحق بالخطاب قال: وقد جاء في الحديث «لا يقبل الله دعاء ملحوناً» وقال ابن الصلاح في فتاويه: الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح في الدعاء ويعذر فيه.

الحادي عشر: أن يدعو الله بأسمائه الحسنى ولا يدعو بما لا يخلص ثناء وان كان حقاً قال الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] وفي الحديث «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» ولا ينبغي أن يقال: يا خالق الحيات والعقارب لأنها جبارة مؤذية. فالدعاء بها كالدعاء بقوله: يا ضار، وجعل الخطابي من شروطه إخلاص النية وإظهار الفقر والمسكنة والتواضع والخشوع، وأن يكون على طهارة مستقبل القبلة، وأن يقدم الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ أمام دعائه، وذكر غير هذه من الآداب، ولكن جعل غيره من الشروط بأن يكون عالماً بأن لا قادر على حاجته إلا الله عز وجل وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره والله أعلم.

الأحبار أنه قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله ﷺ، فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام، فقال موسى: يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا؟ فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى: أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً؟ فقال موسى لبني إسرائيل: توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث. وقال سعيد بن جبير: قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا، فقال الملك لبني اسرائيل: ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينّه. قيل له: وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء؟ فقال: اقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله تعالى عليهم السماء. وقال سفيان الثوري: بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال

وإذ قد فرغنا من ذكر الآداب والشروط، فلنعد إلى شرح كلام المصنف مما استدل به من آثار وحكايات تتعلق بالأدب العاشر فقال: **(ويروى)** وفي نسخة: فيروى **(عن كعب الأحبار)** وهو كعب بن ماتع الحميري تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(أنه قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج بهم ثلاث مرات ولم يسقوا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام)** وهو من يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو إليه أو الثالث وهبه بإشارة أو عبارة أو غيرهما وفعله النم، وتلك الوشاية النميمة وهي من الكبائر كما سيأتي. **(فقال موسى عليه السلام: يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا؟ فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى: أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً؟ فقال موسى)** عليه السلام **(لبني إسرائيل)** بعدما جمعهم: **(توبو إلى ربكم بأجمعكم من النميمة فتابوا فأرسل الله عليهم الغيث)** دل ذلك على أن التوبة من الكبائر مما يوجب الإجابة.

(وقال سعيد بن جبير) رحمه الله: **(قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا)** أي خرجوا للاستسقاء، **(فقال الملك لبني إسرائيل: ليرسلن الله علينا السماء)** أي المطر **(أو لنؤذينه. قيل له: وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء؟ فقال: اقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله تعالى عليهم السماء)** دل ذلك على أن الإقبال على الله بكنه الهمة مما يوجب الإجابة، فإن هؤلاء الخاصة لما سمعوا ذلك أقبلوا على الله بكليتهم فاستجيب لهم.

(وقال سفيان) بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع**

وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون، فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لو مشيتم إليَّ باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكلّ ألسنتكم عن الدعاء فإني لا أجيب لكم داعياً ولا أرحم لكم باكياً حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم. وقال مالك بن دينار: أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مراراً فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إليَّ بأبدان نجسة وترفعون إلي أكفاً قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام. الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني إلا بُعداً، وقال أبو الصديق الناجي: خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمرّ بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم أنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا، فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم. وقال الأوزاعي: خرج الناس يستسقون

سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل) جمع مزبلة وهي الموضع الذي يرمى فيه ما يكنس من البيوت (وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك) أي على هذه الحال (يخرجون الى الجبال) والمواضع العالية (يبكون ويتضرعون، فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم لو مشيتم إلي بأقدامكم حتى تحفى ركبكم) أي يبلغ الحفا من الركب وهو غاية في الشدة، (وتبلغ أيديكم عنان السماء) أي أطرافه بصعودكم على الجبال، (وتكلَّ) أي تعجز (ألسنتكم عن الدعاء) أي لكثرة الجؤار به، (فإني لا أجيب لكم داعياً ولا أرحم منكم باكياً حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم) دل ذلك على أن رد المظالم إلى أهلها مما يوجب الإجابة.

(وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالى: (أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مراراً) يستسقون فلم يسقوا، (فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إليّ بأبدان نجسة) أي نجاسة معنوية (وترفعون إلي أكفاً قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من) أكل (الحرام، الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني إلا بعداً) دل ذلك على أن الطهارة الحسية ثم المعنوية واتقاء الدماء والاجتناب عن أكل احرام، وفي معناه الشرب واللبس مما يوجب الإجابة، وأورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار بلفظ: فقل لهم يا بني إسرائيل تدعون بألسنتكم وقلوبكم بعيدة عني باطل ما تذهبون. رواه من طريق سيار عن جعفر عن مالك بن دينار قال: بلغنا أن بني إسرائيل فذكره.

(وقال أبو الصديق الناجي) تابعي، روى عن أبي سعيد الخدري وابن عمر. وعنه قتادة وزيد العمي وجماعة: (خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم أنا خلق من خلقك ولا غنى لنا عن) سقياك و(رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا، فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم).

فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر ألستم مقرين بالاساءة؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقول: ﴿ما عَلَى الْمُحسنين من سبيل﴾ [التوبة: ٩١] وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا. وقيل لمالك بن دينار: ادع لنا ربك، فقال: إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطىء الحجارة. ويروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقي فلما أصحروا قال لهم عيسى عليه السلام: من أصاب منكم ذنباً فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة إلا واحداً، فقال له عيسى عليه السلام: أما لك من ذنب؟ فقال: والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة

نقله صاحب القوت، وقد رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاد بن يحيى، عن مسعر، حدثنا زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال: خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فساقه. إلا أنه قال: فأما أن تسقينا وإما أن ترزقنا وإما أن تهلكنا. والباقي سواء. وقد تقدم في كتاب الصلاة.

(وقال) عبد الرحمن بن عمرو **(الإوزاعي: خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد)** القاص وكان عابداً عالماً واعظاً قارئاً. روى عن أبيه ومعاوية وجابر، وعنه الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وعدة. توفي في حدود سنة ١٣٠، **(فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر ألستم مقرين بالإساءة؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقول)** أي في كتابك العزيز: (**﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ وقد قررنا)** على أنفسنا **(بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا)**، دل ذلك على أن الإقرار بالذنوب وصدق الالتجاء إلى علام الغيوب مما يوجب الإجابة.

(وقيل لمالك بن دينار: ادع لنا ربك. فقال: إنكم تستبطؤن المطر وأنا أستبطئ الحجارة). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني، حدثنا إسماعيل بن علي، حدثنا هارون بن حميد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: قلنا لمالك بن دينار ألا ندعو لك قارئاً يقرأ؟ قال: إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة. فقلنا له: ألا تستسقي؟ فقال: أنتم تستبطؤن المطر لكن استبطئ الحجارة.

(ويروى أن عيسى عليه السلام خرج) ذات يوم **(يستسقي فلما أصحروا)** أي دخلوا الصحراء **(قال لهم عيسى عليه السلام: من أصاب منكم ذنباً فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة إلا رجل واحد، فقال له عيسى عليه السلام: أما لك من ذنب؟ فقال: والله ما أعلم من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة)** أي جميلة **(فنظرت إليها**

فنظرت إليها بعيني هذه، فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام: فادع الله حتى أؤمن على دعائك، قال: فدعا فتجللت السماء سحاباً ثم صبت فسقوا. وقال يحيى الغساني: أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا، اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا. وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا تردّ دعاءنا فسقوا. وقال عطاء السلمي: منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إليَّ فقال: يا عطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور؟ فقلت: لا. ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي، فقال: يا

بعيني هذه) وأشار إلى عينه التي نظر بها، **(فلما جاوزتني أدخلت إصبعي في عيني فانتزعتها وأتبعت المرأة بها، فقال له عيسى)** عليه السلام: فادع الله تعالى **(حتى أؤمن على دعائك فدعا)** وأمنَّ عيسى عليه السلام على دعائه **(فتجللت السماء)** أي امتلأت **(سحاباً ثم صبت فسقوا)**. دل ذلك على أن التنصل من الذنوب والبراءة عنها مما يوجب الإجابة.

(وقال يحيى) بن هاشم **(الغساني)** السمسار: **(أصاب الناس قحط في عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا)** إلى الصحراء **(حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا. اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا. وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا)** جمع رقيق. **(اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في التوراة أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا. اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا تردنا فسقوا)** ودل ذلك على أن الإقرار بخالص العبودية والوقوف على باب المولى بالاضطرار مما يوجب الإجابة، وأن الزبور إنما نزل بعد التوراة.

(وقال عطاء السلمي) كذا في نسخ الكتاب، والصواب السليمي وهو من رجال الحلية. روى عن أنس بن مالك ولم يسند عنه شيئاً، ولقي الحسن وعبد الله بن غالب الحراني وجعفر بن زيد العبدي، وسمع منهم. وحكى عنهم. وممن روى عنه بشر بن منصور وحماد بن زيد وصالح المري وغيرهم، وكان يسكن البصرة: **(منعنا الغيث)** مرة **(فخرجنا إلى الصحراء نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إليَّ وقال: يا عطاء هذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور)؟** كأنه لما رأى كثرة الناس وازدحامهم قال ذلك، **(فقلت: لا. ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي، فقال: يا عطاء)** خرجتم **(بقلوب أرضية)** أي مشتغلة بالحظوظ الدنيوية

عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية؟ فقلت: بل بقلوب سماوية. **فقال: هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه وقال: إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك ألا ما سقيتنا ماء غدقاً فراتاً تحيي به العباد وتروي به البلاد. يا من هو على كل شيء قدير، قال عطاء: فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولّى وهو يقول:**

أفلـح الزاهـدون والعـابـدونـا ... إذ لمولاهـم اجـاعـوا البطــونا
اسهـروا الأعين العليلــة حبــا ... فانقضى ليلهم وهـم سـاهـرونا
شغلتهــــم عبـــادة الله حتى ... حسب الناس أن فيهـم جنـونـا

متلطخة بالآثام الدنية، **(أم بقلوب سماوية)** أي علوية؟ **(فقلت: بل بقلوب سماوية)** يشير إلى التوبة والإخلاص وصدق التوجه مع الاضطرار، **(فقال: هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير)** لا يقبل إلا طيباً، **(ثم رمق)** أي نظر إلى **(السماء بطرفه وقال: إلهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك، ولكـن)** أسـألـك **(بـالمكنـون مـن أسمائك)** أي المستور منها عن أبصار الغافلين **(وما وارت الحجب من آلائك)** أي نعمك **(ألا ما سقيتنا ماء غدقاً)** أي كثيراً **(تحيا به العباد وتروي به البلاد. يا من هو على كل شيء قدير)** فجمع في دعائه بين المراتب الثلاثة المذكورة آنفاً. **(قال عطاء: فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاء بمطر كأفواه القرب)** كناية عن الغزارة والكثرة **(فولى وهو يقول)**:

(نعـم الزاهـدون والعـابـدونـا ... إذ لمولاهم أجـاعـوا البطـونـا)
(أسهروا الأعين القريرة فيه) وفي نسخة الأعين العليلة وفي أخرى الخلية حباً
(فانقضى ليلهم وهم ساهرونا) وفي نسخة: وهم ساجدونا
(شغلتهـــم عبـــادة الله حتى ... قيل في الناس أن فيهـم جنـونـا)

يشير بذلك إلى نفسه حيث كان يعرف بالمجنون، وإنما هو الصاحي والجنون في حب الله هو عين الصحو، ومن هنا قول الشيخ سيدي أحمد الرفاعي قدس سره وينسب لغيره في أبيات يقول فيها:

مجانين إلا أن سرّ جنـــــونهم ... عزيز لـدى أبـوابـه يسجـد العقـل

ووجدت هذه القصة في موضع آخر من بعض المجامع وفيه زيادة، وقال: من عامل الله بتقواه وكان في الخلوة يخشاه سقاه كأساً من لذيذ الصفاء أغنته عن لذة دنياه.

وقال ابن المبارك: قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزّر باحداهما وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوىء الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسألك يا حليماً ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة، فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب، قال ابن المبارك: فجئت إلى الفضيل، فقال: ما لي أراك كئيباً؟ فقلت: أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة، فصاح الفضيل وخرَّ مغشياً عليه. ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه، فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس: اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعه فقد ضرع الصغير ورقَّ الكبير وارتفعت

(**وقال**) عبد الله (**بن المبارك**) رحمه الله تعالى: (**قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش**) وهي ثياب من أردأ الكتان (**قد ائتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس الى جنبي فسمعته يقول**) في دعائه: (**إلهي أخلقت الوجوه عندك**) أي أبلتها (**كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال وقد احتبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة**) أي هذه الساعة، (**فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل مكان. قال ابن المبارك، فجئت إلى الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**فقال: ما لي أراك كئيباً**) أي محزوناً؟ (**فقلت: أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة، فصاح الفضيل وخرّ مغشياً عليه**).

(**ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس**) بن عبد المطلب (**عم النبي** ﷺ، **فلما فرغ عمر من دعائه**) بأن قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ فاسقنا. (**قال العباس رضي الله عنه: اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولن يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم إليك بي لمكاني من نبيك** ﷺ) يعني به قرب النسب، (**وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير**) أي المكسور الظهر (**بدار مضيعة**) أي ضياع (**فقد ضرع الصغير**) أي حقر (**ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى. اللهم فأغثهم**

الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى. اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. قال: فما تمّ كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال.

فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ. وفضله ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً﴾ [الأحزاب: ٥٦] وروي أنه ﷺ: «جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال ﷺ إنه جاءني جبرائيل عليه السلام فقال: أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت

بغيثك) أي المطر **(قبل أن يقنطوا فيهلكوا فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. قال)** الرواي: **(فما تم كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال)**. قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

سأل الخليفة إذ تتابع جدبه	فسقوا الغمام بدعوة العباسِ
عمّ النبي وصنو والده الذي	ورث الثناء بذاك دون الناسِ
أحيا المليك به البلاد فأصبحت	مخضرة الأجناب بعد اليأسِ

وأصل القصة في البخاري عن أنس من غير ذكر دعاء العباس رضي الله عنه، وقد انفرد البخاري بإخراجها.

فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ وبيان فضله:

الذي حباه الله عز وجل.

(قال الله عز وجل: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً). معنى الصلاة العطف وهو بالنسبة إلى الله تعالى إما ثناؤه على العبد عند الملائكة، وهذا هو الأليق في تفسير صلاة الله على أنبيائه، وإما كمال الرحمة وبالنسبة إلى غيره تعالى الدعاء بخير وبكون الصلاة بمعنى العطف اتضح كل الاتضاح تعديتها «بعلى» وإنما أكد السلام دون الصلاة لاستغنائها عن التأكيد بوقوعها من الله وملائكته لدلالة ذلك على أنها من الشرف بمكان.

(وروي أنه ﷺ «جاء ذات يوم) منصوب على الظرفية لإضافته إلى يوم وهو أي ذات صلة **(والبشر يرى)** وفي بعض النسخ والبشرى ترى **(في وجهه)** وفي نسخة على وجهه **(فقال: إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال)** لي: **(أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً)**. قال العراقي: رواه النسائي وابن حبان من حديث أبي طلحة بإسناد جيد.

عليه عشراً ». وقال ﷺ : « من صلّى عليَّ صلت عليه الملائكة ما صلّى عليَّ فليقلل عند ذلك أو ليكثر ». وقال ﷺ : « إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة ». وقال ﷺ : « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي عليَّ » وقال ﷺ : « أكثروا من

(وقال ﷺ : من صلى عليّ صلت عليه الملائكة ما صلى عليّ) وفي بعض نسخ الدلائل : ما دام يصلي علي **(فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر »)** هكذا في سائر نسخ الكتاب، ووقع في سائر نسخ الدلائل « عند ذلك أو ليكثر » وهو تصحيف. واحتاج الشراح إلى تأويله فقالوا : المعنى عند صلاته وأن تذكير الضمير باعتبار كونها عملاً فتأمل.

قال العراقي : رواه ابن ماجه من حديث عامر بن ربيعة بإسناد ضعيف، والطبراني في الأوسط بإسناد حسن اهـ.

قلت : ورواه البيهقي من حديث عامر بن ربيعة بلفظ « من صلى عليَّ صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى عليَّ فليقلل عند ذلك أو ليكثر » وفي رواية له « من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً فليكثر عليَّ عبد من الصلاة أو ليقلّ » وعن أبي طلحة بلفظ « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً فليكثر عبد من ذلك أو ليقل » وروى الطبراني في الكبير عن عامر بن ربيعة « من صلى علي صلاة صلى الله عليه فأكثروا أو أقلوا » وهكذا رواه الحاكم في الكنى. وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو « من صلى علي صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر » وروى أبو داود الطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والضياء من حديثه بلفظ « ما من عبد يصلي علي إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي فليقل العبد من ذلك أو ليكثر ».

(وقال ﷺ « إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة »). هكذا في سائر نسخ الكتاب، وتبعه صاحب الدلائل والرواية إن أولى الناس يوم القيامة، والمعنى أقربهم مني في القيامة وأحقهم بشفاعتي أكثرهم علي صلاة في الدنيا لأن كثرة الصلاة عليه تدل على صدق المحبة وكمال الوصلة، فتكون منازلهم في الآخرة منه بحسب تفاوتهم في ذلك.

قال العراقي : رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال : حسن غريب، وابن حبان اهـ.

قلت : وكذا رواه البخاري في التاريخ، وقال ابن حبان : صحيح. وقال : إن لم يكن المراد بهم اتباع الأثر وعملة السنة فلا أدري من هم أي لكثرة اشتغالهم بذكره ﷺ عليه.

(وقال ﷺ « بحسب المؤمن من البخل) الباء زائدة أي يكفيه أو كافيه وهو خبر مقدم، وقوله : **(أن أذكر عنده)** مبتدأ مؤخر **(فلا يصلي عليّ »)** وفي نسخ الدلائل « ولا يصلي » وفي بعض نسخها « ثم لا يصلي » وفي بعضها « فلم يصل » وفي بعضها « ولم يصل » وإنما كان ما ذكر بخلاً لأن البخل منع الفضل والإمساك عن بذل ما ينبغي بذله شرعاً أو مروءة، والشرع يقتضي ذلك والمروءة.

الصلاة عليَّ يوم الجمعة ». وقال ﷺ : « من صلّى علي من أمتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ». وقال ﷺ : « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب

قال العراقي : رواه قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا ، والنسائي ، وابن حبان من حديث أخيه الحسين بن علي « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » ورواه الترمذي من حديث الحسين بن علي عن أبيه وقال : حسن صحيح اهـ.

قلت : وحديث الحسين بن علي أخرجه أيضاً أحمد والحاكم في الدعاء وقال : صحيح من رواية عبد الله بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده ، وقد أطنب إسماعيل القاضي في تخريج هذا الحديث في تأليف له ولا ينقص عن درجة الحسن ، وفي بعض روايات هذا الحديث « البخيل الذي من ذكرت عنده » قال الطيبي : الموصول الثاني مزيد مقحم بين الموصول وصلته.

(وقال ﷺ « أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة »).

قال العراقي : رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري من حديث أوس بن أوس ، وذكره ابن أبي حاتم وحكى عن أبيه أنه حديث منكر اهـ.

قلت : ورواه ابن ماجه من حديث أبي الدرداء بزيادة « فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ». ورواه البيهقي من حديث أنس بزيادة « وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة ».

(وقال ﷺ « من صلى علي من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات »).

قال العراقي : رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث عمير بن نيار وزاد فيه « مخلصاً من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات » وله في السنين ، ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله « مخلصاً من قلبه » ودون ذكر محو السيئات ، ولم يذكر ابن حبان أيضاً رفع الدرجات اهـ.

قلت : حديث أنس رواه أحمد والبخاري في الأدب ، وأبو يعلى والحاكم والبيهقي والضياء بلفظ « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات » وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ « من صلى علي مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات » وروى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان عنه أيضاً بلفظ من صلى علي واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » وهكذا رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ، وعن عبد الله بن عمرو ، وعن أبي موسى ، وعن أنس عن أبي طلحة.

(وقال ﷺ « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة

هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلّ على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي » . وقال رسول الله ﷺ : « من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام إسمي في ذلك

القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي ») .

قال العراقي : رواه البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي ﷺ ، وقال : النداء ، وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة ، وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف ، وزاد الحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة في حديث أبي الدرداء ذكر الصلاة فيه ، وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله ﷺ إذا سمع فذكر حديثاً فيه « فإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة » الحديث وزاد « وتقبل شفاعته في أمته » ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر « وإذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ ثم سلوا الله لي الوسيلة » وفيه « فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي » اهـ .

قلت حديث جابر الذي رواه البخاري لفظه « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » وهكذا رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وابن خزيمة وابن حبان .

ورواه الدارقطني في الأفراد من حديثه بلفظ « من قال إذا سمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة آت محمداً الوسيلة وابعثه المقعد المقرب الذي وعدته وجبت له الجنة » .

ورواه أحمد وابن السني والطبراني في الأوسط من حديثه بلفظ « من قال حين ينادي المنادي بالصلاة اللهم رب هذه الدعوة القائمة والصلاة النافعة صل على محمد وارض عني رضاً لا تستخط بعده أبداً استجاب الله له دعوته » .

(وقال ﷺ « من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام إسمي في ذلك الكتاب ») قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط ، وأبو الشيخ في الثواب ، والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ .

قلت : ورواه أيضاً أبو القاسم التيمي في الترغيب ، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ، وابن بشكوال بسند ضعيف . وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال ابن كثير : إنه لا يصح . وفي لفظ لبعضهم : « لم تزل الملائكة تستغفر له » وفي آخر « من كتب في كتابه ﷺ لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام في كتابه » .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من كتب عني علماً فكتب معه صلاة

الكتاب » وقال ﷺ : « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » . وقال ﷺ : « ليس أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام » . وقيل له : يا رسول الله، كيف نصلي عليك ؟ فقال : « قولوا اللهم صلّ على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل ابراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد » . روي أن عمر بن الخطاب رضي

عليَّ لم يزل في أجر ما قرئ ذلك الكتاب » . وأخرجه الدارقطني وابن بشكوال من طريقه وابن عدي ، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى عليّ في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » أخرجه أبو القاسم التميمي في ترغيبه ، ومحمد بن الحسن الهاشمي . وقال ابن كثير : لا يصح . وقال الذهبي : أحسبه موضوعاً . وقال الحافظ السخاوي : روي مرفوعاً من كلام جعفر الصادق . قال ابن القيم : وهو الأشبه يرويه محمد بن حميد عنه قال : « من صلى على رسول الله ﷺ في كتاب صلت عليه الملائكة غدوة ورواحاً ما دام اسم رسول الله ﷺ في الكتاب » . نقله السخاوي في القول البديع . والكتاب أعم من أن يكون كتاب علم يدرس فيه أو صحيفة يرسلها الى أخيه ، والصلاة عليه فيه أعم من أن تكون بالكتابة أو بالنطق او بالجمع بينهما وهو الأفضل . وقد ذكر صاحب الدلائل عن بعض الصالحين قال : كان لي جار نساخ فمات فرأيته في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت : فبم ؟ فقال : كنت إذا كتبت إسم محمد ﷺ في كتاب صليت عليه ، فأعطاني ربي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قلت : وسيأتي لذلك مزيد بيان قريباً .

(وقال ﷺ « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغونني من أمتي السلام ») تقدم الكلام عليه في آخر كتاب الحج .

(وقال ﷺ « ليس أحد يسلم علي إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام ») قال العراقي : رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند جيد اهـ .

(وقيل يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال ﷺ « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ») قال العراقي متفق عليه من حديث أبي حميد الساعدي اهـ .

قلت : لفظ الشيخين « اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وهكذا رواه مالك ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه . وقد روي مثل ذلك عن كعب بن عجرة رواه المذكورون خلا مالكاً بلفظ « قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » ورواه كذلك عبد الرزاق عن محمد بن عبد الله بن زيد بلفظ « قولوا

....

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم ». وقد روي في الباب عن ابي سعيد وغيره.

فصل

في بيان أن الصلاة على النبي ﷺ تتضمن ثواباً عظيماً:

اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ تتضمن ثواباً عظيماً منها: أنها توجب الشفاعة. أخرج الطبراني في الكبير عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال اللهم صلّ على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » وأخرج أيضاً من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من صلّى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي ». وقد تقدم شيء من ذلك قريباً.

منـها: أنها توجب الجنة. روى ابن القاري من حديث الحكم ابن عطية، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من صلّى عليّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة » قال الضياء المقدسي في كتاب الصلاة على النبي ﷺ: لا أعرفه إلا من حديث الحكم. وقال الدارقطني: أحاديث الحكم لا يتابع عليها. وقال أحمد: لا بأس به. وروي عن يحي بن معين أنه قال: هو ثقة.

ومنـها: أنها تلقي الهم وتغفر الذنب. أخرج الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: « يا أيها الناس اذكروا الله فإن الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت قال أبي يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت. قلت: الربع؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير. قلت: الثلثين؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير. قال: قلت أجعل لك صلاتي كلها. قال إذاً تكفي همك ويغفر لك ذنبك ». وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح الإسناد، والطبراني في معجمه، وفسرّ الصلاة فيه بالدعاء، وكذلك أوّله النميري في كتاب الاعلام، وأورده بلفظ « اجعل ثلث دعائي لك » وكان لأبي بن كعب رضي الله عنه دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له ربعه صلاة عليه ﷺ فقال: « إن زدت فهو خير لك » إلى أن قال « اجعل لك صلاتي كلها أي دعائي كله صلاة عليك لأن من صلى عليه صلى الله تعالى عليه، ومن صلى الله تعالى عليه كفى همه وغفر ذنبه ». وأخرج ابن أبي حاتم في كتاب الصلاة عن أبي منصور عن أبي معاذ عن أبي كاهل قال: قال لي رسول الله ﷺ: « با أبا كاهل من صلّى عليّ كل يوم ثلاث مرات حباً أو تقرباً إليَّ كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم ».

....

ومنـها: انها تنفي الفقر. روى أبو نعيم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كثرة الذكر والصلاة على النبي ﷺ تنفي الفقر».

ومنـها: انها تقضي الحوائج. روى أبو موسى أحمد بن موسى الحافظ من حديث أبي سهل بن مالك، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من صلّى عليَّ مائة صلاة حين يصلي الصبح قبل أن يتكلم قضى الله له مائة حاجة عجل منها ثلاثين حاجة، وأخَّر له سبعين، وفي المغرب مثل ذلك». ورواه ابن منده من طريق أبي بكر الهذلي عن محمد بن المنكدر عن جابر نحوه وهو حديث حسن.

فصل

سئل المصنف رحمه الله تعالى: ما معنى قوله ﷺ «من صلّى علي واحدة صلّى الله عليه عشراً، وما معنى صلاة الله على من صلّى عليه، وما معنى صلواتنا عليه، وما معنى استدعائه من أمته الصلاة عليه أيرتاح لذلك أم هو شفقة على الأمة؟

فأجاب أما صلاة الله على نبيه وعلى المصلين عليه فمعناه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم، وأما صلاتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال وابتهال في طلب تلك الكرامة ورغبة في افاضتها عليه كقول القائل: غفر الله له ورحمه، فإن ذلك يختص بالرحمة وطلب العفو بالستر، ولذلك تختص الصلاة به، ودونه قولك رضي الله عنه فتختص الصلاة بالانبياء وطلب الترضي بالصحابة والأولياء والعلماء وطلب الرحمة والمغفرة للعوام.

وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فلثلاثة أمور. **أحدها**: أن الأدعية مؤثرة في استـدرار فضل الله ونعمته ورحمته لا سيما في الجمع الكثير كالجمعة وعرفات والجماعات، فإن الهمم إذا اجتمعت وانصرفت إلى طلب ما في الامكان وجوده على قرب كالمطر ورفع الوباء وغيره فاض ما في الامكان من الفيض الحق بوسائط إلى روحانيات المترشحين لتدبير العالم الأسفل المقتضى لتقهرهم، وإنما أثرت الهمم لما بين الأرواح البشرية والروحانيات العالية من المناسبة الذاتية، فإن هذه الأرواح مجانسة لتلك الجواهر، وإنما يقطع مجانستها التدنس بكدورات الشهوات، ولذلك تكون همة القلوب الزكية الطاهرة أسرع تأثيراً وتكون في حالة التضرع والابتهال أنجح، لأن حرقة التضرع تذيب كدورات الشهوات عن القلب في الحال وتصفيه وتكشفه من الظلمة، ولذلك ما يخطيء دعاء الجمع ولا يخلو الجمع من قلوب طاهرة يزيدون التعاون تأثيراً، وإنما كان يوم الجمعة وقتاً يستجاب فيه الدعاء منهم، لأن الحال الذي يجتمع فيه على قلوب صافية واحد لا يدري متى هو. لكن الغالب أن اليوم لا يخلو عنه وهو وقت النفحات التي يتعرض لها، وربما كان اجتماع الهمم يوم الجمعة عند الاسباب الجامعة كابتداء الخطبة وابتداء الصلاة وكان الصلاة أولى، لكن الأولى أن لا يجزم القول بتعيين وقته بل يبهم، وكذلك يتوقع تلك النفحات في الأسحار لصفاء القلوب، فإذا

كانت الأدعية مؤثرة في استجلاب موائد الفضل وكان ما وعد رسول الله ﷺ من الحوض ومرتبة الشفاعة وغير ذلك من المقامات المحمودة غير محدود على وجه لا تتصور الزيادة فيها، فاستمداده من الأدعية استزادة لتلك الكرامات.

الأمر الثاني: ارتياحه به كما قال ﷺ «إني أباهي بكم الأمم» وكما لا يبعد أن يطلع النائم منا على الغيب من أحوال الموتى مع كوننا في هذا العالم المظلم، فلا يبعد أن نحصل للارواح معرفة بمجاري أحوالنا مع أنهم في عالم القدس والصفاء ودار الحيوان، ووجه اطلاع النائم على أحوال الموتى واطلاع الموتى على أحوال الناس يطول ذكره.

الثالث: الشفقة على الأمة فحريضهم على ما هو حسنة في حقهم وقربة لهم، وإنما تضاعف الصلاة لأن الصلاة ليست حسنة واحدة بل حسنات إذ فيها تجديد الايمان بالله أوّلاً، ثم بالرسول ثانياً، ثم بتعظيمه ثالثاً، ثم بالعناية بطلب الكرامة له رابعاً، ثم تجديد الإيمان باليوم الآخر وأنواع كرامات خامساً، ثم يذكر الله سادساً، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ثم بتعظيم الله بنسبتهم إليه سابعاً، ثم باظهار المودة لهم ثامناً، ولم يسأل ﷺ من أمته إلا المودة في القربى، ثم الابتهال والتضرع في الدعاء تاسعاً، والدعاء مخ العبادة، ثم بالاعتراف عاشراً بأن الأمر كله لله وأن النبي وإن جل قدره فهو محتاج إلى رحمة الله عز وجل. فهذه عشر حسنات سوى ما ورد الشرع به من أن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها وإن السيئة بمثلها فقط، وسرّه أن الجوهر الإنساني حنان إلى ذلك العالم العلوي وهبوطه إلى العالم الجسماني غريب في طبعه، والسيئة تبطئه عن الترقي إلى ذلك العالم على خلاف طبعه، والحسنة ترقيه إلى موافقة الطبع والقوة التي تحرك الحجر إلى فوق هي نفسها إن استعملت في تحريكه إلى أسفل تحرك عشرة أذرع أو زيادة، فلهذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف اهـ.

ولما فرغ المصنف من ذكر فضيلة الصلاة عليه ﷺ شرع في ذكر فضله ﷺ، ولنقدم قبل ذلك كلاماً مختصراً يكون كالتتمة لما يذكره المصنف فأقول: من فضائله ﷺ أن الله تعالى أقسم بحياته ولم يقسم بحياة نبي قبله فقال عز وجل ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢] وأيده بالملائكة وقرن اسمه مع اسمه، ورفع ذكره في التأذين مع ذكره عز وجل قال الله عز وجل ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤] وأعطاه اسمين من أسمائه فقال ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس﴾ الآية [النساء: ١٠٥] فجعل الأمر إليه لطهارته عند الله وأمانته على عباده ووضع به الاغلال والآصار التي كانت عليهم فقال ﴿ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم﴾ [الأعراف: ١٥٧] وجعله رحمة للعالمين والامان من المسخ والقوارع والعذاب، وخاطب الانبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة، فقال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول

وقال أنس رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء صنعته لم

الله عنه سمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه، فلما كثر الناس اتخذت منبراً لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل: ﴿ ومَنْ يُطِعِ الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء: ٨٠] بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى: ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُم ﴾ [التوبة: ٤٣] بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك

صنعته، ولا قال لي لشيء تركته لم تركته، وكان أحسن الناس خلقاً، وما مسست شيئاً قط ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت ريحاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

ويروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال: «كان رسول الله ﷺ يعقل البعير ويعلف الناضح ويقم المبيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويضحي معها إذا أعيت وكان لا يحمله الحياء أن لا يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير ويسلم مبتدئاً، وكان لا يستحي إذا دعي ولا يحتقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وكان هين المؤنة لين الخلق جميل المعاشرة طلق الوجه بسّاماً من غير ضحك متواضعاً من غير مذلة جواداً من غير سرف، رقيق القلب دائم الاطراق رحيماً بكل مسلم لم يبشم قط من شبع ولا مدّ يده إلى طمع ﷺ».

(ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع) بالكسر ساق النخلة **(تخطب الناس عليه)** كان ﷺ يضع يده الكريمة عليه عند خطبته، **(فلما كثر الناس اتخذت منبراً)** من خشب الغابة بثلاث درج **(لتسمعهم)** الخطبة **(فحنّ الجذع لفراقك)** حنيناً بيّناً سمعه من حضر. والحنين صوت المتألم المشتاق. واللام تعليلية ويصح جعلها وقتية بمعنى عند **(حتى جعلت يدك عليه)** تسكيناً له **(فسكن)** فهذا الجذع وهو خشب وقد حنّ، **(فأمتك أولى بالحنين إليك لما فارقتهم)**.

قال العراقي: هو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخر، فحديث الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعلت طاعتك طاعته فقال عز وجل ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾)** ووعد من خالفه بالعذاب، **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أخبرك بالعفو عنك قبل أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن أخبرك بالذنب، فقال عز وجل ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾)** وهذا فيه تأنيس لخاطره إذ لولا تقدم العفو لانشقت مرارته، فإن الحبيب لا يتحمل عتاب الحبيب لولا أن يكون ممزوجاً بما يؤانسه. **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ**

آخر الأنبياء وذكرك في أولهم، فقال عز وجل: ﴿وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوحٍ وابراهيمَ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية. بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً تتفجر منه الأنهار فما ذلك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء. صلى الله عليك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوّها شهر ورواحها شهر فما ذلك بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة، ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح. صلى الله عليك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الذراع: لا تأكلني فإني مسمومة، بأبي أنت وأمي يا

من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء) وجوداً **(وذكرك في أوّلهم، فقال عز وجل ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ الآية)**. فذكره معهم في أخذ المواثيق.

(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها) ودركاتها **(يعذبون)** بأنواع العذاب **(يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)** إذ كانت نجاتهم من هذا العذاب في طاعته واتباعه، **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران)** عليه السلام **(أعطاه الله)** أن ضرب بعصاه **(حجراً)** فصار **(تتفجر منه الأنهار)** وتنبجس منه العيون الغزار **(فما ذلك بأعجب من أصابعك)** الكريمة **(حين نبع منها الماء)**. متفق عليه من حديث أنس وغيره.

(صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان) عليه السلام **(أعطاه الله الريح)** أي سخرها له **(غدوّها شهر ورواحها شهر)** أي مسيرة شهر **(فما ذلك بأعجب من البراق)** وهي دابة نحو البغل تركبه الرسل عند العروج إلى السماء **(حين سرت عليه)** راكباً إلى السماء الدنيا ثم **(إلى السماء السابعة)**، ثم منها إلى الرفرف الأعلى حيث يسمع صريف الأقلام، **(ثم صليت الصبح من ليلتك)** مع أهلك **(بالأبطح)** وهو الموضع المعروف بالمحصب.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح.

(صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم عليه السلام أعطاه الله احياء الموتى) معجزة له **(فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة)** التي سمّمتها يهودية **(حين كلمتك)** الشاة **(وهي مشوية وقالت: لا تأكلني فإني مسمومة)** رواه أبو داود من حديث جابر وفيه انقطاع.

(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح) عليه السلام **(على قومه فقال ﴿ربِّ لا**

رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿ربِّ لا تذر عَلى الأرْض مِنَ الكَافِرينَ ديّاراً﴾[نوح:٢٦]ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطيء ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤاً لك ما نكحت إلينا ، ولو لم تؤاكل إلا كفؤاً لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعاً منك صلى الله عليك وسلم .

تذر) أي لا تترك **(على الارض من الكافرين ديّاراً﴾)** أي ساكن دار ، **(ولو دعوت علينا)** دعوة **(مثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطيء ظهرك)** حين كان يصلي تحت الميزاب ، فأتاه عقبة بن أبي معيط الشقي بسلي جزور ووضعه على ظهره ورقبته ، **(وأدمي وجهك)** بسهم أصابه **(وكسرت رباعيتك)** وهو على وزان الثمانية التي بين الثنية والناب ، والجمع رباعيات بالتخفيف أيضاً ، والادماء بالكسر . متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد . **(فأبيت أن تقول إلاّ خيراً فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)** رواه البيهقي في دلائل النبوّة ، والحديث في الصحيح عن ابن مسعود أنه ﷺ حكاه عن نبي عن الأنبياء ضرّبه قومه .

(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنيك) يشير إلى المدة فإنها نحو عشر سنوات كمل فيها الدين وتم نظامه المتين ، **(وقصر عمرك)** وهو ثلاث وستون سنة **(ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنيه وطول عمره)** وهو ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ، **(ولقد آمن بك)** الكثير في هذه المدة القليلة نحو مائة ألف وأربعة عشر ألفاً ، وهذا القدر هو الذي مات عنهم ﷺ كما قاله أبو زرعة وغيره ، وكان المراد به من حضر ، وأما من غاب فلا يحصيهم إلا الذي خلقهم ، **(وما آمن معه)** أي مع نوح عليه السلام **(إلا قليل . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤاً لك)** أي نظيراً أو مشابهاً **(ما جالستنا ، ولو لم تنكح إلا كفؤاً لك ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤاً لك ما واكلتنا ، فلقد والله واكلتنا وجالستنا ونكحت إلينا)** أي كل ذلك تفضلاً منه ﷺ وكرماً وحلماً . أما المجالسة : فهو ﷺ كان يجالس أصحابه ويؤانسهم في أغلب الاوقات . وأما المؤاكلة ؛ فكان يؤاكلهم ويلاطف معهم في الأكل . وأما المناكحة ، فقد تزوّج عائشة بنت الصديق وحفصة ابنة عمر رضي الله عنهم ، وكل ذلك مشهور في الكتب .

(ولبست الصوف) رواه أبو داود من حديث سهل بن سعد وابن عساكر من حديث أبي أيوب ، **(وركبت الحمار وأردفت خلفك)** متفق عليه من حديث أسامة بن زيد . **(ووضعت طعامك بالارض)** رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلاً .

وقال بعضهم: كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي ﷺ فيه ولا أسلم فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: أما تتم الصلاة عليَّ في كتابك؟ فما كتبت بعد ذلك إلا صليت

وللبخاري من حديث أنس «ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط» قاله العراقي.

قلت: وروى ابن سعد في الطبقات، عن محمد بن مقاتل، عن ابن المبارك، عن سفيان أن الحسن قال: لما بعث الله محمداً ﷺ قال: هذا نبيّي هذا خياري ائتسوا به، ثم ذكر الحديث وفيه «يجلس بالأرض ويأكل طعامه بالأرض ويلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف بعبده ويلعق أصابعه» وكان يقول: «من رغب عن سنتي فليس مني».

وروي أيضاً من حديث أنس قال: «كان ﷺ يقعد على الأرض ويأكل على الأرض ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف». وروي عنه من وجه آخر «أنه ﷺ كان يركب الحمار يردف بعبده». وروى عن حمزة بن عبد الله بن عتبة «كان ﷺ يركب الحمار عرياً ليس عليه شيء».

(ولعقت أصابعك تواضعاً منك صلى الله عليك) رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك رضي الله عنهما قاله العراقي.

قلت: ورواه ابن سعدمن مرسل الحسن كما تقدم تقريباً.

ولما فرغ المصنف رحمه الله تعالى من ذكر فضله ﷺ رجع إلى بيان فضل من صلّى عليه في كتاب له فقال: **(قال بعضهم: كنت أكتب الحديث وأصلّي على النبي ﷺ ولا أسلم)** أي كان يكتب صلى الله عليه فقط، **(فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال)** لي: **(أما تتم الصلاة عليّ في كتابك)** أي فعاقبني على ترك السلام في الصلاة عليه. **(فما كتبت بعد ذلك)** إسمه الشريف أو وصفه أو خلقاً من أخلاقه **(إلا صليت وسلمت)** أي جمعت بينهما في الكتابة. فليحذر الكاتب من ذلك. ومنهم من يشير إلى هذه الجملة «بالصاد» المقطوعة وليس بمحمود، ومنهم من يكتب هكذا «صلعم» يشير به إلى الصلاة والسلام وهو أشد منعاً. وقد رأيت ذلك كثيراً في كتب العجم، والأفضل فيه ما ذكرت، أو يقول عليه الصلاة والسلام، أو يقتصر على قوله عليه السلام.

ثم رأيت في القول البديع للحافظ السخاوي قال: وأما الصلاة عليه عند كتابة إسمه ﷺ وما فيه من الثواب وذم من أغفله فاعلم أنه كما تصلي عليه بلسانك فكذلك خط الصلاة عليه ببنانك مهما كتبت اسمه الشريف في كتاب فإن لك به أعظم الثواب. وهذه فضيلة يفوز بها تباع الآثار ورواة الأخبار وحملة السّنة فيا لها من منة، وقد استحب العلماء أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه.

قال ابن الصلاح ينبغي أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسلم على رسول الله ﷺ عند ذكره ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكراره، فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبته،

....

ومن أغفل ذلك حرم حظاً عظيماً، وقد رأينا لأهل ذلك منامات صالحة. وما يكتبه من ذلك فهو دعاء ينشئه لا كلام يرويه، فلذلك لا يتقيد فيه بالرواية ولا يقتصر فيه على ما في الأصل. وكذا الأمر في الثناء على الله سبحانه عند ذكر إسمه نحو: عز وجل، وتبارك وتعالى، وما ضاهى ذلك. قال: ثم ليجتنب في إثباتها نقصين من أن يكتبها منقوصة صورة رامزاً إليها بحرفين أو نحو ذلك يعني كما يفعله الكسالى والجهلة وعوام الطلبة، فيكتبون صورة « صلعم » بدلاً عن ﷺ، والثاني أن يكتبها منقوصة معنى بأن لا يكتب فيها وسلم، وإن وجد ذلك في خط بعض المتقدمين.

ثم قال الحافظ السخاوي: وروى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة يجيء أصحاب الحديث ومعهم المحابر فيقول الله لهم: أنتم أصحاب الحديث طالما كنتم تكتبون الصلاة على نبي ﷺ انطلقوا إلى الجنة ». أخرجه الطبراني، عن الدبري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري عن أنس. وأخرجه ابن بشكوال من طريقه، ونقل عن طاهر بن أحمد النيسابوري قال: ما أعلم حدّث به غير الطبراني. وقال السخاوي: وقد أخرجه الخطيب من طريق محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي عن الطبراني بسنده. وقال الخطيب: إنه موضوع والحمل فيه على الرقي اهـ.

وقد رواه أبو المحاسن الروياني في فوائده من طريقه أيضاً عن الطبراني، لكن قال: عن معمر، عن قتادة، عن أنس ولم ينفرد به الطبراني بل هو في مسند الفردوس من غير طريقه ولفظه « إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله جبريل عليه السلام أن يأتيهم فيسألهم من هم؟ فيقولون: نحن أصحاب الحديث. فيقول الله لهم: أدخلوا الجنة فقد طالما كنتم تصلون على نبيّي ﷺ ».وأخرجه النميري باللفظ الأول. وعن سفيان الثوري قال: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على النبي ﷺ فإنه يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب ﷺ. أخرجه الخطيب وابن بشكوال.

وعند الخطيب أيضاً ومن طريقه ابن بشكوال عن سفيان بن عيينة قال: حدثنا خلف صاحب الخلقان قال: كان لي صديق يطلب الحديث فمات فرأيته في المنام وعليه ثياب خضر جدد يجول فيها فقلت له: ألست كنت تطلب معي الحديث فما هذا الذي أرى؟ فقال: كنت أكتب معكم الحديث فلا يمر بي حديث فيه ذكر النبي ﷺ إلا كتبت في أسفله ﷺ فكافأني بهذا الذي ترى علي ﷺ ».

وروى النميري عن سفيان بن عيينة أيضاً قال: كان لي أخ مؤاخ لي فمات فرأيته في المنام فقال:: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: كنت أكتب الحديث فإذا جاء ذكر النبي ﷺ كتبت صلى الله عليه وسلم أبتغي بذلك الثواب فغفر لي بذلك.

وعن أبي الحسن الميموني قال: رأيت الشيخ أبا علي الحسن بن عيينة في المنام بعد موته وكان على أصابع يديه شيء مكتوب بلون الذهب أو بلون الزعفران، فسألته عن ذلك فقلت: يا أستاذ أرى على

وسلمت عليه. وروي عن أبي الحسن الشافعي قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله؛ بِمَ جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة: «وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون؟» فقال ﷺ: «جُزي عني أنه لا يوقف للحساب».

أصبعك شيئاً مليحاً مكتوباً ما هو؟ قال: يا بني هذا لكتبي ﷺ في حديث رسول الله ﷺ. رواه أبو القاسم التيمي في ترغيبه.

قلت: وروى الحافظ السلفي بسنده في فوائده بسنده إلى أبي عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري يقول: سمعت أبا صالح عبد الله بن صالح الصوفي يقول: رؤي بعض أصحاب الحديث في المنام فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي فقيل له: بأي شيء؟ فقال: بصلاتي في كتبي على رسول الله ﷺ.

(وروي عن أبي الحسين الشافعي) رحمه الله تعالى، وفي نسخة أبي الحسن **(قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله: بما جزي)** محمد بن إدريس **(الشافعي عنك حين يقول في كتابه الرسالة)** وهي التي أرسلها إلى عبد الرحمن بن مهدي **(«وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون»؟ فقال ﷺ: جُزي عني أنه لا يوقف للحساب)**.
قال ابن مسدي الحافظ في آخر الجزء الثاني من مسلسلاته: سمعت أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن أبي زيد التلمساني، وأبا علي الحسن بن الناصر الهروي يقول كل منهما: سمعت أبا عبد الله أحمد بن الحسن بن أحمد الهمداني يقول: سمعت أبا بكر هبة الله بن الفرج الشروطي يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي سعد الحافظ يقول: سمعت أبا مسلم غالب بن علي الرازي يقول: سمعت أبا الحسين يحي بن الحسين المطلبي بمدينة النبي ﷺ يقول: سمعت ابن بنان الأصبهاني يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله. محمد بن ادريس الشافعي ابن عمك هل خصصته بشيء؟ قال: نعم. سألت الله عز وجل أن لا يحاسبه، فقلت: بم يا رسول الله؟ قال: لأنه كان يصلي عليَّ صلاة لم يصلّ علي أحد قبله مثله. قلت: وما هذه الصلاة يا رسول الله؟ قال: كان يقول: اللهم صلّ على محمد كلما ذكره الذاكرون وصلّ على محمد كلما غفل عنه الغافلون.

قال: وقد روى معنى هذه الحكاية عن المزني صاحب الشافعي، كما سمعت يوسف بن محمد الصوفي يقول: سمعت أبا الطاهر السلفي الحافظ يقول: وساق سنده إلى المزني قال: رأيت الشافعي في المنام بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بصلاة صليتها على النبي ﷺ في كتاب الرسالة وهي: اللهم صلّ على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

قال ويروى هذه القصة بهذه الرؤيا لعبد الله بن عبد الحكم، كما أخبرنا أبو الخطاب بن واجب، أخبرنا أبو بكر بن أبي ليلى، أخبرنا أبو علي الصدفي، أخبرنا أبو عبد الله بن أبي نصر الحميدي، أخبرنا أبو قاسم الصيرفي، حدثنا علي بن محمد، حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: قال

فضيلة الاستغفار:

قال الله عز وجل: ﴿والذين إذا فَعَلُوا فاحشةً أو ظَلَموا أنفسَهُم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ [آل‌عمران: ١٣٥]، وقال علقمة والأسود، قال عبدالله‌بن مسعود رضي الله عنهم: في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ الآية. وقوله عز وجل: ﴿ومَنْ يعملْ سوءاً أوْ يَظْلِمْ نفسَه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء: ١١٠]، وقال عز وجل: ﴿فسبِّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان تواباً﴾ [النصر: ٣]، وقال تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل عمران: ١٧] وكان ﷺ يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك

عبد الله بن الحكم: رأيت الشافعي في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني وغفر لي وزففت إلى الجنة كما تزف العروس، ونثر عليَّ كما ينثر على العروس. فقلت: بم بلغت هذه الحال؟ فقال لي قائل بقولك في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عنه الغافلون. قال: فلما أصحبت نظرت الرسالة فرأيت الأمر كما رأيته.

فضيلة الاستغفار:

لما فرغ من بيان فضيلة التحميد والتهليل والتسبيح والتكبير والحوقلة والصلاة على النبي ﷺ شرع في فضيلة الاستغفار فقال: **(قال الله عز وجل ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم)** ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ **(قال علقمة)** بن قيس أبو شبل الفقيه **(والاسود)** بن يزيد النخعي رحمها الله تعالى، **(قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله له)**. الأولى قوله عز وجل: **(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ الآية. و)** الثانية **(قوله عز وجل ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ وقال عز وجل: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ وقال عز وجل ﴿فسبّح بحمد ربّك﴾)** أي فاثن على الله بصفات الجلال حامداً له على صفات الإكرام **(واستغفره)** هضماً لنفسك واستقصاراً لعملك واستداركاً لما فرط منك، وقيل: استغفره لأمتك بدأ بالتسبيح ثم بالتحميد ثم الاستغفار على طريقة التدلي من الخالق إلى الخلق، كما قيل: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله **(إنه كان توّاباً)** لمن استغفره.

(وكان رسول الله ﷺ يكثر ان يقول: «سبحانك وبحمدك اللهم أغفر لي انك التوّاب الرحيم») قال العراقي: رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الإسناد إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه، والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله «إنك أنت التوّاب الرحيم».

أنت التوّاب الرحيم ». وقال ﷺ : « من أكثر من الإستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب ». وقال ﷺ : « إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة ». وهذا مع أنه ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وقال ﷺ: « إنه ليغان على قلبي حتى أني لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة ». وقال ﷺ : « من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا - » وقال ﷺ في

(وقال ﷺ : « من أكثر من الإستغفار جعل الله عز وجل له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب ») قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الاسناد من حديث ابن عباس، وضعفه ابن حبان اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وابن السني في اليوم والليلة، والبيهقي في السنن.

(وقال ﷺ : « إني لاستغفر الله سبحانه وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة ») قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة إلا أنه قال « أكثر من سبعين مرة » وهو في الدعاء للطبراني كما ذكره المصنف اهـ.

(وهذا مع أنه ﷺ) كان قد **(غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)**، فهو من باب الترقي أو الإعتراف بما عسى حصل له من التقصير في رؤية الأعمال والإلتفات.

(وقال ﷺ : « إنه ليغان على قلبي) الغين: شيء رقيق من الصدأ يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يحجب الشمس لكنه يمنع ضوءها ذكره الإمام الرازي، **(حتى أني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث الأغر اهـ.

قلت: وهو المزني له صحبة روى عنه معاوية بن قرة وأبو بردة، وقد أورده هكذا أحمد والنسائي وابن ماجة بلفظ: « وإني لأستغفر الله في اليوم ».

(وقال ﷺ : « من قال حين يأوي إلى فراشه) أي عند النوم **(أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له عز وجل ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر)** وهو ما يعلو عليه عند التموج. **(أو عدد رمل عالج)** وهو موضع في بلاد بني تميم كثير الرمال **(أو كعدد ورق الشجر أو كعدد أيام الدنيا »)** رواه الترمذي من حديث أبي سعد وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافي.

قال العراقي: الوصافي وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة. رواه البخاري في التاريخ دون قوله: « حين يأوي إلى فراشه وقوله ثلاث مرات » اهـ.

حديث آخر: « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف ». وقال حذيفة: كنت ذرب اللسان على أهلي فقلت: يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار، فقال النبي ﷺ: « فأين أنت من الاستغفار؟ فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ».

قلت: ورواه أحمد وأبو يعلى، ولفظ الترمذي: « من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو » فساقه كسياق المصنف إلا أنه قال بعد قوله: « زبد البحر وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا ». ورواه ابن عساكر من حديثه بلفظ: « من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج وغثاء البحر وعدد نجوم السماء ». ورواه ابن السني والطبراني في الأوسط وابن عساكر وابن النجار من حديث أنس بنحوه إلا أنه قال: من قال صبيحة الجمعة قبل الغداة وفيه « ولو كانت أكثر من زبد البحر » وفي الإسناد حنيف بن عبد الرحمن الجزري مختلف فيه.

(وقال ﷺ في حديث آخر: « من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف ») رواه أبو داود والترمذي من حديث زيد مولى النبي ﷺ وقال غريب.

قال العراقي: قلت ورجاله موثقون. ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح على شرطهما اهـ.

قلت لفظ الحاكم: « من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً » والباقي سواء. ولفظ الترمذي بعد قوله: « وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف ولم يذكر ثلاثاً » وبلفظ الترمذي رواه ابن سعد في الطبقات والبغوي وابن منده والباوردي والطبراني في الكبير والضياء وابن عساكر كلهم عن بلال بن زيد عن أبيه عن جده. قال البغوي: ولا أعلم له غيره، ورواه ابن عساكر عن أنس، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن مسعود ومعاذ موقوفاً عليهما.

(وقال) أبو عبد الله **(حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه: **(كنت ذرب اللسان)** أي حديده وسليطه أو فاحشه **(على أهلي، فقلت يا رسول الله: لقد خشيت أن يدخلني لساني النار. فقال النبي ﷺ: « فأين أنت من الإستغفار فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »)** قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ورواه أبو داود والطيالسي وهناد وأحمد، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في السنن، وأبو يعلى والروياني والضياء.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن محمد بن مهران، حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، حدثنا الحسن بن يونس، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا عمرو بن قيس الملائي، عن أبي إسحاق عن عبيد بن المغيرة عن حذيفة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله: إن لي لساناً ذرباً على أهلي

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ: «إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار» وكان ﷺ يقول في الاستغفار: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على

قد خشيت أن يدخلني النار. قال: «فأين أنت من الإستغفار إني أستغفر الله في كل يوم مائة مرة».

وحدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان البصري، حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقي، حدثنا مسدد، حدثنا أبو الأحوص، حدثنا أبو إسحاق عن أبي المغيرة، عن حذيفة قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ ذرب لساني فقال: «أين أنت من الإستغفار إني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة».

(وقالت عائشة رضي الله عنها قال) لي **(رسول الله ﷺ: «إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن التوبة من الذنب الندم والإستغفار»)** قال العراقي: متفق عليه دون قوله: «فإن التوبة» الخ وزاد «وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه» وللطبراني في الدعاء «فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له» اهـ.

قلت: يشير إلى قصة أهل الإفك قال لها ما قال حين قال أهل الإفك ما قالوا: إن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي، فإن العبد الحديث بطوله وقد رواه الجماعة إلا الترمذي.

(وكان ﷺ يقول في الاستغفار: «اللهم اغفر لي خطيئتي) أي ذنبي **(وجهلي)** أي ما لم أعلمه **(وأسرافي في أمري)** أي مجاوزتي الحد في كل شيء **(وما أنت أعلم به مني)** مما علمته وما لم أعلمه. **(اللهم اغفر لي جدي وهزلي)** وهما متضادان **(وخطئي وعمدي)** وهما متقابلان **(وكل ذلك عندي)** ممكن أو موجود أو أنا متصف بهذه الأمور فاغفرهالي قاله تواضعاً، أو أراد ما وقع سهواً، أو ما قبل النبوة، أو مجرد تعليم للأمة. **(اللهم اغفر لي ما قدمت)** قبل هذا الوقت **(وما أخرت)** عنه **(وما أسررت)** أي أخفيت **(وما أعلنت)** أي أظهرت أي ما حدثت به نفسي وما يتحرك به لساني قاله تواضعاً وإجلالاً لله تعالى أو تعليماً لأمته وتعقب في الفتح الأخير فإنه لو كان للتعليم فقط كفى فيه أمرهم بأن يقولوا فالأولى أنه للمجموع. **(وما أنت أعلم به مني أنت المقدم)** أي بعض العباد إليك بتوفيق الطاعات **(وأنت المؤخر)** بخذلان بعضهم من التوفيق فتؤخره عنك أو أنت الرافع والخافض أو المعز والمذل **(وأنت على كل شيء قدير»)** أي أنت الفعال لكل ما تشاء، ولذا لم يوصف به غير الباري، ومعنى قدرته على الممكن الموجود حال وجوده أنه إن شاء أبقاه وإن شاء أعدمه، ومعنى قدرته على

كل شيء قدير »، وقال علي رضي الله عنه: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله عز وجل بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدقته، قال: وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له، ثم تلا قوله عز وجل: ﴿ والّذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية ». وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه » فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه:

المعدوم حين عدمه أنه إن شاء إيجاده أوجده وإلا فلا. وفيه: أن مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لأنه شيء

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم اهـ.

قلت: رواه في كتاب الدعوات من الصحيح ورواه كذلك البيهقي وغيره.

(وقال علي رضي الله عنه: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله عز وجل منه بما شاء أن ينفعني وإذا حدثني أحد) وفي رواية: رجل **(من أصحابه استحلفته فإذا حلف)** لي **(صدقته، وحدثني أبو بكر)** رضي الله عنه **(وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهر ثم يقوم فيصلي)**. وفي رواية ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي، وفي أخرى يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي، **(ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر الله له)** وفي رواية: ثم يستغفر الله لذلك الذنب، **(ثم تلا قوله عز وجل: ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم)** ذكروا الله ﴾ إلى آخر **(الآية)** قال العراقي: رواه أصحاب السنن وحسنه الترمذي اهـ.

قلت: قال الترمذي حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عثمان بن المغيرة، ورواه أبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد، والبزار، وأبو يعلى، وابن حبان وصححه، والدارقطني في الافراد، وابن السني في عمل يوم وليلة، والبيهقي في السنن، والضياء، والحميدي، والعوفي، وعبد بن حميد، وابن منيع كلهم عن علي عن أبي بكر رضي الله عنهما. وفي الحديث: إن من شرط الدعاء تقديم عمل صالح أمام الدعاء.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ أنه قال: « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر)** الله عز وجل منه **(صقل قلبه منها)** أي من تلك النكتة **(فإذا زاد)** الذنب **(زادت)** النكتة فلم تزل **(حتى تغلف قلبه)** أي تلبسه كله **(فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه)** وهو قوله عز وجل: **﴿ كلا بل**

﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين : ١٤] ، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول : يـا رب أنّـى لي هـذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك » وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال : « اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا » . وقال ﷺ :

ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ») قال العراقي : رواه الترمذي وصححه النسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان والحاكم اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ : « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء » ، الخ وفيه « فـإن عـاد زادت » والباقي سواء وأخرج ابن المنذر ، عن إبراهيم التيمي نحو ذلك ، وأخرج هو وابن حاتم وابن جرير عن ابن عباس في قوله : « ران » أي طبع ، وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال : الرين الطبع . وأخرج ابن جرير عنه قال : الرين أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الإقفال ، والإقفال أشد ذلك كله .

(وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة) أي المنزلة **(فيقول)** العبد **(يا رب أنّى لي هذه)** أي كيف لي هذه الدرجة ولم نلتها ؟ **(فيقول الله عز وجل : باستغفار ولدك لك »)** قال العراقي : رواه أحمد بإسناد حسن .

قلت : ويؤيده ما روى أبو نعيم في الحلية من طريق قتادة عن أنس رفعه : « سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو طوى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجـداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر الله له بعد موته » .

(وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال : « اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا) اي إذا اتوا بعمل حسن قرنوه بالإخلاص فيترتب عليه الجزاء فيستحقون الجنة فيستبشرون بها ، **(وإذا أساؤا استغفروا »)** أي طلبوا من الله مغفرة ما فرط منهم ، وهذا تعليم للأمة أرشدهم إلى أن يأتي الواحد منهم بهذا الدعاء الذي هو عبادة من أن لا يبتليه بالإستدراج ويرى عمله حسناً فيهلك وقوله : « من الذين » الخ أبلغ من أن يقول : اجعلني استبشر إذا أحسنت واستغفر إذا أسأت ، كما تقول فلان من العلماء فيقال أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ذكره الزمخشري .

قال العراقي : رواه ابن ماجة ، وفيه علي بن زيد بن جذعان مختلف فيه اهـ .

قلت : وكذلك رواه البيهقي في السنن بهذا الإسناد .

« إذا أذنب العبد ذنباً فقال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك » . وقال ﷺ : « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » . وقال ﷺ : « إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً ، يا رب فاغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت

(وقال ﷺ : « إذا أذنب العبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي أعمل ما شئت فقد غفرت لك ») قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : وكذلك أخرجه النسائي ولفظهم جميعاً عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أي عبد أصاب ذنباً وربما قال أذنب ذنباً فقال : رب أذنبت ذنباً ، وربما قال أصبت ذنباً فاغفره لي فقال ربه : أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره ، فقال : « أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ، وربما قال ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال : رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره لي فيقول أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء » .

(وقال ﷺ : « ما أصر) أي ما أقام على الذنب **(من استغفر)** أي من تاب توبة صحيحة لأن التوبة بشروط ترفع الذنوب كلها ، **(وإن عاد في اليوم سبعين مرة »)** فإن رحمة الله لا نهاية لها ولا غاية .

قال العراقي : رواه داود والترمذي من حديث أبي بكر وقال : غريب وليس إسناده بالقوي اهـ .

قلت : قال الزيلعي : إنما لم يكن قوياً لجهالة مولى أبي بكر الراوي عنه ، لكن جهالته لا تضر إذ تكفيه نسبته إلى الصديق اهـ .

قال المناوي : وفيه أيضاً عثمان بن واقد ضعفه أبو داود نفسه .

قلت : عثمان بن واقد لم أر له ذكراً في كتاب الضعفاء للذهبي ولا في ذيله ، ولعله عثمان بن فائد فلينظر ذلك .

(وقال ﷺ إن رجلا لم يعمل خيراً نظر إلى السماء) إذ هي قبلة الدعاء **(فقال إن لي رباً)** فأقر بربوبيته وشهد بوجدانيته ، ثم قال : **(يا رب اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك »)** قال العراقي : لم أقف له على أصل اهـ .

قلت : وجدت بخط ابن الحريري قال : وجدت بخط الشيخ المحدث زين الدين الدمشقي الواعظ ما نصه : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بسند ضعيف من حديث أبي هريرة .

لك ». وقال ﷺ: « من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر ». وقال ﷺ: « يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم، ومن علم أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي ». وقال ﷺ: « من قال

(وقال ﷺ: « من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر ») ليس المراد منه كما قال المناوي الحث على فعل الذنب أو الترخيص فيه كما توهمه بعض أهل الغرة، فإن الرسل إنما بعثوا للردع عن غشيان الذنوب، بل ورد مورد البيان لعفو الله عن المذنبين وحسن التجاوز عنهم ليعظموا الرغبة فيما عنده من الخير، والمراد أنه سبحانه كما يحب أن يحسن يحب أن يتجاوز عن المسيء والقصد بإيراده بهذا اللفظ الرد على منكر صدور الذنب من المؤمنين وأنه قادح في إيمانهم اهـ.

قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه في الصغير أيضاً وفي الإسناد إبراهيم بن هراسة وهو متروك قاله الهيثمي، فهذا معنى قول العراقي بسند ضعيف، وروى الحاكم، وأبو نعيم في الحلية، والطبراني من حديث قبيصة، عن جابر بن مرزوق، عن عبد الله العمري، عن أبي طوالة، عن أنس مرفوعاً « من أذنب ذنباً فعلم أنه له رباً إن شاء الله أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذبه عذبه كان حقاً على الله أن يغفر له » وفي جابر بن مرزوق نكرة.

(وقال ﷺ: « يقول الله عز وجل يا عبادي) كلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيته فسلوني أرزقكم، و**(كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم، ومن علم)** منكم **(أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي)**. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضه » الحديث بطوله.

قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي ذر، وقال الترمذي حسن وأصله عند مسلم بلفظ آخر اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو هناد، وأبو داود، وروى أحمد بعضه وقد وقع لنا مسلسلاً بالشاميين بلفظ مسلم وأوله: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي » الحديث بطوله، وروى الطبراني والحاكم عن ابن عباس رفعه: « قال الله عز وجل من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً ».

وقال ﷺ: « من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه، وإن كانت كمدب النمل » قال العراقي: رواه البيهقي في الدعوات من حديث علي أن رسول الله ﷺ قال: « ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوباً غفر الله لك » فذكره بزيادة: « لا إله إلا أنت » في أوله وفيه ابن لهيعة اهـ.

سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كمدب النمل ». وروي: « أن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يغفر الذنوب جميعها إلا أنت ».

قلت: وروى ابن النجار من حديث ابن عباس: « من قال لا إله إلا أنت سبحانك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم غفرت ذنوبه ولو كان فاراً من الزحف » ورواه الديلمي من حديثه مثله بلفظ: « فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ».

(ويروى: « أن أفضل الإستغفار) هو هذا **(اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت إنه لا يغفر الذنوب جميعاً إلا أنت »)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث شداد بن أوس دون قوله: « وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي » ودون قوله: « ذنوبي ما قدمتها منها وما أخرت » ودون قوله: « جميعاً » اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والطبراني. وقال صاحب سلاح المؤمن، وليس لشداد بن أوس في الصحيحين سوى حديثين: أحدهما هذا، والآخر في مسلم أن الله كتب الإحسان على كل شيء، ولفظ الجماعة: عن النبي ﷺ قال: « سيد الإستغفار أن يقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يصبح فمات من يومه بمثله ». وفي رواية للجماعة: « من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ».

تنبيه:

شرح هذا الحديث سيد الإستغفار أي أفضل أنواع الأذكار التي تطلب بها المغفرة هذا الذكر الجامع لمعاني التوبة كلها، ولذلك لقب بسيد الإستغفار لأن السيد في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في المهمات، وقوله: أن يقول أي العبد وثبت في رواية أحمد والنسائي أن سيد الإستغفار أن يقول العبد، وفي رواية للنسائي: تعلموا سيد الإستغفار أن يقول العبد، وقوله:

الآثار : قال خالد بن معدان : يقول الله عز وجل إن أحب عبادي إليَّ المتحابون بجي والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله : القرآن يدلكم على

اللهم أنت ربي قال الحافظ ابن حجر : في نسخة معتمدة من البخاري تكرير أنت وسقطت الثانية من معظم الروايات ، وأنا عبدك يجوز أن تكون مؤكدة وأن تكون مقررة أي وأنا عابد لك كقوله : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً ﴾ [الصافات : ١١٢] قاله الطيبي ، والمراد بالعهد والوعد ما عاهده وواعده من الإيمان به وإخلاص الطاعة له . وقيل : العهد ما أخذ عليهم في عالم الذر يوم ألست بربكم ، والوعد ما جاء على لسان النبي ﷺ : « إن من مات لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » . ما استطعت أي مدة دوام استطاعتي ، ومعناه الإعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى . أبوء : أي اعترف والتزم .

قال الطيبي : اعترف أولاً بأنه تعالى أنعم عليه ولم يقيده ليشمل كل الأنعام ، ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم باداء شكرها وعده ذنباً مبالغة في التقصير وهضم النفس وفائدة الإقرار بالذنب أن الإعتراف يمحو الإقتراف .

قال الشيخ سيدي عبد الله بن أبي جمرة قدس سره في شرحه على مختصره من البخاري : قد جمع في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الإستغفار ، ففيه الإقرار لله وحده بالألوهية والمعبودية والإعتراف بأنه الخالق ، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه والرجاء بما وعده به والإستعاذة من شر ما جنى على نفسه وإضافة النعم إلى موجدها وإضافة الذنب إلى نفسه ، إذ حظه في المغفرة واعترافه بأنه لا يقدر على ذلك إلا هو ، وكل ذلك إشارة إلى الجمع بين الحقيقة والشريعة ، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان عون من الله تعالى ، ويظهر أن اللفظ المذكور لا يكون سيد الإستغفار إلا إذا جمع صحة النية والتوجه والأدب ذكر .

(**الآثار**) : الواردة في فضل الاستغفار . (**قال خالد بن معدان**) الكلاعي تابعي جليل وفقيه كبير ثبت مهيب مخلص ، يقال : كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة . روي عن معاوية وابن عمر وابن عمرو وثوبان ، وعنه ثور وصفوان بن عمرو ويحي . توفي سنة ١٤٥ (**قال الله عز وجل : إن أحب عبادي إلى المتحابون بجبّي**) أي لأجلي (**والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم وتركتهم وصرفت العقوبة عنهم**) .

قلت : وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أنس رواه البيهقي في السنن ولفظه : « يقول الله عز وجل : إني لأهم بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتي المتحابين فيَّ وإلى المستغفرين بالأسحار صرفت عنهم » .

(**وقال**) أبو الخطاب (**قتادة**) بن دعامة السدوسي رحمه الله تعالى : (**القرآن يدلكم على**

دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار. وقال علي كرّم الله وجهه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة. قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار. وكان يقول: ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه. وقال الفضيل: قول العبد: «أستغفر الله» تفسيرها أقلني. وقال بعض العلماء: العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار. وقال الربيع بن خيثم رحمه الله: لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً وكذباً إن لم يفعل؟ ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب عليّ. وقال الفضيل رحمه

دائكم ودوائكم. أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالإستغفار) من ذلك قوله تعالى: ﴿استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد ﷺ: ١٩] ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] في جملة من الآيات.

(وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة. قيل: وما هي؟ قال: الإستغفار). فالمراد من الهلاك هنا أي من داء الذنوب فإن نجاته منها الإستغفار مع عدم الإصرار، **(وكان يقال: ما ألهم الله سبحانه عبداً الإستغفار وهو يريد أن يعذبه)** أي لو أراد بعذابه ما ألهمه ذلك، ويروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه رفعه: «عوّدوا ألسنتكم الإستغفار فإن الله تعالى لم يعلمكم الإستغفار إلا وهو يريد أن يغفر».

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(قول العبد «أستغفر الله» تفسيرها أقلني)** أي من عثرات ذنوبي. **(وقال بعض العلماء: العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الحمد)** لله على نعمته، **(والإستغفار)** من الذنب الذي اقترفه.

(وقال الربيع بن خيثم) تقدمت ترجمته: **(لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون)** قوله ذلك **(ذنباً وكذبة إن لم يفعل، ولكن ليقل: اللهم اغفر لي وتب علي)**. ونقل هذا القول الإمام أبو جعفر الطحاوي عن شيخه الإمام أبي جعفر بن أبي عمران ولفظه: يكره أن يقول الرجل أستغفر الله وأتوب إليه، ولكن يقول: أستغفر الله وأسأله التوبة، وقال: رأيت أصحابنا يكرهون ذلك ويقولون في التوبة من الذنوب هي تركه وترك العود عليه وذلك غير موهوم من أحد، فإذا قال: أتوب إليه فقد وعد الله أن لا يعود إلى ذلك الذنب، فإذا عاد إليه بعد ذلك كان كمن وعد الله ثم أخلفه، ولكن أحسن ذلك أن يقول: أسأل الله التوبة أي أسأل الله أن ينزعني عن هذا الذنب ولا يعيدني إليه أبداً، وكان من الحجة لهم في ذلك عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «التوبة من الذنوب أن يتوب الرجل من الذنب ثم لا يعود إليه» فهذه صفة التوبة، وهذا غير مأمون على أحد غير رسول الله ﷺ فإنه معصوم فلا ينبغي لغيره ﷺ أن يقول ذلك لأنه غير معصوم من العود فيما تاب عنه. قال: وخالفهم في ذلك آخرون فلم يروا به بأساً أن يقول الرجل: أتوب إلى الله عز وجل، وحجتهم ما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس مجلساً كثر فيه لغطه، ثم قال قبل أن يقوم سبحانك ربنا لا إله إلا

الله: الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين. وقالت رابعة العدوية رحمها الله: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير. وقال بعض الحكماء: من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً بالله عز وجل وهو لا يعلم. وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول: اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إليَّ بالنعم مع غناك عني وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك! يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين. وقال أبو

أنت أستغفرك ثم أتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك». وعن أنس رفعه قاله: «كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، فهذا رسول الله ﷺ قد روي عنه أيضاً ما ذكرنا، وهو أولى القولين عندنا لأن الله عز وجل قد أمرنا بذلك في كتابه فقال: ﴿توبوا إلى بارئكم﴾ [البقرة: ٥٤] وقال ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ [التحريم: ٨] وأمر رسول الله ﷺ في الآثار التي ذكرنا، فلهذا أبحنا ذلك وخالفنا أبا جعفر بن أبي عمران فيما ذهب إليه فيما ذكرناه أولاً اهـ. كلام أبي جعفر الطحاوي بالاختصار.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(الإستغفار بلا إقلاع)** عن المعصية **(توبة الكذابين)** أي: فإن الذي يستغفر وهو معتقد أن يعود إلى ما تاب فهو بذلك القول فاسق معاقب عليه لأنه كذب على الله فيما قال.

(وقالت رابعة العدوية) البصرية رحمها الله تعالى: **(استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير)** وهو يشير إلى ما ذكرناه من أن التلفظ باللسان من غير اعتقاد القلب على ترك العود إلى ما استغفر منه ذنب، وهذا يلزم منه الدور والتسلسل ولا يقطع ذلك إلا صدق القلب على ترك ما استغفر منه والندم بالجزم على أن لا يعود إليه أبداً.

(وقال بعض الحكماء: من قدم الإستغفار على الندم كان مستهزئاً على الله تعالى وهو لا يعلم) أي: من استغفر ولم يندم على ما أصاب من ذلك الذنب فكأنه استهزأ على ربه عز وجل وهو لا يدري، فإن الندم توبة. كما ورد ذلك من حديث عبد الله بن مغفل، فإذا لم يوجد الندم كان استغفاره كالعبث.

(وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: اللهم إن استغفاري إياك) من ذنب **(مع إصراري)** عليه وعدم إقلاعي **(للؤم وإن ترك استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز)** أي منكر، **(فكم)** يا مولاي **(تتحبب إلي بالنعم)** الكثيرة **(مع غناك عني)** مطلقاً، **(وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك)** بالذات. **(يا من إذا وعد وفى وإذا تواعد عفا)**، وهكذا شأن الكريم **(أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين)** وهو من الأدعية الجامعة لشروطها من البداية بالإسم الأعظم الذي هو: اللهم، ثم الإقرار بالذنب ثم إثبات سعة العفو والوفاء بالوعد، ثم السؤال مع التضرع، ثم الختم باسمه الأعظم الذي هو أرحم الراحمين.

عبدالله الوراق: لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوباً لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى: اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه، واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوفِ لك به، واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك، واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليَّ فاستعنت بها على معصيتك، واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم. ويقال: إنه استغفار آدم عليه السلام. وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام.

(وقال أبو عبد الله الوراق: لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوباً لمحيت عنك إذا دعوت بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى) أي بشرط الإخلاص فيما يدعو به وهو هذا: **(اللهم إني أستغفرك من كل ذنب)** صدر منّي، و**(تبت إليك منه)** معتقداً بقلبي عدم العود إليه **(ثم عدت فيه)** بشؤم نفسي وجهلي، **(وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي)** من بر وخير ولفظ القوت: من كل عقد عقدته لك، **(ثم لم أوف لك به)** لكمال تقصيري وإتباعي النفس الأمارة، **(وأستغفرك من كل عمل)** من أعمال الخير **(أردت به وجهك)** خالصاً من غير مخالطة السوى **(فخالطه غيرك)** في ذلك العمل، ولفظ القوت: ما ليس لك. **(وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي)** لأستعين بها على طاعتك **(فاستعنت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة)** أي بالنسبة إلينا وإلا فالعوالم كلها شهادة لديه جل وعز **(من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم)**. ختم بهذا الإسم الكريم لينبه على أنه جل وعز لا يؤاخذ عبده بما جنته يداه.

(ويقال: إنه استغفار آدم عليه السلام. وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام) نقله صاحب القوت، وقيل: هو استغفار آدم عليه السلام كما وجد في بعض نسخ الكتاب، وقد رتبه بعض العلماء ترتيباً حسناً وجعله على الأيام السبعة، وزاد فيه زيادات حسنة وعزاه إلى الحسن البصري وقد وقع إلينا مسنداً.

الباب الثالث

في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحاً ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها: دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسياً وهو في بيت خالتي ميمونة، فقام يصلي من الليل، فلما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي، وترد بها الفتن عني، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبي، وترفع بها شاهدي،

الباب الثالث

(**في**) ذكر (**أدعية مأثورة**) أي منقولة من الأخبار الصحيحة (**معزاة**) أي منسوبة (**إلى أسبابها وأربابها مما يستحبّ أن يدعو بها المريد**) السالك في طريق الحق سبحانه (**صباحاً ومساءً وبعقب كل صلاة**) مما سيأتي بيانها.

فمنها دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر أي سنته:

(**قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسياً**) أي بعدما أمسى الوقت (**وهو في بيت خالتي ميمونة**) بنت الحرث الهلالية رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ. أي في نوبتها فنام عندها لأن أباه إنما أرسله ليرى صلاته ﷺ بالليل ليستن بها، (**فقام**) ﷺ (**فصلى من الليل**) ما شاء الله له أن يصلي، وصلى معه ابن عباس، (**فلما صلّى الركعتين**) اللتين (**قبل صلاة الفجر**) وهما سنتا الفجر (**قال في دعائه: «اللهم إني أسألك»**) أي أطلب منك (**رحمة من عندك**) أي ابتداء من غير سبب. وقال القاضي: نكر الرحمة تعظيماً لها دلالة على أن المطلوب رحمة عظيمة لا يكتنه كنهها ووصفها بقوله من عندك مريداً لذلك التعظيم، لأن ما يكون من عنده لا يحيط به وصف كقوله: وآتيناه من لدنا علماً (**تهدي**)أي ترشد (**بها قلبي**) إليك وتقوّيه لديك وخصه لانه محل الفعل ومناط التجلي، (**وتجمع بها شملي**) أي تضمه بحيث لا أحتاج إلى أحد غيرك. وفي رواية: «أمري» بدل «شملي». (**وتلم بها شعثي**) أي ما تفرق من أمري فيصير ملتئماً غير مفترق، (**وترد بها**

وتزكي بها عملي، وتبيض بها وجهي، وتُلهمني بها رشدي، وتعصمني بها من كل سوء. اللهم اعطني ايماناً صادقاً ويقيناً ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء. اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك فاسألك يا كافي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين

ألفتي) [1] بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى اسم المفعول أي ألفي أو مألوفي أي ما كنت آلفه، وفي بعض النسخ: ترد بها الفتن عني وهو تحريف، **(وتصلح بها ديني)** ولفظ القوت: وتقضي بها ديني، **(وتحفظ بها غائبي)** وفي بعض الروايات: وتصلح بها غائبي. والمراد بالغائب ما غاب أي باطني واصلاح الدين وحفظ الغائب بالإيمان والاخلاق المرضية والملكات الرضية، **(وترفع بها شاهدي)** أي ظاهري بالأعمال الصالحة والهيئات المطبوعة والخلال الجميلة وفيه حسن مقابلة بين الغائب والشاهد، **(وتزكي بها عملي)** أي تزيده وتنميه وتطهره من أدناس الرياء والسمعة، **(وتبيّض بها وجهي)** هكذا هو في القوت وقد سقطت هذه الجملة من بعض الروايات، **(وتلهمني بها رشدي)** أي تهدينا بها إلى ما يرضيك ويقربني إليك زلفى، وفي بعض النسخ « وتلقني » بدل « تلهمني » وهكذا هو في القوت، **(وتعصمني)** أي تحفظني وتمنعني **(بها من كل سوء)** أي تصرفني عنه وتصرفه عني، **(اللهم اعطني إيماناً صادقاً)** هكذا هو في القوت وقد سقطت هذه الجملة من بعض الروايات، **(و)** إنما فيها اللهم اعطني **(يقيناً ليس بعده كفر)** أي جحد لدينك، فإن القلب إذا تمكن منه نور اليقين إنزاحت عنه ظلمات الشكوك واضمحلت منه غيوم الريب، **(ورحمة)** أي عظيمة جداً **(أنال بها شرف كرامتك)** أي إكرامك **(في الدنيا والآخرة)** هكذا هو في القوت، وفي بعض الروايات شرف الدنيا والآخرة أي علو القدر فيهما. **(اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء)** وفي رواية: الصبر عند القضاء، وفي رواية العفو، وفي أخرى الفوز في القضاء أي الفوز باللطف فيه **(ومنازل الشهداء)** وفي رواية: نزل الشهداء **(وعيش السعداء)** وهم الفائزون بالسعادة الأخروية **(والنصر على الاعداء)** الدينية أي الظفر بهم **(ومرافقة الأنبياء)** وسقطت هذه الجملة من بعض الروايات. **(اللهم إني أنزل)** بالضم **(بك حاجتي)** أي أسألك قضاء ما أحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة **(وإن ضعف رأيي)** أي عن إدراك ما هو الأنجح **(وقصر عملي)** أي عن بلوغ مراتب الكمال وقصر بالتشديد بمعنى عجز، وفي رواية وإن قصر رأيي وضعف عملي **(وافتقرت إلى رحمتك)** هكذا في النسخ باثبات واو العطف، ومثله في القوت والرواية باسقاطها. والمعنى احتجت في بلوغ ذلك إلى شمولي برحمتك التي وسعت كل شيء **(فأسألك)** أي فبسبب ضعفي وافتقاري أطلب منك **(يا قاضي الأمور)** أي حاكمها ومحكمها، وفي بعض النسخ يا كافي الأمور **(وشافي الصدور)** يعني القلوب التي في الصدور من أمراضها التي إن توالت عليها أهلكتها هلاك الأبد **(كما تجير)** أي

---

(١) هكذا بالأصل المشروح وفي المتن « وترد بها الفتن عني ».

البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور . اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك فإني أرغب إليك فيه وأسألكه يا رب العالمين. اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حرباً لأعدائك وسلماً لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا

كما تفصل وتحجز **(بين البحور)** من اختلاط أحدهما بالآخر مع الاتصال وتكفه من البغي عليه مع الالتصاق **(أن تجيرني من عذاب السعير)** بأن تحجزه عني **(ومن دعوة الثبور)** أي النداء بالهلاك **(ومن فتنة القبور)** بان ترزقني الثبات عند سؤال منكر ونكير قال ذلك اظهاراً لكمال العبودية واخباتاً له وتواضعاً لما ثبت من الخارج عصمة الأنبياء من كل ما ذكره، **(اللهم ما قصر عنه رأيي)** أي اجتهادي في تدبيري **(وضعف عنه عملي)** هكذا في القوت وسقطت من بعض الروايات **(ولم تبلغه نيتي)** أي تصحيحها في ذلك الشيء المطلوب **(وأمنيتي)** هكذا في النسخ ومثله في القوت، وفي رواية ولم تبلغه مسألتي **(من)** كل **(خير وعدته أحداً من عبادك)** هكذا في رواية البيهقي ومثله في القوت، وفي بعض الروايات « من خلقك » بدل « من عبادك » والإضافة للتشريف **(أو خير)** معطوف على ما قبله، وفي رواية أو خيراً بالنصب **(أنت معطيه أحداً من خلقك)** أي من غير سابقة وعدله بخصوصه فلا يعد بما قبله تكراراً كما قد يتوهم، وفي رواية « من عبادك » بدل « من خلقك » **(فإني أرغب)** أي أطلب منك بجد واجتهاد **(إليك فيه)** أي في حصوله منك لي **(وأسألك)** كذا باثبات الضمير في القوت وسائر نسخ الكتاب، وفي رواية من غير الضمير أي وأسألك زيادة على ذلك، وفي رواية بعد هذا من رحمتك **(يا رب العالمين)** ذكره تتميماً لكمال الاستعطاف والابتهال، وفي بعض الروايات بحذف حرف النداء. **(اللهم اجعلنا هادين)** أي دالين للخلق على ما يوصلهم للحق **(مهتدين)** إلى إصابة الصواب في القول والعمل، وفي نسخة مهديين وإنما قدم الأولى على الثانية مع أن من لا يكون مهدياً في نفسه كيف يكون هادياً لغيره إشارة إلى أن الهادي نفعه متعد إلى الغير فبهذا النظر استحق التقديم **(غير ضالين)** عن الحق **(ولا مضلين)** لأحد من خلقك **(حرباً لأعدائك)** أي أعداء الدين أي ذا حرب لهم، وفي رواية عدواً بدل حرباً **(وسلماً)** بكسر السين وسكون اللام أي صلحاً **(لأوليائك)** الذين هم حزبك المفلحون **(نحب بحبك)** أي بسبب حبنا لك **(من أطاعك من الناس)** وفي بعض النسخ نحب بحبك الناس وهكذا هو في القوت، وعند البيهقي **(ونعادي بعداوتك)** أي بسبب عداوتك **(من خالفك)** أي خالف أمرك **(من خلقك. اللهم هذا الدعاء)** أي هذا ما أمكننا من الدعاء قد أتينا به ولم نأل جهداً **(وعليك الإجابة)** فضلاً منك لا وجوباً، وقد قلت في كتابك العزيز ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر : ٦٠] فها نحن قد دعوناك فاستجب لنا **(وهذا الجهد)** بضم الجيم وفتحها أي الوسع والطاقة **(وعليك التكلان)**

قوّة إلا بالله العلي العظيم. ذي الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد. سبحان الذي لبس العز وقال به، سبحان الذي تعطف بالمجد

بالضم أي الاعتماد والتوكل في سائر الأحوال، **(وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم)**، ومن قوله: اللهم اجعلنا هادين إلى هنا سقط في بعض الروايات وفي بعضها تقديم وتأخير **(ذي الحبل الشديد)** هكذا في نسخ الكتاب على أنه بدل من اسم الله عز وجل، وفي القوت ذا الحبل على تقدير يا ذا الحبل، والرواية المشهورة بعد قوله رب العالمين: اللهم ياذا الحبل الشديد، واختلفوا في ضبط هذا اللفظ فقال ابن الأثير: يرويه المحدثون بموحدة، والمراد القرآن أو الدين أو السبب، ومنه اعتصموا بحبل الله وصفه بالشدة لأنها من صفات الحبال والشدة في الدين الثبات والاستقامة. وصوّب الأزهري كونه بالياء التحتية وهو القوة، واقتصر عليه الزمخشري جازماً حيث قال: الحيل هو الحول أبدل واوه ياء، وروى الكسائي لا حيل ولا قوة إلا بالله، والمعنى ذا الكيد والمكر الشديد، وقيل: ذا القوّة لأن أصل الحول الحركة والاستطاعة **(والأمر الرشيد)** أي السديد الموافق لغاية الصواب. **(أسألك الأمن)** من الفزع والأهوال **(يوم الوعيد)** أي يوم القيامة **(والجنة)** أي وأسألك الفوز بها **(يوم الخلود)** أي يوم إدخالك عبادك دار الخلود أي خلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار، وذلك بعد فصل القضاء وانتهاء الأمر **(مع المقربين)** أي إلى الحضرات القدسية **(الشهود)** أي المقربين إلى ربهم المشاهدين لكمال جلاله **(الركع السجود)** أي المكثرين للركوع والسجود **(الموفين بالعهود)** وفي القوت بزيادة واو العطف أي بما عاهدوا عليه الحق والخلق **(إنك رحيم)** أي موصوف بكمال الإحسان بدقائق النعم **(ودود)** أي شديد الحب لمن والاك **(وأنت تفعل ما تريد)** هكذا هو في القوت، وعند البيهقي وعند غيرهما: وإنك تفعل ما تريد أي فتعطي من تشاء مسؤله وإن عظم لا مانع لما أعطيت **(سبحان الذي تعطف بالعز)** وفي رواية للسهيلي في الروض: لبس العز، ومعنى تعطف أي تردى. قال الزمخشري: العطاف والمعطف كالرداء والمرد أو اعتطفه وتعطفه كارتداه وترداه وسمي الرداء عطافاً لوقوعه على عطفي الرجل وهما ناحيتا عنقه أي اتصف بأنه يغلب كل شيء ولا يغالبه شيء لأن العزة هي الغلبة على كلية الظاهر والباطن، وهذا من المجاز الحكمي نحو نهاره صائم، والمراد وصف الرجل بالصوم ووصف الله بالعز ومثله قوله:

يجر رياط الحمد في دار قومه

أي هو محمود في قومه. **(وقال به)** أي غلب به على كل عزيز وملك عليه أمره من القيل وهو الملك الذي ينفذ قوله فيما يريد اهـ.

وفي الروض للسهيلي: قد صرفوا من القيل فعلاً فقالوا قال علينا فلان أي ملك، والقيالة الإمارة، ومنه قوله: سبحان الذي لبس العز وقال به. أي ملك به وقهر. هكذا فسره الهروي في الغريبين اهـ.

وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلاَّ له. سبحان ذي الفضل والنعم. سبحان ذي العزة والكرم. سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه، اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ونوراً في قبري ونوراً في سمعي ونوراً في بصري ونوراً في شعري ونوراً في بشري ونوراً في لحمي ونوراً في دمي ونوراً في عظامي ونوراً من بين يدي ونوراً من خلفي ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي. اللهم زدني نوراً وأعطني نوراً واجعل لي نوراً».

وبه يعرف أن من فسره كصاحب النهاية وغيره بمعنى أحبه واختص به غير جيد. **(سبحان الذي لبس المجد)** أي ارتدى بالعظمة والكبرياء والشرف والكمال، وأصل المجد كرم الفعال ولذلك حسن تعقيبه بقوله: **(وتكرم به)** أي أفضل وأنعم به على عباده، **(سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلاَّ له)** أي لا ينبغي التنزيه المطلق إلا لجلاله. **(سبحان ذي الفضل والنعم. سبحان ذي القدرة والكرم)** هكذا هو في القوت، وفي رواية ذي المجد والكرم، وفي أخرى ذي العز والكرم. وزاد البيهقي بعد هذا: **(سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه)** كذا في القوت، ولفظ البيهقي علمه، وزاد البيهقي بعده سبحان ذي المن سبحان ذي الطول سبحان ذي الجلال والاكرام. **(اللهم اجعل لي نوراً)** التنوين للتعظيم أي نوراً عظيماً **(في قلبي)** وقدم القلب لأنه مقر للتفكر في آلاء الله ومصنوعاته والنور يتبين به الشيء. **(ونوراً في قبري)** استضيء به ظلمة اللحد، **(ونوراً في سمعي)** لأنه محل السماع لآياتك، **(ونوراً في بصري)** لانه محل النظر إلى مصنوعاتك فبزيادته فيهما تزداد المعارف، **(ونوراً في شعري ونوراً في بشري)** أي ظاهر جلدي، **(ونوراً في لحمي)** الظاهر والباطن، **(ونوراً في دمي ونوراً في عظامي ونوراً بين يدي)** أي يسعى أمامي **(ونوراً من خلفي)** أي من ورائي ليتبعني أتباعي وتقتدي به أشياعي، **(ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي)** أي اجعل النور يحفني من الجهات الست، ونص على هؤلاء لأن اللعين يأتي الناس في هذه الأعضاء من تلك الجهات فيوسوسهم وسوسة مشوبة بظلمة فدعا باثبات النور فيها. **(اللهم زدني نوراً وأعطني نوراً واجعل لي نوراً)**» هكذا هو في القوت، وفي رواية: اللهم عظم لي نوراً واعطني نوراً واجعل لي نوراً، وفي رواية أخرى بدل الجملة الأخيرة واجعلني نوراً. وفي قوله: اعطني نوراً عطف عام على خاص أي اجعل لي نوراً شاملاً للأنوار السابقة وغيرها. وهذا دعاء بدوام ذلك لأنه حاصل له وهو تعليم لأمته.

قال القاضي: معنى طلب النور للأعضاء أن تتحلى بأنوار المعرفة والطاعة وتعرى عن ظلم الجهالة والمعاصي، وطلب الهداية للنهج القويم والصراط المستقيم، وأن يكون جميع ما تعرض له سبباً لمزيد

....

علمه وظهور أمره، وأن يحيط به يوم القيامة فيسعى خلال النور كما قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [التحريم: ٨] ثم لما دعا أن يجعل لكل عضو من أعضائه نوراً يهتدي به إلى كماله وأن يحيط به من جميع الجوانب فلا يخفى عليه شيء ولا ينسد عليه طريق. دعا أن يجعل له نوراً يستضيء به الناس ويهتدون إلى سبيل معاشهم ومعادهم في الدنيا والآخرة اهـ.

وقال الشيخ الأكبر قدس سره: دعا أن يجعل النور في كل عضو وكل عضو فله دعوى بما خلقه الله عليه من القوّة التي ركبها فيه وفطره عليها، ولما علم ﷺ ذلك دعا أن يجعل الله فيه علماً وهدى منفر الظلمة دعوى كل مدع من عالمه هذا ربط هذا الدعاء وآخر ما قال اجعلني نوراً يقول اجعلني نوراً يهتدي به كل من رآني من ظلمات بر وبحر فأعطاه القرآن وأعطانا الفهم فيه، وهذه منحة من أعلى المنح في رتبة هي أسنى المراتب اهـ.

وقال في كتاب الشريعة: دعا بالنور في كل عضو، ثم قال: اجعلني نوراً يقول اجعلني هدى يهتدي به كل من رآني فإنه من أسنى المراتب، ومعناه غيبني عني وكن أنت بوجودي فأرى كل شيء ببصرك وأسمع كل شيء بسمعك، وهكذا جميع ما فصله ولكن بنور يقع به التمييز بين الأنوار حتى يعرف نور اليمين من نور الشمال، وهكذا سائر الأنوار. ثم أقمني في عين الجمع فتتحد الأنوار بوحدانية العين، فإن لم أكن هنالك فبجعلك إياي نوراً كلياً وإن كنت هناك فبجعلك لي نوراً نهتدي به في ظلمات كوني.

تنبيه:

قال العراقي: الحديث بطوله رواه الترمذي وقال غريب، ولم يذكر في أوّله بعث العباس لابنه عبدالله ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني اهـ.

قلت: وأورده بطوله صاحب القوت فقال: رواه ابن ليلى عن داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس اهـ.

وبسياق المصنف رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة، والبيهقي في كتاب الدعوات، كلهم من طريق داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده، وداود هذا عم المنصور ولي المدينة والكوفة للسفاح حدث عنه الكبار كالثوري والاوزاعي،ووثقّه ابن حبان وغيره.وقال ابن معين: أرجو أنه لا يكذب إنما يحدث بحديث واحد. كذا روى عثمان بن سعيد عنه، وأورده ابن عدي في الكامل وساق له بضعة عشر حديثاً، ثم قال: عندي لا بأس برواياته عن أبيه عن جده، واحتج به مسلم وخرج له الأربعة.

دعاء عائشة رضي الله عنها:

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: « عليك بالجوامع الكوامل. قولي: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين ».

دعاء عائشة رضي الله عنها:

وانما نسب إليها لكون النبي ﷺ علمها إياه.

(قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: « عليك بالجوامع الكوامل) أي بالدعاء الجامع لسائر معاني الأدعية. **(قولي: اللهم إني)** أسألك الصلاة على محمد وعلى آل محمد، و**(أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك)** وفي رواية من خير ما سألك **(عبدك ورسولك محمد ﷺ)** وفي رواية عبدك ونبيك، **(واستعيذك مما استعاذك منه)** وفي رواية: وأعوذ بك من شرّ ما عاذ به **(عبدك ورسولك محمد ﷺ)** وفي رواية عبدك ونبيك، **(وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين »)** وفي رواية: وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً تبع المصنف في سياقه صاحب القوت إلا في الصلاة في أوّله، فقد ذكره صاحب القوت كما ذكرناه.

قال الحليمي في المنهاج: هذا من جوامع الدعاء التي استحب الشارع الدعاء بها لأنه إذا دعا بها فقد سأل الله من كل شيء وتعوّذ به من كل شر، ولو اقتصر الداعي على طلب حسنة بعينها أو دفع سيئة بعينها كان قد قصر في النظر لنفسه اهـ.

وقال الراغب: فيه تنبيه على أن حق العاقل أن يرغب إلى الله تعالى أن يعطيه من الخيور ما فيه مصلحة، وأن يبذل جهده مستعيناً بالله في اكتساب ماله كسبه في كل حال وفي كل زمان ومكان. قال: والخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله وهو الذي يتشوّقه كل عاقل اهـ.

وقال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديثها اهـ.

قلت: وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في المسند، وابن عساكر في التاريخ.

دعاء فاطمة رضي الله عنها:

قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي: يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله».

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

علّم رسول الله ﷺ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه أن يقول: «اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين، وبكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته، وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى ﷺ، وأسألك باسمك الذي بثث به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت، وأسألك باسمك الذي وضعته

دعاء فاطمة رضي الله عنها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **(قال رسول الله ﷺ: « يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله)** هكذا ساقه في القوت.

قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عدي في الكامل، والبيهقي في السنن، وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثني الحسن بن الصباح: حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني عثمان بن موهب قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها فساقه مثله.

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

علّم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه **(أن يقول « اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك)** وفي بعض النسخ روحك وكلمتك، **(وبتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ، وبكل وحي أوحيته)** إلى رسلك وأنبيائك **(أو قضاء قضيته)** في خلقك **(أو سائل أعطيته)** ما سأل **(أو غني أقنيته)** أي جعلته صاحب قنية **(أو فقير أغنيته)** من فقره **(أو ضال هديته)** إلى الصراط المستقيم، **(وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى عليه السلام، وأسألك باسمك الذي ثبت)** ولفظ القوت قسمت **(به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت)** عن الاضطراب، **(وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات**

على السموات فاستقلت، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك، وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم ان ترزقني القرآن والعلم به، وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري، وتستعمل به جسدي بحولك وقوّتك، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين».

فاستقلت) أي حلت، **(وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فأرست)** وفي نسخة: فرست، **(وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك)** أي حل، **(وأسألك باسمك الطهر الطاهر)** الأوّل وصف على المبالغة **(الأحد الصمد الوتر المبارك المنزل في كتابك من لدنك)** أي من عندك **(من النور المبين)** أي الظاهر، **(وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار)** أي أضاء **(وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنورِ وجهك الكريم أن)** تصلي على محمد وآله وأن **(ترزقني القرآن)** أي جمعه في صدري **(والعلم به)** أي الفهم بمعانيه، **(وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري، وتستعمل به جسدي بحولك وقوّتك فإنه لا حول ولا قوّة إلا بك يا أرحم الراحمين»)** هكذا ساقه صاحب القوت بطوله.

وقال العراقي رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة أن أبا بكر أتى النبي ﷺ فقال: إني أتعلم القرآن وينفلت مني فذكره، وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر اهـ.

قلت: وقد روي في دعاء أبي بكر رضي الله عنه غير ما أورده المصنف.

فمن ذلك ما رواه الترمذي وقال: حسن غريب من حديث عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم».

وروى ابن أبي شيبة وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وأبو عوانة وابن حبان والدارقطني في الافراد عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

وروى أحمد وابن منيع والشاشي وأبو يعلى وابن السني في اليوم والليلة والضياء عن أبي بكر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت واذا أخذت مضجعي من الليل «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء ومليكه

دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه:

روي أنه قال له رسول الله ﷺ : « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبداً ؟ قال: فقلت، بلى يا رسول الله. قال: قل اللهم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي. اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فاعزني وإني فقير فأغنني يا أرحم الراحمين ».

دعاء قبيصة بن المخارق:

إذ قال لرسول الله ﷺ : علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبر سني

أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم ».

(**دعاء بريدة) بن الحصيب (الاسلمي)** رضي الله عنه شهد خيبر ونزل مرو، وبها أولاده.

(**روي أنه قال له رسول الله ﷺ : « يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله عز وجل به خيراً أعلمهن إياه)** بأن ألهمه إياها أو سخر له من يعلمه ذلك (**ثم لم ينسه إياهن)** ولفظ القوت: ثم لم ينسهن إياه (**أبداً ؟ قال: قلت بلى يا رسول الله)** صلى الله عليك. (**قال: قل اللهم إني ضعيف)** أي عاجز يقال ضعف عن الشيء عجز عن احتماله (**فقوِّ في رضاك ضعفي)** وفي رواية برضاك، والمعنى اجبره به والضعف بالفتح والضم (**وخذ إلى الخير بناصيتي)** أي جرني إليه (**واجعل الإسلام منتهى رضائي)** أي غايته وأقصاه، ووجد هنا في بضع النسخ زيادة وبلغني برحمتك الذي أرجو من رحمتك، واجعل لي ودّا في صدور الذين آمنوا وعهداً عندك. (**اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل)** أي مستهان عند الناس (**فأعزني وإني فقير فأغنني »)** وفي رواية فارزقني، وقد اقتصر صاحب القوت على هذه الجملة الأخيرة وقال في آخره « برحمتك يا أرحم الراحمين » وقال العراقي: رواه الحاكم من حديث بريدة وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلى، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن عمرو، وفي الإسناد أبو داود الأعمى وهو متروك ولفظهم: « ألا أعلمك كلمات من يرد الله به خيراً يعلمهن إياه ثم لا ينسيه أبداً قل: اللهم إني ضعيف فقوِّ برضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضائي. اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فارزقني ».

(**دعاء قبيصة بن المخارق) الهلالي رضي الله عنه:** له صحبة. روى عنه أبو قلابة وأبو عثمان النهدي وعدة.

(**إذ قال لرسول الله ﷺ : علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها)** وأوجز (**فقد كبرت**

وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها. فقال عليه السلام: «أما لدنياك فإذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج. وأما لآخرتك فقل: اللهم اهدني من عندك وافضِ عليّ من فضلك وانشر علي من رحمتك وأنزل عليّ من بركاتك، ثم قال ﷺ: أما أنه إذا وفى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء».

سني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها. فقال له رسول الله ﷺ: «أما لدنياك فإذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم] فإنك إذا قلتهن أمنت) باذن الله **(من الغم)** كذا في النسخ، وفي رواية من العمى **(والجذام والبرص والفالج. وأما لأخرتك فقل: اللهم)** صلّ على محمد وعلى آله و**(اهدني من عندك وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك)**. وفي رواية: وألبسني أثواب عافيتك، **(ثم قال ﷺ: أما إنه إذا وافى بهن عبد يوم القيامة ولم يدعهن)** أي لم يتركهن **(فتح له أربعة أبواب من الجنة»)**. إذ هي أربع كلمات يفتح له بكل كلمة باب من الجنة وفي بعض النسخ زيادة **(يدخل بها من أيها شاء)**.

قال العراقي رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس، وهو عند أحمد مختصراً من حديث قبيصة وفيه رجل لم يسم اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير، وفي كتاب الدعوات مختصراً من حديث ابن عباس والطبراني أيضاً، وابن شاهين من حديث قبيصة ولفظهم: «يا قبيصة قل ثلاث مرات إذا صليت الغداة» وفيه «فإنك إذا قلت ذلك أمنت بإذن الله من العمى والجذام والبرص، وقل اللهم اهدني من عندك» إلى قوله «من بركاتك».

وفي كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن حاتم، عن زافر بن سليمان، عن بكر بن خنيس، عن نافع، عن عطاء، عن ابن عباس أن رجلاً من بني هلال يدعى قبيصة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كبرت سني ودق عظمي وضعفت عن عمل كنت أعمله من حج أو جهاد أو صوم فجئتك لتعلمني كلمات ينفعني الله بهن في الدنيا والآخرة فقال: «ما قلت يا قبيصة؟ فأعاد. قال: والذي بعثني بالحق ما حولك من شجر ولا مدر إلا وقد بكى لمقالتك هات حاجتك. قال: جئتك لتعلمني كلمات ينفعني الله بهن في الدنيا والآخرة قال: أما الدنيا فقل سبحان الله العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله يصرف عنك ثلاث بلايا عظام من الجنون والجذام والبرص، وأما لآخرتك فقل إذا أصبحت اللهم اهدنا من عندك وأفض علينا من فضلك وانشر علينا رحمتك وأنزل علينا بركاتك» قال: فقبض على أصابعه هكذا. فقال أبو بكر: يا رسول الله قد قبض على أصابعه. قال «لئن وافى بهن يوم القيامة لتفتحن عليه أبواب الجنة يدخل من أيها شاء».

دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه:

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته، فقال: ما كان الله ليفعل ذلك، فقيل له ذلك ثلاثاً وهو يقول: ما كان الله ليفعل ذلك، ثم أتاه آت فقال: يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت، قال: قد علمت ذلك. فقيل له: ما ندري أي قوليك أعجب؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ قال :من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي: « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. أعلم أن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ».

دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه:

(قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: أدرك دارك وكانت النار وقعت في محلته، فقال: ما كان الله ليفعل ذلك، ثم اتاه آت فقال له ذلك ثلاثاً كل ذلك يقول ما كان الله ليفعل ذلك، ثم أتاه آت فقال له: إن النار لما دنت من دارك طفئت. قال: قد علمت. فقيل له: ما ندري أي قوليك أعجب؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن) اليوم فأنا على يقين من عدم اصابة الضرر لي، **(وهي هذه: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. ما شاء الله)** عز وجل ربي **(كان وما لم يشأ لم يكن. اعلم أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم »)** هكذا أورده صاحب القوت فقال: روي عن عمر بن عبد العزيز، عن محمد بن عبيد الله قال: أتى أبو الدرداء فقيل له: احترقت دارك. فقال: ما كان الله عز وجل ليفعل فساقه.

وقال العراقي: رواه الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه ابن السني في عمل يوم وليلة من حديثه « من قال حين يصبح ربي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، أعوذ بالذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه ».

دعاء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام:

كان يقول اذا أصبح: اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم. قال: ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه.

دعاء عيسى ﷺ:

كان يقول: اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهناً بعملي فلا فقير أفقر مني. اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا تسلط علي من لا يرحمني يا حي يا قيوم.

دعاء سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ:

يروى أنه (**كان يقول إذا أصبح: اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها**) أي أنمها (**وضعفها لي، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم. قيل: من دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدّى شكر يومه**)، وكذلك إذا أمسى ودعا فقد أدى شكر ليلته. نقله صاحب القوت، وقال: وروينا في الأخبار أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يقول: الخ.

(**دعاء**) سيدنا (**عيسى عليه السلام**):

يروى عن معمر عن جعفر بن برقان أن عيسى عليه السلام (**كان يقول**) في دعائه، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء، عن الفضل، عن زياد، عن عباد بن عمران، عن جرير بن حازم قال: كان عيسى عليه السلام يقول: (**اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره**) أي لنفسي (**ولا أملك نفع ما أرجو**) نفعه لنفسي (**وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهناً بعملي**) أي كهيئة المرتهن (**فلا فقير**) في الدنيا (**أفقر مني. اللهم لا تشمت بي عدوي**) أي لا تفرحه في (**ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني**) أي لا تصبني بما ينقص ديني من فترة في عبادة وغيرها، (**ولا تجعل الدنيا أكبر همي**) فإن ذلك سبب للهلاك، (**ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني**) أي لا تجعل الظالم علي حاكماً أو المراد من لا يرحمني من ملائكة العذاب والقصد بذلك التشريع للأمة. هكذا أورده صاحب القوت، وقد جاء عند الترمذي والحاكم من حديث ابن

دعاء الخضر عليه السلام:

يقال: إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات: « بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ما شاء الله كل نعمة من الله. ما شاء الله الخير كله بيد الله. ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله » فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى.

عمر في آخره: وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا. قال ابن عمر: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات.

دعاء الخضر عليه السلام):)

(يقال): وفي القوت: روينا عن عطاء عن ابن عباس **(أن الخضر والياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم)** أي من مواسم الحج **(لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات: « بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ما شاء الله كل نعمة فمن الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله »)** هكذا ساقه في القوت وهو في فوائد أبي إسحاق المزكّي تخريج الدارقطني قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا محمد بن أحمد بن ربوة، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا الحسن بن رزين، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس لا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: يلتقي فساقه. قال الدارقطني في الإفراد، لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن ابن رزين، وقال العقيلي: لم يتابع عليه وهو مجهول وحديثه غير محفوظ، وقال أبو الحسين المناوي: وهو واهٍ بالحسن المذكور. قال الحافظ: وقد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جداً أخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمار، حدثنا محمد بن مهدي بن هلال، حدثني ابن جريج فذكره بلفظ يجمع البري والبحري إلياس والخضر عليهما السلام كل عام بمكة. قال ابن عباس: بلغنا إنه يحلق كل منهما رأس صاحبه ويقول أحدهما للآخر: قل بسم الله الخ. وأخرجه أبو ذر الهروي في مناسكه عن ابن عباس بلفظ: يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، **(فمن قالها ثلاثاً إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق)** هكذا هو لفظ القوت، ولفظ أبي ذر: فمن قالها حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات عوفي من السرق والحرق والغرق. قال: وأحسبه من السلطان والشيطان والحية والعقرب.

وأخرجه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن عن ابن عباس وقال لا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال « يلتقي الخضر والياس » فساقه كسياق أبي ذر، وفيه قال ابن عباس: من قالهن حين

دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه:

قال محمد بن حسان: قال لي معروف الكرخي رحمه الله: ألا أعلمك عشر كلمات

يصبح ويمسي ثلاث مرات آمنه الله من الحرق والغرق والشرق. قال عطاء، وأحسبه ومن السلطان والشيطان والحية والعقرب.

وأخرجه أيضاً عن علي رضي الله عنه قال: « يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام فيقول جبريل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرد عليه ميكائيل فيقول: ما شاء الله كل نعمة من الله، فيرد عليهما إسرافيل فيقول: ما شاء الله الخير كله بيد الله فيرد عليهم الخضر فيقول: ما شاء الله لا يرفع السوء إلا الله » ثم يفترقون فلا يجتمعون إلى قابل في مثل ذلك اليوم.

وأخرج أيضاً عن داود بن يحيى مولى عوف الطفاوي عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس بعسقلان قال: بينا أنا أسير في وادي الأردن إذا أنا برجل من ناحية الوادي قائم يصلي، فإذا سحابة تظله من الشمس فوقع في قلبي أنه إلياس النبي عليه السلام، فأتيت فسلمت عليه فانفتل من صلاته فرد علي السلام، فقلت له: من أنت يرحمك الله، فلم يرد علي شيئاً فأعدت القول مرتين فقال: أنا إلياس النبي فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلي أن يذهب قلت له: إن رأيت رحمك الله أن تدعو لي أن يذهب عني ما أجد حتى أفهم حديثك فدعا لي بثمان دعوات قال: يا بر يا رحيم يا حي يا قيوم يا حنان يا منان يا اهيا شر اهيا فذهب عني ما كنت أجد، فقلت له: إلى من بعثت؟ فقال: الى أهل بعلبك. قلت: فهل يوحى إليك اليوم؟ قال: منذ بعث محمد ﷺ خاتم النبيين فلا قلت: فكم من الأنبياء في الحياة؟ قال: أربعة أنا والخضر في الأرض وإدريس وعيسى في السماء. قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم في كل عام بعرفات يأخذ من شعري وآخذ من شعره.

تنبيه:

قول المصنف من الحرق بسكون الراء أن يحرق هو أو متاعه في بر أو بحر، والغرق محركة أن يغرق هو أو ماله في بر أو بحر، والسرق: محركة اسم بمعنى السرقة أن يسرق متاعه في بر أو بحر، وفي نسخة الشرق: بالشين المعجمة بمعنى الحزن والغصة، والأول هو المشهور.

(دعاء معروف)

بن فيروز **(الكرخي):** أبي محفوظ من رجال الحلية والرسالة **(رحمه الله تعالى). قال** صاحب القوت: وحدثونا عن يعقوب بن عبد الرحمن الدعاء.

(قال) سمعت **(محمد بن حسان)** بن فيروز البغدادي الأزرق من رجال ابن ماجه. روى عن

خمس للدنيا وخمس للآخرة؟ من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن؟ قلت: اكتبها لي. قال: لا، ولكن أرددها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس رحمه الله. حسبي الله لديني، حسبي الله لدنياي، حسبي الله الكريم لما أهمني، حسبي الله الحليم القوي لمن بغى عليَّ، حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء، حسبي الله الرحيم عند الموت، حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القدير عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. وقد روي عن أبي الدرداء أنه قال: «من قال في كل يوم سبع مرات: ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٩] كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقاً كان أو كاذباً».

ابن عيينة وجماعة. وعنه ابن ماجه والمحاملي وخلق وثقوه. مات سنة ٢٥٧. **(قال لي معروف الكرخي رحمه الله تعالى: ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة، من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن؟ قلت: أكتبها. قال: لا، ولكن أرددها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس)** الكوفي العابد من رجال الترمذي وابن ماجه. روى عن ثابت ويزيد الرقاشي وجماعة. وعنه آدم وطالوت وعدة. وخنيس بضم الخاء المعجمة وفتح النون وسكون التحتية وآخره سين مهملة ووقع في بعض النسخ هنا حسين وهو غلط **(حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي، حسبي الله الكريم لما أهمني، حسبي الله الحليم القوي لمن بغى عليَّ، حسبي الله الرشيد لمن كادني بسوء، حسبي الله الرحيم عند الموت، حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القوي عند الصراط، حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)**، هكذا في نسخ الكتاب وفي بعضها موافقاً لما في القوت بعد قوله: لمن كادني بسوء، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القدير عند الصراط، حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

قلت: وهذا الدعاء قد رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث بريدة بن الحصين رضي الله عنه مرفوعاً «من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مكفياً مجزياً خمس للدنيا وخمس للآخرة، حسبي الله لديني، حسبي الله لما أهمني، حسبي الله لمن بغى عليَّ، حسبي الله لمن حسدني، حسبي الله لمن كادني بسوء، حسبي الله عند الموت، حسبي الله عند المسألة في القبر، حسبي الله عند الميزان، حسبي الله عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب».

دعاء عتبة الغلام:

وقد رؤي في المنام بعد موته فقال: دخلت الجنة بهذه الكلمات: اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين.

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام:

قالت عائشة رضي الله عنها: لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم ﷺ طاف

(دعاء عتبة الغلام رحمه الله تعالى::

هو أبو عبد الله عتبة بن أبان بن صمعة وإنما لقب بالغلام لأنه كان غلام رهان ترجه أبو نعيم في الحلية.

(وقد رؤي في المنام بعد موته فقال: دخلت الجنة بهذه الكلمات) هكذا في القوت، وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا أبو زرعة، حدثنا هرون، حدثنا سيار قال: حدثني قدامة بن أيوب العتكي، وكان من أصحاب عتبة الغلام قال: رأيت عتبة في المنام فقلت له: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: يا قدامة دخلت الجنة بتلك المكتوبة في بيتك. قال: فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب: **(اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين إرحم عبدك ذا الخطر العظيم)** هكذا هو نص القوت، ونص الحلية، ذا الخطر اليسير والذنب العظيم **(والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين)** هكذا ساقه صاحب القوت وصاحب الحلية، وقوله: يا هادي المضلين هو بالضاد المعجمة على المشهور فيه.

وذكر شيخ مشايخنا مصطفى بن فتح الله الحموي في تاريخه الذي ذكر فيه علماء القرن الحادي عشر في ترجمة صدقة بن سليمان بن صدقة الشافعي المنيباري: إن من اختياراته أن الصواب في قول الناس في الدعاء: يا هادي المضلين أن يقال بالصاد المهملة أو يقال بالمعجمة إلا أنه على البناء للمفعول وألف في ذلك رسالة اهـ.

قلت: أضل يتعدى ولا يتعدى. يقال: أضل الرجل إذا صار حائراً لا يهتدي ولا يناسب ضبطه على البناء للمفعول إلا إذا أريد به المتعدي وهذا ظاهر لا يخفى.

(دعاء آدم عليه السلام): صفي الدين أبي البشر.

(قالت عائشة) رضي الله عنها فيما رواه أبو طالب المكي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها قالت: **(لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعاً)** أي سبعة أشواط، **(وهو)** أي البيت **(يومئذ ليس بمبنى بل ربوة حمراء)** أي أكمة مرتفعة، **(ثم**

بالبيت سبعاً وهو يومئذ ليس بمبنى بل ربوة حمراء ، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال : « اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي . اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته عليَّ والرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال والإكرام » فأوحى الله عز وجل إليه أني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها .

قام فصلى ركعتين) أي بعدما فرغ من الطواف ، **(ثم قال : « اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي)** أي ما أخفيه وما أعلنه **(فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي ، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي)** أي يلابسه ، فإن الإيمان إذا تعلق بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً ، وإذا بطن الإيمان سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها **(ويقيناً صادقاً حتى أعلم)** أي أجزم **(أنه لن يصيبني إلا ما كتبت عليَّ)** أي قدرته عليَّ في العلم القديم الأزلي أو في اللوح المحفوظ ، وفي القوت : إلا ما كتبت لي **(ورضني بما قسمت لي »)** من الأزل فلا أتسخطه ولا أستقله ، فإن من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط . زاد صاحب القوت هنا « يا ذا الجلال والإكرام » ، **(فأوحى الله عز وجل إليه أني قد غفرت لك ولم يأت)** وفي القوت : ولن يأتيني **(أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له ذنوبه وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة)** أي صاغرة **(وإن كان لا يريدها) .**

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم الساكن عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : قال النبي ﷺ « لما أهبط الله عز وجل آدم طاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال : اللهم إنك » فساقه إلى آخر الدعاء ، ثم قال « فأوحى الله عز وجل يا آدم قد دعوتني دعاء استجبت لك فيه ولن يدعوني به أحد من ذريتك من بعدي إلا استجبت له وغفرت له ذنوبه وفرجت همومه واتجرت له من وراء كل تاجر ، فأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها » .

وأخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب اليقين بسنده عن عوف بن خالد قال : وجدت في بعض الكتب أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليماني ركعتين ثم قال « اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي » إلى آخر الدعاء . قال : « فأوحى الله عز وجل يا آدم أنه حق علي أن لا يلزم أحد من ذريتك هذا الدعاء إلا أعطيته ما يحب ونجيته مما يكره ونزعت أمل الدنيا والفقر من بين عينيه وملأت جوفه حكمة » .

دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رواه عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول: إني أنا الله رب العالمين. إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم. إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم. إني أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد. إني أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور. إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدىء كل شيء وإلي يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر الخالق البارىء المصورّ الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم. أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة ». وذكر قبل كل كلمة: « إني أنا الله لا إله إلا أنا » كما أوردناه في الأول. فمن دعا بهذه الأسماء فليقل:

وروى البزار بسند فيه أبو مهدي سعيد بن سنان وهو ضعيف من حديث ابن عمر رفعه « أنه ﷺ كان يقول هذه الكلمات: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي » الخ وليس فيه « ويقيناً صادقاً ».

(دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه):

قد **(رواه عن النبي ﷺ أنه قال له « إن الله عز وجل يمجد نفسه) في (كل يوم ويقول: إنني أنا الله رب العالمين، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد، إني أنا الله لا إله إلا أنا العفوّ الغفور، إني أنا الله لا إله إلا أنا بيدي كل شيء وإليّ يعود، إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الحكيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا مالك يوم الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا خالق الخير والشر، إني أنا الله لا إله إلا أنا خالق الجنة والنار، إني أنا الله لا إله إلا أنا الواحد الأحد، إني أنا الله لا إله إلا أنا الفرد الصمد، إني أنا الله لا إله إلا أنا الذي لم أتخذ صاحبة ولا ولداً، إني أنا الله لا إله إلا أنا الفرد الوتر، إني أنا الله لا إله إلا أنا عالم الغيب والشهادة، إني أنا الله لا إله إلا أنا الملك القدوس، إني أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن، إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الجبار المتكبر، إني أنا الله لا إله إلا أنا الخالق البارىء المصور، إني أنا الله لا إله إلا أنا الكبير المتعال، إني أنا الله لا إلـه إلا أنـا المقتدر القهار، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحكيم الكريم، إني أنا الله لا إله إلا أنا أهل الثناء والمجد، إني أنا الله لا إله إلا أنا أعلم السر وأخفى، إني أنا الله لا إله إلا أنا القادر الرزاق، إني أنا الله لا إله إلا أنا فوق الخلق والخليقة »)** هكذا ساقه صاحب القوت بطوله. قال: **(فمن دعا بهذه الأسماء فليقل « إنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت كذا وكذا » فمن دعا**

« إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا » فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمداً وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم في دار الجلال. وله ثواب العابدين في السموات والأرضين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى.

دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته رضي الله عنه:

بها) أي بتلك الأسماء **(كتب من الشاكرين المخبتين الذين يجاورون محمداً)**ﷺ وإبراهيم وموسى **(وعيسى والنبيين)** عليهم السلام **(في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والأرضين).** قال العراقي: هذا الدعاء بطوله لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: لكن وجدت في الحلية في ترجمة وهب بن منبه ما يقرب ذلك: حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا أحمد بن عمر والبزاز، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا أسد بن موسى عن يوسف بن زياد عن أبي الياس بن بنت وهب قال: وذكر وهب أن الله تعالى لما فرغ من جميع خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله، وذكر عظمته وجبروته وكبرياءه وسلطانه وقدرته وملكه وربوبيته فانصت كل شيء وأطرق له كل شيء خلقه فقال: أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى، وأنا الله لا إله إلا أنا ذو العرش المجيد والأمثال العلى، أنا الله لا إله إلا أنا ذو المن والطول والآلاء والكبرياء، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ومن فيهن ملأت كل شيء عظمتي وقهر كل شيء ملكي وأحاطت بكل شيء قدرتي وأحصى كل شيء علمي، ووسعت كل شيء رحمتي، وبلغ في كل شيء لطفي فساقه بطوله.

(دعاء أبي المعتمر وهو سليمان) بن طرخان **(التيمي)** البصري **(وتسبيحاته رحمه الله تعالى):** ولم يكن أبو المعتمر من بني تيم وإنما نزل فيهم، وعن ابنه المعتمر أنه قال قال لي أبي: إذا كتبت فلا تكتب التيمي ولا تكتب المري، فإن أبي كان مكاتباً لبجير بن عمران، وأن أمي كانت مولاة لبني سليم، فإن كان أدى الكتابة فالولاء لبني مرة وهو مرة بن عباد بن ضبيعة بن قيس فاكتب القيسي، وإن لم يكن أدى الكتابة فالولاء لبني سليم وهم من قيس عيلان فاكتب القيسي، قال ابن سعد: كان سليمان ثقة كثير الحديث ومن العباد المجتهدين، وكان يصلي الليل كله بوضوء العشاء، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصليان في هذا المسجد تارة وفي هذا المسجد مرة حتى يصبحا، وقال شعبة: ما رأيت أصوف منه كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغير لونه، وقال محمد بن عبد الأعلى: قال لي المعتمر بن سليمان: لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي، مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء، وقال معاذ بن معاذ: كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي توفي بالبصرة سنة ١٤٣ عن سبع وتسعين، روى له الجماعة.

روي أن يونس بن عبيد رأى رجلاً في المنام ممن قتل شهيداً ببلاد الروم فقال: ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال؟ قال: رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهي هذه: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق، وملء ما خلق وملء ما هو خالق، وملء سمواته وملء أرضه، ومثل ذلك وأضعاف ذلك، وعدد خلقه وزنة عرشه، ومنتهى رحمته ومداد كلماته، ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد، أبد الدنيا وأبد الآخرة، وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره ».

وقد (**روي**) في فضل تسبيحاته (**أن يونس بن عبيد**) بن دينار العبدي البصري أبا عبد الله مولى عبد القيس رأى إبراهيم النخعي وأنس بن مالك وسعيد بن جبير، قال أبو حاتم: ثقة وهو أكبر من سليمان التيمي ولا يبلغ التيمي منزلته، وقال هشام بن حسان: ما رأيت أحداً يطلب العلم لوجه الله عز وجل إلا يونس توفي سنة ١٣٩، وحمل سريره سليمان وعبد الله ابنا علي بن عبد الله بن عباس، وجعفر ومحمد بن سليمان بن علي على أعناقهم، فقال عبد الله بن علي: هذا والله الشرف. (**رأى رجلاً في المنام ممن قتل شهيداً ببلاد الروم فقال له: ما أفضل ما رأيت، ثم**) أي هناك (**من الأعمال**) الصالحة الباقية؟ (**قال: رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله**) عز وجل (**بمكان**) هكذا أورده صاحب القوت، وزاد فقال: وقال المعتمر بن سليمان: رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت: ما صنعت؟ قال: خيراً. فقلت: يرجو للخاطئ شيئاً؟ قال: يلتمس تسبيحات أبي المعتمر فإنها نعم الشيء (**وهي هذه: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق، وملء ما خلق وملء ما هو خالق، وملء سمواته وملء أرضيه**) بالتحريك، وحذف نون الجمع للإضافة، ويوجد في بعض النسخ بالإفراد، (**ومثل ذلك وأضعاف ذلك، وعدد خلقه وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومنتهى رحمته ومداد كلماته، ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس من أبد الآباد »**) وفي نسخة: من أبد إلى الأبد (**أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أولاه ولا ينفد أخراه »**) هذا آخر التسبيحات.

قلت: وإن زاد المريد بعدها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد مثل ذلك وأضعاف أضعاف ذلك كان حسناً.

دعاء ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه:

روى ابراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى: « مرحباً بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد. يومنا هذا يوم عيد. اكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد. أصبحت بالله مؤمناً وبلقائه مصدقاً وبحجته معترفاً ومن ذنبي مستغفراً ولربوبية الله خاضعاً ولسوى الله من الآلهة جاحداً وإلى الله فقيراً وعلى الله متكلاً وإلى الله منيباً. أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً، وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكراً ونكيراً حق ووعدك حق

(**دعاء إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته في كتاب العلم.

(**روى إبراهيم بن بشار**) الرمادي (**خادمه**) قال ابن عدي: هو من أهل الصدق، وقال ابن معين: ليس بشيء (**إنه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة إذا أصبح وإذا أمسى**)، وإنما كان يخص يوم الجمعة به لما له من الفضل والبركة على غيره من الأيام، وقال أبو نعيم في الحلية: أخبرني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشار قال: كان إبراهيم بن أدهم يقول هذا الكلام في كل جمعة إذا أصبح عشر مرات، وإذا أمسى يقول مثل ذلك: (« **مرحباً بيوم المزيد**) وإنما سمي يوم الجمعة بيوم المزيد لما تزاد فيه من البركات والفضائل، وقد تقدم في كتاب الصلاة (**والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد**) أي لأن الجمعة عيد المسلمين. (**اكتب لنا ما نقول**) فيه (**بسم الله الحميد**) أي المحمود ذاتاً وصفات (**المجيد**) أي العظيم قدراً (**الرفيع**) جلالاً (**الودود**) إلى أوليائه (**الفعال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمناً وبلقائه مصدقاً وبحجته معترفاً ومن ذنبي مستغفراً ولربوبية الله عز وجل خاضعاً**) فإنه لا رب سواه ومن أخلص له الربوبية خلصت له العبودية (**ولما سوى الله عز وجل من الآلهة جاحداً**) ولفظ الحلية ولما سوى الله عز وجل جاحداً (**وإلى الله سبحانه فقيراً**) أي محتاجاً إليه في كل الشؤون (**وعلى الله متوكلاً وإلى الله منيباً**) أي راجعاً (**أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه**) وذكرهم بعد ذكر الملائكة تخصيص ينبئ عن تشريف (**ومن خلق ومن هو خالق**)، وفي نسخة: ومن خلقه، وفي أخرى وما هو خالقه، وفي أخرى وجميع خلقه (**بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ »**) ومن قوله أشهد الله، إلى هنا أخرجه ابن عساكر عن أنس، وأن من قالها أربعاً غدوة وأربعاً عشية ثم مات دخل الجنة. (« **وأن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكراً ونكيراً حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة**

ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله. اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر. اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت. لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك وإليك استغفرك وأتوب إليك. آمنت اللهم بما أرسلت من رسول، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً خاتم كلامي ومفتاحه، وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين رب العالمين. اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا نظمأ بعده أبداً، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا

آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحي وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله) عز وجل، **(اللهم أنت ربي لا رب لي إلا أنت)** ولفظ الصحيحين من حديث شداد بن أوس لا إله إلا أنت **(خلقتني وأنا عبدك)** أي مقر لك بالعبودية المحضة على نفسي كما أقررت لك بالربوبية المطلقة، **(وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)** أي على قدر الجهد والطاقة، **(أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر)** ولفظ الصحيحين: أعوذ بك من شر ما صنعت. **(اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)**. ولفظ الصحيحين: « أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » وقد تقدم أنه من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة. **(واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت)** وهذه الجملة بتمامها سقطت من الحلية، وقد رواها الطبراني في الكبير عن أبي أمامة في أثناء حديث: **(لبيك وسعديك والخير كله بيديك إنا لك وإليك)** وفي بعض النسخ أنابك وإليك، **(أستغفرك وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول)** إلى خلقك، **(وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب)** على رسلك **(وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيراً)** ولفظ الحلية: وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم **(خاتم كلامه ومفتاحه)** وفي الحلية زيادة هذا قبل خاتم، **(وعلى أنبيائه ورسله أجمعين والحمد لله رب العالمين)** وفي الحلية زيادة « آمين » قبل رب العالمين، وهكذا في بعض نسخ الكتاب أيضاً. **(اللهم أوردنا حوضه)** أي اجعلنا من الواردين عليه **(واسقنا بكأسه)** الذي يسقيه وارديه **(مشرباً)** يطلق على الماء المشروب وهو المراد هنا، **(روياً)** فعيل بمعنى مفعل مفعل كأليم بمعنى مؤلم، **(سائغاً)** أي سهل المساغ في الحلق، **(هنيئاً)** لشاربه **(لا نظمأ بعده أبداً)**. وفي الحلية بعدها بتأنيث الضمير كأنه عائد إلى الشربة المفهومة من المشرب،

مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين. اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تضلني وإن كنت ظالماً سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بارىء يا رحيم يا عزيز يا جبار، سبحان من سبحت له السموات باكنافها، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن، سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت، سبحانك سبحانك يا حي قيوم يا عليم يا حليم، سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير.

(واحشرنا في زمرته) أي جماعته **(غير خزايا)** جمع خزيان وهو حال لازم إذ لا يحشر في زمرته ويسقى من كأسه إلا من كان على تلك الحال **(ولا ناكبين)** أي معرضين، وفي بعض بالثاء المثلثة بدل الموحدة أي ولا ناكثين عهده والنكث النقض، **(ولا مرتابين)** أي شاكين، **(ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين)** عن الصراط المستقيم. **(اللهم اعصمني)** أي احفظني **(من فتن الدنيا ووفقني)** أي استعملني **(لما تحب وترضى)** من الأعمال الصالحة والأحوال الشريفة، **(واصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت)** وهو قول لا إله إلا الله **(في الحياة الدنيا وفي الآخرة)** أي عند الموت، **(ولا تضلني)** بعد إذ هديتني **(وإن كنت ظالماً)** لنفسي. **(سبحانك سبحانك)** مرتين هكذا في الحلية **(يا علي يا عظيم يا رب يا بر يا رحيم يا عزيز يا جبار)** وفي بعض النسخ بعد قوله: وفي الآخرة ولا تفضحني يا علي يا عظيم يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار، ولفظ الحلية بعد يا عظيم: يا بار يا حكيم يا عزيز يا جبار. **(سبحان من سبحت له السموات بأكنافها)** أي أطرافها، **(وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها)** وفي بعض النسخ بأعرافها، **(وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراقها)** وفي بعض النسخ: بإشراقها، وفي بعضها بأبراجها. **(وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها)** هكذا في الحلية، وفي بعض نسخ الكتاب زيادة. **(ونضارتها)** وفي بعضها باصولها وثمارها **(وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن)** وفي بعض النسخ هنا زيادة: وسبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت، وفي الحلية بعد قوله ومن عليهن. **(سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك »)** إلى هنا انتهى الدعاء في الحلية وزاد المصنف بعده **(« لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير »)** ووجد في بعض النسخ زيادة « وصل اللهم على محمد وعلى آله وسلم كثيراً ».

الباب الرابع

في أدعية مأثورة عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله:

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله ﷺ فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك أعقاب صلواتك: سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقل: رضيت بالله رباً

الباب الرابع

في ذكر أدعية مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه

الإمام (**أبو طالب المكي**) في كتاب القوت (**وابن خزيمة**) وهو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكير السلمي النيسابوري، (**وابن المنذر**) الإمام الحافظ صاحب الإشراق في خلاف الأئمة (**رحمهم الله تعالى**).

قال صاحب القوت: (**يستحب للمريد**) وهو السالك بإرادته في طريق الآخرة (**إذا أصبح أن يكون أحد أوراده الدعاء كما سيأتي في كتاب الأوراد، فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله ﷺ فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك**) بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ وهو قوله: (**سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب**) كما رواه الحاكم في مستدركه وتقدم قريباً. ثم قل: (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**) فمن قالها عشر مرات كن له كعدل عشر رقاب، كما رواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والطبراني عن أبي أيوب، وكتب الله له بكل كلمة عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره، كما رواه أحمد والضياء عنه. وكن له حرزاً من الشيطان كما رواه بن صصري في أماليه عن أبي هريرة وحرزا من المكروه ولم يلحقه في يومه ذلك ذنب إلا الشرك بالله كما رواه ابن السني عن معاذ، ولم يسبقها عمل ولم يبق منها سيئة كما رواه ابن عساكر عن أبي أمامة، وكان قائلها من أفضل الناس عملاً إلا رجلاً يفضله

وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ـ ثلاث مرات ـ وقل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي. اللهم استر عوراتي. وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك ان اغتال من تحتي. اللهم لا تؤمني مكرك

يقول أفضل مما قال كما رواه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم، أو كتب له بها مائة حسنة ومحى عنه بها مائة سيئة وكانت كعدل رقبة كما رواه ابن السني عن أبي هريرة، أو كن له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل كما رواه الطبراني عن أبي أيوب، وأدخله الله بها جنات النعيم كما رواه الطبراني عن ابن عمر. **(وقل: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ثلاث مرات)** فمن قالهن حين يصبح ويمسي كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة كما رواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن سعد والروياني والبغوي والحاكم وأبو نعيم في الحلية عن أبي سلام عن رجل خدم النبي ﷺ، وقد تقدم ذكره والإختلاف في راويه في الباب الأول من الأذكار. **(وقل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه)**.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: « قل اللهم » فذكره الخ.

قلت وأخرجه الترمذي أيضاً وقال: حسن غريب من حديث عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ: « يا أبا بكر قل » فساقه. وفي آخره: « وأن اقترف على نفسي أو أجره إلى مسلم ».

وروى أحمد وابن منيع والشاشي وأبو يعلى وابن السني في عمل يوم وليلة والضياء عن أبي بكر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل: « اللهم فاطر السموات والأرض » الخ وفيه الزيادة المذكورة، وقد تقدم في الباب قبله عند ذكر دعاء أبي بكر رضي الله عنه، ورواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وابن السني من حديث ابن مرة بدون تلك الزيادة.

(وقل: اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي) ويندرج تحته الوقاية من كل مكروه، **(وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي)**، والمراد بالعورات العيوب والخلل والتقصير والروعات الفزعات، وفيه من أنواع البديع جناس القلب، **(وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)** أو أهلك من حيث لا أحس به ولا أشعر استوعب الجهات الست لأن ما يلحق الإنسان من سوء إنما يصله من أحدها وتخصيص جهة السفل بقوله: وأعوذ بعظمتك ادماج لمعنى قوله تعالى:

ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين. وقل: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ـ ثلاث مرات ـ وقل: اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في

﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ [الأعراف: ١٧٦] الآية. وما أحسن قوله بعظمتك في هذا المقام.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن عمر قال: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح دون قوله: «وآقل عثراتي» اهـ.

قلت: ورواه البزار في مسنده عن ابن عباس ولفظه: «اللهم إني أسألك العفّة في دنياي وديني وأهلي ومالي. اللهم استر عورتي وآمن روعتي واحفظني». الخ وفيه «وأعوذ بك أن أغتال من تحتي» وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف.

(اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك) أي لا تجعل غيرك يتولى أمرى، **(ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين)**.

قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله: «ولا تولني غيرك» بإسناد ضعيف.

قلت ورواه ابن النجار كذلك ولفظها: «من قال عند منامه اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين. اللهم ابعثنا في أحب الأوقات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا إلا بعث الله إليه ملكاً في أحب الساعات فيوقظه». الحديث.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، حدثنا الحرث بن موسى الطائي، حدثنا حبيب أبو محمد قال: إذا آوى العبد إلى فراشه قال: «اللهم لا تنسني ذكرك» فساق الحديث بطوله كسياق الجماعة.

(وقل) سيد الإستغفار: **(اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)**. تقدم أنه رواه البخاري من حديث شداد بن أوس، ورواه كذلك ابن سعد في الطبقات، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والضياء عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: «من قال حين يصبح أو حين يمسي فمات من يومه أو ليلته دخل الجنة». ورواه ابن السني وأبو يعلى عن سليمان بن بريدة عن أبيه: «من قال ذلك في نهاره فمات من يومه ذلك مات شهيداً ومن قالها ليلاً فمات من ليلته تلك مات شهيداً.

(وقل: اللهم عافني في بدني) من الأسقام والآلام **(وعافني في سمعي)** أي القوة المودعة

بصري لا إله إلا أنت ـ ثلاث مرات ـ وقل: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك ان أظلم أو أظلم أو اعتدي أو يعتدى عليّ أو أكسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره. اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك

في الجارحة وارادة الإستماع بعيدة **(وعافني في بصري)** خصهما بالذكر بعد ذكر البدن، لأن العين هي التي تجتلي آيات الله المنبثة في الآفاق والسمع. يعني الآيات المنزلة فهما جامعان لدرك الأمانة العقلية والنقلية **(لا إله إلا أنت ثلاث مرات)**.

قال العراقي رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة، وقال النسائي: جعفر بن ميمون ليس بالقوي اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحاكم وعندهم في الدعاء بعد قوله: في بصري زيادة: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر».

(وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء) وفي رواية بالقضاء أي بما قدرته لي في الأزل لا تلقاه بإنشراح صدر، **(وبرد العيش بعد الموت)** أي الفوز بالتجلي الذاتي الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا مستقر للكمال دونه وهو الكمال الحقيقي، وبرفع الروح إلى منازل السعداء ومقامات المقربين والعيش في هذه الدار لا يبرد لأحد، بل هو محشو بالغصص والنكد والكدر ممحوق بالآلام الباطنة والاسقام الظاهرة، **(ولذة النظر إلى وجهك الكريم)** في دار النعيم، **(و)** أسألك **(الشوق إلى لقائك)** قال ابن القيم: جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا وهو الشوق إلى لقائه، وأطيب ما في الآخرة وهو النظر إليه، ولما كان كلامه موقوفاً على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين قال: **(من غير ضراء مضرة)** قال الطيبي: معنى ضراء مضرة الضر الذي لا يصبر عليه، وقال القونوي: الضراء المضرة بحصول الحجاب بعد التجلي والتجلي بصفة تستلزم سدل الحجب، **(ولا فتنة مضلة)** أي موقعة في الحيرة مفضية إلى الهلاك، وقال القونوي: الفتنة المضلة كل فتنة توجب الخلل أو النقص في العلم أو الشهود، **(وأعوذ بك أن أظلم)** أحداً **(أو أظلم)** أي يظلمني أحد **(أو أعتدي)** على أحد **(أو يعتدى علي أو أكتسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره)**.

قال العراقي: رواه أحمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وروياه وكذا ابن ماجة من حديث عمار بن ياسر والحديث طويل ولفظه: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق. وسيأتي للمصنف قريباً.

(اللهم إني أسألك الثبات في الأمر) أي الدوام على الدين بدليل قوله

وحسن عبادتك، وأسألك قلباً خاشعاً سليماً وخلقاً مستقيماً ولساناً صادقاً وعملاً متقبلاً، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل

ﷺ: «ثبت قلبي على دينك؟ أو المراد الثابت عند الاحتضار أو عند السؤال في القبر ولا مانع من إرادة الكل **(والعزيمة عل الرشد)** وفي رواية: وأسألك عزيمة الرشد وهو حسن التصرف في الأمر والإقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم، وقيل: العزيمة استجماع قوى الإرادة على الفعل والمكلف قد يعرف الرشد ولا عزم له عليه، فلذلك سأله، وإنما قدم الثبات على العزيمة إشارة إلى أنه المقصود بالذات لأن الغايات مقدمة الرتبة وإن كانت مؤخرة في الوجود، **(وأسألك شكر نعمتك)** أي التوفيق لشكر إنعامك **(وحسن عبادتك)** أي التوفيق لايقاع العبادة على الوجه الحسن المرضي شرعاً، **(وأسألك قلباً سليماً)** أي خالياً عن حب السوى ومن العقائد الفاسدة، وفي رواية سليماً أو غير قلوق عند هيجان نار الغضب **(وخلقاً مستقيماً)** أي سوياً **(ولساناً صادقاً)** أي محفوظاً من الكذب، وإسناد الصدق إلى اللسان مجازي لأن الصدق من صفة صاحبه فأسند إلى الآلة مجازاً، **(وعملاً متقبلاً)** أي زاكياً مقبولاً، **(وأسألك من خير ما تعلم)** أي تعلمه أنت ولا أعلمه **(وأعوذ بك من شر ما تعلم)** وهذا سؤال جامع للإستعاذة من كل شر وطلب كل خير، ثم ختم الدعاء بالإستغفار الذي عليه المعوّل والمدار فقال: **(وأستغفرك لما تعلم)** وفي رواية: مما تعلم أي مما علمته مني من تقصيري وإن لم أحط به علماً، **(فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب)** أي الأشياء الخفية التي لا ينفذ فيها ابتداء إلا علمه اللطيف الخبير.

قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس قال: قلت بل هو منقطع وضعيف اهـ.

قلت: وكذا رواه ابن حبان في صحيحه، وقوله: وخلقا مستقيماً رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(«اللهم اغفر لي ما قدمت) من الذنوب **(وما أخرت)** منها **(وما أسررت)** بها **(وما أعلنت)** أي أظهرت، **(فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد»)**

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله: «وعلى كل غيب شهيد» وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب.

قلت: وأوله عندهما: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اغفر لي ما قدمت وما أخرت» الحديث.

غيب شهيد. اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد. اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين. اسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون. اللهم

وروى الحاكم عن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يقول: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني» وقال: صحيح على شرط البخاري.

(اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد) أي لا يقبل صفة الإرتداد والنقص **(ونعيماً لا ينفد)** أي لا ينقضي وذلك ليس إلا نعيم الآخرة، **(وقرة عين الأبد)** بدوام ذكره وكمال محبته والأنس به. قال بعضهم: من قرت عينه بالله تعالى قرت به كل عين، **(ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد)**.

قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، والحاكم من حديث ابن مسعود دون قوله: «وقرة عين الأبد» وقال: صحيح الإسناد، وللنسائي من حديث عمار بن ياسر بإسناد جيد: «واسألك نعيماً لا ينفد وقرة عين لا تنقطع» اهـ.

قلت: هو في أثناء حديث طويل يأتي ذكر بعضه ومضى ذكر بعضه رواه أحمد والحاكم عن عمار بن ياسر قال: كان رسول الله ﷺ يدعو به، وأما حديث ابن مسعود فرواه أيضاً ابن حبان في صحيحه واللفظ للنسائي عن أبي عبيدة، واسمه عامر عن أبيه عبد الله بن مسعود أنه سئل: ما الدعاء الذي دعوت به ليلة قال لك رسول الله ﷺ سل تعطه؟ قال: قلت اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبينا محمد ﷺ في أعلى درجة الجنة درجة الخلد.

(«اللهم إني أسألك الطيبات) من الأفعال والأقوال **(وفعل الخيرات وترك المنكرات)** من الأخلاق والأعمال والأهواء **(وحب المساكين. أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك، وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»)**.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات» الحديث وقال: حسن صحيح ولم يذكر الطيبات، وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عائش. قال أبو حاتم: ليست له صحبة اهـ.

قلت: لفظ الترمذي عن معاذ قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعاً فثوب بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ وتجوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته قال لنا على مصافكم كما أنتم ثم انفتل إلينا ثم قال أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى

بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي، أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد

استثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد: فقلت: لبيك ربي قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري قالها ثلاثاً قال: فرأيته وضع كفيه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء عرفت، فقال: يا محمد. قلت: لبيك. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات رب. قال: ما هي؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجمعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكراهات قال: ثم فيم؟ قال: قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال: سل. قال: «اللهم أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك» فقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها ثم تعلموها» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وروي الحاكم عنه في المستدرك فعل الدعاء من حديث ثوبان وقال: صحيح على شرط البخاري.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان من دعاء داود عليه السلام يقول اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد» قال: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود عليه السلام يحدث عنه قال: «كان أعبد البشر». رواه الترمذي واللفظ له وقال: حسن غريب، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد.

وعن عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك. اللهم ما رزقتني حبه فاجعله قوة لي فيما تحب وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً فيما تحب». رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

(اللهم بعلمك الغيب) الباء للإستعطاف أي أنشدك بحق علمك مما خفي على خلقك ما استأثرت به، **(وقدرتك عل الخلق)** أي جميع المخلوقات من جن وإنس وملك. **(أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت)** كذا في النسخ والرواية إذا علمت **(الوفاة خيراً لي)** ولذاقال المناوي: عبر بما في الحياة لاتصافه بالحياة حالاً وبإذا الشرطية في الوفاة لانعدامها حال التمني لاتصافه بالحياة حالاً. **(أسألك)** كذا في النسخ، والرواية وأسألك. وفي بعضها: اللهم وأسألك **(الخشية)** وهو عطف على محذوف، واللهم على الرواية الأخيرة معترضة **(في الغيب والشهادة)** أي في السر والعلانية أو المشهد والمغيب، فإن خشية الله رأس كل خير والشأن في الخشية في الغيب لمدحه تعالى من يخافه بالغيب، **(و)** أسألك **(كلمة العدل)** كذا في النسخ والرواية كلمة الإخلاص، والمراد منها المنطق بالحق **(في الرضا والغضب)** أي في حالتي رضا الخلق عني وغضبهم علي فيما أقوله، فلا أداهن ولا أنافق أو في حالتي رضاي وغضبي بحيث لا يلجئني شدة الغضب إلى النطق بخلاف الحق ككثير من الناس إذا اشتد غضبه أخرجه من الحق إلى الباطل،

في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة: اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به

(و) أسألك (**القصد**) أي التوسط (**في الغني والفقر**) وهو الذي ليس معه إسراف ولا تقتير، فإن الغنى يبسط اليد ويطغى النفس والفقر يكاد أن يكون كفراً، فالتوسط هو المحبوب المطلوب، وبعد هذا عند مخرجي الحديث ما نصه: « وأسألك نعماً لا ينفد وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، (و) أسألك (**لذة النظر إلى وجهك**) قيد النظر باللذة لأن النظر إلى الله إما نظر هيبة وجلال في عرصات القيامة أو نظر لطف وجمال في الجنة إيذاناً بأن المسؤول هذا، (**والشوق إلى لقائك**) تقدم الكلام عليه قريباً (**وأعوذ بك من ضراء وفتنة مضلة**) تقدم تفسيرهما قريباً، (**اللهم زينا بزينة الإيمان**) وهي زينة الباطن ولا معول إلا عليها لأن الزينة زينتان زينة البدن وزينة القلب، وهي أعظمها قدراً وإذا حصلت حصلت زينة البدن على أكمل وجه في العقبى ولما كان كمال العبد في كونه عالماً بالحق متبعاً معلماً لغيره قال: (**اجعلنا مهتدين**) وفي روايه مهديين وصف الهداة بالمهتدين لأنه الهادي إذا لم يكن مهتدياً في نفسه لم يصلح كونه هادياً لغيره لأنه يوقع الخلق في الضلال من حيث لا يشعر. وهذا الحديث قد افرد بالشرح. قال العراقي: رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث عمار بن ياسر قال: كان رسول الله ﷺ يدعو به اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وابن حبان في صحيحه وهذا السياق للنسائي، ورواه الحاكم في المستدرك من حديث عطاء بن السائب عن أبيه وقال: صحيح الإسناد.

(**اللهم اقسم لنا من خشيتك**) أي اجعل لنا منها نصيباً وقسماً والخشية خوف مقترن بتعظيم (**ما يحول**) أي يحجب ويمنع (**بيننا وبين معصيتك**) وفي رواية معاصيك لأن القلب إذا امتلأ من الخوف أحجمت الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قل الخوف واستولت الغفلة كان ذلك من علامة الشقاء، ومن ثم قالوا: المعاصي بريد الكفر كما أن القبلة بريد الجماع، والغنى بريد الزنا، والنظر بريد العشق، والمرض بريد الموت، وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالعقل والبدن والدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، (**ومن طاعتك ما تبلغني به جنتك**) وفي نسخة رحمتك أي مع شمولنا برحمتك، وليست الطاعة وحدها مفيدة كما ورد في الخبر: لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته. (**ومن اليقين**) بك وبأنه لاراد لقضائك وقدرك (**ما تهون به**) أي تسهل (**علينا مصائب الدنيا**) بأن نعلم أن ما قدرته لا يخلو عن حكمة ومصلحة واستجلاب مثوبة، وأنه لا يفعل بالعبد شيئاً إلا وفيه صلاحه.

قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن، والنسائي في اليوم والليلة، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ كان يختم مجلسه بذلك اهـ.

علينا مصائب الدنيا والآخرة. اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقاً وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك. اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً. اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة.

قلت: رواه الترمذي في الدعوات عن علي بن حجر، عن ابن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن خالد بن أبي عمران، عن ابن عمر وقال: حسن. وأقره النووي. وفيه: قال ابن عمر: قلما كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات، ورواه عنه أيضاً النسائي عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك وعبيد الله بن زحر ضعفوه. قال صاحب المنار: فالحديث لأجله حسن لا صحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في الدعاء عن داود بن عمر، والضبي عن ابن المبارك، ولكن عند الجماعة زيادة بعد قوله مصائب الدنيا ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا. وقد تقدم شيء من ذلك في آخر دعاء سيدنا عيسى عليه السلام.

(اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك خوفاً) وفي نسخة فرقاً، **(واسكن في نفوسنا من عظمتك)** أي جلالك وهيبتك **(ما تذلل به جوارحنا لخدمتك)** وطاعتك **(واجعل حبك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى لك مما سواك)**. قال العراقي: هذا الدعاء لم أقف له على أصل اهـ.

قلت: ولكن يشهد له ما رواه أبو نعيم في الحلية، عن الهيثم بن مالك الطائي رضي الله عنه: اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عنا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك، وما رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: «اللهم اجعلني أخشاك حتى كأني أراك» الحديث.

(اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً) أي لأحوالنا **(وأوسطه فلاحاً)** أي ظفراً بالمطلوب دنيا وأخرى **(وآخره نجاحاً)** أي فوزاً للسعادة الكاملة. **(اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة)**. قال العراقي: رواه عبد بن حميد في المنتخب، والطبراني من حديث ابن أبي أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله: «نجاحاً» وإسناده ضعيف.

قلت: والشطر الأول رواه أيضاً أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن ابن أخي ابن وهب، عن عمه، عن الليث بن سعد، وعقبة بن نافع عن إسحاق بن أسيد عن أنس بن مالك قال: كلمات لا يدري أحد ما فيهن من الخير: «من قال حين يصبح أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله ﷺ. اللهم اجعل أول يومي هذا نجاحاً وأوسطه رباحاً وآخره فلاحاً».

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته. كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين. اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منك

(الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته، والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله: « والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته » الخ. وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضاً اهـ.

قلت حديث أم سلمة في المعجم الكبير للطبراني بلفظ: « من قال حين يصبح الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته كتبت له عشر حسنات » وحديث ابن عمر هو أيضاً في المعجم الكبير.

ورواه ابن عساكر في التاريخ بلفظ: « من قال الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته، والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته فقالها يطلب بها ما عنده كتب الله له بها ألف حسنة ورفع له بها ألف درجة ووكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » وفيه أيوب بن نهيك منكر الحديث وقال الذهبي في الديوان: روي عن مجاهد تركوه.

(اللهم صلّ على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) هكذا أورده القاضي عياض في الشفاء وهي أول صيغة ساقها في الدلائل بدون قوله: « وعلى آله » وتقدم في الباب الثاني.

(اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين واعطه المقام المحمود يوم الدين) قال العراقي: لم أجده مجموعاً وللبخاري من حديث أبي سعيد: « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك » ولابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي مسعود: « اللهم صلى على محمد النبي الأمي » قال الدارقطني: إسناده حسن، وقال الحاكم: صحيح، وقال البيهقي في المعرفة: إسناده صحيح، وللنسائي من حديث جابر: « وابعثه المقام المحمود الذي وعدته » وهو عند البخاري « وابعثه مقاماً محموداً » بهذا اللفظ.

(اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا بما

وصرفنا بحسن اختيارك لنا. نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه. اللهم بقدرتك عليّ تب علي إنك أنت التوّاب الرحيم وبحلمك عني اعف عني إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بي ارفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي إنك أنت الملك الجبار. سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي ولا يغفر الذنوب إلا أنت. اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي. اللهم ارزقني حلالاً لا تعاقبني عليه وقنعني بما

يرضيك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا) قال العراقي: لم أقف له على أصل.

قلت: وروى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة، وأبو نعيم في الحلية عن الإوزاعي مرسلاً: « اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال » الحديث.

(نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: « اللهم إني أسألك فواتح الخير وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة » فيه عاصم بن عبيد لا أعلمه روى عنه إلا موسى بن عقبة اهـ.

قلت: وروى الحاكم في المستدرك عن أم سلمة، عن النبي ﷺ هذا ما سأل محمد ربه: « اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه » فساقه وفي آخره « آمين » وقال: صحيح الإسناد.

(اللهم بقدرتك علي تب علي أنك أنت التواب الرحيم، وبحلمك عني اعف عني إنك أنت الغفار، وبعلمك بي ارفق بي إنك أنت الرحمن، وبملكك لي فلكني نفسي ولا تسلطها علي انك أنت الملك الجبار) قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سؤاً وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنك أنت ربي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت). قال العراقي: رواه البيهقي في الدعوات من حديث على دون قوله: « ذنبي أنك أنت ربي » وقد تقدم في الباب الثاني اهـ.

قلت: وروى جعفر الفريابي في الذكر عن أبي سعيد الخدري: « من قال في مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ختمت بخاتم فلم يكسر إلى يوم القيامة ».

وروى النسائي والطبراني وأبو نعيم والحاكم والضياء عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه: « من قال سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك فإن قالها في مجلس ذكره كانت له كالطابع يطبع عليه ومن قالها في مجلس لغو كانت كفارة له ».

(اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عمران بن

رزقتني واستعملني به صالحاً تقبله مني. أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة. يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك. ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني

حصين أن النبي ﷺ علمه لحصين وقال حسن غريب، ورواه النسائي في اليوم والليلة، والحاكم من حديث حصين وأبو عمران وقال صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: وفي الإصابة للحافظ ابن حجر في ترجمة والد عمران هو حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، روى النسائي عن ربعي عن عمران بن حصين عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم فقال يا رسول الله: فما أقول الآن وأنا مسلم؟ قال «قل اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت» وسنده صحيح.

(**«اللهم ارزقني حلالاً لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحاً تقبله مني**) . قال العراقي: رواه الحاكم من حديث ابن عباس كان النبي ﷺ يدعو: «اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف لي على كل غائبة بخير» وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ.

قلت: رواه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً كما ذكر وله وابن أبي شيبة في المصنف وسعيد بن منصور في السنن، والأزرقي في تاريخ مكة عن ابن جبير قال كان من دعاء ابن عباس الذي لا يدع بين الركن والمقام أن يقول: «رب قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف على كل غائبة لي بخير» ولفظ سعيد والأزرقي: «واحفظني في كل غائبة بخير إنك على كل شيء قدير».

(**أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة**) قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه باسناد حسن من حديث أبي بكر الصديق بلفظ «سلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيراً من المعافاة» وفي رواية للبيهقي في الدعوات «سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيراً من العافية» وفي رواية لاحمد «أسألك الله العفو والعافية» اهـ.

قلت: وروى أحمد والحميدي والعوفي والترمذي وقال: حسن غريب، والضياء عن أبي بكر «سلوا الله العفو والعافية فإن أحدكم لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية» وما رواه البيهقي في الدعوات، فقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد، والحاكم. وعند البيهقي أيضاً من حديث أبي بكر «سلوا الله اليقين والعافية».

(**يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك**) . قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف اهـ.

مسلماً وألحقني بالصالحين. أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين. واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا. ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار. ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ـ إلى قوله عز وجل ـ إنك لا تخلف الميعاد. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ـ إلى آخر السورة ـ رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن عيسى بن أبي حرب، والمغيرة بن محمد عن عبد الأعلى بن حماد، عن الحسن بن الفضيل بن الربيع، عن عبد الله بن الفضل بن الربيع، عن الفضل بن الربيع، عن جعفر بن محمد الصادق في حديث طويل ذكر فيه هذه الجملة. ورواه عن عبد الله عن جده وقد وقع لي مسلسلاً بقول كل راو كتبته دعاء هو في جيبي ذكرناه في المسلسلات.

ثم شرع المصنف في أدعية القرآن فقال: **(ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين)** رب قد آتيني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والأرض. **(أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)** إلى هنا ذكر أدعية القرآن على ما أورده صاحب القوت، وتبعه الشهاب السهروردي في العوارف وهي من أحسن ما يدعو به الداعي في حال توجهاته، وتقدم ذكر بعضها مما حكى الله تعالى على لسان أنبيائه الكرام عليهم السلام في فصل مستقل في آخر فضل الدعاء: **(رب اغفر لي**

صغيراً واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والأموات. رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم

ولوالديّ وارحمها كما ربياني صغيراً، واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات).

قال العراقي: رواه أبو داود، وابن ماجه باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة: هل بقي علي من بر أبوي شيء؟ قال: «نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما» الحديث. ولابي الشيخ في الثواب، والمستغفري في الدعوات من حديث أنس «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه من كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة» وسنده ضعيف. وفي حديث ابن حبان في حديث أبي سعيد «أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة» اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت مرفوعاً «من استغفر للمؤمنين والمؤمنين كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة».

وروي أيضاً عن أبي الدرداء مرفوعاً «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الدين».

(«رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الاكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين»). قال العراقي: رواه أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقول «رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم» وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه، وللطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود أنه ﷺ كان يقول إذا سعى في بطن المسيل «اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الاكرم» وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه، ورواه موقوفاً عليه بسند صحيح اهـ.

قلت: وروى أبو حفص الملاّ في سيرته عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سعيه «رب اغفر واهدني السبيل الأقوم». وروى أيضاً عن امرأة من بني نوفل أن النبي ﷺ كان يقول بين الصفا والمروة «رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم» وأخرج سعيد بن منصور في السنن عن مسروق بن الأجدع، عن ابن مسعود انه اعتمر، فلما خرج إلى الصفا فذكر الحديث وفيه: فسعى وسعيت معه حتى جاوز الوادي وهو يقول «رب اغفر وارحم إنك أنت الاعز الأكرم» وأخرج أيضاً عن شقيق قال: كان عبد الله إذا سعى في بطن الوادي قال «رب اغفر وارحم إنك أنت الاعز الأكرم» وقد تقدم ذلك في كتاب الحج.

(وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم

الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي ﷺ:

اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر. اللهم إني أعوذ بك من طمع

الوكيل) هكذا ختم بهذه الجمل صاحب القوت الأدعية المتقدمة بعد أن أدخل خلالها جملاً من الصلاة والسلام على النبي ﷺ وعلى سائر الأنبياء والملائكة، ثم قال: هذا جامع ما جاء من فضائله. يقال من الدعاء عن الرسول المصطفى ﷺ وعن الصحابة وعن أئمة الهدى، وقدمنا ذكر فضائل ذلك وما جاء فيه من الروايات ايجازاً والله أعلم.

أنواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله ﷺ:

منها: (اللهم إني أعوذ بك) استعاذ مما عصم منه ليلتزم خوف الله واعظامه والافتقار إليه وليقتدي به وليبين صفة الدعاء، والباء للالصاق المعنوي والتخصيص، كأنه خص الرب تعالى بالاستعاذة، وقد جاء في الكتاب والسنّة: أعوذ بالله ولم يسمع بالله أعوذ لأن تقديم المعمول تفنن وانبساط، والاستعاذة حال خوف وقبض بخلاف الحمد لله ولله الحمد لانه حال شكر وتذكر إحسان ونعم. **(من البخل)** بضم فسكون اسم وبالتحريك المصدر وهو لغة امساك المقتنيات عما لا يحل حبسها عنه، وهو على قسمين: بخل بقنيات نفسه وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرهما ذمّاً وشرعاً منع الواجب، **(وأعوذ بك من الجبن)** بضم فسكون هيئة حاصلة للقوّة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي، **(وأعوذ بك من أن أرّد إلى أرذل العمر)** والأرذل: من كل شيء الرديء منه، والمراد بـأرذل العمر حال الهرم والخرف والعجز والضعف وذهاب العقل، قال الطيبي: المطلوب عند المحققين من العمر التفكر في آلاء الله ونعمائه من خلق الموجودات فيقوموا بواجب الشكر بالقلب والجوارح والخرف الفاقد لهما، فهو كالشيء الرديء الذي لا ينتفع به، فينبغي أن يستعاذ منه، **(وأعوذ بك من فتنة الدنيا)** من الابتلاء مع عدم الصبر والرضا والوقوع في الآفات والإصرار على الفساد وترك متابعة طريقة الهدى، **(وأعوذ بك من عذاب القبر)** أي عقوبته ومصدره التعذيب فهو مضاف للفاعل مجازاً، أو هو من إضافة المظروف لظرفه أي: ومن عذاب في القبر أضيف للقبر لأنه الغالب وهو نوعان: دائم ومنقطع.

قال العراقي: رواه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص اهـ.

قلت: قال البخاري في صحيحه: حدثني إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا الحسن عن زائدة، عن عبد الملك، عن مصعب عن أبيه قال: تعوّذوا بكلمات كان النبي ﷺ يتعوّذ بهن: «اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر، واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر».

يهدي إلى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن

(اللهم إني أعوذ بك من طمع) وهو بالتحريك نزوع النفس إلى الشيء شهوة له **(يهدي إلى طبع)** محركة وهو الدنس، ولما كان أكثر الطمع من جهة الطبع قيل الطمع طبع والطمع يدنس الإهاب وأكثر ما يستعمل الطمع فيما يقرب حصوله، **(و)** أعوذ بك **(من طمع في غير مطمع، و)** أعوذ بك **(من طمع حيث لا مطمع)** إنما قيل ذلك لأن الطمع قد يستعمل بمعنى الأمل، ومنه قولهم: طمع في غير مطمع إذا أمل ما يبعد حصوله، لأنه قد يقع كل واحد موقع الآخر لتقارب المعنى ذكره الراغب.

وقال الحراني: الطمع تعلق البال بالشيء من غير تقدم سبب له وقال: العضد الطمع ذل ينشأ من الحرص والبطالة والجهل لحكمة الباري تقدس.

قال العراقي: رواه أحمد والحاكم من حديث معاذ وقال: مستقيم الإسناد.

(اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) صاحبه وهو ما لم يؤذن في تعليمه أو ما لا يصحبه عمل أو ما لا يهذب الاخلاق الباطنة فيشرق منها إلى الاخلاق الظاهرة ويفوز بها إلى الثواب الآجل، وأنشدوا في هذا:

يا من تقاعد عن مكارم خلقه	ليس التفاخر بالعلوم الزاخرة
من لم يهذب علمه أخلاقه	لم ينتفع بعلومه في الآخرة

(و) من **(قلب لا يخشع)** أي لا يسكن لطاعة الله ولا يذل لهيبة جلال الله، **(و)** من **(دعاء لا يسمع)** أي لا يقبله الله ولا يعتدّ به فكأنه غير مسموع، **(ونفس لا تشبع)** لغلبة حرصها في جمع المال اشراً أو بطراً ولا تشبع من كثرة الأكل الجالبة لكثرة الأبخرة الموجبة للنوم، وكثرة الوساوس والخطرات النفسانية المؤدية إلى مضار الدنيا والآخرة، **(ومن الجوع)** الألم الذي ينال الحيوان من خلو المعدة، **(فإنه بئس الضجيع)** أي المضاجع لأنه يمنع استراحة البدن ويحلل المواد المحمودة بلا بدل ويشوش الدماغ ويثير الافكار الفاسدة والخيالات الباطلة ويضعف البدن عن القيام بالطاعة والمراد الجوع الصادق، وعلامته أن يكتفي بالخبز بلا آدام. **(ومن الخيانة)** هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر، **(فإنها بئست البطانة)** أي بئس الشيء الذي يستبطنه من أمره ويجعله بطانة وهي من بطانة الثوب فاستعيرت لما يستبطن الرجل من أمره فيجعله بطانة حاله.

وقال الطيبي: خص الضجيع بالجوع لينبه على أن المراد الجوع الذي يلازمه ليلاً ونهاراً، ومن ثم حرم الوصال ومثله يضعف الإنسان عن القيام بوظائف العبادات والبطانة بالخيانة لأنها ليست

أردّ إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات. اللهم إنا نسألك قلوباً أوّاهة مخبتة منيبة في سبيلك. اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار. اللهم

كالجوع الذي يتضرر به صاحبه فحسب، بل هي سارية إلى الغير فهي وإن كانت بطانة لحاله لكن يجري سريانها إلى الغير مجرى الظهارة.

(ومن الكسل) بالتحريك التغافل عما لا ينبغي التشاغل عنه، **(والبخل والجبن)** تقدم ذكرهما، **(ومن الهرم)** محركة وهو علو السن والكبر بضعف البدن، **(ومن أن أردّ إلى أرذل العمر)** تقدم معناه، **(ومن فتنة الدجال)** أي من محنته. وأصل الفتنة الامتحان والاختبار استعيرت لكشف ما يكره، والدجال: فعال بالتشديد من الدجل التغطية سمي به لأنه يغطي الحق بباطله، **(وعذاب القبر)** تقدم الكلام عليه قريباً، **(ومن فتنة المحيا)** ما يعرض للمرء مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها والجهالات أو هي الابتلاء مع زوال الصبر، **(والممات)** أي ما يفتن به عند الموت أضيفت له لقربها منه، والمراد فتنة القبر أي سؤال الملكين، والمراد من شر ذلك والجمع بين فتنة الدجال وعذاب القبر وبين فتنة المحيا والممات من باب ذكر العام بعد الخاص. **(اللهم إنا نسألك قلوباً أوّاهة)** أي متضرعة أو كثيرة الدعاء أو كثيرة البكاء **(مخبتة)** أي خاشعة مطيعة متواضعة **(منيبة)** راجعة إليك بالتوبة مقبلة عليك **(في سبيلك)** أي الطريق إليك **(اللهم إنا نسألك عزائم مغفرتك)** حتى يستوي المذنب التائب والذي لم يذنب قط في منازل الرحمة **(وموجبات رحمتك)** وفي رواية بدله منجيات أمرك، **(والسلامة من كل إثم)** أي معصية، **(والغنيمة من كل بر)** بالكسر أي خير وطاعة، **(والفوز بالجنة)** أي بنعيمها، **(والنجاة من النار)** أي من عذابها. وسبق أن هذا مسوق للتشريع وفيه دليل على ندب الاستعاذة من الفتن، ولو علم المرء انه يتمسك فيها بالحق لأنها قد تفضي إلى وقوع ما لا يرى بوقوعه وفيه رد لما اشتهر على الألسنة لا تكرهوا الفتن فإن فيها حصاد المنافقين. قال الحافظ ابن حجر: وقد سئل عنها قديماً ابن وهب فقال: إنه باطل اهـ.

والحديث المذكور قال العراقي رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الاسناد وليس كما قال إلا انه ورد مفرقاً في أحاديث جيدة الإسناد، ففي صحيح مسلم «التعوّذ من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعوة لا يستجاب لها» من حديث زيد بن أرقم وسيأتي اهـ.

قلت: وفي صحيح البخاري «التعوّذ من الكسل والهرم ومن عذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة المسيح الدجال» من حديث عائشة. وروى الترمذي والنسائي عن ابن عمرو وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن عمرو وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة والنسائي عن أنس «التعوّذ من قلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس

إني أعوذ بك من التردي وأعوذ بك من الغم والغرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مُدبراً ، وأعوذ بك من أن أموت في تطلب الدنيا . اللهم إني أعوذ بك من شر ما

لا تشبع وعلم لا ينفع » وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » .

(اللهم إني أعوذ بك من التردي) أي السقوط من عال كالوقوع من شاهق جبل أو في بئر وهو تفعل من الردى وهو الهلاك ، **(وأعوذ بك من الغم)** وأصله الستر وإنما سمي الحزن غماً لأنه يغطي السرور ، **(والهدم)** بفتح فسكون وهو وقوع البناء وسقوطه ، ويروى بالتحريك وهو اسم ما انهدم منه ، **(والغرق)** بالتحريك الموت غرقاً في الماء ، **(وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبراً)** عن الحق أو مولياً عن قتال الكفار حيث حرم القرار وهذا تعليم للأمة ، **(وأعوذ بك من أن أموت طالب دنيا)** .

قال العراقي : رواه أبو داود ، والنسائي والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي اليسر ، واسمه كعب بن عمرو بزيادة فيه دون قوله « وأعوذ بك من أن أموت طالب دنيا » وتقدم عن البخاري « الاستعاذة من فتنة الدنيا » اهـ .

قلت : ولفظ سوى أبي داود « اللهم إني أعوذ بك من التردي والهرم والغرق والحرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك أن أموت لديغاً » وراويه أبو اليسر بياء تحتية وسين مهملة محركة من مسلمة الفتح وقتل يوم اليمامة ، ولفظ أبي داود كان رسول الله ﷺ يدعو « اللهم إني أعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من التردي ، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم » والباقي سواء . وفي رواية للحاكم ولأبي داود « والغم » كما في سياق المصنف : **(اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم)** هكذا في نسخ الكتاب ، وكذلك في القوت ، وتبعه صاحب العوارف . وقال العراقي : هكذا هو في غير نسخة علمت واعلم ، وإنما هو عملت واعمل كذا رواه مسلم من حديث عائشة ، ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث مرسل في الاستعاذة وفيه « وشر ما أعلم وشر ما لم أعلم » اهـ .

وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ولفظهم أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت وشر ما لم أعمل » وما ذكره المصنف من تقديم اللام على الميم هو هكذا في رواية للنسائي « من شر ما علمت ولم أعلم » كذا ذكره ابن الإمام في سلاح المؤمن ، فلا حاجة إلى الاستدلال بخبر مرسل مع وجود هذه الرواية في إحدى الستة .

وروى أبو داود والطيالسي من حديث جابر بن سمرة « اللهم إني أسألك من الخير كله ما

علمت ومن شر ما لم أعلم. اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء. اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. اللهم إني

علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم» وهذا أيضاً شاهد جيد لرواية النسائي، فنسبة الشيخ المناوي المصنف إلى المخالفة فيه نظر لا يخفى.

(اللهم جنبني منكرات الاخلاق) كحقد وبخل وحسد وجبن ونحوها، **(والاعمال)** من نحو زنا وقتل وشرب خمر وسرقة ونحوها **(والأدواء)** جمع داء من نحو جذام وبرص وسل واستسقاء وذات جنب ونحوها، **(والأهواء)** جمع هوى مقصور هوى النفس والإضافة إلى القرينتين الأولين إضافة الصفة الى الموصوف قاله الطيبي. وعطف الاعمال على الاخلاق وعطف ما بعد الأعمال عليها من باب الترقي في الدعاء إلى ما يعم نفسه، وهذه المنكرات منها لا ينفك عنه غير المعصوم في منقلبه، ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكراً يشار إليه بالأصابع، وذكر هذا مع عصمة الانبياء تعليم للأمة.

قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه، واللفظ له من حديث قطبة بن مالك اهـ.

قلت: وكذا رواه الطبراني في الكبير، وابن حبان في الصحيح ولفظهم جميعاً عن زياد بن علاقة عن عمه قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء» ورواه الحاكم وزاد في آخره «والادواء» وقال: صحيح على شرط مسلم، وليس لقطبة في الكتب الستة سوى حديثين أحدهما: هذا.

(«اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء) أي شدة الابتلاء مع عدم الصبر والجهد بالضم وبالفتح وهي الحالة التي يمتحن بها الإنسان أو بحيث يتمنى الموت ويختاره عليها أو قلة المال وكثرة العيال أو غير ذلك، وقد تقدم لهذا بحث في كتاب الزكاة. **(ودرك الشقاء)** بفتح الراء وسكونها اسم من الإدراك لما يلحق الإنسان من تبعة والشقاء هو الهلاك، ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك. وقيل: هو واحد دركات جهنم، والمعنى من موضع أهل الشقاوة وهي جهنم أو من يحصل لنا فيه شقاوة أو هو مصدر إما مضاف إلى المفعول أو إلى الفاعل أي من درك الشقاء إيانا أو من دركنا الشقاء، **(وسوء القضاء)** أي المقضي لأن قضاء الله كله حسن لا سوء فيه وهذا عام في أمر الدارين، **(وشماتة الاعداء)** أي فرحهم ببلية تنزل بعد وهم وسرورهم مما حل بهم من الرازيا والبلايا، وهذه الخصلة الأخيرة تدخل في عموم كل واحدة من الثلاثة قبلها وكل واحد من الثلاثة مستقلة فإن كل أمر يكون يلاحظ فيه جهة المبدأ وهو سوء القضاء وجهة المعاد وهو درك الشقاء وجهة المعاد وهو جهد البلاء وشماتة الأعداء يقع بكل منهما.

أعوذ بك من الكفر والدّين والفقر، وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال. اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر منيّي. اللهم

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي فالبخاري رواه في كتاب القدر وغيره ومسلم في الدعوات كلهم بلفظ: « تعوّذوا بالله » بدل « اللهم إني أعوذ بك ».

(اللهم إني أعوذ بك من الكفر) بسائر أنواعه جحداً وعناداً **(والدَّين)** حيث لا وفاء سيما مع الطلب، **(والفقر)** هو فقر المال أو فقر النفس، **(وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال)**.

قال العراقي: رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري: عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول « أعوذ بالله من الكفر والدّين » وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر، ولمسلم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ « انه كان يتعوّذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال » وللشيخين من حديث عائشة قال فيه « ومن شر فتنة المسيح الدجال » اهـ.

قلت: والتعوّذ من الفقر والفاقة والذلة جاء في حديث أبي هريرة عند أبي داود والنسائي، وابن ماجه، والحاكم. وعند الطبراني في السنة من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر « اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم واسمك العظيم من الكفر والفقر » وعند الحاكم من حديث أبي بكرة في حديث « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت » وللجماعة من حديث عائشة « وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال » وعند الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه من حديثها « وأعوذ بك من الفقر والكفر » وعند البخاري والترمذي والنسائي من حديث مصعب بن سعد عن أبيه « وأعوذ بك من فتنة الدنيا ـ يعني فتنة الدجال ـ وأعوذ بك من عذاب القبر » وحديث أبي سعيد الذي عند النسائي فيما أشار إليه العراقي لفظه، سمعت رسول الله ﷺ يقول « أعوذ بالله من الكفر والدّين » قال رجل يا رسول الله: أيعدل الدين بالكفر؟ فقال رسول الله ﷺ: « نعم ». هذا لفظ النسائي، ورواه الحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري ومن شر لساني) أي نطقي، فإن أكثر الخطايا منه وهو الذي يورد المرء المهالك، وخص هذه الجوارح لأنها مناط الشهوة ومثار اللذة، **(و)** من شر **(قلبي)** يعني نفسي والنفس مجمع الشهوات والمفاسد بحب الدنيا والرهبة من الخلق وخوف فوت الرزق والامراض القلبية من نحو حسد وحقد وطلب رفعة، وغير ذلك، **(و)** من **(شر منيّي)** يعني من شر شدة الغلمة وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما أوقع في الزنا أو مقدماته لا محالة، فهو حقيق بالاستعاذة من شره، وخص هذه الاشياء بالاستعاذة لأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه.

إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول. اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصحح اسناده من حديث شكل بن حميد العيسى اهـ.

قلت: لفظ الترمذي قال: شكل بن حميد قلت يا رسول الله علمني تعوذاً أتعوّذ به قال: فأخذ بكفي فقال «قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيّي» يعني فرجه. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث سعد بن أوس عن بلال بن يحيى اهـ. كلام الترمذي وشكل بالتحريك له صحبة ولم يرو عنه إلا ابنه شتير.

قال صاحب سلاح المؤمن وليس لشكل في الكتب الستة إلا هذا الحديث.

(اللهم إني أعوذ بك من جار السوء) أي من شره **(في دار المقامة)** فإنه هو الشر الدائم والأذى الملازم، **(فإن جار البادية يتحوّل)** لقصر مدته فلا يعظم الضرر فيها. وفي رواية للطبراني جار السوء في دار الإقامة قاصمة الظهر.

قال العراقي: رواه النسائي والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ.

قلت: واللفظ للحاكم وفيه: أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه فساقه ورواه ابن ماجه أيضاً في صحيحه.

(اللهم إني أعوذ بك من القسوة) أي غلظ القلب وصلابته **(والغفلة)** أي ذهول القلب عن ذكر الله تعالى إهمالاً وإعراضاً، **(والعيلة)** أي الاحتياج وقلة ذات اليد **(والذلة)** بالكسر الهوان على الناس ونظرهم إلى الإنسان بعين الاحتقار والاستخفاف به، **(والمسكنة)** قلة المال وسوء الحال، **(وأعوذ بك من الفقر)** فقر النفس لا ما هو المتبادر من معناه من اطلاقه على الحاجة الضرورية، فإن ذلك يعم كل موجود: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، **(والكفر)** عناداً أو حجداً أو تديناً وأورده عقب الفقر لأنه يفضي إليه، **(والفسوق)** الخروج عن الاستقامة والجور، **(والشقاق)** مخالفة الحق بأن يصير كل من المنازعين في شق أي ناحية كأن كل قرين يحرص على ما يشق على الآخر **(والنفاق)** الحقيقي أو المجازي، **(والسمعة)** بالضم التنويه بالعمل ليسمعه الناس، **(والرياء)** بالكسر اظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوه، فالسمعة أن يعمل لله خفية ثم يتحدث به تنويهاً، والرياء أن يعمل لغير الله، وذكر هذه الخصال لكونها أقبح خصال الناس فاستعاذته منها إبانة عن قبحها وزجر للناس عنها بألطف وجه وأمر بتجنبها بالالتجاء إلى الله، **(وأعوذ بك من الصمم)** بطلان السمع أو ضعفه، **(والبكم)** أي الخرس أو هو ان يولد لا ينطق ولا يسمع والخرس أن يخلق بلا نطق، **(والجنون)** زوال العقل، **(والجذام)** علة تسقط الشعر وتفتت اللحم وتجري الصديد منه، **(والبرص)** محركة علة

والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام. اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحوّل عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك. اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر

تحدث في الاعضاء بياضاً رديئاً، **(وسيء الأسقام)** أي الامراض الرديئة كالاستسقاء والسل والمرض المزمن أي الاسقام السيئة فهو من اضافة الصفة للموصوف.

قال التوربشتي: ولم يستعذ من سائر الأسقام لأن منها ما اذا تحامل الانسان فيه على نفسه بالتصبر خفف مؤنته كحمى وصداع ورمد، فلذلك استعاذ من السقم المزمن الذي ينتهي صاحبه إلى حال يفر منه الحميم ويقل دونه المؤانس والمداوي مع ما يورث من الشين.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي مقتصرين على الأربعة الأخيرة والحاكم بتمامه من حديث أنس وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: أصل الحديث عند البخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي بلفظ: كان نبي الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». وزاد الحاكم وابن حبان فيه «والقسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصم والبكم والجنون والجذام وسيء الاسقام» هذا لفظ الحاكم، وبمثله رواه البيهقي في كتاب الدعوات. وروى أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق». وروى أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أنس «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيء الاسقام».

(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك) أي ذهابها مفرد في معنى الجمع يعم النعم الظاهرة والباطنة والنعمة كل ملائم تحمد عاقبته، ومن ثم قالوا: لا نعمة لله على كافر بل ملاذه استدراج والاستعاذة من زوال النعم يتضمن الحفظ عن الوقوع في المعاصي لأنها تزيلها، **(ومن تحول عافيتك)** أي تبدلها ويفارق الزوال التحول بأن الزوال يقال في كل شيء ثبت لشيء ثم فارقه، والتحويل تغيير الشيء وانفصاله من غيره فكأنه سأل دوام العافية وهي السلامة من الآلام والأسقام، **(ومن فجاءة)** بالضم والمدّ بغتة **(نقمتك)** بكسر فسكون غضبك وعقوبتك، **(ومن جميع سخطك)** أي سائر الأسباب الموجبة لذلك، فإذا انتفت أسبابها حصلت اضدادها ولا مانع من ارادة السبب والمسبب معاً لأن المسبب قد يحصل فيعفى عنه ﴿إن الله لا يغفرُ أن يشركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] وهذا مقول على منهج التعليم لغيره.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو داود والنسائي ولفظهم سواء إلا عند أبي داود «وتحويل عافيتك».

(اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار) أي احراقها بعد فتنتها، **(وفتنة النار)** سؤال

فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من المغرم والمأثم. اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب، وأعوذ بك من شر الغم ومن ضيق

خزنتها وتوبيخهم، **(وعذاب القبر)** استعاذ منه لأنه أوّل منزل من منازل الآخرة، فسأل الله تعالى أن لا يتلقاه في أوّل قدم يضعه في الآخرة في قبره عذاب ربه، **(وفتنة القبر)** التحير في جواب الملكين وهو من عطف العام على الخاص فعذابه قد ينشأ عن فتنته بأن يتحير فيعذب لذلك، وقد يكون لغيرها كأن يجيب بالحق ولا يتحير ثم يعذب على تفريطه في بعض المأمورات أو المنهيات. وقال الطيبي: قوله وفتنة النار أي فتنة تؤدي إلى عذاب النار وإلى عذاب القبر لئلا يتكرر إذا فسرنا بالعذاب، **(وشر فتنة الغنى)** أي البطر والطغيان وصرف المال في المعاصي، **(وشر فتنة الفقر)** حسد الأغنياء والطمع فيما لهم والتذلل لهم بما يدنس العرض ويثلم الدين ويوجب عدم الرضا بما قسم، **(وشر فتنة المسيح الدجال)** سمي الدجال مسيحاً لكون إحدى عينيه ممسوحة أو لمسح الخير منه فعيل بمعنى مفعول أو لمسحه الأرض أي قطعها في أمد قليل فهو بمعنى فاعل، وفي ذكر الدجال احتراز عن عيسى عليه السلام إنما استعاذ منه مع كونه لا يدركه نشراً لخبره بين أمته جيلاً بعد جيل لئلا يلتبس كفره على مدركه، **(وأعوذ بك من المغرم)** أي مغرم الذنوب والمعاصي أو هو الدين فيما لا يحل أو فيما يحل، لكن يعجز عن وفائه امادين احتاجه وهو يقدر على أدائه فلا استعاذة منه، أو المراد الاستعاذة عن الاحتياج إليه، **(والمأثم)** أي مما يأثم به الإنسان أو مما فيه إثم أو مما يوجب الإثم نفسه وضعاً للمصدر موضع الاسم.

قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي بتقديم وتأخير والنسائي وابن ماجه مختصراً والحاكم بزيادة ولفظ الجماعة أن النبي ﷺ كان يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال » الحديث. وفي الصحيح قال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟ قال « إن الرجل إذا غرم حدّث فكذب ووعد فأخلف ».

(اللهم إن أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع) تقدم الكلام عليها قريباً **(وصلاة لا تنفع)** أي صاحبها بقلة الخشوع فيها فتلف كما يلف الثوب ويرمى بها على وجه صاحبها، أو المراد بالصلاة الدعاء ومعنى لا تنفع لا تسمع، **(ودعوة لا تستجاب)** أي لا يستجاب لها، **(وأعوذ بك من شر الغمر)** بكسر الغين المعجمة الحقد كذا ضبط أو هو بضم العين المهملة كما سيأتي وفي بعضها « من شر الغم ». **(ومن ضيق الصدر)** هو عدم انفساحه لقبول الإيمان قاله العراقي. رواه مسلم من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث « اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها » ولأبي داود من حديث أنس « اللهم إني أعوذ بك من صلاة لا تنفع » وشك أبو المعتمر في سماعه من أنس، وله وللنسائي باسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث « وأعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر » اهـ.

الصدر . اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدّين وغلبة العدوّ وشماتة الأعداء . وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين .

قلت : وحديث زيد بن أرقم المشار إليه رواه أيضاً الترمذي والنسائي ولفظه « لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » . ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وتقدم مثل هذه الجمل الأخيرة من حديث ابن مسعود قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع » وفيه زيادة تقدم ذكرها .

وروى الترمذي والبيهقي من حديث علي : كان أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر » قال الترمذي : وليس إسناده بالقوي ، وحديث عمر بن الخطاب الذي أشار إليه العراقي قد رواه أيضاً ابن ماجه وابن حبان في الصحيح ، ولفظ أبي داود : « كان النبي ﷺ يتعوّذ من خمس من الجبن والبخل وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر » .

(**اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدّين**) ثقله وشدته وذلك حيث لا وفاء سيما مع الطلب ، وفي بعض الآثار ما دخل هم الدين قلباً إلا أذهب من العقل ما لا يعود ، (**وغلبة العدوّ**) أي تسلطه والعدوّ من يفرح بمصيبته ويحزن بمسرته وقد يكون من الجانبين أو أحدهما ، (**وشماتة الأعداء**) أي فرحهم بمصيبته وختم بهذه الكلمة البديعة لكونها جامعة متضمنة لسؤال الحفظ من جميع المعاصي .

قال بعض العارفين : إنما حسن الدعاء بدفع شماتة الأعداء لأن من له صيت عند الناس وتأمل وجد نفسه بينهم كبهلوان يمشي على حبل عال بقبقاب ، وجميع الاقران والحساد واقفون ينتظرون متى يزلف ثم من أشق ما على الزالف أن يغلب عليه رعاية مقامه عند الخلق فإنه يذوب قهراً بخلاف من يراعي الحق فإن الأذى يخف عليه ولو أظهر كلهم الشماتة ، فلذلك خف على العارف أثر شماتة الاعداء وثقل على المحجوب ، وإنما قال ﷺ ذلك خوفاً على اتباعه من التفرقة وقلة انتفاع المؤلفة إذا قل تعظيمه لا لكونه يتأثر مراعاة لحظ نفسه لعصمته من ذلك والله أعلم .

قال العراقي : رواه النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن عمر وقال : صحيح على شرط مسلم اهـ .

قلت : ولفظه أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات « اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدوّ وشماتة الاعداء » وكذا رواه أحمد والطبراني ، ورواه ابن حبان في صحيحه ولفظه غلبة العباد .

الباب الخامس

في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث:

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة. فإذا خرجت إلى المسجد فقل: « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً واجعل خلفي نوراً وأمامي نوراً واجعل من فوقي نوراً. اللهم أعطني نوراً »، وقل أيضاً:

الباب الخامس

في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

(**واذا أصبحت وسمعت الأذان يستحب لك جواب المؤذن**) فتقول مثل ما يقول، (**وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول**) بيت (**الخلاء و**) أدعية (**الخروج منه و**) كذا (**أدعية الوضوء**) كل ذلك (**في كتاب**) أسرار (**الطهارة**) على وجه التفصيل، لأن المقام اقتضى ذكرها هنالك، والذي يناسب ذكره هنا أدعية الخروج من المنزل إلى المسجد لقصد الصلاة فأشار إليه بقوله: (**فإذا خرجت**) من منزلك (**إلى المسجد فقل « اللهم اجعل في قلبي نوراً**) أي عظيماً كما يفيده التنكير، (**وفي لساني نوراً**) يعني في نطقي استعاره للعلم والهداية **فهو** على وزن: ﴿فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ [الأنعام: ١٢٢] (**وفي سمعي نوراً**) ليصير مظهر الله مسموع ومدركاً لكل كمال لا مقطوع ولا ممنوع، (**واجعل في بصري نوراً**) ليتحلى بانوار المعارف وتتجلى له صنوف الحقائق، **فهو** راجع إلى البيان والهداية ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ [النور: ٣٥] وخص هؤلاء الثلاثة « بفي » الظرفية لأن القلب مقر الفكر في آلاء الله ونعمائه ومكانها منه ومعدنها. والاسماع مراسي أنوار وحي الله تعالى ومحط آياته المنزلة على عباده، والبصر مسارح آيات الله المنصوبة المبثوثة في الآفاق والانفس ومحلها (**و**) اجعل من (**أمامي نوراً و**) من (**خلفي نوراً و**) اجعل من (**فوقي نوراً**) لأكون محفوفاً بالنور من سائر الجهات، فكأنه سأل أن يزج به في النور زجاً تتلاشى عنده الظلمات وتنكشف له المعلومات ويشاهد بكل جارحة منه سائر المبصرات. (**اللهم اعطني نوراً »**) عظيماً لا يكتنه كنهه لأكون دائم السير والترقي في درجات المعارف، فالقصد طلب مزيد النور ليدوم له الترقي في السير، وأراد بالنور العظيم الجامع للأنوار كلها وغيرها كانوار الأسماء الإلهية وأنوار الارواح.

« اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك، فإني لم أخرج أشراً ولا

وقال الطيبي: معنى طلب النور للأعضاء عضواً عضواً أن تتحلى بأنوار المعرفة والطاعة وتتعرى عن ظلمة الجهالة والمعصية لأن الإنسان ذو شهوة وطغيان رأى أنه قد أحاطت به ظلمات الجبلة معتورة عليه من فوقه إلى قدمه، والأدخنة الثائرة من نيران الشهوات من جوانبه ورأى الشيطان يأتيه من جميع جهاته بوساوسه وشبهاته ظلمات بعضها فوق بعض لم ير للتخلص منها مساغاً إلاّ بأنوار سادة لتلك الجهات، فسأل الله أن يسدده بها ليستأصل شافة تلك الظلمات ارشاداً للأمة وتعليماً لهم، وهذه الأنوار كلها راجعة إلى هداية وبيان، وإلى مطالع هذه الانوار يشير قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ إلى قوله ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ [النور: ٣٥] وإلى أودية تلك الظلمات يلمح قوله تعالى ﴿أو كظلمات في بحر لجيّ﴾ إلى قوله ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ [النور: ٤٠] وقوله ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] وقال الاكمل النور الذي فوقه تنزل روحي إلهي بعلم غريب لم يسبقه خبر ولا يعطيه نظر، والذي خلفه الذي يسعى بين يديه اتباعه.

قال العراقي: الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في المستخرج: حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا محمد ابن يحيى يعني ابن منده، حدثنا أبو كريب، حدثنا محمد بن فضيل، عن حصين هو ابن عبد الرحمن، عن حبيب بن أبي ثابت، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رقدت عند النبي ﷺ. فذكر الحديث في صلاة النبي ﷺ بالليل، وقراءته الآيات من آخر سورة آل عمران وفيه: « ثم أتاه المؤذن فخرج وهو يقول اللهم اجعل في قلبي نوراً. وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي لساني نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً وأعظم لي نوراً » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن واصل بن عبد الأعلى وأبو داود عن عثمان بن أبي شيبة وابن خزيمة عن هارون بن إسحاق ثلاثتهم عن محمد بن فضيل، ووقع في رواية مسلم « من فوقي ومن تحتي » بدل « عن يميني وعن يساري » كما هو عند المصنف، ووقع عنده أيضاً « واعطني » بدل « واعظم لي » كما هو عند المصنف. وكذا رواه أبو داود من رواية هشام عن حصين لكن قال « واعظم لي نوراً » واختلف الرواة على علي بن عبد الله وعلى سعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس في محل هذا الدعاء: هل هو عند الخروج إلى الصلاة أو قبل الدخول فيها أو في أثنائها أو عقب الفراغ منها ويجمع باعادته، وقد أوضحه الحافظ في فتح الباري.

(وقل: « **اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك**) وهم المتضرعون إلى الله تعالى بخالص طوياتهم، (**وبحق ممشاي هذا إليك**) الممشى مصدر ميمي بمعنى المشي وهو الانتقال من مكان إلى مكان بارادة، والمراد بالحق في الموضعين الجاه والحرمة كما تقدمت الإشارة إليه في آخر كتاب العقائد. إذ لاحق لمخلوق على الخالق وقوله: « إليك » أي إلى بيتك. (**لم أخرج**) من منزلي (**أشراً**) محركة كفر النعمة (**ولا بطراً**) محركة بمعناه، وقيل: الأشر شدة البطر فهو أبلغ منه،

بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». فإن خرجت من المنزل لحاجة فقل: «بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي. بسم الله

والبطر أبلغ من الفرح إذ الفرح وإن كان مذموماً غالباً فقد يحمد على قدر ما يجب، وفي الموضع الذي يجب فبذلك فليفرحوا وذلك لأن الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل. والأشر لا يكون إلا فرحاً بحسب قضية الهوى، **(ولا رياء ولا سمعة)** قد تقدم تفسيرهما قريباً **(خرجت اتقاء)** أي حذر **(سخطك)** وهو الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، والمراد هنا انزال العذاب **(وابتغاء)** أي طلب **(مرضاتك)** أي رضاك، **(فاسألك أن تنقذني)** أي تخلصني **(من النار)** أي من عذابها **(وأن تغفر ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري باسناد حسن اهـ.

قلت: رواه ابن ماجه، عن محمد بن يزيد بن ابراهيم، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية هو العوفي، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إذا خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً» وساقه كسياق المصنف، ثم قال «وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضي صلاته». وأخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق، وهو في كتاب الدعاء للطبراني عن بشر بن موسى عن عبد الله بن صالح العجلي عن فضيل بن مرزوق. ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد من رواية محمد بن فضيل بن غزوان، ومن رواية أبي خالد الأحمر. وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني من رواية أبي نعيم الكوفي كلهم عن فضيل بن مرزوق، وعطية العوفي صدوق في نفسه حسن له الترمذي عدة أحاديث بعضها من أفراده، وإنما ضعف من قبل التشيع ومن قبل التدليس.

وقد روي نحو هذا عن بلال رضي الله عنه قال أبو بكر بن السني: حدثنا محمد بن عبدالله البغوي، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا علي بن ثابت الجزري، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن بلال رضي الله عنه مؤذن النبي ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال «بسم الله آمنت بالله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فإني لم أخرجه أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك. أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة». وأخرجه الدارقطني في الإفراد من هذا الوجه وقال: تفرد به الوازع، وقد قال أبو حاتم وغيره أنه متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها غير محفوظة.

(وإن خرجت من المنزل لحاجة فقل «بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم) أحداً من الناس **(أو أظلم)** أي يظلمني احد **(أو أجهل)** أي أمور الدين **(أو يُجهل عليّ)** بضم الياء التحتية أي ما يفعل الناس من إيصال الضرر بي.

الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم بسم الله التكلان على الله » فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل: « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم. اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وقدم رجلك اليمنى في الدخول، فإذا

قال الطيبي: من خرج من منزله لا بدّ أن يعاشر الناس ويزاول الأمور فيخاف العدل عن الصراط المستقيم، ففي أمور الدنيا بسبب التعامل معهم بأن يظلم أو يظلم، وأما لحق بسبب الخلطة والصحبة فأما أن يجهل أو يجهل عليه فاستعاذ من ذلك كله بلفظ وجيز ومتن رشيق مراعياً للمقابلة المعنوية والمشاكلة اللفظية اهـ.

وقيل: معنى أجهل أويُجهل علي أفعل بالناس فعل الجهال من الايذاء والاضلال أو المراد الحال التي كانت العرب عليها قبل الاسلام من الجهل بالشرائع والتفاخر في الانساب والتعاظم بالاحساب والكبر والبغي ونحوها.

قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث أم سلمة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والحاكم وصححه وابن عساكر في التاريخ إلا أنه زاد « أو أبغي أو يُبغي علي » وفي بعض رواياتهم زيادة « أن أزل أو أضل » قبل قوله « أن أظلم ». وفي رواية للنسائي كان إذا خرج من بيته قال « بسم الله اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا ». (بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلا بالله) أي لا حيلة ولا قوّة إلا بتيسيره ومشيئته (التكلان) بالضم أي الاعتماد (على الله »).

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا اخرج من منزله قال « بسم الله ». فذكره إلا أنه لم يقل « الرحمن الرحيم » وفيه ضعف اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه الحاكم وابن السني. وروى الطبراني في الكبير من حديث بريدة الاسلمي رضي الله عنه رفعه كان إذا خرج من بيته قال « بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوّة إلا بالله. اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يُجهل علي، أو أبغي أو يُبغى علي » وقد تقدم ذكر أدعية الخروج في كتاب الحج وبسطت عليه الكلام هناك.

(فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل « اللهم صلّ على محمد وسلم. اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ») قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قال الترمذي حسن وليس إسناده بمتصل، ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل أحدكم المسجد فليقل « اللهم افتح لي أبواب رحمتك » وزاد أبو داود في أوله « فليسلم على النبي ﷺ » اهـ.

قلت: أما حديث فاطمة رضي الله عنها، فقال الطبراني في الدعاء: أخبرنا إسحاق بن ابراهيم، عن عبد الرزاق، عن قيس بن الربيع، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسن، عن

....

فاطمة الكبرى رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال «اللهم صلّ على محمد وسلم واغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال مثلها لكنه يقول «أبواب فضلك».

وقد روي من وجه آخر فيه الحمد والتسمية والصلاة والتسليم. قال أبو بشر الدولاني: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا موسى بن داود، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال «بسم الله والحمد لله وصلى الله على النبي وسلم. اللهم أغفر لي» فذكر مثل الذي قبله، لكن قال سهل بدل افتح في الموضعين. ورواة هذا الاسناد ثقات إلا أن فيه الإنقطاع الذي يأتي ذكره، وقد شذّ صالح بن موسى الطلحي، فرواه عن عبد الله بن الحسن عن أمه عن أبيها الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب أخرجه أبو يعلى من طريقه، وصالح ضعيف.

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر، قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا ابراهيم بن يوسف الصيرفي، أنبأنا سعيد بن الحسن، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه، عن جدتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد حمد الله وسمى وقال: «اللهم اغفر وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال مثل ذلك. وقال أبواب فضلك. وأخرجه ابن السني عن موسى بن الحسن الكوفي عن ابراهيم بن يوسف ووقع في روايته عن جدته، وفيه تجوز لأنها جدته العليا، وهو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ففاطمة رضي الله عنها جدة أبيه وجدة أمه أيضاً لأن أمه هي فاطمة بنت الحسين بن علي، ورجال هذا السند أيضاً ثقات، لكن فيه انقطاع يأتي بيانه.

وروي من وجه آخر بزيادة الصلاة فيه. قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن ابراهيم هو ابن علية، حدثنا ليث هو ابن أبي سليم، عن عبدالله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك» قال إسماعيل: فلقيت عبد الله بن الحسن فسألته عن هذا الحديث فقال: كان إذا دخل قال «رب افتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال «افتح لي أبواب فضلك» وهكذا أخرجه الترمذي عن علي بن حجر عن إسماعيل بن علية. وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن إسماعيل وأبي معاوية كلاهما عن ليث ولم يذكر قول إسماعيل فلقيت عبد الله بن الحسن، وقول الترمذي: ليس إسناده بمتصل بينه بقوله فاطمة بنت الحسين لم تدرك جدتها فاطمة الكبرى لأنها عاشت بعد النبي ﷺ أشهراً. قال الحافظ: وكان عمر الحسين عند موت أمه رضي الله عنهما دون ثمان سنين والله أعلم.

وأما حديث أبي حميد وأبي أسيد، فرواه مسلم عن حامد بن عمر، عن بشر بن المفضل، عن

....

عمارة بن غزية، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن عبد الملك بن سعيد الأنصاري، عن أبي حميد أو أبي أسيد. ورواه مسلم أيضاً عن يحي بن يحي النيسابوري، عن سليمان بن بلال، عن ربيعة. وأخرجه أبو داود عن محمد بن عثمان الدمشقي عن عبد العزيز الدراوردي عن ربيعة. وأخرجه الدارمي عن الغضبي عن سليمان بن بلال. وأخرجه أيضاً عن يحي بن حسان عن الدراودي. وأخرجه المخلص في فوائده عن يحي بن محمد بن صاعد، عن سوار بن عبد الله العنبري، عن بشر ابن المفضل. وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن فاروق بن عبد الكبير، عن أبي مسلم، عن مسدد عن بشر بن المفضل. وأخرجه أيضاً عن جعفر بن محمد بن عمر، وعن أبي حصين الوارعي عن يحي بن عبد الحميد الحماني عن سليمان بن بلال. قال مسلم: سمعت يحي بن يحي يقول: كتبته من كتاب سليمان بن بلال قال: وبلغني ان يحي الحماني يقول: يعني عن سليمان بسنده المذكور عن أبي حميد وأبي أسيد اهـ.

يعني أن الحماني رواه بواو العطف، وأن يحي بن يحي رواه «بأو» التي للتردد ولم ينفرد الحماني بذلك، فقد اخرجه أحمد عن أبي عامر العقدي عن سليمان بواو العطف أيضاً، وكذا أخرجه النسائي وأبو يعلى وابن حبان من رواية سليمان، ولم ينفرد به عن سليمان أيضاً بل جاء من رواية عمارة بن غزية أيضاً كما عند الطبراني في الدعاء وأبي عوانة في الصحيح. وأخرجه ابن ماجة من رواية إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية، لكن قال عن أبي حميد ولم يذكر أبا أسيد، وهكذا أخرجه أبو عوانة أيضاً من رواية عبد العزيز الأوسي عن الدراوردي، والله أعلم.

تنبيه:

وفي الباب عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

أما حديث أبي هريرة، فأخرجه النسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والطبراني جميعاً من طريق بغداد هو محمد بن بشار قال: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، حدثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج من المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» وأخرجه ابن السني عن النسائي، وأخرجه أيضاً من رواية عمرو بن علي الفلاس عن أبي بكر الحنفي. وأخرجه يوسف القاضي في كتاب الدعاء من رواية حميد بن الأسود عن الضحاك. وأخرجه الحاكم من طريق أبي بكر الحنفي وقال: صحيح على شرط الشيخين ووقع في رواية النسائي «باعدني» وفي نسخة «اعذني» وهي رواية ابن ماجه وابن السني. وفي رواية ابن خزيمة وابن حبان «أجرني» ورجال هذا الحديث من رجال الصحيح، لكن أعله النسائي فأخرجه من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن كعب الاحبار أنه قال له: أوصيك باثنتين فذكر هذا الحديث بنحوه. ومن طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن كعب، كذلك

رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل: « لا أربح الله تجارتك » وإذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل: « لا ردها الله عليك » أمر به رسول الله ﷺ . فإذا صليت ركعتي

قال النسائي: ابن أبي ذئب اثبت عندنا من الضحاك بن عثمان، وعن محمد بن عجلان وحديثه أولى بالصواب. قال الحافظ ورواية ابن عجلان أخرجها عبد الرازق وابن أبي شيبة في مصنفيهما كذلك. وأخرجه عبد الرزاق عن أبي معشر عن سعيد المقبري أن كعباً قال لأبي هريرة، فذكره، فهؤلاء ثلاثة خالفوا الضحاك في رفعه. وزاد ابن أبي ذئب في السند راوياً وخفيت عليه العلة على من صحح الحديث من طريق الضحاك، وفي الجملة هو حسن لشواهده والله أعلم.

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال أبو داود في السنن: حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شريح قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له: بلغني انك حدثت عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ انه كان يقول إذا دخل المسجد « أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القويم من الشيطان الرجيم قال: أقط قال: نعم. قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم » ومعنى قوله « أقط » ما بلغك إلا هذا خاصة والهمزة للاستفهام، والمشهور في طاء قط التخفيف.

وأما حديث أنس، فأخرجه ابن السني عن الحسن بن موسى الريفي: حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي، حدثنا ابراهيم بن محمد بن البختري شيخ صالح بغدادي، حدثنا عيسى بن يوسف، عن معمر، عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال « بسم الله اللهم صلّ على محمد » وإذا خرج قال « بسم الله اللهم صلِّ على محمد ».

(فإذا رأيت في المسجد من يبيع فيه أو يبتاع) أي يشتري **(فقل: « لا أربح الله تجارتك » وإذا رأيت من ينشد)** أي يطلب **(ضالة في المسجد فقل « لا رد الله عليك » أمر بذلك رسول الله ﷺ)**.

قال العراقي: حديث « لا أربح الله » رواه الترمذي وقال: حسن غريب، والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي هريرة، وحديث « لا رد الله عليك » رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: حديث الضالة رواه مسلم عن زهير بن حرب، ورواه أبو داود عن عبيد الله القواريري كلاهما عن عبد الله بن يزيد المقرى عن حيدة بن شريح قال: سمعت أبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يقول: أخبرني أبو عبدالله مولى شداد بن الهاد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردّها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا » وأخرجه الفاكهي في تاريخ مكة عن ابن أبي ميسرة عن المقري، وأخرجه مسلم أيضاً، وابن حبان من رواية عبد الله بن وهب عن حيوة. وفي الباب عن بريدة الاسلمي، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعصمة، وابن مسعود رضي الله عنهم.

....

أما حديث بريدة فأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن أبي هناد، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه أن رجلاً قام في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي ﷺ: «لا وجدت فإنما بنيت المساجد لما بنيت» والمعنى من يعرف الجمل فدعا صاحبه. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وقد رواه سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد بلفظ «من يعرف الجمل الأحمر». أخرجه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن عبد الرزاق عن الثوري.

وأما حديث أنس، فأخرجه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم هو ابن راهويه قال: قلت لأبي قرة: أذكر موسى بن عقبة عن عمرو بن أبي عمرو عن أنس أن رجلاً دخل المسجد ينشد ضالة فقال النبي ﷺ «لا وجدت» فأقرّ به أبو قرة وقال: نعم. وهو في مسند إسحاق بن راهوية هكذا. وأخرجه البزار من وجه آخر عن عمرو بن أبي عمرو.

وأما حديث جابر، فأخرجه النسائي عن محمد بن وهب بن أبي كريمة، عن محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن أبي الزبير عن جابر قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً ينشد ضالة في المسجد فقال «لا وجدت».

وأما حديث سعد، فأخرجه البزار وهو بنحو حديث أنس.

وأما حديث عصمة، فأخرجه الطبراني ولفظه «قولوا لا ردها الله عليك».

وأما حديث ابن مسعود، فأخرجه أبو العباس السراج، عن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: سمع ابن مسعود رجلاً ينشد ضالة في المسجد فغضب وسبّه، فقال له الرجل: ما كنت فاحشاً. فقال «بهذا أمرنا». وأخرجه ابن خزيمة في الصحيح من طريق محمد بن فضيل بهذا السند، وأخرجه البزار من وجه آخر عن عاصم الأحول وقال في آخره «بهذا أمرنا إذا وجدنا من ينشد ضالة في المسجد أن نقول له لا وجدت» وفي الباب أيضاً عن عبد الله بن عمرو، وثوبان جد محمد بن عبد الرحمن وسيذكره قريباً.

وأما حديث «لا أربح الله» فقال الدارمي: حدثنا الحسن بن أبي يزيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد، حدثنا يزيد بن حقيقة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن ثوبان، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا أداها الله لك» أخرجه الترمذي عن الحسن بن علي الخلال عن عارم. وأخرجه النسائي عن إبراهيم بن يعقوب عن علي بن المديني وأخرجه ابن خزيمة عن أبي خليفة عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجيمي. أربعتهم عن عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردي. وأخرجه ابن حبان عن ابن خزيمة والحاكم من رواية عارم وقال: صحيح على شرط مسلم.

ورواه ابن السني والطبراني فقال: عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن أبيه، عن جده أن

الصبح فقل: «بسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي» الدعاء إلى آخره. كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، فإذا ركعت فقل في ركوعك: «اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت. أنت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين» وإن أحببت فقل: «سبحان ربي العظيم ـ ثلاث مرات ـ أو سبوح قدوس رب

رسول الله ﷺ قال «من رأيتموه ينشد شعراً في المسجد فقولوا فض الله فاك ـ ثلاث مرات ـ ومن رأيتموه يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك» ثلاث مرات. هذا الحديث غريب تفرد بوصله محمد بن حميد عن عباد بن كثير عن يزيد بن حقيقة، وقد رواه أبو خيثمة الجمعي عن عباد بن كثير، لكن لم يقل عن جده. والآفة فيه من عباد وهو ضعيف جداً. وقد خالف فيه الدراوردي وهو ثقة وسنده هو المعروف، وأخرج ابن خزيمة في الصحيح عن بندار ويعقوب بن إبراهيم، وأخرجه أبو عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قالوا: حدثنا يحي بن سعيد، حدثنا محمد بن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن حسيلة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن البيع والشراء في المسجد وأن تنشد فيه الأشعار وأن تنشد فيه الضالة». وأخرجه أصحاب السنن من طرق عن محمد بن عجلان، وثوبان المذكور أولاً ليس هو المشهور بل هو آخر لا يعرف إلا في هذا الإسناد، ولا روى عن عبد الرحمن بن ثوبان إلا ابنه محمد فهو في عداد المجهولين، والله أعلم.

(فإذا صليت ركعتي الصبح فقل «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي» الدعاء إلى آخره. كما أوردناه عن ابن عباس) رضي الله عنهما **(عن رسول الله ﷺ)** رواه الترمذي وقد تقدم قريباً. **(فإذا ركعت)** في صلاتك **(فقل)** هذا الدعاء **(«اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت. أنت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به)** أي حملت **(قدمي لله رب العالمين)**» قال العراقي: رواه مسلم من حديث علي.

قلت: هذا السياق للطبراني في الدعاء رواه من طريق جنادة بن مسلم، عن عبد الله بن الفضل، عن الأعرج، عن عبد الله بن أبي رافع، عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا ركع إلا أنه لم يقل «ولك خشعت» وقال «عظامي» بدل «عظمي».

ورواه الطبراني أيضاً من طريق عبد العزيز الماجشون، عن عمه، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع قال «اللهم لك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي» ورواه أحمد عن حجيدة بن المثنى عن عبد العزيز الماجشون. وأخرجه مسلم من وجه آخر عن عبد العزيز الحديث الطويل الذي فيه دعاء الافتتاح «وجهت وجهي».

....

(وأن أخببت فقل « سبحان ربي العظيم » ثلاث مرات) قال العراقي : رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع اهـ .

قلت : رواه الطيالسي عن ابن أبي ذئب ، عن إسحاق بن يزيد الهذلي ، عن عوف بن عبد الله ابن أبي عتبة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قال في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاث مرات فقد تم ركوعه وذلك أدناه » . أخرجه أبو داود عن عبد الملك بن مروان الأهوازي عن الطيالسي ، وأخرجه الترمذي من طريق عيسى بن يونس ، وابن ماجه من طريق وكيع . كلاهما عن ابن أبي ذئب ، قال الترمذي : ليس إسناده بمتصل ، عوف لم يلق عبد الله بن مسعود ، وكذا قال البيهقي . لكن عبّر بقوله لم يدرك وساق له شاهداً من حديث أبي جعفر محمد بن علي ، عن النبي ﷺ قال « سبحوا ثلاث تكبيرات ركوعاً وثلاث تسبيحات سجوداً » وهذا مرسل أو معضل لأن أبا جعفر من صغار التابعين ، وجلّ روايته عن التابعين وقال الطبراني : والزيادة التي في حديث ابن مسعود وهي قوله « وذلك أدناه » لا تروى إلا في هذا الحديث تفرد بها ابن أبي ذئب . قال الحافظ : ووقع في رواية الشافعي في المرسل الذي ساقه البيهقي شاهد الحديث ابن مسعود ما يشعر بهذه الزيادة قال : أخبرنا ابن أبي يحيى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : جاءت الحطابة إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إنا لا نزال سفراً فكيف نصنع بالصلاة ؟ فقال « سبحوا ثلاث تسبيحات ركوعاً وثلاث تسبيحات سجوداً » . وقد ورد التثليث فيه في عدة أخبار بدون تلك الزيادة .

أخرج الطبراني في الدعاء : حدثنا معاذ بن المثنى ، وبكر بن سهل ، ومحمد بن الفضل السقطي وعبيد بن غنام . قال الأول : حدثنا مسدد ، والثاني : حدثنا نعيم بن حماد ، والثالث : حدثنا سعيد بن سليمان ، والرابع : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قالوا : حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن عن الشعبي ، عن صلة بن زفر ، عن حذيفة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه « سبحان ربي العظيم ثلاثاً وفي سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثاً » وهو حديث حسن . وأخرجه ابن خزيمة عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ومسلم بن جنادة ، وأخرجه المعمري في اليوم والليلة عن عثمان بن أبي شيبة . وأخرجه الدارقطني عن البغوي عن عبد الله بن عمر بن أبان . كلهم عن حفص بن غياث . وزاد الدارقطني في روايته : « وبحمده » في الموضعين . وابن أبي ليلى ضعيف من قبل حفظه ، وقد خالفه السري بن إسماعيل وهو مثله أو دونه ، فرواه الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود قال : « من السنة » فذكر مثله لكن لم يقل ثلاثاً . وأخرج البزار من حديث أبي بكرة كاللفظ الأول ذكر فيه ثلاثاً ولم يقل « وبحمده » . وأخرج الدارقطني مثله من حديث جبير بن مطعم ومن حديث عبد الله بن أفرم وفي سند كل منهما ضعف » .

الملائكة والروح ». فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل: « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق

(أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح ») قال العراقي: رواه مسلم من حديث عائشة اهـ.

قلت: قال أحمد: حدثنا عمرو بن الهيثم، حدثنا هشام هو الدستوائي، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » أخرجه مسلم وأبو داود من رواية هشام، ورواه شعبة عن قتادة مقتصراً على الركوع، وأشار إلى رواية هشام بزيادة السجود. ورواه معمر عن قتادة بالشك، وقد تابع هشاما على الجمع بينهما سعيد بن أبي عروبة.

(فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ») رواه البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري قال: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول « سمع الله لمن حمده » حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم « ربنا لك الحمد » وأخرجه مسلم من رواية عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهري، ومن رواية هجين بن المثنى عن الليث عن عقيل عن الزهري إلا أنه قال « ربنا ولك » بإثبات الواو. وهذه الرواية علقها البخاري لعبد الله بن صالح عن الليث عقب رواية يحي بن بكير، ووصلها من طريق شعيب بن أبي حمزة عن الزهري. وأخرجها النسائي من رواية يونس بن يزيد عن الزهري وهي عند أحمد من رواية معمر عن الزهري، ووقع بالواو أيضاً في حديث رفاعة بن رافع عند البخاري كما سبق للمصنف في الباب الأول من هذا الكتاب، لكنه ليس من لفظ النبي ﷺ. ووقع من غير « واو » في حديث أبي سعيد وعلي وابن أبي أوفى وابن عباس، وكلها في مسلم. واختلف في تخريج « الواو » فقيل هي عاطفة على شيء محذوف، وعلى ذلك اقتصر ابن دقيق العيد وقيل: هي حالية، وبذلك جزم ابن الأثير في النهاية وقيل: هي زائدة. وقد تقدم الكلام على ذلك مفصلاً في كتاب الصلاة فراجعه إن شئت.

وقال عبد بن حميد: حدثنا محمد بن عبيد: حدثنا الأعمش، عن عبيد بن الحسن، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد **(ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد »)** رواه مسلم، وأبو داود من طريق أبي معاوية ووكيع كلاهما عن الاعمش، ورواه أحمد عن وكيع، ورواه أبو داود أيضاً عن محمد بن عيسى عن محمد بن عبيد. وقال أبو داود بعد تخريجه: رواه شعبة وسفيان الثوري عن عبيد بن الحسن لم يذكر فيه بعد الركوع اهـ.

قال الحافظ: والأعمش حافظ فزيادته معتمدة، وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، حدثنا عمي عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب رضي الله

ما قال العبد وكلنا لك عبد. لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »، وإذا سجدت فقل: « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت. سجد

عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: فساقه بمثل الحديث السابق إلا أن فيه زيادة بعد قوله: وملء الأرض وملء ما بينهما » رواه مسلم والنسائي من طريق عبد الرحمن بن مهدي، ومسلم أيضاً من طريق أبي النضر، وأبو داود من طريق معاذ بن معاذ، والترمذي من طريق سليمان بن داود. أربعتهم عن عبد العزيز. وأخرجه الترمذي أيضاً عن محمود بن غيلان، عن أبي داود الطيالسي. وأخرجه الدارمي عن يحيى بن حسان عن عبد العزيز.

وقال الدارمي أيضاً: أخبرنا مروان بن محمد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، حدثنا عطية بن قيس، عن قزعة بن يحيى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فذكر مثل حديث ابن أبي أوفى وزاد بعد قوله « من شيء بعد **(أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »)** وهو حديث صحيح أخرجه مسلم عن الدارمي، وأخرجه أحمد عن الحكم بن نافع، وأبو داود، وابن خزيمة من رواية أبي مسهر، وعبد الله بن يوسف، وأبو داود أيضاً من رواية بشر بن بكر، والنسائي من رواية مخلد بن يزيد. خمستهم عن سعيد بن عبد العزيز، ووقع في رواية بعضهم « اللهم ربنا ». وذكر أبو داود أن في رواية عبد الله بن يوسف « ربنا ولك الحمد » بزيادة « واو ».

وقال الطبراني في الدعاء: حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن عطية بن قزعة، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا رفع رأسه من الركوع « سمع الله لمن حمده اللهم ربنا ولك الحمد » فذكر الحديث مثله، لكنه قال: « لا نازع لما أعطيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ». أخرجه أبو داود عن محمد بن محمد بن مصعب، وابن خزيمة عن زكريا بن يحيى بن أبان، والطحاوي عن مالك بن عبد الله بن سيف، والبيهقي من طريق المقدام بن داود أربعتهم عن عبد الله بن يوسف.

وقد جاء هذا الدعاء مختصراً من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال « اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » أخرجه أحمد ومسلم والنسائي والحسن بن سفيان وأبو نعيم كلهم من طريق هشام بن حسان عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

(وإذا سجدت فقل،) قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا يوسف بن يعقوب بن الماجشون، حدثنا أبي، عن الأعرج، عن عبد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد قال: **(« اللهم لك سجدت وبك آمنت**

وجهي للذي خلقه وصوّره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » أو تقول: « سبحان ربي الأعلى ـ ثلاث

ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه) وصوّره فأحسن صوره **(وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين »)** لفظ مسلم: تبارك الله من غير « فاء » وبالفاء رواية الحاكم من حديث عائشة على ما سيأتي ذكره. ورواه أبو نعيم في المستخرج عن حبيب بن الحصين، حدثنا يوسف القاضي، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدسي. ورواه الطبراني في الدعاء عن علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل وحجاج بن المنهال قالا: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، حدثنا الماجشون.

وقال العدني في مسنده: حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن أبي العالية عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في سجود القرآن بالليل « سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته ». ورواه أحمد عن هشام عن خالد الحذاء نحوه. وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة كلهم عن بندار عن عبد الوهاب الثقفي. وأخرجه ابن خزيمة والحاكم من رواية وهب بن خالد وخالد بن عبد الله الواسطي كلاهما عن خالد الحذاء. قال ابن خزيمة: وخالد الحذاء لم يسمع من أبي العالية بل بينهما. قال الحافظ: كأنه يشير إلى ما رواه إسماعيل ابن علية فقال عن خالد الحذاء عن رجل عن أبي العالية عن عائشة، وخفيت علته على الترمذي فصححه. واغتر ابن حبان بظاهره فأخرجه في صحيحه عن ابن خزيمة، وتبعه الحاكم في تصحيحه وكأنهما لم يستحضرا كلام إمامهما فيه. وذكر الدارقطني الاختلاف فيه وقال: الصواب رواية إسماعيل. وأخرجه من طريق محمد بن المثنى عن عبد الوهاب الثقفي فذكر الحديث بتمامه سنداً ومتناً وقال بعد قوله: فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأخرجه من طريق أخرى عن محمد بن المثنى بدون هذه الزيادة **(« اللهم سجد لك سوادي)** أي شخصي **(وخيالي)** وفي رواية تقديم خيالي على سوادي **(وبك آمن فؤادي)** وفي رواية. وآمن بك فؤادي **(أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي)** وفي رواية الاقتصار على قوله أبوء بنعمتك علي **(هذا ما جنيت على نفسي)** وفي رواية هذه يدي وما جنيت على نفسي **(فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »)** قال العراقي: رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الإسناد وليس كما قال بل هو ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الحاكم في المستدرك كما ساقه المصنف إلا أنه لم يذكر « وأبوء بذنبي » وبعده عنده « وهذا ما جنيت على نفسي يا عظيم يا عظيم اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب العظيمة إلا الرب العظيم ». وأخرجه البزار من حديثه أن النبي ﷺ قال في سجوده فذكره.

وله شاهد من حديث عائشة أخرجه أبو يعلى من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عنها قالت:

....

فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول « اللهم أعوذ برضاك من سخطك » فساقه. وزاد في آخره « سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي » وسنده ضعيف. وعطاء هو الخراساني لم يدرك عائشة.

(أو تقول « سبحان ربي الأعلى » ثلاث مرات). قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وهو منقطع اهـ.

قلت: سبق في أذكار الركوع أن الترمذي بعدما أورده قال: ليس إسناده بمتصل. عون لم يلق ابن مسعود، وكذا قال البيهقي إلا أنه عبر بقوله لم يدرك، وتقدم أيضاً حديث الشعبي عن صلة ابن زفر عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه « سبحان ربي العظيم » ثلاثاً وفي سجوده « سبحان ربي الأعلى » ثلاثاً. وعند أبي داود من حديث عقبة بن عامر كان ﷺ إذا سجد قال « سبحان ربي الأعلى وبحمده » ثلاثاً. وعنده أيضاً من طريق سعيد الجريري عن أسعد عن أبيه أو عمه قال: رمقت صلاة رسول الله ﷺ فكان يمكث في ركوعه وسجوده بقدر ما يقول « سبحان الله وبحمده » ثلاثاً.

تنبيه:

في ذكر بعض أدعية الركوع والسجود مما لم يذكره المصنف.

فمنها: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن. وفي رواية: كان يكثر أن يقول، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، وفي رواية عنها: ما صلى رسول الله ﷺ صلاة منذ أنزل عليه ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلا دعا فيها سبحانك « ربي وبحمدك اللهم اغفر لي » رواه هكذا مسلم. وفي رواية عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر قبل موته من قول « سبحان ربي وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » رواه مسلم أيضاً. وفيه دلالة على عدم التخصيص بحال الصلاة. وفي حديثها أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » رواه مسلم وأبو داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » ويقول في سجوده مثل ذلك، رواه أبو داود والنسائي في سننهما، والترمذي في الشمائل، والطبراني في الدعاء. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: افتقدت النبي ﷺ فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت، فإذا هو ساجد يقول « سبحانك وبحمدك لا إله الا أنت » فقلت بأبي وأمي إنك لفي شأن وإني لفي آخر. رواه مسلم.

وعن أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنهما قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول « اللهم إني أعوذ

مرات ـ » . فإذا فـرغت من الصلاة فقل : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا

برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » رواه مسلم أيضاً ، وقد تقدم هذا الحديث للمصنف في آخر كتاب تلاوة القرآن ، وسيأتي له كذلك في هذا الباب .

ورواه صالح بن سعيد عن عائشة رضي الله عنها أنها فقدت رسول الله ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » . رواه أحمد .

ورواه هلال بن يسار عنها قالت : فقدت النبي ﷺ من مضجعـه فجعلت ألتمسه وظننت أنه أتى بعض جواريه فوقعت يدي عليه وهو ساجد يقول « اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت » رواه النسائي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده « اللهم اغفر لي ذنبي دقه وجله أوله وآخره سره وعلانيته » رواه مسلم وأبو داود والنسائي والطبراني .

وعن علي رضي الله عنه قال : « من أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد في سجوده رب ظلمت نفسي فاغفر لي » رواه الطبراني في الدعاء وهو في حكم المرفوع وإن لم يصرح برفعه .

فصل

ولم يذكر المصنف ما يدعى به بين السجدتين هنا ، وأورده في كتاب الصلاة وذكر هناك عشر كلمات مجموعة من روايات مختلفة ، وقد قال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار : أن النووي ذكر في شرح المهذب تبعاً للرافعي وغيره بلفظ « رب اغفر لي واجبرني وعافني وارزقني واهدني » ثم قال : والأحب أن يضم إليها « وارحمني وارفعني » فقد ورد ذلك وذكره في الروضة بلفظ « اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني » وهو موافق لرواية الترمذي ورواية أبي داود مثلها ، لكن قال « عافني » بدل « اجبرني » . ورواية ابن ماجة مثل الترمذي ، لكن قال « وارفعني » بدل « اجبرني » فينتظم من رواية الثلاثة ما ذكره في شرح المهذب ، وجمعها ابن عدي إلا « ارفعني » . ومثله ابن حبان لكن عنده « انصرني » بـدل « اهـدني » واتفقـت روايـات الجميـع على إثبـات « اغفـر لي وارحمني » .

(فإذا فرغت من الصلاة فقل « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ») قال العراقي : رواه مسلم من حديث ثوبان اهـ .

قلت : ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ولفظهم جميعاً : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من صلاته استغفر ثلاثاً وقال « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » قال الوليد : فقلت للإوزاعي : كيف الاستغفار ؟ وقال : تقول أستغفر الله أستغفر الله

الجلال والإكرام »، وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها. فإذا قمت من المجلس وأردت

أستغفر الله، **(وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها)** وبسائر الأذكار المذكورة من التهليل والتسبيح والتكبير والاستغفار والتعوذ مما ورد التصريح به أنه في دبر الصلوات.

فمن الأذكار « التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين فتلك تسع وتسعون وكمال المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير »، فمن قال ذلك غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » وقال: كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة. رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: « أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوّذات دبر كل صلاة » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم في صحيحيهما. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، واللفظ لأبي داود والنسائي. ولفظ الترمذي: « أن أقرأ بالمعوّذتين في دبر كل صلاة ».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » رواه النسائي عن الحسين بن بشر عن محمد بن حميد عن محمد بن زياد الالهاني عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وأما الأدعية فمنها ما تقدم للمصنف ما وقع التصريح فيه بأنه يقال في دبر الصلوات كقوله « أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر » رواه البخاري والترمذي والنسائي عن عمرو بن ميمون الأودي أن سعد بن أبي وقاص كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان.

وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة قال « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلـه إلا أنت » رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه، واللفظ لأبي داود. وقال الترمذي: حسن صحيح وأخرجه مسلم مختصراً.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده يوماً ثم قال « يا معاذ والله إني لأحبك. فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك. قال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وأوصى بذلك معاذ الصنابحي، وأوصى به الصنابحي أبا عبد الرحمن، وأوصى به أبو عبد الرحمن عقبة بن

دعاء يكفر لغو المجلس فقل: « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا

مسلم. رواه أبو داود والنسائي واللفظ له والحاكم وابن حبان في صحيحيهما. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعو في دبر الصلاة « اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد إنك الرب وحدك لا شريك لك. اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن محمداً ﷺ عبدك ورسولك. اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة. اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصاً لك في كل ساعة في الدنيا والآخرة ذا الجلال والإكرام اسمع واستجب. الله الأكبر الأكبر نور السموات والأرض الله الأكبر الأكبر حسبي الله ونعم الوكيل. الله الأكبر الاكبر » رواه أبو داود والنسائي وهذا لفظه.

وعن مسلم بن أبي بكرة قال: كان أبي يقول في دبر الصلاة « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر » فكنت أقولهن، فقال أبي: عمن أخذت هذا؟ فقلت: عنك. فقال: إن رسول الله ﷺ كان يقولهن في دبر كل صلاة، ورواه النسائي واللفظ له والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه أن كعباً حلف بالله الذي فلق البحر لموسى إنا نجد في التوراة أن داود نبي الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال « اللهم اصلح لي ديني الذي جعلته لي عصمة واصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من نقمتك، وأعوذ بك منك لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وحدثني كعب أن صهيباً حدثه أن محمداً ﷺ كان يقولهن عند انصرافه من صلاته. رواه النسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه بمعناه، وأبو مروان الأسلمي مختلف في صحبته.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: ما صليت وراء نبيكم ﷺ إلا سمعته حين ينصرف من صلاته يقول « اللهم اغفر لي خطاياي وذنوبي كلها. اللهم انعشني وارزقني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها الا أنت ». رواه الحاكم في المستدرك.

وعن الربيع بن مهيلة الفزاري قال: كان عمر رضي الله عنه إذا انصرف من صلاته قال « اللهم استغفرك لذنبي وأستهديك لمراشد أمري وأتوب إليك فتب علي. اللهم أنت ربي فاجعل رغبتي إليك واجعل غناي في صدري وبارك لي فيما رزقتني وتقبل مني إنك أنت ربي » رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف.

(فإذا قمت من مجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه

أنت »، فإذا دخلت السوق فقل: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها. اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها. اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة »، فإن كان عليك دين

لا يغفر الذنوب إلا أنت ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن اهـ.

قلت: ورواه كذلك الحاكم في المستدرك، ولفظ النسائي: « كان رسول الله ﷺ بآخرة إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال » فذكره. قال: قلنا يا رسول الله: إن هذه كلمات احدثتهن؟ قال: « أجل أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد هي كفارات المجلس ». وقوله: بآخرة أي في آخر الأمر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم - إلى قوله - وأتوب إليك إلاّ غفر له ما كان في مجلسه ذلك » رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان، وقال الترمذي: واللفظ له حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(وإذا دخلت السوق فقل « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عمر وقال: غريب. والحاكم من حديثه ومن حديث ابن عمر وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: لفظ الترمذي « من قال حين يدخل السوق لا إله إلا الله - إلى قوله - قد ير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة » وهكذا رواه ابن ماجه، وزاد في رواية أخرى « وبنى له بيتاً في الجنة » ورواه كذلك الحكيم الترمذي كلهم من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده، وزاد الحكيم « ورفعت له ألف ألف درجة » ورواه اسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في الأربعين له عن ابن عمر بدون هذه الزيادة.

ورواه الحاكم في مستدركه من عدة طرق وفي بعضها أن محمد بن واسع أحد رواته قال: فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت له: أتيتك بهدية فحدثته بالحديث، فكان قتيبة بن مسلم يركب في مركبه حتى يأتي السوق فيقولها ثم ينصرف، **(« بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها. اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها. اللهم إني أعوذ بك من أن أصيب فيها يميناً فاجرة)** أي كاذبة **(أو صفقة خاسرة »)** قال العراقي: رواه الحاكم من حديث بريدة وقال: أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة.

فقل: « اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك » ، فإذا لبست ثوباً

قال العراقي: فيه أبو عمر وجار لشعيب بن حرب، ولعله حفص بن سليمان الأسدي مختلف فيه اهـ.

قلت: لفظ الحاكم: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: فساقه ووجدت بخط الحافظ السخاوي ما نصه: قد رواه الطبراني في الدعاء من حديث محمد بن أبان الجعفي متابعاً له عن علقمة بن مرثد، وابن أبان ضعيف.

(**فإن كان عليك دين**) عجزت عن أدائه (**فقل** « **اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني**) بقطع الهمزة (**بفضلك عمن سواك** ») قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن غريب، والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث علي بن أبي طالب اهـ.

قلت: أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن يحي بن حسان، عن أبي معاوية، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن يسار بن الحكم، عن شقيق أبي وائل قال: اتى علياً رضي الله عنه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنا عجزت عن مكاتبتي فأعني فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان مثل جبل صبير ديناً لأدّاه الله عنك. قال: « قل اللهم اكفني » فساقه. وأخرجه الحاكم من رواية يحي بن يحي النيسابوري عن أبي معاوية، وأخرجه الطبراني في الدعاء فقال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا أبو معاوية.

وقوله « صبير » كأمير جبل هكذا هو في نسخ الترمذي، وفي العباب للصاغاني « صير » بكسر الصاد وسكون التحتية جبل بالساحل بين سيراف وعمان.

قلت: وصبر ككتف جبل عظيم باليمن يطل على تعز.

ولنسق هنا أدعية تناسب الباب عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ أبو بكر رضي الله عنه فقال: سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه. قلت: ما هو؟ قال: كان عيسى بن مريم يعلمه أصحابه قال: لو كان على أحدكم جبل ذهب دَيْناً فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه « اللهم فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا ورحيمها أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك » قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وكانت عليَّ بقية من الدين وكنت للدّين كارهاً فكنت أدعو بذلك فأتاني الله بفائدة فقضى الله عني. قالت عائشة وكان لأسماء بنت عميس عليَّ دينار وثلاثة دراهم فكانت تدخل عليَّ فاستحي أن أنظر في وجهها لأني لا أجد ما أقضيها، فكنت أدعو بذلك فما لبث إلاَّ يسيراً حتى رزقني الله رزقاً ما هو بصدقة تصدق بها عليَّ ولا ميراث ورثته فقضاه الله عني، وقسمت في أهلي قسماً حسناً وحليت ابنة عبد الرحمن بثلاثة أواق من ورق وفضل لنا فضل حسن رواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح.

وأخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في الدعاء فقال: حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى البصري،

....

حدثنا الحجاج بن المنهال، حدثنا عبد الله بن عمر النميري، عن يونس بن يزيد الايلي، حدثني الحكم بن عبد الله، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها فساقه سواء إلا أنه قال «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما» قال: وحدثنا عبد المتعال بن طالب، حدثنا عبد الله بن وهب، عن سعيد بن زيد، عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب أن عيسى عليه السلام فقدرجلاً من الحواريين فقال: ما لي لم أرك؟ فقال: للهمّ والدَّين يا روح الله. قال: إذا قلت كلمات لو كان عليك طِام البحر لأذهبه الله. قال: ما هي؟ قال: «تقول اللهم يا فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله. قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى دينك؟ قال: قلت بلى يا رسول الله. قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» قال: فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني رواه أبو داود.

وقال ابن أبي الدنيا في الدعاء: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ تسأله خادماً. فقال: «ألا أدلك على ما هو خير من خادم تسبحين ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وتكبرين أربعاً وثلاثين تكبيرة وتحمدين ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتقولين: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والقرآن. أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته. اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدَّين واغنني من الفقر».

قال: وحدثني إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم ابن عبد الرحمن قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا أوسع الله عليه في معيشته. من قال «يا ذا المن ولا يمن عليك، يا ذا الجلال والاكرام، يا ذا الطول لا إله إلا أنت ظهر اللاّجين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً فامح عني اسم الشقاء واثبتني عندك سعيداً،: وإن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروماً مقتراً على رزقي فامح حرماني ويسر رزقي واثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير، فإنك تقول في كتابك الذي أنزلت ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩]».

جديداً فقل: « اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل: « اللهم لا

قلت: وهذا الدعاء يستعمله الناس في ليلة النصف من شعبان.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا داود بن رشيد عن لهيعة بن الوليد، عن هاشم بن مسلمة، عن يزيد، عن مكحول، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « من كان عليه دين فقال اللهم منزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم، ورب جبريل وميكائيل وإسرافيل، ورب الظلمات والنور، ورب الظل والحرور. أسألك أن تفتح لي باب الرحمة وأن تحل عقدتي من ديني وتؤدي عني أمانتي إلي وإلى خلقك إلا قضى الله عنه دينه ».

قال: وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن إدريس، عن يزيد بن زريع الرملي، عن عطاء الخراساني قال: قال معاذ بن جبل رضي الله عنه شكوت إلى النبي ﷺ ديناً كان علي فقال « يا معاذ تحب أن يُقضى دينك؟ قال: قلت نعم. قال: قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما تعطي منهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء اقضِ عني ديني فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً أدى عنك ».

قال: وحدثني سويد بن سعيد عن خالد عبد الله الرومي قال: استودع محمد بن المنكدر وديعة فاحتاج إليها فأنفقها، ثم جاء صاحبها يطلبها فقام يصلي ويدعو، فكان من دعائه يا سادّ السماء بالهواء ويا كاسي الأرض على الماء، ويا واحداً قبل كل أحد كان، ويا واحداً بعد كل أحد يكون اسألك ان تؤدي عني أمانتي، فإذا هاتف يقول: خذ هذه فأدها عن أمانتك واقصر الخطبة فإنك لن تراني.

(فإذا لبست ثوباً جديداً فقل « اللهم كسوتني هذا الثوب) ويشير إليه **(فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له)** وهو استعماله في الطاعة، **(وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له »)** وهو استعماله في المعصية. وظاهر سياق المصنف ندب الذكر المذكور لكل من لبس ثوباً جديداً، والظاهر ولو لبس غير جديد بدليل رواية ابن السني في اليوم والليلة، إذا لبست ثوباً فتأمل.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي سعيد الخدري، ورواه ابن السني بلفظ المصنف اهـ.

قلت: لفظ أبي سعيد عند الجماعة: كان رسول الله ﷺ إذا استجّد ثواباً سمّاه باسمه عمامة أو قميصاً أو رداء ثم يقول « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه اسألك خيره وخير ما صنع له » وقد رواه كذلك الحاكم وابن النووي. زاد أبو داود وقال أبو نضرة: وكان أصحاب النبي ﷺ إذا لبس أحدهم ثوباً جديداً. قيل تبلى ويخلف الله. ورواه كذلك أحمد وابن السني في اليوم والليلة.

يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوّة إلا بالله » وإذا رأيت الهلال فقل: « اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط، ربي وربك الله ». ويقول: « هلال رشد وخير

وفي الباب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: لبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثوباً جديداً فقال: « الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في كنف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حياً وميتاً » رواه الترمذي واللفظ له، وابن ماجه والحاكم في المستدرك.

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من أكل طعاماً » الحديث وفيه « من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوّة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط البخاري. وقال الترمذي: حسن غريب.

(وإذا رأيت شيئاً من الطيرة) بكسر ففتح **(تكرهه)** وهو اسم من التطير وأصله التفاؤل بالطير من أعمال الجاهلية **(فقل « لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوّة إلا بالله »)** قال العراقي: رواه ابن أبي شيبة، وأبو نعيم في اليوم والليلة، والبيهقي في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلاً ورجاله ثقات، وفي اليوم والليلة لابن السني عقبة بن عامر فجعله مسنداً اهـ.

وأما ما اشتهر على الألسنة عند نعيق الغراب خير خير فلا أصل له في السنّة. وورد « اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك » وذكر الحافظ السخاوي في المقاصد عن عكرمة قال: كنا عند ابن عمر وعنده ابن عباس فمرَّ غراب يصيح فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. وروى ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعاً كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة.

(وإذا رأيت الهلال) وهو القمر في حالة مخصوصة، قال الأزهري: ويسمى القمر للثلاثة من أوّل الشهر هلالاً، وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً، وما بين ذلك يسمى قمراً. وقال الفارابي وتبعه الجوهري: الهلال لثلاث ليال من أوّل الشهر ثم هو قمر بعد ذلك، وقيل: الهلال هو الشهر بعينه والجمع أهلة. **(فقل « اللهم أهِّله علينا)** يروى بالادغام وبالفك، وأصل الإهلال رفع الصوت، ثم نقل إلى رؤية الهلال، ثم نقل إلى طلوعه وهو المراد هنا، والمعنى اطلعه علينا وأرنا إياه مقترناً **(بالأمن والايمان والسلامة والاسلام)** بين كل من القرينتين حسن الاشتقاق، والمراد الأمن من سائر المخاوف، والإيمان الطمأنينة بالله كأنه سأله دوامها والسلامة

آمنت بخالقك: « اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم

والإسلام أن يدوم له الإسلام ويسلم له شهره، فإن لله في كل شهر حكماً وقضاء. **(ربي وربك الله »)** هذا تنزيه للخالق أن يشاركه في تدبير ما خلق شيء، وفيه ردّ للأقاويل الداحضة في الآثار العلوية بألطف إشارة، وفي قوله: « ربي وربك الله » التفات اقتداء بسيدنا الخليل عليه السلام حيث قال ﴿لا أحب الآفلين﴾ بعد قوله ﴿هذا ربي﴾ قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله اهـ.

قلت: لفظه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: « اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله » وقال: حسن غريب رواه من طريق سليمان بن سفيان عن بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده، ورواه بن حبان في صحيحه وزاد بعد قوله والإسلام: « والتوفيق لما تحب وترضى » وبمثل رواية ابن حبان رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر إلا أن في سنده عثمان بن إبراهيم الحاطبي وهو ضعيف، ورواه الدارمي في مسنده عن ابن عمر إلا انه زاد في أوّله « الله أكبر » وروى ابن السني في اليوم والليلة عن جزء بن أنس السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والسكينة والعافية والرزق الحسن » إلا ان الذهبي قال: إن جزءاً لا صحبة له.

(وتقول « هلال رشد وهلال خير آمنت بخالقك ») قال العراقي: رواه أبو داود مرسلاً من حديث قتادة أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: « هلال خير ورشد ثلاثاً آمنت بالذي خلقك ثلاثاً » وأسنده الدارقطني في الافراد والطبراني في الأوسط من حديث أنس، وقال أبو داود: وليس في هذا عن النبي ﷺ حديث مسند صحيح اهـ.

قلت: ولفظ أبي داود عن قتادة قال: بلغنا عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا رأى الهلال« هذا هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاثاً ثم يقول الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا ». ورواه أيضاً ابن السني عن أبي سعيد الخدري. قال ابن القيم: اسناده لين، وروى الطبراني في الكبير عن رافع بن خديج باسناد حسن أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد اللهم إني أسألك من خير هذا » ثلاثاً.

(اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر) محركة **(وأعوذ بك من يوم الحشر)** بفتح فسكون بمعنى المحشور رأي المجموع فيه الناس، وفي بعض النسخ يوم المحشر أي موضع الحشر. قال العراقي: رواه ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم. قال الراوي عنه: حدثني من لا اتهم اهـ.

قلت: وقال الحافظ ابن حجر: غريب ورجاله موثقون إلا من لم يسم، ورواه أيضاً عبد الله بن أحمد في زيادات المسند، والطبراني في الكبير بلفظ كان ﷺ إذا رأى الهلال قال « الله أكبر الله أكبر الحمد لله لا حول ولا قوّة إلا بالله اللهم إني أسألك » فساقاه. وروى الطبراني أيضاً في الكبير

الحشر » وتكبر قبله أولاً ثلاثاً وإذا هبت الريح فقل: « اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت

عن رافع بن خديج بلفظ « اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر. وأعوذ بك من شره » ثلاث مرات.

ومن أحاديث الباب ما رواه ابن السني عن عبدالله بن مطرف رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال « هلال خير الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا. أسألك من خير هذا الشهر ونوره وبركته وهداه وظهوره ومعافاته ».

وعن علي رضي الله عنه انه كان يقول إذا رأى الهلال « اللهم ارزقنا نظره وخيره وبركته وفتحه ونوره ونعوذ بك من شره وشر ما بعده » رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

وعن الحسين بن علي قال: سألت هشام بن حسان أي شيء كان الحسن يقول إذا رأى الهلال؟ قال: كان يقول « اللهم اجعله شهر بركة ونور وأجر ومعافاة. اللهم إنك قاسم فيه بين عبادك خيراً فاقسم لي فيه من خير ما تقسم بين عبادك الصالحين » رواه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف.

(وتكبِّر قبل الدعاء أوّلاً ثلاثاً) أي تقول: « الله أكبر » قبل الدعاء ثلاث مرات رواه البيهقي في الدعوات من حديث قتادة مرسلاً « كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال كبَّر ثلاثاً » رواه الدارمي من حديث ابن عمر إلا أنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثاً، وتقدم قريباً من حديث عبادة بن الصامت عند عبد الله بن أحمد والطبراني: « الله أكبر الله أكبر الحمد لله لا حول ولا قوّة إلا بالله ».

(وإذا هبت الريح) أي هبوباً شديداً **(فقل « اللهم إني أسألـك خير هذا الريح وخير ما أرسلت به)**. قال الطيبي: يحتمل الفتح على الخطاب، ويحتمل بناؤه للمفعول، وفي رواية بدل « أرسلت » جبلت عليه ذكره ابن الأثير. **(ونعوذ بالله من شرّها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبيّ بن كعب اهـ.

قلت: لفظ الترمذي: « لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به ». وروه أيضاً ابن السني في اليوم والليلة، ورواه عبد الله بن أحمد والروياني والدارقطني في الإفراد والحاكم، وأبو الشيخ في العظمة، وابن أبي شيبة، عن أبيَّ بن كعب رفعه بلفظ « لا تسبوا الريح فإنها من روح الله تعالى وسلوا الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ». ورواه ابن أبي شيبة أيضاً والبيهقي في السنن عنه موقوفاً. لا تسبها فإنها مأمورة ولكن قل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أمرت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به ».

به ». وإذا بلغك وفاة أحد فقل: « إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين. اللهم لا تحرمنا

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان ﷺ إذا عصفت الريح قال « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » مختصر رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي، وأخرجه الطبراني في الدعاء من حديث ابن عباس وزاد في آخره « اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ».

وروى ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه قال: « لا تسبوا الريح فإنها من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب ولكن سلوا الله خيرها وتعوذوا بالله من شرها ». ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم نحوه. وروى الشافعي والبيهقي في المعرفة عن صفوان بن سليم مرسلاً « لا تسبوا الريح وعوذوا بالله من شرها ».

وفي الباب عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: بينا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والابواء إذا غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوّذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس ويقول « يا عقبة تعوذ بهما فما تعوّذ متعوّذ بمثلهما ». رواه أبو داود، وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: « كان إذا اشتد الريح يقول اللهم الحالاً عقيماً » رواه ابن حبان في صحيحه.

(وإذا بلغك وفاة أحد) من المسلمين **(فقل « إنَّا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين)** أي الباقين. **(اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده)** وفي بعض النسخ زيادة **(واغفر لنا وله »)**.

قال العراقي: رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس دون قوله « واغفر لنا وله » ولأبي داود والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان من حديث أم سلمة « إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون ». ولمسلم من حديثها « اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح في قبره ونور له فيه » اهـ.

قلت: ولفظ حديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال « إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضجّ ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة » الحديث. ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

وعنها رضي الله عنها قالت: لما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات. قال: « قولي اللهم اغفر لي وله واعقبني منه عقبى حسنة. قالت: فقلت فأعقبني الله من هو خير لي منه محمداً ﷺ » ورواه الجماعة إلا البخاري.

أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله » وتقول عند التصدق : ﴿ربّنا تقبَّل منّا إنَّك أنْتَ السميعُ العليمُ﴾ [البقرة : ١٢٧] وتقول عند الخسران : ﴿عسَى ربُّنا أنْ يُبْدِلَنَا خيراً منها إنّا إلى ربِّنا رَاغِبُونَ﴾ [القلم : ٣٢] وتقول عند ابتداء الأمور : ﴿ربَّنا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رحمةً وهي لَنَا مِنْ أمرِنا رَشَداً﴾ [الكهف : ١٠] ﴿رب اشرح لي صدري★ويسِّر لي أمري﴾ [طه : ٢٥، ٢٦]، وتقول عند النظر إلى السماء ﴿ربَّنا ما خلقْتَ هذا باطلاً سُبْحانك فقِنَا عَذَابَ النَّار﴾ [آل عمران : ١٩١] ﴿تَبَارك الّذي جَعَل في السماء بروجاً وجعل فيها سِراجاً وقمراً منيراً﴾ [الفرقان : ٦١] وإذا سمعت صوت الرعد فقل : ﴿سبْحَانَ مَنْ يسبِّحُ الرعدَ بحمدِهِ والملائكة من خِيفته﴾ فإن رأيت الصواعق فقل : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » قاله كعب ، فإذ أمطرت السماء فقل :

وعنها رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبته واخلف له خيراً منها . قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت ما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ » انفرد به مسلم .

(وإذا تصدقت بصدقة فقل « ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنْتَ السميعُ العليمُ) نقله صاحب القوت ، **(وتقول عند الخسران)** في البيع والشراء : **(عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربِّنا راغبون)** نقله صاحب القوت ، **(وتقول عند ابتداء الأمور)** أي عند الشروع في أوّل الأمر **(ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً)** وتقول بعد ذلك : **(رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري)** وإن كان ممن يستمع إلى قوله فلا بأس أن يزيد ﴿واحلل عقدة من لساني★ يفقهوا قولي﴾ [طه : ٢٧ ، ٢٨] **(وتقول عند النظر إلى السماء)** بقصد الإعتبار : **(ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)** وتقول بعده **(تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً)** المراد بالبروج منازل الشمس الاثنا عشر ، وسراجاً أي شمساً . **(وإذا سمعت صوت الرعد فقل: سبحان من يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته »)** قال العراقي : رواه مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفاً ولم أجده مرفوعاً اهـ .

قلت : ولفظه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال « سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » ووجدت بخط من نقل عن خط الشيخ زين الدين الدمشقي الواعظ ما نصه : هو مرفوع في تفسير ابن جرير من حديث أبي هريرة بالشطر الأوّل ، لكن الراوي له عن أبي هريرة مبهم لم يسم فإنه قال : عن رجل عنه .

(فإذا رأيت الصواعق) جمع صاعقة وهي قصفة رعد تنقض معها قطعة من نار **(فقل « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك »)** خص القتل بالغضب

« اللهم سقياً هنيئاً وصيباً نافعاً اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب » فإذا

والإهلاك بالعذاب لأن نسبة الغضب إلى الله تعالى استعارة والمشبه به الحالة التي تعرض للملك عند انفعاله وغليان دم القلب ثم الانتقام من المغضوب عليه، وأكثر ما ينتقم به القتل فرشح الاستعارة به عرفاً والإهلاك والعذاب جاريان على الحقيقة في حق الحق، ولما لم يكن تحصيل المطلوب إلا معافاة الله قال « وعافنا قبل ذلك ».

قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن عمرو وابن السني بإسناد حسن اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وسنده جيد والحاكم في المستدرك وقال: صحيح. وأقرّه الذهبي ولفظهم واحد كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال فذكروه. قال الصدر المناوي: وقد عزاه النووي في خلاصته لرواية البيهقي وقال: فيه الحجاج بن ارطأة وهو قصور فإن الحديث في الترمذي من غير طريق الحجاج اهـ.

وذكر في الأذكار بعد عزوه للترمذي إسناده ضعيف وكأنه نظر إلى ما ذكرناه. قال الحافظ: هو حديث غريب أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والحجاج صدوق لكنه مدلس، وقد صرح بالتحديث فكيف يطلق الضعف على هذا وهو متماسك والله أعلم.

(فإذا مطرت السماء فقل « اللهم سقياً هنيئاً وصيباً نافعاً) قال العراقي: رواه البخاري من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال: « اللهم اجعله صيّباً نافعاً » ولابن ماجه « سيباً » بالسين، وله وللنسائي في اليوم والليلة « اللهم اجعله صيباً هنياً » واسنادهما صحيح اهـ.

قلت: قوله نافعاً تتميم في غاية الحسن لأن لفظة « صيّباً » مظنة للضرر والفساد. قال الزمخشري: الصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع، وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتكثير دل على أنه نوع من المطر شديد هائل فتممه بقوله « نافعاً » صيانة عن الإضرار والفساد ونحوه قوله:

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمي

لكن « نافعاً » في الحديث أوقع وأحسن من مفسدها اهـ.

قال ابن سيدة في المحكم صاب المطر صوباً وانصاب كلاهما انصب، ومطر صوب وصيب وصيوب وقوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء﴾ [البقرة: ١٩] الصيب هنا المطر اهـ. والسيب بفتح السين المهملة وسكون الياء التحتية هو العطاء.

وروي عن عائشة أيضاً أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى سحاباً مقبلاً من أفق من الآفاق ترك ما هو فيه، وإن كان في صلاة حتى يستقبله فيقول « إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به فإن أمطر قال اللهم سيباً نافعاً اللهم سيباً نافعاً وإن كشفه الله ولم يمطر حمد الله على ذلك ». رواه أبو

غضبت فقل: « اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ». فإذا خلفت قوماً فقل: « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » فإذا غزوت فقل: « اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل » وإذا طنّت أذنك فصلّ على محمد ﷺ

داود والنسائي وابن ماجه واللفظ للترمذي. (**اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب** ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلاً اهـ.

(**فإذا غضبت**) على أحد (**فقل « اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم »**) قال العراقي: رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ ابن السني كان إذا غضبت عائشة عرك بأنفها وقال « يا عويش قولي اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ». ورأيت بخط الحافظ السخاوي ما نصه: هو في مسند أحمد من حديث سلمة في حديث طويل وسنده حسن.

(**فإذا خفت قوماً**) أي شرهم (**فقل: « اللهم إنا نجعلك في نحورهم**) أي في إزاء صدورهم تقول جعلت فلاناً نحر العدو إذا جعلته قبالته وترساً يقاتل عنك ويحول بينك وبينه، (**ونعوذ بك من شرورهم** ») خص النحر لأنه أسرع وأقوى في الدفع والتمكن من المدفوع، والعدو إنما يستقبل نحره عند المناهضة في القتال أو للتفاؤل بنحرهم أي قتلهم.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم وابن حبان في صحيحهما، ولفظ الأربعة سواء أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: « اللهم » فذكروه. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي وفي لفظ لابن حبان كان إذا أصاب قوماً، ورواه أيضاً أحمد والبيهقي قال النووي في الأذكار والرياض: أسانيده صحيحه.

(**وإذا غزوت**) الكفار (**فقل: « اللهم أنت عضدي**) أي معتمد قال الطيبي: هو كناية عما يعتمد عليه ويثق المرء به في الخيرات وغيرها من القوة (**و**) أنك (**نصيري**) أي ناصري ومعيني (**وبك أقاتل**) أي عدوك وعدوي. قال العراقي رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أنس. قال الترمذي: حسن غريب اهـ.

قلت: لفظ أبي داود كان إذا غزا قال: « اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أحول وبك أصول وبك أقاتل » ورواه أحمد وابن ماجة والحاكم وابن حبان والضياء في المختارة، وفي رواية للنسائي من حديث صهيب: « رب بك أقاتل وبك أحاول ولا حول ولا قوة إلا بك » فأما أبو داود والترمذي وكذا أبو يعلى فرووه عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه عن المثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس. ورواه أبو يعلى أيضاً عن موسى بن محمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن المثنى بن سعيد، ورواه ابن

وقل: « ذكر الله من ذكرني بخير » **فإذا رأيت استجابة دعائك فقل: « الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات » وإذا أبطأت فقل: « الحمد لله على كل حال » وإذا سمعت أذان المغرب فقل: « اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي » وإذا أصابك هم فقل: « اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك أسألك بكل اسم هو لك**

حبان عن الحسن بن سفيان والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن أحمد كلاهما عن نصر بن علي، وأخرجه النسائي من طريق أزهر بن القاسم، وأبو عوانة في صحيحه من طريق مسلم بن قتيبة. كلاهما عن المثنى، والزيادة المذكورة في رواية أبي داود لـم تقع عند غيره، وقد أخرجه أبو عوانة عن أبي داود بالزيادة وهو في مسند الحارث من طريق أبي مجلز عن أنس بدون تلك الزيادة.

(وإذا طنت أذنك فصل على محمد ﷺ وقل ذكر الله بخير من ذكرني ») قال العراقي: رواه الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم والليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة، وكذا العقيلي، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وآخرون كلهم بلفظ: « إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله بخير من ذكرني بخير » والسند ضعيف، بل قال العقيلي: أنه ليس له أصل. كذا في المقاصد للسخاوي، لكن قال الهيثمي: إسناد الطبراني في الكبير حسن، وهذا يبطل من زعم ضعفه فضلاً عن وضعه كابن الجوزي والعقيلي، ونقل المناوي في شرحه على الجامع أنه رواه ابن خزيمة في صحيحه باللفظ المذكور عن أبي رافع وهو ممن التزم تخريج الصحيح فاعرف ذلك.

(وإذا رأيت) أمارات **(استجابة دعائك فقل: « الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت فقل الحمد لله »)** رواه الحاكم في المستدرك من حديث عائشة بلفظ كان رسول الله ﷺ يقول: « ما يمنع أحدكم إذا عرف الإجابة من نفسه فشفي من مرض أو قدم من سفر يقول: الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات ». وروي ابن ماجة واللفظ له والحاكم وقال: صحيح الإسناد بلفظ: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحب قال: « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال » وقد تقدم هذا الحديث في الدعاء.

(وإذا سمعت أذان المغرب فقل: « اللهم هذا استقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك) جمع داع وهم المؤذنون **(وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي »)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: غريب، والحاكم من حديث أم سلمة دون قوله: « وحضور صلواتك » فإنها عند الخرائطي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة.

(فإذا أصابك هم فقل: « اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك نافذ فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، وأنزلته في كتابك أو

سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي» قال ﷺ: «ما أصاب أحداً حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحاً فقيل له: يا رسول الله: أفلا نتعلّمها؟ فقال ﷺ: بلى ينبغي لمن سمعها أن

أعطيته أحداً من خلقك، أو استأثرت في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي» . قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحداً حزن فقال هذا إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدل مكانه فرحاً، فقيل يا رسول الله: أفلا نتعلمها؟ فقال ﷺ: ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها») قال العراقي: رواه أحمد وابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه اهـ.

قلت: رواه أحمد عن يزيد بن هارون أخبرنا فضيل بن مرزوق، أخبرنا أبو سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب مسلماً قط هم أو حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك» فساقه إلا أنه قال «عدل» بدل «نافذ» وأو أنزلته «بأو» بدل «الواو» وأو علمته بدل اعطيته وجلاء حزني وذهاب همي وقال في آخره: «وأبدل مكان حزنه فرحاً» وقال: أفلا نتعلمهن؟ قال: بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن». وأخرجه الحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن سعيد بن سليمان، أخبرنا فضيل بن مرزوق. ووقع في رواية سعيد عند الحاكم فقط القرآن العظيم، وقول الحاكم إن سلم من إرسال عبد الرحمن الخ. تعقبه الذهبي في مختصره فقال في السند أبو سلمة الجهني ما روى عنه إلا فضيل بن مرزوق، ولا يعرف اسمه ولا حاله. قال الحافظ ابن حجر: ولكنه لم ينفرد به، وذكره مع ذلك ابن حبان في الثقات.

ثم ساق الحافظ سنده إلى علي بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «إذا أصاب أحدكم هم أو حزن فليقل» فذكره مثل حديث أبي سلمة وزاد بعد قوله: «وابن أمتك وفي قبضتك» وقال في آخره: «فما قالها عبد قط إلا أذهب الله همه» وقال فيه «ينبغي لكل مسلم» والباقي سواء أخرجه أبو يعلى عن محمد بن منهال عن عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن بن إسحاق وأخرجه ابن السني عن أبي يعلى، وعبد الرحمن بن إسحاق واسطي صدوق، وحديث أبي سلمة الجهني رواه أيضاً الطبراني في الدعاء عن عمر بن حفص السدوسي، عن عاصم بن علي، عن فضيل بن مرزوق. وأخرجه ابن شاذان في الفوائد عن أبي بكر العباداني، عن محمد بن عبد الملك الدقيقي، عن يزيد بن هارون وأخرجه أبو يعلى عن أبي خيثمة، وأخرجه ابن أبي عاصم عن رزق

يتعلمها » فإذا وجدت وجعاً في جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله ﷺ : « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحاً وضع سبابته على الأرض ثم رفعها وقال: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا » . وإذا وجدت وجعاً في جسدك فضع يدك على الذي يتألم من جسدك وقل: « بسم الله ـ ثلاثاً ـ وقل سبع مرات: أعوذ

الله بن موسى كلاهما عن يزيد بن هارون، وقد روي هذا الحديث أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه.

قال الطبراني في الدعاء: حدثنا أحمد بن علي الجارودي، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا علي بن ثابت الجزري، عن منصور بن برقان، عن عياض الكوفي، عن عبيد الله بن زيد، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « من أصابه هم أو حزن فليدع بهؤلاء الكلمات يقول اللهم أنا عبدك وابن عبدك » فذكر مثل حديث ابن مسعود وفي آخره بعد قوله: « وذهاب همي » قال قائل: يا رسول الله إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات قال: « أجل فقولوهن وعلموهن فإنه من قالهن وعلمهن أذهب الله حزنه وأطال فرحه » . وأخرجه ابن السني في اليوم والليلة من رواية مخلد ابن يزيد الحراني عن جعفر بن برقان.

(**فإذا وجدت قرحة في جسدك أو جسد غيرك فارق برقية رسول الله ﷺ : « كان ﷺ إذا اشتكى إنسان قرحة أو جرحاً وضع سبابته على الأرض ثم رفعها**) وبلها بريقه (**وقال: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا »**) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة، وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بلفظ: « كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفي سقيدنا » . ولفظ مسلم: « كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا » قال ابن أبي شيبة يشفى، وقال زهير ليشفي اهـ.

والأكمل اكمال البسملة. وقال الشرجي في كتاب الفوائد: من أصابه جراح في جسده فليقل: « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ثم يأخذ تراباً طاهراً ويطرح منه على الجرح قليلاً قليلاً وهو يقول أصاب النبي ﷺ في بعض غزواته جراح فما ضرب ولا أقاح، وكذلك تكون أيها الجراح بسم الله ربنا تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا » يقول ذلك ثلاث مرات يتفل كل مرة وينفخ في الجرح يبرأ بإذن الله تعالى.

(**وإذا وجدت وجعاً في جسدك فضع يدك**) واليمين أولى. قال القرطبي: وهذا الأمر على جهة التعليم والإرشاد إلى ما ينبغي من وضع يد الراقي على المريض ومسحه بها، ولا ينبغي له العدول عنه إلى المسح بنحو حديد وملح وغير ذلك فإنه لا أصل له في السنة (**على الذي يألم من جسدك وقل « بسم الله ثلاثاً »**) والأكمل إكمال البسملة (**وقل سبع مرات أعوذ بالله**) وفي

بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » فإذا أصابك كرب فقل: « لا إله إلا الله العلي الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب

رواية: بعزة الله **(وقدرته من شر ما أجد وأحاذر »)** وهذا العلاج من الطب الإلهي لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه والإستعاذة بعزته وتكراره يكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي اهـ.

قلت :وكذلك رواه أحمد والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجة وابن حبان، وكلهم في الطب إلا النسائي ولفظهم: شكوت إلى رسول الله ﷺ وجعاً أجده في جسدي منذ أسلمت فقال: « ضع يدك » الحديث. وفي رواية « ضع يمينك على المكان الذي تشتكي فامسح بها سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقوته من شر ما أجد في كل مسحة ». وهكذا رواه ابن حبان والطبراني والحاكم في الجنائز وابن السني في اليوم والليلة.

(وإذا أصابك كرب فقل « لا إله إلا الله العلي الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم ») قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: رواه مسلم والترمذي وأبو بكر بن خزيمة عن محمد بن بشار: حدثنا معاذ بن هشام هو الإستواني، حدثنا أبي عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ كان يدعو عند الكرب: « لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم: حدثنا هشام لكن لم يسقه بتمامه، وأخرجه تاماً عن مسدد عن يحيى القطان عن هشام، ورواه مسلم عن عبد بن حميد، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة أن أبا العالية الرياحي حدثهم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهن أو كان يقولهن عند الكرب فذكر مثله، لكن قال: « رب السموات السبع ».

وأخرجه البخاري من رواية يزيد بن زريع، عن سعيد، وروى عبد بن حميد أيضاً عن يزيد بن هارون، أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: « كلمات الفرج لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله هو رب السموات السبع ورب العرش الكريم ». وأخرجه ابن خزيمة عن الحسن عن محمد الزعفراني عن يزيد ابن هارون، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الدعاء عن أبي خيثمة عن يزيد بن هارون إلا أنه قدم الجملة الثانية على الأولى، وأخرجه الطبراني في الدعاء عن بشر بن موسى عن الحسن بن موسى، وأخرجه مسلم عن محمد بن حاتم، عن بهز بن أسد كلاهما عن حماد بن سلمة، عن يوسف بن عبد الله بن الحرث، عن أبي العالية، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر قال: « لا إله إلا

العرش الكريم ». « وإن أردت النوم فتوضأ أولاً ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم

الله الحليم العظيم » فذكر الحديث وزاد في آخره « ثم يدعو ». وأخرجه أبو عوانة والنسائي جميعاً عن محمد بن إسحاق الصغاني عن الحسن بن موسى، وقد روي هذا الحديث بزيادة أخرى.

قال البخاري في كتاب الأدب المفرد: حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا عبد الملك بن الخطاب، حدثني راشد أبو محمد بن عبد الله بن الحرث، سمعت ابن عباس يقول: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب فذكر مثل رواية هشام التي تقدم ذكرها أولاً وزاد في آخره: « اللهم اصرف عني شره ». وقد روي هذا الحديث أيضاً من غير طريق ابن عباس.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثني سعيد بن منصور، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن محمد بن عجلان، عن محمد بن كعب عن عبد الله بن الهاد عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات إن نزل بي شدة أو كرب أن أقولهن: « لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه وتعالى تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين » فكان عبد الله بن جعفر يلقنها الميت، وينفث بها على المذعور، ويعلمها المعتزبة من بناته.

قال: وحدثنا محمد بن موسى الفلكي، حدثنا روح بن عبادة، عن أسامة بن زيد، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن شاد، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: « لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ».

قال: وحدثني الحسين بن علي العجلي، ثنا محمد بن فضيل، عن مسعود، عن أبي بكر بن حفص، عن حسين بن حسن قال: زوج عبد الله بن جعفر ابنته فخلا بها. قال الحسن: فلقيتها فقلت ما قال لك؟ قالت: قال لي يا بنية إذا نزل بك الموت أو أمر تفظعين به فقولي: « لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين » قال الحسن: فأتيت الحجاج فقلتهن، فقال: لقد جئتني وأنا أريد أن أضرب عنقك فما من أحد أحب إلي منك فسلني ما شئت.

(« **وإن أردت النوم فتوضأ أولاً**) وإن كان متوضئاً كفاه ذلك، (**ثم توسد على يمينك**) أي ضع رأسك على الوسادة على جهة يمينك فهو السنة لأن القلب جهة اليسار، فإذا نام على اليمين تعلق قلبه فهو أسرع لانتباهه من نومه. وهذه الهيئة نومة الأنبياء، وعند مسلم من حديث أبي هريرة: « فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن ». وعند السنة من حديث البراء: « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ». وفي رواية للبخاري: « كان إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن » وفي رواية لأبي داود قال لي رسول الله ﷺ: « إذا أويت إلى فراشك وأنت طاهر فتوسد يمينك » (**مستقبل القبلة**) ان استطاع ذلك فإن أكرم المجالس ما

كبّر الله تعالى أربعاً وثلاثين وسبحه ثلاثاً وثلاثين واحمده ثلاثاً وثلاثين ». ثم قل: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك. اللهم إني لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك ». « اللهم

استقبل به القبلة **(ثم كبر الله أربعاً وثلاثين)** تكبيرة **(وسبحه ثلاثاً وثلاثين)** تسبيحة **(وأحمده ثلاثاً وثلاثين)** تحميدة فتلك المائة ».

قال العراقي: متفق عليه من حديث علي اهـ.

قلت: لفظ هذا الحديث عن علي أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادماً فقال: « ألا أخبرك ما هو خير لك منه تسبّحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين » ثم قال سفيان: إحداهن أربعاً وثلاثين فما تركته بعد قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: لا ولا ليلة صفين. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

وفي رواية للبخاري: « أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي ﷺ تسأله خادماً فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، فلما جاء ﷺ أخبرته. قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت أقوم فقال: مكانك، فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين وأحمدا ثلاثاً وثلاثين فهذا خير لكما من خادم » وعن شعبة عن خالد عن ابن سيرين قال: التسبيح أربعاً وثلاثين، وفي بعض طرق النسائي التحميد أربعاً وثلاثين، وهو الموافق لما أورده المصنف هنا زاد أبو داود في بعض طرقه قالت: رضيت عن الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ.

(ثم قل: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك. اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث علي وفيه انقطاع اهـ.

قلت: تقدم هذا الدعاء في آخر تلاوة القرآن،وذكرت هناك ما يتعلق بمعناه وهو من أذكار السجود مروي عن عائشة رضي الله عنها. رواه مسلم من طريق الأعرج عن أبي هريرة عنها وفيه بعد قوله منك: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وله طريق أخرى منها عند ابن خزيمة من رواية النضر عن عروة عنها نحو حديث أبي هريرة عنها، لكن قال في آخره: « أثني عليك ولا أبلغ كل ما فيك ». وسنده صحيح.

ومنها في الخلفيات من طريق علي بن الحصين عنها وقال في آخره لا أحصي أسماءك ولا ثناءً عليك ». وسنده ضعيف.

(« اللهم باسمك أحيا وأموت ») قال العراقي: رواه البخاري من حديث حذيفة ومسلم من حديث البراء اهـ.

باسمك أحيا وأموت » . « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن . أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء . اقض عني الدين واغنني من الفقر » . « اللهم إنك خلقت نفسي وأنت تتوفاها . لك مماتها ومحياها . اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها . اللهم إني أسألك العافية في الدنيا

قلت : ورواه أيضاً أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن حذيفة قال : كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : « باسمك أموت وأحيا وإذا نام قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » . ورواه أحمد والترمذي عن البراء ، ورواه أيضاً أحمد والشيخان عن أبي ذر كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول : « باسمك أحيا وباسمك أموت » والباقي كسياق حذيفة .

(« اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر »)
قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : ولفظه عن سهيل قال كان ابن صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : « اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول » . فساقه الخ . إلا أنه قال في آخره : « اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » رواه الجماعة إلا البخاري .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ تسأله خادماً فقال : « ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم » فساق الحديث ، وفيه ذكر هذا الدعاء بمثل سياق الجماعة ، وقد قدمت ذكره قريباً عند دعاء الدين .

(**« اللهم إنك خلقت نفسي وأنت تتوفاها**) هكذا بتاءين ، وفي بعض الروايات بحذف إحداهما تخفيفاً (**لك مماتها ومحياها**) أي أنت المالك لإحيائها ولإماتتها أي وقت شئت لا مالك لها غيرك . (**اللهم إن أمتها فاغفر لها**) أي ذنوبها (**وإن أحييتها فاحفظها**) من التورط فيما لا يرضيك . (**اللهم إني أسألك**) أي أطلب منك (**العافية**) أي السلامة في الدين من الافتتان وكيد الشيطان والدنيا من الآلام والأسقام .

والآخرة. باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي. اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك. اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت

قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي من طريق خالد سمعت عبد الله بن الحرث يحدث عن عبد الله بن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «اللهم خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها. اللهم أسألك العافية». فقال له رجل: سمعت هذا من عمر. قال: من خير من عمر من رسول الله ﷺ **(باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي)**.

قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن، وللشيخين من حديث أبي هريرة: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها» وقال البخاري: «فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» اهـ.

قلت ولفظ حديث أبي هريرة إذا جاء أحدكم إلى فراشه فلينفضه ببضعة ثوبه ثلاث مرات وليقل: «باسمك ربي» الحديث. ورواه الجماعة، ولفظ مسلم فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن وليقل: «سبحانك ربي لك وضعت جنبي» وباقيه مثله. وفي رواية للبخاري: «فارحمها» بدل «فاغفر لها» كما ذكره الشيخ.

وروى أبو داود من حديث أبي الأزهر الإنماري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «بسم الله وضعت جنبي اللهم اغفر لي ذنبي وأخسيء شيطاني وفك رهاني واجعلني في الندى الأعلى». ورواه الحاكم في المستدرك وقال فيه: «وثقل ميزاني واجعلني في الملأ الأعلى».

(«اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك») أي يوم النشور.

قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث ابن مسعود، وهو عند أبي داود من حديث حفصة بلفظ: «تبعث» وكذا رواه الترمذي من حديث حذيفة وصححه، ومن حديث البراء وحسنه اهـ.

قلت: ولفظ حديث حفصة رضي الله عنها قالت: كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك» ثلاث مرات هذا لفظ أبي داود، وكذا رواه النسائي. ورواه الترمذي من حديث البراء بمعناه وقال: ليس غريب من هذا الوجه. ورواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من طريق قتادة عن أنس بمثل حديث حفصة.

(اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة

وبنبيك الذي آرسلت » ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك . وليقل قبل ذلك : « اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك ، واستعملني بأحب الأعمال إليك تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعداً أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي » فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل : « الحمد لله الذي

إليك) أي خوفاً منك ورغبة إليك **(لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت » ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك)** قال العراقي : متفق عليه من حديث البراء اهـ .

قلت : لفظ حديث البراء قال : قال النبي ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم إضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمت وجهي إليك » فساقه إلى قوله : « أرسلت » ثم قال بعده « فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به . قال : فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال : لا ونبيك الذي أرسلت » رواه الجماعة وفي رواية للبخاري أيضاً : « فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيراً » وفي رواية للبخاري أيضاً كان رسول الله ﷺ إذا أوى على فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال : « اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك » فذكر مثله غير أنه قال : « وبنبيك » كما هو في سياق المصنف ، وفي رواية لأبي داود قال لي رسول الله ﷺ : « إذا أويت إلى فراشك وأنت طاهر فتوسد يمينك » . ثم ذكر نحوه . وفي رواية للنسائي : « كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه توسد يمينه ثم قال بسم الله فذكره بمعناه .

(وليقل قبل ذلك) أي قبل قراءته لهذا الدعاء : **(« اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال لديك تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعـداً . أسألك فتعطيني وأستغفركَ فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي ») .**

قال العراقي : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس : « اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا » وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائي كما رواه ابن أبي الدنيا اهـ .

قلت : هكذا هو لفظ العراقي ، والصواب من قول حبيب أبي محمد أي المعروف بالعجمي .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا الحرث بن موسى الطائي ، حدثنا حبيب أبو محمد قال : إذا أوى العبد إلى فراشه قال : « اللهم لا تنسني ذكرك ولا تؤمني مكرك ولا تجعلني من الغافلين ونبهني لأحب الساعات إليك أذكرك فتذكرني وأدعوك فتستجيب لي وأسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي بعث الله إليه ملكاً فنبهه فإن هو قام فتوضأ فسأل ذلك وإلا صعد ذلك الملك فصلى ثم يبعث إليه ملك آخر فيفعل مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً آخر فيفعل مثل ذلك ، وكان صلاة الأملاك له حتى يصبح » . قال أحمد بن إبراهيم :

أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله. أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا

وحدثني أخي أن معتمر بن سليمان حدثهم بهذا الحديث عن أبي عبد الحرث بن موسى. قال: وأثنى عليه خير اهـ.

وروى ابن النجار عن ابن عباس بنحو سياق الديلمي ولفظه: « من قال عند منامه اللهم لا تؤمنا مكرك ». فساقه إلى قوله: « الغافلين » ثم قال: « اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك وفيه إلا بعث الله إليه ملكاً في أحب الساعات إليه فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فيعبد الله في السماء ثم يعرج إليه ملك آخر فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فقام مع صاحبه ويعرج إليه ملك آخر فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فقام مع صاحبيه فإن قام بعد ذلك ودعا استجيب له فإن لم يقم كتب الله له ثواب أولئك الملائكة ». وقد تقدم الكلام على أول هذا الحديث مختصراً في أول هذا الكتاب.

(فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل: « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ») هو من بقية الحديث الذي رواه البخاري ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي عن حذيفة ، ومسلم عن البراء وقد تقدم قريباً.

(« أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والقوة والقدرة لله ») قال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة: « أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان في السموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين » وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى: « أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله » وإسنادهما ضعيف. ولمسلم من حديث ابن مسعود: « أصبحنا وأصبح الملك لله » اهـ.

وقلت: حديث ابن مسعود هذا رواه أيضاً أبو داود والترمذي والنسائي كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال « أمسينا وأمسى الملك لله وإذا أصبح قال أصبحنا وأصبح الملك لله ».

(أصبحنا على فطرة الإسلام) أي دينه الحق **(وكلمة الإخلاص)** وهي كلمة الشهادة **(ودين نبينا محمد ﷺ)** وهو تعليم للأمة وإرشاد لهم، **(وملة أبينا ابراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»)** قال العراقي رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن إبزي بسند صحيح، ورواه أحمد من حديث ابن إبزي عن أبي بن كعب مرفوعاً اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الطبراني في الكبير، ولفظ النسائي كان النبي ﷺ إذا أصبح قال « أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » رواه من طرق، ورجال إسناده رجال الصحيح. والحنيف الصحيح هو

وبك نموت وإليك المصير. اللهم إني أسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءاً أو نجره إلى مسلم فإنك قلت: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلمُ ما جرحتُم بالنّهار ثم يبعثُكُم فيه ليُقْضَى أجل مسمّى﴾ [الأنعام: ٦٠] اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل

المائل إلى الاسلام الثابت عليه قاله الهروي، وفي المحكم لابن سيده:الحنيف المسلم هو الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق، وقيل: هو المخلص وكلمة الاخلاص هو قول «لا إله إلا الله».

(**«اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور»**) قال العراقي: رواه أصحاب السنن الأربعة وإبن حبان وحسنه الترمذي إلا أنهم قالوا «وإليك النشور» ولابن السني «واليك المسير» اهـ.

قلت: لم يذكر صحابيه وقد أخرجه الأربعة من حديث أبي هريرة، وكذا ابن حبان في صحيحه، وأبو عوانة في مسنده الصحيح وهذا لفظه إن النبي ﷺ كان إذا أصبح يقول «اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير».

(**«اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه**) أي نكتسب (**سؤاً أو نجره إلى مسلم فإنك قلت وقولك الحق ﴿وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتُم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمّى﴾»**).

قال العراقي: لم أجد أوّله، وللترمذي من حديث أبي بكر في حديث له «وأعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وإن نقترف على أنفسنا سؤاً أو نجره إلى مسلم» رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري باسناد جيد اهـ.

قلت: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنهما قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت فساقه. وقد انفرد الترمذي بهذه الزيادة، وقد رواه أبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان بدون هذه الزيادة، وقد تقدم ذكره في دعاء أبي بكر رضي الله عنه.

وأما قول العراقي: رواه أبو داود عن أبي مالك قال الأشعري: فإن لفظه عند أبي داود أن رسول الله ﷺ قال «إذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده، فإذا أمسى فليقل مثل ذلك.

وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: (**«اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً**) اقض عني الدين واغنني من الفقروقوّني على الجهاد في سبيلك» وسنده ضعيف قاله العراقي.

سكناً والشمس والقمر حسباناً أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه. بسم الله ما شاء الله لا قوّة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله. ما شاء الله الخير كله بيد الله. ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله. رضيــت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ـ وإذا أمسي قال ذلك

قلت: ووجدت بخط الشمس الداودي ما نصه أخرجه ابن أبي شيبة من حديث مسلم بن سيار مرسلاً، ومالك في الموطأ عن يحي بن سعيد مرسلاً أيضاً «اللهم إنا **(نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه، ونعوذ بك من شره وشر ما فيه»)**.

وللدارقطني في الافراد من حديث البراء «أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده أعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده» وفي حديث أبي مالك الأشعري الذي تقدم قريباً «اللهم إني أسألك خير هذا اليوم» وفي آخره «وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده» وفي اليوم والليلة للحسن بن علي المعمري «اللهم إني أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده» والحديث عند مسلم في المساء «خير ما في هذه الليلة» الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضاً.

(بسم الله ما شاء الله لا قوّة إلا بالله، ما شاء الله كل نعمة فمن الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله») قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه الا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: يلتقي الخضر والياس عليهما السلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات فذكره، ولم يقل «الخير كله بيد الله» قال ابن عباس: «من قالهن حين يصبح وحين يمسي آمنه الله من الغرق والحرق» وأحسبه قال «ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب» أورده في ترجمة الحسن بن رزين وقال: ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر اهـ.

قلت: وقد تقدم الكلام على هذا مفصلاً عند ذكر دعاء الخضر عليه السلام.

ومن قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات **(«رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً)** كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة» رواه أبو داود والنسائي والحاكم من حديث أبي سلام ممطور الحبشي، ورواه الترمذي من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ثوبان وقال: حسن غريب، وقد وقع في إسناد هذا الحديث إختلاف كثير تقدم بعضه في الباب الأوّل. وروى ابن أبي شيبة عن عطاء بن يسار مرسلاً «من قال حين يمسي رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً فقد أصاب حقيقة الايمان».

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) ختم مجموع الأدعية بهذه الآية تبركاً.

(وإذا أمسى قال ذلك) أي ما ذكر من الأدعية المجموعة ولا بأس أن قدم دعاء على دعاء

إلا أنه يقول: « أمسينا » ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على

أو زاد أو أختصر (**إلا أنه يقول أمسينا**) بدل أصبحنا أو أمسيت بدل أصبحت، (**ويقول مع ذلك**) في أدعية الصباح والمساء: (**أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف « من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين » الحديث وفيه « وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح » وفيه ابن لهيعة، ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حبيش في حديث « أن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ من شر ما نزل من السماء » الحديث واسناده جيد. ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم « أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها » وللطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء « اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة » إلى آخر الحديث، وقد تقدم في الباب الثالث اهـ.

قلت: وبقية حديث عبد الرحمن بن عوف عند أبي الشيخ بعد قوله الثقلين الجن والانس وإن لدغ لم يضره شيء حتى يمسي، وروى ابن عدي في الكامل والسجزي في الابانة من حديث أبي هريرة « من قال أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق ثلاث مرات لم تضره عقرب حتى يمسي ومن قالها حين يمسي لم تضره حتى يصبح » ورواه الجماعة إلاالبخاري من حديثه بلفظ « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. قال أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك شيء » وفي رواية للترمذي « من قالها ثلاث مرات حين يمسي لم تضره حمة تلك الليلة » قال سهل: فكان أهلنا تعلموها فكانوا يقولونها في كل ليلة فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعاً. وهذا حديث حسن، والكلمات قال الهروي وغيره هي القرآن. وقال أبو داود في سننه باب في القرآن وذكر فيه حديث تعويذ النبي ﷺ الحسن والحسين بكلمات الله التامة، والتامات قيل هي الكاملات، ومعنى كمالها أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل في كلام الناس، وقيل هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يتعوّذ منه.

وأخرج ابن أبي الدنيا في الدعاء عن أبي هريرة: حدثنا كعب قال: إنا نجد مكتوباً في التوراة غير المبدلة أن الشيطان لا يطيف بعبد من لدن يمسي حتى يصبح يقول هذه الكلمات « اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامة من شر الشامة والهامة، وأعوذ باسمك وكلماتك التامة من عذابك وشر عبادك. اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامة من الشيطان الرجيم. اللهم إني أسألك باسمك وكلماتك التامة من خير ما نسأل وخير ما تعطي وخير ما تبدي وخير ما تخفي. اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامة من شر ما تجلي به النهار وإن كان الليل » قال: « من شر ما دجى به الليل ».

صراط مستقيم. وإذا نظر في المرآة قال: «الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين. وإذا اشتريت خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بناصيته وقل: اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه، وأعوذ بك من شره وشر ما

وأخرج أيضاً من طريق ابراهيم بن أبي بكر قال: سمعت كعباً يقول: لولا كلمات أقولهن حين أصبح وأمسى لجعلتني اليهود من الحمر الناهقة والكلاب النابحة والذئاب العادية «أعوذ بوجه الله الجليل وبكلماته التامة الذي لا يخفر جاره الذي يمسك السموات والأرض ومن فيهن أن تقع على الأرض إلا باذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ».

وأخرج أيضاً من طريق عمرو بن مرة قال: قلت لسعيد بن المسيب أخبرني بشيء أقوله إذا أصبحت قال «قل أعوذ بوجه الله الكريم واسمه العظيم وكلماته التامة من شر السامة والهامة ومن شر ما خلقت أي رب ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وشر هذا اليوم إن كان نهاراً أو شر هذه الليلة إن كان مساء وشر ما بعدها وشر الدنيا وشواغلها».

(وإذا نظرت وجهك في المرآة) بكسر الميم والمد معروفة **(فقل)** ندباً **(«الحمد لله الذي سوّي خلقي)** بفتح فسكون **(فعدّله)** بالتشديد والتعديل أخص من التسوية **(وكرم صورة وجهي وحسنها)** من التكريم والتحسين **(وجعلني من المسلمين»)** وإنما ندب النظر إليها ليقوم بواجب الحمد على حسن الخلق لأنهما نعمتان يجب الشكر عليهما.

قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وابن السني في اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف. اهـ.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب وسنده أيضاً ضعيف ولفظه «كان إذا نظر وجهه في المرآة قال الحمد لله» الخ.

وروى أبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس «كان إذا نظر في المرآة قال الحمد الله الذي حسن خلقي وخُلقي وزان مني ما شان من غيري» الحديث.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول «اللهم أنت حسنت خلقي» رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث عائشة رضي الله عنها «كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى وجهه في المرآة قال» فذكره، وأخرجه أبو بكر بن مردويه في كتاب الأدعية من حديث أبي هريرة وعائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا نظر في المرآة قال «اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي وحرم وجهي على النار».

(وإذا اشتريت خادماً) هو من يخدم في مهنة البيت أعم من أن يكون ذكراً أو أنثى والآن في العرف صار لفظ الخادم خاصاً بالجارية **(أو غلاماً)** وهو الطار الشاب ويطلق على الرجل مجازاً باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ مجازاً باسم ما يؤل إليه، **(أو دابة فخذ بناصيتها وقل «اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه»)** قال

جبل عليه، وإذا هنأت بالنكاح فقل: بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير. وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له: بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال ﷺ: «إنما جزاء السلف الحمد والاداء».

العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد اهـ.

قلت: ولفظه «إذا اشترى أحدكم الجارية أو الغلام أو الدابة فليأخذ بناصيته وليقل اللهم إني أسألك خيره» الحديث. وفي آخره «وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك». رواه كذلك النسائي وهذا لفظه، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على ما ذكرناه من رواية الأئمة الثقات عن عمرو بن شعيب، وفي روايته ورواية لأبي داود: وليدع بالبركة.

(وإذا هنأت) أحداً **(بالنكاح فقل «بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير»)** قال العراقي: رواه داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه الطبراني في الدعاء، وأخرج الترمذي عن عقيل بن أبي طالب أنه تزوّج امرأة فقيل له بالرفاء والبنين، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا تزوّج أحدكم فقولوا له بارك الله فيك وبارك عليك» كذا أورده الحافظ بن حجر في جزء التهنئة.

(وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له «بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال رسول الله ﷺ إنما جزاء السلف) أي القرض **(الحمد)** أي حمد المقترض للمقرض والثناء عليه **(والاداء»)** أي أداء حقه له وما اقتضاه وضع إنما من ثبوت الحكم للمذكور ونفيه عما عداه من أن الزيادة على الدين غير جائزة غير مراد، وإنما هو على سبيل الوجوب لأن شكر المنعم وأداء حقه واجبان والزيادة أفضل ذكره الطيبي.

قال العراقي: رواه النسائي من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال: استقرض مني النبي ﷺ أربعين ألفاً فجاءه مال فدفعه إليّ فقال فذكره واسناده حسن اهـ.

قلت: وقد رواه أيضاً أحمد وابن ماجه كلهم من رواية ابراهيم بن إسماعيل بن عبد الله أو إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة هذا مخزومي، وأبو ربيعة اسمه عمرو بن المغيرة ولاّه النبي ﷺ الجند فبقى عليها إلى أواخر أيام سيدنا عثمان رضي الله عنهما، ومات بقرب مكة.

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان لرجل على النبي ﷺ سن من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال أعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا إلاّ سناً فوقها فقال اعطوه فقال أوفيتني أوفى الله بك. قال النبي ﷺ «إن خياركم أحسنكم قضاء». رواه الجماعة إلا أبا داود. وفي رواية للبخاري أيضاً «أوفيتني وفى الله بك» وفي أخرى له «أوفاك الله».

فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة.

(فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناه كله في كتاب الحج والصلاة والطهارة) . وقد بقي على المصنف بعض ما يبتلى به المريد من الضروريات.

فمن ذلك: إذا أصابته الحمى فليقل « بسم الله الكبير نعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار ». رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس.

وإن أصابه رمد فليقل « اللهم متعني ببصري واجعله الوارث وارني في العدوّ ثأري وانصرني على من ظلمني » رواه الحاكم عن أنس.

وإذا عاد مريضاً فليقل ماسحاً بيده اليمنى « اللهم رب الناس أذهب البأس وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً » رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عائشة. ولهم في رواية أخرى « امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت ». أو يقول « بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك ». رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس. أو يقول: « شفى الله سقمك وغفر ذنبك وعافاك في دينك وجسمك إلى مدة أجلك » رواه الحاكم في المستدرك عن سلمان.

وإذا عزَّى أحداً في مصيبة فليقل « إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك فإلى الله أنيبوا وإليه فارغبوا فإنما المصاب من لم يجبر » رواه الحاكم عن أنس.

وإذا أهمه أمر فليقل « حسبي الله ونعم الوكيل ». رواه البخاري عن ابن عباس.

وعند الكرب يقول « الله الله ربي لا أشرك به شيئاً » ثلاث مرات. رواه الطبراني في الدعاء عن أسماء بنت عميس. أو « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ». رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن سعد بن أبي وقاص. أو « توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ». رواه الحاكم عن أبي هريرة أو « اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت ». رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي بكر رضي الله عنه.

وإن أصابه حزن « فليكثر من الاستغفار » رواه النسائي عن ابن عباس. أو « يا حي قيوم برحمتك أستغيث » رواه الحاكم عن ابن مسعود.

وإذا خاف سلطاناً أو نحوه فليقل « الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز مما أخاف وأحذر أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك للسموات السبع أن تقع على الأرض إلا باذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والأنس. اللهم كن لي جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز

جارك وتبارك اسمك ولا إله غيرك » ثلاث مرات. رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن عباس. أو « اللهم إله جبريل وميكائيل واسرافيل وإله إبراهيم واسماعيل وإسحاق عافني ولا تسلط علي أحداً من خلقك بشيء لا طاقة لي به » رواه ابن أبي شيبة عن الشعبي عن علقمة بن مرثد.

وإذا خاف شيطاناً أو غيره فليقل « أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ في الأرض وشر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلاً طارقاً يطرق بخير يا رحمن » رواه الطبراني في الدعاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود.

وإذا استصعب عليه أمر قال « اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن سهلاً إذا شئت » رواه ابن حبان عن أنس.

وإذا نظر إلى القمر « فليستعذ بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب » رواه الترمذي عن [1].

وإذا عطس فليقل « الحمد لله على كل حال، وليقل الذي يرد عليه يرحمك الله، وليقل هو يهدكم الله ويصلح بالكم » رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن أبي أيوب. أو « يغفر الله لنا ولكم » رواه النسائي عن ابن مسعود.

وإذا رأى من نفسه أو ماله أو أخيه شيئاً يعجبه « فليدع بالبركة فإن العين حق ». رواه النسائي عن عامر بن ربيعة.

وإذا رأى أخاه يضحك يقول له « أضحك الله سنك ». متفق عليه عن سعد بن أبي وقاص.

وإذا أعلمه إنسان انه يحبه فليقل: « أحبك الله الذي أحببتني له » رواه أبو داود والنسائي عن أنس.

ومن صنع إليه معروفاً فليقل له « جزاك الله خيراً ». رواه الترمذي والنسائي عن أنس.

وإذا رأى باكورة من الثمر فليقل « اللهم بارك لنا في ثمرنا » رواه مسلم عن أبي هريرة.

وإذا رأى مبتلى فليقل « الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً » رواه الترمذي عن أبي هريرة.

وإذا أضلّ شيئاً فليقل بعد أن يصلي ركعتين « بسم الله يا هادي الضال وراد الضالة اردد عليَّ ضالتي بعزتك وسلطانك فإنها من عطاياك وفضلك ». رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر.

وإذا عرضته وسوسة في صدره فليقل: « هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » رواه أبو داود عن أبن عباس. فهذه الأدعية وأمثالها لا يستغني عنها المريد أيضاً.

---

(١) بياض بالنسخ.

فإن قلت: فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له؟ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء. فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء

(فإن قلت: فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردّ له). تقرير هذا السؤال أوّلاً أن المدعو به إما أن يكون قد قضى الله بوقوعه أم لا، فإن كان الأوّل فهو حاصل وإن لم يدع، وإن كان الثاني فالدعاء لا يرد القضاء إذ القضاء لا مردّ له، وهذا هو الذي أشار إليه المصنف. وثانياً فهو سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فأي حاجة للدعاء؟ وثالثاً فالمطلوب بالدعاء أن كان من مصالح الداعي فالحق لا يتركه وإن لم يكن لم يجز قطعاً. ورابعاً ففي الحديث: جف القلم بما أنت لاق. وقال: أربع فرغ منها العمر والرزق والخلق والخلق، وحينئذ فأي فائدة للدعاء؟ وخامساً: فأجل مقامات الصدّيقين الرضا بقضاء الله والدعاء ينافي ذلك؟ فهذه خمسة أسئلة أوردها المنكرون اقتصر المصنف على واحد منها، وقد أجاب العلماء عنها بأجوبة أشار المصنف إلى بعضها. وقال:

(فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء) بمعنى أن الله تعالى قدر على من يوقع البلاء به عدم الدعاء، وقدر على من لم يوقع عليه البلاء وجود الدعاء، ويشهد لذلك ما أخرجه الترمذي عن ابن أبي خزامة عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت رقى نسترقي بها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها. هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله» قال الحافظ عبد الغني في درر الأثر: حديث حسن ولا يعرف لابن أبي خزامة سواه. وقال الدارقطني في العلل: رواه الزهري عن أبي خزامة بن يعمر عن أبيه عن النبي ﷺ وهو الصواب. وقال البدر الزركشي في كتاب الأزهية في الأدعية.

وأخرجه الحاكم في المستدرك من جهة معمر، عن الزهري، عن عروة، عن حكيم بن حزام قال: قلت يا رسول الله رقى نسترقي بها وأدوية كنا نتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: «هي من قدر الله» ثم قال: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال مسلم في تصنيفه فيما أخطأ معمر بالبصرة أن معمراً حدث به مرتين فقال مرة: عن الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه. قال الحاكم: وعندي أن هذا لا يعلله، فقد تابع صالح بن أبي الأخضر معمر بن راشد في حديثه عن الزهري عن عروة، وصالح وإن كان في الطبقة الثالثة من أصحاب الزهري فقد استشهد بمثله ثم ساقه. ونحو من هذا الجواب ما ورد من أن صلة الرحم زيادة في العمر من أن الزيادة مشروطة في الأزل بالصلة وعدمها بعدمها.

وأشار المصنف إلى الجواب الثاني بقوله: **(والدعاء لرد البلاء واستجلاب الرحمة)** يعني إنا لا نسلم أن الدعاء لا يرد البلاء بل هو سبب في رده **(كما ان الترس)** بالضم معروف من آلة حرب والجمع ترسة وتروس وتراس كفلوس وسهام، وربما قيل أتراس، فإن كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب سمي حجفة ودرقة. **(سبب لرد السهم)** عن حامله، **(و)** كما أن الماء **(سبب لخروج النبات)** من الأرض، **(وكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان،**

والبلاء يتعالجان. وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿خذوا حِذْرَكم﴾ [النساء: ٧١] وان لا يسقي الأرض بعد بث البذر فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت. بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج، والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب و .ذي قدر

فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان). روى الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة».

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر» رواه الترمذي وقال: حسن غريب. وأخرجه ابن ماجه والحاكم وابن حبان من حديث ثوبان أيضاً، وصحح الحاكم إسناده، ولما أخرجه أبو موسى المديني في الترغيب قال: قال أستاذنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل فيما قرأته عليه إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق النسمة قال: فإن كان منها الدعاء ردّ عنها كذا وكذا، وإن لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا وكذا، وكذلك أجلها إن برت والديها ويكون ذلك فيما يكتب في الصحيفة.

وقال الزركشي بعد أن أورد حديث عائشة الذي أخرجه الحاكم ما نصه: وهذا لا ينافي الحديث السابق في الجواب الأوّل لأن معنى الذي قبله أن الرقى والدواء لا تستقل بردّ القضاء، لكن الله تعالى إذا أراد ردّ قضائه بحسب سابق علمه قدر التسبب إلى استعمال الرقّى والأودية، فكان هو في الحقيقة القاضي الراد، وقد صحت السنة بمشروعية التداوي والاسترقاء.

ومعنى الثاني نفي استقلال الدواء كما سبق، وكذلك الدعاء والبر في الحقيقة لا يستقلان بشيء بل هما من قدر الله. وقد روى الفريابي في كتاب الذكر عن علي رضي الله عنه قال: الدعاء يدفع الأمر المبرم، وعن ابن عباس: الدعاء يدفع القدر وقال: إن الأمر ليقضي فيرده الدعاء بعد ما قضي ثم قرأ ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها﴾ [يونس: ٩٨] الآية. وهو مؤوّل على ماسبق.

(وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى) وقدره **(أن)** يطرح النظر إلى الأسباب بأن **(لا يحمل السلاح)** والجنن الواقية، **(وقد قال عز وجل ﴿خذوا حذركم﴾)** وهو بكسر فسكون اسم من حذر حذراً إذا تأهب واستعد، **(وأن لا تسقى الأرض)** بالمياه **(بعد بث البذر)** فيها **(فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت بل)** لا بدّ من ملاحظة الأسباب إذ **(ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الأوّل الذي هو كلمح البصر)** في كمال السرعة. **(وترتب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب)** هو **(على التدريج، والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لرفعه سبباً)** وهكذا جرت عادة الله سبحانه في خلقه

الشر قدر لدفعه سبباً، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته. ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فإنه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة». والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور

بربط الأسباب بمسبباتها، **(فلا تناقض بين هذه الأمور)** وفي نسخة بين هذين الأمرين **(عند من انفتحت بصيرته)** واكتحل بصره بنور التوفيق وساعده الفهم السليم.

وأشار إلى الجواب الثالث بقوله: **(ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر)** في الباب الأوّل، ثم أشار إلى بعض ما لم يسبق ذكره بقوله. **(فإنه)** أي الدعاء **(يستدعي حضور القلب)** أي قلب الداعي **(مع الله عز وجل)** وجذبه إليه حضوراً كلياً لا يكون معه للسوي سبيل بالتضرع والاستكانة وإظهار العبودية والإقرار بالفقر والحاجة والاعتراف بالربوبية، **(وذلك هو منتهى العبادات)** ونتيجتها وخلاصتها، **(ولذلك قال ﷺ «الدعاء مخ العبادة»)** ومخ كل شيء خالصه. وقد تقدم الكلام عليه في الباب الأوّل، ثم هو قد يكون شرطاً لوجود الصحة. ومن فوائد الدعاء إن الله تعالى يثيب على الدعاء وإن لم تقع الإجابة لأنه عبادة لقوله «الدعاء مخ العبادة». **(والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله)** واللجأ إليه بالدعاء **(إلا عند المام حاجة)** مهمة **(وإرهاق)** نائبة **(ملمة، والإنسان إذا مسه الضر فذو دعاء عريض)** كما جاء ذلك في الكتاب العزيز، **(فالحاجة)** المهمة **(تحوج إلى)** التفرغ إلى **(الدعاء والدعاء يرد القلب)** ويجذبه **(إلى الله تعالى بالتضرع والاستكانة)** واظهار العبودية والاقرار بالفقر والحاجة والاعتراف بالربوبية، **(فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات)** وأجلها، **(ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء)** رحمهم الله تعالى **(ثم الامثل فالامثل)** كما جاء ذلك في بعض الاخبار، لكن بمعناه روى الترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه والدارمي وابن منيع وأبو يعلى وابن أبي عمر في مسانيدهم من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» الحديث. وللطبراني من حديث فاطمة مرفوعاً «أشد الناس الأنبياء ثم الصالحون» الحديث. **(لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع)** والعبودية المحضة **(إلى الله تعالى ويمنع نسيانه، وأما الغنى)** بكثرة الاموال والاملاك **(فسبب للبطر)** والترفع على الأقران **(في غالب الأمور)** والشؤون

فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، **فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات** والله الموفق للخير، **وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعيادة المريض** وغيرها فستأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان. **تم كتاب الأذكار** والدعوات بكماله. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(**فإن الإنسان ليطغى**) أي يتجاوز عن حده بطغيانه (**إن رآه استغنى**) أي صار غنياً.

ومن فوائد الدعاء أنه اشتغال بذكر الحق وذلك يوجب مقام الهيبة في القلوب والإنابة في الطاعة والانقلاع عن المعاصي، ولزوم الباب يستدعي الإذن في الدخول ولهذا قيل: من أدمن قرع الباب ولج ولج، وكان يقال: الإذن في الدعاء خير من العطاء، وقيل لبعضهم: ادع الله لي. فقال: كفاك الله من الأجنبية أن يجعل بينك وبينه واسطة، وأصل شقاوة أهل النار في النار حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم: ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ [غافر: ٤٩] فالحجاب ملازم لهم، ثم لما لم يغنهم ذلك قالوا ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] ومنها أن ملازمة الدعاء دافعة للبلاء والشقاء كما قال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وادعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ [مريم: ٤٨] وعن زكريا عليه السلام ﴿ولم أك بدعائك رب شقياً﴾ [مريم: ٤].

(**فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات**) وما يتعلق بها من الفضائل، (**والله الموفق للخير**) لا خير إلا خيره ولا رب غيره، (**وأما بقية الدعوات**) التي تذكر (**في الأكل والسفر وعيادة المرضى وغيرها فستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى**)، ولنختم هذا الكتاب بفائدتين.

الأولى: قال الزركشي: اختار الخطابي في كتاب الدعاء أن الدعاء لا يستجاب منه إلا ما وافق القدر، وقال: إنه المذهب الصحيح، وهو قول أهل السنة والجماعة. ونقله عنه كذلك الطرطوشي في كتاب الأدعية وفائدته حينئذ كون المعاملة فيه على معنى الترجي والتعلق بالطبع الباعثين على الطلب دون اليقين الذي تقع به الطمأنينة، فيفضي بصاحبه إلى ترك العمل والإخلاد إلى دعة العطلة، وقد قالت الصحابة: أرأيت أعمالنا هذه شيء قد فرغ منه أم أمر نستأنفه؟ فقال ﷺ: بل هو أمر قد فرغ منه، فقالوا: ففيم العمل إذا قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له؟ فعلمهم ﷺ الأمرين ثم ألزمهم العمل الذي هو تدرجة التعبد لتكون تلك الأفعال يسراً فيريد أنه ييسر في أيام حياته للعمل الذي سبق له القدر به قبل وجوده. قال: وهكذا القول في الرزق مع التسبب إليه بالتكسب، وفي العمر والأجل والتسبب إليه بالطب والعلاج، وفي هذا لطف عظيم بالعباد فإنه سبحانه تملك طباعهم البشرية فوضع هذه الأسباب ليأتسوا بها فيخفف عنهم ثقل الامتحان الذي يفسدهم، وليتصرفوا بذلك بين الخوف والرجاء ليستخرج منهم وظيفتي الشكر والصبر.

....

الثانية: اختلفوا هل الأفضل الدعاء أو السكوت والرضا؟ فقالت طائفة: السكوت أفضل والجمود تحت جريان الحكم أتم. وسئل الواسطي أن يدعو فقال: أخشى إن دعوت أن يقال لي إن سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت إلينا، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور، وحكى الطرطوشي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: ما دعوت الله منذ خمسين سنة ولا أريد أن يدعو لي أحد، واحتج القائلون بهذا المذهب بأن امرأة بها لمم سألت رسول الله ﷺ أن يدعو لها الله عز وجل فقال: «أو تصبرين ولا حساب عليك». وسأله الأنصار أن يدعو الله سبحانه أن يكشف الحمى عنهم. فقال: «أو تصبرون فتكون لكم طهراً». وقال حكاية عن الله تعالى: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين». وقالت طائفة: يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعاً، وقيل: لا يدعو إلا بطاعة ينالها أو خوف سخط، فإن دعا بسوى ذلك فقد خرج عن حد الرضا. وقال القشيري: الأولى أن يقال إذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى له، وإذا وجد في قلبه إشارة إلى السكوت فالسكوت أتم. قال: ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله تعالى فيه حق فالدعاء أولى، وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم. والصواب أن الدعاء أولى مطلقاً وعليه الجمهور، فإنه نفسه عبادة، والإتيان بالعبادة أولى من تركها، وقد دعا ﷺ بكشف البلايا والشدائد وإن كان فيها فضل كبير. وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها «إن وافقت ليلة القدر فسلي الله العفو والعافية» وعلمها لعمه العباس رضي الله عنه. ولما كانت ليلة الإسراء وانتهى إلى مقام قاب قوسين عظم سؤاله في ليلته، فلولا أن السؤال من أجل العبادات ما تلبس به ولما أمر أمته به. فكيف يسوغ لأحد أن يقول: اللهم اغنني بك عن السؤال منك. نعم يمكن أن يريد أن يغنيه الله باختياره عن اختياره لنفسه، فإن اختيار الله للعبد كامل واختيار العبد لنفسه معلول بوجود علة الأدناس، فما خرج عن السؤال. وأما قوله ﷺ للأنصار «أو تصبرون» فهو سؤال كشف وتعليم. فأوحى الله إليه أنه لا يكشف عنهم في ذلك الوقت وأخر الدعاء، ويحتمل أنه رأى بهم جزعاً وقلة صبر فأمرهم به.

خاتمة الفائدتين: إعلم أن الذكر إما أن يكون باللسان أو بالقلب أو بالجوارح، فالذكر باللسان هو الألفاظ الدالة على التحميد والتمجيد والتسبيح، والذكر بالقلب التفكر في دلائل الذات والصفات ودلائل التكاليف وأسرار مخلوقات الله تعالى، والذكر بالجوارح أن تصير الجوارح مستغرقة في الطاعات. قال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] وحسبك بهذا الجزاء.

وبهذا تم شرح كتاب الأذكار والدعوات حامداً لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات، مصلياً على نبيه أكمل البريات صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الهداة، وأنا متوسل بمؤلفه رضي الله عنه إلى الله ورسوله أن يشفي مريضي ويحسن عواقبي ويختم لي ولأخواني المسلمين بخير وعافية. جرى ذلك في ضحوة سبت النور تاسع عشر جمادى الأولى سنة ١١٩٥ بمنزلي بسويقة لالا. قاله وكتبه أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني، غفر له بمنّه وكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي قرب إلى حضرة قدسه من شاءه وأراده، وأدنى إلى حظيرة أنسه من سبقت له من الأزل العناية المحضة بالإرادة، وردف له من صافي محبته شراباً مزاجه من تسنيم أتحف به وراده، فيسر له القيام بوظائف الأعمال وأوراد العبادة، وأتم له بها الوصول وأكمل السول وحباه مناه وأولاه مراده، أحمده حمداً استدر به كنهور الزيادة، وأشكره شكراً أستجلب به فيضه وإمداده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يرقى بها قائلها مصاعد السعادة، وأشهد أن مولانا وسيدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله سيد الخلق أجمعين. المبعوث رحمة للعالمين. من تمت له في سائر الرتب والأدوار السيادة. عين اليقين الأول، وقطب دائرة التمكين الذي عليه المعوّل، لأهل السلوك والإرادة، وعلى آله الأعيان، وأصحابه ذوي الأخلاق الحسان والتابعين لهم بإحسان. أولئك الذين لهم الحسنى وزيادة وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

أما بعد، نفحنا الله وإياك بنسائم قربه، وسقانا وإياك من كاسات حبه. فهذا شرح: **(كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات)** وتوظيف الأعمال على الأنفاس واللحظات، وهو العاشر من الربع الأول من الإحياء للإمام العالم الهمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي أسكنه الله بحبوحة دار السلام ونظمنا في سلك أحبابه في يوم الجمع والزحام، يحل ألفاظه ويكشف عن معانيه، ويرفع النقاب عن مخدرات أسراره لمعانيه فهو روض أزهر بالمعارف، ومجموع جمع الفوائد واللطائف، سرت فيه سيراً وسطاً، وتجنبت تفريطاً وسططاً لا تقصير مخل ولا تطويل ممل، هذا مع ما أنا عليه من شغل البال، بتغير الأحوال، وتواتر الصروف والأهوال، فصرت إذا أصابتني نبال، تكسرت النصال على النصال ولله در من قال:

ويمنعني الشكـــوى إلى النـــاس أنني ... عليـــلٌ ومـــن أشكـــو إليـــه عليـــلُ
ويمنعني الشكـــــوى إلى الله أنـــــــه ... عليمٌ بما ألقـــاه قبـــــل أقـــــولُ

وأنا متوسل بالمصنف رحمه الله تعالى إلى الله عز وجل في حل عقدتي وتفريج كربتي، فقد حكى غير واحد من العارفين ما يدخل في ضمن مناقبه أن من كراماته على الله تعالى أن من توسل به إلى الله أجاب نداءه وقبل دعاءه، فها أنا به إلى المولى جل وعز قد توسلت وبجاه نبيه محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمداً كثيراً، ونذكره ذكراً لا يغادر في القلب استكباراً ولا

تشفعت فهو أوجه الشفعاء وأكرم الكرماء وربي عز وجل هو الغفور الجواد القدير على فرج العباد لا إله غيره ولا خير إلا خيره، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقال لمجموعها البسملة والتسمية. والأول أكثر، والمراد بالكتاب ما أريد كتبه. والمعنى أن حقها أن تكون مفتتح كل كتاب، قيل: لما نزلت هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين وحلف الله بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه، واختصت بهذه الأسماء الثلاثة ليعلم العارف أن المستحق لأن يلجأ إليه ويستعان في جميع الأمور ويعول عليه هو الواجب الوجود المعبود بالحق الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها، فيتوجه بكليته إليه ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستغناء به عن غيره ويعتمد في جميع أموره عليه.

ثم قال: **(نحمد الله تعالى على آلائه)** أي نعمه **(حمداً كثيراً)** أي موصوفاً بالكثرة وآثر الجملة الفعلية نظراً لمقام الحمد على نعم الله تعالى ليفيد تجدد صدور الحمد من تعلقه بالله تعالى على استغراق الأزمنة بمعونة المقام، على أن فيه أتعاباً دون الثبوت، ولا شك أن أفضل الأعمال أحمزها أي أشدها وأشقها مع ما في ذلك من الشرف بإظهار النعمة عليه، وأنه ممن أهل لذلك لتلبسه بالعبادة العظمى التي هي حمده على نعمه السرمدية، وأيضاً فالمحمود عليه هنا ليس من الصفات الثابتة للذات كالربوبية فناسب الفعلية، **(ونذكره ذكراً لا يغادر)** أي لا يترك **(في القلب)** أي باطنه **(استكباراً)** أي تكبراً **(ولا نفوراً)** أي انقباضاً، وعدم الرضا به وهو مقتبس من قوله تعالى ﴿فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً ★ استكباراً في الأرض﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣] الآية. ولفظ الذكر يشمل الحمد وغيره كالتهليل والتكبير والحوقلة والحسبلة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، فإن الآتي بكل منها يسمى ذاكراً، وإليه يشير قوله تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] ولكل ذكر ثمرة وخاصة، فإيراده بعد الحمد من قبيل ذكر العام بعد الخاص وهو شائع في فصيح الكلام، ولما كان المقام يقتضي مزيد الاهتمام بالحمد لأن هذا الكتاب الذي شرع فيه من جلائل النعم قدم جملة الحمد على جملة الذكر، وأيضاً فإن الحمد لله أفضل من باقي الأذكار صرح به المصنف وغيره وبينوه بما حاصله: بأن الحمد لله فيه تنزيه الله تعالى وتوحيده وزيادة شكره. وقال بعضهم: ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله، فإن النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته، وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد

نفوراً، ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيراً ونذيراً وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشياً وبكرة وأصيلاً حتى أصبح كل واحد منهم نجماً في الدين هادياً وسراجاً منيراً.

أما بعد؛ فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولاً لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل

لدخولها فيه، وينطوي فيها معها كمال القدرة والانفراد بالفعل، ولذلك ضوعف الحمد لله ما لم يضاعف غيره من الأذكار مطلقاً. **(ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة)** يخلف أحدهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه **(لمن أراد أن يذكر)** بالتشديد أي يتذكر، وقراءة حمزة أن يذكر بالتخفيف من ذكر بمعنى تذكر أي يتذكر آلاء الله تعالى ويتفكر في صنعه، فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد. **(أو أراد شكوراً)** بالضم أي شكراً أي أراد أن يشكر الله على ما فيه من النعم، وفي إيراد هذه الآية هنا براعة الاستهلال. **(ونصلي على محمد نبيه الذي بعثه بالحق)** الواضح وهو حق، **(بشيراً)** بالجنة ودرجاتها لمن آمن به **(ونذيراً)** بالنار ودركاتها لمن خالفه وتمرد على الله تعالى وهو مقتبس من قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ [فاطر: ٢٤] **(وعلى آله وصحبه الأكرمين)** جمع أكرم وهو أفعل من كرم كرامة وكرامتهم شرف نسبتهم إليه ﷺ وتعلقهم به قرابة وصحبة. **(الذين اجتهدوا في عبادة الله)** العملية والقولية **(غدوة وعشياً وأصيلاً وبكوراً)** أي مساء وصباحاً **(حتى أصبح كل واحد منهم)** أي من الآل والأصحاب **(نجماً في الدين)** يهتدي به في أموره، **(هادياً)** لغيره بأنواره **(وسراجاً منيراً)** أي مضيئاً، وإنما وصفهم بالسراج لما فيه من تعدد النفع وتعديه إلى غيره.

واعلم أن كل ما يبصر نفسه وغيره إن كان من جملة ما يبصر به غيره أيضاً، مع أنه يبصر نفسه وغيره، فهو أولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره أصلاً، بل بالحريّ أن يسمى سراجاً منيراً لفيضان أنواره على غيره، وهذه الخاصية توجد للروح القدسي النبوي إذ يقتضي بواسطة أنوار المعارف على الخلائق والأنبياء كلهم سرج، وكذلك الآل والأصحاب، ولكن بينهم تفاوت لا يحصى.

(أما بعد، فإن الله عز وجل جعل الأرض ذلولاً) أي لينة يسهل السلوك فيها **(لعباده)** ولكن **(لا ليستقروا في مناكبها)** أي جوانبها أو جبالها. قال الله تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها﴾ [الملك: ١٥] قال البيضاوي: هو مثل لفرط التذلل، فإن منكب البعير ينبو أن يطأه الراكب ولا يتذلل له، فإذا جعل الأرض بحيث يمشي في مناكبها لم يبق

ليتخذوها منزلاً فيتزوّدوا منها زاداً يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفاً لنفوسهم عملاً وفضلاً محترزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها، فالناس في هذا العالم سفر، وأوّل منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار. والعمر مسافة السفر، فسنوه مراحله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رؤوس أمواله، وشهواته،

شيء لم يتذلل، (**بل ليتخذوها منزلاً**) قلعة (**فيتزودوا منها**) أي يأخذوا منها الزاد الذي يوصلهم إلى معادهم فمن لم يتزود منها كما أمره الله تعالى بقوله ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧] خابت رحلته فيسترجع منه ما أعير من جسده وذات يده (**محترزين من مصائدها**) جمع مصيدة كمعيشة (**ومعاطبها**) أي مهالكها (**ويتحققون**) في أنفسهم (**أن العمر**) وهو بالضم إسم لمدة عمارة البدن بالحياة (**يسير بهم سير السفينة براكبها**) حسب الرياح المعتورة كما قال القائل:

رأيت أخا الدنيا وإن كان حاضراً ... أخا سفر يسري به وهو لا يدري

(**فالناس في هذا العالم**) أي عالم الملك (**سفر**) بفتح فسكون أي مسافرون (**وأول منازلهم المهد**) وهو ما يهيأ للصبي (**وآخرها اللحد**) وهي الحفرة المائلة عن الوسط والمراد به مقر الميت (**والوطن**) الأصلي الذي يسكنه (**هو الجنة**) إن كان من أهلها (**أو النار**) إن كان من أهلها (**والعمر**) بينهما (**مسافة السفر**) والمسافة المضرب البعيد ، يقال: كم مسافة هذه الأرض وبيننا مسافة عشرين يوماً، وأصلها موضع سوق الأدلاء أي شمهم يتعرفون حالها من قرب وبعد وجور وقصد. قال امرؤ القيس:

على لاحب لا يهتدي لمناره ... إذا ساقه العوذ الديافي جرجرا

ويقال: بينهما مساوف ومراحل، (**فسنوه**) بكسر السين أصله سنون حذفت النون لأجل الإضافة جمع سنة بفتح وتخفيف اسم لأمد تمام دورة الشمس وتمام اثنتي عشرة دورة للقمر (**مراحله**) جمع مرحلة وهي المنزل الذي ينزل فيه المسافر ثم يرتحل عنه، (**وشهوره**) جمع شهر إسم للزمان الذي بين الهلالين (**فراسخه**) جمع فرسخ وهي المسافة المعلومة في الأرض، (**وأيامه**) جمع يوم (**أمياله**) جمع ميل بالكسر اسم لمسافة معلومة في الأرض (**وأنفاسه**) جمع نفس بالتحريك هو الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر وهو كالغذاء للنفس وبانقطاعه بطلانها (**خطواته**) جمع خطوة إسم للمسافة التي بين القدمين عند المشي، (**وطاعته**) وهي كل ما فيه رضا وتقرب إلى الله تعالى، (**بضاعته**) وهي في الأصل قطعة وافرة من المال تقتني للتجارة، (**وأوقاته رؤوس أمواله**) فمتى ضيعت ضاع رأس ماله والوقت عبارة عن المحدود من الزمن من غير تعيين إلى ماض ومستقبل، وعند الصوفية عبارة عن حالك وهو ما يقتضيه

واغراضه قطاع طريقه، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم، وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم. فالغافل في نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى. ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد ودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا

استعدادك، (**وشهواته**) محركة جمع شهوة كتمرة وتمرات وهي نزوع النفس إلى ما يلائم الطبع، (**وأغراضه**) جمع غرض محركة وهي الفائدة المرتبة على الشيء من حيث هي مطلوبة بالإقدام عليه (**قطاع طريقه**) وهم الذين يخيفون المارة بالإضرار والإتلاف، (**وربحه**) هو بالكسر كل ما يعود من ثمرة عمل (**الفوز بلقاء الله عز وجل**) ومشاهدته (**في دار السلامة**) أي جنة الوصال وإليه الإشارة بقوله تعالى﴿لهم دار السلام عند ربهم) [الأنعام: ١٢٧] وقوله (والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس: ٢٥] (**مع الملك الكبير**) بضم الميم أي الملـك العظيم (**والنعيم المقيم**) أي الأبدي الذي لا يحول ولا يزول، وإليه يرشد قوله تعالى ﴿ونعيماً وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] (**وخسرانه**) هو بالضم انتقاص رأس المال (**البعد من الله تعالى مع الأنكال**) أي العقوبات (**والأغلال**)) وهي القيود التي يغلّ بها العنق (**والعذاب الأليم**) أي المؤلم الموجع (**في دركات الجحيم**) أي طبقاتها، وإليه يشير قوله تعالى ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً ★ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] (**فالغافل عن نفس من أنفاسه حتى ينقضي**) ذلك النفس وهو في حالة الغفلة (**في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى**) أي منزلة رفيعة (**متعرض في يوم التغابن**) هو اليوم الذي تجمع فيه الملائكة والثقلان للحساب والجزاء ويغبن فيه بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء وكانوا سعداء، وبالعكس مستعار من تغابن التجار قاله البيضاوي (**لغبينة**) أي خسارة (**وحسرة**) شديدة (**ما لها منتهى**) حتى يبقى القلب حسيراً لبلوغ النهاية في التلهف لا موضع فيه كالبصير الحسير لا قوة للنظر فيه، ثم إن هذا السياق الذي أورده المصنف من قوله أما بعد إلى هنا هو مثل ضربه للإنسان في هذه الدار، وما رشح له مستفاد من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كما عزاه له الراغب في أول كتاب الذريعة. قال علي رضي الله عنه: الناس سفر، والدنيا دار ممر لا دار مقر، وبطن أمه مبدأ سفره، والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته، وسنوه منازله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطاه يسار بـه سير السفينة براكبها، وقد دعي إلى دار السلام فمن لم يتزود من دنياه خابت رحلته ويتحسر حين لا يغنيه تحسره ويقول: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا، فحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل. (**ولهذا الخطر العظيم**) أصل الخطر الإشراف على الهلاك وخوف التلف. يقال: هو على خطر عظيم ثم سمي كل أمر عظيم خطراً لذلك (**والخطب الهائل**) أي المفزع يقال: خطب يسير وخطب جليل وهو يقاسي خطوب الدهر (**شمر الموفقون**) أذيالهم (**عن ساق الجد**) أي استعدوا لإقامة مراسم الطاعات (**وودعوا**) وهو بالتخفيف ومنه قراءة من قرأ (**ما**

بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصاً على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار، فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات، ويتضح هذا المهم بذكر بابين.

الباب الأول: في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار.

الباب الثاني: في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به.

ودعك ربك وما قلى﴾ [الضحى: ٣] وفي بعض النسخ بالتشديد (**بالكلية**) أي مرة واحدة (**ملاذ النفس**) أي مشتهياتها، (**واغتنموا بقايا العمر**) أي ما بقي من عمارة البدن بالحياة، (**ورتبوا**) على أنفسهم (**بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد**). الوظيفة: ما يرتب كل يوم من رزق أو عمل يقال له وظيفة رزق، وعليه كل يوم وظيفة من عمل. والأوراد جمع ورد بالكسر وهو ما يرتبه الإنسان على نفسه كل يوم أو ليلة من عمل ومنه قولهم: من لا ورد له لا وارد له. (**حرصاً على إحياء الليل والنهار**) بالأعمال الصالحة (**في طلب القرب من الملك الجبار**) فما تقرب إليه متقرب كتقربه بالنوافل من الطاعات، (**والسعي إلى دار القرار**) وهي دار الآخرة لاستقرارهم فيها، (**فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد**) الموظفة (**وتوزيع**) أي تقسيم أنواع (**العبادات التي قد سبق شرحها**) في الكتب المتقدمة (**على مقادير الأوقات المختلفة**) من الليل والنهار، (**ويتضح هذا المهم**) ويكشف سره (**بذكر بابين**).

الباب الأول: في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار.

الباب الثاني: في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به.

الباب الأول

في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى:

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله تعالى وعارفاً بالله سبحانه، وأن المحبة والانس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه، وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولم يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل

الباب الأول

(**في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها**) وما يتعلق بها (**وبيان المواظبة عليها وهو الطريق**) الموصل (**إلى الله عز وجل**) وفي نسخة: هي الطريق إلى الله تعالى.

(**إعلم أن الناظرين بنور البصيرة**) وهي قوة للقلب المنور بنور القدس ترى حقيقة الأشياء وظاهرها (**علموا أنه لا نجاة**) للعبد (**إلا في لقاء الله عز وجل**) إذ هو المطلوب الأهم، (**وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد**) حالة كونه (**محباً لله تعالى**) وعلامة محبته لله تعالى محبته لرسوله ﷺ، وعلامة محبته ﷺ محبة سننه واتباع آثاره، فمن أنس باتباع السنن المحمدية رجى له فتح باب محبة مشرعها ومنه يفوز إلى حب الله تعالى، (**وعارفاً بالله تعالى**) معرفة أكسبته تلك المحبة وقارها ونبهته على ما خفي من أسرارها، (**وأن المحبة والأنس**) بالله تعالى (**لا يحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على ذلك**) بربط القلب عليه بحيث لا ينتقل عنه ولا يحيد، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، (**وأن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه**) أي في المحبوب (**وفي صفاته وأفعاله**) بحثاً فيها طلباً للوصول إلى حقائقها. (**وليس في الوجود سوى الله عز وجل وأفعاله**) فلا يشاركه أحد في أفعاله كما لا يشابهه شيء في ذاته وصفاتها، (**ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها**) لأنهما ينشآن عن التفرغ، وما دام العبد مشتبكاً بلذات الدنيا فلا يمكنه أن يفرغ قلبه لذكر ولا لفكر، (**والاجتزاء**) أي الاكتفاء (**منها بقدر البلغة والضرورة**) أي بقدر ما يتبلغ به ويضطر إليه وسائر أمور الدنيا دائرة على الأكل والشرب والنكاح واللباس والمسكن والخادم والدابة، ولكل من

ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والأفكار ، والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر ، بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها . فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة . فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها ، فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلاً والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب

ذلك حدود معلومة ، فيكفيك من الغذاء ما تهرم بتركه القوى ، ومن الحلائل الولود الودود ، ومن الملبس ما لا يسفهك به العاقل ولا يزدريك به الغافل ، ومن المسكن ما واراك عمن لا تريد أن يراك ، ومن الخدم الأمين المطيع ، ومن المركب ما حمل رحلك وأزاح رجلك ولا يزدرى بركوبه مثلك ، فالتجرد عن العلائق شرط في الوصول إلى معرفة الحق أنظر إلى المرآة تجردت عن جميع الصور فأشهدت كل ذي صورة ما يراه من صورته وما لا يرى . هكذا الرجل المجرد من علائق جميع العوالم وجهه الناطق مرآة الحقائق ما قابلها ذو صورة إلا رأى وجه حقيقته ،**(وكل ذلك)** أي مما ذكر **(لا يتم)** حصوله **(إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار)** بحيث يكون كل وقت من تلك الأوقات معموراً إما بذكر أو بفكر ، **(و)** لكن **(النفس لما)** أي لا ٔجل ما **(جبلت عليه من السآمة والملل)** في الأفعال والأحوال **(لا تصبر على فن)** أي نوع **(واحد من الأسباب المعينة على)** كل من **(الذكر والفكر ، بل إذا دامت على)** وفي نسخة : إذا ردت إلى **(نمط واحد)** أي نوع واحد ، وفي ذكر الفن والنمط تفنن في العبارة **(ظهر الملل)** والسآمة والكسل **(والاستثقال)** وأدى ذلك إلى الهجران والإبطال ، **(وأن الله عز وجل لا يمل حتى تملوا)** رواه البخاري في الصحيح في أثناء حديث « مه عليكم من العمل ما تطيقون . فإن الله لا يمل حتى تملوا » وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم . **(فمن ضرورة اللطف بها أن تروح)** أي تنشط **(بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع)** وذلك النوع الآخر الذي انتقلت إليه غير الذي انتقلت منه **(بحسب كل وقت)** وما يناسبه ويليق به **(لتغزر)** أي تكثر **(بالانتقال)** المذكور **(لذتها)** الحاصلة من إقبال القلب على ذلك العمل ، **(وتعظم باللذة)** المذكورة **(رغبتها وتدوم بدوام الرغبة الحاصلة من تلك اللذة مواظبتها)** عليه ومداومتها له . **(فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة)** وقد مر في آخر كتاب أسرار الصلاة شيء من ذلك . **(والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات)** من الليل والنهار **(أو أكثرها)** ولا أقل من ذلك ، **(فإن النفس بطبعها)** الذي **(جبلت عليه مائلة إلى ملاذ الدنيا)** وشهواتها **(فإن صرف العبد شطر أوقاته)** أي جزءاً منها **(إلى تدبيرات الدنيا)** أي

الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساوياً، فأنَّى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد، وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات، فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته، فإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمره مخطر، ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر، فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة، فإن لم تكن من أهله، فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه: ﴿ إنَّ لك في النهار سبحاً طويلاً ★ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ [المزمل: ٧]، وقال تعالى: ﴿ واذكر اسم ربك بكـرة

الأمور المهمة منها، (**وشهواتها المباحة مثلاً**) وهي التي أباح له الشارع التصرف فيها (**و**)صرف (**الشطر الآخر إلى العبادات أرجح جانب الميل إلى الدنيا**) ولذاتها أي صار راجحاً (**بموافقتها الطبع**) الذي جبلت هي عليه. (**إذ يكون الوقت متساوياً**) هما شطران (**فأنّى يتقاومان**) وكيف يتعادلان (**والطبع لأحدهما مرجح**) ولا يثبت التقاوم إلا عند عدم المرجح (**إذ الظاهر والباطن**) كل منهما (**يساعد على**) تحصيل (**أمور الدنيا**) كيفما اتفق وأمكن (**ويصفو في طلبها القلب**) بميله وتقلبه (**ويتجرد**) وفي بعض النسخ: ويصفو في ذلك طلب القلب ويتجرد أي يهتم اهتماماً كلياً. (**وأما الرد إلى العبادات**) العملية والقولية (**فمتكلف**) أي يحصل فيه تكلف ومشقة، (**ولا يسلم إخلاص القلب فيها**) وإمحاضه (**وحضوره**) بكليته (**إلا في بعض الأوقات**) على سبيل الندرة والقلة، (**فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته**) كلها (**في الطاعة**) التي تقربه إلى الله زلفى، (**ومن أراد أن تترجح كفة حسناته**) على كفة سيئاته. وللميزان كفتان توزن فيهما الأعمال (**وتثقل موازين خيراته، فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته**) استيعاباً وافياً، (**فإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً**) بحيث كانا متعادلين (**فأمره مخطر**) أي ذو خطر، (**ولكن الرجاء**) من الله (**غير منقطع والعفو من كرم الله**) وعفوه (**منتظر، فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه**) ومنه وفضله كما هو شأن الكريم المتفضل الجواد، (**فهذا**) الذي ذكر هو (**ما ينكشف للناظرين**) إلى الأشياء (**بنور البصيرة**) المنورة بنور القدس، (**وإن لم تكن من أهله**) أي من أهل نور البصيرة. (**فانظر إلى خطاب الله عز وجل لرسوله ﷺ واقتبسه بنور الإيمان**) ثم اعتبر به، (**فقد قال تعالى لأقـرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه**) بأنواع التخصيص والمواهب والتقريب (**إن لك في النهار سبحاً طويلاً**) أي تقلباً في مهامك واشتغالاً بها فعليك بالتهجد، فإن مناجاة الحق يستدعي فراغاً وقرئ ﴿ سبخاً ﴾ بالخاء المعجمة أي تفرق قلب بالشواغل مستعار

وأصيلاً ★ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ [الإنسان : ٢٥ ، ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ★ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ [ق : ٣٩ ، ٤٠] قال سبحانه : ﴿ وسبِّح بحمد ربك حين تقوم ★ ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم ﴾ [الطور : ٤٨ ، ٤٩] وقال تعالى : ﴿ إنَّ ناشئةَ اللَّيْل هي أشدّ وطأً وأقوم قِيلا ﴾ [المزمل : ٦] وقال تعالى : ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣٠] ، وقال عز وجل : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [هود : ١١٤] ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم ، فقال تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل

من سبخ الصوف وهو نفشه وتفشي أجزائه كذا قاله البيضاوي . **(وقال تعالى : وسبح بحمد ربك)** أي وصل أنت حامداً لربك معترفاً بأنه مولى النعم كلها **(قبل طلوع الشمس)** يعني الفجر **(وقبل الغروب)** يعني الظهر والعصر لأنهما في آخر النهار أو العصر وحده **(ومن الليل فسبحه)** فإن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء ، ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل **(وأدبار السجود)** أي أعقابه . **(وقال تعالى : وسبح بحمد ربك حين تقوم ★)** من أي مكان قمت أو من مكانك أو إلى الصلاة **(ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم)** أي إذا أدبرت النجوم من آخر الليل ، وقرئ بالفتح أي في أعقابها ، **(وقال تعالى : إن ناشئة الليل)** أي ساعات الليل لأنها تحدث واحدة بعد أخرى أو ساعاتها الأول من نشأت إذا ابتدأت ، أو المراد النفس التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أو قيام الليل على أن الناشئة له أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث **(هي أشد وطأً)** بفتح فسكون أي كلفة أو ثبات قدم ، وقرئ وطاء ككتاب أي مواطأة القلب اللسان لها أو فيها موافقة لما يراد من الخضوع والإخلاص **(وأقوم قيلاً)** أي أشد مقالاً أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات . **(وقال تعالى) :** ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها **(ومن آناء الليل)** أي من ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر **(فسبح)** يعني المغرب والعشاء ، وإنما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل ، فإن القلب فيه أجمع والنفس أميل إلى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز **(وأطراف النهار)** تكرير صلاتي الصبح والمغرب إرادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لا من الإلباس ، أو أمر بصلاة الظهر فإنها نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الأخير وجمعه باعتبار النصفين ، أو لأن النهار جنس أو بالتطوع في آخر الليل **(لعلك ترضى)** متعلق بسبح أي سبح في هذه الأوقات طمعاً أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ، وقرئ بالبناء للمفعول أي يرضيك ، **(وقال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار)** يعني صلاة الصبح وصلاة المغرب ﴿ **وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ ثم انظر **كيف وصف الفائزين)** بما عنده من الثواب **(من عباده وبماذا وصفهم فقال عز وجل ﴿ أمّن هو قانت ﴾)** أي قائم في الصلاة ، ومنه خبر أفضل الصلاة طول القنوت أو ثابت على قيامه فيها تحققاً بتمكنه فيه أو ملازم الطاعة مع الخضوع **(آناء الليل)** أي ساعاته **(ساجداً وقائماً يحذر**

يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر : ٩] وقال تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ [السجدة : ١٦] . وقال عز وجل : ﴿ والَّذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ [الفرقان : ٦٤] ، وقال عز وجل : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون★ وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات : ١٧ ، ١٨] ، وقال عز وجل : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ [الروم : ١٧] وقال تعالى : ﴿ ولا تطْرُد الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بالغَدَاةِ والعشيِّ يُريدُون وجْهَهُ﴾ [الأنعام : ٥٢] فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام . ولذلك قال ﷺ :

الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) تقدم الكلام عليه في أول كتاب العلم **(إنما يتذكر أولوا الألباب)** أي العقول الراجحة **(وقال تعالى : والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً)** جمعاً ساجد وقائم أي ساجدين وقائمين . **(وقال تعالى : ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ وقال تعالى : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون★ وبالأسحار هم يستغفرون﴾ وقال عز وجل ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون★ وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ أي : فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون)** . أي هو إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته ، أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض ، وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيها أظهر ، وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار والظهيرة التي هي وسطه لأن تجدد النعم فيها أكثر ، ويجوز أن يكون عشياً معطوفاً على حين تمسون . وقوله ﴿ وله الحمد في السموات والأرض﴾ [الروم : ١٨] اعتراضاً .

ويروى عن ابن عباس أنه قال : إن الآية جامعة للصوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشياً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ، ولذلك زعم الحسن أنها مدنية لأنه كان يقول : كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقتا ، وإنما فرضت الخمس بالمدينة والأكثر أنها فرضت بمكة .

(وقال عز وجل : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾) نزلت في أهل الصفة **(فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله عز وجل)** عبارة عن **(مراقبة الأوقات)** أي محافظتها **(وعمارتها بالأوراد)** الشريفة **(على سبيل الدوام)** والملازمة **(ولذلك قال رسول الله ﷺ : « أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة)** أي يترصدون دخول الأوقات بها **(لذكر الله تعالى »)** أي لإقامة ذكره تعالى في الأوقات المعلومة . ولفظ القوت : وفي حديث أبي الدرداء وكعب الأحبار في صفة هذه الأمة يراعون الظلال لإقامة الصلاة وأحب عباد الله إلى الله الخ .

« أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى » . وقد قال تعالى : ﴿ الشمسُ والقمرُ بحسبان ﴾ [الرحمن : ٥] وقال تعالى : ﴿ ألم ترَ إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ⋆ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾ [الفرقان : ٤٥ ، ٤٦] وقال تعالى : ﴿ والقمر قدّرناه منازل ﴾ [يس : ٣٩] وقال تعالى :

قال العراقي : رواه الطبراني والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ : « خيار عباد الله » الخ .

قلت : روياه بلفظ : إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله » . وقال الهيثمي رجال الطبراني موثقون . وقال المنذري : رواه ابن شاهين وقال : انفرد به ابن عيينة عن مسعر وهو حديث غريب صحيح ، وأقر الذهبي الحاكم على تصحيحه .

وقال البرهان في المراعاة : أمور ظاهرة وأمور باطنة . أما الظاهرة فالرؤية بحاسة البصر في الطلوع والتوسط والغروب والحركة ، فإذا تأمله المتأمل ذكر الله وسبحه ومجده بتحقيق سيما إذا أطلعه الله على أسرار نتائجها وأفعالها مما يدل على أحكام القدرة الأزلية في المصنوعات المترتبة على الإنسان اهـ .

(**وقد قال تعالى : ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾**) أي يجريان بحسبان معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ، وتشتق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب ، (**وقال عزوجل : ألم تر إلى ربك**) أي ألم تنظر إلى صنعه (**كيف مد الظل**) أي بسطه أو لم تنظر إلى الظل كيف مده ربك فغير النظم إشعاراً بأن المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوث تصرفه على الوجه النافع بأسباب متمكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي ، فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك إلى ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال ، فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر . (**ولو شاء لجعله ساكناً**) أي ثابتاً من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (**ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً**) فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها ، (**ثم قبضناه إلينا**) أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه (**قبضاً يسيراً**) قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس لتنتظم بذلك مصالح الكون ، ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق ، وثم في الموضعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادىء أوقات ظهورها ، وقيل : مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها ، ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال ، ثم خلق الشمس دليلاً عليه مسلطاً مستتبعاً إياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليلاً لطريق من يهديه فإنه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ، ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي غاية نقصانه أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظلل عليها (**وقال عز وجل : ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾**) وهي ثمانية وعشرون منزلة يحل كل ليلة منزلة منها على ما تقدم بيانها في كتاب العلم . (**وقال**

﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ [الانعام : ٩٧] فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا ، بل لتعرف بها مقادير الأوقات فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة. يدلك عليه قوله تعالى : ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان : ٦٢] أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير . وقال تعالى : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ [الاسراء : ١٢] وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة. ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

بيان أعداد الأوراد وترتيبها :

اعلم أن أوراد النهار سبعة ، فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد ، وما

تعالى : ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها) أي بسيرها وأفولها وطلوعها **﴿في ظلمات** البر والبحر﴾ **(فلا تظنن)** أيها المتأمل المتبصر في آيات الله تعالى **(أن المقصود من سير الشمس والقمر)** وحركاتها **(بحساب منظوم مرتب)** ترتيباً غريباً يحير الفهوم .**(ومن خلق الظل والنور والنجوم)** هو **(أن يستعان بها على)** حصول أمر من **(أمور الدنيا)** كما عليه عامة من يشتغل بهذه الفنون ، **(بل)** خلقت **(لتعرف بها مقادير الأوقات)** في الليل والنهار **(بالطاعات)** أي في تلك الأوقات بالطاعات الإلهية بأنواعها **(و)** تحصيل **(التجارة للدار الآخرة)** فإن الدنيا فانية . **(يدلك على ذلك قول الله تعالى : ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ أي)** ذا خلفة **(يخلف أحدهما الآخر)** بأن يقوم مقامه **(ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر)** من ورد ، أو بأن يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار والخلفة للحالة كالركبة والجلسة ، **(وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير)** والمعنى ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين . **(وقال تعالى : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ وإنما الفضل المبتغى)** أي المطلوب المشار إليه في الآية **(هو الثواب)** من الله عز وجل **(والمغفرة)** للذنوب لا تحصيل أمور الدنيا والإتجار فيها . نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه .

بيان أعداد الأوراد في الليل والنهار وترتيبها :

(اعلم أن أوراد النهار سبعة) كما نقله صاحب القوت وقسمه هذا التقسيم ، **(فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد)** ومسافته ثماني عشرة ساعة ، **(وما بين طلوع الشمس**

بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان، وما بين العصر إلى المغرب وردان، والليل ينقسم إلى أربعة أوراد: وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر. فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به.

فالورد الأوّل: ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذا قال: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ [التكوير: ١٨] وتمدحه به إذ قال: ﴿فالق الأصباح﴾ [الانعام: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق: ١] وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ [الفرقان: ٤٦] وهو وقت قبض ظل الليل يبسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿فسُبحان الله حين تُمسون وحين

إلى الزوال) من كبد السماء **(وردان)** الأول منهما من الطلوع إلى الضحى الأعلى، والثاني منه إلى الزوال، وكل منهما ثلاث ساعات تقريباً. **(وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان)** كل منهما ساعة ونصف ساعة تقريباً. **(وما بين العصر إلى المغرب وردان)** بقدر اللذين قبلهما. **(والليل يقسم بأربعة أوراد: وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس)** وهو على التقريب لاختلاف أحوال الناس في النوم، **(ووردان في النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر)**، وهو كذلك على التقريب لاختلاف أحوال الناس في الإنتباه أيضاً، وثم ورد خامس وهو ورد النوم مختص بالأذكار والأدعية، فصارت أوراد الليل خمسة وهكذا ذكره صاحب القوت، **(فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به)** تفصيلاً.

(الورد الأول): من أوراد النهار حصته **(ما بين طلوع الصبح)** أي الفجر الثاني **(إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف)** شرفه الله تعالى ورفع مقداره، ويدل على شرفه وفضله **(إقسام الله عز وجل به)** في كتابه العزيز **(إذ قال: ﴿والصبح إذا تنفس﴾)** فتنفسه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وهو الظل الذي مده الله عز وجل لعباده، **(وتمدحه عز وجل به إذ قال: ﴿فالق الأصباح﴾ وقال عز وجل: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾)** من شر ما فلق يعني فلق الصبح، فقد تمدح الله بخلقه وأمر بالتنزيه له عنده والاستعاذة من شر ما خلق فيه، **(وإظهار القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ [الفرقان: ٤٥]** يقول: كشفناه بها ففيه أن الدليل هو الذي يكشف المشكل ويرفع المشتبه، **(ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً)** أي خفياً لا يفطن له ولا يرى، فاندرج الظل في الشمس بحكمة اندراج الظلمة في النور إذ دخل عليها بقدرته، **(وهو وقت قبض الظل ببسط نور الشمس وإرشاده عز وجل الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون)** أي فسبحوه بالصلاة عندهما **(وقوله تعالى:**

تُصبحون﴾ [الروم: ١٧] وبقوله تعالى: ﴿وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ [طه: ١٣٠]، وقوله عز وجل: ﴿ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ [طه: ١٣٠] وقوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾ [الإنسان: ٢٥].

فأما ترتيبه: فليأخذ من وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبتدىء بذكر الله تعالى فيقول: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الادعية، والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات، وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالاً لأمر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل أوّلاً رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج، ثم يستاك على السنّة ـ كما سبق ـ ويتوضأ مراعياً لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط. فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعني السنة في منزله، كذلك كان يفعل

﴿**فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس**) والمراد به هوهذا الوقت، (**و**) كذا (**قوله تعالى: ﴿ومن آناء لليل﴾**) أي ساعاته (**فسبح وأطراف النهار**) المراد به الصبح والمغرب. (**و**) كذا (**قوله تعالى: واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً**) أي صباحاً ومساءً.

(**وأما ترتيبه: فليأخذ من وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبدأ بذكر الله عز وجل فيقول: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا**) أي بعثنا من النوم بعد أن أنامنا (**وإليه النشور إلى آخر الآيات والأدعية التي ذكرناها في دعاء الإستيقاظ في كتاب الدعوات**) وتقدم الكلام على ذلك مفصلاً، (**ويلبس ثوبه**) الذي قلعه قبل نومه (**وهو في**) حال (**الدعاء**) المذكور، (**وينوي به**) في قلبه (**ستر العورة امتثالاً لأمر الله تعالى**) حيث أمرنا بذلك (**واستعانة**) به (**على عبادته من غير قصد رياء ورعونة**) وهي الوقوف مع النفس بنفي طباعها، (**ثم يتوجه إلى بيت الماء**) أي محل قضاء الحاجة الإنسانية وهو من الكنايات الحسنة (**إن كان به حاجة**) إلى دخوله وإلا فلا، (**ويدخل أولاً رجله اليسرى**) كما هو السنة (**ويدعو بالأدعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج، ثم يستاك على السنة**) كما سبق أيضاً (**ويتوضأ مراعياً لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات**) ومفرداتها (**كي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط، وإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح أعني السنة في منزله. كذلك كان يفعلهُ رسول الله ﷺ**)، كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث حفصة رضي الله

رسول الله ﷺ ويقرأ بعد الركعتين سواء أداهما في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي» إلى آخر الدعاء. ثم يخرج من البيت متوجهاً إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعياً بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر، ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الأوّل إن وجد متسعاً ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم - كما سبق ذكره في كتاب الجمعة - ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاهما في البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما، وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظراً للجماعة. والأحب التغليس بالجماعة فقد كان ﷺ يغلس

عنها وتقدم في كتاب الصلاة، وتقدم أيضاً ما يقرأ فيهما. **(ويقرأ بعد الركعتين إذا صلاهما في البيت أو في المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما فيقول: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي» إلى آخر الدعاء كما تقدم)** بطوله في كتاب الدعوات. **(ثم يخرج من البيت متوجهاً إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد)** كما تقدم في كتاب الدعوات **(فلا يسعى سعياً بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد** به الخبر) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، **(ولا يشبك بين أصابعه)** فقد نهي عن ذلك، وقد تقدم في كتاب الصلاة **(ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد)** تقدم في الباب الخامس من الأذكار، **(ثم يطلب من المسجد الصف الأول)** مما يلي الإمام عن ميمنته **(إن وجد متسعاً)** في الموضع، وإلا فالميسرة وإلا فالصف الذي يلي الأول، **(ولا يتخطى الرقاب)** ولا يفصل بين إثنين، **(ولا يزاحم)** أحداً **(كما سبق ذكره في كتاب الجمعة)** مفصلاً، **(ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يصلها في المنزل ويشتغل بالدعاء المذكور)** قريباً **(بعدهما)** أي بعد الركعتين، **(وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظراً للجماعة)** أي للصلاة معهم.

ولفظ القوت: ومن دخل المسجد لصلاة الصبح ولم يكن صلى ركعتي الفجر في منزله صلاهما واجزأتا عنه من تحية المسجد، ومن كان قد صلاهما في بيته نظر فإن كان دخوله في المسجد بغلس عند طلوع الفجر وإشتباك النجوم صلى ركعتين تحية المسجد وإن كان دخوله عند إمحاق النجوم ومسفراً عند الإقامة قعد ولم يصل الركعتين لئلا يكون جامعاً بين صلاة الصبح وبين صلاة قبلها، ولا يصلي بعد طلوع الفجر الثاني شيئاً إلا ركعتي الفجر فقط، ومن دخل المسجد ولم يكن صلى ركعتي الفجر فإن كان قبل الإقامة صلاهما، وإن دخل وقت الإقامة أو قد افتتح الإمام الصلاة فلا يصليهما وليدخل في صلاة المكتوبة فإنه أفضل، وللنهي فيه روينا عن النبي ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة وليقل من قعد في المسجد من غير صلاة ركعتين

بالصبح، ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال في صلاة الصبح: « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة، فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة ».

تحيته سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » هذه الأربع كلمات يقولها أربع مرات فإنها عدل ركعتين في الفضل، وكذلك من دخله وهو على غير وضوء اهـ. وهو تفصيل حسن، وفي صلاة ركعتي التحية كلام مضى تفصيله في كتاب الصلاة فراجعه.

(والأحب التغليس بالجماعة، فقد كان النبي ﷺ يغلس بالصبح) كما ورد ذلك في الأخبار الصحيحة وفيه اختلاف تقدم مفصلاً في كتاب الصلاة، **(ولا ينبغي أن يدع)** أي يترك **(الجماعة في الصلاة عامة)** لما فيه من الفضل الكثير والثواب الجزيل، **(وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل)** فقد روى البيهقي من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً « من صلى الغداة والعشاء الآخرة في جماعة لا تفوته ركعة كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق ». وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً: « من صلى العشاء والغداة في جماعة فكأنما قام الليل ». وعند أحمد ومسلم والبيهقي: « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله ». هذا فضل من صلاهما في جماعة **(فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال في صلاة الصبح: « من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة، وإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة، ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة »)**.

قال العراقي: لم أجد له أصلاً بهذا السياق، وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف: « ومن صلى المغرب في جماعة كان كحجة مبرورة وعمرة متقبلة » اهـ.

قلت: بل له أصل أخرجه ابن عساكر في التاريخ، عن محمد بن شعيب بن شابور، عن سعيد ابن خالد بن أبي طويل، عن أنس بمثل سياق المصنف سواء إلا أنه قال بعد قوله مبرورة: « وليس كل حج مبرور فإن جلس حتى يركع ولم يقل الضحى كتب له بكل حسنة ألفا ألف حسنة ومن صلى صلاة الفجر » الحديث، وفيه بعد قوله مبرورة وليس كل معتمر مبروراً ولكن سعيد راويه عن أنس قال أبو حاتم منكر الحديث لا يشبه حديثه حديث أهل الصدق وأحاديثه عن أنس لا تعرف. وقال أبو زرعة: حدث عن أنس بمناكير وقال: روى عن أنس ما لا يتابع عليه، ومحمد بن

وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر. قال رجل من التابعين: دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني فقال لي: يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة؟ فقلت لصلاة الغداة. فقال: أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى ـ أو قال مع رسول الله ﷺ ـ. وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال: ألا تصليان؟ قال علي: فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف ﷺ فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ [الكهف: ٥٤] ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي

شعيب لا شيء كذا في الجامع الكبير للجلال السيوطي. وأما الذي أورده في شعب الإيمان فقد أخرجه أيضاً الديلمي عن أنس بزيادة: « وكأنما قام ليلة القدر » وروى الترمذي من حديثه بلفظ: « من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » وقال: حسن غريب.

(**وكان من عادة السلف**) رحمهم الله تعالى (**دخول المسجد قبل طلوع الفجر**) الثاني. (**قال رجل من التابعين: دخلت المسجد**) أي مسجد المدينة (**قبل طلوع الفجر فألفيت**) أي وجدت (**أبا هريرة رضي الله عنه قد سبقني فقال: يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة؟ فقلت: لصلاة الغداة**) أي الفجر. (**فقال: ابشر فإن كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله أو قال مع رسول الله ﷺ**) هكذا أورده صاحب القوت، وقال العراقي: لم أقف له على أصل.

(**وعن علي**) بن أبي طالب (**كرم الله وجهه أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة رضي الله عنها**) أي في ليلة من الليالي (**وهما نائمان**) أي في فراش واحد، (**فقال: ألا تصليان؟ فقال علي رضي الله عنه: قلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله عز وجل**) أي قبضة قدرته، (**فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ وسمعته**) حالة كونه (**مولياً**) أي بظهره الشريف (**يضرب فخذه**) تعجباً (**ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**) رواه البخاري ومسلم من حديثه. (**ثم ينبغي أن يستقبل بعد ركعتي الفجر**) أي السنة (**والدعاء**) المروي عن ابن عباس (**بالإستغفار والتسبيح**) أي صيغة اتفقت (**إلى أن تقام الصلاة**) أي فريضة الصبح، والأولى الإقتصار على الصيغ الواردة (**فيقول**) في الإستغفار: (« **استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**) فمن قال ذلك غفر له وإن كان فر من الزحف » رواه الترمذي وقال: غريب، وابن سعد والبغوي وابن منده والبارودي والطبراني والضياء وابن عساكر

القيوم وأتوب إليه سبعين مرة، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة، ثم يصلي الفريضة مراعياً جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة، فإذا فرغ منها قعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه، فقد قال ﷺ: « لأن اقعد في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع

عن بلال بن زيد مولى النبي ﷺ عن أبيه عن جده. قال البغوي: ولا أعلم له غيره، ورواه ابن عساكر عن أنس، ورواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود وأبي الدرداء موقوفاً عليهما.

وقوله: (**سبعين مرة**) لم يرد به التصريح وإنما ورد ثلاثاً كما رواه أبو داود والترمذي من حديث زيد مولى النبي ﷺ، ورواه الحاكم عن ابن مسعود ولفظه: « **غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف** » ورواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد بلفظ: « **غفر له ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج وغثاء البحر وعدد نجوم السماء** » وفي رواية من حديثه التقييد حين يأوي إلى فراشه وفيه: « **غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد ورق الشجر وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا** » هكذا رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى، وجاء أيضاً التقييد بصبيحة الجمعة قبل صلاة الغداة وأنه ثلاث مرات وفيه ثلاث مرات وفيه: « **غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر** » وهكذا رواه ابن السني، والطبراني في الأوسط، وابن عساكر، وابن النجار من حديث أنس وفيه حظيف الجرزني مختلف فيه. وروي عن معاذ تقييده ثلاثاً بعد الفجر وبعد العصر. وهكذا رواه ابن السني، وابن النجار. وقد تقدم شيء من ذلك في فضيلة الإستغفار، وإنما أعدناه هنا ليبين أن الوارد في الأخبار إما من غير تقييد بعدد وإما مقيد بثلاث مرات، ولكن من زاد زاد الله عليه، ولعدد السبعين سر عظيم عند أهل الكشف والمشاهدة، (**و**) يقول في التسبيح (**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة**) وهن الباقيات الصالحات وهي أربع كلمات، وقد ورد في فضلها ما تقدم ذكره، وما رأيت هذا التقييد بالمائة مرة فيما ورد من رواياته. نعم روى الديلمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: « **من قال سبحان الله وبحمده** مائة مرة قبل طلوع الشمس ومائة قبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة » وهذا السبعون والمائة في الاستغفار والتسبيح إن وجد وقتاً يسع ذلك وكان سريع القراءة وإلا فليكتف بما قدر عليه.

(**ثم يشتغل بالفريضة فيصلي ركعتي الفرض**) مع الإمام (**مراعياً جميع ما ذكرناه من الآداب الظاهرة والباطنة في الصلاة والقدوة**) أي الإقتداء، ومر ذلك في كتاب الصلاة مفصلاً، (**فإذا فرغ منها**) أي من الفريضة وما يتبعها من الأذكار الملازمة لها عادة (**قعد في المسجد**) الذي صلى فيه (**إلى طلوع الشمس**) وهو (**في ذكر الله**) عز وجل (**كما بينته**) آنفاً، (**فقد قال ﷺ: « لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب »**) رواه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه، وتقدم في الباب الثالث من العلم.

الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب ». وروي أنه ﷺ كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس، وفي بعضها: ويصلي ركعتين» أي بعد الطلوع. وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى. وروى الحسن: « أن رسول الله ﷺ كان فيما يذكره من

(وروي: « أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاّه حتى تطلع الشمس ») رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه. **(وفي بعض الأخبار: « ويصلي ركعتين» أي بعد الطلوع)** فقد روى الترمذي من حديث أنس وحسّنه: « من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » وقد تقدم قريباً. **(وقد روي في فضل ذلك ما لا يحصى)**. ولفظ القوت: وجاء من فضائل الجلوس بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وفي صلاة ركعتين بعد ذلك ما يجل وصفه اختصرنا ذكره اهـ.

فمن ذلك ما رواه أبو داود والطبراني من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعاً: « من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر ».

وعن علي رضي الله عنه: « من صلى الفجر ثم جلس في مصلاه يذكر الله صلت عليه الملائكة اللهم اغفر له اللهم ارحمه » رواه أحمد وابن جرير وصححه والبيهقي.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما: « من صلى الصبح ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس جعل الله بينه وبين النار ستراً ». رواه البيهقي. وفي رواية له بعد قوله الشمس، ثم قال: « يصلي ركعتين حرمه الله على النار أن تلفحه ».

وعن أبي أمامة وعقبة بن عامر رضي الله عنهما: « من صلى الصبح في مسجد جماعة ثم مكث حتى سبح سبحة الضحى كان له كأجر حاج ومعتمر تام له حجّه وعمرته » رواه الطبراني في الكبير عنهما معاً.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه وحده: « من صلى صلاة الغداة في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام ركع ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة » رواه الطبراني في الكبير.

وعن سهل بن معاذ عن أبيه: « من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة ». ورواه ابن السني وابن النجار.

وعن عائشة رضي الله عنها: « من صلى الفجر فقعد في مقعده فلم يلغ بشيء من أمر الدنيا يذكر الله عز وجل حتى يصلي أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه ابن السني.

(وروى الحسن) البصري مرسلاً: **(« أن النبي ﷺ كان فيما يذكر من رحمة الله يقول:**

رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما » وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس، بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع: أدعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر.

إنه يقول يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما ») أورده صاحب القوت فقال: وروينا عن الحسن: « أن رسول الله ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال: فذكره.

وقال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد مرسلاً هكذا اهـ.

قلت: وقد روي ذلك مرفوعاً عن ابن عباس تقدمت الإشارة إليه في الكتاب الذي قبله.

(فإذا ظهر فضل ذلك فليقعد) في موضعه. قال صاحب القوت هذا إن أمن الفتنة بالكلام فيما لا يعنيه والإستماع إلى شبهه من القول، وأمن النظر إلى ما يكره أو يشغله عن الذكر، وأمن دخول الآفة عليه من التصنع والتزين للناس وردف الشغل بمولاه والإخلاص له بالإعراض عمن سواه، وإن لم يأمن الفتنة أو خشي عليه دخول الآفة من لقاء من يكره أو من يلجئه إلى تقية أو مداراة أو خاف الكلام فيما لا يعنيه أو الإستماع إلى ما لا يندب إليه انصرف إذا صلى الغداة إلى منزله، وإلى موضع خلوة ويتم ورده هناك وهو في ذلك مستقبل قبلته، وهذا حينئذ أفضل له وأجمع لقلبه اهـ.

وقال صاحب العوارف في أول الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات ما نصه: فمن ذلك أن لا يلازم موضعه الذي صلى فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى الإنتقال إلى زاويته أسلم لدينه لئلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شيء فإن السكوت في هذا الوقت له أثر ظاهر يجده أرباب القلوب وأهل المعاملة اهـ.

(ولا يتكلم إلى طلوع الشمس) فقد ندب رسول الله ﷺ إلى ذلك كما تقدم في الأخبار التي ذكرناها قبل ولترك الكلام أثر بين عند أهل الله، **(بل ينبغي أن يكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع: أدعية وأذكار يكررها في سبحة وقراءة القرآن وتفكر)** كما سيأتي تفصيلها.

قال صاحب القوت: ولا يقدم على التسبيح لله والذكر له بعد صلاة الغداة وقبل طلوع الشمس إلا أحد معنيين: معاونة على بر وتقوى فرض عليه أو ندب إليه فيما يختص به لنفسه أو يعود نفعه لغيره، ويكون ذلك أيضاً مما يخاف فوته بفوت وقته، والمعنى الآخر يكون إلى تعلم علم أو استماعه مما يقرّبه إلى الله تعالى في دينه وآخرته ويزهده في الدنيا والهوى من العلماء بالله الموثوق بعلمهم، وهم علماء الآخرة أولو اليقين والهدى، الزاهدون في فضول الدنيا، ويكون في طريقه ذاكراً الله تعالى أو متفكراً في أفكار العقلاء عن الله سبحانه، فإن اتفق له هذان فالغدو إليهما أفضل من

أما الأدعية: فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل: « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم. اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ وهو قوله: « سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا

جلوسه في مصلّاه لأنها ذكر لله وعمل له وطريق إليه على وصف مخصوص مندوب إليه، فإن لم يتفق له أحد هذين المعنيين فقعوده في مصلاّه في مسجد جماعة أو في بيته وخلوته ذاكراً لله تعالى بأنواع الأذكار، أو متفكراً فيما فتح له بمشاهدة الأفكار في مثل هذه الساعة أفضل له مما سواهما اهـ.

وقال صاحب العوارف: ولا يزال كذلك ذاكراً لله تعالى من غير فتور وقصور ونعاس فإن النوم في هذا الوقت مكروه جداً، فإن غلبه النوم فليقم في مصلاّه قائماً مستقبل القبلة فإن لم يذهب النوم بالقيام يخطو خطوات نحو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة، وفي ترك الكلام والنوم ودوام الذكر أثر كبير وجدناه بحمد الله تعالى ونوصي به الطالبين، وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر، وهذا الوقت أوّل النهار مطية الأوقات فإذا حكم أوّله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه، وتبتنى أوقات النهار جميعها على هذا البناء اهـ.

ثم شرع المصنف في ذكر الأنواع الأربعة فقال: (**أما الأدعية؛ فكلما يفرغ من صلاته**) أي بعد السلام منها، (**فليبدأ وليقل « اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد. اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام »**) هكذا أورده صاحب القوت والعوارف، وإن اقتصر على قوله: « اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام تباركت ربنا وتعاليت يا ذا الجلال والأكرام » جاز. وإن زاد بعد قوله « اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وسلم صلاة تكون لك رضا وله جزاء ولحقه اداء واجزه عنا ما هو أهله » كان حسناً.

(**ثم تفتتح الدعاء بما كان يفتتح به النبي ﷺ يقول « سبحان ربي الأعلى الوهاب »**) وقد تقدم في الكتاب الذي قبله، ثم يقول: (**« لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير »**) عشر مرات وهو ثانٍ رجليه في مصلاه قبل أن يقوم كما في القوت والعوارف، ثم يقول: (**« لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن »**) وزاد صاحب العوارف بعد قوله قدير « لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ». ثم يقول « لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل

إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون». ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه.

وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطوّل بايرادها، وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحدة منها ثلاثاً أو سبعاً، وأكثره مائة أو سبعون، وأوسطه عشر. فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته. وفضل الأكثر أكثر. والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه، وخير الأمور أدومها وإن قلّ. وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة، ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة. ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر، وهذه الكلمات عشرة.

والثناء الحسن **(لا إله إلا الله لا نعبد إلاّ أياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» ثم)** يصلي على النبي ﷺ بأي صيغة اتفقت له.

(ثم يبتديء بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعوه بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ جملتها ما يراه أوفق لحاله) وأليق بوقته **(وأرق لقلبه وأخف على لسانه)**، ومن جملة ذلك يقول: هو الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين إسماً إلى آخرها.

(وأما الأذكار المكروه فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل) في أخبار **(لم نطول بايرادها وأقل ما ينبغي أن يكون كل واحد منها ثلاثاً أوسبعاً)** وكل منها وتر، **(واكثرها مائة أو سبعون وأوسط ذلك عشر)** وفي كل من الأقل والأكثر مرتبتان، **(فليكرر ذلك بقدر فراغه)** من العمل **(وسعة وقته)** ومناسبة حاله، **(وفضل الأكثر)** مع الفراغ والسعة **(أكثر)** لأن الجزاء على قدر العمل، **(والأوسط والاقتصاد أن يكررها عشر مرات فذلك أجدر)** أي أحق **(بأن يدوم وخير الأمور أدومها وإن قلّ)** كما أن خير الأمور أوسطها. **(وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع** المداومةأفضل **وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة)** وفي نسخة: من غير مداومة ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: **(ومثال القليل الدائم)** من غير انقطاع **(مثال قطرات من الماء تتقاطر على الأرض)** قطرة على قطرة **(على التوالي)** والتكرار **(فهي تحدث فيها حفرة لا محالة)** كما هو مشاهد، **(ولو وقعت على الحجر)** فإنها لا بدَّ وأن تؤثر فيه مع مرور الزمان، **(ومثال الكثير المتفرق)** من غير دوام **(مثال ما يصب دفعة واحدة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر)** ولو كانت الأرض رخوة وهذا أيضاً مشاهد. **(وهذه الكلمات عشر:**

الأولى: قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

الأولى: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ») قال العراقي: تقدم من حديث أبي أيوب تكرارها عشراً دون قوله: يحي ويميت وهو حي لا يموت، وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء، وتقدم تكرارها مائة ومائتين. وللطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: تكرارها عشراً بدون تلك الزيادة قد جاء أيضاً من حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم والنسائي بلفظ « كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل ». وحديث أبي أيوب المذكور رواه أيضاً الترمذي والطبراني والبيهقي، ورواه ابن شيبة عن ابن مسعود موقوفاً، ورواه أحمد والطبراني والضياء بزيادة في آخره، ورواه عبد بن حميد من غير قيد عشرة.

وروى ابن صصري في أماليه من حديث أبي أمامة « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو كل شيء قدير عشر مرات في دبر صلاة الغداة كتب الله له بكل واحدة منها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكانت له خيراً من عشر محررين يوم القيامة ومن قالها في دبر صلاة العصر كان له مثل ذلك »

وروى ابن السني والطبراني في الكبير من حديث معاذ رضي الله عنه « من قال حين ينصرف من صلاة الغداة قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات أعطي بهن سبعاً » الحديث.

وروى ابن النجار من حديث عثمان رضي الله عنه « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير حين يصلي الصبح وقبل أن يثني قدمه عشر مرات كتب له عشر حسنات » الحديث.

وروى الترمذي عن عمارة بن شبيب السبائي « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات » الحديث. وقال: حسن غريب.

وقد روي بقيد العشرة عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ كابي الدرداء عند الطبراني، وابن عساكر وعبد الرحمن بن غنم عند أحمد، وقيل: وهو مرسل. وابن عياش عند ابن السني وغير هؤلاء. وأما تكرارها مائة ففي حديث أبي هريرة عند أحمد والشيخين والترمذي وابن ماجه وأبي حيان وحديث عبد الله بن عمرو عند ابن السني والخطيب، وعن أبي الدرداء عند ابن أبي شيبة موقوفاً، وعن أبي أمامة عند الطبراني والضياء. وأما تكرارها ألفاً ففي حديث عبد الله بن عمرو عند إسماعيل بن عبد الغافر في الأربعين.

الثانية: قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

الثالثة: قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

الرابعة: قوله سبحان الله العظيم وبحمده.

(الثانية: قوله « سبحان الله العظيم والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الخدري « استكثروا من الباقيات الصالحات » فذكرها اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، ولكن ليس عندهم القيد بعشر مرات، ولفظهم بعد قوله الصالحات التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ولا حول ولا قوة إلا بالله. ورواه كذلك الحاكم أيضاً عن أبي هريرة، وروى ابن السني والحسن بن شبيب المعمري في اليوم والليلة، وأبو الشيخ وابن النجار عن أنس « من قال حين ينصرف من صلاته سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات قام مغفوراً له ».

(الثالثة: قوله « سبوح قدوس رب الملائكة والروح ») قال العراقي: لم أجدها مكررة، ولكن عند مسلم من حديث عائشة أنه ﷺ كان يقولها في ركوعه وسجوده، وقد تقدم. ولأبي الشيخ في الثواب من حديث البراء « أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ».

(الرابعة: قوله « سبحان الله العظيم وبحمده ») قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة « من قال ذلك في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان ولفظهم جميعاً « سبحان الله وبحمده ». ورواه بلفظ المصنف أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان « من قال ذلك حين يصبح ويمسي مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك أو زاد عليه ».

وروى العقيلي من حديث ابن عمر « من قال سبحان الله وبحمده كتب له عشر حسنات، ومن قالها عشراً كتب الله له مائة حسنة، ومن قالها مائة كتب الله له ألف حسنة ومن زاد زاده الله » الحديث.

وروى الديلمي من حديث عبد الله بن عمرو « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة قبل طلوع الشمس ومائة قبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة ».

وروى الترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن جابر « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة ».

الخامسة: قوله استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة.

السادسة: قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

السابعة: قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

الثامنة: قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

(الخامسة: قوله « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ») قال العراقي: رواه المستغفري في الدعوات من حديث معاذ « إن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر » ولفظه « وأتوب إليه » وفيه ضعف. وهكذا رواه الترمذي من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثاً، وللبخاري من حديث أبي هريرة « إني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة ». وتقدمت هذه الاحاديث في الباب الثاني من الأذكار.

قلت: وأوسعت الكلام هناك فراجعه.

(السادسة: قوله « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ») قال العراقي لم أجد تكرارها في حديث، وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات والرفع من الركوع.

(السابعة: قوله « لا إله إلا الله الملك الحق المبين ») قال العراقي: رواه المستغفري في الدعوات، والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي « من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة » وفيه الفضل بن غانم ضعيف، ولأبي نعيم في الحلية « من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها » وفيه مسلم الخواص وهو ضعيف وقال فيه أظنه عن علي اهـ.

قلت: ورواه الشيرازي في الألقاب من طريق ذي النون المصري عن مسلم الخواص عن مالك بلفظ « كان له أماناً من الفقر وأنساً من وحشة القبر ». والباقي سواء. ورواه الرافعي في تاريخ قزوين من طريق الفضل بن غانم عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه عن علي قال الفضل بن غانم: لو رحل الإنسان في هذا الحديث إلى خراسان كان قليلاً. ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي محمد عبد الله بن محمد: حدثنا محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي، حدثنا إسحاق بن زريق، حدثنا مسلم الخوّاص، عن مالك بن أنس فساقه سياق الخطيب عن مسلم الخوّاص عن مالك به.

(الثامنة: قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم »). قال العراقي: رواه أصحاب السنن، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث عثمان

التاسعة: قوله اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

العاشرة: قوله: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة

« من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قال ذلك حين يصبح لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي » قال الترمذي: حسن صحيـح غريب اهـ.

قلت: وكذلك رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن السني وأبو نعيم في الحلية والضياء. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ « من قال إذا أصبح وإذا أمسى ثلاث مرات لم يصبه في يومه ولا في ليلته شيء ».

(التاسعة: قوله « اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد ») ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى: من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر.

قال العراقي وقد ورد تكرار الصلاة عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة. رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ« من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة » وفيه انقطاع اهـ.

(العاشرة: قوله « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون »).

قال العراقي رواه الترمذي من حديث معقل بن يسار « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك » الحديث. « ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة ». وقال حسن غريب ولابن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله « من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان إلى الصبح » الحديث. ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة « ألا أعلمك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » والحديث عند أبي داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه فيما يقال عند الفراغ دون تكرارها من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: وبمثل سياق ابن أبي الدنيا رواه ابن السني أيضاً. وأما حديث معقل بن يسار فإن تمامه بعد قوله « سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً » وقد رواه أيضاً أحمد والبيهقي.

(فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة) من ضرب

عشر مرات حصل له مائة مرة، فهو أفضل من أن يكرر ذكراً واحداً مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلاً على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل، فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد، وآية الكرسي،

عشرة في عشرة، (**فهو أفضل من أن يكرر ذكراً واحداً مائة مرة لأن لكل واحدة من هذه الكلمات فضلاً على حيالها**) كما تقدمت الاشارة إليه، (**وللقلب بكل واحدة نوع تنبيه**) وإيقاظ (**وتلذذ**) روحاني، (**وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل**) والسآمة.

(**وأما القراءة، فيستحب له قراءة جملة من الآيات**) القرآنية (**وردت الأخبار**) الصحيحة(**بفضلها، وذلك أن يقرأ سورة الحمد**) وهو أشهر أسمائه ويليه سورة الفاتحة والشافعية والمنجية والواقية والكافية وأم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني وسورة الصلاة وغيرها مما هو مذكور في محله.

أما فضل هذه السورة فروى أحمد والبخاري والدارمي وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد بن المعلى قال: « كنت أصلي فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه. فقال: ألم يقل الله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيده. فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ».

وأخرج الدارمي وحسنه والنسائي وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن الضريس في فضائل القرآن، وابن جرير وابن خزيمة والحاكم وصححه من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي ابن كعب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « ما أنزل الله في التوارة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثل أم القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت ».

وأخرج مسلم والنسائي والطبراني والحاكم عن ابن عباس قال: « بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل في الأرض قط. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: ابشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته »

(**وآية الكرسي**) روى مسلم من حديث أبي بن كعب « أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم » الحديث. وللبخاري من حديث أبي مريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجيء الشيطان إليه قوله « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه

وخاتمة البقرة من قوله: ﴿آمَنَ الرسولُ﴾ وشهد الله، وقل اللهم مالك الملك الآيتين.

لن يزال عليك من الله حافظ» الحديث. وفيه، فقال رسول الله ﷺ «أما إنه صدقك وهو كذوب».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» رواه النسائي والروياني وابن حبان والدارقطني في الافراد والطبراني والضياء عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه «من قرأ آية الكرسي لم يتول قبض نفسه إلا الله تعالى» ورواه الحكيم الترمذي عن زيد المروزي معضلاً بمعناه، وأخرج الديلمي في مسند الفردوس، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعاً «فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرأ هما عبد في دار فتصيبهم في ذلك اليوم عين انس ولا جن». وأخرج أبو الشيخ في الثواب وابن مردويه والديلمي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «أربع أنزلن من تحت العرش من كنز لم ينزل منه شيء غيرهن أم الكتاب وآية الكرسي وخواتيم البقرة والكوثر».

(**وخواتيم البقرة من قوله ﴿آمن الرسول﴾**) روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» ورواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

وأخرج الدارمي وابن الضرير عن ابن مسعود قال «من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه من أهله ولا ماله ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق».

وأخرج الدارمي وابن المنذر والطبراني عن ابن مسعود قال« من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلته لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح أربع من أوّلها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث خواتيمها أولها لله ما في السموات».

(**وشهد الله**) روى أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «من قرأ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ إلى قوله ﴿الإسلام﴾ ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لنا عند الله وديعة جيء به يوم القيامة فقيل له عبدي هذا عهد إليّ عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة» قال ابن عدي: فيه عمر بن المختار وهو يروي الأباطيل. ووجدت بخط الحافظ ابن حجر أنه في المسند من طريق ابن عتبة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عم أبيه عبد الله بن مسعود نحوه بزيادة، وفيه انقطاع.

(**وقل اللهم مالك الملك الآيتين**) روى المستغفري في الدعوات من حديث علي« أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي، والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الاسلام، وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب» الحديث. وفيه قال «لا يقرأكنّ أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه» الحديث. وفيه الحرث بن عمير. وفي ترجمته

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها. وقوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ [الفتح: ٢٧] إلى آخرها، وقوله: ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ [الإسراء: ١١١] الآية وخمس آيات من أوّل الحديد. وثلاثاً من آخر سورة الحشر، وإن قرأ المسبعات العشر

ذكره ابن حبان في الضعفاء وقال: موضوع لا أصل له، والحرث يروي عن الاثبات الموضوعات.

قال العراقي: ووثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وروى له البخاري تعليقاً.

(**وقوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخرها**) روى الطبراني في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمني رسول الله ﷺ ما احترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثاً وفي آخره «فقل حسبي الله» إلى آخر السورة. وفي فضائل القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله ﷺ قال: «من لزم قراءة لقد جاءكم إلى آخر السورة لم يمت هدماً ولا غرقاً ولا ضرباً بحديد» وهو ضعيف.

(**وقوله تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ إلى آخرها**) قال العراقي: لم أجد في فضل هذه الآية حديثاً يخصها، لكن في فضل سورة الفتح روى حديث عن أبي بن كعب «من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ». رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهو حديث موضوع.

(**وقوله تعالى ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ الآية**) روى أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد الله الذي لم يتخذ ولداً الآية كلها واسناده ضعيف.

(**وخمس آيات من أول الحديد، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر**) ذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرآن من حديث علي «إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله ﴿عليم بذات الصدور﴾ [الحديد: ١ - ٦] ومن آخر سورة الحشر من قوله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ [الحشر: ٢١ - ٢٤] إلى آخر السورة، ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا ثم تدعو بما تريد».

وأخرج ابن النجار في تاريخه من طريق محمد بن علي الملطي، عن خطاب بن سنان، عن قيس بن الربيع، عن ثابت بن ميمون، عن محمد بن سيرين قال: نزلنا نهر يترى فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا: ارحلوا فإنه لم ينزل هذا المنزل أحد إلا أخذ متاعه فرحل أصحابي، وتخلف للحديث الذي حدثني ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال «من قرأ في ليلة ثلاثاً وثلاثين آية لم يضره تلك الليلة سبع ضاري ولا لص طاريء وعوفي في نفسه وأهله حتى يصبح» فلما أمسينا لم أنم حتى رأيتهم قد جاؤا أكثر من ثلاثين مرة مخترطين بسيوفهم فما يصلون إلي فلما أصبحت رحلت، فلقيني شيخ منهم فقال: يا هذا إنسي أم جني؟ قلت: بل إنسي. قال: فما بالك لقد أتيناك أكثر من سبعين مرة كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من الحديد؟ فذكرت له هذا الحديث وهن: أربع آيات من أوّل

التي أهداها الخضر عليه السلام إلى ابراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة. فقد روي عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال: أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال: يا كرز اقبل مني هذه الهدية فإنها نعمت الهدية. فقلت: يا أخي ومن أهدى لك هذه الهدية؟ قال: أعطانيها ابراهيم التيمي، قلت: أفلم تسأل ابراهيم من أعطاه إياها؟ قال: بلى. قال: كنت جالساً في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد

البقرة إلى المفلحون، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وثلاث آيات من سورة الأعراف ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾ الى قوله ﴿المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٤ - ٥٦] وآخر بني اسرائيل ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ [الإسراء: ١١٠، ١١١] إلى آخرها. وعشر آيات من أول الصافات إلى ﴿لازب﴾ وآيتان من الرحمن ﴿يا معشر الجن والانس﴾ إلى ﴿تنتصران﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥] ومن آخر الحشر ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ إلى آخرها. وآيتان من ﴿قل أوحي﴾ ﴿وإنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة﴾ إلى ﴿شططاً﴾ [الجن: ١ - ٤] فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال لي كنا نسميها آيات الحرز. ويقال: إن فيها شفاء من مائة داء الجنون والجذام والبرص وغير ذلك. قال محمد بن علي: فقرأتها على شيخ لنا قد فلج حتى أذهب الله عنه ذلك.

(وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى) أبي إسحاق إبراهيم بن يزيد بن شريك **(التيمي)** تيم الرباب الكوفي العابد مكث ثلاثين يوماً لم يأكل. روى عنه الأعمش وغيره مات ولم يبلغ أربعين سنة توفي سنة ٩٣ روى له الجماعة، **(ووصاه أن يقولها غدوة وعشية)** وقال له الخضر: أعطانيها محمد ﷺ، وذكر من فضلها وعظيم شأنها ما يجل عن الوصف وأنه لا يداوم على ذلك إلا عبد سعيد قد سبقت له من الله الحسنى، **(فقد استكمل الفضل و)** من داوم عليه **(جمع له فضيلة جملة الأدعية المذكورة)** المتفرقة، **(فقد روي عن)** سعد بن سعيد عن أبي طيبة الجرجاني واسمه عيسى بن سليمان عن **(كرز بن وبرة)** الحارثي قال: **(وكان من الأبدال)** ترجمه أبو نعيم في الحلية فقال: كان يسكن جرجان كوفي الأصل له الصيت البليغ والمكان الرفيع في النسك والتعبد كان بغلب عليه المؤانسة والمساعدة روى عن طاوس وعطاء والربيع بن خيثم ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم. وعنه محمد بن الفضل بن عطية، وأبو طيبة الجرجاني، ومحمد بن سوقة، وابن المبارك، وفضيل بن غزوان، وأبو سليمان المكتب، وأبو شبرمة وغيرهم. **(قال: أتاني أخ من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال)** يا كرز: **(اقبل مني هذه الهدية فإنها نعم الهدية. فقلت: يا أخي من أهدى إليك هذه الهدية؟ قال: أعطانيها ابراهيم التيمي. قلت: أفلم تسأل ابراهيم التيمي من أعطاه إياها. قال: بلى. قال: كنت جالساً في فناء الكعبة وأنا في التسبيح والتهليل فجاءني رجل فسلم عليّ وجلس عن يميني فلم أر أحسن**

فجاءني رجل فسلّـم عليَّ وجلس عن يميني فلم أرَ في زماني أحسن منه وجهاً ولا أحسن منه ثياباً ولا أشد بياضاً ولا أطيب ريحاً منه، فقلت: يا عبدالله؛ من أنت ومن أين جئت؟ فقال: أنا الخضر. فقلت في أيّ شيء جئتني؟ فقال: جئتك للسلام عليك وحباً لك في الله وعندي هدية أريد أن أهديها لك، فقلت: ما هي؟ قال: أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغـروب: سورة الحمد، وقل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق، وقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعاً وتصلي على النبي ﷺ سبعاً، وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعاً وتقول: اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات، وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية. فقلت: أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة؟ فقال: اعطانيها محمد ﷺ. فقلت: اخبرني بثواب ذلك. فقال: إذا لقيت محمداً ﷺ فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك، فذكر ابراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة مما رآه في الجنة. قال: فسألت الملائكة فقلت لمن هذا؟ فقالوا: للذي يعمل مثل

منه وجهاً ولا احسن منه ثياباً ولا أشد بياضاً ولا أطيب ريحاً منه، فقلت يا عبد الله: من أنت ومن أين جئت؟ فقال: أنا الخضر. فقلت: في أي شيء جئتني؟ قال: جئتك للسلام عليك وحباً لك في الله عز وجل، وعندي هدية أريد أن أهديها إليك. قلت: ما هي؟ فقال: هي أن تقرأ قبل طلوع الشمس وانبساطها على الأرض، وقبل الغروب الفاتحة، وقل اعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق، وقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات، وتصلي على النبي ﷺ سبعاً، وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات) الأحياء منهم والأموات **(سبعاً، وتستغفر لنفسك ولوالديك)** وما توالد لك ولأهلك **(سبعاً، وتقول: اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات، وأحذر أن لا تدعه غدوة وعشية. فقلت: أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية؟ فقال: أعطانيها محمد ﷺ، فقلت: أخبرني بثواب ذلك. فقال: إذا لقيت محمداً ﷺ فاسأله عن ثوابه؟ فإنه سيخبرك بذلك، فذكر ابراهيم التيمي أنه رأى ذات ليلة في منامه كأن الملائكة جاءت فاحتملته حتى** أدخلته الجنة فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة مما رآه في الجنة. قال فسألت الملائكة فقلت:

عملك. وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال: فأتاني النبي ﷺ ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلّـم علي وأخذ بيدي فقلت: يا رسول الله الخضر أخبرني انه سمع منك هذا الحديث. فقال: صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى في الأرض. فقلت: يا رسول الله؛ فمن فعل هذا أو عمله ولم يرَ مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئاً مما أعطيته؟ فقال: والذي بعثني بالحق نبياً إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم يرَ الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة، والذي بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيداً ولا يتركه إلا من خلقه الله شقياً، وكان ابراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان

لمن هذا كله؟ فقال: للذي يعمل مثل عملك، وذكر أنه أكل من ثمارها وسقوه من شرابها. قال: فأتاني النبي ﷺ ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق إلى المغرب، فسلّم عليّ وأخذ بيدي فقلت يا رسول الله: إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث. فقال: صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق، وهو عالم أهل الارض، وهو رئيس الأبدال، وهو من جنود الله عز وجل. فقلت يا رسول الله: فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئاً مما أعطيته؟ فقال: والذي بعثني بالحق نبياً إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله سبحانه عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه شيئاً من السيئات إلى سنة، والذي بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله عز وجل سعيداً ولا يتركه إلا من خلقه الله عز وجل شقياً. وكان ابراهيم مكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا). ذكره الأعمش عنه هذا بعينه سياق صاحب القوت من أوّله إلى آخره. ونقله عنه أيضاً صاحب العوارف مختصراً والذي روى عن الاعمش قال: سمعت ابراهيم التيمي يقول: إني لأمكث ثلاثين يوماً لا آكل، ورواه ابن عساكر في التاريخ من طريق عمر بن فروخ عن عبد الرحمن بن حبيب عن سعد عن كرز بن وبرة بطوله.

وقال العراقي: حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن إبراهيم أن الخضر علمه المسبعات العشر وقال في آخرها: أعطانيها محمد ﷺ ليس له أصل، ولم يصح في حديث قط إجتماع الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولاموته اهـ.

قلت: وهي مسألة شهيرة الإختلاف بين المحدثين والسادة الصوفية والكلام عليها طويل الذيل. وقد أورد الحفظ ابن حجر طرفاً منه في الإصابة في ترجمة الخضر عليه السلام، وهذا أيضاً على

بعد هذه الرؤيا. فهذه وظيفة القراء، فإن أضاف إليها شيئاً مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن، فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة.

وأما الافتكار: فليكن ذلك إحدى وظائفه ـ وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ـ ولكن مجامعه ترجع إلى فنين:

أحدهما: أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين.

قواعد المحدثين لا يستقيم، فإنها رؤيا منامية. وسعد بن سعيد الجرجاني قال البخاري لا يصح حديثه، وأبو طيبة ضعفه يحيى بن معين، وكرز بن وبرة عن رجل من الشام مجهول لا يدرى من هو، ولكن مثل هذا يغتفر في فضائل الأعمال لاسيما وقد تلقته الأمة بالقبول، والله أعلم.

(فهذه وظيفة القراءة فإن أضاف إليه شيئاً مما انتهى إليه ورده من القرآن واقتصر عليه فحسن) قال صاحب العوارف: حفظاً أو من المصحف، **(فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر)** وحسن فهم، **(كما ذكرنا فضل ذلك وآدابه في كتاب آداب التلاوة)**.

(وأما الإفتكار، فليكن ذلك أحد وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات) إن شاء الله تعالى **(ولكن مجامعه ترجع إلى فنين)**.

(أحدهما: أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره) عن الشكر في ظواهر النعم وبواطنها، وعجزه عن القيام بما أمر به من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة، **(ويرتب وظائف يومه والذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف)** أي الموانع والشواغل **(والعوائق الشاغلة له عن الخير، ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل)** والنقص **(من أعماله)** وأحواله **(ويحضر في قلبه النيات الصالحة في أعماله في نفسه وفي معاملة المسلمين)** أي يعتقد طريقه على حسن المعاملة فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين الخلق، ويدخل في ذلك التفكر فيما عليه من الأوامر والنوادب وفي كثيف ستر الله تعالى ولطيف صنعه به، ويستغفر الله تعالى ويجدد التوبة لما مضى من عمره ولما يأتنف من مستقبله، ويخلص الدعاء بتمسكن وتضرع ووجل واخبات أن يعصمه من جميع النهي، وأن يوفقه لصالح الأعمال، ويتفضل عليه برغائب الأفضال، وهو في ذلك فارغ القلب مجرد الهم موقن بالإجابة راض بالقسم، ويتكلم بمعروف وخير ويدعو به إلى الله عز وجل وينفع به أخاه المسلم ويعلم من دونه في العلم.

الفن الثاني: فيما ينفعه في علم المكاشفة، وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر الآيات الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ويزيد خوفه منها، ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض، وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكر. ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين، أحدهما: زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف، والثاني: زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله، فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة، والذكر أيضاً يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة

(والفن الثاني: فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر) في حكم الله عز وجل في الملك وقدرته في الملكوت **(مرة في نعم الله عز وجل وتواتر الآيات الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها، أو)** يتفكر **(في عقوباته ونقماته)** وبلاءاته الظاهرة والباطنة **(لتزيد معرفته بقدرة الله عز وجل واستغناؤه ويزيد خوفه منه)** ومن ذلك قوله عز وجل ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ [إبراهيم: ٥] قيل: بنعمه، وقيل بعقوباته. وقال تعالى ﴿فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ [الأعراف: ٦٩] أي نعمه **(ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض، وإنما يستقصى ذلك)** على سبيل التفصيل **(في كتاب التفكر)** إن شاء الله تعالى، **(ومهما تيسر التفكر)** للذاكر **(فهو أشرف العبادات)** ولذا جاء في الخبر: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، والمراد به هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة. وقيل: هو التفكر الذي يظهر مشاهدة وتقوى ويحدث ذكراً وهدى كقوله تعالى: ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾ [طه: ١١٣] وقد وصف أعداءه بضد ذلك فقال: ﴿كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ [الكهف: ١٠١] وإنما كان التفكر أشرف العبادات. **(إذ فيه معنى الذكر لله عز وجل وزيادة أمرين: أحدهما: زيادة المعرفة)** بالمذكور **(إذ التفكر مفتاح المعرفة والكشف)** لأنه إدارة فكر وتصرف قلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، فالفكر يد النفس التي تنال بها المعلومات كما تنال بيد الجسم المحسوسات، وبهذه التصرف القلبي يتدرج إلى فتوح باب المعرفة والكشف الإلهي، **(الثاني: زيادة المحبة)** للمذكور **(إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه)** في نفسه، **(ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله)** وهيبته **(إلا بمعرفة صفاته)** العلا **(ومعرفة قدرته)** الباهرة **(وعجائب أفعاله)** في خلقه، **(فيحصل من الفكر المعرفة)** كما قدمنا **(و)** يحصل **(من المعرفة التعظيم، و)** يحصل **(من التعظيم المحبة)** فالمحبة متوقفة على التعظيم، كما أن التعظيم متوقف على المعرفة، وحصول المعرفة متوقف على التفكر، فالتفكر أصل

التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم، ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق، والخلق مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة، فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جُملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحداً لم

هذه العبادات وما ينشأ عنها. **(والذكر أيضاً يورث الأنس)** بالمذكور **(وهو نوع من المحبة)** بل سبب من أسبابها، **(ولكن المحبة التي سببها المعرفة)** بما يجبه **(أقوى وأثبت وأعظم)** فإن الإنس قد يزول ويقصر بخلاف المعرفة. **(ونسبة محبة العارف)** بأوصاف المحبوب **(إلى أنس الذاكر من غير تمام الإستبصار)** بنور العرفان **(نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين)** أي بعين نفسه والعشق الإفراط في المحبة، **(وأطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة)** إطلاعاً حقيقياً **(بالتجربة)** والملازمة **(إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق)** الظاهر **(والخلق)** الباطن **(مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما)** أي في الخلق والخلق، **(فليس محبته كمحبة المشاهدة)** بالعين وهذا ظاهر، **(وليس الخبر كالمعاينة)** وقد روي ذلك مرفوعاً عن ابن عباس رواه العسكري في الأمثال والخطيب. وعن أبي هريرة رواه الخطيب، وعن أنس رواه الطبراني في الأوسط، والخطيب والديلمي. ورواه أحمد والضياء بزيادة في آخره، ويروى: « ليس المعاين كالمخبر » كذلك رواه ابن خزيمة والطبراني والضياء عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن جده.

(والعباد المواظبون على ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل) عليهم السلام **(بالإيمان التقليدي)** صرفاً **(ليس معهم من محاسن صفات الله عز وجل إلا أمور جلية)** بضم الجيم وسكون الميم أي إجمالية **(اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم)** ولم يجاوزوا ذلك، **(والعارفون المختصون بمعرفة الله ومعرفة)** ملكوته وحسن معاملته **(هم الذين شاهدوا ذلك الجلال)** أي احتجاب الحق عنا بعزته **(والجمال)** أي تجليه لنا برحمته **(بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر)**.

أعلم أن البصيرة كما تقدم قوة للقلب المنور بنور اليقين ترى حقائق الأشياء وظاهرها، وإنما كانت أقوى لأن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فإنه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب، ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها،

يحط بكنه جلاله وجماله، فإن ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وإنما عدد حجبها التي استحقت أن تسمى نوراً وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجاباً. قال ﷺ: « إن لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره ». وتلك الحجب أيضاً مترتبة. وتلك الأنوار متفاوتة في

ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية، ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيراً في أبصاره، فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً. فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة، ولكل من هذه تفاصيل أوردها المصنف في مشكاة الأنوار، وأنواع غلط البصر كثيرة والبصيرة منزهة عنها.

فإن قلت: نرى أصحاب البصائر يغلطون كثيراً في نظرهم. فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاماً واعتقادات يظنون أن أحكامها أحكام العقل، فالغلط منسوب إليها.

فأما العقل إذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط بل يرى الأشياء على ما هي عليه **(لا لأن أحداً أحاط بكنه جلاله وجماله فإن ذلك غير مقدور لأحد من الخلق)** إذ نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقة المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، وهو المشار إليه في الخبر: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » أي لا أحيط بمحامدك وصفات إلهيتك، وإنما أنت المحيط بها وحدك فلا يتجرأ أحد من الخلق لنيل ذلك وإدراكه إلا ردته سبحات الجلال إلى الحيرة، ولا يشرئب أحد لملاحظته إلا غطى الدهش طرفه.

وأما اتساع المعرفة إنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته وإليه أشار المصنف بقوله: **(ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها، وإنما عدد حجبها التي استحقت أن تسمى نوراً وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون)** حجاباً. **(قال النبي ﷺ: « إن لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدرك بصره »)** وتقدم للمصنف في قواعد العقائد بلفظ: « ما أدركه بصره ». وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة: « بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور » وسنده ضعيف، وفيه أيضاً من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: « هل ترى ربك؟ قال إن بيني وبينه لسبعين حجاباً من نور » وفي المعجم الكبير للطبراني من حديث سهل بن سعد: « دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ». ولحديث أبي موسى: « حجابه لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » ولابن ماجه: « كل شيء أدركه بصره » قاله العراقي. وتقدم ذلك.

قلت: وحديث سهل بن سعد الذي أورده في المعجم الكبير قد رواه أيضاً أبو يعلى والعقيلي كلهم من ابن عمر وسهل بن سعد معاً، وللحديث بقية بعد قوله وظلمة: « فما من نفس تسمع شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت ».

وقال المصنف في الفصل الثالث من مشكاة الأنوار: اعلم أن الله عز وجل متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب في الإضافة إلى محجوب لا محالة وأن المحجوبين من الخلق ثلاث أقسام: منهم من يحجب بمجرد الظلمة، ومنهم من يحجب بالنور المحض، ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة وأصناف هذه الأقسام كثيرة لا تحصى وذكر العدد في الحديث المذكور للتكثير لا للتحديد، وقد تجري العادة بذكر أعداد لا يراد بها الحصر والله أعلم بذلك.

ثم ذكر القسمين وما فيهما من الأقسام والأصناف والفرق والطوائف، والقسم الثالث هم المحجوبون بمحض الأنوار أصناف لا يحصون، لكن أشير إلى ثلاثة أصناف منهم.

الأول: طائفة عرفت معاني الصفات تحقيقاً، وأدركوا أن إطلاق إسم الكلام والإرادة والقدرة والعلم وغيرها ليس كإطلاقها على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات، وعرفوه بالإضافة إلى المخلوقات.

الثاني: صنف ترقوا من هؤلاء من حيث ظهر لهم أن في السموات أكثره وأن محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى فلكاً وفيهم كثرة، وإنما نسبتهم الأنوار الإلهية نسبة الكواكب في الأنوار المحسوسة، ثم لاح لهم أن هذه السموات في ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة، والرب هو المحرك للجرم الأقصى المنطوي على الأفلاك كلها. إذ الكثرة منفية عنه.

الثالث: صنف ترقوا من هؤلاء وقالوا: إن تحريك الأجسام بطريق المباشرة ينبغي أن يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عباده يسمى ملكاً نسبته إلى الأنوار الإلهية المحضة نسبة القمر في الأنوار المحسوسة، فزعموا أن الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك، ويكون الرب تعالى محركاً بطريق الأمر لا بطريق المباشرة فهؤلاء أصناف كلهم محجوبون بالأنوار المحضة.

وإنما الواصلون: صنف رابع تجلى لهم أيضاً أن هذا المطاع موصوف بصفة لا تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ، وأن نسبة هذا المطاع إلى الموجودات الحسية نسبة الشمس في الأنوار المحسوسة منه، فتوجهوا من الذي يحرك السموات، ومن الذي أمر بتحريكها إلى الذي فطر السموات وفطر الآمر بتحريكها، فوصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم. إذ وجوده من قبله فأحرقت سبحات وجه الأول الأعلى جميع ما أدركه الناظرون وبصيرتهم إذ وجوده مقدساً منزهاً عن جميع ما وصفناه مما قبل، ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من

الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب. ويبدو في الأوّل أصغرها ثم ما يليه وعليه أول

أحرق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى لكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته في جماله الذي ناله بالوصول إلى الحضرة الإلهية وانمحقت منه المبصرات دون المبصر، وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال وتلاشوا في ذاته، ولم يبق لهم لحاظ في أنفسهم بفنائهم عن أنفسهم، ولم يبق إلا الواحد الحق. فهذه نهاية الواصلين. ومنهم من لم يندرج في الترقي والعروج على التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل عليه العروج فسبقوا من أول وهلة إلى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنهم، فغلب عليهم أولاً ما غلب على الآخرين آخراً، وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصرحي أو بصيرة عقلية، والله أعلم.

(وتلك الحجب أيضاً مترتبة، وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب).

أعلم أن الأشياء بالإضافة إلى الحس البصري ثلاثة أقسام: منها ما لا يبصر بنفسه كالأجسام المظلمة، ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالأجسام المضيئة مثل الكوكب وجهة النار إذا لم تكن مشعلة ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به أيضاً غيره كالشمس والقمر والنيران المشعلة كالسراج والنور إسم لهذا القسم الثالث. ثم تارة ينطلق على ما يفيض من هذه الأجسام المنيرة على ظواهر الأجسام الكثيفة، وتارة يطلق على نفس هذه الأجسام المشرقة أيضاً لأنها في أنفسها مستنيرة وعلى الجملة، فالنور عبارة عما يبصر في نفسه ويبصر به غيره كالشمس هذا حده وحقيقته بالوضع الأول ثم أن العقول وإن كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها على مرتبة واحدة، بل بعضها يكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية. ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال إذا عرض عليه بل يحتاج لأن ينبه عليه بالتنبيه والأنوار السماوية التي منها تقتبس الأنوار الأرضية إن كان لها أن تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض، فالأقرب من المنبع الأول أولى باسم النور لأنه أعلى رتبة. ومثال ترتيبه في عالم الشهادة لا يدركه الإنسان إلا بأن يفرض ضوء القمر داخلاً في كوة بيت واقعاً على مرآة منصوبة على حائط ومنعكس منها إلى حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها إلى الأرض، فحيث تستنير منه الأرض فأنت تعلم أن ما على الأرض من النور تابع لما على الحائط، وما على الحائط تابع لما على المرآة، وما على المرآة تابع للقمر، وما في القمر تابع لما في الشمس. إذ منها يشرق النور على القمر. وهذه الأنوار الأربعة مرتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض، ولكل واحد درجة خاصة لا يتعداه. وكذلك الأنوار الملكوتية على هذا الترتيب وأن المقرب هو الأقرب إلى النور، وإذا عرفت أن الأنوار لها ترتيب فاعلم أنها لا تتسلسل إلى غير نهاية، بل ترتقي إلى منبع أول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره منه تشرق الأنوار كلها على ترتيبها فهذا معنى قول المصنف: وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكوكب.

بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل ﷺ في ترقيه، وقال: ﴿فلمّا جنّ عَلَيْه الليلُ﴾ أي أظلم عليه الأمر ﴿رأى كوكباً﴾ [الانعام: ٧٦] أي وصل إلى حجاب من حجب النور فعبّر عنه بالكوكب. وما أريد هذه الأجسام المضيئة فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام، والحجب المسماة أنواراً ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره

(**ويبدو في الأول أصغرها. ثم ما يليه وعلى ذلك أول بعض**) العارفين من (**الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم عليه السلام في ترقيه**) في أحوال وصوله (**وقال: ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي أظلم عليه الأمر**) أي اشتبه (**رأى كوكباً أي وصل إلى حجاب من حجب النور**) التي تقدم ذكرها آنفاً (**فعبر عنه بالكوكب**) لأنه أصغر الثلاثة فهو الذي بدا له أولاً، وهذا هو مقامه الذي أشرنا إليه في الصنف الرابع من القسم الثالث. (**وما أريد به هذه الأجسام المضيئة، فإن آحاد العوام لا يخفي عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام، بل يدركون ذلك بأول نظرهم**) فأول منازل الأنبياء الترقي إلى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال (**فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام، والحجب المسماة أنواراً**) في الحديث المتقدم (**ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ الآية**).

أعلم أن العالم الملكوتي عالم غيب، والعالم الحسي عالم الشهادة وهو مرقاة للملكوتي، وبينهما اتصال ومناسبة. ولولا ذلك لانسد طريق الترقي إلى حضرة الربوبية فلن يقرب من الله أحد ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع من إدراك الحس والخيال هو الذي يراد به عالم القدس، ولما كان عالم الشهادة مرقى إلى عالم الملكوت، وكان سلوك الطريق المستقيم عبارة عن هذا الترقي، فلو لم يكن بينهما إتصال لما تصور الترقي من أحدهما إلى الآخر فجعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت، فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال شيء من ذلك العالم، وربما كان الشيء الواحد مثالاً لأشياء من الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وله أمثلة لا تحصى، فإن كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة تفيض الأنوار على الأرواح البشرية ولأجلها تسمى أرباباً. ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحري أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكوكب، وسالك الطريق ينتهي أولاً إلى ما درجته درجة الكوكب فيتضح له إشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما يبادر، فيقول: ﴿هذا ربي﴾ ثم إذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الأول في مغرب الهوى بالإضافة إلى ما فوقه فقال: ﴿لا أحب الآفلين﴾ وكذلك يترقى حتى ينتهي إلى ما مثله الشمس فيراه أكبر وأعلى فيراه قابلاً للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي النقص نقص

كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور : ٣٥] الآية. ولنتجاوز هذه المعاني فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وكل من ينفتح له بابه. والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك أيضاً مما تغزر فائدته ويعظم نفعه.

فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح، بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع، ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد، وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس. كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار، وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به.

وأفول أيضاً فمنه يقول: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾.

(**ولنجاوز هذه المعاني**) الدقيقة (**فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا توصل إلى حقائقها إلا بالكشف**) الصريح (**التابع للفكر الصافي**) عن ظلمة الخيال والوهم، (**وقل من يفتح له بابه**) لصعوبته (**والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك أيضاً مما تغزر**) أي تكثر (**فائدته ويعظم نفعه.**

فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن يكون وظيفة) السالك (**المريد**) في طريق الآخرة (**بعد طلوع الفجر**) الثاني، (**بل في كل ورد وبعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربعة**) فليشدد يديه عليها (**ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته**) بكسر الميم أي ترسه وهما مما يقاتل به العدو ويتحصن من شره، (**والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي**) في العروق (**الصارف له عن سبيل الرشاد**) والهداية، (**وليس بعد طلوع الصبح**) الثاني (**صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح**) فقط، أو ركعتي التحية إذا دخل المسجد وكان الوقت متسعاً وكان قد صلى ركعتي السنة في منزله وذلك (**إلى الطلوع**) أي طلوع الشمس. (**كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار**) قال العراقي: تقدم حديث جابر بن سمرة عند مسلم في جلوسه ﷺ إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو في قوله كما تقدم من حديث أنس اهـ.

(**فهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة**) مثلاً، (**فلو صلى**

الورد الثاني: ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار. وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع. وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان.

إحداهما: صلاة الضحى ـ وقد ذكرناها في كتاب الصلاة ـ وإن الأولى أن يصلي ركعتين عند الإشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي

لذلك فلا بأس به) وتقدم عن صاحب العوارف أنه إن لم يندفع النوم فليقم قبالة القبلة ويرجع خطوات ولا يستدبر القبلة ولم يقل أنه يصلي والله أعلم.

(الورد الثاني: ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار، وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال) وذلك هو الضحى الأعلى، **(وذلك بمضي ثلاث ساعات)** زمانية **(من النهار)** وهو في عرف الناس من طلوع الشمس إلى غروبها. وعند أهل اللغة من طلوع الفجر إلى الغروب وهو مرادف لليوم **(إذا فرض النهار إثنتي عشرة ساعة وهو الربع)** من ضرب ثلاثة في أربعة، وإذا أطلق النهار في الفروع انصرف إلى اليوم نحو صم نهار الأحد مثلاً، وهل يحمل على الحقيقة اللغوية أو على العرف لأن الشيء لا يضاف إلى مرادفه؟ وجهان مطردان في كل صورة يضاف فيها النهار إلى اليوم كأن حلف لا يسافر أو يأكل يوم كذا. **(وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان)**.

(احداهما: صلاة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلاة أن الأولى أن يصلي ركعتين عند الإشراق) أي إشراق الشمس، **(وذلك إذا انبسطت الشمس)** على الأرض **(وارتفعت)** عن الأفق **(قيد)** بالكسر أي قدر **(نصف رمح)** من رماح العرب وهي المتوسطة بين الطويلة والقصيرة وفي العوارف قيد رمح وتسمى هذه الصلاة صلاة الإشراق.

قال صاحب العوارف: وبهاتين الركعتين تبين رعاية هذا الوقت فإذا صلى الركعتين بجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد في باطنه أثراً ونوراً وروحاً وأنساً إذا كان صادقاً، والذي يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا. قال: وأحب أن يقرأ في هاتين الركعتين في الأولى آية الكرسي، وفي الأخرى ﴿آمن الرسول﴾ و﴿الله نور السموات والأرض﴾ الآية وتكون نيته فيها الشكر لله تعالى في يوم وليلته اهـ.

وقال مشايخنا النقشبندية: يصليها بنية الإشراق يقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة الإخلاص ثلاثاً اهـ.

(ويصلي أربعاً) بتسلميتين **(أو ستاً)** بثلاث تسليمات **(أو ثمانياً)** بأربع تسليمات، واقتصر صاحب القوت على ثمان، وأقلها ركعتان، وأكثرها إثنتا عشرة ركعة وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك في كتاب الصلاة **(إذا رمضت الفصال)** وهو أن ينام الفصيل في ظل أمه عند حر الشمس،

أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصال وضحيت الأقدام بحرّ الشمس. فوقت الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله: ﴿يسبّحن بالعشيّ والإشراق﴾ [ص: ١٨] فإنه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الأرض فإنها تمنع إشراقها التام، ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال: ﴿والضحى★ والليل إذا سجى﴾ [الضحى: ١، ٢] وخرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته: « ألا إن صلاة الأوّابين إذا رمضت الفصال ». فلذلك نقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى، وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقت الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة

وهذا هو وقت الضحى، **(و)** قيل إذا **(ضحيت الأقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي أراد الله بقوله سبحانه ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ فإنه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة)** أي مقابلة **(البخارات)** الصاعدة من الأرض، **(والقتارات)** القتار بالضم الغبار المرتفع **(التي على وجه الأرض)** سواء بتحريك الرياح أو غيره، **(فإنها تمتنع إشراقها التام)** فلا يظهر لها إلا نور مكدر، **(ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله به فقال: ﴿والضحى★ والليل إذا سجى﴾)** قال البيضاوي: والمراد بالضحى ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه، أو لأن فيه كلم موسى ربه وألقى السحرة سجداً، أو المراد به النهار ويؤيده قوله: ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ [الأعراف: ٩٨] في مقابلة بياتا اهـ.

(وخرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته: « ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال ») هكذا هو في القوت وقال العراقي: رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته، وهوعند مسلم دون ذكر الإشراق اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والطيالسي، والدارمي، وابن خزيمة، وابن حبان. ورواه عبد بن حميد أيضاً وسمويه في فوائده عن عبد الله بن أبي أوفى بلفظ: « صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ». وروى الديلمي عن أبي هريرة مرفوعاً « صلاة الأوابين صلاة الضحى ».

(ولذلك نقول: إذا كان يقتصر على مرة واحدة في صلاة الضحى فهذا الوقت أفضل) إذ هو حقيقة وقتها، **(وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقت الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب)** والتحديد **(إلى ما قبل الزوال في ساعة**

الاستواء. واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الإشراق تقع في مبتدأ وقت الإذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال ﷺ: « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا يراعي بالتقريب.

الإستواء) في كبد السماء **(واسم الضحى ينطلق على الكل)** ولكن يميز بين ساعاته بالأصغر والأوسط والأكبر. **(وكأن ركعتي الإشراق تقع في مبدأ وقت الأداء للصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال ﷺ: « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها »)** الحديث بتمامه تقدم في كتاب الصلاة وتقدم ما المراد بالقرن وهل هو حقيقة أو مجاز فراجعه **(فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها)** الصاعد منها، **(وهذا يراعى بالتقريب)**.

وذكر صاحب العوارف بعد ركعتي الاشراق اللذين عند انصرافه من مصلاّه ركعتين أخريين يقرأ المعوّذتين فيهما في كل ركعة سورة. قال: وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله من شر يومه وليلته، ويذكر بعدهما كلمات الاستعاذة التي تقدم ذكرها قال: ثم يصلي ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمله في يومه وليلته، وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الأطلاق، وإلا فالاستخارة التي وردت بها الأخبار هي التي يصليها أمام كل أمر يريده، ويقرأ في هاتين الركعتين: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره ويقول فيه « كل قول وعمل أريده في هذا اليوم اجعل فيه الخيرة » قال: ثم يصلي ركعتين أخريين يقرأ في الأولى سورة الواقعة، وفي الأخرى سورة الأعلى ويقول بعدهما: « اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد واجعل حبك أحب الأشياء إليّ وخشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فاقرر عيني بعبادتك واجعل طاعتك في كل شيء مني يا أرحم الراحمين » ثم يصلي بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما شيئاً من حزبه من القرآن، ثم بعد ذلك إن كان متفرغاً ليس له شغل في الدنيا ينتقل في أنواع العمل من الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى، وإن كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه و عياله فليمض لحاجته ومهماته بعد أن يصلي ركعتين في خروجه من المنزل. وهكذا ينبغي أن يفعل ذلك أبداً لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلي ركعتين ليقيه الله مخرج السوء، ولا يدخل البيت إلا ويصلي ركعتين ليقيه الله المدخل السوء بعد أن يسلم على من في المنزل، وإن كان متفرغاً فأحسن أشغاله في هذا الوقت إلى صلاة الضحى الصلاة، وإن كان عليه قضاء يصلي صلاة يوم أو يومين أو أكثر، وإلاّ صلى أربع ركعات يطولها ويقرأ فيها القرآن، فقد كان من الصالحين من يختم القراءة في الصلاة بين اليوم والليلة وإلاّ يصلي أعداداً من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وبالآيات التي في القرآن فيها الدعاء مثل قوله تعالى ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا واليك المصير﴾ [الممتحنة:

الوظيفة الثاني: في هذا الوقت: الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض، وتشييع جنازة، ومعاونة على بر وتقوى، وحضور مجلس علم، وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها. فإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع ـ التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات ـ المتطوّع بها إن شاء فإنها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن. فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده. أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة

٤] وأمثال هذه الآية يقرأ في كل ركعة منها إما مرة أو يكررها مهما شاء. ويقدر الطالب أن يصلي بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة. وكان من الصالحين من ورده بين اليوم والليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة، ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على أهلها فما باله يبطل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى. قال سهل بن عبد الله التستري: لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة اهـ.

(الوظيفة الثانية: في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادة بكرة) أي في أوّل النهار **(من عيادة مريض)** إن علم **(وتشييع جنازة)** إن حضرت **(ومعونة على بر وتقوى)** يسعى فيها إن كانت مما فرض عليه أو ندب إليه مما يختص به لنفسه، أو يعود نفعه على غيره ويكون أيضاً مما يخاف فوته بفوت وقته، **(وحضور مجلس علم)** مما يقربه إلى الله زلفى فيتعلمه أو يستمعه من أفواه العلماء بالله الموثوق بعلمهم، فقد قال الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام: ٥٢] وقال ﷺ: « من غدا من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ». وفي حديث أبي ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة، وأفضل من شهود ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض قيل: ومن قراءة القرآن؟ فقال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بعلم » وقد تقدم هذا وأمثاله في كتاب فضل العلم، **(وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم ونحو ذلك)** مما فرض عليه أو ندب إليه **(فإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربعة التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر)** من غير فتور أما ظاهراً أو باطناً أو قلباً أو قالباً وإلاّ فباطناً. وترتيب ذلك أنه يصلي ما دام منشرحاً ونفسه محيبة، فإن سئم ينزل من الصلاة إلى التلاوة، فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة، فإن سئم التلاوة تنزل أيضاً بذكر الله تعالى بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة، فإن سئم الذكر أيضاً يدع ذكر اللسان ويلازم المراقبة، والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى إليه، فما دام هذا العلم ملازماً للقلب فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وأفضله.

(والصلاة المتطوّع بها فإنها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن) وهي أعداد الركعات التي قدمنا تفصيلها عن صاحب العوارف، **(فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف الوقت لمن أراد)** وهو أفضل الوظائف لمن كان فارغاً عن متعلقات الدنيا. **(وأما**

لا سبب لها، وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر.

الورد الثالث: من ضحوة النهار إلى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل، وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى. فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر، فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر، فإذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب، ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب، إلا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم.

بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها) إلى أن تطلع الشمس نصف قيد رمح، (**وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر)** أي السّنة (**وتحية المسجد)** إن كان في الوقت متسع كما تقدم، (**ولا يشتغل بالصلاة)** إلا أن علم أنه لا يندفع النوم إلا بها كما تقدم قريباً، (**بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر والذكر)** على الترتيب الذي شرحناه قريباً. وهذه المسائل بفروعها تقدمت في كتاب الصلاة فلا يحتاج إلى التطويل باعادتها ثانياً والله اعلم.

(**الورد الثالث: من ضحوة النهار إلى الزوال)** أي زوال الشمس، (**ونعني بالضحوة)** وفي بعض النسخ والضحوة نعني بها (**المنتصف وما قبله بقليل)** فإنه ينطلق عليه اسم الضحوة، (**وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة)** لتعمير الأوقات بالعبادة، (**فإذا انقضت ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها)** وفي نسخة: فبعدها (**وقبل مضيها صلاة الضحى، فإذا مضت ثلاث)** ساعات (**أخرى فالظهر)** حينئذ، (**فإذا مضت ثلاث)** ساعات (**أخرى فالعصر)** حينئذ، (**فإذا مضت ثلاث)** ساعات (**أخرى فالمغرب)** حينئذ وبه كملت اثنتا عشرة ساعة من النهار العرفي، (**ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والمغرب)**.

وقال صاحب العوارف: فإذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر والمغرب يصلي الضحى، فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى اهـ.

(**إلا أن الضحى لم يفترض)** على الأمة كما افترضت العصر (**لأنه وقت إكباب الناس)** وفي نسخة: انكباب الناس أي اجتماعهم (**على أشغالهم)** الدنيوية من بيع وشراء ومعاملات وقضاء حاجات (**فخفف عنهم)** رحمة بهم، وفي قول إنما كانت فرضاً على النبي ﷺ وحده. وقد تقدم تفصيله في كتاب الصلاة.

الوظيفة الرابعة[1] في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران:

أحدهما: الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق، فإن كان تاجراً فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة، وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله، ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته، فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزوّد لآخرته، فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فالاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت. فقد قيل: لا يوجد المؤمن إلا في ثلاثة مواطن: مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها، وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه، بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بدّ أنه لا بد لهم منه، وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر

(**فالوظيفة في هذا الوقت الأقسام الأربعة**) المذكورة من صلاة وتلاوة وذكر وفكر، (**ويزيد أمران**) آخران.

(**أحدهما الإشتغال بالكسب**) إن كان من أهله (**وتدبير المعاش**) واصلاحه ومرمته فيما يتعيش به في دنياه، (**وحضور السوق**) للبيع والشراء كل ذلك فيما ندب إليه أو أبيح له، (**فإن كان تاجراً فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة**) فإن أضر ما على التاجر الكذب والخيانة، (**وإن كان صاحب صناعة فبنصح**) فيها (**وشفقة**) على خلق الله تعالى، فإن النصح والشفقة مراعاتهما مما يورث البركة في الصناعة والتجارة. (**ولا ينسى ذكر الله عز وجل في جميع أشغاله**) ليكون جامعاً بين العبادتين، ويكون ممن قال الله في حقهم ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] (**و**) يستحب له أن (**يقتصر من الكسب**) وهو ما يتحراه الانسان مما فيه جلب نفع ودفع مضرة (**على قدر حاجته**) لنفسه إن كان منفرداً أو له ولعياله إن كان متأهلاً صاحب دائرة (**ليومه**) أي لكفاية قوت يومه (**مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته**) وقوت عياله، وإن أمكن أن يكتسب قوت يومين أو ثلاثة أو أكثر فيجعل بقية أيامه للذكر والعبادة فلا بأس، (**فإذا حصلت كفاية يومه**) أو أيامه (**فليرجع إلى بيت ربه عز وجل**) أي المسجد أو خلوته في منزله وليكتف بما حصله، (**وليتزوّد لآخرته فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم**) وأمور الدنيا هينة يكتفي فيها بأقل شيء ويمضي الوقت، وإنما العاقل الذي يهتم لأمر المعاد الذي هو غائب عن عينه (**و**) يرى ويتحقق (**أن الاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت، فقد**) كان الصالحون كذلك يفعلون، ولهذا (**قيل: لا ينبغي أن يوجد المؤمن إلا في ثلاثة مواطن: مسجد يعمره**) أي بالصلاة والذكر والمراقبة، (**أو بيت يستره**) ممن لا يحب أن يراه، (**أو حاجة لا بدّ منها**) هكذا نقله صاحب القوت وهو في الحلية أيضاً. (**وقل من يعرف القدر فيما لا بدَّ له منه**) مما يكفيه، (**بل أكثر الناس يقدرون**) في

---

(١) هكذا في الأصل والنسخ التي راجعناها، بينما الشارح لم يذكر كلمة «الرابعة».

ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلاً فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه.

الأمر الثاني: القيلولة وهي سنّة يستعان بها على قيام الليل كما أن التسحر سنّة يستعان به على صيام النهار، فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما

انفسهم (**فيما عنه بدّ أنه لا بدّ لهم منه**) وهذه ورطة كبيرة يصعب التخلص منها، (**وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر**) ويمنيهم به ويسول لهم في طرقه ويوهمهم أنه مما لا بدّ منه، (**ويأمرهم بالفحشاء**) من القول والفعل والاعتقاد (**فيصغون إليه**) أي يميلون (**ويجمعون ما لا يأكلون**) مما يفضل عن الحاجة (**خيفة الفقر**) وهو من جملة أشراط الساعة، ولذا يوجد في أواخر الزمان أكثر من أوّله، (**والله يعدهم مغفرة وفضلاً فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه**)، بل يصدقونه باللسان ويخالفونه عند الاختبار والعمل.

(**الأمر الثاني: القيلولة**) وهي النوم في الظهيرة قاله الجوهري. وقال الأزهري: القيلولة والمقيل عند العرب الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معه نوم بدليل قوله تعالى ﴿وأحسن مقيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤] والجنة لا نوم فيها. وعمل السلف والخلف على أن القيلولة مطلوبة (**وهي سنّة يستعان بها على قيام الليل**)، فإن كان قبل انتصاف النهار فيستعان بها على ما مضى من القيام ثم يستأنف، وأن كان بعده فعلى ما سيأتي، (**كما ان التسحر سنّة يستعان به على صيام النهار**). وعلم من سياق المصنف أن القيلولة من غير قيام الليل كالسحور من غير صيام النهار، وقد روي في فضل القيلولة عن أنس مرفوعاً « قيلوا فإن الشياطين لا تقيل ». رواه الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الطب والديلمي والبزار وفي الاسناد كثير بن مروان وهو متروك رواه عن يزيد بن أبي خالد الدالاني عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس. عن ابن عباس مرفوعاً « استعينوا بطعام السحر على صيام النهار والقيلولة على قيام الليل » رواه ابن ماجه في السنن وابن أبي عاصم والحاكم في الصحيح من حديث أبي عامر القصوى: حدثنا زمعة عن سلمة بن دهرام، عن عكرمة عن ابن عباس. وكذا رواه محمد بن نصر في قيام الليل له، والطبراني في الكبير من حديث اسماعيل بن عياش عن زمعة « استعينوا بقائلة النهار على قيام الليل وبأكلة السحر على صيام النهار » وهو عند البزار في مسنده من هذا الوجه. وأورده الضياء في المختارة فهوعندهحجة. وأخرج البزار عن قتادة سمعت أنساً يقول « ثلاث من أطاقهن فقد أطاق الصوم من أكل قبل أن يشرب وتسحر وقال » أي نام القيلولة. ولمحمد بن نصر في قيام الليل له من حديث مجاهد قال: بلغ عمر أن عاملاً له لا يقيل فكتب إليه أما بعد، فقل فإن الشياطين لا تقيل. وفي حديث اسماعيل بن عياش عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة انه قال « القائلة من عمل أهل الخير وهي مجمة للفؤاد مقواة على قيام الليل ».

(**فإن كان لا يقوم بالليل**) أي ليس من عادته ذلك (**ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما**

خالط أهل الغفلة وتحدث معهم، فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت والسلامة، وقد قال بعضهم: يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم. وكم من عابد أحسن أحواله النوم، وذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها. فكيف بالغافل الفاسق؟ قال سفيان الثوري رحمه الله: كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلباً للسلامة، فإذا كان نومه على قصد طلب

خالط أهل الغفلة) والكسل **(وتحدث معهم)** فيما لا يعنيه، **(فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة)**.

وقال صاحب العوارف، فإن سئم من الصلاة تنزل إلى التلاوة، ثم منها إلى الذكر، ثم منه إلى الفكر والمراقبة، فإن عجز عن المراقبة وتملكته الوساوس وتزاحم في باطنه حديث النفس فلينم ففي النوم السلامة، وإلاَّ فكثرة حديث النفس تقسي القلب ككثرة الكلام لأنه كلام من غير لسان فيحترز من ذلك.

قال سهل بن عبد الله: أسوأ المعاصي حديث النفس والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فإنه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع، كشخص آخر في باطنه فيقيد الباطن بالرعاية والمراقبة كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر، ويمكن الطالب المجد أن يصلي من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزءاً من القرآن أو أقل أو أكثر، والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ أعداد أخر من الركعات حسن اهـ.

(إذ في النوم الصمت والسلامة، وقد قال بعضهم: يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم)، ولفظ القوت: وأدنى أحواله الصمت والنوم ففيهما سلامة من آثام ومخالطة اللئام. وقد جاء في العلم: يأتي على الناس زمان يكون أفضل علمهم فيه الصمت وأفضل أعمالهم النوم هذا لدخول المشكلات في الكلام وخروج الإخلاص من الأعمال، **(فكم من عابد أحسن أحواله النوم، وذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها، فكيف بالغافل الفاسق)**. ويبيت العبد يكون في اليقظة كالنوم إذ في نومه سلامته والسلامة متعذرة في يقظته، وإنما الفضائل للأفاضل الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان والفضل.

(قال سفيان الثوري: كانوا يستحبون) ولفظ القوت والعوارف: كان يعجبهم **(إذا تفرغوا أن يناموا طلباً للسلامة)** والسلامة أعم مما يتضرر بغيره أو يتضرر به غيره، **(فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان قربه)** قال صاحب العوارف: وهذا النوم فيه فوائد: منها أن يعين على قيام الليل، ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه، والنفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار يستجد الباطن

السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة. ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة، فإن ذلك من فضائل الأعمال، وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا، فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته. وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنيي قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً لمن أرادَ أنْ يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢] أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل، والثاني: أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما.

نشاطاً آخر وشغفاً كما كان في أوّل النهار، فيكون للصادق في النهار نهزات يغتنمها بخدمة الله عز وجل والدؤب في العمل.

(**ولكن ينبغي**) إذا نام (**أن ينتبه**) من نومه ذلك (**قبيل الزوال**) بساعة وذلك (**بقدر الاستعداد**) والتمكن (**للصلاة**) أي الظهر (**بالوضوء**) والاستنجاء (**وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة**) بحيث يكون وقت الاستواء مستقبلاً القبلة ذاكراً ومسبحاً أو تالياً أو مراقباً، (**فإن ذلك من فضائل الأعمال**) قال الله تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً في الليل﴾ [هود: ١١٤] وقال ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ [ق: ٣٩] أي صلاة الصبح وصلاة العصر ﴿ومن آناء الليل فسبح﴾ [طه: ١٣] أراد العشاء الاخيرة ﴿وأطراف النهار﴾ أراد الظهر والمغرب، لأن الظهر صلاة في آخر الطرف الأوّل من النهار، وآخر الطرف الآخر غروب الشمس. وفيها صلاة المغرب، فصار الظهر أوّل الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر كما استقبل الطرف الاوّل وقد عاد بنوم النهار جديداً كما كان بنوم الليل، (**وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب**) وكان عنده نشاط (**واشتغل بالصلاة والذكر**) والتلاوة والمراقبة (**فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله تعالى و**) وقت (**اشتغالهم بهموم الدنيا**) لمرمة المعاش، (**فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عز وجل عند اعراض العبيد عن بابه**) بالأسواق وغيرها (**جدير**) أي حقيق (**بأن يزكيه الله عز وجل**) ويطهره (**ويصطفيه لقربه ومعرفته**) بأن يحل فيه سر من اسراره فيعمره بالأنوار، (**وفضل ذلك كفضل إحياء الليل**) بالقيام، (**فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى**) وملاذ النفس، (**والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنيي قول الله عز وجل: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل**) وهذا القول روي عن مجاهد وقتادة، (**والثاني: أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما**) رواه ابن جرير، وابن

الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته، وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها، فإذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه، ثم ليقم إلى احياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الإظهار الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿وحينَ تُظهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨] وليصلِّ في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة، وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء أنه يصليها بتسليمة واحدة، ولكن طعن في تلك

حاتم، وابن المنذر، عن ابن عباس. ورواه عبد بن حميد، عن سعيد بن جبير وتقدم تفسير هذه الآية بالمعنيين قريباً.

(**الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته**) أي سنته (**وهو أقصر أوراد النهار**) لقصر وقتها (**وأفضلها**) لفضيلة العمل فيها، (**فإذا كان قد توضأ**) وتهيأ (**قبل الزوال وحضر المسجد**) فليفطن لأوّل الوقت، (**فمهما زالت الشمس**) وذهب وقت الكراهة بالاستواء شرع في صلاة الزوال (**و**) إن (**ابتـدأ المؤذن بالأذان**) بأن سبقه في معرفة الوقت (**فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى**) صلاة الزوال قبل الظهر فيحتاج إلى مراعاتها في أوّل الأوقات، وليتق الصلاة عند استواء الشمس في كبد السماء وهو قبل زوالها عند تقلص الظل وقيام كل ظل تحته، فإذا زال الظل فقد زالت الشمس وقد يخفى استواؤها في الشتاء لقصر الوقت ولعدول الشمس في سيرها عن وسط الفلك فيقطع عرضاً فيكون أقرب لغروبها فليقدر ذلك تقريباً، ومقدار استوائها قبل الزوال نحو أربع ركعات أو مقدار جزء من القرآن وهو آخر الورد الثالث، وإنما فيه ورد القراءة والتسبيح والتفكير، وهذا أحد الأوقات الخمسة التي نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة فيها، وتقدم تفصيل ذلك في كتاب الصلاة وكذا معرفة الأزولة الخمسة. قال صاحب القوت: وأحب له (**احياء ما بين الأذان والإقامة**) بالركوع فإنها ساعة يستجاب فيها الدعاء وتفتح فيها أبواب السماء وتزكو فيها الأعمال وأفضل أوقات النهار أوقات الفرائض، (**فهو وقت الإظهار الذي أراد الله تعالى بقوله:**) وعشياً (**وحين تظهرون**) ولفظ القوت: وهذا الورد هو الاظهار الذي ذكر الله الحمد فيه فقال تعالى ﴿وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ [الروم: ١٨] (**فليصل في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة**) وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وبذلك وردت الآثار وقد جعلها المصنف مستثناة من صلوات النهار فقال: (**هذه الصلاة وحدها من بين سائر صـلوات النهار ونقل أنها تصلى بتسليمة واحدة هكذا نقله بعض العلماء**) وكأنه يريد به صاحب القوت فإنه نقله هكذا.

وقال صاحب العوارف: ويصلي في أول الزوال قبل السنة والفرض أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله ﷺ اهـ. وإليه الإشارة بما رواه مسلم عن عائشة كان يصلي في بيته قبل

الرواية. ومذهب الشافعي رضي الله عنه انه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة وهو الذي صحت به الأخبار، وليطوّل هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوّع، وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من

الظهر أربعاً، بل روى الشيخان كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وهذا نص في تأكد الأربعة، فقيل: إن المراد بذلك هي صلاة الزوال، **(ولكن طعن في تلك الرواية)** التي يقول فيها أنها أربع ركعات موصولة. **(ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يفصل بتسليم)** وفي نسخة أنه يصلي مثنى كسائر النوافل، **(وهو الذي صحت به الأخبار)** من ذلك ما رواه البخاري والترمذي من حديث ابن عمر «كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشاء ركعتين». الحديث والأفضل في صلاة النهار عند الشافعي أن يسلم منها من كل ركعتين، وأجابوا عن صلاة الليل مثنى مثنى بأنه محمول على أن الليل أولى بذلك وأفضل لا أنه خاص به.

تنبيه:

الحديث الذي أشار إليه المصنف بأن في رواته من طعن فيه وهو حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه رفعه «أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء» رواه أبو داود، والترمذي في الشمائل، وابن ماجه، وابن خزيمة في الصلاة عنه، وفيه عبيدة بن مصعب الكوفي ضعفه أبو داود. وقال المنذري: لا يحتج بحديثه، وقال يحي القطان وغيره: الحديث ضعيف. وقال في موضع آخر في اسناد أبي داود احتمال للتحسين.

قلت: والحافظ السيوطي رمز لصحته ولكن في الميزان ضعفه أبو حاتم والنسائي، وفي مسند الترمذي قرثع الضبي ذكره ابن حبان في الضعفاء، وروى البزار نحوه من حديث ثوبان أنه ﷺ كان يستحب أن يصلي بعد نصف النهار، فقالت عائشة رضي الله عنها أراك تستحب الصلاة هذه الساعة فقال «تفتح فيها أبواب السماء وينظر إلى خلقه بالرحمة» وهي صلاة كان يحافظ عليها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم. وروى الترمذي من حديث عبد الله بن السائب أربع قبل الظهر، وبعد الزوال تحتسب بمثلهن في السحر وما من شيء إلا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة، ثم قرأ ﴿تتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون﴾ [النحل: ٤٨] أي صاغرون. قال ابن حجر في شرح الشمائل: وهذه الأربع ورد مستقل سببه انتصاف النهار وزوال الشمس، لأن انتصافه مقابل لانتصاف الليل وبعد زوالها تفتح أبواب السماء وهو نظير النزول الإلهي المنزه عن الحركة والانتقال، وسائر سمات الحدوث إذ كل منهما وقت قربة ورحمة، **(وليطول هذه الركعات إذ فيها)** أي في تلك الساعة **(ففتح أبواب السماء)** للمصلين والذاكرين، **(كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوّع)** وتقدم الكلام عليه قريباً وفي كتاب الصلاة مفصلاً. **(وليقرأ فيها سورة البقرة)** أو مقدارها **(أو سورتين من المئين أو أربعاً من**

المئين أو أربعاً من المثاني، فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء. وأحب رسول الله ﷺ أن يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة ـ كما سبق ـ أو قصيرة

المثاني) يطيلهن، (**فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء، وأحب رسول الله ﷺ أن يرفع له فيها عمل**) صالح. رواه أبو دواد وابن ماجه من حديث أبي أيوب، وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس. وقال صاحب العوارف: فيقرأ في صلاة الزوال بمقدار سورة البقرة في النهار الطويل وفي القصير ما تيسر من ذلك اهـ.

(**ثم يصلي الظهر بجماعة**) يعني الفرض (**بعد أربع ركعات**) يعني السَّنة (**طويلة**) بمقدار البقرة ونحوها (**كما سبق**) في صلاة الزوال إن كان النهار طويلاً (**أو قصيرة**) إن كان النهار قصيراً أو خاف فوت الجماعة، (**ولا ينبغي أن يدعها**) فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال « من صلى قبل الظهر أربعاً غفر له ذنوبه يومه ذلك ». رواه الخطيب وابن عساكر.

وعن عمر الأنصاري عن أبيه رفعه « من صلى قبل الظهر أربعاً كن له كعتق رقبة من بني إسماعيل » رواه ابن أبي شيبة والطبراني.

وعن صفوان رضي الله عنه « من صلى أربعاً قبل الظهر كان له أجره كأجر عتق رقبة أو قال أربع رقاب من ولد اسماعيل » رواه الطبراني أيضاً.

وقال صاحب العوارف بعد ذكره لصلاة الزوال: ثم يستعّد لصلاة الظهر فإن وجد في باطنه كدراً من مخالطة أو مجالسة اتفقت يستغفر الله ويتضرع إليه، ولا يشرع في صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عائداً إلى حاله من الصفاء والذائقون حلاوة المناجاة وصفو الانس في الصلاة يتكدرون بيسير من الإسترسال في المباح، ويصير على بواطنهم من ذلك عقد وكدر، وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والمجالسة مع الأهل والولد مع كون ذلك عبادة، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فلا يدخل في الصلاة إلا بعد حل العقد وإذهاب الكدورة وحل العقد بصدق الانابة والاستغفار والتضرع إلى الله ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الأهل والولد أن يكون في مجالسته لهم غير راكن إليهم كل الركون، بل يسترق القلب في ذلك نظرات إلى الله تعالى فتكون في تلك النظرات كفارة تلك المجالسة، إلا أن يكون قوي القلب في الحال لا يحجبه الخلق عن الحق فلا تنعقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل في الصلاة يجدها ويجد باطنه وقلبه لأنه حيث استروحت نفس هذا إلى المجالسة كان استرواح نفسه منغمراً بروح قلبه لأنه يجالس ويخالط بعين ظاهره فعين ظاهره ناظرة إلى الخلق وعين قلبه مطالعة إلى الحضرة الإلهية، فلا تنعقد على باطنه عقدة وصلاة الزوال هي التي تحل العقد وتهيء الباطن لصلاة الظهر، فإن انتظر بعد السَّنة حضور الجماعة للفرض، وقرأ الدعاء الذي بين الفريضة والسَّنة عن صلاة الفجر فحسن، ثم إذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة وآية الكرسي ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثاً وثلاثين، ولو قدر على الآيات كلها التي ذكرناها بعد صلاة الصبح، وعلى الأدعية أيضاً كان ذلك خيراً كثيراً وفضلاً عظيماً ومن له همة ناهضة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئاً لله تعالى.

لا ينبغي أن يدعها ثم ليصلّ بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً، فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل، ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول، ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت.

الورد الخامس: ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلاً بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفاً فمن فضائل الأعمال

(ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً، وكره ابن مسعود) رضي الله عنه **(أن يتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل)** نقله صاحب القوت قال: قال مجاهد، قال عبد الله بن عمر « من صلّى أربعاً بعد العشاء كن كعدلهن من ليلة القدر » قال حصين: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: كان ابن مسعود يكره أن يتبع كل صلاة بمثلها وكانوا يصلون العشاء ثم يصلون ركعتين ثم أربعاً، فمن بدا له أن يوتر أوتر، ومن أراد أن ينام نام، وقد تقدم الكلام عليه في باب التطوّع من كتاب الصلاة.

وأما الاربع التي بعد الظهر، فقد روى ابن جرير عن أم حبيبة رضي الله عنها رفعته « من صلّى أربعاً قبل الظهر وأربعاً بعدها لم تمسه النار » ورواه أحمد وابن أبي شيبة وابن زنجويه والترمذي وقال: حسن غريب، والنسائي وابن ماجه بلفظ « حرمه الله على النار » **(ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة)** أي الأربعة والاثنين **(آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت)** أخذه من القوت ولفظه: فإن لم يقرأ بين الأذانين من درسه فاستحب له أن يقرأ في تنفله الآي التي فيها الدعاء مثل آخر سورة البقرة، وآخر سورة آل عمران، ومن تضاعيف السور الآيتين والثلاث مثل قوله: ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا﴾ [الأعراف: ١٥٥] ومثل قوله ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ [آل عمران: ٨] وقوله ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ الآية [الممتحنة: ٤] فإن قرأ فيها الآي التي فيها التعظيم والتسبيح والأسماء فحسن مثل: أوّل سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، ومثل آية الكرسي، وقل هو الله أحد ليكون بذلك جامعاً بين التلاوة والدعاء وبين الصلاة والتعظيم والمدح بالأسماء، ثم ليصل الظهر بجماعة ولا يدع أن يصلي قبلها أربعاً وبعدها أربعاً بعد ركعتين، وهذا هو آخر الورد الرابع من النهار اهـ. فتأمل سياقه مع سياق المصنف.

(الورد الخامس: ما بعد ذلك إلى العصر، ويستحب فيه العكوف) أي الأقامة **(في المسجد مشتغلاً بالذكر والصلاة وفنون الخير)** أي أنواعه **(فيكون في انتظار الصلاة معتكفاً)** أي يكون جامعاً بين الاعتكاف والانتظار للصلاة، **(فمن فضائل الأعمال انتظار**

انتظار الصلاة بعد الصلاة، وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوياً كدوي النحل من التلاوة فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل في حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء

الصلاة) وقد ورد ذلك في خبر صحيح رواه الترمذي، **(وكان ذلك سنّة السلف)** رحمهم الله تعالى **(كان الداخل يدخل المسجد)** ولفظ القوت: المساجد **(بين الظهر والعصر فيسمع دوياً كدوي النحل من التلاوة)** كذا نقله صاحب القوت، **(فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه)** وقلبه، **(فالبيت أفضل في حقه)** ولفظ القوت: فالسلامة هي الافضل، **(واحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل)**.

قال صاحب العوارف: وإن أراد أن يقرأ بين الصلاتين في صلاته في عشرين ركعة في كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ في الركعة الأولى ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ [البقرة: ٢٠١] الآية وفي الثانية ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا﴾ الآية [البقرة: ٢٥٠] ثم ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة ثم ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد﴾ الآية [آل عمران: ٨] ثم ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي﴾ الآية [آل عمران: ١٩٣] ثم ﴿ربنا آمنا بما أنزلت﴾ الآية [آل عمران: ٥٣] ثم ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا﴾ الآية [الأعراف: ١٥٥] ثم ﴿فاطر السموات والأرض أنت وليي﴾ الآية [يوسف: ١٠١] ثم ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ الآية [إبراهيم: ٣٨] ثم ﴿قل رب زدني علماً﴾ [طه: ١١٤] ثم ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] ثم ﴿رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾ [الأنبياء: ٨٩] ثم ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: ١١٨] ثم ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ الآية [الفرقان: ٧٤] ثم ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ الآية [النمل: ١٩] ثم ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [غافر: ١٩] ثم ﴿ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية [الحشر: ١٠] ثم ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ الآية [الممتحنة: ٤] ثم ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ الآية .وبالمحافظة على هذه الآيات في الصلاة موطناً للقلب واللسان يوشك أن يرقى إلى مقام الإحسان، ولو ردد آية واحدة من هذه في ركعتين بين صلاة الظهر والعصر كان في جميع الوقت مناجياً لمولاه وداعياً وتالياً ومصلياً والدؤب في العمل واستيعاب الأجزاء النهارية بلذاذة وحلاوة من غير سآمة لا يصح إلا لعبد تزكت نفسه بكمال التقوى واستقصاء في الزهد في الدنيا وانتزعت منه متابعة الهوى، ومتى بقي على الشخص من التقوى والزهد بقية لا يدوم روحه في العمل بل تنشط وقتاً وتسأم وقتاً ويتناول النشاط والكسل فيه لبقاء متابعة شيء من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا، فإذا صح في الزهد والتقوى إن ترك العمل بالجوارح لا يفتر عن العمل بالقلب، فمن رام دوام الروح وإستحلاء الدؤب في العمل لئلا يفتر عن العمل فعليه بحسم مادة الهوى والهوى روح النفس لا يزول، ولكن تزول متابعته ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعاً للهوى

الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء : ثلاث يمقت الله عليها : الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل. والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالإعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً ، فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقدار استوفاه بالنهار . فحسب ابن آدم إن عاش

باستحلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم والنظر إليهم، وقد يتبع الهوى بتجاوز الإعتدال في النوم والأكل إلى غير ذلك من أقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل في الدنيا والله أعلم.

(وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ تكره نومتان بالنهار) ولفظ القوت: فإن كان قد رقد قبل الزوال فلا يرقد في هذا الورد ، فإنه تكره له نومتان في يوم كما يكره له نوم النهار من غير سهر الليل. **(قال بعض العلماء)** ولفظ القوت: وروينا عن بعض العلماء : **(ثلاث يمقت الله عز وجل عليها : الضحك من غير عجب ، والأكل من غير جوع ، ونوم النهار من غير سهر الليل) .**

قلت : وقد روي معنى ذلك في المرفوع من حديث عبد الله بن عمرو عند الديلمي ، وقال في أثناء حديث : « وإن أبغض الخلق إلى الله ثلاثة الرجل يكثر النوم بالنهار ولم يصل من الليل شيئاً ، والرجل يكثر الأكل ولا يسمي الله على طعام ولا يحمده ، والرجل يكثر الضحك من غير عجب فإن كثرة الضحك تميت القلب وتورث الفقر » .

وقال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا عبد القدوس بن بكر ، عن محمد بن نصر الحارثي رفعه إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: « ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت : الضحك من غير عجب ، والنوم من غير سهر ، والأكل من غير جوع » .

ثم قال صاحب القوت: وإن لم يكن رقد وأحب أن ينام بين الظهر والعصر يتقوى بذلك على قيام الليل فلينم فإن نوماً بعد الظهر لليلة المستقبلة ونوماً قبل الظهر لليلة الماضية ، فإن دام سهره بالليل واتصلت أوراده بالنهار حسن أن ينام قبل الظهر لما سلف من ليلته.

(والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقداراً استوفاه بالنهار) هكذا هو في القوت ولا يشترط في هذا المقدار أن يكون متوالياً بل أعم من ذلك ، فلو نام ساعتين من النهار وستاً من الليل كفاه ذلك ، والذي كنا نسمعه من أفواه الشيوخ إن حق العين عين وهي في العدد سبعون أي سبعون درجة وهي خمس ساعات زمانية إلا خمس درج ، وكان هذا أحد أقسام حد الإعتدال والثمان ساعات مائة وعشرون درجة ، فالفرق بين الحدين خمس وأربعون درجة .

ستين سنة إن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلاّ مَن يتعود السهر تدريجاً فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التي ذكرها الله تعالى إذ

(**فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشـرون سنة**) فيبقى الثلثان وينقص الثلث، وبحساب ما ذكرنا ينقص في كل شهر يوم ونصف تقريباً وفي كل سنة ثمانية عشر يوماً، (**ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث**) من أربع وعشرين (**فقد نقص من عمره**) النفيس (**ثلث، ولكن لما كان النوم غذاء للروح**) وراحته (**كما أن الطعام غذاء الأبدان**) وقوتها. قال الله تعالى: ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ [النبأ: ٩] أي راحة للبدن فإذا ارتاح البدن خف الروح ونشط، (**وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه**) لكمال حاجته إليه، (**وقدر الإعتدال هذا**) الذي ذكرناه (**والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن**) ولفظ القوت ومن الناس من قال إنه إن نقص شيئاً من نوم هذا المقدار في اليوم والليلة اضطرب بدنه (**إلا من يتعود السهر**) أي يتخذه عادة له (**تدريجاً فقد تتمرن نفسه عليه من غير اضطراب**)، فإن العادة قد تعمل عمل الطبع وتنقل عن العرف ولا يقاس عليها.

وقال صاحب العوارف: والنعاس قسم صالح من الأقسام العاجلة للمريدين، وهو أمنة لقلوبهم من منازعات النفس لأن النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال إذ في شكايتها تكدير واستراحتها بالنوم شرط العلم، والإعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطأة عند طمأنينتها للمريدين السالكين، فقد قيل: ينبغي أن يكون ثلث النهار والليل نوماً حتى لا يضطرب الجسد، فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتان من ذلك يجعلها بالنهار وست ساعات بالليل، ويزيد في أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف، وقد يكون بحسن الإرادة. وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك إذا كان بالتدريج، وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الراحة والأنس، فإن النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث في المزاج، فإن نقص من الثلث يضر بالدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم، فإذا نام عن النوم روح القلب وآنسه لا يضر نقصانه، لأن طبيعة الروح والأنس بارد رطب كطبيعة النوم، وقد يقصر مدة طول الليل وجود الروح تقصير بالروح لأوقات الليل الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر لأصل الروح، والله أعلم.

(**وهذا الورد من أطول الأوراد**) لطول مدته (**وأمتعها**) أي أكثرها متاعاً (**للعباد**) أي العابدين الذاكرين، وهو يضاهي الورد الثالث في الطول، (**وهو**) أصيل النهار، و(**أحد الآصال التي ذكرها الله تعالى**) فيه سجود كل شيء وقربه بالغدو. (**إذ قال: ﴿ولله يسجد من في**

قال: ﴿ولله يَسْجُدُ مَنْ في السَّموات والأرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وظلاَلُهُم بالغدوّ والآصال﴾ [الرعد: ١٥] وإذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات.

الورد السادس: إذا دخل وقت العصر دخل وقت الوردالسادس، وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى: ﴿والعصر﴾ [سورة العصر] هذا أحد معني الآية وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله: ﴿وعشياً﴾ [مريم: ١١]، وفي قوله: ﴿بالعشيّ والاشراق﴾ [ص:١٨] وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة ـ كما سبق في الظهر ـ ثم يصلي الفرض ويشتغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأوّل إلى أن ترتفع الشمس

السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾ فإذا سجد لله عز وجل الجمادات) التي لا روح لها. **(فكيف يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات)**. ولفظ القوت: فما أقبح أن تكون الأشياء الموات لربها ساجدات ذاكرات، والمؤمن الحي عن ربه معرض ذو غفلات.

(الورد السادس: إذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى: ﴿والعصر ★) إن الإنسان لفي خسر﴾ **(هذا أحد معني الآية)** أقسم بصلاة العصر لفضلها، والمعنى الثاني أقسم بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب وهذا المعنى الأخير رواه ابن المنذر عن ابن عباس، وروى ابن جرير عنه قال: «ساعة من ساعات النهار». وروي عنه أيضاً ما قبل مغيب الشمس من العشي». **(وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين المذكورين في قوله)**، ولفظ القوت: وهو أحد الوجهين من الوقت في الآصال الذي ذكره الله عز وجل وهو العشي الذي ذكر الله التسبيح فيه والتنزيه والحمد فقال عز وجل: **(﴿وعشياً)** وحين تظهرون﴾ **(وفي قوله: ﴿بالعشي والإشراق﴾)** فالمراد بالعشي فيهما وقت العصر، وكذا قوله تعالى: ﴿وقبل الغروب﴾ فإن المراد به صلاة العصر. **(وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر)** فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى قبل العصر أربعاً حرمه الله على النار» رواه الطبراني في الكبير. ورواه في الأوسط بلفظ: «لم تمسه النار» وإسناده ضعيف وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من صلى قبل العصر أربع ركعات غفر الله له مغفرة عزما». رواه أبو نعيم. وعن أم سلمة رضي الله عنها «من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار». وعن علي رضي الله عنه: «من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله لحمه على النار» رواه ابن النجار. وقال صاحب العوارف: يقرأ فيها إذا زلزلت والعاديات والقارعة والهاكم.

(ثم يصلي الفرض) بالجماعة ويجعل من قراءته في بعض الأيام: والسماء ذات البروج قال

إلى رؤوس الحيطان وتصفرّ والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر، فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة.

الورد السابع: إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد، وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فسبحان الله حين تُمسون وحين تصبحون ﴾ [الروم: ١٧] وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى: ﴿ فسبّح وأطراف النهار ﴾ قال الحسن: كانوا أشد تعظيماً للعشي منهم لأول النهار. وقال بعض السلف: كانوا يجعلون

صاحب العوارف: سمعت أن قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدماميل (**ويشتغل**) بالأقسام الأربعة المذكورة (**في الورد الأول**) من الأذكار والأفكار من أعمال القلوب والجوارح (**إلى أن ترتفع الشمس إلى رؤوس الحيطان**) والجدر (**وتصفر**) ويموت حرها وكانت مثلها حين تطلع، (**والأفضل فيه إذا منع من الصلاة تلاوة القرآن بتدبر**) وترتيل (**وتفهم**) وحسن تأويل (**إذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر، فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة**) المذكورة. وقال صاحب العوارف: وأفضل من ذلك مجالسة من يزهده في الدنيا، ويشد كلامه عرا التقوى من العلماء الزاهدين من المتكلمين بما يقوي العزائم من المريدين، فإذا صحت نية القائل والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الإنفراد والمداومة على الأذكار.

(**الورد السابع**): وهو آخر أوراد النهار (**إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطي نورها القتارات**) أي الغبارات (**والبخارات التي على وجه الأرض، وترى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد، وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع وهو**) الإمساء (**المراد** بقوله تعالى: ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون** ﴾) تقدم تفسير هذه الآية قريباً. (**وهو الطرف الثاني**) من النهار (**المراد بقوله تعالى:** ﴿ **وأطراف النهار** ﴾) والطرف الآخر وهو الظهر كما تقدم لأنها صلاة في آخر الطرف الأول من النهار وآخر الطرف الأخير غروب الشمس.

(**قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**كانوا أشد تعظيماً للعشي منهم لأول النهار**) نقله صاحب القوت. (**وقال بعض السلف: كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة**) نقله صاحب القوت إلا أن صاحب العوارف نقل أن خروج المريد لحوائجه وأمر معاشه في هذا الوقت أفضل وأولى من خروجه في أول النهار.

أوّل النهار للدنيا وآخره للآخرة، فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأوّل مثل أن يقول: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذ من قوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار﴾ [غافر: ٥٥] والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله: ﴿أستغفر الله إنه كان غفاراً﴾ [نوح: ١٠] ﴿واستغفره إنه كان تواباً﴾ [النصر: ٣] ﴿رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: ١١٨] ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ [الاعراف: ١٥٥] ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس ﴿والشمس وضحاها﴾ والليل إذا يغشى، والمعوّذتين، ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فإذا سمع الأذان قال: اللهم هذا اقبال ليلك

قلت: وهو يختلف باختلاف الحوائج وباختلاف الأحوال والأوضاع وباختلاف البلدان كما لا يخفى.

(**فيستحب في هذا الوقت التسبيح والإستغفار خاصة**) وإن مازجها التذكير والتلاوة (**وسائر ما ذكرناه في الورد الأول**) فهو حسن، والإستغفار والتسبيح (**مثل أن يقول: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة**) ولفظ القوت: أستغفر الله الحي القيوم وأسأله التوبة. وتقدم آنفاً أنه روي وأتوب إليه بدل وأسأله التوبة. (**وسبحان الله العظيم وبحمده**) وفي بعض النسخ هنا زيادة أستغفر الله وإن قال أستغفر الله العظيم لذنبي وسبحان الله وبحمد ربي فقد جاء بلفظ الأمر (**من قوله عز وجل: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾**) هكذا هو في سياق صاحب القوت. (**والإستغفار بالأسماء التي في القرآن أحب**) ولفظ القوت: وأستحب الإستغفار على الأسماء التي في القرآن (**كقوله: ﴿أستغفر الله إنه كان غفاراً﴾ ﴿أستغفر الله أن الله كان تواباً رحيماً﴾ ﴿رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾**) ولفظ القوت مثل أن يقول: أستغفر الله إنه كان تواباً أستغفر الله إنه كان غفاراً. أستغفر الله التواب الرحيم. رب اغفر وارحم إلى آخره. (**ويستحب أن يقرأ قبل الغروب**) السورتين: (**والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، والمعوذتين**) لما في كل منها من ذكر الشمس والليل والغروب والفلق والغاسق وغير ذلك مما يناسب الوقت، (**ولتغرب الشمس عليه وهو في الإستغفار**) فذلك مما أمر به في هذا الوقت من الأذكار.

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال « من استغفر الله إذا وجبت الشمس سبعين مرة غفر الله له سبعمائة ذنب » ولا يذنب مؤمن إن شاء الله في يومه وليله سبعمائة ذنب وكل ما يستحب من التسبيح والتحميد والدعاء والذكر في أول النهار قبل طلوع الشمس، فإنه يستحب في هذا الورد قبل الغروب لأن الله تعالى قد قرنهما بالذكر في عدة آيات.

وادبار نهارك وأصوات دعاتك ـ كما سبق ـ ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت أوراد النهار ، فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه ، فقد انقضى من طريقه مرحلة فإن ساوى يومه أمسه فيكون مغبوناً وإن كان شراً منه فيكون ملعوناً ، فقد قال ﷺ : « لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيراً » فإن رأى نفسه متوفراً على الخير جميع نهاره مترفهاً عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه ، وإن تكن الأخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر

(فإذا سمع الأذان) أي أذان المغرب **(قال: اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك)** وأصوات دعاتك وحضور صلواتك وشهود ملائكتك صل يا رب على محمد وعلى آله واعطه الفضيلة والوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته **(كما سبق)** في كتاب الصلاة. **(ثم يجيب المؤذن)** بما تقدم ذكره في كتاب الصلاة وليقل: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ثلاثاً. وكذلك يقول عند أذان الغداة إلا أنه يقول: إدبار ليلك وإقبال نهارك، والنص بهذا في صلاة المغرب فلذلك اقتصر عليه المصنف. **(ويشتغل بصلاة المغرب)** مع الجماعة **(وبالغروب)** أي إذا توارت بالحجاب **(قد انتهت أوراد النهار)** السبعة، **(فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه)** ويدقق عليها ماذا انقضى له معها ، وماذا انقضى منه عندها ، وماذا قضى عليه فيها **(فقد انقضى من طريقه مرحلة)** ونقص من أيامه يوم ، فماذا قطع في سفره بقطع رحلته ، وماذا ازداد في غده ما نقص من يومه **(فهل ساوى يومه أمسه فيكون مغبوناً أو كان شراً منه فيكون ملعوناً)** والناس على وفاق شار نفسه فمعتقها أو راهنها فموبقها. وقال تعالى: ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ وقال تعالى: ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وأشار المصنف بسياقه إلى قوله ﷺ : « من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له، ومن اشتاق إلى الجنة سارع في الخيرات ». رواه الديلمي من حديث محمد بن سوقة عن الحارث عن علي رضي الله عنه وسنده ضعيف. **(وقد قال ﷺ : « لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيراً »)** تقدم في الباب الأول من كتاب العلم، إلا أنه قال: « علماً » بدل « خيراً »، **(فإن رأى نفسه متوفراً على الخير)** مقبلاً عليه **(جميع نهاره مترفهاً عن التجشم)** أي المشقة **(كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه)** له **(وتسديده إياه لطريقه)** حيث أعانه على فعل الخير، **(وإن تكن الاخرى فالليل خلفة النهار)** وفي بعض النسخ خلفة سيار، **(فليعزم على تلافي ما سبق)** أي تداركه **(من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات)** كما في الكتاب العزيز، وفي السنة الصحيحة « وأتبع السيئة الحسنة تمحها ». **(فليشكر الله على صحة جسمه)** وسلامة بدنه **(وبقاء بقية عمره إلى أول ليله)** وفي نسخة: طول الليل. **(ثم يشتغل**

تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع، وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياماً معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها.

بيان أوراد الليل وهي خمسة:

الأوّل: إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة، وقد أقسم الله تعالى به فقال: ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ [الانشقاق: ١٦] والصلاة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشوء ساعاته

بتدارك تقصيره) في أعمال الجوارح والقلب، **(وليحضر قلبه إن نهار العمر ولو طال)** وامتد **(له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون له بعدها طلوع)** أبداً. **(وعند ذلك يغلق باب التدارك و)** يسد وجه **(الاعتذار)** فلا يمكنه التلافي ولا تقبل المعذرة **(فليس العمر)** إذا حققت **(إلا أياماً معدودة)** وساعات معلومة **(تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها)** فإن استربت ذلك فانظر من سلفك كيف كانوا وإلى أين صاروا. اللهم اختم لنا منك بخير يا أرحم الراحمين. وقد دخلت أوراد الليل الخمس فتدارك الآن فيما يستقبل من الليل ما فات فيما مضى من النهار، وقد روى أبو هريرة، عن النبي ﷺ: « إن الله عز وجل يبغض كل جعظري جواظ صخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة ».

بيان أوراد الليل وهي خمسة:

(الأول: إذا غربت الشمس صلى المغرب) كما سبق **(واشتغل بإحياء ما بين العشاءين)** إذ هو من أهم الأمور عندهم، **(وآخر هذا الورد غيبوبة الشفق)** محركة **(أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العشاء الآخرة)**. وفي هذه المسألة اختلاف بين أئمة اللغة وبين الفقهاء، ففي المفردات للراغب الشفق: اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس، وفي المصباح الشفق: الحمرة من الغروب إلى وقت العشاء الأخيرة فإذا ذهب قيل غاب حكاه الخليل. وقال الفراء: سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب كالشفق وكان أحمر. وقال ابن قتيبة: الشفق الأحمر من الغروب إلى وقت العشاء الآخرة ثم يغيب ويبقى الأبيض إلى نصف الليل، وقال الزجاج: الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وهذا هو المشهور في كتب اللغة، وهو قول الشافعي وجماعة من الأئمة. وقيل الشفق البياض وهو قول أبي هريرة وجماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي حنيفة وصاحبيه وجماعة من أئمة اللغة، ويروى عن أبي حنيفة قول آخر انه الحمرة وتفصيل ذلك بالاحتجاج لكل من الفريقين في كتب الفروع.

(وقد أقسم الله تعالى به) في كتابه العزيز **(فقال: ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾)** والشفق ما بين العشاءين **(والصلاة في ذلك الوقت هي ناشئة الليل)** المذكورة في القرآن: ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾ أي ساعته لأنه أول نشء ساعاته. وقيل: المراد به قيام الليل. وفي لسان

وهو إِنْيٌ من الآناء المذكورة في قوله تعالى: ﴿ومن آناء الليل فسبّح﴾ [طه: ١٣٠] وهي صلاة الاوّابين وهي المراد بقوله تعالى: ﴿تتجافَى جنوبُهم عن المضاجع﴾ [السجدة: ١٦] روي ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله ﷺ أنه سئل عن هذه الآية فقال ﷺ: « الصلاة بين العشاءين » . ثم قال ﷺ: « عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره » والملاغات جمع ملغاة من اللغو. وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال: لا تفعل فإنها الساعة المعنية بقوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن

الحبشة يقولون: نشأ إذا قام، **(وهو إِنْيٌ)** بكسر الهمزة وسكون النون بمعنى الوقت **(من الآناء)** أي الأوقات المذكورة **(في قوله عز وجل: ﴿ومن آناء الليل فسبح﴾)** والمراد بآناء الليل هنا العشاء الأخيرة **(وهي)** أي الصلاة في هذا الوقت هي **(صلاة الأوابين)** ويقال: صلاة الغفلة، **(وقيل: هي المراد بقوله: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ روي ذلك عن الحسن)** أي البصري في القوت. قال يونس بن عبيد، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿تتجافى﴾ الآية قال: الصلاة ما بين العشاءين، **(وأسنده ابن أبي زياد)** هكذا في النسخ المعتمدة من الكتاب، وهكذا هو في نسخ القوت، ووجد في بعض نسخ الكتاب ابن أبي زيادة، وفي بعضها ابن أبي الزناد وهي النسخة التي اطلع عليها الحافظ العراقي فاعترض عليه وفي بعض نسخ القوت ابن أبي الدنيا وهو غلط **(إلى النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية)** ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ **(فقال ﷺ: « الصلاة بين العشاءين » ثم قال « عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها مذهبة لملاغاة النهار ومهذبة آخره »)**. وفي بعض النسخ: « فإنها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره » . وهكذا هو في القوت قال: **(والملاغاة جمع ملغاة من اللغو)** أي تسقط اللغو وتصفي آخره هذا لفظ القوت، ولا يخفى أن الملاغاة مفاعلة من اللغو. وأما الملغاة فجمعه الملاغي كمسعاة ومساع فتأمل ذلك.

قال العراقي: نسبة المصنف هذا إلى ابن أبي الزناد معترض إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت. رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش، حدثنا أبو العلاء العنبري، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: « عليكم بالصلاة فيما بين العشاءين فإنها تذهب بملاغاة النهار ومهذبة آخره » . وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني، واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش اهـ.

قلت: هو في كتاب الديلمي ومهذرة آخره، وقد ذكر الذهبي إسماعيل هذا في ديوان الضعفاء وأنه روى عن أبي عون وأنه كان ممن يضع الحديث، ونقله عن الدارقطني وذكر إسماعيل بن أبي زياد آخر يعرف بالشفري قال ابن معين وهو كذاب ولكن المراد هو الأول المعروف الشامي.

(وسئل أنس) بن مالك رضي الله عنه **(عمن ينام بين العشاءين)** أي بين المغرب والعشاء **(فقال: لا يفعل ذلك فإنها الساعة المعنية)** أي المرادة **(بقوله عز وجل (تتجافى جنوبهم**

المضاجع﴾ وسيأتي فضل احياء ما بين العشاءين في الباب الثاني. وترتيب هذا الورد أن يصلي بعد المغرب ركعتين أولاً يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي أربعاً يطيلها ثم يصلي إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له. وإن كان المسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته

عن المضاجع﴾) ولفظ القوت فإنها هي الساعة التي وصف الله المؤمنين بالقيام فيها فقال: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ يعني الصلاة بين المغرب والعشاء.

قلت: رواه ابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء، ورواه الترمذي وحسنه بلفظ: « نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة » وسيأتي في فضل إحياء ما بين العشاءين أن السائل هي امرأة أنس. رواه فضيل بن عياض عن أبان بن أبي عياش. **(وسيأتي فضل إحياء ما بين العشاءين في الباب الثاني)** من هذا الكتاب.

(وترتيب هذا الـورد أن تصلي) إذا فرغ المؤذن من أذان المغرب ركعتين خفيفتين بين الأذان والإقامة. قال صاحب العوارف: وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين في البيت يعجلون بهما قبل الخروج إلى الجماعة كيلا يظن الناس أنها سنة مرتبة فيقتدى بهم ظناً منهم أنها سنة اهـ.

وفي هاتين الركعتين خلاف بين العلماء تقدم ذكره في كتاب الصلاة، وتقدم الكلام أيضاً على حديث بريدة: « بين كل أذانين صلاة ». ثم تصلي **(بعد)** الفراغ من صلاة **(المغرب ركعتين أولاً)** وهما ركعتا سنة المغرب **(تقرأ فيهما: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وتصليهما عقيب)** فرض **(المغرب)** يعجل بهما **(من غير تخلل كلام وشغل)** بشيء يقال: إنهما ترفعان مع صلاة المغرب، ثم تسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فتقول: مرحباً بملائكة الليل مرحباً بالملكين الكاتبين اكتبا في صحيفتي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط حق والميزان حق إن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور. اللهم إني أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي. اللهم احطط بها وزري واغفر بها ذنبي وثقل بها ميزاني وأوجب لي بها أماني وتجاوز بها عني يا أرحم الراحمين. قال صاحب القوت: فإن كان منزله قريباً من مسجده فلا بأس أن يركعها في بيته، وكان أحمد يصليها في بيته ويقول: هي سنته لأن رسول الله ﷺ كان يصليها في بيته.

قلت: قد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الصلاة.

(ثم تصلي أربعاً تطيلهن) فالجميع ست ركعات إلا أن في الأوليين يستحب الإسراع والتخفيف، وفي الأربع الإطالة والتأني، **(ثم يصلي إلى غيبوبة الشفق)** الثاني وهو البياض الذي يكون بعد ذهاب الحمرة وبعد غسق الليل وظلمته لأنه آخر ما يبقى من شعاع الشمس في القطر الغربي إذا قطعت الأرض العليا ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق **(ما تيسر له)** من الصلوات. ذكره صاحب العوارف منها ركعتين بسورة البروج والطارق، ثم ركعتين يقرأ في

إن لم يكن عزمه العكوف في المسجد، وإن عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمنا من التصنع والرياء.

الورد الثاني: يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس وهو أوّل استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال: ﴿والليل وما وسق﴾ [الانشقاق: ١٧] أي وما جمع من ظلمته. وقال: ﴿ إلى غسق الليل﴾ [الاسراء: ٧٨] فهناك يغسق الليل وتستوثق ظلمته. وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور.

الأوّل: أن يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين

الأولى عشر آيات من أول البقرة والآيتين وإلهكم إله واحد، وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد، ويقرأ في الأخرى سورة الزمر والواقعة ويصلي بعد ذلك ماشاء، وإن أراد أن يقرأ شيئاً من حزبه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها فعل، وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الإخلاص والفاتحة، ولو واصل العشاءين بركعتين طويلتين يطيل فيهما القيام فحسن، وإن كرر فيهما قوله تعالى: ﴿ربنا عيك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [الممتحنة: ٤] وآية أخرى في معناها كان جامعاً بين التلاوة والصلاة والدعاء ففي ذلك المهم وظفر بالفضل.

(**فإن كان المسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليهن في بيته إن لم يكن عزمه**) أي نيته (**العكوف في المسجد، وإن عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل**) لما روي في فضل ذلك من الآثار (**إذا كان آمناً من**) دخول آفة (**التصنع والرياء**) وإلا فالبيت أسلم له نقله صاحب القوت بنحوه.

وقال صاحب العوارف: فإن واصل بين العشاءين في مسجد جماعة يكون جامعاً بين الإعتكاف ومواصلة العشاءين، وإن رأى انصرافه إلى منزلة والمواصلة بين العشاءين في بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الإخلاص وأجمع للهم فليفعل اهـ.

(**الورد الثاني: بدخول وقت العشاء**) وهو غيبوبة الشفق أما الأحمر أو الأبيض على اختلاف المذاهب (**إلى حد نوم الناس وهو أول استحكام الظلام**) واشتداده، (**وقد أقسم الله عز وجل به**) في كتابه العزيز إذ قال: (**﴿والليل وما وسق﴾ أي وما جمع الله من ظلمته**) يقال: وسقه وسقا أي جمعه (**وقال تعالى: ﴿إلى غسق الليل﴾**) وهو شدة ظلمته، (**فهناك يغسق الليل وتستوثق ظلمته**) كذا في القوت وفيه يستحب النوم.

(**وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور. الأول: أن يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات. أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين**) أي الأذان والإقامة يقرأ فيهن الفاتحة والإخلاص ثلاثاً. (**وستاً بعد الفرض ركعتين وأربعاً**) لما روي عن ابن مسعود أنه كان يكره أن يصلي بعد كل صلاة مثلها وقد تقدم ذلك للمصنف. ويقال: إن الأربع بعد صلاة العشاء في

الأذانين وستاً بعد الفرض ركعتين، ثم أربعاً ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأوّل الحديد وآخر الحشر وغيرها.

والثاني: أن يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه أكثر ما روي أن النبي ﷺ صلى بها من الليل. والأكياس يأخذون أوقاتهم من أوّل الليل والأقوياء من آخره والحزم

بيته يعدلن مثلهن في ليلة القدر، وكان رسول الله ﷺ يصليهن في بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس كذا في القوت.

وقال صاحب العوارف: ويصلي بعد العشاء ركعتين ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلي أربعاً أخرى، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي في بيته أول ما يدخل قبل ما يجلس اهـ.

(ويقرأ فيها من الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وغيرها) ولفظ القوت: وإن قرأ في الأولى من الأربع آية الكرسي والآيتين بعدها، وفي الثانية آمن الرسول والآية قبلها، وفي الثالثة أول الحديد إلى قوله: ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ وفي الرابعة: آخر الحشر من قوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ فقد أخر وأصاب.

ولفظ العوارف: ويقـرأ في هذه الأربع سورة السجدة ولقمان ويس وحم الدخان وتبارك، وإن أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسي وآمن الرسول وأول الحديد وآخر الحشر اهـ.

ويروى عن ابن عباس رفعه« من صلى أربع ركعات خلف العشاء الآخرة قرأ في الركعتين الأولين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وقرأ في الركعتين الأخيرتين« تبارك الذي بيده الملك، والم تنزيل كتبن له كأربع ركعات من ليلة القدر ». ورواه الطبراني وابن صصري وأبو الشيخ.

(الثاني: أن يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه) أي أن هذا القدر **(أكثر ما روي عن رسول الله ﷺ صلى به من الليل)** إلا في خبر مقطوع وهو سبع عشرة ركعة، والمشهور أنه كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة، وربما حسبوا فيها ركعتي الفجر هذا لفظ القوت. وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة.

وقال العراقي: روى أبو داود من حديث عائشة « لم يكن يوتر بما نقص من سبع إلا بأكثر من ثلاث عشرة » وللبخاري من حديث ابن عباس « كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة » يعني بالليل. ولمسلم « كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة » وفي رواية للشيخين « منها ركعتا الفجر » ولهما أيضاً « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ».

قلت: وقد أوسعت الكلام عليه في كتاب الصلاة.

(والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل، والأقوياء) يأخذون أورادهم **(من آخره)**

التقديم فإنه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلاثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي ﷺ يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة ، فإن

كذا في القوت قال: ورواه المبارك بن عوف الأحمس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، **(والحزم التقديم فإنه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام)** لعارض طرأ عليه **(إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل)** في حقه **(أفضل)** . ويروى أنه ﷺ قال لأبي بكر : « متى توتر ؟ » فقال: في أول الليل . وقال لعمر : « متى توتر ؟ » قال: في آخر الليل. فقال لأبي بكر : « حذر هذا » وقال لعمر « قوي هذا ». ويروى أنه قال لأبي بكر « مثلك كالذي قال أحرزت[1] وابتغى النواهدا وقال لعمر إنك لقوي إنك ».

(ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلاثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي ﷺ يكثر من قراءتها مثل: يس، وسورة لقمان، وسورة الدخان، وتبارك الملك، والزمر، والواقعة) . ولفظ القوت: واستحب له أن يقرأ في ركوعه هذا ثلاثمائة آية فصاعداً ، فإذا فعل ذلك لم يكتب من الغافلين ، ودخل في أحوال العابدين ، فإن قرأ في ركوعه هذا سورة الفرقان ، وسورة الشعراء ففيها ثلاثمائة آية فإن لم يحسن قراءتها قرأ خمساً من المفصل فهي ثلاثمائة آية . سورة الواقعة ، وسورة ن ، وسورة الحاقة ، وسورة المدثر ، وسورة الواقع فإن لم يحسن فإن من سورة الطارق إلى خاتمة القرآن ثلاثمائة آية ، ولا أستحب للعبد أن ينام حتى يقرأ هذا المقدار من الآي في هذا العدد من الركوع بعد عشاء الآخرة ، فإن قرأ في هذا الورد الثاني بعد عشاء الآخرة وقبل أن ينام ألف آية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الاجر وكتب من القانتين. وأفضل الآي أطولها لكثرة الحروف ، وإن اقتصر على قصار الآي عند فتوره أدرك الفضل لحصول العدد ، ومن سورة الملك إلى خاتمة القرآن ألف آية فإن لم يحسن ذلك قرأ قل هو الله أحد مائتين وخمسين مرة في ثلاث عشرة ركعة ، فإن فيها ألف آية فهذا فضل عظيم . وفي الخبر « من قرأها عشر مرات بنى الله عز وجل له قصراً في الجنة » ولا يدع أن يقرأ هذه الأربع سور في كل ليلة : سورة يس ، وسجدة لقمان ، وسورة الدخان ، وتبارك الملك . فإن ضم إليهن الزمر والواقعة فقد أكثر وأحسن اهـ .

قلت : سورة الفرقان سبع وسبعون آية وسورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية جميع ذلك ثلاثمائة آية وأربع آيات ، والمعروف أن سورة الشعراء مائتان آية وسبع آيات فيكون الجميع مائتين وأربعاً وثمانين آية . وأما سورة الواقعة فعند أهل المدينة تسع وتسعون آية وعند أهل البصرة سبع وتسعون آية ، وعند أهل الكوفة ست وتسعون آية . وسورة ن إثنتان وخمسون آية ، وسورة الحاقة مثلها ، وسورة المدثر خمس وخمسون آية . وقوله : وسورة الواقع هكذا ذكره الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره في كتابه الغنية ، والمراد بها سأل سائل : قال بعض العلماء : وأظنها سورة المرسلات

---

(١) هنا بياض بالأصل.

....

لأن فيها قوله ﴿إنما توعدون لواقع﴾ والمعارج ثلاث وأربعون آية. وقيل: أربع وأربعون. والمرسلات خمسون آية، وقيل: ثلاث وخمسون. وقد نقل صاحب العوارف كلام صاحب القوت واختصره وقال: فإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر، وأما ما ذكره صاحب القوت في فضل من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات فقد رواه أحمد والطبراني وابن السني عن معاذ بن انس بزيادة. فقال عمر: إذا نستكثر. فقال ﷺ: «الله أكثر وأطيب» وقد ظهر من سياق صاحب القوت استحباب قراءة هذه السور للمريد، ولم ينسب ذلك إلى النبي ﷺ ولا أنه كان يكثر من ذلك، ولذا قال العراقي: إنه غريب لم أقف على ذكر الإكثار فيه.

وأما فضائل هذه السور الست فعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً «من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له» رواه أبو نعيم في الحلية.

وعن الحسن عن جندب البجلي رفعه «من قرأ يس ابتغاء وجه الله تعالى غفر الله له» رواه ابن حبان والضياء، ورواه الدارمي والعقيلي وابن السني وابن مردويه والبيهقي والضياء من حديث أبي هريرة وصوّب.

وعن معقل بن يسار رفعه بلفظ: «غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البيهقي.

وعن حسان بن عطية رفعه «من قرأ يس فكأنما قرأ القرآن عشر مرات» رواه البيهقي أيضاً.

وعن أبي هريرة مرفوعاً «من قرأ يس كل ليلة غفر له» رواه البيهقي أيضاً وفي رواية له «غفر الله له تلك الليلة».

وعن أبي سعيد مرفوعاً «من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين» رواه البيهقي أيضاً.

وعن ابن عباس مرفوعاً «من قرأ يس في كل ليلة أضعف على غيرها من القرآن عشراً ومن قرأها في صدر النهار وقدمها بين يدي حاجته قضيت» رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب.

ولأبي منصور المظفر بن الحسن القونوي في فضائل القرآن من حديث علي «يا علي أكثر من قراءة يس» الحديث. قال العراقي: وهو منكر.

وأما فضائل سورة السجدة فسيأتي قريباً.

وأما فضل سورة الدخان، فعن أبي رافع رضي الله عنه «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوج من الحور العين» رواه الدارمي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» رواه الترمذي والبيهقي وضعفاه. وعنه أيضاً «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر

لم يصلّ فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم، **فقد روي في ثلاثة أحاديث ما كان يقرأه** رسول الله ﷺ **في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك والزمر والواقعة**. **وفي رواية الزمر وبني إسرائيل. وفي أخرى انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول**

له» رواه الترمذي وضعفه، وابن السني، والبيهقي. وعنه أيضاً «من قرأ حم الدخان ويس أصبح مغفوراً له» رواه ابن الضريس، والبيهقي بسند ضعيف.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه رفعه «من قرأ الدخان في ليلة جمعة ويوم جمعة بنى الله له بيتاً في الجنة» رواه الطبراني، وابن مردويه.

وعن الحسن مرسلاً «من قرأ سورة الدخان في ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه ابن الضريس.

وأما فضل السورتين بعدها فسيأتي قريباً.

وأما فضل سورة الواقعة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» رواه الحرث بن أبي أسامة، والبيهقي، وابن عساكر.

وعن ابن عباس مرفوعاً «من قرأ كل ليلة إذا وقعت الواقعة لم يصبه فقر أبداً» رواه ابن عساكر.

(**فإن لم يصلِّ فلا يدع قراءة هذه السور**) كلها (**أو بعضها قبل النوم، فقد روي في ثلاثة أحاديث ما كان يقرأه النبي ﷺ في كل ليلة. أشهرها**) : أنه لم يكن ينام حتى يقرأ سورة (**السجدة وتبارك الملك**) كذا في القوت.

قال العراقي: روى الترمذي من حديث جابر «كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك» اهـ.

قلت: وعن أبي فروة الأشجعي رضي الله عنه «من قرأ الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام» رواه الديلمي.

وعن البراء رضي الله عنه رفعه «من قرأ الم تنزيل السجدة وتبارك قبل أن ينام نجا من عذاب القبر ومن الفتانين» رواه أبو الشيخ والديلمي، وفيه سوار بن مصعب متروك.

وعن عائشة رضي الله عنها «من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك واقتربت كن له نوراً» ورواه أبو الشيخ في الثواب، وقول المصنف أشهرها أي أشهر الأحاديث الثلاثة، والمراد بالشهرة الشهرة اللغوية.

(**وفي رواية**) ولفظ القوت والذي بعده أي في الشهرة أنه كان يقرأ في كل ليلة سورة (**الزمر وبني إسرائيل**) رواه الترمذي من حديث عائشة «كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر» وقال: حسن غريب، (**وفي أخرى**) : ولفظ القوت والقريب منها (**أنه كان ﷺ يقرأ**

فيها آية أفضل من ألف آية، وكان العلماء يجعلونها ستاً فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى إذ في الخبر: «انه ﷺ كان يحب سبح اسم ربك الأعلى، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور: سبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، والإخلاص. فإذا فرغ قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات».

الثالث: الوتر. وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام. قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر، وإن كان معتاداً صلاة الليل فالتأخير أفضل. قال ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة».

المسبحات) وهي خمس سور الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن **(في كل ليلة ويقول فيها)** وفي نسخة فيهن **(آية أفضل من ألف آية)** رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن، والنسائي في الكبير من حديث عرباض بن سارية قاله العراقي.

قال صاحب القوت: **(وكان العلماء يجعلونها ستاً ويزيدون)** في المسبحات الخمس سورة **(سبح اسم ربك الأعلى إذ في الخبر «أن النبي ﷺ كان يحب سبح اسم ربك الأعلى»)** فهذا يدل على أنه كان يكثر قراءتها كذا في القوت.

وقال العراقي: رواه أحمد والبزار من حديث علي بسند ضعيف اهـ.

قلت: ولفظها «كان يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى» وفي السند ثور بن ابي فاختة وهو متروك.

(وكان النبي ﷺ يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور: سبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وسورة الإخلاص) قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبيّ بن كعب بإسناد صحيح، وتقدم في الصلاة من حديث أنس.

(فإذا فرغ) من وتره **(قال: «سبحان الملك القدوس)** رب الملائكة والروح» **(ثلاث مرات)** هكذا نقله صاحب القوت.

(الثالث: الوتر) قد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة، **(وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام)** من الليل بنية الخبر المروي فيه، **(قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر»)** متفق عليه بلفظ «أن أوتر قبل أن أنام». **(وإن كان معتاداً صلاة الليل)** او كان واثقاً بنفسه على قيامه **(فالتأخير)** إلى آخر صلاته من تهجده أو إلى السحر **(أفضل. قال رسول الله ﷺ «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة»)** الكلام على هذا الحديث من وجوه.

الأول: أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، والنسائي من طريق مالك، عن سالم، عن ابن

....

عمر. ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من طريق الليث، عن نافع، عن ابن عمر أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن صلاة الليل، فقال «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» وأخرج مسلم، والنسائي، وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، والبخاري والنسائي من طريق شعيب بن أبي حمزة، ومسلم والنسائي من طريق عمرو بن الحرث، والنسائي من طريق محمد بن الوليد الزبيدي، أربعتهم عن الزهري عن سالم عن ابن عمر.

الثاني: قوله «مثنى مثنى» أي اثنين اثنين وهو ممنوع من الصرف للعدل والوصف. وفي صحيح مسلم عن عقبة بن حريث فقيل لابن عمر ما مثنى مثنى؟ فقال: يسلم من كل ركعتين، وفائدة تكرير ذلك مجرد التأكيد.

الثالث: فيه أن الأفضل في نافلة الليل أن يسلم من كل ركعتين وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد والجمهور. ورواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة والحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة وسالم بن عبد الله بن عمر ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي وغيرهم. وحكاه ابن المنذر عن الليث بن سعد، وحكاه ابن‌عبد البر عن ابن‌أبي ليلى وأبي ثور وداود، وقال الترمذي في جامعه: والعمل على هذا عند أهل العلم أن صلاة الليل مثنى، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق اهـ.

وقال أبو حنيفة: الأفضل أن يصلي أربعاً أربعاً وإن شاء ركعتين وإن شاء ستاً وإن شاء ثمانياً وتكره الزيادة على ذلك.

الرابع: استدل بمفهومه على أن نوافل النهار لا يسلم فيها من كل ركعتين، بل الأفضل أن يصليها أربعاً. وبهذا قال أبو حنيفة وصاحباه ورجح ذلك بفعل راويه، فقد صح عنه أنه كان يصلي بالنهار أربعاً أربعاً. ورواه ابن أبي شيبة عنه، وعن نافع مولاه والنخعي ويحيى بن سعيد الأنصاري. وحكاه ابن المنذر عن إسحاق بن راهويه. وحكاه ابن عبد البر عن الاوزاعي، وذهب مالك والشافعي وأحمد إلى أن الأفضل في نوافل النهار أيضاً التسليم من كل ركعتين. ورواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة، والحسن، وابن سيرين، وسعيد بن جبير، وحماد بن أبي سليمان. وحكاه ابن المنذر عن الليث. وحكاه ابن عبد البر عن ابن أبي ليلى وأبي يوسف ومحمد وأبي ثور وداود، والمعروف عن أبي يوسف ومحمد في نوافل النهار ترجيح أربع على ركعتين وقد تقدم.

الخامس: قوله «فإذا خفت» دليل على خروج وقت الوتر بطلوع الصبح وهو مذهب الشافعية والحنفية والجمهور، إلا أن المالكية قالوا: إنما يخرج بطلوع الفجر وقته الاختياري ويبقى وقته الضروري إلى صلاة الصبح هذا هو المشهور عندهم. وحكى ابن المنذر عن جماعة من السلف أن وقته يمتد إلى صلاة الصبح.

السادس: قوله «فأوتر بركعة» فيه دليل مذهب مالك والشافعي وأحمد في جواز الوتر بركعة

وقالت عائشةرضي الله عنها: «أوتر رسول الله ﷺ أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر». وقال علي رضي الله عنه: الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وتراً بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل، وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك. هذا ما روي عنه. والطريق الأوّل والثالث لا بأس به، وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي أن ينقض. وروي مطلقاً أنه ﷺ قال: «لا وتران في

مفردة. ورواه البيهقي في سننه عن جماعة من الصحابة. وقال أبو حنيفة: يوتر بثلاث. وروي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وأبيّ وأبي أمامة وأنس وابن عباس وعمر بن عبد العزيز.

السابع: دل هذا الحديث على أن صلاة الليل لا حصر لها في العدد، وإنما يصلي بحسب ما تيسر له من العدد إلى أن يخشى الصبح فيأتي بالوتر في آخر صلاته.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها «أوتر رسول الله ﷺ أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر»**) رواه البخاري ومسلم.

(**وقال علي رضي الله عنه: الوتر على ثلاثة أنحاء**) أي أنواع: (**إن شئت أوترت من أول الليل ثم صليت ركعتين يعني أنه يصير وتراً بما مضى، وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت شفعت إليها أخرى فأوترت من آخر الليل، وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك، هذا ما روي عنه. والطريق الأول**) هو أن يوتر أول الليل ثم ينام ثم يقوم فيصلي مثنى مثنى، (**والثالث**) هو أن يؤخر وتره مرة واحدة فيأتي به في آخر صلاته (**لا بأس به، وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي أن ينقض**) قال العراقي: إنما صح من قول عائذ بن عمرو وله صحبة كما رواه البخاري، وقول ابن عباس كما رواه البيهقي ولم يصرح المصنف بأنه مرفوع، فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة.

(**وروي مطلقاً أنه ﷺ قال: «لا وتران في ليلة»**) أي إن نام على وتر ورزق القيام لم يوتر بعده وكفاه الأول. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث طلق بن علي اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد. وقال عبد الحق: صحيح. وقوله «لا وتران» هذا على لغة من ينصب المثنى بالألف كقراءة من قرأ ﴿إن هذان لساحران﴾ واستشكل بأن المغرب وتر وهذا وتر فيلزم وقوع وترين في ليلة، ورد بأن المغرب وتر النهار وهذا وتر الليل، وبأن المغرب الوتر المفروض وهذا وتر النفل.

وقال الولي العراقي في شرح التقريب: لو أوتر ثم أراد التنفل لم يشفع وتره على الصحيح المشهور

ليلة » ولمن يتردّد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً على فراشه عند النوم كان رسول الله ﷺ يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت، وألهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد. وفي رواية: قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة. وإفراد العبادة لله تعالى، فقيل: ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ما مضى شفعاً بهما. وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكي. وقال فيه: ثلاثة أعمال قصر الأمل، وتحصيل الوتر، والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنها لو شفعتا ما

عند أصحابنا وغيرهم، وقيل: يشفعه بركعة ثم يصلي، وإذا لم يشفعه فهل يعيد الوتر آخراً؟ فيه خلاف عند المالكية. وقال الشافعي: لا يعيد لحديث « لا وتران في ليلة » اهـ.

(وإن تردد في استيقاظه فليفعل ما استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً على فراشه عند النوم. كان النبي ﷺ يزحف إلى فراشه ويصليهما) تقدم في كتاب الصلاة أنه رواه مسلم من حديث « كان يصلي بعد الوتر جالساً ركعتين » ورواه أحمد من حديث أبي أمامة والبيهقي من حديث أنس بنحوه، وليس فيه يزحف إلى فراشه. **(ويقرأ فيهما)** جالساً: **(إذا زلزلت الأرض، وألهاكم التكاثر)** فقد جاء ذلك في حديثين: أن النبي ﷺ يقرأ فيهما بذلك **(لما فيهما)** أي في التكاثر والزلزلة **(من التحذير والوعيد)** والتخويف والوعظ. **(وفي رواية: قل يا أيها الكافرون)** بدل التكاثر **(لما فيها من التبرئة)** من عبادة سوى المعبود **(وإفراد العبادة لله عز وجل)** بالتوحيد. زاد صاحب القوت: وكان رسول الله ﷺ يقرأ بها عند النوم وأوصى رجلاً بقراءتها عند النوم.

(فقيل: إن) كان قد صلى ركعتين من جلوس بعد وتره الأول ثم **(استيقظ)** للصلاة **(قامتا مقام ركعة واحدة)** تشفع له ركعة الوتر التي صلاها قبلها **(وكان له أن)** يستأنف الصلاة بالليل ما بدا له، ثم **(يوتر في آخر صلاته)** بركعة، **(فكأنه صار ما مضى شفعاً بهما وحسن استئناف الوتر. واستحسن هذا)** الإمام **(أبو طالب المكي)** في القوت بعد أن نقل عن بعض العلماء أنه يصلي ركعة واحدة يشفع بها وتره من أول الليل ثم يصلي صلاته من الليل ويوتر آخر صلاته، وقد روي في هذا أثر عن عثمان وعلي رضي الله عنهما **(وقال فيه: ثلاثة أعمال قصر الأمل، وتحصيل الوتر، والوتر من آخر الليل)** هكذا لفظه في القوت.

وتبعه صاحب العوارف فقال: وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ما يشاء ويوتر في آخر ذلك، وإذا كان في الوتر في أول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً يقرأ فيهما بإذا زلزلت وألهاكم، وقيل: الركعتان قاعداً بمنزلة الركعة فإنما تشفع له الوتر حتى إذا أراد التهجد يأتي به ويوتر في آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لا غير ذلك، وكثيراً رأيت الناس يتفاوضون في كيفية نيتهما اهـ.

مضى لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأوّل فكونه مشفعاً ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله ﷺ إيتاره قبلها واعادته الوتر ، فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وتر بمعناها فيحسب وتراً إن لم يستيقظ وشفعاً إن استيقظ ، ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت . روي أنه ﷺ ما مات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة ، وقد قال : « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد » وذلك يدل على صحة النافلة نائماً .

الورد الثالث: النوم . ولا بأس أن يعد ذلك في الأوراد فإنه إذ روعيت آدابه

وقد نظر المصنف في كلام صاحب القوت ، **(وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك ، وإن لم يستيقظ ويبطل وتره الأول فكونه مشفعاً إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر)** ظاهر ، **(إلا أن يصح عن رسول الله ﷺ إيتاره قبلها وإعادته الوتر ، فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وتر بمعناها فيحسب وتراً إن لم يستيقظ وشفعاً إن استيقظ)** .

قلت : قد ثبت أن النبي ﷺ أوتر من أول الليل وأوسطه وآخره ، وثبت أنه كان يصلي ركعتين جالساً على فراشه عند النوم ، فإذا فرض إيتاره ﷺ في أول الليل ، ثم صلاة ركعتين عند النوم مع ثبوت قيامه ﷺ كل ليلة ، وايتاره بتسع وإحدى عشرة وبثلاث عشرة ، فإذا جمعت هذه الروايات ثبت ضمناً صحة إيتاره قبلها ، وأنه كان يعيد الوتر في تلك الصورة الخاصة . أعني إذا أوتر من اول ليلة .

(ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت) ثلاث مرات . نقله صاحب القوت ، وتقدم للمصنف قريباً الاقتصار على الجملة الأولى وصرح فيه بالعدد .

(وروي « أنه ﷺ ما مات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة ») قال العراقي : متفق عليه من حديث عائشة لما بدن ﷺ وثقل كان أكثر صلاته جالساً ، **(وقد قال ﷺ « للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد »)** قال العراقي : رواه البخاري من حديث عمران بن حصين انتهى . **(وذلك يدل على صحة النافلة نائماً)** أي مضطجعاً على الفراش كهيئة النائم .

(الورد الثالث : النوم ، ولا بأس أن يعد ذلك في) جملة **(الأوراد)** الليلية **(فإنه إذا**

احتسب عبادة، فقد قيل: ان العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصلياً حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله. وفي الخبر: «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش» هذا في العوام فكيف بالخواص، والعلماء وأرباب القلوب الصافية فإنهم يكاشفون بالأسرار في النوم، ولذلك قال ﷺ: «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح». وقال معاذ لأبي موسى: كيف تصنع في

روعيت آدابه) الآتي ذكرها **(احتسب عبادة)** شرعية، **(فقد نقل)** وفي نسخة: فقد قيل **(أنه إذا نام العبد على طهارة ذاكراً لله عز وجل)** وفي نسخة: وذكر الله تعالى **(يكتب مصلياً حتى يستيقظ)** من نومه ذلك **(ويدخل في شعاره)** أي لباسه المتصل على بدنه **(ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له)**. قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث ابن عمر «من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً».

قلت: وكذلك رواه ابن عساكر والضياء، ورواه الدارقطني في الإفراد من حديث أبي هريرة.

(وفي الخبر: «أنه إذا نام العبد على طهارة رفعت روحه إلى العرش») قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً على أبي الدرداء، ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص.

(هذا في العوام فكيف في) الخواص من **(العلماء وأرباب القلوب الصافية)** عن الأكدار الطبعية، **(فإنهم يكاشفون بالأسرار في النوم)**.

قال صاحب العوارف: وإذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم وانتقش فيه عجائب الغيب وغرائب الأنباء، ففي الصديقين من يكون له في منامه مكالمة ومحادثة ويأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويعرفه ويكون موضع ما يفتح له في نومه من الأمر والنهي كالأمر والنهي الظاهر يعصي الله تعالى بها إن أخل بها، بل تكون هذه الأوامر آكد وأعظم وقعاً لأن المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة، وعنده أوامر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين الله تعالى، فإذا أخلّ بها يخشى ان تنقطع عليه طريق الإرادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله تعالى، واستيجاب مقام المقت نعوذ بالله من ذلك.

(ولذلك قال ﷺ «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح») قال العراقي: المعروف فيه الصائم بدل العالم وقد تقدم في الصوم.

قلت: تقدم أنه من رواية البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى ولفظه «نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور».

قيام الليل؟ فقال: أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئاً وأتفوق القرآن فيه تفوقاً. قال معاذ: لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي، فذكرا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: معاذ أفقه منك. وآداب النوم عشرة.

الأول: الطهارة والسواك. قال ﷺ: «إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق». وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعاً وطهارة

ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق كرز بن عميرة عن الربيع بن خيثم عن أبي مسعود مرفوعاً «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح ودعاؤه مستجاب» وقد يشهد للجملة الأولى ما رواه أبو نعيم في الحلية من حديث سلمان رضي الله عنه «نوم على علم خير من صلاة على جهل».

(وقال معاذ) بن جبل **(لأبي موسى)** الأشعري **(رضي الله عنهما: كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال: أقوم الليل أجمع)** أي كله **(فلا أنام منه شيئاً وأتفوّق القرآن فيه تفوّقاً)** يقال: تفوّق الفصيل إذا شرب اللبن فواقاً والفواق بالضم والفتح ما بين الحلبتين من الوقت. وقال ابن فارس: فواق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب. **(فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم وأحتسب في نومتي ما أحتسبه في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله ﷺ فقال «معاذ أفقه منك»)** قال العراقي. متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى، وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبي ﷺ، ولا قوله معاذ أفقه منك. وإنما زاد فيه الطبراني فكان معاذ أفضل منه.

(وآداب النوم عشرة. الأول: الطهارة والسواك) اي لا ينام إلا وهو متطهر وقد استعمل السواك. قال صاحب العوارف: والمريد المتأهل إذا نام على الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ولا تفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة ما لم يسترسل في التذاذ النفس باللمس ولا بعدم يقظة القلب، فأما إذا استرسل في الالتذاذ فتحجب الروح لمكان صلابته.

(قال النبي ﷺ «إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق»).

قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث علي «ما من عبد ولا أمة ينام فيستثقل نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تكذب» وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الحاكم وصححه وتعقب ولفظه «فيمتلئ نوماً فيستثقل».

(وهذا أريد به طهارة الظاهر) عن الأحداث، **(و)** من الطهارة التي تثمر صدق الرؤيا طهارة **(الباطن)** من خدوش الهوى وكدورة محبة الدنيا والنقاوة من الأدناس الطبيعية **(جميعاً**

الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب .

الثاني: أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ ، وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف . وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة وعند التنبه منها ، وإن لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فإن لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله تعالى وقدرته ، فذلك يقوم مقام قيام الليل . وقال ﷺ : « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى » .

الثالث: أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض

وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب) وغرائب الأنباء وبها يحصل مقام المكالمة والمحادثة .

(**الثاني: أن يعد عند رأسه)** أي قريباً منه **(سواكه وطهوره وينوي)** في قلبه **(القيام للعبادة عند التيقظ)** من المنام ، **(وكلما انتبه)** من نومه **(استاك)** فكان ادعى لنشاطه **(كذلك كان يفعل بعض السلف . وروي عنه ﷺ أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة وعند التنبه منها) .** رواه مسلم عن ابن عباس « أنه كان ﷺ يستاك من الليل مراراً » وتقدم ذلك في كتاب الطهارة ، **(وإن لم تتيسر لهم الطهارة)** بسبب الكسل وفتور العزيمة **(كانوا)** يجتهدون أن يستاكوا و**(يستحبون مسح الأعضاء بالماء)** في تقلباتهم وانتباهاتهم ففي ذلك فضل كبير لمن ثقل نومه وقل قيامه ، **(فإن لم يجد)** الماء فليتيمم وإلا **(فليقعد على قراءته وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله تعالى وقدرته)** خصوصاً في نومه وبعثه منه ، **(فذلك يخرجه)** عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المستيقظين ، **(ويقوم)** هذا القدر **(مقام قيام الليل . وقال ﷺ « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى »)** قال العراقي : رواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء بسند صحيح اهـ .

قلت : وكذلك رواه الطبراني في الكبير ، والحاكم ، والبيهقي ورواه ابن حبان والحاكم والطبراني أيضاً من حديث أبي ذر وأبي الدرداء معاً . روى أبو نعيم في الحلية من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه « من نام عن حزبه وقد كان يريد أن يقوم به فإن نومه صدقة تصدق الله بها عليه وله أجر حزبه » .

الثالث: أن لا يبيت من له وصية) يوصي بها أي الذي عليه حقوق الناس أو له مطالبات على الناس أو لديه أمانات **(إلا ووصيته مكتوبة عنده)** سواء في جيبه أو تحت رأسه ، **(فإنه لا يأمن**

في النوم، فإن من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم، فيقول بعضهم لبعض: هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة، وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعداً للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم.

الرابع: أن ينام تائباً من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم

القبض في النوم) أي لا يأمن أن تقبض روحه في نومه ذلك. **(يقال: إن من مات عن غير وصية لم يؤذن له في الكلام)** مع الموتى **(بالبرزخ إلى يوم القيامة)** عقوبة له على ترك ما أمر به **(يتزاوره الأموات ويتحدثون)** عنده **(وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض: هذا المسكين مات عن غير وصية)** فيكون ذلك حسرة عليه فيما بينهم كذا في القوت.

قلت: روي ذلك مرفوعاً من حديث قيس بن قبيصة بلفظ: «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى. قيل يا رسول الله: ويتكلمون؟ قال: نعم ويتزاورون». رواه أبو الشيخ في كتاب الوصايا.

وأخرج ابن أبي الدنيا أن حفاراً حفر قبراً ونام عنده فأتته امرأتان فقالت إحداهما: أنشدك بالله ألا صرفت هذه المرأة عنا فاستيقظ فإذا بامرأة جيء بها فدفنتها في قبر آخر، فرأى تلك الليلة المرأتين تقول إحداهما جزاك الله خيراً فقال: ما لصاحبتك لم تتكلم؟ قالت: ماتت بغير وصية ومن لم يوص لم يتكلم إلى يوم القيامة.

وروى ابن ماجه من حديث جابر «من مات على وصية مات على سبيل وسنّة و مات على تقى وشهادة ومات مغفوراً له».

(وذلك) أي الوصية **(مستحب خوفاً من موت الفجأة)** بالضم ممدوداً وبالفتح مقصوراً مصدر فجأه الأمر أي بغته وهو موت الفجأة، ويسمى أيضاً الموت الأبيض لخلوه من التوبة والاستغفار وقضاء الحق وغير ذلك، **(وموت الفجأة تخفيف)** للمتأهب المراقب ومستحب المؤمن الفقير التواب الذي لا مال له ولا دَيْن عليه فهو غير مكروه في حقه، **(إلا من ليس مستعداً للموت لكونه مثقل الظهر بالذنوب والمظالم)** أي حقوق الناس، وقد روى أحمد وأبو داود عن عبيد بن خالد السلمي رضي الله عنه رفعه «موت الفجأة أخذة أسف» وروى أحمد والبيهقي من حديث عائشة «موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذة أسف للفاجر».

(والرابع: أن ينام تائباً من كل ذنب) صدر منه بأن يتفكر فيه ثم يتنصل عنه **(سليم القلب)** نقي الباطن عن أدناس الغل والحقد والحسد لجميع المسلمين لا يحدث نفسه **(بظلم أحد**

أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ. قال ﷺ: «من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم».

الخامس: أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه. كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفاً، وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم

ولا يعزم) بالجزم **(على معصية إن استيقظ)** من منامه. **(قال النبي ﷺ: «من آوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم»)** أي اكتسب من الجرم.

قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب السنة من حديث أنس «من أصبح ولم يهتم بظلم أحد غفر له ما أجرم» وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عساكر في التاريخ من طريق عيينة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن مرة، عن أنس. وإسحاق قال في الميزان عن الأزدي متروك الحديث وساق له في اللسان هذا الحديث، ثم قال: عيينة ضعيف جداً وأعاده في اللسان في ترجمة عمار بن عبد الملك وقال: أتى عنه بقية بعجائب منها: هذا الخبر. ورواه الخطيب في التاريخ بلفظ «من أصبح وهو لا ينوي ظلم أحد أصبح وقد غفر له ما جنى» وفي رواية «وإن لم يستغفر». وقد رواه أيضاً الديلمي والمخلص والبغوي وابن عساكر أيضاً وابن أبي الدنيا، والمخلص في فوائده، والبغوي من طريق أبي بسطام عن أنس.

ومعنى الحديث من اصبح عازماً على ترك ظلم الخلق مع قدرته على الظلم لكنه عقد عزمه على ذلك امتثالاً لأمر الشارع وابتغاء مرضاته، أما من أصبح لا ينوي ظلم أحد لشهرة أو غفلة أو عجز أو شغل عنهم فلا ثواب له، لأنه لم ينو طاعة. ومن عزم فثواب عزمه غفران ما يطرأ من جناية لعدم العصمة فيغفر له بسالف نيته، ويحتمل أنه على ظاهره فإنه ﷺ ذكر بهذا عبداً طهر الله قلبه وصفى باطنه بمعرفة الله وخوفه ومراقبته عن وسخ الأخلاق الدنية من نحو حقد وغل، فإن حدث منه زلة لعدم العصمة غفر له وإن لم يستغفر لأنه مختاره ومحبوبه والغفران نعته، والله أعلم.

(الخامس: أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة) المحشوّة بنحو قطن أو صوف أو ريش، **(بل يترك ذلك)** رأساً إن كان قصده طلب الآخرة **(أو يقتصد فيه)** فيكتفي بما يحول بين التراب وبين جسده بنحو حصير وبساط ونحو ذلك، والفرش يطلق على الوطاء والوساد. فالوساد ما يتوسد عليه برأسه، والوطاء ما يرقد عليه، والاقتصاد في كل منهما مطلوب، وقد كان بعضهم يقول: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إليَّ من أن أرى وسادة نإنها تدعوني إلى النوم.

(وكان بعض السلف يكرهون التمهيد ويرون ذلك تكلفاً للنوم) أي كأنه يتكلف بذلك جلب النوم وهو مكروه، **(وكان أهل الصفة)** رضي الله عنهم وغيرهم من زهاد التابعين **(لا يتركون بينهم وبين التراب حاجزاً)** أي مانعاً، فكان أحدهم يباشر التراب بجلده ويطرح

وبين التراب حاجزاً ويقولون: منهاخلقنـاوإليها نرد، وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح نفسه بذلك فليقتصد.

السادس: أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل، فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة، ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول. وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعداً. وفي الخبر: « لا تكابدوا الليل » وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانة

الثوب فوقه (**ويقولون: منها**) أي الأرض (**خلقنا وإليها نردّ**) ثانياً، (**وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر لتواضع نفوسهم**)، وهذا حال من يؤثر الآخرة على الدنيا ولم يمل لزهرتها، بل المعهود من سيرة الصحابة ومن بعدهم أنهم كانوا ينامون على الأرض من غير حائل (**ويأكلون على الأرض**) ويصلّون على التراب، (**فمن لا تسمح نفسه بذلك**) لعادة تمرّن عليها، فإذا تركها تأذى جسده (**فليقتصد**) وليكن ذلك بالتدريج والتمهيل لامرة واحدة.

(**السادس: أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل**)، فلا بأس حينئذ أن يستجلبه ويتكلف له ويتحيل على تحصيله بكل وجه، (**فقد كان**) الصالحون (**نومهم غلبة**) أي لا ينامون إلا على غلبة ويكرهون التعمل للنوم.

قال صاحب القوت: وقد كان منهم من يمهد لنفسه بالنوم ليتقوى بذلك على صلاة أوسط الليل وآخره للفضل في ذلك.

وسئل فروة الشامي عن وصف الأبدال وكانوا يظهرون له فقال: نومهم غلبة، (**وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة**)، وصمتهم حكمة، وعلمهم قدرة أي لا يأكلون إلا عن فاقة تصيبهم فيقصدون بذلك التقوي على عبادة الله تعالى، ولا يتكلمون إلا إذا اضطروا إليه ورأوا أنهم قد ندبوا إليه. وقيل لآخر: صف لنا الخائفين فقال: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى. (**ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**) أي ينامون أي وصفهم بقلة النوم وهو لا يكون إلا عن القيام بطاعة الله، (**وأن غلبه النوم**) حتى يشغله (**عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول**) في صلاته وذكره، (**فلينم حتى يعقل ما يقول**) وينشط في خدمته. هكذا السنّة. وفي الحديث ما يدل على ذلك كما سيأتي للمصنف قريباً. وقد (**كان ابن عباس يكره النوم قاعداً**) نقله صاحب القوت، ولعله إذا قصد بذلك لا إذا غلبه فإنه معذور. (**وفي الخبر « لا تكابدوا الليل »**) هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف، وفي جامع سفيان الثوري موقوفاً على ابن مسعود « لا تغالبوا هذا الليل » اهـ.

تصلّي بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال: « ليصلّ أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد ». وقال ﷺ: « تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لن يمل حتى تملوا » وقال ﷺ: « خير هذا الدين أيسره » وقيل له ﷺ إن فلاناً يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر. فقال: « لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن

قلت: رواه الديلمي من حديث أبان عن أنس بلفظ « لا تكابدوا هذا الليل فإنكم لا تطيقونه وإذا تعسر أحدكم فلينم على فراشه فإنه أسلم » وأبان ضعيف.

(وقيل للنبي ﷺ: إن فلانة تصلي بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال « ليصل أحدكم من الليل ما تيسّر له فإذا غلبه النوم فليرقد ») هكذا هو في القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قلت: لفظ الصحيحين عن أنس: « دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا؟ فقالوا: لزينب تصلي فإذا كسلت أو فترت مسكت به. فقال: حلّوه ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا كسل أحدكم أو فتر فليقعد ». وهكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان. ومعنى قوله « فليقعد » أي يتم صلاته قاعداً، وإذا فتر بعد فراغ بعض تسليماته فليأت بما بقي من نفله قاعداً، أو فليقعد حتى يحدث له نشاط.

(وقال ﷺ « تكلفوا) كذا في نسخ الكتاب والرواية اكلفوا، وهكذا في القوت. وفي الصحيحين: من كلف يكلف كفرح أي أولعوا وأحبوا. **(من العمل ما تطيقون)** الدوام عليه **(فإن الله عز وجل لن يمل حتى تملوا »)** يعني لا يقطع ثوابه عمن قطع العمل ملالاً عبَّر عنه باسم الملل من تسمية الشيء باسم سببه، أو المراد لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلَّ هكذا رواه الشيخان وأحمد وأبو داود والنسائي من حديث عائشة.

(وقال ﷺ « خير هذا الدين أيسره ») هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم في الصلاة.

قلت: ورواه البخاري في الأدب، والطبراني ولفظهم « خير دينكم أيسره ». ورواه الطبراني أيضاً عن عمران بن حصين في الأوسط، وابن عدي، والضياء عن أنس. وروى ابن عبد البر في كتاب العلم عن أنس « خير دينكم أيسره وخير الصلاة الفقه » وقد تقدم الكلام عليه في الصلاة.

(وقيل: إن فلاناً يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر، فقال ﷺ « لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني ») كذا في القوت بلفظ « فلان يصلي الليل لا ينام ويصوم النهار لا يفطر » والباقي سواء.

رغب عنها فليس مني ». وقال ﷺ : « لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله ».

السابع: أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين. أحدهما : استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة. والثاني: استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن.

وقال العراقي: رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله « هذه سنتي » الخ. وهذه الزيادة لابن خزيمة: « من رغب عن سنتي فليس مني » وهي متفق عليها من حديث أنس اهـ.

(وقال ﷺ : « لا تشادوا هذا الدين فإنه متين من يشاده يغلبه ولا تبغض إليك عبادة الله عز وجل ») هكذا هو في القوت إلا أنه قال: ولا تبغض إلى نفسك والباقي سواء، وهما حديثان. فروى البخاري من حديث أبي هريرة « لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسدّدوا وقاربوا ».

وروى البيهقي من حديث جابر « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ».

قال العراقي: لا يصح اسناده.

قلت: رواه البيهقي من طرق وفيه اضطراب. روى موصولاً ومرسلاً ومرفوعاً وموقوفاً واضطرب في الصحابي أهو جابر أو عائشة أو عمر؟ ورجح البخاري في التاريخ إرساله. وروى البزار في مسنده من حديث جابر بلفظ « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبث لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » وفي سنده متروك. وروى أحمد من حديث أنس « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » والإيغال: الدخول في الشيء والمعنى: لا تحملوا أنفسكم ما لا تطيقون فتعجزوا وتتركوا العمل.

(السابع: أن ينام مستقبل القبلة) فإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة كما ورد. **(والاستقبال على ضربين. أحدهما: استقبال المحتضر)** وهو الذي قد حضره الموت فيستقبلونه إلى القبلة **(وهو المستلقي على قفاه، واستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة، والثاني: استقبال اللحد)** وهو الشق المائل في القبر، **(وذلك بأن ينام على جنب ويكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على الشق الأيمن)**، فالحاصل أنه إما على جنبه الأيمن كالملحود، وإما على ظهره كالميت المسجى. وفي كل منهما يعد مستقبلاً. وأما من جعل رجليه إلى القبلة فلا يعد مستقبلاً بل هو مستدبر، إلا إن استلقى وكان وجهه وما أقبل من جسده إليها، فليذكر بنومه على هذين الحالين ذلك الحالين عند موته وعند اضطجاعه في قبره فسيصير إليه عن قريب.

الثامن: الدعاء عند النوم فيقول: باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات. ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها وقوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو﴾ إلى قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ [البقرة: ٦٣ ، ٦٤] يقال: إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه، ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية: ﴿إن ربّكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ إلى قوله: ﴿قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٦] وآخر بني إسرائيل ﴿قل ادعوا الله﴾ [الإسراء: ١١٠] الآيتين، فإنه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له، ويقرأ

(الثامن: الدعاء عند النوم فتقول: باسمك اللهم ربي وضعت جنبي، وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات) وهي: اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين، اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت. اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك. الحمد لله الذي علا فقهر، الحمد لله الذي بطن فجبر، الحمد لله الذي ملك فقدر، الحمد لله الذي هو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير. اللهم إني أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه.

(ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل الأربع الأول من البقرة، وآية الكرسي، وآخر البقرة من (آمن الرسول) إلى آخر السورة **(وغيرها)** من الآيات، **(ويقرأ قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ إلى قوله ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾. يقال: من قرأها عند النوم حفظ القرآن فلم ينسه)** كما ورد ذلك في خبر، **(ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآيات ﴿إنَّ ربَّكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾)** إلى قوله ﴿**المحسنين**﴾ **(وآخر بني إسرائيل ﴿قل ادعو الله﴾ الآيتين. فإنه يدخل في شعاره ملك موكل بحفظه يستغفر له)** كما ورد ذلك في خبر.

وروى الديلمي من حديث أبي موسى من قرأ في مصبح أو ممسى **(قل ادعو الله)** إلى آخر السورة لم يمت قلبه ذلك ولا في تلك الليلة». ولكل من الآيات المذكورة فضائل خاصة تقدم ذكر بعضها، ومن حيث المجموع فإنها نحو عشرين آية، فقد روى محمد بن نصر في الصلاة من حديث تميم الداري« من قرأعشر آيات في ليلة كتب من المصلين ولم يكتب من الغافلين». وروي مثله عن أبي أمامة وعبادة بن الصامت وغيرهم من الصحابة.

المعوّذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده. كذلك روي من فعل رسول الله ﷺ، وليقرأ عشراً من أوّل الكهف وعشراً من آخرها. وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل، وكان علي كرّم الله وجهه يقول: ما أرى أن رجلاً مستكملاً عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة، وليقل خمساً وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة.

التاسع: أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث، قال الله تعالى:

(ويقرأ المعوّذتين وينفث بها في يديه) من غير ريق، **(ويمسح بها وجهه وسائر جسده)** ما أقبل وما أدبر، **(وذلك مروي من فعل** رسول الله ﷺ)، رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها. **(وليقرأ عشراً من أوّل الكهف، وعشراً من آخرها)**. فقد روى ابن مردويه من حديث عائشة « من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال، ومن قرأ خاتمتها عند رقاده كان له نوراً من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة ». وروى أحمد والطبراني وابن السني من حديث معاذ بن أنس « من قرأ أوّل سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين الأرض إلى السماء ». وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان من حديث أبي الدرداء « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ».

(وهذه الآي) المذكورة **(للاستيقاظ لقيام الليل)**، وإن أضاف إليهن أوّل الحديد، وآخر الحشر، وإذا زلزلت وقل يا أيها الكافرون، والإخلاص ثلاثاً فهو حسن. **(وكان علي رضي الله عنه يقول: ما أرى رجلاً مستكملاً عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة)**، فقد روى أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان من حديث ابن مسعود « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه ». وعند الديلمي بلفظ « من قرأ خاتمة سورة البقرة حتى يختمها في ليلة أجزأت عنه قيام تلك الليلة » وبهذا يتضح قول سيدنا علي رضي الله عنه ما أرى رجلاً الخ.

(وليقل:) اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك التي تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعد أسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي، اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين. ورد أن من قال هذه الكلمات بعث الله إليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة كما تقدم ذلك. ويقول: **(خمساً وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة)**. أو يأتي بكل من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ثلاثاً وثلاثين مرة ويتم المائة بقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(التاسع: أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة، والتيقظ نوع بعث. قال الله تعالى:

﴿الله يتوفّي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ [الزمر : ٤٢] ، وقال : ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الانعام : ٦٠] فسماه توفياً ، وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ، ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة . وقال لقمان لابنه : يا بني إن كنت تشك في الموت ، فلا تنم فكما إنك تنام كذلك تموت ، وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك . وقال كعب الأحبار : إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة ، وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾) أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها وتصرفها فيها ظاهراً وباطناً ، وذلك في الموت ، أو ظاهراً لا باطناً وهو في النوم . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : إن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز ، والروح التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم .

(**وقال تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل**) ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه﴾ (**سماه**) أي النوم (**توفياً**) والوفاة الموت وقد توفاه أي أماته ، وتوفي الميت مبنياً للمعلوم والمجهول إذا مات . (**وكما أن المستيقظ**) من نومه (**تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم، فكذلك المبعوث**) من قبره (**يرى ما لم يخطر بباله**) من الأحوال (**ولا شاهده جسمه، ومثل النوم بين الحياة والموت**) عند أهل الاعتبار (**مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة**) ، فعالم النوم شبيه بعالم البرزخ ، فإذا كشف حجاب النوم ظهرت الدنيا بالحكمة ، كذلك إذا كشف الغطاء ظهرت الآخرة بالقدرة فصارت الدنيا كالأحلام في النوم .

(**و**) من هنا (**قال لقمان لابنه: إن كنت تشك في الموت فلا تنم**) فإن النوم أخو الموت ، (**فكما أنك تنام كذلك تموت**) فالنوم غشيته ثقيلة تهجم على القلب فتغطيه عن المعرفة ، والموت حال خفاء وغيب يضاف إلى ظاهر عالم يتأخر عنه أو يتقدمه تفقد فيه خواص ذلك الظهور الظاهرة ، وقد يطلق الموت على النوم . ولذا قيل : النوم موت ضعيف . والموت نوم ثقيل وعليه سماه الله توفياً ، (**وإن كنت تشك في بعثك**)من القبور (**فلا تنتبه، فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك**) أي تكون في بعثك بعد الموت كانتباهك بعد النوم .

(**وقال كعب الأحبار: إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة**) نقله صاحب القوت ، وهو أحد وجهي الاستقبال عند النوم وقد ذكر قريباً .

(**وقالت عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده**

يرى أنه ميت في ليلته تلك: « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه » الدعاء إلى آخره كما ذكرناه في كتاب الدعوات، فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه إنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفي على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفي عليه، فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب.

العاشر: الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله ﷺ: « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ». وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب. ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه، فليجرب قلبه به فهو علامة الحب، فإنها علامة تكشف

على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك) هذه الكلمات **(« اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه » الدعاء إلى آخره كما ذكرناه في الدعوات)** ذكره المصنف هناك دون وضع الخد على اليد، وهو من حديث حفصة رضي الله عنها. وتقدم الكلام عليه هناك. وقال صاحب القوت: وروينا عن مطرف عن الشعبي عن عائشة قالت « كان رسول الله ﷺ آخر ما يقول حين ينام » فذكره إلى آخره.

(فحق على العبد أن يفتش على قلبه عند نومه إنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا) وزخارفها، ولا يدع فكره يجول في شيء سوى ذكر الله والفكر في آلائه كلفاً بحبّه، **(وليتحقق أن يتوفى على ما هو الغالب عليه)** من نياته ومقاصده، فقد روى ابن ماجه والضياء عن جابر « يحشر الناس على نياتهم » وروى أحمد عن أبي هريرة بلفظ « يبعث » وعند الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر « يبعث كل عبد على ما مات عليه » وقال صاحب القوت: وفي الخبر « من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة ». **(« فإن المرء مع من أحب »)** كما ورد في الصحيح من حديث أنس، **(ومع ما أحب)** من الأعمال والأحوال، ولفظ القوت « وله ما احتسب ».

(العاشر: الدعاء عند التنبه) من منامه **(فليقل عند تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله ﷺ: « لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار »)**. قال العراقي: رواه ابن السني، وأبو نعيم في كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة. **(وليجهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى، وأوّل ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى، فتلك علامة الحب. ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه بذلك فإنها علامة تكشف عن باطن القلب، وإنما استحب هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله عز وجل)**.

عن باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى، فإذا استيقظ ليقوم قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور. إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ.

الورد الرابع: يدخل بمضي النصف الأوّل من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه، وعند ذلك يقوم العبد للتهجد، فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم

قال صاحب القوت: ثم ليلعم العبد ان الله تعالى يكون له بعد بعثه من قبره كما كان له بعد بعثه من نومه، فلينظر إلى أي حال يبعث، فإن كان العبد ينظر مولاه تعالى مكرماً ولحرماته معظماً وإلى مرضاته مسارعاً كان الله له في آخرته لوجهه مكرماً ولشأنه معظماً وإلى محبوبه ومسرته من النعيم مسرعاً، وإن كان بحق مولاه متهاوناً وأمره مستخفاً ولشعائره مستصغراً كان الله له مهيناً وبشأنه متهاوناً. قال الله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين★ مالكم كيف تحكمون﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦] وقال تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ [الجاثية: ٢١] وروينا عن رسول الله ﷺ: « من أحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فإن الله عز وجل ينزل العبد عنده بحيث أنزله العبد من نفسه ». فإذا نام العبد على طهارة وذكر من قبل هذه المشاهدة والذكر فإن مضجعه يكون مسجداً وأنه يكتب مصلياً.

وقال صاحب العوارف: من أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله تعالى ويصرف فكره إلى أمر الله تعالى قبل أن يجول الفكر في شيء سوى الله تعالى ويشغل اللسان بالذكر، والصادق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على محبته ذلك الشيء، وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلفاً به. وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه ما همه فإنه يكون هكذا عند القيام من القبر إن كان همه الله وإلاّ فهمه غير الله، والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي انتبه عليه ويكون فاراً بباطنه إلى ربه من الأغيار ومهما. وفي الباطن بهذا العيار فقد لقي طريق النفحات الإلهية فجدير أن تنصب إليه أقسام الليل انصبابا ويصير جناب القرب له موئلاً ومآباً.

(**فإذا استيقظ ليقوم قال**) بلسانه مطابقاً لما في حنانه: (**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا**) أي أنامنا، ولما كان النوم أخا الموت أقام اماتنا مقامه (**وإليه النشور**) إشارة إلى حالة البعث. (**إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ**) في كتاب الدعوات، وإن قرأ العشر الأواخر من سورة آل عمران فحسن.

(**الورد الرابع: يدخل بمضي النصف الأول من الليل**) ويتجاوز النصف قليلاً (**إلى أن يبقى من الليل سدسه، وعند ذلك يقوم العبد للتهجد**) أي لصلاته، (**فاسم التهجد يختص**

وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار، وبه أقسم الله تعالى فقال: ﴿والليل إذا سجى﴾ [الضحى : ٢] أي إذا سكن وسكونه هدوّه في هذا الوقت فلا تبقى عين إلاَّ نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. وقيل: إذا سجى إذا امتد وطال، وقيل: إذا أظلم. وسئل رسول الله ﷺ: أيّ الليل أسمع؟ فقال: « جوف الليل ». وقال داود ﷺ: « إلهي إني أحب أن أتعبد لك فأيّ وقت أفضل؟ فأوحى الله تعالى إليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره، فإن من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك، وارفع إليّ حوائجك ».

بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم). قال الله تعالى ﴿فتهجَّد به نافلة لك﴾ [الإسراء : ٧٩] ولا يكون التهجد إلا بعد النوم، وتلك النومة هي الهجوع التي قللها الله تعالى من القائمين آناء الليل فقال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات: ١٧] والهجوع النوم، والتهجد القيام. والمعنى إزالة الهجود، وقيل: التهجد من الأضداد يطلق على النوم بالليل وعلى الصلاة فيه بعد نوم وكذلك هجد هجوداً نام بالليل وأيضاً صلى بالليل، **(وهذا أوسط الليل)**. ولفظ القوت: وهذا يكون نصف الليل. **(ويشبه)** هذا الورد **(الورد)** الأوسط **(الذي بعد الزوال وهو وسط النهار)** وهو أفضل الأوراد وأمتعها لأهلها، **(وبه أقسم الله تعالى)** في كتابه العزيز فقال: ﴿**والليل إذا سجى**﴾ قيل: **(أي إذا سكن)** بالناس رواه ابن جرير وابن المنذر عن قتادة، وسكونه **(هدوّه في هذا الوقت فلا تبقى عين إلاَّ نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم)** ولفظ القوت: وسكونه هدوه وسنة كل عين فيه وغفلتها إلاَّ عين الله سبحانه فإنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. **(وقيل: إذا سجى إذا امتدّ وطال، وقيل: إذا أظلم)** نقلها صاحب القوت، وقيل: إذا سجى إذا أقبل. رواه ابن جرير عن ابن عباس. زاد سعيد بن جبير فغطى كل شيء رواه عبد بن حميد، وقيل: إذا لبس الناس. رواه عبد الرزاق عن الحسن، وقيل: إذا استوى. رواه الفريابي عن مجا[هد]، وقيل: إذا ذهب رواه ابن أبي المنذر عن ابن عباس.

(وسئل النبي ﷺ أي الليل اسمع؟ فقال « جوف الليل ») رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث عمرو بن عنبسة.

قلت: ورواه محمد بن نصر بلفظ « صلاة الليل مثنى مثنى وجوف الليل أجد به دعوة » ورواه أحمد أيضاً، وفيه أبو بكر بن أبي مريم ضعيف.

(وقال داود عليه السلام: « إلهي إني أحب أن أتعبد لك فأي وقت أفضل؟ فأوحى الله عز وجل إليه يا داود لا تقم أوّل الليل ولا آخره فإنه من قام أوّله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوّله، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي. وأخلو بك وارفع إليّ حوائجك ») نقله صاحب القوت. قال: وروينا في أخبار داود عليه السلام فساقه.

وسئل رسول الله ﷺ : أيّ الليل أفضل؟ فقال: « نصف الليل الغابر » يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا وغير ذلك من الأخبار. وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءاً ـ كما سبق ـ بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى

(**وسئل رسول الله ﷺ : أي الليل أفضل؟ فقال « نصف الليل الغابر »**) رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي ذر دون قوله « الغابر » وهي في بعض حديث عمرو بن عنبسة، وقوله: (**يعني الباقي**) تفسير لقوله « الغابر » فإن الغابر من الأضداد يطلق على الماضي وعلى الباقي، (**وفي آخر لليل**) وهو الثلث الأخير. (**وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار إلى سماء الدنيا**) هكذا هو لفظ القوت (**وغير ذلك من الأخبار**).

قال العراقي: أما حديث الترمذي فقد تقدم، وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجريري قال: قال داود: يا جبريل أي الليل أفضل؟ قال: « ما أدري غير أن العرش يهتز في السحر ». وفي رواية عن الجريري عن سعيد بن أبي الحسن قال « إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر ». وله من حديث أبي الدرداء مرفوعاً « إن الله تعالى ينزل في ثلاث ساعات يبقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى » وفيه « ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنـة عدن » الحديث وهو منكر اهـ.

قلـت: وهذا الحديث الذي أورده عن أبي الدرداء رواه أيضاً الطبراني في كتاب السنّة من طريق الليث بن سعد قال: حدثني زياد بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة ابن عبيد، عن أبي الدرداء، وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، والطبراني في الكبير، وابن مردويه في التفسير من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحـو مايشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر وذلك قول الله عز وجل: ﴿وقرآن الفجر إنّ قـرآن الفجر كان مشهوداً﴾ [الإسراء: ٧٨] فليشهد الله وملائكته الليل والنهار ».

(**وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية**) المذكورة (**التي للاستيقاظ**) فيسرع إلى التطهر فيغتسل إن أمكنـه وإلاَّ (**يتـوضـأ وضـوءاً**) كـاملاً (**كما سـبـق بسننـه وآدابـه وأدعيته**). قال الله تعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ [الأنفال: ١١] وقال عز وجل ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ [الرعد: ١٧] قال ابن عباس: الماء القرآن

مصلاه ويكون مستقبلاً القبلة ويقول: «الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً» ثم يسبح عشراً وليحمد الله عشراً ويهلل عشراً وليقل: «الله أكبر ذو

والأودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ما وسعت، والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير أجدر، فالماء يقوم غيره مقامه، والقرآن والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسدّه، فالماء الطهور يطهر الظاهر، والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان برجز الشيطان، فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع، وجدير أن يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن الله تعالى، وذلك ان الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت القبضة جلدة الأرض والجلدة ظاهرها بشرة، والبشرة عبارة عن ظاهره وصورته، والأدمة عبارة عن باطنه وآدميته، والادمية بالمد مجمع الأخلاق الحميدة، وكان التراب موطىء أقدام إبليس، من ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة بطينة الآدمي، ومنها الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة. ومنها السهو والغفلة، فإذا استعمل الماء وقرأ القرآن أتى بالمطهرين جميعاً ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطأته، ويحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل، واستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب، فإذاً النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدر القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك، ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار، وحكم أبو حنيفة بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآه حكماً طبيعياً جالباً للإثم، والإثم رجز الشيطان، والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لطهور النفس ويصرف الشيطان في هذا المواطن، ولو أن المتحفظ المراعي المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس في المباح من كلام أو مساكنة إلى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضته تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنيه قولاً وفعلاً عقب ذلك بتجديد الوضوء ثبت القلب على طهارته ونزاهته، ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الخفي الذي لا يزال بخفة حركته يجلو البصر ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ فتفكر فيما نبهتك عليه تجد بركته وأثره.

قال صاحب العوارف: ولو اغتسل عند هذه المتجددات والعوارض والأشباه من النوم كان أزيد في تنوير قلبه، ولكان الأجدر أن يغتسل العبد لكل فريضة باذلاً مجهوده في الاستعداد لمناجاة الله تعالى ويجدد غسل الباطن بصدق الإنابة، وقد قال الله تعالى: ﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة﴾ قدم الإنابة على الدخول في الصلاة، ولكن رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة السمحة رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل وجوّز أداء مفترضات بوضوء واحد دفعاً للحرج عن عامة الأمة، وللخواص وأهل العزيمة مطالبة عن بواطنهم تحكم عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك الأعلى.

(ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلاً للقبلة بظاهره وباطنه ويستفتح التهجد ويقول «الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً مرة واحدة»، **ثم ليسبح عشراً وليحمد عشراً وليهلل عشراً وليقل)** بعد ذلك: **(«الله أكبر ذي الملك والملكوت**

الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة». وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله ﷺ في قيامه للتهجد «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهنّ ومن عليهنّ أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت. اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء

والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة» وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن النبي ﷺ في قيامه للتهجد: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض، ولك الحمد أنت زين السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق) وفي نسخة زيادة «والبعث حق» وفي آخره «والنشور حق» **(والنبيون حق ومحمد ﷺ حق. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»)**.

قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق.

قلت: وروى ابن ماجه من حديث أبي موسى كان ﷺ يقول «اللهم اغفر لي ما قدمت». فساقه. إلا أنه قال بدل لا إله إلا أنت وأنت على كل شيء قدير بزيادة في اوله.

(«اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها») روى أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول «رب أعط نفسي تقواها» الحديث وقد تقدم في كتاب الدعوات. ورواه أحمد أيضاً، وعبد بن حميد، ومسلم، والنسائي من حديث زيد بن أرقم بزيادة في أوله وآخره.

(«اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف) عني **(سيئها إلا أنت»)** رواه مسلم من حديث علي أنه ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: فذكره بلفظ: «لأحسن الأخلاق» وفيه زيادة في أوله.

المفتقر الذليل ولا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤولين وأكرم المعطين». وقالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما فيه اختلف من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلّى الوتر، ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة. وقد صحّ في صلاة رسول الله ﷺ بالليل أنه صلى أولاً ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة،

قلت ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بلفظ «واهدني لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت» وفي أوله زيادة «اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها. اللهم انعشني واجبرني».

(أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر) وفي نسخة: المضطر **(الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤلين وأكرم المعطين»)** رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء رسول الله ﷺ عشية عرفة وقد تقدم في الحج.

(و)روى مسلم في صحيحه **(قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته قال «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر)**. وهاتان ركعتان هما تحية الطهارة يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ [النساء: ٦٤] الآية. وفي الثانية ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء: ١١٠].

(ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة) وإن زاد بعد التسبيح الاستغفار مرات فحسن، ثم يفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد أقصر من الأولين يقرأ فيهما بآية الكرسي وآمن الرسول، وإن أراد غير ذلك ثم يصلي ركعتين طويلتين. **(وقد صح في صلاة النبي ﷺ «أنه صلى أولاً ركعتين خفيفتين، ثم ركع ركعتين طويلتين، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلها ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة»)**. قال العراقي: رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني.

وسئلت عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر؟ فقالت: ربما جهر وربما أسرّ. وقال ﷺ: « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة ». وقال: « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل ». وأكثر ما صح عن رسول الله ﷺ في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة. ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد إلى قريب من السدس الأخير من الليل.

الورد الخامس: السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر، فإن الله تعالى قال: ﴿وبالأسحارهم يستغفرون﴾[الذاريات: ١٨] قيل: يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب

قلت: لفظ مسلم « فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون التي قبلهما ثم أوتر ».

(وسئلت عائشة رضي الله عنها: أكان يجهر النبي ﷺ في قيام الليل أم يسّر؟ فقالت: ربما أسرّ وربما جهر) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بإسناد صحيح. **(وقال النبي ﷺ « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة »)** متفق عليه وقد تقدم قريباً بلفظ « فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى » ولفظ المصنف أورده الطبراني في الكبير، ومحمد بن نصر في الصلاة بزيادة: « فإن الله وتر يحب الوتر ».

(وقال) ﷺ (« صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل »). قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ « صلاة المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل » ورواه أيضاً عن محمد بن سيرين مرسلاً أي: فكما جعلت آخر صلاتكم بالنهار وتراً فاجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً، وأضيفت إلى النهار لوقوعها عقبه. قال ابن المنير: إنما شرع لها التسمية بالمغرب لأنه اسم يشعر بمسماها وبابتداء وقتها.

(وأكثر ما صح عن النبي ﷺ في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة) تقدم قريباً، وتقدم مفصلاً في كتاب الصلاة، **(ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه)** في التلاوة، **(وهو في حكم هذا الورد إلى قريب من السدس الأخير من الليل)** وهو السحر الأول.

(الورد الخامس: السدس الأخير من آخر الليل وهو وقت السحر) الأول **(قال الله تعالى ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ قيل)** في تفسيره: أي **(يصلون)** وإنما سميت الصلاة استغفاراً **(لما فيها من الاستغفار)** وكذلك قوله تعالى ﴿وقرآن الفجر﴾ [الإسراء: ٧٨] يعني

للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار ، وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره : « فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان : نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له : نم فنام ، فلما كان عند الصبح قال له سلمان : قم الآن ، فقاما فصليا . فقال : إن لنفسك عليك حقاً وإن لضيفك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه ، وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان انه لا ينام الليل . قال : فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له .

به الصلاة وكنى بذكر القرآن والاستغفار عن الصلاة لأنهما وصفان منها ، كما قيل الصلاة استغفار لانه يطلب بها المغفرة وتكون هذه الصلاة في السحر بدلاً عن السجود إلى طلوع الفجر الثاني ، **(وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل)** . ويتوسط هذا الورد بين الليل والنهار ، ذهب أهل الحجاز إلى أن الصلاة الوسطىٰ التي نص الله على إفراد المحافظة عليها هي صلاة الفجر . قال الله تعالى ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار تعظيماً لهذا الوقت وتشريفاً له لتوسطه في آخر الليل وأول النهار . فهذا الورد هو أقصر الأوراد ، ومن أفضلها وهو من السحر الأول إلى طلوع الفجر الثاني إلا ما كان من صلاة نصف الليل ، فذاك أفضل شيء من الليل وهو أوسط الأوراد لأنه هو الورد الثالث . **(وقد أمر بهذا الورد سلمان)** الفارسي **(أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما)** وكان النبي ﷺ قد آخى بينهما في الإسلام **(ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره : « فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان : نم فنام ، فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا ، فقال : إن لنفسك عليك حقاً وإن لضيفك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه ، وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان بأن أبا الدرداء لا ينام الليل ، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فقال ﷺ : صدق سلمان »)** هكذا هو في القوت .

وقال العراقي : رواه البخاري من حديث أبي حجيفة .

قلت : وقال أبو نعيم في الحلية : حدثنا عبد الله بن محمد بن عطاء ، حدثنا أحمد بن عمرو البزار ، حدثنا السري بن محمد الكوفي ، حدثنا قبيصة بن عقبة ، حدثنا عمار بن زريق ، عن أبي صالح ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء « أن سلمان دخل عليه فرأى امرأته رثة الهيئة فقال : ما لك ؟ فقالت : إن أخاك لا يريد النساء إنما يصوم النهار ويقوم الليل ، فأقبل على أبي الدرداء فقال : إن لأهلك عليك حقاً فصلّ ونم وصم وأفطر ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « لقد أوتي سلمان من العلم » .

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة ، حدثنا أحمد بن علي بن المثنى ، حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العميس ، عن عون بن أبي حجيفة ، عن أبيه قال : « جاء سلمان يزور أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة . فقال : ما شأنك ؟ فقالت : إن أخاك ليست له حاجة في شيء من الدنيا يقوم الليل ويصوم النهار ، فلما جاء أبو الدرداء رحب به سلمان وقرب إليه الطعام فقال له سلمان اطعم فقال : إني صائم . فقال سلمان : أقسمت عليك إلا ما طعمت . قال : ما

فقال: صدق سلمان. وهذا هو الورد الخامس. وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر، والوظيفة في هذين الوردين الصلاة، فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ومن الليل

أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل معه وبات عنده فلما كان من الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان. ثم قال: يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً أعط كل ذي حق حقه صم وافطر وقم ونم وآت أهلك فلما كان عند وجه الصبح قال: قم الآن فقاما فتوضآ وصليا ثم خرجا إلى الصلاة فلما صلى النبي ﷺ قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان، فقال رسول الله ﷺ: إن لجسدك عليك حقاً مثل ما قال سلمان».

(**وهذا هو الورد الخامس، وفيه يستحب السحور**) فمن يتسحر في أوله بغته الفجر، (**وذلك عند خوف طلوع الفجر**) وهو قبل طلوعه بمقدار قراءة جزء من القرآن، وهذا الورد الخامس يشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب في فضل وقتها، وهذا قبل الفجر الثاني والفجر الثاني هو انشقاق شفق الشمس وهو بدوّ بياضها التي تحته الحمرة وهو الشفق الثاني على ضد غروبها لأن شفقها الأول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض، وهو الشفق الثاني من أول الليل وهو آخر سلطان الشمس وبعد البياض سواد وغسق، ثم ينقلب ذلك إلى ضده فيكون بدو طلوعها الشفق الأول وهو البياض، وبعده الحمرة وهو شفقها الثاني وهو أول سلطانها من آخر الليل، وبعده طلوع قرص الشمس، والفجر انفجار شعاع الشمس عن الفلك الأسفل إذا ظهرت على وجه الأرض الدنيا تستر عينها الجبال والبحار والأقاليم المشرفة العالية، ويظهر شعاعها منتشراً إلى وسط السماء عرضاً مستطيراً، فهذا آخر الورد الخامس وعنده يكون الوتر.

(**والوظيفة في هذين الوردين الصلاة**) لمن استيقظ في ساعته أو لمن تمم به صلاته، فالصلاة فيه لها فضل وشرف وهو بمنزلة الصلاة في أول الليل بين العشاءين.

وقال صاحب العوارف: لا يليق بالطالب أن يطلع الفجر وهو نائم إلا أن يكون قد سبق له في الليل قيام طويل فيعذر في ذلك على أنه لو استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق في الليل يكون أفضل من قيام طويل، ثم النوم إلى بعد طلوع الفجر، فإذا استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة ويجلس قليلاً بالليل يصلي بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلي على رسول الله ﷺ، فإنه يجد بذلك ترويحاً وقوة على القيام اهـ.

(**وإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل**) الخمسة (**ودخلت أوقات النهار**). فانظر هل دخلت في دخوله عليك في جملة العابدين أم خرج منك وأنت فيه من الغافلين وتفكر أي لبسة ألبسك. فإن الليل جعل لباساً هل لبست فيه حلة النور بتيقظك فتربح تجارة لن تبور، أم ألبسك الليل بثوب ظلمته فتكون ممن مات قلبه بموت جسده بغفلة. نعوذ بالله من سخطه وبعده، (**فيقوم ويصلي ركعتي الفجر**) السنّة (**وهو المراد بقوله تعالى ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار**

فسبّحه وأدبار النجوم﴾ [الطور : ٤٩] ثم يقرأ : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾ [آل عمران : ١٨] إلى آخرها . ثم يقول : وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها . اللهم احطط عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً واحفظها عليّ وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلاً . فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وشهود جنازة . ففي الخبر : « من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له » وفي رواية : « دخل

النجوم﴾ ثم يقرأ) العبد **(﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ إلى آخرها ، ثم يقول : وأنا أشهد بما شهد الله لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه ، واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة أسأله حفظها حتى يتوفاني عليها)** . وتقدم أن أحمد وأبا الشيخ رويا من حديث ابن مسعود « من قرأ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ إلى قوله ﴿الإسلام﴾ ثم قال : وأنا أشهد إلى قوله وديعة جيء به يوم القيامة فقيل له هذا عبدي عهد إليّ عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة » .

(اللهم احطط) أي بتلك الشهادة **(عني وزراً واجعل لي بها عندك ذخراً واحفظها عليّ وتوفني عليها حتى ألقاك غير مبدل تبديلاً)** . هكذا نقله صاحب القوت . **(فهذا ترتيب الأوراد للعباد)** في ليلهم ونهارهم ، وأفضل ما عمله عبد في ورد من أوراد الليل والنهار بعد القيام بفرض يلزمه أو قضاء حاجة لأخيه المؤمن يعينه عليها الصلاة بتدبر الخطاب وشهادة المخاطب ، فإن ذلك يجمع العبادة كلها . ثم من بعد ذلك التلاوة بتيقظ وفراغ هم ثم أي عمل فتح له فيه من فكر أو ذكر برقة قلب وخشوع جوارح ومشاهدة غيب ، فذلك أفضل أعماله في وقته . ومن فاته من الأوراد ينبغي له أن يفعل مثله في وقته أو قبله متى ذكره لا على سبيل القضاء ، ولكن على وجه التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذها بالعزائم كيلا يعتاد التراخي والرخص ، ولأجل الخبر المأثور « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ » وفي حديث عائشة رضي الله عنها رفعته « من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل » .

(وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور : صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض) إن تيسر ، **(وشهادة جنازة)** إن حضرت . **(وفي الخبر « من جمع بين هذه الأربعة غفر الله له »)** روى البيهقي من حديث ابن عمر « من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة وتصدق بما قلّ أو كثر غفر الله له ذنوبه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . **(وفي رواية « دخل الجنة »)** قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة « ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة » .

الجنة » ، فإن اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته ، وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله ﷺ : « الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس » ولقوله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » . ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت : ما لكم إن فيها لمثاقيل ذر كثير ؟ وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيئاً فقال : لا ، ولكنه إن لم يقدر عليه سكت . وفي الخبر : « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامي من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلاثمائة وستون مفصلاً فأمرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وحملك عن الضعيف صدقة ، وهدايتك إلى الطريق صدقة ،

قلت : وروى الطبراني في الكبير ، وأبو سعد السمان في مشيخته من حديث أبي أمامة رضي الله عنه « من صلى يوم الجمعة وصام يومه وعاد مريضاً وشهد جنازة وشهد نكاحاً وجبت له الجنة » .

(وإن اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته) وذلك إن كان في عزيمته بين الأربعة المذكورة ، **(وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة)** ولو بنصفها **(أو بصلة أو كسرة خبز)** أو ما يجري مجرى ذلك ، **(لقول رسول الله ﷺ : « الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس »)** تقدم في الزكاة ، **(ولقوله ﷺ « اتقوا النار ولو بشق تمرة »)** تقدم أيضاً في الزكاة ، **(ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأخذها)** السائل **(ونظر بعض الحاضرين إلى بعض)** أي كالمستقل بتلك الصدقة **(فقالت : ما لكم)** ينظر بعضكم بعضاً **(إن فيها لمثاقيل ذر كثيرة)** نقله صاحب القوت والعوارف ، وتقدم في الزكاة من حديث أبي هريرة « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب فإن الله عز وجل يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل » . **(وكانوا يكرهون رد السائل)** بلا إعطاء شيء **(إذ كان من أخلاق النبي ﷺ أنه ما سأله أحد شيئاً فقال : لا .)** وقد أشار بعض محبي حضرته الشريفة الى ذلك بقوله :

ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم

(لكنه ﷺ إن لم يقدر على شيء) يعطيه إياه **(سكت)** ولم يرده . قال العراقي : رواه مسلم من حديث جابر ، وللبزار من حديث أنس : أو سكت . **(وفي الخبر : « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامي من جسده صدقة - يعني كل مفصل - وفي جسده ثلاثمائة وستون مفصلاً ، فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة ، وحملك عن الضعيف صدقة ، وهدايتك إلى الطريق صدقة ، وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال : « وركعتا**

وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال: « وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله ».

الضحى تأتي على ذلك كله ويجمعن لك ذلك كله ») رواه مسلم من حديث أبي ذر ولفظه: « يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما في الضحى ». وهكذا رواه الحاكم وأبو عوانة وابن خزيمة.

وروى مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً « أنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً من طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار ». ورواه هكذا أبو الشيخ في العظمة.

وروى أبو داود وابن حبان من حديث بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة. قالوا: فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: في النخامة في المسجد يدفنها أو الشيء ينحيه عن الطريق فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك ». وقد أخرج أبو داود حديث أبي ذر بألفاظ مختلفة، والكلام على هذا من وجوه.

الأول: السلامي كحباري أصلها عظام الأصابع وسائر الكف خاصة، ثم استعملت في جميع عظام البدن ومفاصله، وهو المراد في الحديث. وقيل: السلامي كل عظم مجوّف من صغار العظام، والمفصل كمجلس كل ملتقى عظمين من الجسد، وأما كمنبر فهو اللسان وليس مراداً هنا بل المراد السلامي، وهذا معنى قول المصنف يعني كل مفصل.

الثاني: قوله على كل سلامي صدقة أي على سبيل الاستحباب المتأكد لا على سبيل الوجوب، وهذه العبارة تستعمل في المستحب كما تستعمل في الوجوب.

الثالث: إن قلت قد عدّ في الحديث من الحسنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما فرضا كفاية، فكيف أجزأ عنهما ركعتا الضحى وهما تطوع، وكيف أسقط هذا التطوع ذلك الفرض؟ قلت: المراد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قام الفرض بغيره وحصل المقصود وكان كلامه زيادة تأكيد، أو المراد تعليم المعروف لينقل والمنكر ليجتنب فإذا فعلها كان من جملة الحسنات المعدودة من الثلاثمائة والستين، وإذا تركه لم يكن عليه فيه حرج ويقوم عنه وعن غيره من الحسنات ركعتا الضحى، أما إذا ترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر عند فعله ولم يقم به غيره فقد أثم ولا يرفع الإثم عنه ركعتا الضحى ولا غيرهما من التطوعات ولا من الواجبات.

الرابع: فيه فضل عظيم لصلاة الضحى لما دل عليه من أنها تقاوم ثلاثمائة وستين سنة، وهذا

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال:

اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فإنه: إما عابد، وإما عالم، وإما متعلم، وإما والٍ، وإما محترف، وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره.

الأول: العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلاً ولو ترك العبادة لجلس بطالاً، فترتيب أوراده ما ذكرناه، نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراءة أو في التسبيحات، فقد كان في الصحابة رضي

أبلغ شيء في فضل صلاة الضحى، ذكره ابن عبد البر، وذكر أصحاب الشافعي أنها أفضل التطوع بعد الرواتب، لكن النووي في شرح المهذب قدم عليها صلاة التراويح كما تقدم في كتاب الصلاة، وهل يختص ذلك بصلاة الضحى لخصوصية فيها وسر لا يعلمه إلا الله، أو يقوم مقامها ركعتان في أي وقت كان. فإن الصلاة عمل بجميع الجسد فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه فيه احتمال، والظاهر الأول وإلا لم يكن للتنبيه معنى، والله اعلم.

الخامس: فيه أن أقل الضحى ركعتان وهو كذلك بالإجماع وإن اختلفوا في أكثرها. **فحكى** النووي في شرح المهذب عن أكثر الأصحاب أن أكثرها ثمان وهو مذهب الحنابلة كما ذكره في المغني، وجزم الرافعي في الشرح الصغير والمحرر، والنووي في الروضة والمنهاج تبعاً للروياني بأن أكثرها اثنتا عشرة ركعة، وقال النووي في شرح مسلم: أكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست ركعات، وقد تقدم الكلام في ذلك مفصلاً في كتاب الصلاة.

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال:

(**إعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها**). المريد والسالك واحد إلا أن المريد يختص بمن في ذمته عقد الإرادة لشيخ من المشايخ، والسالك أعم من ذلك، وسيأتي بيان معنى السلوك قريباً (**لا يخلو عن ستة أحوال، فإنه إما عابد**) لا شغل له إلا العبادة، (**وإما عالم**) ينفع الناس بتعليمه إياهم ما يقربهم إلى الله تعالى. أو مشغول بتأليف كتاب ندب إليه، (**وإما متعلم**) يشتغل بالعلم بحضوره على علماء وقته، (**وإما وال**) يلي منصباً من المناصب من طرف السلطان، (**وإما محترف**) أي مكتسب بحرفة، (**وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد**) جل جلاله (**عن غيره**) في أحواله.

الأول: العابد: وهو المتجرد لعبادة الله عز وجل) تجرد عن كل ما يشغله عن العبادة (**لا شغل له أصلاً**) إلا العبادة، (**ولو ترك العبادة لجلس بطالاً**) إذ لا شغل له أو لا يحسن شغلاً، (**فترتيب أوراد ما ذكرناه**) سابقاً في عمارة الأوقات بالوجه المذكور، (**نعم**) وفي نسخة أجل (**لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو القراءة**

الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة، وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً، وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة، وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة. وكان بعضهم أكثر ورده القرآن، وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة، وروي مرتين عن بعضهم، وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر في آية واحدة يرددها. وكان كرز بن وبرة مقيماً بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ، ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ.

أو في التسبيحات) بحسب ما تيسر له، **(فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم إثنا عشر ألف تسبيحة)** قال صاحب العوارف ورأيت بعض الفقراء من المغرب بمكة وله سبحة فيها ألف حبة في كيس له ذكر أنه يديرها كل يوم اثنتي عشرة مرة بأنواع الذكر، ونقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم والليلة، **(وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً)** . ولفظ العوارف، والقوت: ونقل عن بعض التابعين أنه كان له ورد من التسبيح ثلاثون ألفاً بين اليوم والليلة، **(وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة)** ركعة **(وإلى ألف ركعة)** أي في اليوم والليلة، **(وأقل ما نقل من أورادهم في الصلاة مائة ركعة)** على التوزيع **(في اليوم والليلة)** . وهذه الضمائر كلها راجعة إلى التابعين كما هو في القوت ولفظه: كان من التابعين من ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة، وكان منهم من ورده ستمائة ركعة، وأقل من نقل عنه من الأوراد مائة ركعة في اليوم. **(وكان بعضهم أكثر ورده القرآن، وكان يختم أحدهم في اليوم مرة. وروي عن بعضهم مرتين، وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر في آية واحدة يرددها)** . تقدم تفصيل ذلك في كتاب تلاوة القرآن.

(وكان كرز بن وبرة) الحارثي نزيل جرجان أحد الأبدال **(مقيماً بمكة فكان يطوف)** في **(كل يوم سبعين أسبوعاً، وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً، وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين، فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون له مع كل أسبوع ركعتان، فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ)** هكذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا علي بن المنذر، حدثنا محمد بن فضل قال: سمعت ابن شبرمة يقول:

لو شئت كنت ككرز في تعبده ... أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ... وسارعا في طلاب الفوز والكرم

فإن قلت: فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد؟ فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع، ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص، ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به، فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه، فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره، ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات ـ كما سبق ـ والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن الملال هو الغالب على الطبع، وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضاً تختلف.

وكان محمد بن طارق يطوف في كل يوم وليلة سبعين أسبوعاً. قال: وكان كرز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات.

أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم في كتابه قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا أبو حفص النيسابوري، حدثنا الصلت بن مسعود، حدثنا ابن عيينة قال: سمعت ابن شبرمة يقول لابن هبيرة: لو شئت كنت ككرز في تعبده الى آخر البيتين، فقال ابن هبيرة: من كرز ومن ابن طارق؟ قال: قلت أما كرز فكان إذا كان في سفر واتخذ الناس منزلاً اتخذ هو منزلاً للصلاة، وأما ابن طارق فلو اكتفى أحد بالتراب كفاه كف من تراب.

قال أبو حفص: ذكروا أن ابن طارق كان يقدر طوافه في اليوم عشرة فراسخ. حدثنا أبو بكر ابن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني شريح بن يونس، حدثنا محمد بن بطين قال: رأيت ابن طارق في الطواف قد انفرج له أهل الطواف عليه نعلان مطرقتان. قال: فحرروا طوافه في ذلك الزمان فإذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ اهـ لفظ الحلية. وهذا الأخير قد رواه أيضاً أبو الفرج ابن الجوزي في مثير العزم من هذا الطريق، ونقله المحب الطبري في المناسك.

(فإن قلت: فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد؟ فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر) والتفهم لمعاني ما يقرأ **(يجمع الجميع)** مما ذكر، **(ولكن ربما تعسر المواظبة على ذلك)** لمانع، **(فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره)** من الأدناس الباطنة **(وتحليته)** اي تزيينه **(بذكر الله تعالى وإيناسه به)** بكمال الرغبة فيه، **(فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه)** فهو الأفضل في حقه، **(فإذا أحس بملالة منه)** وسئمت النفس **(فلينتقل إلى غيره)** من تلك الأوراد، **(ولذلك نرى الأصوب بأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات ـ كما سبق)** تقريره ـ **(والانتقال من نوع منها إلى نوع)** ثان **(لأن الملل هو الغالب على الطبع)** في الأكثر، **(وأحوال الشخص الواحد أيضاً في ذلك تختلف)** باختلاف

ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلاً وأحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجدلها وقعاً. وقد روي عن ابراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطىء البحر فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم يرَ أحداً فقال: من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال: أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت. قلت: فما اسمك؟ قال: مهلهيائيل. قلت: فما ثواب من قاله. قال: من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرى له. والتسبيح هو قوله: «سبحان الله العلي الديّان. سبحان الله الشديد الأركان. سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار. سبحان من لا يشغله شأن عن شأن.

الطبائع والأوقات والهمم، **(ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى)** المراد منها **(فإن سمع)** وفي نسخة: فإن سبح **(تسبيحة مثلاً وأحس لها بوقع في قلبه، فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعاً)** في القلب وإقبالاً عليها به.

(وقد روي عن ابراهيم بن أدهم) قدس سره فيما حكاه **(عن بعض الابدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطيء البحر فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم ير أحداً فقال: من أنت اسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال: أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله عز وجل بهذا التسبيح منذ خلقت. قلت: فما اسمك؟ فقال: مهلهيائيل)** وفي نسخة مهليهايل وهو من الاسماء السريانية. **(قلت: فما ثواب من قاله؟ قال: من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له. وهو هذا)** التسبيح: **(«سبحان الله العلي الدَّيان)** أي المجازي لعباده، **(سبحان شديد الأركان)** أي أركان عزه وعظمته وعرشه، **(سبحان الله الحنّان المنّان، سبحان الله المسبح في كل مكان، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن»)** هكذا أورده صاحب القوت. وقال: وحدثونا عن ابراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال فساقه. ولكن بتقديم وتأخير فيه، فأورد بعد قوله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار إلى آخره، ثم أتى بقوله سبحان المسبح في كل مكان. وهكذا نقله صاحب العوارف أيضاً.

وروى ابن شاهين في الترغيب والترهيب وابن عساكر في التاريخ من حديث أبان عن أنس رفعه «من قال كل يوم مرة سبحان القائم الدائم، سبحان الحي القيوم، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الله العظيم وبحمده. سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له» قال: فليقل مائة مرة بين اليوم الليلة هذا التسبيح ثم ساقه.

وقال صاحب القوت، وقال هشام بن عروة: كان أبي يواظب على ورده في التسبيح كما يواظب على حزبه من القرآن، وروي عنه أيضاً أنه كان يواظب على حزبه من الدعاء كما يواظب على حزبه

سبحان الله الحنان المنان. سبحان الله المسبَّح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعاً فيلازمه وأيًّا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه.

الثاني: العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف، فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد، فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة، ويحتاج إلى مدة لها لا محالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد

من القرآن. قال: ولا يدع العبد أن يسبح أدبار الصلوات الخمس مائة تسبيحة عند كل صلاة مكتوبة، وكذلك عند النوم مائة، وليواظب على أن يقول إذا أصبح وأمسى ما جاء في تفسير قوله عز وجل ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ [الزمر: ٦٣] فإن لذلك ثواباً عظيماً.

روينا عن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال له: « سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك هو الله الذي لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوّة إلا بالله عز وجل وأستغفر الله الأوّل والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير. من قالها عشراً حين يصبح وحين يمسي أعطي بها ست خصال: **فأوّل** خصلة يحرس من ابليس وجنوده، **والثانية** يعطى قنطاراً من الأجر، **والثالثة:** ترفع له درجة في الجنة، **والرابعة:** يزوجه الله عز وجل من الحورالعين، **والخامسة:** يحضرها إثنا عشر ملكاً، **والسادسة:** يكون له من الاجر كمن حج واعتمر ». وليواظب على قراءة الآيات الست عند كل صلاة يصليها ففي ذلك ثواب عظيم ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون★ وسلام على المرسلين★ والحمد لله ربّ العالمين﴾ الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] وقوله عز وجل ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ إلى قوله ﴿تخرجون﴾ [الروم: ١٧ - ١٩] ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم خمسين مرة. خمساً وعشرين إذا أصبح، وخمساً وعشرين إذا أمسى، فإنه يكتب من الأبدال لأثر في ذلك. وليقل كل يوم عشر مرات: اللهم اصلح أمة محمد، اللهم ارحم امة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد ﷺ. يقال إن من قاله كل يوم كتب له ثواب بدل من الأبدال، وليقل إذا أصبح وإذا أمسى ثلاثاً: اللهم أنت خلقتني وأنت هديتني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني أنت ربي لا ربّ لي سواك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. فإن في ذلك شكر نعمة يومه.

(**فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعاً**) وتأثيراً (**فيلازمه وما وجد قلبه عنده وفتح له**) باب (**خير**) وبركة (**فليواظب عليه**) فمن حضر له في شيء فليلازمه كما ورد في بعض الأخبار.

(**الثاني: العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف**) بأن يكون متصدياً لأحد هذه الأوصاف بأنفراد كل منها أو ببعضها أو بجميعها، (**فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد**) الذي ذكر قبل هذا (**فإنه**) أي العالم (**يحتاج إلى المطالعة للكتب**) ومراجعتها (**وإلى التصنيف**) والتأليف والإفادة، (**ويحتاج إلى مدة لها**) وفي بعض النسخ لذلك (**لا**

المكتوبات ورواتبها. ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم. وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى؟ وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة. ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعاً، وإنما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا، أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك. دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق، والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضاً فإن استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع، فينبغي أن يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأوّل. وبعد الطلوع

محالة)، فالمفتي يحتاج في إفتائه إلى مطالعة فروع المذهب في كتاب أو كتابين أو أكثر، وربما تكون المسألة ذات وجوه فيستدعي التأني في مراجعته مع التفرغ التام وإحضار الذهن، والمدّرس كذلك يحتاج إلى مطالعة ما يلقيه في درسه مع مراجعة شروح وحواش باستحضار الذهن وسعة النظر، والمصنف يحتاج إلى مراجعة موادّ متألفة بالفن الذي يصنف فيه فيفصل ما أجملوه ويختصر ما طوّلوه ويقرب إلى الاذهان ما استكملوه ويبين ما أبهموه، وكل ما ذكرنا يحتاج إلى مدة، ولكن هذه المدة تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال، فالذكي المتوقد الذهن من هؤلاء الثلاثة قد لا يستغرق مدة طويلة، والبليد الذهن قد يتعب فيستدعي إلى صرف الوقت إلى مدة طويلة، **(فإن أمكنه استغراق الأوقات في ذلك فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها)** لتعدي نفعه ولفضله، **(ويدل على ذلك ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم، وكيف لا)** يكون ذلك، **(وفي العلم المواظبة على ذكر الله عز وجل، وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله** ﷺ **وفيه منفعة الخلق)** أي يتعلمونه فينتفعون به في دينهم **(وهدايتهم إلى طريق الآخرة)** مما يحصل به النجاة من عذابها. **(ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم)** في دينه **(فيصلح عبادة)** طول **(عمره)** بارشاده لهم إليها ولو لم يتعلمها لكان سعيها ضائعاً. **(وإنما نعني بالعلم)** المشار إليه **(المقدم على العبادة هو العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا)** وهي العلوم الشرعية: الفقه والحديث والتصوّف، **(والعلم الذي يعينهم على سلوك الآخرة إذا تعلموه على قصد الإستعانة به على)** ذلك **(السلوك دون العلوم التي تزيد بها)** أي بتحصيلها **(الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق)** أي إقبالهم عليه كالاشتغال بالمنطق والفلسفة وعلم الفلك والهيئة وكالتوغل في غوامض علم النحو والطب والبيطرة، **(والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضاً)** كما ذكر في العابد، **(فإن استغراق الأوقات في ترتيبه العلم)** افتاء وتدريساً وتصنيفاً **(لا يحتمله الطبع)** البشري، **(فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار)** الواردة **(والأوراد)** الراتبة **(لما ذكرناه في الورد**

إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علماً لأجل الآخرة، وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين، فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات، ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار. ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع، ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح، فيكون ورده الأوّل قبل طلوع الشمس في عمل اللسان، وورده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة، وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة، وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد، فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرّ بالعين. وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو

الأوّل) آنفاً **(وبعد الطلوع إلى الضحوة)** الكبرى **(في الإفادة والتعليم)** والقاء الدروس **(إن كان عنده من يستفيد علماً)** منه **(لأجل)** زاد **(الآخرة وإن لم يكن)** بالوصف المذكور **(فيصرفه)** أي الوقت **(إلى الفكر)** والتأمل ومراجعة ما يحتاج إليه **(فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب)** وفراغ الذهن **(بعد الفراغ من الذكر)** والمراقبة **(وقبل الاشتغال بهموم الدنيا)** وتدبير المعاش إن كان معيلاً **(يعين على التفطن للمشكلات والعويصات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة)** والمراجعة **(لا يتركها)** وفي نسخة لا يتركها **(إلا في وقت أكل)** إن لم يكن صائماً **(وطهارة و)** أداء **(مكتوبة وقيلولة خفيفة)** بمقدار ساعة زمانية أو أقل **(إن طال النهار)** وذلك في الصيف. **(ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير)** مأثور **(أو حديث)** منقول من كتب صحيحة **(أو علم نافع)** وهو التصوّف ومعاملات القلوب، **(ومن الإصفرار إلى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح والذكر)** بأنواعها مما تيسر على اللسان، **(فيكون ورده الأوّل قبل طلوع الشمس في عمل اللسان)** وهو الذكر، **(وورده الثاني في عمل القلب بالفكر)** والتأمل **(إلى الضحوة، وورده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة)** فيه لف ونشر مرتب، **(وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروّح فيه العين)** عن المطالعة **(واليد)** عن الكتابة، **(فالمطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضر ذلك بالبصر)** وينسب إلى علي رضي الله عنه: من أحب كريمتيه فلا يكتبن بعد العصر. وهذا قد يختلف باختلاف الأشخاص والأماكن فرب شخص قوي البصر قد لا يمنع في ذلك، وربَّ مكان مشرف مشرق لا يضر البصر بعد العصر لانتشار ضوئه. **(وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان)** كما كان في الورد الأوّل ليكون آخره كأوله **(فلا يخلو جزء من)** أجزاء **(النهار عن**

جزء من النهار من عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع. وأما الليل، **فأحسن** قسمة فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء: ثلثاً للمطالعة وترتيب العلم وهو الأوّل، وثلثاً للصلاة وهو الوسط، وثلثاً للنوم وهو الأخير. وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار. **فهذا** ما نستحبه من ترتيب أوراد العالم.

الثالث: المتعلم. والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل، **فحكمه** حكم العالم في ترتيب الأوراد، ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته ـ كما ذكرنا ـ وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتابي العلم يدل على أن ذلك أفضل. بل إن لم يكن

عمل بالجوارح مع حضور القلب في الجميع)، وهذا هو طريق الاختيار في حق العالم، وقد لا يستقيم بعد هذا الترتيب لعوارض تعرض له فيعمل كل شيء بما يقتضيه الوقت والحال وهذا ترتيب النهار.

(وأما الليل فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء: ثلث للمطالعة) والمراجعة **(وترتيبه العلم وهو الأول، وثلث للصلاة وهو الأوسط، وثلث للنوم وهو الأخير)** وهكذا ذكره البيهقي وغيره في مناقبه. ونقله ابن السبكي وابن كثير في الطبقات في ترجمته وحصة كل ثلث نحو أربع ساعات **(وهذا يتيسر في ليالي الشتاء)** لطولها. **(والصيف ربما لا يحتمل ذلك)**لقصر لياليه **(إلا إذا أكثر النوم بالنهار)** فتندرج حصة الثلث الثالث في الثلثين، وإن جعل الثاني للنوم والثالث للصلاة فهو قريب من القسمة الأولى، **(فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العالم)**. ومن اختار هذا الترتيب في النهار والليل من العلماء بورك في علمه وتصنيفه، وذكر بعض العلماء في ترجمة المصنف قدس سره أنه صنف هذا الكتاب في مائة يوم، ومع ذلك كان يختم القرآن في اليوم والليلة مرة. فهذا وأمثاله مما وقع لغيره من المصنفين من بركة الوقت وحسن إخلاصهم رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم آمين.

(الثالث: المتعلم والاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل) بل الأشتغال بالعلم اشتغال بالذكر إذ العلم الذي يشتغل به يذكر فيه الله ورسوله فهو في ذكر، **(فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد)** كما ذكرنا، **(ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة، و)** يشتغل **(بالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف)** والجمع، والمراد بالتعليق هنا ضبط ما سمعه من الشيخ في طرة الكتاب حفظاً له والنسخ كتابة ما يحتاج إليه في دراسته، **(وترتيب أوقاته ـ كما ذكرناه ـ وكل ما ذكرناه في فضيلة التعليم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل، بل إن لم يكن متعلماً على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير)** بذلك

متعلماً على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالماً. بل كان من العوام فحضور مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات. ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه: « إن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض ». وقال ﷺ: « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها. فقيل: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر ». وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة امارته وكل ذي سوق سوقه. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء، وقال رجل للحسن رحمه الله: أشكو إليك قساوة قلبي. فقال: أدنه من مجالس الذكر. ورأى

(عالماً بل كان من العوام) وإنما حضوره في مجالس العلماء للاستماع فقط، **(فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه « إن حضور مجلس ذكر)** وفي رواية: مجلس علم **(أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض »)** تقدم للمصنف في كتاب العلم بلفظ « حضور مجلس عالم » وتقدم ان ابن الجوزي ذكره في الموضوعات من حديث عمر. وقال العراقي: لم أجده من طريق أبي ذر.

(وقال النبي ﷺ « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها. قيل يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر ») رواه الترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ « إذا مررتم » وتقدم للمصنف كذلك في كتاب العلم.

(وقال كعب الأحبار: لو أن ثواب المجالس) أي مجالس العلم والذكر **(بدا)** أي ظهر **(للناس لاقتتلوا عليه)** بالسيوف **(حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبل تهامة فإذا سمع العالم) وفي نسخة العلم **(خاف واسترجع عن ذنوبه انصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء)** وفي نسخة العلم **(فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم عليه من مجالس العلماء. وقال رجل للحسن)** رحمه الله تعالى: يا أبا سعيد **(أشكو إليك قساوة قلبي. قال: أدنه)** بفتح الهمزة وكسر النون أمر من أدناه إذا قربه **(من مجالس الذكر)** أي أجعله قريباً منها بحضورك لها. **(ورأى عمار الزاهد)**

عمار الزاهدي مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال: مرحباً يا مسكينة. فقالت: هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى! فقال: هيه. فقالت: ما تسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها؟ قال: وبمَ ذلك؟ قالت: بمجالسة أهل الذكر. وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا.

الرابع: المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات، بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب، ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن، فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل، وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناطوراً فإنه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه، ثم مهما فرغ من كفايته

هو والد منصور القاص (**مسكينة**) امرأة من الصالحات العابدات ذكرها ابن الجوزي في الطبقات (**الطفاوية**) منسوبة إلى بني طفاوة بطن من العرب (**في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر**) ومجالس العلم (**فقال**) لها: (**مرحباً يا مسكينة. فقالت: هيهات هيهات ذهبت المسكنة**) أي الفقر ومنه اشتقاق المسكين (**وجاء الغنى! فقال: هيه**) كلمة استزادة، (**فقالت: لا تسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها**) أي بأجمعها. (**قال: ولم ذلك**) أي بأي شيء نلت ذلك؟ (**قالت: بمجالسة أهل الذكر**): وهم أهل العلم والصلاح بدليل قوله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣].

(**وعلى الجملة؛ فما ينحل عن القلب عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ**) أي ناصح (**حسن الكلام**) أي في سوقه (**زكي السيرة**) أي طهرها (**أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا**)، وإنما القصد من الأوراد تزكية النفس وتطهيرها، فإذا لم ينزع الورد حب الدنيا من قلب صاحبه لم ينتفع به صاحبه.

(**الرابع: المحترف**) أي صاحب الحرفة (**الذي يحتاج إلى الكسب لعياله، فليس له أن يضيع العيال**) فلا يمونهم ويشتغل عنهم (**ويستغرق الأوقات**) كلها (**في العبادات**) بأنواعها، (**بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق**) للبيع والشراء (**والاشتغال بالكسب**) الذي حضر له فيه، (**ولكن ينبغي أن لاينسى الله عز وجل في صناعته**) التي هو مشتغل بها (**فيواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن**) حسبما تيسر له من كل ذلك، (**فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل**) الذي هو فيه لأنه من جملة أعمال اللسان، (**وإنما الذي لا يتيسر مع العمل الصلاة**) فإنها تستدعي فراغ حال ووقت فالاشتغال بها يفوت مقصود الكسب في معظم الوقت (**إلا أن يكون ناطوراً**) أي حافظ بستان (**فإنه لا يعجز عن إقامة أوراد

ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد ، وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التي ذكرناها لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة ، والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى ، ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر .

الخامس : الوالي : مثل الإمام والقاضي والمتولي لينظر في أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة ، فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل ، كما كان عمر رضي الله عنه يفعله إذ قال : ما لي وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي . وقد فهمت بما ذكرناه أن يقدم

الصلاة مع ذلك) العمل ، **(ثم مهما فرغ من كفايته)** لقوت نفسه وعياله **(ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد)** فيما بقي له من الوقت ليجمع بين الفضيلتين ، **(فإن داوم على الكسب)** طول نهاره وحصل زيادة عن القوت **(وتصدق بما فضل من حاجته)** وحاجة عياله ، **(فذلك أفضل من سائر الأوراد)** التي ذكرناها ، **(لأن العبادة المتعدية فائدتها)** إلى الغير **(أنفع من اللازمة)** التي لا تتعدى ، **(والصدقة والكسب على هذه النية)** كل منهما **(عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى)** زلفى هذا بالنظر إلى أصل النية . **(ثم تحصل بها فائدة للغير)** لا سيما مع حاجته إليها **(وتنجر إليه بركات دعوات المسلمين)** فإنها مستجابة **(فيضاعف له)** بذلك **(الأجر)** التام من الله تعالى .

(الخامس : الوالي) هو في الأصل من يلي أمور المسلمين **(مثل الإمام)** الأعظم **(والقاضي)** الذي من تحت يده يقضي في الأحكام الشرعية ودخل فيه المفتي وقد يجمع بينهما إذ هو **(المتولي أمراً من أمور المسلمين)** في المناصب الدينية ، كالاحتساب والنظر على الأوقاف والايتام وغير ذلك ، أو الدنيوية كتولية البلاد والقرى والأراضي والجبايات والعشور وغير ذلك ، **(فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة)** ، ولكن بهذين الشرطين فإن عدم أحدهما ووجد الثاني فلا تثبت به الأفضلية ، **(فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً)** لا يحتجب عنهم ولا يمتنع عن حاجاتهم ، **(ويقتصر على المكتوبة والرواتب)** فقط وما بينهما من أذكار خفيفة فهي ملحقة بالرواتب ، **(ويقيم الأوراد المذكورة)** بترتيبها **(بالليل)** اذ الليل خلفة النهار **(كما كان عمر رضي الله عنه يفعله . إذ قال : ما لي وللنوم لو نمت بالنهار لضيعت أمر المسلمين)** لأنه يشتغل عنهم فيضيع أمرهم **(ولو نمت بالليل لضيعت نفسي)** ، وكان رضي الله عنه كثير الصلاة في وسط الليل كما هو عند ابن أبي شيبة وغيره ، **(فقد فهمت مما ذكرناه أنه يتقدم على العبادات البدنية أمران**

على العبادات البدنية أمران. أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين، لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه.

السادس: الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمومه همّ واحـ. فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله

أحدهما: العلم) أي الاشتغال به، (والآخر: الرفق بالمسلمين) والنظر في مصالحهم، (**لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة وتفضل سائر العبادات بتعدي فائدتها**) إلى الغير (**وانتشار جدواها**) أي نفعها (**فكانا مقدمين على سائر العبادات**) لذلك.

(**السادس: الموّحد المستغرق بالواحد الصمد**) جل جلاله (**الذي أصبح وهمه هم واحد**) قد انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها، فلم يبق فيه متسع لغيره ولم يكن همه سوى الله تعالى، وهو المشار إليه في الخبر الذي رواه الحاكم عن ابن عمر «من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة ومن تشاعبت به الهموم لم يبال الله به في أي أودية الدنيا هلك». (**فلا يحب إلا الله عز وجل**) وآيته أن يكثر من ذكره، ففي حديث عائشة «من أحب شيئاً أكثر من ذكره». رواه أبو نعيم، (**ولا يخاف إلاّ منه**) إذ ليس في نظره سواه، ومن كان كذلك لا يخاف إلا منه. روى أبو الشيخ عن واثلة «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء» وروى الترمذي عن أنس «من خاف أولج ومن أولج بلغ المنزل». وقال حسن غريب. وروى الديلمي عن أنس «من خاف شيئاً حذره ومن رجا شيئاً عمل له ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية» (**ولا يتوقع الرزق من غيره**) إذ لا كافي في الحقيقة إلا هو والأرزاق بيد الخلاق، فالعارف في تحصيل رزقه لا يتعدى نظره إلى غيره سبحانه، (**ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله عز وجل فيه**) ومعه، وهذه درجة العلماء الراسخين فإليها الإشارة بقوله ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت: ٥٣] وصاحب هذه الدرجة صاحب استدلال بالآيات، وأعلى من هذا من يرى شيئاً فيرى الله قبله وإليه الاشارة بقوله ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ [فصلت: ٥٣] وصاحب هذا المقام صاحب مشاهدة وهي درجة الصديقين وليس بعدهما إلا درجة الغافلين المحجوبين فمنهم من يرى الأشياء به، ومنهم من يرى الأشياء فيراه بالاشياء. وتحقيق ذلك أن كل ما سواه فوجوده مستعار وقوامه ليس بنفسه، ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض، فترى أن من استعار ثياباً وفرساً وركباً وسرجاً وركبه في الوقت الذي أركبه المعير وعلى الحد الذي رسمه له غني بالمجاز أو بالحقيقة أو ان المعير هو الغني أو المستعير؟ كلا بل المستعير فقير في نفسه كما كان، وإنما الغني هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء وإليه الاسترداد والانتزاع.

تعالى فيه، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحداً وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد، فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى. فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سبباً لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿لعلكم تذكرون* ففروا إلى الله﴾ [الذاريات: ٤٩، ٥٠] وتحقق فيهم قوله تعالى: ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ [الكهف: ١٦] وإليه الإشارة بقوله: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [الصافات: ٩٩] وهذه منتهى درجات الصديقين

(**فمن ارتفعت رتبته**) من حضيض المجاز (**إلى**) ارتفاع حقيقة (**هذه الدرجة**) واستكمل معراجه فرأى بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود إلاّ الله وأن ﴿كل شيء هالك إلاّ وجهه﴾ [القصص: ٨٨] كما هو مقتضى كلام الموحد المستغرق (**لم يفتقر إلى تنويع الأوراد**) وترتيبها (**واختلافها، بل كان ورده بعد المكتوبات ورداً واحداً وهو حضور القلب مع الله عز وجل في كل حال**) وذلك بالتوجه والمراقبة، وبه يحصل دوام الجمعية ودوام قبول القلب وهو المعنى الذي يسمى جمعاً وقبولاً، ولما كان الحضور متوقفاً على المراقبة وهي مفاعلة فلا بد من التراقب من الجانبين، فعلى هذا لا بدّ للمراقب أن يكون مراقباً لاطلاعه على إطلاع الحق سبحانه على أحواله أو مراقباً لاطلاعه على موجده فلا فتور، أو يكون مراقباً لقلبه (**ولا يخطر بقلبه أمر**) يشتت خاطره (**ولا يقرع سمعه قارع ولا يلوح لبصره لائح**)، فحينئذ يتيسر له الربط بقلبه الحقيقي من غير ملاحظة معنى المفاعلة، وإذا فرض خطور أمر بقلبه لكن لا بطريق الحلول فيه أو قرع قارع أو تلوح لائح، لكن لا يكون (**إلا كان له عبرة وفكرة**) **في كل من ذلك** (**ومزيد**) حال وأنوار كما هو شأن الكمل، (**فلا**) بأس بذلك إذ من مقامه عرفان أن لا (**محرك له إلا الله ولا مسكن إلا الله**) وهذا أقرب إلى الخدمة الإلهية، وبه يتوصل إلى الوزارة العظمى والإشراق على الخواطر وتنوير الغير والنظر إليه بعين الموهبة. (**فهذا جميع أحواله تصلح أن يكون سبباً لا زدياده**) بتقوية البصيرة واذهاب الصورة وظهور المعنى المقصود، (**فلا يتميز عنده عبادة عن عبادة**) ولا حال عن حال (**وهو الذي فرّ**) عن نفسه (**إلى الله تعالى كما قال عز وجل** ﴿**لعلكم تذكرون* ففرّوا إلى الله** ﴾إني لكم منه نذير مبين﴾ (**وتحقق فيه قوله تعالى** ﴿**وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته**﴾) والاشارة في قوله (**إلا الله**) فهؤلاء نفوا عن قلوبهم عبادة غيره تعالى فلم يحل فيها خاطر للسوى قط، (**وإليه الاشارة بقوله** ﴿**إني ذاهب إلى ربي سيهدين**﴾) فالذهاب إلى الله هو الغنى في الله بحيث لا يبقى له خبر عما سوى الله. (**وهذه**) الرتبة (**منتهى درجات**

ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهراً طويلاً ، فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته ، فذلك علامته أن لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال ، وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه . وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى . قال تعالى : ﴿ قل كُلٌّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾ [الاسراء : ٨٤] فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى من بعض . وفي الخبر : « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على

الصديقين) أهل المشاهدة العيانية **(ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهراً طويلاً)** فيظهر بذلك أثر من آثار الجذبات الإلهية والأثر متفاوت بتفاوت الاستعدادات ، فبعضهم أوّل ما يحصل له الغيبة عما سوى الله تعالى ، وبعضهم أول ما يحصل له الشكر والغيبة ، وبعد ذلك يتحقق له مقام الفناء كما قال بعض العارفين في تفسير قوله تعالى ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ أي إذا نسيت غيره ، ثم نسيت نفسك ، ثم نسيت ذكره في ذكرك ، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكرك ، **(فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته)** ، وإن لاح له في ذلك ما يؤيد دعواه فليعلم انه اغترار ، **(فذلك علامته أن لا يهجس في قلبه وسواس)** لكونه محفوظاً منه **(ولا يخطر في قلبه معصية)** إذ خطورها من وساوس الشيطان ، **(ولا تزعجه هواجم الأهوال)** هي الشدائد التي تهجم مرة واحدة لا يستطيع الإنسان حملها ولا تستفزه أي لا تحركه **(عظائم الاشغال)** أي الاشغال العظيمة المهمة التي من شأنها الإنزعاج لها ، **(وأنّى يرزق هذه الرتبة أي أحد)** هيهات هيهات ! !

كيف الوصول إلى سعاد ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوفُ

(فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد) وعمارة الأوقات بالاذكار ، **(ـ كما ذكرناه ـ وجميع ما ذكرناه طرق)** للوصول **(إلى الله تعالى)** والقرب والبعد بحسب همة السالك فيها **(قال الله تعالى ﴿ قل كل يعمل على شاكلته فربّكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾)** أي أكثر هداية في السلوك ، **(فكلهم مهتدون)** بهداية الله تعالى ، **(وبعضهم أهدى)** من بعض . **(وفي الخبر « الايمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله عز وجل بالشهادة على طريق منها دخل الجنة »)** .

قال العراقي : رواه ابن شاهين ، واللالكائي في السّنة ، والطبراني ، والبيهقي في الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده « الايمان ثلاثمائة وثلاث وثلاثون شريعة فمن وافى شريعة منها دخل الجنة » وقال الطبراني : ثلاثمائة وثلاثون وفي اسناده جهالة اهـ .

قلت : وهذا نص اللالكائي في كتاب السّنة أخبرنا أحمد بن عبيد ، أخبرنا علي بن عبد الله بن

طريق منها دخل الجنة » . وقال بعض العلماء : الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقاً بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله تعالى ، فإذاً الناس وإن اختلفت طرقهم

بشير ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا المنهال بن بحر أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي سنان ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد قال : حدثني أبي عن جدي عبيد وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال « الايمان ثلاثمائة وثلاث وثلاثون شريعة من وافى الله بشريعة دخل الجنة » اهـ .

قلت : وقد رواه أيضاً ابن السكن ، وأبو نعيم من هذا الطريق وعبيد له صحبة وحديثه عند ولده قاله ابن السكن . وقال ابن حبان في ترجمة حفيده المغيرة بن عبد الرحمن في الثقات ، روى عن أبيه عن جده وكانت له صحبة فيما يزعمون وعداده في أهل الشام . وقال ابن عبد البر : روى عن النبي ﷺ في الايمان حديثه عند حماد بن سلمة يشير إلى هذا الحديث .

(وقال بعض العلماء : الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقاً بعدد الرسل كل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك للطريق إلى الله تعالى) .

قلت : وقد روي هذا مرفوعاً بمعناه . وجدت بخط ابن الحريري عن خط الشيخ زين الدين القرشي الواعظ ما نصه : قال أبو داود الطيالسي : حدثنا عبد الواحد بن زيد ، حدثنا عبدالله بن راشد مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن لله عز وجل مائة خلق وسبعة عشر خلقاً من أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة » .

قلت : رواه من هذا الطريق بهذا الإسناد الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، وأبو يعلى والبيهقي . وفي رواية لهم « ستة عشر خلقا » وفي أخرى « بضعة عشر خلقا » وفي أخرى « شريعة » بدل « خلقا » . ثم قال البيهقي : هكذا رواه عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد وليس بقوي في الحديث ، وقد خولف في إسناده ومتنه . وقال في اللسان ، قال ابن عبد البر عبد الواحد بن زيد : أجمعوا على تركه ، وقال ابن حبان : يقلب الأخبار من سوء حفظه وكثرة وهمه ، فاستحق الترك وعبد الله بن راشد ضعفوه وبه أعل الهيثمي الخبر ، قال المناوي : لكنه عصب الجناية برأسه وحده فلم يصب . وقال الحكيم الترمذي بعد أن ساقه بسنده : كأنه يريد أن من أتاه بخلق واحد منها وهب له جميع سيئاته وغفر له سائر ذنوبه وفي خبر : إن الأخلاق في الخزائن فإذا أراد الله بعبد خيراً منحه خلقا منها اهـ .

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً : « إن لله عز وجل لوحاً من زبرجدة خضراء تحت العرش كتب فيه أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة ان لا إله إلا الله دخل الجنة » وإسناده حسن .

وقال المصنف في خاتمة المقصد الأسنى ما نصه : وأعلم أنه إنما حملني على ذكر هذه التنبيهات ردف هذه الأسامي والصفات قوله ﷺ : « تخلقوا بأخلاق الله عز وجل » . وقوله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين خلقاً من تخلق بواحد منها دخل الجنة » وما تداولته ألسنة الصوفية من كلمات تشير

في العبادة فكلهم على الصواب: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ [الاسراء: ٥٧] وإنما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله. وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له، فمن عرفه لم يعبد غيره. والأصل

إلى ما ذكرناه، ولكن على وجه توهم عند غير المحصل شيئاً في معنى الحلول والإتحاد وذلك غير مظنون بعاقل، فضلاً عن المتميز بخصائص المكاشفات، ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي يحكي عن شيخه أبي القاسم الكرماني قدس الله روحهما أنه قال: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل، وهذا الذي ذكرناه إن أراد به شيئاً يناسب ما أوردناه في التنبيهات فهو صحيح ولا يظن به إلا ذلك، ويكون في اللفظ نوع توسع واستعارة وإلا فمعاني الاسماء هيٰ صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة لغيره، ولكن من يحصل ما يناسب تلك الأوصاف كما يقال: فلان حصل علم الأستاذ وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ، بل يحصل له مثل علمه وإن ظن ظان أن المراد به ليس ما ذكرناه فهو باطل قطعاً فإني أقول قول القائل: أن أسماء الله تعالى صارت أوصافاً له لا يخلو ما إن عنى به عين تلك الصفات أو مثلها، فإن عنى به مثلها من حيث الإسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني، فهذان قسمان وإن عنى به عينها فلا يخلو إما أن يكون بطريق الإنتقال لصفات الرب إلى العبد أولاً بالإنتقال، فإن لم يكن بالإنتقال فلا يخلو إما أن يكون بإتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فتكون صفاته صفاته، وإما أن يكون بطريق الحلول. وهذه أقسام ثلاثة: وهو الإنتقال والإتحاد والحلول، وقسمان متقدمان فهذه خمسة أقسام الصحيح منها قسم واحد، وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الإسم، ولكن لا تماثلها مماثلة تامة، ثم أطال الكلام في القسم الثاني والثالث والرابع والخامس بما ليس هو من غرض هذا المقام ثم قال:

فإن قلت: فما معنى قوله إن العبد مع الإتصاف بجميع ذلك سالك لا واصل فما معنى السلوك وما معنى الوصول على رأيه؟

فأعلم أن السلوك هو تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف، وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد في جميع ذلك مشتغل بنفسه عن ربه لأنه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول، وإنما الوصول أن تنكشف له جلية الحق ويصير مستغرقاً به فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله، وإن نظر إلى همته فلا همة له سواه فيكون كله مشغولاً بكله مشاهدة وهما لا يلتفت في ذلك إلى نفسه لغير ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق، وكل ذلك طهارة وهي البداية وإنما النهاية أن ينسلخ من نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول عنده، والله أعلم.

(**فإذاً الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط**) السوي قال الله تعالى: (**﴿أولئك الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾**) أي أكثر قرباً (**وإنما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله وأقربهم إلى الله عز وجل أعرفهم به**) فدرجات القرب مختلفة بقدر المعرفة (**وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له**) أي أكثرهم عبادة له

في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة ، فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة ، وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها ، وإنما يترتب الأثر على المجموع ، فإذا لم يعقب العمل الواحد أثراً محسوساً ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير ، فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهراً أو أسبوعاً ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ، ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه ، ولهذا السر قال رسول الله ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ » . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله ﷺ فقالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملاً أثبته . ولذلك قال ﷺ : « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله » . وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تداركاً لما فاته

بأنواعها ، (**فمن عرفه لم يعبد غيره**) وإليه الإشارة في آية الكهف المتقدمة ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ [الكهف : ١٦] وفي قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد﴾ ومن ظن أنه قد استغنى عن الطاعة فهو زنديق قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران : ٣١] (**والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة**) فإن من ليس له ورد فما له من الموارد أمداد . (**فإن المراد منها تغيير صفات الباطن**) المذمومة بالمحمودة وتهذيب الظاهر بأنوار الشريعة ، (**وآحاد الأعمال يقل آثاره بل لا يحس له بأثر**) وفي نسخة : تقل آثارها لا يحس بآثارها ، (**وإنما ترتيب الآثار على المجموع**) وفي نسخة : وإنما يترتب على المجموع ، (**فإذا لم يعقب العمل الواحد اثراً محسوساً ولم يردف بثانٍ ولا ثالث على القرب انمحى أثر الأول**) سريعاً (**وكان كالفقيه الذي يريد أن يكون فقيه النفس فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير**) ومزاولة شديدة ، (**فلو بالغ ليلة في التكرار**) بأعمال الهمة والشوق (**وترك شهراً أو أسبوعاً ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه**) تأثيراً نافعاً ، (**ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة**) بعضها ببعض (**لأثر فيه ، ولهذا السر قال النبي ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »**) العمل المداوم عليه لأن النفس تألفه فيدوم بسببها الإقبال على الحق ، ولأن تارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصل ، والحديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها . (**وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل النبي ﷺ فقالت : « كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملاً أثبته »**) أي أحكم عمله بأن يعمل في كل شيء بحيث يدوم دوام أمثاله . رواه مسلم وأبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها ، (**ولذلك قال ﷺ : « من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقتة الله تعالى »**) تقدم في الصلاة وهو موقوف على عائشة قاله العراقي .

قلت : وتقدم أيضاً أنه رواه ابن السني في رياضة المتعبدين .

(**وهذا هو السبب في صلاته ﷺ بعد العصر تداركاً لما فاته من ركعتين شغله عنهما**

من ركعتين شغله عنهما الوفد، ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كي لا يقتدى به. روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

فإن قلت: فهل لغيره أن يقتدي به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية؟ فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذراً من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره، ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به ﷺ.

الوفد، ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كي لا يقتدى به، وروت ذلك عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما).

قال العراقي: متفق عليه من حديث أم سلمة: «أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال: شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر» ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقي الله عز وجل، وكان النبي ﷺ يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يثقل على أمته اهـ.

قلت: ولفظ حديث أم سلمة: «أن النبي ﷺ صلى ركعتين بعد العصر فلما انصرف قال لي سألت عن الركعتين بعد العصر أنه أتاني ناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن اللتين بعد الظهر فهما هاتان بعد العصر» هكذا هو سياق الشيخين وهذا مختصر، وأما لفظ حديث عائشة عندهما: «ما ترك النبي ﷺ السجدتين بعد العصر عندي قط». وعند مسلم: «كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم أنه شغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد ثم أثبتهما» وكان إذا صلى صلاة أثبتها. وذكر ابن حزم أن حديث هاتين الركعتين نقل نقل تواتر فوجب العلم.

(**فإن قلت: فهل لغيره أن يقتدي به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهة**) أما كون الوقت وقت كراهة فقد تقدم في كتاب الصلاة مبسوطاً؟ (**فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهة**) في كتاب الصلاة (**في الإحتراز من التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان** أو الاستراحة **عن العبادة حذراً من الملال**) والسآمة (**لا يتصور ذلك في حقه ولا يقاس عليه ﷺ في ذلك غيره، ويشهد لذلك فعله لما في غير المسجد حتى لا يقتدى به**) واختلف العلماء في النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة هل للتحريم أو للتنزيه. ولأصحاب الشافعي في ذلك وجهان، فالذي صححه النووي في الروضة وشرح المهذب وغيرهما أنه للتحريم، وقد نص الشافعي على هذا في الرسالة، وصحح النووي في التحقيق أنها كراهة تنزيه. وهل تنعقد الصلاة لو فعلها أو هي باطلة؟ صحح النووي في الروضة تبعاً للرافعي بطلانها، وظاهره أنها باطلة. ولو قلنا بأنها مكروهة كراهة تنزيه وقد صرح بذلك النووي في شرح الوسيط تبعاً لابن الصلاح واستشكله الأسنوي في المهمات بأنه كيف يباح الإقدام على ما لا ينعقد وهو تلاعب. قال تلميذه الولي العراقي: ولا إشكال لأن نهى التنزيه إذا رجع إلى نفس الصلاة يضاد الصحة كنهي التحريم كما هو مقرر في الأصول. وحاصله أن المكروه لا يدخل تحت مطلق الأمر وإلا يلزم أن يكون الشيء مطلوباً منهياً ولا يصح إلا ما كان مطلوباً والله أعلم.

الباب الثاني

في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

فضيلة احياء ما بين العشاءين:

قال رسول الله ﷺ فيما روت عائشة رضي الله عنها: « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار، فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة. قال الراوي: لا أدري من ذهب أو فضة، ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة

الباب الثاني

(**في**) ذكر (**الأسباب الميسرة**) أي المعينة المسهلة (**لقيام الليل، وفي**) ذكر (**الليالي التي يستحب إحياؤها، وفي فضيلة إحياء الليل و**) في فضيلة إحياء (**ما بين العشاءين**) المغرب والعشاء على التغليب، (**وكيفية قسمة الليل**) في الاحياء، ولما كان إحياء ما بين العشاءين مقدماً وهو في الحقيقة من جملة الأسباب المذكورة قدمه في الذكر فقال:

فضيلة إحياء ما بين العشاءين:

وما يختص به ذلك الوقت في كل ليلة (**قال رسول الله ﷺ فيما روت عائشة رضي الله عنها: « إن أفضل الصلوات عند الله عز وجل صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم**) المغرب في الأصل مفعل من الغروب، وتسمى هذه الصلاة كذلك لأنها تقع عقب غروب الشمس، وتسمى أيضاً صلاة الشاهد لطلوع نجم حينئذ يسمى كذلك فنسبت إليه، وما قيل: إنه لاستواء الشاهد والغائب والمسافر في عددها أي أنها لا تقصر فضعيف إذ الصبح لا تقصر ولا تسمى كذلك، (**فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله عز وجل له قصرين في الجنة. قال الراوي: لا أدري. قال: من ذهب أو قال من فضة، ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له عز وجل ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة »**) أورده صاحب القوت عن هشام بن عروة عن أبيه عنها.

أو قال أربعين سنة ». وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر ». وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراساً لو طافه أهل الدنيا لوسعهم ». وقال ﷺ: « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى

قال العراقي: رواه أبو الوليد يونس بن عبد الله الصفار في كتاب الصلاة، ورواه الطبراني في الأوسط مختصراً وإسناده ضعيف اهـ.

(وروت أم سلمة) كذا في النسخ، والصواب وروى أبو سلمة عن أبي هريرة كما هو نص القوت **(عن أبي هريرة رضي الله عنهما)** صوابه عنه، **(عن النبي ﷺ أنه قال: « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة وكأنه صلى ليلة القدر »)**. ولفظ القوت: « أو كأنه ».

قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه بلفظ: « ثنتي عشرة سنة » وضعفه الترمذي. وأما قوله: كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار، كما رواه أبو الوليد الصفار، والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس: « من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً رفعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر بالمسجد الأقصى » وسنده ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الحديث الذي رواه الترمذي وضعفه: « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة إثنتي عشرة سنة » وسبب ضعفه أن فيه عمر بن أبي خثعم. قال البخاري: منكر الحديث وضعفه جداً، وقال ابن حبان: لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح يضع الحديث على الثقات. وأما حديث ابن عباس الذي رواه الديلمي ففيه زيادة بعد قوله: الأقصى وهي: « خير من قيام نصف ليلة ».

(وروى سعيد بن جبير عن ثوبان) بن بجدد مولى رسول الله ﷺ **(قال: قال رسول الله ﷺ: « من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قراءة كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراساً لو طافه أهل الدنيا لوسعهم »)** هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي: لم أجد له أصلاً من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر أسنده الديلمي من حديث ثوبان.

(وقال ﷺ: « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني الله له قصراً في الجنة،

الله له قصراً في الجنة. فقال عمر رضي الله عنه: إذاً تكثر قصورنا يا رسول الله. فقال: الله أكثر وأفضل ـ أو قال ـ أطيب». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا، ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هـو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية. وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد، فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله: ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [يونس: ٢٧] وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ [البقرة: ٢٨٤] إلى آخرها،

فقال عمر رضي الله عنه: إذاً تكثر قصورنا يا رسول الله فقال ﷺ: الله أكثر وأفضل أو قال أطيب») قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عبد الكريم بن الحرث مرسلاً اهـ.

قلت: ورواه محمد بن نصر في الصلاة له من روايته مرسلاً مختصراً، ولم يذكر قول عمر والحديث بتمامه أورده صاحب القوت من طريق محمد بن أبي الحجاج سمع عبد الكريم بن الحرث يحدث أن رسول الله ﷺ فساقه. وعبد الكريم بن الحرث الحضرمي المصري العابد من رجال مسلم والنسائي روى عن المستورد بن شداد وجماعة، وعنه الليث وبكر بن مضر توفي سنة ١٣٦ قاله الذهبي في الكاشف.

(وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم فيما بين ذلك بشيء من أمر الدنيا يقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب، وعشر آيات من أول البقرة، وآيتين من وسطها ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ ﴿إن في خلق السماء والأرض﴾ إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد ويقرأ في الثانية فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله: ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله عز وجل ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ إلى آخر، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة» ووصف من ثوابها في الحديث ما يخرج عن الحصر) أورده صاحب القوت من حديث أبي عائشة السعدي، وأبي حفص العوفي كلاهما عن أنس.

وقول المصنف: في ثوابها في الحديث ما يخرج عن الحصر يشير إلى ما أورده صاحب القوت بني له في جنات عدن ألف مدينة من الدر والياقوت، وفي كل مدينة ألف قصر، في كل قصر ألف دار، في كل دار ألف حجرة، في كل حجرة ألف صفة، في كل صفة منها ألف خيمة، في كل خيمة ألف سرير من أصناف الجواهر، على كل سرير ألف فراش بطائنها من استبرق وظواهرها

وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال: قلت للخضر عليه السلام: علمني شيئاً أعمله في كل ليلة. فقال: إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصلياً من غير أن تكلم أحداً وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين، واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثاً، فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحداً وصلّ ركعتين، واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات، ثم ارفع رأسك من السجود واستو

من نور، فوق تلك الفرش زوجة من الحور العين لا توصف بشيء إلا زادت عليه جمالاً وكمالاً لا يراها ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا افتتن لحسنها. إلى آخر ما ذكره قدر الصفحة من الكتاب تركته لطوله ولأن لوائح الوضع ظاهرة عليه.

وقال العراقي: رواه أبو الشيخ في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف اهـ.

قلت: زياد بن ميمون البصري صاحب الفاكهة. روى عن أنس، ويقال: عن زياد بن أبي عمار، وزياد بن أبي حسان اعترف بالكذب وتاب. وقال: عدوا أني كنت يهودياً ثم عاد، وقال محمود بن غيلان. قلت لأبي داود فزياد بن ميمون قال لقيته أنا وعبد الرحمن بن مهدي فسألناه فقال: عدوا أن الناس لا يعلمون أني لم ألق أنساً لا تعلما أنتما. ثم بلغنا أنه يروي عنه فأتيناه فقال: عدوا أن رجلاً أذنب ذنباً فيتوب ألا يتوب الله عليه؟ قلنا: نعم. قال: فإني أتوب ما سمعت من أنس شيئاً، وكان بعد يبلغنا أنه يروي عنه فتركناه.

(وقال) صاحب القوت روينا عن عبد الرحمن بن منصور عن سعد بن سعيد عن **(كرز بن وبرة)** الحارثي نزيل جرجان **(وهو من الأبدال قلت للخضر عليه السلام: علمني شيئاً أعمله في ليلتي. فقال: إذا صليت المغرب فقم إلى)** وقت **(صلاة العشاء مصلياً)** أي مديماً للصلاة في هذا الوقت **(من غير أن تكلم أحداً)** أي مطلقاً أو الكلام الدنيوي، **(وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحداً وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة، ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات، ثم ارفع رأسك من السجود واستو**

جالساً وارفع يديك وقل: يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأوّلين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها. يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء، ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصلّ على النبي ﷺ وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم، فقلت له: أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا. فقال: إني حضرت محمداً ﷺ حيث علم هذا الدعاءوأوحي إليه به، فكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه إياه. ويقال: إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا، وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه ادخل الجنةورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله ﷺ وكلمه وعلمه. وعلى الجملة ما ورد في فضل إحياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيدالله مولى رسول الله ﷺ: هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة؟ قال: ما بين المغرب والعشاء.

جالساً وارفع يديك وقل: ياحي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها. يا رب يا رب يا ألله يا ألله يا ألله، ثم قم وأنت رافع يديك فادع بهذا الدعاء، ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي ﷺ وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم، فقلت له: أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا. فقال: إني حضرت محمداً ﷺ حيث علم هذا الدعاء وأوحي **إليه فكنت عنده، وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه إياه)** هكذا أورده صاحب القوت بتمامه.

وتقدم أن سعد بن سعيد الجرجاني قال فيه البخاري أنه لا يصح حديثه ولم يثبت عند المحدثين في لقاء النبي ﷺ شيء نفياً ولا إثباتاً ولذا قال العراقي في تخريجه هذا الحديث باطل لا أصل له.

ثم قال صاحب القوت. **(ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق منه رأى النبي ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا، وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء، ورأى رسول الله ﷺ وكلمه وعلمه)** ولهذا فضائل كثيرة اختصرناها للإيجاز، وكل هذا سياق صاحب القوت.

(وعلى الجملة، فما ورد في فضل ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد) بالتصغير **(مولى رسول الله ﷺ)** قال ابن حبان له صحبة، وقال البلاذري: كان للنبي ﷺ مولى يقال له عبيد روى عنه حديثين، وذكره ابن السكن في الصحابة وقال: لم يثبت حديثه. **(هل كان النبي ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة؟ قال: «ما بين العشاء والمغرب»)** قال العراقي: رواه أحمد وفيه رجل لم يسم اهـ.

قلت: قال أحمد: حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن رجل عن عبيد مولى النبي ﷺ أنه

وقال ﷺ : « ما بين المغرب والعشاء تلك صلاة الأوّابين » . وقال الأسود : ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيته يصلي فسألنه فقال : نعم هي ساعة الغفلة . وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول : هي ناشئة الليل ، ويقول فيها نزل قوله تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجدة : ١٦] وقال أحمد بن أبي

سئل : « أكان رسول الله ﷺ يأمر بالصلاة بعد المكتوبة أو سوى المكتوبة ؟ قال : نعم بين المغرب والعشاء » . ومن طريق شعبة عن سليمان قرأ علينا رجل في مجلس أبي عثمان النهدي ، فحدثنا عن عبيد مولى النبي ﷺ . أخرجه ابن منده من هذا الوجه إلى سليمان فقال : عن شيخ عن عبيد ، وأخرج أيضاً هو وابن السكن من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمي سمعت رجلاً يحدث في مجلس أبي عثمان عن عبيد لم يذكر بينهما أحداً . قال ابن عبد البر : لم يسمع سليمان عن عبيد بينهما رجل والله أعلم .

(وقال النبي ﷺ : « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك) وفي رواية فإنها **(صلاة الأوابين »)** . وفي رواية : « من صلاة الأوابين » وهم التوابون الرجاعون عن المعاصي ولم يبين عددها تنبيهاً على الإكثار منها بينهما بقدر الإستطاعة ، والمراد صلاة بينهما زائدة على سنة المغرب والعشاء . ونقل المناوي عن بعض موالي الروم ، والظاهر أن خبر من في الحديث محذوف تقديره : من صلى ما بين المغرب والعشاء يكون من زمرة الأوابين المقبولين عند الله لمشاركتهم إياهم في تلك الصلاة . فقوله : « فإنها » أو « فذلك » إشارة إلى علة الحكم المحذوف وقائم مقامه . وروى هذا الحديث محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة ، وابن المبارك في الرقائق كلاهما عن محمد بن المنكدر مرسلاً . ولفظ القوت أبو صخر سمع محمد بن المنكدر يحدث عن النبي ﷺ وقد تقدم في كتاب الصلاة .

(وقال الأسود) بن زيد النخعي : **(ما أتيت)** عبد الله **(ابن مسعود)** رضي الله عنه **(في هذا الوقت إلا ورأيته يصلي فسألته ، فقال : نعم هي ساعة الغفلة)** نقله صاحب القوت عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه ، ولهذا تسمى هذه الصلاة صلاة الغفلة لاشتغال الناس عن هذه الساعة .

(وكان أنس) رضي الله عنه **(يواظب عليها ويقول : هي ناشئة الليل)** أورده صاحب القوت عن ثابت البناني قال : كان أنس فساقه . كان يتأول به قول الله تعالى : ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا﴾ [المزمل : ٦] رواه ابن أبي شيبة في المصنف ، ومحمد بن نصر في الصلاة ، والبيهقي في السنن عن أنس في قوله : « إن ناشئة الليل قال ما بين المغرب والعشاء » . ورواه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير مثله ، ورواه محمد بن نصر ، والبيهقي عن علي بن الحسين قال : « ناشئة الليل قيام ما بين المغرب والعشاء » . وروى ابن المنذر عن علي بن الحسين أنه رؤي يصلي فيما بين المغرب والعشاء فقيل له في ذلك فقال : « من الناشئة » وهذا الأخير نقله أيضاً صاحب الكشاف بنحوه ، **(ويقول فيها نزل قوله تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾)** وهو أحد الأقوال في

الحواري: قلت لأبـي سليمان الداراني أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحيي ما بينهما فقال: اجمع بينهما. فقلت: إن لم يتيسر قال: أفطر وصلّ ما بينهما.

تفسير هذه الآية. ولفظ القوت: حدثنا عن فضيل بن عياض، عن أبان بن أبي عياش قال: سألت امرأة أنس بن مالك فقالت: إني أرقد قبل العشاء فنهاها وقال: نزلت هذه الآية فيما بينهما ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾.

(وقال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأتعشى ما بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر النهار وأحيي ما بينهما ؟فقال: اجمع بينهما. فقلت: إن لم يتيسر) الجمع بينهما؟ **(فقال: افطر وصل ما بينهما)** نقله صاحب القوت، ودل ذلك على فضل الإحياء بين العشاءين، وقد ورد في عظم فضل الصلاة بينهما أخبار كثيرة غير ما ذكره المصنف.

فمن ذلك ما روي عن مكحول مرسلاً أو بلاغاً «من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبتا في عليين» رواه أبو بكر بن أبي شيبة، وعبد الرزاق في مصنفيهما، ومحمد بن نصر في الصلاة.

وعن أنس رضي الله عنه: «من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن ينطق مع أحد يقرأ في الأولى بالحمد وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية بالحمد وقل هو الله أحد خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها». رواه ابن النجار في تاريخه، ورواه الخطيب بلفظ: «من صلى أربعين يوماً في جماعة ثم انتقل عن صلاة المغرب فأتى بركعتين». والباقي سواء. وهو ضعيف.

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: «من صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين قبل أن يتكلم أسكنه الله في حظيرة القدس فإن صلى أربعاً كان كمن حج حجة بعد حجة فإن صلى ستاً غفر له ذنوب خمسين عاماً». رواه ابن شاهين.

وعن ابن عباس: «من صلى ليلة الجمعة بعد المغرب ركعتين يقرأ في كل منهما بفاتحة الكتاب مرة، وإذا زلزلت خمس عشرة مرة هون الله عليه سكرات الموت، وأعاذه من عذاب القبر، ويسر له الجواز على الصراط». قال الحافظ ابن حجر في أماليه: سنده ضعيف.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «من صلى أربع ركعات بعد المغرب كان كمن عقب غزوة بعد غزوة في سبيل الله عز وجل» رواه أبو الفتح في الثواب.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه: «من صلى ست ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له ذنوب خمسين سنة». رواه محمد بن نصر المروزي في الصلاة، وابن صصري في أماليه، وابن عساكر في التاريخ، وفيه محمد بن غزوان الدمشقي قال أبو زرعة: منكر الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه: «من صلى بعد المغرب اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة قل هو

فضيلة قيام الليل:

أما من الآيات فقوله تعالى: ﴿إنّ ربّك يعلَمُ أنَّك تَقُومُ أدْنَى من ثلثي الليل﴾ [المزمل: ٢٠] الآية. وقوله تعالى: ﴿إنَّ ناشئة اللَّيْل هي أشدُّ وطأً وأقومُ قيلاً﴾ [المزمل: ٦] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿تتجافى جُنُوبهم عن المضاجعِ﴾ [السجدة:

الله أحد أربعين مرة صافحته الملائكة يوم القيامة، ومن صافحته الملائكة يوم القيامة أمن الصراط والحساب والميزان». رواه أبو محمد السمرقندي من طريق أبان عنه.

وعن جرير رضي الله عنه: «من صلى ما بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد بنى الله له في الجنة قصرين لا نصل فيهما ولا وصم». رواه أبو محمد السمرقندي في فضائل سورة الإخلاص، وفيه أحمد بن عبيد صدوق له مناكير ورواه ابن ماجة من حديث عائشة بلفظ: «بنى الله له بيتاً في الجنة».

وعن أنس رضي الله عنه: «من صلى عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد حفظه الله في نفسه وأهله وماله ودنياه وآخرته». ورواه نظام الملك في السداسيات من طريق أبي هدبة عنه وهو ضعيف.

فضيلة قيام الليل:

(أما من الآيات فقوله عز وجل: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل﴾ الآية) فقد قرن الله سبحانه وتعالى قوام الليل برسوله ﷺ وجمعهم معهم في شكر المعاملة وحسن الجزاء، فقال: ﴿وطائفة من الذين معك﴾ [المزمل: ٢٠] **(وقوله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً﴾)** قال مجاهد: معناه أشد مواطأة لك في القول، وأقوم قيلاً أفرغ لقلبك رواه ابن جرير ومحمد بن نصر، وروي عنه أيضاً أن يوطأ سمعك وبصرك وقلبك بعضه بعضاً. وأقوم قيلاً قال: أثبت للقراءة رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد عنه. وعن قتادة أيضاً أشد وطأة قال: أثبت في الخير، وأقوم قيلاً قال: احفظ في الحفظ. رواه عبد بن حميد. وأما ناشئة الليل فالمراد به قيام الليل بلسان الحبشة. روي ذلك عن ابن عباس أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، والبيهقي في السنن. ورواه الفريابي، وابن أبي حاتم مثله عنه وعن ابن الزبير معاً. ورواه ابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن ابن مسعود، ورواه عبد بن حميد بن أبي مالك وأبي ميسرة، وأخرج محمد بن نصر عن أبي مجلز قال: ما كان بعد العشاء الآخرة إلى الصبح فهو ناشئة.

(وقوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يدعون ربهم خوفاً طمعاً﴾ أي تنبو عن الفراش فلا تطمئن لما فيها من خوف الوعيد ورجاء الموعود، ثم قال: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧] قيل عملهم كان قيام الليل، وقيل: كانوا

١٦]، وقوله تعالى: ﴿أمّن هو قانِتٌ آناء اللّيْل﴾ [الزمر: ٩] الآية. وقوله عز وجل: ﴿والذّين يبيتونَ لربِّهم سُجَّداً وقياماً﴾ [الفرقان: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصَّبْر والصَّلاة﴾ [البقرة: ٤٥] قيل: هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس.

ومن الأخبار: قوله ﷺ: « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلاّ أصبح خبيث النفس كسلان ». وفي الخبر: « أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل،

أهل خوف ورجاء، وهذان من أعمال القلوب عن مشاهدة الغيوب فلما أخفوا له لإخلاص أعمال السرائر أخفى من الجزاء نفيس الذخائر.

(وقوله عز من قائل ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾ الآية.) فقد سمى الله تعالى أهل الليل علماء وجعلهم أهل الخوف والرجاء، وأخفى لهم قرة عين فقال ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ ثم قال تعالى ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩] وهذا من المحذوف ضده لدلالة الكلام عليه، والمعنى ﴿أمن هو﴾ هكذا عالم قانت مطيع لا يستوي مع من هو غافل نائم ليله أجمع فهو غير عالم فما يحذر ويرجو من ربه عز وجل.

(وقوله تعالى) في وصفهم في الدنيا ووصف ما أعدّ لهم في الأخرى **(والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾و)** قال بعض العلماء في تفسير **(قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ قيل هي)** أي الصلاة **(قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس)**. والمعنى استعينوا بها على مجاهدة النفس ومصابرة العدو، ثم قال سبحانه ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] يعني الخائفين المتواضعين لا تثقل عليهم ولا تجفو بل تخف وتحلو. ومن الآيات الدالة على فضل قيام الليل قوله تعالى ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٨] قيل: معناه يصلون، والمراد بها صلاة الليل. وقوله تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات: ١٧].

(وأما الأخبار: فقد قال النبي ﷺ « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ويضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر) كذا في النسخ والرواية فذكر **(الله عز وجل انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »)** رواه مالك وأحمد والستة خلا الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فرواه البخاري وأبو داود من طريق مالك.

ورواه مسلم والنسائي من طريق سفيان بن عيينه كلاهما عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي

هريرة بلفظ « على قافية رأس أحدكم بالليل حبلاً فيه ثلاث عقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإذا قام فتوضأ انحلت عقدة، فإذا قام إلى الصلاة انحلت عقده كلها فيصبح نشيطاً طيب النفس قد أصاب خيراً وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيراً ». وفي الحديث فوائد.

الأولى: قال ابن عبد البر: أما عقد الشيطان على قافية رأس ابن آدم إذا رقد فلا يوصل إلى كيفيته وأظنه مجازاً كناية عن حبس الشيطان وتثبيط الإنسان عن قيام الليل وعمل البر. وقيل: إنها كعقد السحر من قوله تعالى ﴿النفاثات في العقد﴾ [الفلق: ٤] وقال ابن بطال، قال المهلب: قد فسّر النبي ﷺ معنى العقد وهو قوله: عليك ليل طويل فارقد فكأنه يقولها إذا أراد النائم الاستيقاظ إلى حزبه فيعتقد في نفسه أنه بقيت من الليل بقية طويلة حتى يروم بذلك إتلاف ساعات ليله وتفويت حزبه، فإذا ذكر الله انحلت عقدة أي علم أنه قد مر من الليل طويل، وأنه لم يبق منه طويل، فإذا قام وتوضأ استبان له ذلك أيضاً وانحل ما عقد في نفسه من الغرور والاستدراج، فإذا صلى واستقبل القبلة انحلت العقدة الثالثة لأنه لم يصغ إلى قوله وييأس الشيطان عنده، والقافية هي مؤخر الرأس وفيه العقل والفهم فعقده فيه إثباته في فهمه أنه بقي عليه ليل طويل.

وقال النووي: اختلف العلماء في هذه العقد فقيل: هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام، فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر، وقيل يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات في العقد، وقيل هو من عقد القلب وتصميمه فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام، وقيل هو مجاز كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل اهـ.

وقال القرطبي: وإنما خص العقد بثلاث لأن أغلب ما يكون انتباه النائم في السحر. فإن اتفق له أن يستيقظ ويرجع للنوم ثلاث مرات لم تنقض النومة الثالثة في الغالب إلا والفجر قد طلع اهـ.

الثانية: قوله: « ويضرب مكان كل عقدة » يحتمل وجهين: أحدهما: أن معناه أنه يضرب بيده على مكان العقد تأكيداً لها واحكاماً، أو ان ذلك من تمام سحره وفي جعله ذلك خصوصية وله تأثير يعلمه هو. ثانيهما: أن الضرب كناية عن حجاب يضعه في الموضع يمنع وصول الحس إلى ذلك النائم حتى لا يستيقظ.

الثالثة: قوله: « عليك ليل طويل » بالرفع أي بقي عليك ليل طويل، ورجح القرطبي هذه الرواية فقال: روايتنا الصحيحة هكذا على الابتداء والخبر ووقع في بعض الروايات عليك ليلاً طويلاً على الإغراء، والأول أولى من جهة المعنى لأنه الأمكن في الغرور من حيث أنه يخبره عن طول الليل، ثم يأمره بالرقاد بقوله: فارقد. وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلا الأمر بملازمة طول الرقاد وحينئذ يكون قوله فارقد ضائعاً اهـ.

....

وقال الولي العراقي: وهو في موطأ أبي مصعب بالنصب على الإغراء، وقال النووي: كذا هو في معظم نسخ بلادنا لصحيح مسلم، وكذا نقله عياض عن رواية الأكثرين. قال الولي: وعلى كل تقدير، فهذه الجملة معمول لقول محذوف أي بقول الشيطان للنائم هذا الكلام، ويحتمل أن يكون قوله ليلاً طويلاً منصوباً على الظرف أي يضرب مكان كل عقدة في ليل طويل. وقوله «عليك» يحتمل حينئذ أن يكون متعلقاً بقوله يضرب ويحتمل أن يكون صفة لكل عقدة، ويدل لهذا قوله في رواية النسائي «يضرب على كل عقدة ليلاً طويلاً» أي ارقد.

الثالثة: فيه الحث على ذكر الله تعالى عند الاستيقاظ وجاءت فيه أذكار مخصوصة تقدم ذكرها في كتاب الأذكار والدعوات.

الرابعة: فيه الحث والتحريض على الوضوء في هذه الحالة، وهو قربة تنحل به إحدى عقد الشيطان وإن لم تنضم إليه في تلك الحالة صلاة.

الخامسة: الظاهر أن التيمم بشرطه يقوم مقام الوضوء في ذلك.

السادسة: الظاهر أنه لو كان عليه غسل لم تنحل عقدة الشيطان بمجرد الوضوء، وإنما اقتصر على ذكر الوضوء في الحديث لأن الأصل عدم الجنابة.

السابعة: قوله «فإن صلى انحلت عقده» يروى بفتح القاف على الجمع وبإسكانها عل الإفراد كاللتين قبلها، والأول هو المشهور، ويدل قوله في رواية مسلم «العقد» وقوله في رواية النسائي «العقد كلها» ونقل ابن عبد البر عن رواية يحي بن يحي الثاني، وعلى الأول فالمراد أنه انحل بالصلاة تمام عقده فإنه قد انحل بالذكر والوضوء اثنتان منها وما بقي إلا واحدة، فإذا صلى انحلت تلك الواحدة وحصل حينئذ تمام انحلال المجموع، وهو نظير قوله ﷺ «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله» ونظائره كثيرة.

الثامنة: فيه فضيلة الصلاة بالليل، وإن قلت: لكن هل يحصل انحلال عقدة الشيطان الأخيرة بمجرد الشروع في الصلاة أو بتمامها الظاهر الثاني، فإنه لو أفسدها قبل تمامها لم يحصل بذلك غرض، ويدل لذلك ما أفتى به الزين العراقي حين سئل عن الحكمة في افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين فقال: الحكمة فيه استعجال حل عقد الشيطان ولا يخدش في هذا المعنى أن النبي ﷺ منزه عن عقد الشيطان على قافيته لأنا نقول: أنه ﷺ فعل ذلك تشريعاً لأمته ليقتدوا به فيه، فيحصل لهم هذا المقصود. والله أعلم.

التاسعة: قوله فإن صلى اختلف في المراد بهذه الصلاة فقيل قيام الليل هو الأكثر، وقيل: صلاة العشاء بناء على أنهم كانوا ينامون قبل العشاء ثم يصلونها في وقتها أو مع الجماعة. وذكر ابن أبي شيبة إباحة النوم قبل العشاء عن جماعة من الصحابة والتابعين، وقيل: صلاة الصبح. ويؤيده أن في رواية أحمد في مسنده «فإن أصبح ولم يصلّ الصبح أصبح خبيث النفس» الحديث.

حتى يصبح فقال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنه». وفي الخبر: «إن للشيطان سعوطاً ولعوقاً وذروراً، فإذا أسعط العبد ساء خلقه، وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر، وإذا ذره

العاشرة: اختلف في صلاة الليل فقال بوجوبها جماعة من التابعين تعللاً بهذا الحديث. ومنهم من خص بالوجوب أهل القرآن فقط، والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة يعني المزمل، فقام نبي الله ﷺ حولاً وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً حتى أنزل الله تعالى في آخر السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة.

الحادية عشر: كونه يصبح خبيث النفس كسلان هل يترتب على ترك كل واحدة من هذه الخصال التي هي الذكر والوضوء والصلاة فلا ينتفي عنه ذلك إلا بفعل الجميع أو يترتب على ترك المجموع حتى لو أتى ببعضه لانتفى عنه خبث النفس والكسل.

قال النووي في شرح مسلم: ظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان اهـ.

وقد يقال: إذا جمع بين الأمور الثلاثة انتفى عنه خبث النفس والكسل انتفاء كاملاً، وإذا أتى ببعضها انتفى عنه بعض خبث النفس والكسل بقدر ما أتى به منها، فليس عند من استيقظ فذكر الله من خبث النفس والكسل ما عند من لم يذكر الله أصلاً.

الثانية عشر: قوله: «كسلان» غير منصرف للألف والنون المزيدتين وهو مذكر كسلى، ووقع لبعض رواة الموطأ كسلاناً مصروفاً وليس بشيء. قاله الولي العراقي.

(وفي خبر آخر «أنه ذكر عنده ﷺ رجل نام الليل) كله **(حتى أصبح فقال: ذاك)** رجل **(بال الشيطان في أذنه»)** رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه، وظاهر هذا الحديث في حق من لم يقم لصلاة الليل، كما يدل عليه سياق المصنف. وحمله الطحاوي على من نام عن صلاة العشاء حتى انقضى الليل كله، وهذا يؤيد قول من ذهب إلى أن المراد بالصلاة في الحديث الذي قبله صلاة العشاء، قال ابن عبد البر: ويدل على ذلك أن السلف كانوا ينامون قبل العشاء ويصلونها في وقتها، كما تقدمت الإشارة إليه قريباً.

(وفي الخبر: «إن للشيطان سعوطاً) بالفتح وهو ما يسعطه الإنسان في أنفه **(ولعوقاً)** بالفتح وهو ما يلعق بالملعقة **(وذروراً)** بالفتح وهو ما يذر على العين، **(فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه ذرب)** كفرح أي فحش **(لسانه بالشر)** حتى لا يبالي بما قال، **(وإذا ذرّه نام الليل كله)** ففاته القيام بالليل **(حتى يصبح»)**.

قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أنس «إن للشيطان لعوقاً وكحلاً فإذا لعق الإنسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر، وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر». ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف اهـ.

نام الليل حتى يصبح ». وقال ﷺ : « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم ». وفي الصحيح عن جابر أن النبي ﷺ قال : « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه » وفي رواية : « يسأل الله تعالى خيراً من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة ». وقال لمغيرة بن شعبة : قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه فقيل له : أما قد غفر الله لك ما

قلت : حديث أنس رواه البيهقي أيضاً ولفظه « إن للشيطان كحلاً ولعوقاً ونشوقاً. أما لعوقه فالكذب، وأما نشوقه فالغضب، وأما كحله فالنوم » وفيه عاصم بن علي شيخ البخاري. قال يحي : لا شيء. وضعفه ابن معين. قال الذهبي : وذكر له ابن عدي أحاديث مناكير، والربيع بن صبيح ضعفه النسائي وقواه أبو زرعة، ويزيد الرقاشي قال النسائي: وغيره متروك.

وأما حديث سمرة فأخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، والبيهقي أيضاً « أن للشيطان كحلاً ولعوقاً فإذا كحل الإنسان من كحله نامت عيناه عن الذكر، وإذا لعقه من لعوقه ذرب لسانه بالشر » وفيه الحكم بن عبد الملك القرشي ضعيف، وفيه أيضاً أبو أمية الطرسوسي متهم أي بالوضع، وفيه أيضاً الحسن بن بشر الكوفي أورده الذهبي في الضعفاء. وقال ابن خراش: منكر الحديث. إشعار بأن لزوم الذكر يطرد الشيطان ويجلو مرآة القلب وينوّر البصيرة، ولا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله عز وجل.

(وقال ﷺ : « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير) وهو ثلثه **(خير له من الدنيا وما فيها)** من النعيم لو فرض أنه حصل له وحده وتنعم به وحده، **(ولولا أني أشق على أمتي لفرضتها)** أي أوجبتها **(عليهم »)** وهذا صريح في عدم وجوب التهجد على الأمة.

قال العراقي : رواه آدم بن أبي إياس في الثواب، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلاً، ووصله الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح اهـ.

قلت : حسان بن عطية أبو بكر المحاربي عن أبي أمامة، وسعيد بن المسيب. وعنه الإوزاعي وأبو غسان ثقة عابد نبيل لكنه قد رمي. روى له الجماعة قاله الذهبي في الكاشف.

(وفي الصحيح عن جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه »)** وفي رواية « يسأل الله تعالى خيراً من الدنيا والآخرة **(وذلك كل ليلة »)** رواه مسلم.

(وقال المغيرة بن شعبة) رضي الله عنه : **(قام النبي ﷺ)** أي يصلي بالليل **(حتى تفطرت)** أي تشققت **(قدماه)** وفي رواية « تورمت » وفي رواية « انتفخت » أي اجتهد في

تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال: « أفلا أكون عبداً شكوراً » . ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة ، فإن الشكر سبب المزيد . قال تعالى : ﴿ لئنْ شكرتُم لأزيدنَّكُم ﴾

الصلاة حتى حصل له ذلك (**فقيل له يا رسول الله**) : أتتكلف هذا و(**قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ») أتوا به على طبق ما في الآية . (**قال أفـلا**) الفاء للسببية عن محذوف أي اترك تلك المشقة نظراً لتلك المغفرة فلا (**أكون عبداً شكوراً**) لا بل ألزمها وإن غفر لي لأكون عبداً شكوراً ، فالمعنى: إن المغفرة سبب ذلك التكلف شكراً ، فكيف أتركه بل أفعله لأكون مبالغاً في الشكر بحسب الإمكان البشري ولحظ تلك النعمة العظيمة ، ومن ثم أتى بلفظ العبودية لأنها أخص أوصافه ﷺ ، ولذا ذكرها الله تعالى في أعلى المقامات وأفضل الأحوال إذ هي مقتضى صحة النسبة المستلزمة لا على الخدمة وهو الشكر ، إذ العبد إذا لاحظ كونه عبداً وأن مالكه مع ذلك أنعم عليه بما لم يكن في حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه ولحيازة سائر أنواع الشرف ، وما ذكر من التقرير في معنى « أفلا » واضح جلي ، وإن زعم بعضهم أنه متكلف ، وأن التقدير الأولى إذا أنعم علي بالإنعام الواسع أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ أي أيصير هذا الإنعام سبباً لخروجي عن دائرة المبالغين في الشكر والاستفهام لإنكار سببية مثل هذا الإنعام لعدم كونه عبداً شكوراً اهـ.

وأنت خبير بأن هذا هو الذي فيه التكلف ، ويصح أن يكون التقدير أيضاً غفر لي ما تقدم وما تأخر لعلمه بأني سأكون مبالغاً في عبادته ، فأكون عبداً شكوراً . أفلا أكون كذلك ؟ وهذا قريب من الأول ، وقد ظن من سأله ﷺ في سبب تحمله المشقة في العبادة أن سببها إما خوف الذنب أو رجاء المغفرة فأفادهم أن لها سبباً آخر أتم وأكمل هو الشكر على التأهل مع المغفرة وإجزال النعمة ، وهو أعني الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام في الخدمة ببذل المجهود فمن أدام ذلك كان شكوراً .

(**ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن طلب زيادة الرتبة ، فإن الشكر سبب المزيد قال الله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾**) ولم يفز أحد بكمال هذه الرتبة غير نبينا ﷺ ثم سائر الأنبياء عليهم السلام. والحديث متفق عليه.

ورواه أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ « قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » قال« أفلا أكون عبداً شكوراً » قالت: فلما بدن وكثر لحمه صلى جالساً . وفي الحديث أنه ينبغي التشمير في العبادة وإن أدى إلى كلفة لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له ، فكيف بمن لم يعلم ذلك فضلاً عمن لا يأمن النار . نعم محل ذلك إن لم يفض إلى ملال وإلا فالأخذ بما لا يفضي إليه أولى لما في الصحيح « عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » ولا ينبغي التأسي حينئذ لأنه ﷺ منزه عن الملل وحاله أكمل الأحوال ، سيما وقد جعلت قرة عينه في الصلاة كما أخرجه النسائي وغيره والله أعلم.

[ابراهيم : ٧] وقال ﷺ : « يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حياً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً قم من الليل فصلّ وأنت تريد رضاء ربك . يا أبا هريرة صلّ في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا » . وقال ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم » . وقال ﷺ : « ما من امرىء تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه

(وقال ﷺ « يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حياً ومقبوراً ومبعوثاً) أي في هذه الأحوال الثلاثة **(قم من الليل فصلّ وأنت تريد رضاء ربك . يا أبا هريرة صلّ في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا »)** قال العراقي : هذا باطل لا أصل له .

قلت : هذا الحديث من جملة الأحاديث التي يقول فيها يا أبا هريرة افعل كذا وكذا . يا أبا هريرة لا تفعل كذا وكذا . والنسخة بتمامها حكموا بوضعها ، وقد مر من هذه النسخة حديث في فضل التهليل نبهنا هناك على وضعه .

(وقال ﷺ « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ومكفرة للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم ») قال العراقي : رواه الترمذي من حديث بلال وقال : غريب ولا يصح ، ورواه الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة بسند حسن ، وقال الترمذي : إنه أصح اهـ .

قلت : وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي إدريس الخولاني عن أبي إمامة . قال الترمذي : وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال . ورواه ابن عساكر عن أبي إدريس عن أبي الدرداء ، ورواه ابن السني عن جابر وليس عندهم « قبلكم » .

ورواه الطبراني في الكبير ، وابن السني وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر عن سلمان بلفظ « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة إلى الله ومرضاة للرب ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد » . ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة بلفظ « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات » . وروى الديلمي عن عبد الله بن عمرو بلفظ « عليكم بصلاة الليل ولو ركعة فإن صلاة الليل منهاة عن الإثم ،وتطفيء غضب الرب تبارك وتعالى ، وتدفع عن أهلها حر النار يوم القيامة » .

(وقال ﷺ « ما من امرئ تكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه ») .

قال العراقي : رواه أبو داود والنسائي من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم ، وسماه النسائي في

صدقة عليه ». وقال ﷺ لأبي ذر: « لو أردت سفراً أعددت له عدة؟ قال: نعم. قال: فكيف سفر طريق القيامة. ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي، قال: صم يوماً شديد الحر ليوم النشور، وصلّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحج حجة لعظائم الأمور، وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها ». وروي: أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول: يا رب النار أجرني منها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: « إذا كان ذلك فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال: يا فلان هلا سألت الله الجنة؟ قال: يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال: أخبر فلاناً إن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة ». ويروى: « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي ﷺ نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي ﷺ بذلك، فكان يداوم بعده على قيام الليل ».

رواية الأسود بن يزيد، لكن في طريقه أبو جعفر الرازي. قال النسائي: وليس بالقوي، ورواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبل اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن ماجه ولفظه « فيغلب عليها نوم إلا كتب الله له » والباقي سواء.

(وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه « لو أردت سفراً أعددت) أي هيأت **(له عدة)** وهذا في أسفار الدنيا. **(قال: نعم. قال فكيف سفر طريق القيامة)**. أي فإنه طويل وصعب. **(ألا أنبئك يا أبا ذر ما ينفعك ذلك اليوم؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي. قال: صم يوماً شديد الحر ليوم النشور، وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحج حجة لعظائم الأمور، وتصدق صدقة على مسكين او كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن مخلد مرسلاً والسري ضعفه الأزدي اهـ.

(وروي: أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون) أي سكنت ونامت **(قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول: يا رب النار أجرني منها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « إذا كان ذلك فآذنوني)** أي اعلموني **(فأتاه)** فآذنوه فأتاه. **(فاستمع فلما أصبح قال: يا فلان هلا سألت الله الجنة؟ قال يا رسول الله: إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزل جبريل عليه السلام فقال: أخبر فلاناً أن الله عز وجل أجاره من النار وأدخله الجنة »)** قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(ويروى « أن جبريل قال للنبي ﷺ : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره

قال نافع : كان يصلي بالليل ثم يقول: يا نافع أسحرنا ؟ فأقول: لا ، فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا ؟ فأقول: نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر ، وقال علي بن أبي الخير شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت داراً خيراً لك من داري ؟ أم وجدت جواراً خيراً لك من جواري ؟ فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقاً ، ولو اطلعت إلى جهنم إطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح، وقيل لرسول الله ﷺ : إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق. فقال: « سينهاه ما يعمل » . وقال ﷺ : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلّت فإن أبت نضح في وجهها الماء » . وقال ﷺ : « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت ثم أيقظت زوجها فصلّى فإن أبى نضحت

النبي ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل ») قال العراقي : متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال ذلك وليس فيه ذكر جبريل اهـ.

قلت : وكذلك رواه أحمد ولفظهم: « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » رواه عن ابن عمر عن حفصة عن النبي ﷺ ، فحفصة هي التي أخبرت عبد الله بقوله ﷺ المذكور .

(قال نافع) مولى ابن عمر : **(كان)** ابن عمر **(يصلي بالليل ثم يقول: يا نافع أسحرنا)** أي دخلنا في السحر؟ **(فيستغفر حتى يطلع الفجر)** نقله صاحب القوت.

(وقال علي بن أبي الخير) رحمه الله تعالى : **(شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير)** مرة **(فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله إليه يا يحيى أوجدت داراً خيراً لك من داري، أم وجدت جواراً خيراً لك من جواري؟ فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت على الفردوس)** إحدى الجنان الثمانية **(إطلاعة لذاب جسمك)** وفي نسخة: شحمك **(ولزهقت)** أي خرجت **(نفسك اشتياقاً)** له ، **(ولو اطلعت إلى جهنم إطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد)** الماء الأصفر **(بعد الدموع، ولبست الحديد بعد المسوح)** جمع مسح بالكسر هو الصوف الأسود.

(وقيل لرسول الله ﷺ : إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، فقال النبي ﷺ « سينهاه ما يعمل ») قال العراقي : رواه ابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ. وفيه الإشارة إلى قوله تعالى ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(وقال ﷺ « رحم الله رجلاً قام من الليل يصلي ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح) أي رش **(في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى**

في وجهه الماء ». وقال ﷺ: « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ». وقال ﷺ: « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل ». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال ﷺ: « من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل ».

الآثار: روي أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياماً كثيرة كما يعاد المريض. وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح. ويقال: إن سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة فقال: إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله، فقام تلك الليلة حتى أصبح. وكان

فإن أبى نضحت في وجهه الماء ») قال العراقي: رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم.

(وقال ﷺ « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات »). قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم والبيهقي بلفظ « فصليا ركعتين جميعاً كتبا ليلتئذ » والباقي سواء.

(وقال عمر رضي الله عنه، قال النبي ﷺ « من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه ما بين صلاة الفجر والظهر كتب له كما لو قرأه من الليل ») قال العراقي: رواه مسلم.

قلت: وكذلك رواه أحمد والدارمي وابن خزيمة وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان عن ابن عمر، ولفظ حديث عمر عند أبي نعيم في الحلية: من نام عن حزبه وقد كان يريد أن يقوم به فإن نومه صدقة تصدق الله به عليه وله أجر.

(ومن الآثار) الدالة على فضيلة قيام الليل **(أن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه كان يمر بالآية)** الواحدة **(من ورده من الليل)** أي في صلاته **(فيسقط)** دهشاً **(حتى يعاد منها أياماً كثيرة)** مما اعتراه من الخوف **(كما يعاد المريض)** وفي القوت: قد كان عمر يغشى عليه حتى يقع من ذي قيام ويضطرب كالبعير. **(وكان)** عبد الله **(ابن مسعود)** رضي الله عنه **(إذا هدأت العيون)** أي نامت **(قام)** إلى ورده من الليل **(فيسمع له دوي)** أي هيمنة وحركة **(كدوي النحل حتى يصبح، ويقال: إن سفيان)** بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى **(شبع ليلة فقال: إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة)** يصلي **(حتى أصبح)**.

وفي القوت في باب رياضة المريدين: كان سفيان الثوري إذا شبع في ليلة أحياها، وإذا شبع في

طاووس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين. وقال الحسن رحمه الله: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال، فقيل له: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره. وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده، فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبداً. وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جنَّ عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول: إنك للين ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله. وقال الفضيل: إني لأستقبل الليل من أوّله فيهولني طوله فافتتح القرآن فأصبح وما قضيت

يوم واصله بالصلاة والذكر، وكان يتمثل ويقول: أشبع الزنجي وكده، ومرة يقول: أشبع الحمار وكده، وإذا جاع كأنه يتراخى في ذلك.

(وكان طاوس) بن كيسان اليماني، وأبو عبد الرحمن روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة، وعنه التيمي وابنه عبد الله. قيل: اسمه ذكوان ولقب به لأنه كان طاوس القراء، وما رؤي مثله روى له الجماعة **(إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلاة)** أي اضطرب عليه ولم يرتح، **(ثم يثب)** قائماً ويدرج الفراش **(ويصلي إلى الصباح ثم يقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين)** وكلما هم يذوق الكرى قال له القرآن قم لا تنم نقله ابن الجوزي. هكذا قال ابن حبان: كان طاوس من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين توفي سنة ست ومائة بمنى وقد حج أربعين حجة. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل)** أي بالصلاة فيه **(ونفقة هذا المال)** أي صرفه إلى وجوه الخير، **(فقيل له: ما بال المجتهدين)** في العبادة **(أحسن الناس وجوهاً؟ قال: إنهم خلوا بالرحمن تعالى فألبسهم نوراً من نوره)**، ويشهد له ما اشتهر على الألسنة: من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار، وسيأتي الكلام عليه في آخر الباب.

(وقدم بعض الصالحين من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده) من الليل، **(فحلف أن لا ينام بعده على فراش أبداً)** عاقب نفسه بذلك تأديباً لها. **(وكان عبد العزيز)** بن عثمان بن جبلة **(بن أبي رواد)** الأزدي أبو الفضل المروزي لقبه شاذان وهو أخو عبدان. ذكره ابن حبان في الثقات. روى له البخاري والنسائي **(إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول: إنك للين ووالله إن في الجنة لألين منك)** ثم لا ينام عليه، **(فلا يزال يصلي الليل كله)** حتى يصبح. **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله فافتتح القرآن)** أي في الصلاة **(فأصبح)** أي أدخل في الصبح **(وما قضيت نهمتي)** أي حاجتي منه نقله صاحب القوت. **(وقال الحسن)** البصري رحمه

نهمتي. وقال الحسن: إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل. وقال الفضيل: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم، وقد كثرت خطيئتك. وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال: إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار. وقال رجل لبعض الحكماء: إني لأضعف عن قيام

الله تعالى: **(إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل، و)** في هذا المعنى **(قال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم)** من الخير لا نصيب لك فيه، **(وقد كثرت خطيئتك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن علي، حدثنا الفضل بن محمد الجندي، حدثني إسحاق بن إبراهيم الطبري قال: سمعت الفضيل يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك.

(وكان) أبو الصهباء **(صلة بن أشيم)** العدوي تابعي جليل. روى عن عدة من الصحابة منهم ابن عباس **(يصلي الليل كله، فإذا كان في السحر يقول. إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار)** قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان قال: حدثت عن عبد الله بن جنيق أخبرني نجدة بن المبارك، حدثني مالك بن مغول كان بالبصرة ثلاثة متعبدون صلة بن أشيم، وكلثوم بن الأسود، ورجل آخر، فكان صلة إذا كان الليل خرج إلى أجمة يعبد الله فيها ففطن له رجل فقام له في الأجمة لينظر إلى عبادته، فإذا سبع فبصر به صلة. فأتاه فقال: قم أيها السبع فابتغ الرزق فتمطى السبع في وجهه وذهب ثم قام لعبادته، فلما كان في السحر قال: اللهم إن صلة ليس أهلاً أن يسألك الجنة ولكن ستراً من النار.

قال: وحدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا الحسين بن الحسن، حدثنا عبد الملك بن المبارك، حدثنا المسلم بن سعيد الواسطي، حدثنا حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة إلى كابل، وفي الجيش صلة بن أشيم قال: فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله فانظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى أراه العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلّت هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريباً منا، فدخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة. قال: وجاء أسد حتى دنا منه قال: فصعدت في شجرة. قال: افتراه التفت إليه أو عذبه حتى سجد، فقلت: الآن يفترسه فلا شيء فيسلم ثم سلم، فقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر فولّى فإن له زئير أقول تصدع منه الجبال فما زال كذلك يصلي حتى لما كان عند الصبح جلس فحمدالله تعالى بمحامد لم أسمع مثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار أو مثلي يجتريء أن يسألك الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وقد أصبحت وبي من الفتور شيء الله به عليم.

(وقال رجل لبعض الحكماء: إني لأضعف عن قيام الليل) يعني فما السبب في ذلك وما دواؤه؟

الليل فقال له: يا أخي لا تعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل. وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم، فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا: أصبحنا أطلع الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم. فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ردني فردّها. وقال الربيع: بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً. وقال أبو الجويرية: لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض، وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فمرَّ بقوم فقالوا: إن هذا يحيي الليل كله، فقال: إني أستحيي أن أوصف بما لا أفعل، فكان بعد ذلك يحيي الليل كله. ويروى أنه ما كان له فراش بالليل. ويقال: إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح: ﴿أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم

فقال له: يا أخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل). يعني: شؤم ذنوبك هو الذي يمنعك من قيام الليل، **(وكان للحسن بن صالح)** بن مسلم بن حي الهمداني الثوري أبي عبد الله الكوفي العابد أخو علي بن صالح ثقة. قال أبو زرعة: أجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد، وكان كثير البكاء إذا ذكر عنده الموت. ولد سنة مائة ومات سنة تسع وستين ومائة. ذكره البخاري في كتاب الشهادات، وروى له الباقون. **(جارية فباعها من قوم، فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة)** أي قوموا للصلاة. **(فقالوا: أصبحنا طلع الفجر)** بحذف همزة الاستفهام فيها؟ **(فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟ فقالوا: لا)** أي لا نصلي إلا المكتوبة **(فرجعت)** الجارية **(إلى الحسن، فقالت: يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردّها)** منهم إليه. **(وقال الربيع)** بن سليمان المرادي تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً)** أي قليلاً وقد تقدم قسمته الليل، وهذا القول قد تقدم في مناقبه في كتاب العلم. **(وقال أبو الجويرية)** عبد الحميد بن عمران الكوفي نزيل المدينة. روى عن حماد بن أبي سليمان، وعنه حماد بن خالد الحناط ومعن بن عيسى القزاز: **(لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه)** على الأرض لينام وقد تقدم ذلك في مناقبه. **(وكان أبو حنيفة)** رضي الله عنه من ورده **(يحيي نصف الليل فمرَّ بقوم فسمعهم وهم يقولون: إن هذا يحيي الليل كله، فقال: إني أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله)**. وصح عنه أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. **(ويروى أنه ما كان له فراش بالليل)** أي فراش خاص يمهد له لنومه، وكل ذلك تقدم في مناقبه في كتاب العلم. **(ويقال: إن)** أبا يحيي **(مالك بن دينار)** رحمه الله تعالى **(بات يردد هذه الآية ليله)** كله حتى أصبح **(﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات)** سواء محياهم ومماتهم ساء ما

كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [الجاثية : ٢١] الآية ، وقال المغيرة بن حبيب : رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول : اللهم حرّم شيبة مالك على النار . إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ، فأي الرجلين مالك ؟ وأي الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر . وقال مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها :

يحكمون﴾ وتقدم في كتاب آداب التلاوة أن تميماً الداري قام ليلة بهذه الآية يرددها حتى أصبح رواه أبو عبيد في الفضائل ، وابن أبي داود في الشريعة ، ومحمد بن نصر في قيام الليل ، والطبراني في الدعاء . وتقدم أيضاً عن عبد الله بن أحمد في زيادات المسند أن الربيع بن خيثم بات ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية فجعل يرددها حتى أصبح .

(وقال المغيرة بن حبيب : رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول : اللهم حرّم شيبة مالك على النار . إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك ؟ وأي الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك دأبه) وفي نسخة : قوله **(حتى طلع الفجر)** رواه أبو نعيم في الحلية باسنادين قال : حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا يسار ، حدثنا جعفر قال : سمعت المغيرة بن حبيب أبا صالح ختن مالك بن دينار يقول : يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله . قال : فصليت معه العشاء الاخيرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون الليل قال : وجاء مالك فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول : إذا جمعت الأولين والآخرين فحرّم شيبة مالك بن دينار على النار . قال : فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وهو يقول : يا رب إذا جمعت الأوّلين والآخرين فحرّم شيبة بن مالك بن دينار على النار ، فما زال كذلك حتى طلع الفجر . فقلت في نفسي : والله لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا تبل لي بالة عنده أبداً . قال : فجئت إلى المنزل وتركته ، وقال أيضاً حدثنا أبو محمد ، حدثنا محمد بن عبد الله بن ربيعة ، حدثنا الشاذكوني ، حدثنا جعفر بن سليمان قال : كان مالك بن دينار إذا قام في محرابه قال : يا رب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار ففي أي الدارين مالك ثم يبكي ؟ .

(وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالى : **(سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون)** أي حسناً وجمالاً وبهجة **(وفي يدها رقعة)** أي ورقة مكتوبة **(فقالت لي : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إليَّ الرقعة فإذا فيها)** هذه الأبيات :

أألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها ... وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقرآن

وقيل: حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجداً. ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها: من أنت؟

(أألهتك اللذائذ والأماني) أي أشغلتك المستلذات الدنيوية والاماني الكاذبة **(عن البيض الأوانس)** جمع بيضاء. والأوانس: جمع آنسة **(في الجنان)** أي المستقرات فيها.

(تعيش مخلداً) أي أبداً **(لا موت فيها)** فإنه يؤتى به في صورة كبش فيذبح وينادي: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت، **(وتلهو في الجنان مع الحسان)** أي تشتغل بهن فيها.

(تنبّه من منامك) أي من غفلتك **(إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن)** أي صلاة الليل بتلاوة القرآن.

(وقيل: حج مسروق) ابن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مرّ بن سلامان بن معمر الوادعي الهمداني أبو عائشة الكوفي. يقال: إنه سرق وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقاً، وأسلم أبوه. ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة. وقال الشعبي عن مسروق لقيت عمر بن الخطاب فقال: ما اسمك؟ فقلت: مسروق بن الأجدع. قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الأجدع اسم شيطان. أنت مسروق بن عبد الرحمن. قال الشعبي: فرأيت في الديوان مسروق بن عبد الرحمن، وكان ثقة. وله أحاديث صالحة صلّى خلف أبي بكر ولقي عمر وعلياً وزيد بن ثابت وابن مسعود وعائشة وأم سلمة والمغيرة وخباب بن الأرت. مات سنة ثلاث وستين وله ثلاث وستون سنة. روى له الجماعة. **(فما بات ليلة إلاّ ساجداً)** وهذا القول رواه المزي في التهذيب عن أبي إسحاق يعني الفزاري قال: حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع، وقال أنس بن سيرين، عن امرأة مسروق وهي قمير بنت عمر وكان مسروق يصلي حتى تورم قدماه فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه. وقال الشعبي: غشي على مسروق في يوم صائف وهو صائم وكانت له ابنة تسمى عائشة وبها يكنى وكان لا يعصيها، فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه افطر واشرب. قال: ما أردت بي يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

(ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القائمين) العباد **(أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حوراء)** واحدة لحور بالضم وقد حورت العين حورا كفرح اشتد بياض بياضها وسواد سوادها. ويقال: الحور اسوداد المقلة كلها كعيون الظباء. قالوا وليس في الإنسان حور، وإنما قيل ذلك في النساء على التشبيه، وفي مختصر العين ولا

قالت: حوراء. فقلت: زوجيني نفسك. فقالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد. وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكاً في صورة ديك براثنه من لؤلؤة وصئصئته من زبرجد أخضر، فإذا مضى ثلث الليل الأوّل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المتهجدون، فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المصلون، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم. وقيل: إن

يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها، (**فقلت: زوجيني نفسك. فقالت: اخطبني إلى سيدي وامهرني فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد**) أي طول القيام بالليل.

(**وقال يوسف بن مهران**) تابعي جليل روى عن ابن عباس وجابر، وعنه علي بن جدعان، وثقه أبو زرعة. روى له الترمذي قال: (**بلغني أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك براثنه من لؤلؤة**) أي مخالبه (**وصئصئته**) بكسر الصادين المهملتين مهموز هي أعلى القفا (**من زبرجد أخضر، فإذا مضى ثلث الليل الأوّل ضرب بجناحيه وزقا**) أي صاح (**وقال: ليقم القائمون**) أي للعبادة، (**فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وقال: ليقم المتهجدون، فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المصلون، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم**). نقله هكذا صاحب القوت وقال: وحدثنا عن عبد الله بن عمر قال: حدثنا يوسف بن مهران قال: بلغني فساقه.

وقد وقع لي حديث الديك في جملة المسلسلات وهو المسلسل بقول ما زلت بالاشواق إلى حديث حدثني به فلان قال الإمام أبو بكر محمد بن عمر بن عثمان بن العزيز الحنفي عرف بكاك، حدثنا أبو الرضا محمد بن علي بن يحي النسفي ببغداد، حدثني به أبو منصور عبد المحسن بن محمد، حدثني به أحمد بن عاصم الحافظ، حدثنا به محمد بن الحسين الخفاف، حدثنا به عبدالله بن إبراهيم الدقاق، حدثنا أبو عبدالله بن إدريس بن عبدالله بن أخي عيسى الدلاّل المصري، حدثنا أبو طاهر خير بن عرفة بن عبدالله الأنصاري، حدثنا عبد المنعم بن بشير، حدثنا ابن وهب، حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثني أبي، حدثنا أبو الدرداء رضي الله عنه قال: ما زلت بالأشواق إلى الديك الأبيض منذ رأيت ديك الله تعالى تحت عرشه ليلة اسرى بي ديكاً أبيض زغبه أخضر كالزبرجد وعرفه ياقوتة حمراء شرفها من جوهر وعيناه من ياقوتتين حمراوتين ورجلاه من ذهب أحمر في تخوم الأرض السفلى مطولاً من تحت الأرض وتحت السموات وتحت العرش، عنقه كالابريق الناشر في السماء أحسن شيء رأيته. ومنقاره من ذهب يتلألأ نوراً، فإذا كان في الثلث الأوّل نشر جناحيه وخفق بهما وقال: سبحان ذي الملك والملكوت يقول ذلك ثلاث مرات، فإذا خفق خفقت الديوك في الأرض وصرخت كصراخه، فإذا كان في ثلث الليل الأوسط فعل مثل ذلك وقال: سبحان من لا بسأم ولا ينام يقول ذلك ثلاثاً فتجيبه الديوك في الأرض، فإذا كان في ثلث الليل الآخر فعل

وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة، وكان يقول: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إلي من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم، وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى الصلاة. وقال بعضهم: رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول: وعزتي وجلالي لاكرمنّ مثوى سليمان التيمي، فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة. ويقال: كان مذهبه أن

ذلك وقال: سبحان من هو دائم قائم، سبحان من نامت العيون وعين سيدي لا تنام، سبحان الدائم القائم سبحان من فلق الأصباح بإذنه وسرى إلى خزائنه لا إله إلا هو سبحانه. رواه الحافظ السخاوي مسلسلاً في الجواهر المكللة عن أبي إسحاق ابراهيم بن علي الزمزمي عن المجد الشيرازي صاحب القاموس، عن أبي عبد الله الفارقي، عن أبي الحسن القرامي، عن جعفر الهمداني، عن أبي محمد الديباجي، عن أبي بكرلاك بسنده وقال: هو باطل منشأ وتسلسلاً.

ورواه الحافظ بن مهد، عن أبي اليمن محمد بن عمر بن محمد بن مخلوف المحلي، عن القاضي العلامة ناصر الدين محمد بن أحمد بن محمد بن فوز العثماني، عن التقي أبي عبد الله بن عرام الشاذلي، عن القلب محمد بن محمد بن علي بن حجر، عن أبي عبد الله الشاطبي، عن جعفر الهمداني. قال الحافظ السخاوي: ولم أره في أخبار الديك للحافظ أبي نعيم مع كثرة ما فيه من المناكير، والله أعلم.

(وقيل: إن وهب بن منبه) بن كامل بن يسبح **(اليماني)** الصنعاني الذماري. أبو عبد الله الانباري أخو همام ومعقل وغيلان بني منبه. ولد سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، ومات سنة ستة عشر ومائة بصنعاء. قال العجلي: تابعي ثقة، وكان على قضاء صنعاء، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. روى له البخاري حديثاً واحداً والباقون إلا ابن ماجه. **(ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة)** وذكر المزي في ترجمته أنه لبث وهب أربعين سنة لا يرقد على فراش، **(وكان يقول: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إليَّ من أن أرى وسادة يعني لأنها تدعو إلى النوم)** نقله صاحب القوت، **(وكانت له وسادة من أدم)** حشوها ليف كما في بعض النسخ **(إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم ينزع إلى القيام)** نقله صاحب القوت. وذكر ابن سعد في الطبقات بسنده إلى المثنى بن صباح قال: لبث وهب أربعين سنة لم يسب شيئاً فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً.

(وقال بعضهم) هو رقبة بن مصقلة كما صرح به صاحب القوت، وهو أبو عبد الله الكوفي شيخ ثقة، وكان صديقاً لسليمان التيمي. روى عنه سليمان حديثاً واحداً. روى له الجماعة إلا ابن ماجه: **(رأيت رب العزة جل جلاله في المنام فسمعته يقول: وعزتي وجلالي لأكـرمـنّ مثوى سليمان التيمي، فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة)**. نقله صاحب القوت والمزي. وقال محمد بن عبد الأعلى، قال لي المعتمر بن سليمان: لولا أنت من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء

النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء. وروي في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال: إن عبدي الذي هو عبدي حقاً الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديكة.

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل:

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطناً.

فأما الظاهرة فأربعة أمور:

الأخيرة، وعن معاذ بن معاذ قال: كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي، **وقال حماد** بن سلمة: ما أتينا التيمي في ساعة يطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً وكنا نرى أنه **لا يحسن** يعصي الله(**ويقال: كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء**) نقله صاحب القوت إلا أنه قال: وجب الوضوء (**ويروى**) في بعض الكتب القديمة (**أن الله عز وجل يقول: إن عبدي الذي هو عبدي حقاً الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك**) نقله صاحب القوت.

بيان الاسباب التي بها يتيسر أي يتسهل على السالك قيام الليل:

وهي ظاهرة وباطنة وقد أشار إليها المصنف فقال: (**اعلم أن قيام الليل عسر**) صعب (**على الخلق إلاّ على من وفق لقيامه بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطناً**).

قال صاحب العوارف: من حرم قيام الليل كسلاً وفتوراً في العزيمة أو تهاوناً به لقلة الاعتداد بذلك واغتراراً بحاله، فليبك عليه فقد قطع عليه طريق من الخير كبير، وقد يكون من أرباب الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويجد من دعة القرب ما يفتر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام ينبغي أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متعذر بالانسان معرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل من حالة رسول الله ﷺ وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماه، وقد يقول بعض من يحتج بذلك أن رسول الله ﷺ فعل ذلك تشريعاً. فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة، فليعلم أن رؤية الفضل في ترك القيام وادعاء الإيواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء حالي وتقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في العبد، والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم، فليعلم ذلك فإن رأينا من الأصحاب من كان في ذلك، ثم انكشف له بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقصور والله اعلم.

(**فأما**) الأسباب (**الظاهرة فاربعة أمور**.

الأوّل: أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام. كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً، وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام.

الثاني: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم.

الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنّة للاستعانة على قيام الليل.

الرابع: أن لا يجتنب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة. قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد

الأوّل: أن لا يكثر الأكل) فتكثر الأبخرة الحارة **(فيشرب)** فترتخي عروقه **(فيغلبه النوم)** لا محالة **(ويثقل عليه القيام)** حينئذ. **(كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول: يا معشر المريدين)** وفي نسخة: معاشر المريدين **(لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً)** لأنه برقادهم كثيراً يفوتهم قيام الليل فيتحسرون بفواته إذا دنا رحيلهم، ويندمون حيث لا ينفع الندم والحسرة وفي نسخة «فتحسروا» **(وهذا هو الأصل الكبير)** في هذا الشأن، **(وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام)**، ويتبع هذا السبب الظاهر سبب آخر باطن وهو أن يتناول ما يأكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن فإنه يعين على قيام الليل لأن بالذكر يذهب داؤه، فإن وجد للطعام ثقلاً على المعدة فينبغي أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار.

(الثاني: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال) والاشغال **(التي تعيا)** أي تعجز **(بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب)** والقوى، **(فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم)** أي سبب حامل له كما هو مشاهد في أهل الكد في الأعمال الدنيوية، فإنهم إذا أمسى عليهم الليل غلب عليهم التثاقل وغلب عليهم النوم.

(الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار) وهي النوم في وسط النهار، **(فإنها سبب الاستعانة على قيام الليل)** وفي نسخة سنّة الاستعانة. رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقد تقدم.

(الرابع: أن يجتنب الأوزار) والمعاصي **(بالنهار فإن ذلك)** أي تحمل الأوزار ربما **(يقسي القلب)** ويسوده **(ويحول بينه وبين أسباب الرحمة)** فإن القلوب القاسية بعيدة عن الرحمات الإلهية **(قال رجل للحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(يا أبا سعيد إني أبيت معافى)** أي في بدني **(وأحب قيام الليل وأعد طهوري)** أي أهيئه **(فما بالي)** أتكاسل و **(لا أقوم)**

طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك. وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول: أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون. وقال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي: هذا مراء. وقال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت: أتاك نعي بعض أهلك؟ فقال: أشد، فقلت: وجع يؤلمك؟ قال: أشد، قلت: فما ذاك؟ قال: بابي مغلق وستري مسبــل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته. وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير. ولذلك قال أبو سليمان الداراني: لا تفوت أحداً صلاة

هل لذلك من سبب؟ (**فقال: ذنوبك قيدتك**) أي هي التي منعتك عن القيام. نقل صاحب القوت والعوارف. قال صاحب القوت: وكان الحسن يقول: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار. (**وكان الحسن**) رحمه الله تعالى (**إذا دخل السوق فيسمع لغطهم**) أي صياحهم (**ولغوهم**) وفي نسخة: لهوهم (**يقول: أظن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون**) وفي القوت: أما يقيلون أي في النهار، ولا يسكنون. ولغوهم هو الذي حملهم على عدم قيامهم بالليل، وهذا القول نقله صاحب القوت. قال وقال بعض السلف: كيف ينجو التاجر من سوء الحساب وهو يلغو بالنهار وينام بالليل. (**وقال**) سفيان بن سعيد (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. قيل**) له: (**وما ذلك الذنب**) الذي حرمت به قيام الليل؟ (**قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي هذا مراء**) في بكائه لأجل الرياء نقله صاحب القوت. (**وقال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة**) الحارثي نزيل جرجان (**فقلت: أتاك نعي بعض أهلك فقال: أشد. فقلت: وجع**) ولفظ القوت: قلت: فوجع (**يؤلمك. فقال: أشد. قلت: فما ذاك**) ولفظ القوت: فماذا؟ (**فقال: بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته**) نقله صاحب القوت وهو في الحلية لأبي نعيم قال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن روح، حدثنا محمد بن أشكيب، حدثنا أبو داود الحفـري قال: دخل على كرز ابن بنته فإذا هو يبكي قيل له: ما يبكيك؟ قال: إن بابي لمغلق وإن ستري لمسبل ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة وما هو إلا من ذنب أحدثته.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا أبو غسان أحمد بن محمد بن إسحاق، حدثنا الحرث بن مسلم، عن ابن المبارك عن كرز بن وبرة قال: عجزت عن حزبي وما أراه إلا بذنب وما أدري ما هو اهـ.

(**وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما**) أي من الخير والشر (**يجر إلى الكثير**)، ومنه قولهم قالوا للقليل إلى أين ذاهب؟ قال: إلى الكثير، (**ولذلك قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**لا تفوت أحداً صلاة الجماعة إلا**

الجماعة إلا بذنب. وكان يقول: الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بُعد. وقال بعض العلماء: إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر، فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام، وتؤثر اللقمة الحلال في تصفيه القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له، ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة. وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات،

بذنب) أحدثه. نقله صاحب القوت إلاّ انه قال: صلاة في جماعة، **(وكان يقول)** يعني أبا سليمان الداراني: **(الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد)** فكأنه بعد عن الصلاة والتلاوة إذ في ذلك قرب، ومن هذا قوله تعالى ﴿فبصرت به عن جنب﴾ [القصص: ١١] كذا في القوت، ونقله صاحب العوارف وقال: هذا صحيح لأن المراعي المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام، ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام وضع الرأس على الوسادة، فإذا كان ذا عزيمة في ترك الوسادة فقد يتمهد للنوم، ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية العون على القيام، وقد يكون ذلك ذنباً بالنسبة إلى بعض الناس، فإذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنباً جالباً للاحتلام فقس على هذا ذنوب الأحوال، فإنها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها وقد يترفق بأنواع الرفق من الفراش الوطيء والوسادة، ولا يعاقب بالاحتلام وغيره على فعله إذا كان عالماً ذا نية يعرف مداخل الأمور ومخارجها، وكم من نائم سبق القائم لوفور علمه وحسن نيته والله أعلم.

(وقال بعض العلماء: إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر، فإن العبد ليأكل الأكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأوّل) نقله صاحب القوت، **(فالذنوب كلها تورث قساوة القلب)** وتظلمه **(وتمنع من قيام الليل)** بثقلها **(وأخصها)** أي الذنوب **(بالتأثير)** بالقلب **(تناول الحرام)** وما فيه شبهة الحرام **(وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب)** والحراسة بأنفاسهم عليها **(بالتجربة)** الصحيحة **(بعد شهادة الشرع لذلك)** في الكتاب والسنة، **(ولهذا قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت)** وفي القوت حرمت **(قراءة سورة، وأن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة)** فبحسن التفقد يعرف المريد من النقصان، وبقلة الذنوب يوقف على التفقد نقله صاحب القوت. **(وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة**

وقال بعض السجـانين: كنت سجاناً نيفاً وثلاثين سنة أسأل عن كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة، فكانوا يقولون: لا . وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر.

وسائر الخيرات.) وتقدم أن الفحشاء ما ينفر عنه الطبع السليم وينقصه العقل المستقيم من رذائل الأعمال الظاهرة، والمنكر ما أنكره العقل واستخبثه الشرع.

(وقال بعض السجانين بدينور) بكسر الدال المهملة وسكون الياء التحتية وفتح النون والواو آخره راء مدينة مشهورة بفارس: **(بقيت سجاناً نيفاً وثلاثين سنة أسأل عن كل مأخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة؟فكانوا يقولون: لا . فهذا تنبيه)** لأهل الاعتبار **(أن بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر)** يعني أنهم لو صلوا في جماعة لما أخذوا ليلتهم لأن بركة الجماعة كانت تمنعهم من تعاطي ما يؤخذون بسببه، وبقيت أسباب معينة للقيام لم يشر إليها المصنف.

فمن ذلك استقبال الليل عند الغروب بتجديد الوضوء والقعود مستقبل القبلة منتظراً مجيء الليل وصلاة المغرب، مقيماً في ذلك على أنواع الأذكار.

ومن ذلك مواصلة ما بين العشاءين بأنواع العبادات فإنها تغسل من باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم، فإن ذلك كله له أثر وخدش في القلوب حتى النظر إليهم يعقب كدراً في القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق في عين البصيرة كالقذى في العين وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر.

ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الأخيرة فإن الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين، ويعين على قيام الليل سيما إذا كثر وكان عرياً عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضاً معين على قيام الليل. قال صاحب العوارف: حكى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان أنه كان يغتسل في الليل ثلاث مرات. مرة بعد العشاء الآخرة، ومرة في أثناء الليل بعد الانتباه من النوم، ومرة قبل الصبح. فللوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر في تيسير قيام الليل.

ومن ذلك القعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم يعين على سرعة الانتباه إلا أن يكون واثقاً من نفسه وعادته فيتعمد للنوم ويستجلبه ليقوم في وقته المعهود، وإلاً فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للمريدين كما تقدم. فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل، وإنما النفس إذا طمعت ووطئت على النوم استرسلت فيه، وإذا أزعجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار، وقد قيل للنفس نظران: نظر إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية، ونظر إلى فوق لاستيفاء الأقسام الروحانية، فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الروحانية، فأعطوا لنفس حقها من النوم ومنعوها حظها، فالنفس بما فيها

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور:

الأوّل: سلامة القلب عن الحقد على المسلمين، وعن البدع، وعن فضول هموم الدنيا، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام، وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه، وفي مثل ذلك يقال:

يخبرني البوّاب أنك نائم ... وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل، فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة

مركوز من الترابية والجمادية ترسب وتستلذ النوم، وللآدمي بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له، والرسوب صفة التراب، والكسل والتقاعد والتناوم بسبب ذلك طبيعة في الإنسان، فأرباب الهمة قاموا بالليل فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى اللذات الروحانية إلى ذرى تحقيقها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا عن صفة الغافل الهاجع.

ومن ذلك تغيير العادة إن كان ذا وسادة يترك الوسادة، وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء، ولتغيير العادة فيهما تأثير في ذلك، ومن ترك شيئاً من ذلك، والله أعلم بنية وعزيمة يثاب على ذلك بتيسير ما رام، والله أعلم.

(**وأما الميسرات الباطنة فأربع**) خصال.

(**الأولى سلامة القلب عن الحقد**) وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (**على أحد من المسلمين**) بل ولا أحد من الكافرين إلا فيما كان متعلقاً بالدين فإنه مطلوب شرعاً، (**و**) كذا سلامة القلب (**من البدع**) المنكرة والحوادث المتجددة عملاً واعتقاداً، (**و**) كذا سلامة القلب (**من فضول هموم الدنيا، فالمستغرق الهم بتدبير**) أمور (**الدنيا لا يتيسر له القيام**) لحجاب قلبه عن أشعة الأنوار، (**وان**) تيسر له القيام و (**قام**) فإنه (**لا يتفكر في صلاته**) بل جميع حالاته (**إلا في مهماته**) التي بات عليها (**ولا يجول**) أي يتحرك خاطره (**إلا في وساوسه**) وهذيانه (**وفي مثله يقال:**

يخبرني البوّاب أنك نائم ... وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

فنوم هذا وقيام هذا بمنزلة واحدة كل منهما غفلة عن الله تعالى فمن المهم طهارة الباطن عن خدوش هذه الاهوية وكدورة أفكار الدنيا، والنقاوة عن أدناس الغل والحقد والحسد لتنجلي مرآة قلبه، وتقابل اللوح المحفوظ وتنتقش فيه عجائب الغيب.

(**الثانية خوف غالب يلزم القلب**) عن إمارات معلومة (**مع قصر الأمل**) فيما يتوقع حصوله في القلب، (**فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة**) أي شدائدها (**ودركات جهنم**) وما فيها من أنواع العذاب مما سمعه من أفواه العلماء، ومما أدركه في مطالعاته من كتب العلم (**طار**

ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره. كما قال طاوس: إن ذكر جهنم طيّر نوم العابدين، وكما حكي أن غلاماً بالبصرة إسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته: إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار، فقال: إن صهيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم. وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال: إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام. وقال ذو النون المصري رحمه الله:

منع القـران بـوعـده ووعيـده ... مقل العيـون بليلهـا أن تهجعـا
فَهِمُوا عن الملك الجليل كلامـه ... فرِقَـابُهـم ذلّـت إليـه تخضّعـا

وأنشدوا أيضاً:

يـا طـويـلَ الرقــادِ والغَفَلاَنِ ... كثرة النـوم تـورث الحسراتِ
إنَّ في القبر إن نقلـت إليــه ... لـرقـاداً يطـول بعـد المماتِ
ومهــاداً ممهــداً لــك فيــه ... بـذنـوب عملـت أو حسنـاتِ

نومه) وذهب كسله **(وعظم حذره)** أي خوفه، **(كما قال طاوس)** بن كيسان اليماني: **(إن ذكر جهنم طيَّر نوم العابدين)** كما تقدم قريباً، **(وكما حكي ان غلاماً بالبصرة اسمه صهيب)** من العباد الزاهدين ذكر له في طبقات ابن الجوزي **(كان يقوم الليل كله)** بالصلاة **(فقالت له سيدته)** أي مالكته: **(إن قيامك بالليل)** كله **(يضر بعملك بالنهار)** أي تفتر عنه. **(فقال)** لها: **(إن صهيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم)** ولا يهنأ به. **(وقيل لآخر وكان يقوم كل الليل مثل ذلك)** الكلام. **(فقال: إذا ذكرت النار اشتد خوفي، وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما أقدر أن أنام)** فهو بين الخوف والرجاء. **(ولذي النون)** أي الفيض إبراهيم بن ثوبان النوبي **(المصري)** رحمه الله تعالى وقدس سره ترجمه القشيري في الرسالة وأبو نعيم في الحلية:

(منع القـرآن بـوعـده ووعيـده ... مقل العيـون بليلهـا أن تهجعـا)

أي قيام العبد بالقرآن وتفهم معناه فيما وعده به لأحبابه من الجنان وأعده لاعدائه من النيران منع العيون أن تنام في ليلها.

(فهموا عن الملك الجليل كلامـه ... فـرقـابهم ذلـت إليـه تخضعـاً)

(وأنشدوا) في معنى ذلك:

(يـا طـويـل الرقــاد والغفلات ... كثرة النـوم تـورث الحسراتِ)
(إنَّ في القبر ان نقلـت إليــه ... لـرقـاداً يطـول بعـد المماتِ)
(ومهــاداً ممهــداً لــك فيــه ... بـذنـوب عملت أو حسنـاتِ)

أأمنت البيات من ملك المو ت وكم نال آمناً ببياتِ

وقال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهو ركوعُ
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان، كما حكي أن بعض الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح، فقالت له زوجته: كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح. قال: والله إني كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقاً إليها.

(أأمنت البيات من ملك المو ت وكم نال آمناً ببياتِ)

البيات: بالفتح الاغارة ليلاً وهو اسم من بيته تبيتاً، ووجدنا في بعض النسخ زيادة وهي قال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوعُ
أطار الخوف نومهم وقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ

(الثالثة: أن يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات) الدالة **(والاخبار)** الصريحة **(والآثار)** المتبعة **(التي أوردناها)** آنفاً **(حتى يستحكم بذلك رجاؤه)** في الله تعالى **(وشوقه إلى ثوابه)** الذي أعده له **(فيهيجه الشوق لطلب المزيد)** من المقامات **(والرغبة في درجات الجنان)** والولدان والحور العين، **(كما حكي أن بعض الصالحين رجع عن غزاته)** التي كان توجه إليها، **(فلما كان الليل مهدت امرأته فراشها)** أي هيأته وزينت نفسها **(وجلست تنتظره)** على جاري العادة في قدوم الرجال إلى المنازل، **(فدخل المسجد)** أي مسجد بيته أو محلته **(فلم يزل يصلي حتى أصبح)** ولم يلتفت إلى راحة النوم على الفراش، فلما أصبح **(قالت له زوجته: لم يكن لنا فيك حظ)** كما تحتظ النساء بالرجال. **(قال: والله ما ذكرتك)** أي ما خطرت على بالي، **(ولقد كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليلة فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول الليلة شوقاً إليها)** إذ طول القيام بالليل من مهور الحور العين، **فهذا** مقام الرجاء. كما أن الخصلة التي قبلها مقام الخوف. وهذا قد رجع من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وللعارفين في أحوالهم مقامات.

الرابع: وهو أشرف البواعث الحب لله وقوّة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه، فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام. ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل.

فأما العقل، فليعتبر حال المحب الشخص بسبب جماله أو الملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله.

فإن قلت: إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وأن الله تعالى لا يرى؟ فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمحاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواه، وكان يتنعم بإظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه، وإن كان ذلك أيضاً معلوماً عنده.

(الرابعة: وهي أشرف البواعث الحب لله عز وجل وقوّة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه عز وجل وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه) من الإشارات الإلهية العارية عن الوساوس **(وأن تلك الخطرات)** التي تمر بقلبه يشاهدها بعين قلبه وانها **(خطاب من الله تعالى معه)** وهذا من مقامات الاحياء، **(فإذا أحب الله عز وجل)** وقوي إيمانه وزاد نشاطه بمعرفته **(أحب لا محالة الخلوة به)** عن خطور خطرات السوى **(وتلذذ بالمناجاة بالحبيب)** في قيامه **(فتحمله لذة المناجاة للحبيب على طول القيام)** واستمرار المناجاة. **(ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذا شهد له العقل والنقل)** وفي نسخة إذ يشهد العقل والنقل.

(أما العقل: فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله) وحسن صورته وكمال خلقه **(أو لملك بسبب انعامه)** عليه **(ونواله)** له واحسانه به **(كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليلته)** ولا يبالي بسهره وما يلقاه من النصب فيه بل ما يسمر بخاطره طول الليل.

(فإن قلت: إن الجميل) الذي ضربت به المثل للاعتبار إنما **(يتلذذ بالنظر إليه)** فترى العين منه منظراً حسناً فيحول بينها وبين النوم حجاب، **(وأن الله سبحانه لا يرى)** في الدنيا فكيف التلذذ بمناجاته؟ **(فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر وكان في بيت مظلم)** مثلاً **(لكان المحب)** له **(يتلذذ بمحاورته)** أي محادثته **(المجردة)** عن الرؤية **(دون النظر)** إليه **(ودون الطمع في أمر آخر سوى ذلك)** وفي نسخة سواه، **(وكان يتنعم باظهار حبه إليه وذكره بلسانه بمسمع منه)** وإن لم يكن بمرأى، **(وإن كان ذلك أيضاً معلوماً عنده)**.

فإن قلت: إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى؟ فاعلم أنه إن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضاً لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريرته إليه. كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به؟ وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره، فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات؟

وأما النقل؛ فيشهد له أحوال قوّام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم: كيف أنت والليل؟ قال: ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد. وقال آخر: أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر. وقيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ فقال:

(فإن قلت: إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله عز وجل؟ فاعلم أنه وإن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فاللذة باقية له في عرض أحواله) أي أثنائها **(و)** في **(رفع سريرته)** الباطنة **(إليه. كيف والموقن يسمع من الله عز وجل كل ما يرد على خاطره)** من الإشارات **(في أثناء مناجاته)** ومحاورته **(فيتلذذ به، وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه)** وإحسانه **(والرجاء في حق الله تعالى صدق)** لا خلف فيه بخلاف الرجاء في الملك **(وما عند الله سبحانه أبقى وأنفع مما عند غيره)** لوجوه كثيرة. **(فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات)** ؟ فهذه شهادة العقل.

(وأما النقل؛ فتشهد له أحوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له) السين هنا للوجدان. يقال: استقصره إذا وجده قصيراً أو عدّه كذلك **(كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب)** أي يجدها قصيرة ويتمنى لو طالت، ومن هنا قول بعضهم سنة الوصل سنة كما أن سنة الهجر سنة، وهم ثلاثة أصناف: قوم قطعهم الليل فكان هؤلاء المريدون والأوراد والأجزاء كابدوا الليل فغلبهم، وقوم قطعوا الليل فكان هؤلاء العاملون الذين صبروا وصابروا الليل فغلبوه، وقوم قطع بهم الليل فكان هؤلاء المحبون والعلماء أهل الفكر والمحادثة، وأهل الانس والمجالسة، وأهل الذكر والمناجاة، وأهل التخلق والملاقاة نقص الليل عليهم حالهم وقصر النعيم عليهم ليلهم ورفع الحبيب عنهم نومهم وخفف الفهم عليهم قيامهم واذهب مزيد الوصل عنهم مللهم وأوصل العتاب بهم سهرهم، **(حتى قيل لبعضهم: كيف أنت والليل: فقال: ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته)** نقله صاحب القوت. **(وقال آخر)** منهم: **(أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر)** نقله صاحب القوت. والرهان:

ساعة أنا فيها بين حالتين افرح بظلمته إذا جاء واغتم بفجره إذا طلع، ما تم فرحي به قط. وقال علي بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر. وقال الفضيل بن عياض: إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس عليّ. وقال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وقال أيضاً: لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم. وقال بعض العلماء: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة. وقال بعضهم: لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم. وقال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام

بالكسر مصدر راهنه بكذا، وتراهنوا أخرج كل واحد منهما رهناً ليفوز السابق بالجميع إذا غلب. **(وقيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ قال: ساعة أنا فيها بين حالين أفرح بظلمته إذا جاء واغتم بفجره إذا طلع ما تم فرحي به قط)** ولا استشفيت فيه قط كذا في القوت. وقيل لآخر منهم: كيف الليل عليك؟ فقال: والله ما أدري كيف انا فيه إلا أني بين نظرة ووقفة يقبل بظلامه فأرتدعه ثم يسفر قبل أن أتلبسه وأنشد:

لم أستتم عناقه لقدومه ... حتى بدا تسليمه لوداعِ

وتذاكر قوم قصر الليل عليهم فقال بعضهم: أما أنا فإن الليل يزورني قائماً ثم ينصرف قبل أن أجلس.

(وقال علي بن بكار) البصري الزاهد نزيل المصيصة ستأتي ترجمته قريباً: **(منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر)** نقله صاحب القوت. **(وقال الفضيل بن عياض)** رحمه الله تعالى: **(إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي)** عز وجل، **(وإذا طلعت الشمس حزنت لدخول الناس عليَّ)** كذا في القوت. **(وقال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا)** كذا في القوت. **(وقال أيضاً لو عوّض الله سبحانه أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه)** في قلوبهم **(من اللذة لكان ذلك أكثر من أعمالهم)** كذا في القوت. **(وقال بعض العلماء: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة)** كذا في القوت. **(وقال بعضهم)**: قيام الليل والتملق للحبيب و**(لذة المناجاة)** للقريب في الدنيا **(ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله لأوليائه)** في الدنيا لا يعرفها إلاَّ هم **(ولا يجدها سواهم)** روحاً لقلوبهم. نقله صاحب القوت بتغيير يسير.

(وقال ابن المنكدر) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي أبو عبد الله، ويقال

الليل ولقاء الأخوان والصلاة في الجماعة. وقال بعض العارفين: إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين. وقال بعض العلماء من القدماء: إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي أحبهم ويحبونني ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك. قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي

أبو بكر المدني ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة. كان من معادن الصدق إمام أمثاله من سادات الفقراء كان لا يتمالك إذا قرأ الحديث. روى عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وأبي قتادة وأبي أيوب وجابر، وعنه شعبة ومالك والسفيانان مات سنة ١٣٠: **(ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الاخوان، والصلاة في جماعة)** نقله صاحب القوت. وبكى عامر بن عبد الله بن الزبير حين حضرته الوفاة فقيل له في ذلك وقال: والله ما أبكي حباً للبقاء، ولكن ذكرت ظمأ الهواجر في الصيف وقيام الليل في الشتاء. وقال عتبة الغلام: كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة. وقال يوسف بن إسباط: قيام ليلة أسهل عليَّ من عمل قفة، وكان يعمل كل يوم عشر قفاف. وقال غيره: ما رأيت أعجب من الليل إن اضطربت تحته غلبك وإن ثبت له لم يقف.

(وقال بعض العارفين: إن الله عز وجل ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين) هكذا هو في القوت.

وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل ينظر إلى الجنان عند السحر نظرة، فتشرق وتضيء وتهتز وتدنو وتزداد جمالاً وحسناً وطيباً ألف ألف ضعف في جميع معانيها، ثم تقول ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ فيقول الله سبحانه: هنيئاً لك منازل الملوك. وعزتي وجلالي وعلوي في ارتفاع مكاني لا يسكنك جبار ولا بخيل ولا متكبر ولا فخور، وينظر سبحانه إلى العرش نظرة فيتسع ألف ألف سعة يزاد بكل توسعة ألف ألف علم بالله تعالى كل علم منها لا يعلم وسعه إلا الله عز وجل، ثم يهتز فيثقل على الحملة حتى يموج بعضهم في بعض ويحطم بعضهم بعضا وهم بعدد ما خلق الله عز وجل أضعاف جميع ما خلق فيقول العرش ما هو إلا هو.

(وقال بعض العلماء) من المتقدمين: **(إن الله عز وجل أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي يحبونني وأحبهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حذوت)** أي سلكت **(طريقتهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك)** والمقت أشد الغضب. **(قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال)** جمع ظل ما

الراعي غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها ، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إليَّ بانعامي ، فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي . أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم ، والثالثة : اقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه ؟ وقال مالك بن دينار رحمه الله : إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم

نسخته وهو من الطلوع إلى الزوال **(بالنهار)** أي يراعونها لإقامة الأوراد فيه **(كما يراعي الراعي)** الشفيق **(غنمه ويحنون)** أي يميلون باشتياق **(إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها)** عند الغروب ، **(فإذا جنهم الليل)** أي سترهم **(واختلط الظلام)** وفرشت الفرش ونصبت الأسرّة **(وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم)** أي للقيام في الصلاة **(وافترشوا لي وجوههم)** أي بالسجود **(وناجوني بكلامي وتملقوا لي بانعامي فمن بين صارخ وباك وبين متاوّه وشاك)** أي باختلاف أحوالهم بين الصريخ عند غلبة الحال ، وبين البكاء والتضرع والتأوّه والشكاية . وقال أبو سليمان الداراني : أهل الليل على ثلاث طبقات منهم من إذا قرأ فتفكر بكى ، ومنهم إذا تفكر صاح وراحته في صياحه ، ومنهم إذا قرأ فتفكر بهت فلم يبك ولم يصح . قال الراوي قلت له : من أي شيء بهت هذا ، ومن أي شيء صاح هذا ؟ فقال لا أقوى على التفسير . **(بعيني ما يتحملون من أجلي ، وبسمعي ما يشكون من حبي . أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات السبع والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم . والثالثة : اقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه)** ؟ هكذا ساقه صاحب القوت بطوله . ونقله أيضاً صاحب العوارف وزاد : فالصادق المريد إذا خلا في ليلة بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ، ويصير نهاره في حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالأنوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الأنوار المجتمعة من الليل ، ويصير قالبه في فئة من فئات الحق مسددة حركاته موفرة سكناته .

(وقال مالك بن دينار) أبو يحيى البصري رحمه الله تعالى : **(إذا قام العبد يتهجد من الليل)** ورتَّل القرآن كما أمر **(قرب منه الجبار عز وجل)** كذا في القوت إلا أنه قال : قرب الجبار منه . **(قال)** مالك ، **(وكانوا يرون)** أن **(ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة)**

والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب. وهذا له سر وتحقيق سيأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة.

وفي الأخبار عن الله عز وجل: « أيّ عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري » وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طـول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه: يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال: يا سيدي؛ تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل. وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه »، وفي رواية أخرى: « يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » ومطلوب

والفتوح **(والأنوار من قرب الرب عز وجل من القلب)** كذا في القوت **(وهذا له سر وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة)** إن شاء الله تعالى.

(وفي الاخبار يقول الله تعالى: « أي عبدي أنا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رأيت نوري ») هكذا هو في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا هارون بن عبدالله وعلي بن مسلم قالا: حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت مالكاً يعني ابن دينار يقول « قرأت في التوراة ابن آدم لا تعجب أن تقوم بين يدي باكياً فإني أنا الله الذي اقتربت بقلبك وبالغيب رأيت نوري » قال مالك يعني تلك الرقة وتلك الفتوح التي يفتح الله لك منهم.

(وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل) وأن السهر قد أضرَّ به **(وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال استاذه: يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات)** ففيها الخيرة. **(فقال: يا أستاذ تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار)** نقله صاحب القوت، **(واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب وانفراده واندفاع الشواغل)** وترك الخلطة.

(وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله) الأنصاري رضي الله عنهما، **(عن النبي ﷺ إنه قال: « إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل خيراً إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة »)** رواه مسلم وقد تقدم هذا الحديث قريباً. **(ومطلوب القائمين)** بالليل **(تلك**

القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان، وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم.

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل:

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب.

الأولى: إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم، فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء. حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين، وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة، قال: منهم سعيد بن

الساعة وهي مبهمة) غير معينة **(في جميع الليل كليلة القدر في رمضان)** كله، **(وكساعة يوم الجمعة)** وقد تقدم الكلام في كل منها في مواضعها من هذا الكتاب، **(وهي ساعة النفحات المذكورة)**.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق زيد بن أسلم قال قال أبو الدرداء رضي الله عنه «التمسوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله تعالى فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده».

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل:

(أعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب).

(المرتبة الأولى: إحياء كل الليل) بالصلاة والتلاوة والأذكار وغيرها من أنواع العبادات، **(وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى)** فلا شغل لهم سواها **(وتلذذوا بمناجاته)** في تلاوتهم **(وصار ذلك غذاء لهم)** أي بمنزلة الغذاء الذي لا يستغنى عنه **(وحياة لقلوبهم)** وتنويراً لها، **(فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس)** بالكسب في أسواقهم، وفي نسخة بأمور الدنيا. **(وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف)** الصالحين **(كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء)** الآخرة.

(حكى) الإمام **(أبو طالب المكي)** في كتابه قوت القلوب: **(أن ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن أربعين من التابعين، وكان منهم من واظب على ذلك أربعين سنة)**. ولفظ القوت: وممن اشتهر بإحياء الليل كله وصلاة الغداة بوضوء العشاء الأخيرة أربعين سنة، حتى نقل ذلك عنه أربعون من التابعين **(قال: منهم سعيد بن المسيب، وصفوان بن سليم المدنيان)** أما سعيد بن المسيب، فهو الإمام أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ

المسيب، وصفوان بن سليم ـ المدنيان ـ وفضيل بن عياض، ووهيب بن الورد ـ المكيان ـ وطاوس، ووهب بن منبه ـ اليمانيان ـ والربيع بن خيثم، والحكم ـ الكوفيان ـ وأبو سليمان

بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي سيد التابعين، ولد لسنتين مضتا لخلافة عمر، وكان أعلم أهل المدينة بالحلال والحرام فقيهاً متأهلاً ثقة من أهل الخير، صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. مات سنة أربع وتسعين وهو ابن خمس وسبعين سنة. روى له الجماعة.

وأما صفوان بن سليم، فهو أبو عبد الله، وقيل: أبو الحرث القرشي الزهري الفقيه، وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف. قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث عابد. وقال يحيى بن سعيد: هو رجل يستسقى بحديثه وينزل المطر من السماء بذكره، وعنه أيضاً ثقة من خيار عباد الله الصالحين. وقال مالك بن أنس: كان يصلي في الشتاء وفي الصيف في بطن البيت ينتفض بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم، وأنه لزم رجلاه حتى يعود كالسقط من قيام الليل وتظهر فيه عروق خضر. وقال عبد العزيز بن أبي حازم عادلني صفوان إلى مكة فما وضع جنبه بالأرض حتى يلقى الله عز وجل، فكنت على ذلك أكثر من ثلاثين عاماً، ومن طريق غيره أربعين سنة، فلما حضرته الوفاة واشتد به النزع وهو جالس فقالت ابنته: يا أبت لو وضعت جنبك على الأرض. فقال: يا بنية إذا ما وفيت لله عز وجل بالنذر والحلف فمات وانه لجالس سنة إثنين وثلاثين ومائة، روى له الجماعة.

(وفضيل بن عياض، ووهيب بن الورد المكيّان) أما فضيل؛ فهو أبو علي فضيل بن عياض ابن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، ولد بسمرقند ونشأ بابيورد وكتب الحديث بالكوفة وتحوّل إلى مكة فسكنها ومات بها. قال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي: ثقة صالح مأمون. وعن ابن المبارك: ما بقي في الحجاز أحد من الأبدال إلا فضيل بن عياض وعلي ابنه وعلي مقدم على أبيه في الخوف. وقال بشر بن الحرث: عشرة ممن كانوا يأكلون الحلال فذكر فيهم فضيل بن عياض وابنه علياً، وكان ممن صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. توفي بمكة سنة سبع وثمانين ومائة، روى له الجماعة إلا ابن ماجه.

وأما وهيب بن الورد، فهو أبو عثمان المكي مولى بني مخزوم تقدمت ترجمته في آخر كتاب الصلاة، وكان ممن صلّى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة. مات سنة ثلاث وخمسين ومائة. روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(والربيع بن خيثم، والحكم الكوفيان). أما الربيع؛ فهو أبو زيد الربيع بن خيثم بن عائذ بن عبد الله بن موهبة الثوري الكوفي من كبار التابعين تقدمت ترجمته في كتاب تلاوة القرآن وكان من المخبتين. قال ابن سعد: توفي في ولاية عبيد الله ابن زياد. روى له الجماعة إلا أبا داود.

وأما الحكم، فهو أبو عبد الله الحكم بن عتيبة الكندي الكوفي مولى امرأة من كندة، كان

الداراني، وعلي بن بكار ـ الشاميان ـ وأبو عبدالله الخواص، وأبو عاصم ـ العباديان ـ وحبيب أبو محمد، وأبو جابر السلماني ـ الفارسيان ـ ومالك بن دينار، وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي، وحبيب بن أبي ثابت، ويحي البكاء ـ البصريون ـ وكهمس بن المنهال

من أثبت أصحاب إبراهيم النخعي ثقة عابد زاهد ثبت في الحديث. ولد سنة خمسين ومات سنة ثلاث عشرة ومائة. روى له الجماعة.

(وأبو سليمان الداراني، وعلي بن بكار الشاميان). أما أبو سليمان، فهو أحمد بن عبد الرحمن بن عطية من أهل داريا ترجمه صاحب الحلية والرسالة والذهبي في التاريخ، وكان من الورع والعبادة بمكان.

وأما علي بن بكار: فهو البصري الزاهد نزيل المصيصة من ثغور الشام. روى عن ابن عوف وحسين المعلم والطبقة، وكان صاحب كرامات وتأله. مات سنة سبع وعشرين. روى له النسائي.

(وأبو عبدالله الخواص وأبو عاصم العباديان). أما أبو عبد الله الخواص.

وأما أبو عاصم، فهو عبيد الله وقيل عبد الله بن عبد الله. روى عن أبان وابن جدعان، وعنه ابن المديني وإسحاق. قال ابن معين وغيره: صالح الحديث روى له ابن ماجه. وعبادان جزيرة في بحر فارس تقدم ذكرها في آخر كتاب الحج.

(وحبيب أبو محمد، وأبو جابر السلماني الفارسيان) أما حبيب، فهو أبو محمد العجمي من ساكني البصرة. صاحب الكرامات مجاب الدعوات ترجمه أبو نعيم في الحلية. وأخرج من طريق السري بن يحي قال: كان أبو محمد يرى بالبصرة يوم التروية، ويرى بعرفة عشية عرفة. قيل: إنه أسند عن الحسن وابن سيرين وهو وهم من قائله، فإن حبيباً الذي أسند عنهما هو حبيب المعلم، وأما أبو جابر السلماني.

(ومالك بن دينار، وسليمان التيمي، ويزيد الرقاشي، وحبيب بن أبي ثابت، ويحي البكاء البصريون). أما مالك بن دينار: فهو أبو يحي الناجي السامي البصري الزاهد، مولى امرأة من بني ناجية بن سامة بن لؤي، وكان أبوه من سبي سجستان. وقيل: من كابل. قال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب المصاحف، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ويتقوّت بأجرته، وكان يجانب الإباحات جهده، ولا يأكل شيئاً من الطيبات، وكان من المتعبدة الصبر والمتقشفة الخشن: له ترجمة طويلة في الحليـة. مات سنة ثلاث وعشرين ومائة.

وأما سليمان التيمي؛ فهو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمـي تقـدمـت تـرجمتـه في كتـاب الدعوات.

وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى، وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم، ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم.

المرتبة الثانية: أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من

وأما يزيد الرقاشي؛ فهو يزيد بن أبان القاص العابد. روى عن أنس والحسن، وعنه صالح المري، وحماد بن سلمة. روى له الترمذي، وابن ماجه.

وأما حبيب بن أبي ثابت، فهكذا هو في القوت، وتبعه المصنف. والذي يظهر أنه وهم من النساخ، فإن حبيب بن أبي ثابت كوفي وهو قد ساقه في عداد البصريين. قال العجلي: تابعي ثقة كان يفتي بالكوفة قبل حماد بن أبي سليمان، وأما حبيب ابن أبي حبيب فإنه بصري ثقة. روى له مسلم والنسائي وابن ماجه، ومن أهل البصرة من يسمى بهذا الاسم حبيب بن الشهيد الأزدي أبو محمد تابعي أدرك أبا الطفيل، وحبيب المعلم أبو محمد البصري مولى معقل بن يسار. روى له الجماعة.

وأما يحيى البكّاء فهو يحيى بن مسلمة، ويقال ابن أبي خليد تابعي بصري. روى عن ابن عمر وأبي العالية. وعن عبد الوارث وعلي بن عاصم. روى له الترمذي وابن ماجه.

(وكهمس بن المنهال) السدوسي أبو عثمان البصري اللؤلؤي محله الصدق، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. قال صاحب القوت: **(وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى)** روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره.

(وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج الأفزر القاص الزاهد الحكيم مولى بني شجيع من بني ليث بن بكر. روى عن سهل بن سعد الساعدي وهو راويه. قال أحمد: ثقة لم يكن في زمانه مثله، وله ترجمة في الحلية مطوّلة. مات سنة أربع وأربعين ومائة.

(ومحمد بن المنكدر) بن الهدير أبو بكر المدني تقدمت ترجمته قريباً **(في جماعة يكثر عددهم)**. هؤلاء المشهورون منهم. كذا قاله صاحب القوت، وتبعه المصنف، ونقل صاحب العوارف مثل ذلك مختصراً وأحاله على القوت، وممن كان يحيي الليل كله الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وقد تقدم ذلك للمصنف قريباً، وكان ينبغي عداده في الكوفيين فهو أفضلهم وأورعهم، ومنهم أبو عبد الله الحرث بن يعقوب بن ثعلبة المصري مولى قيس بن سعد بن عبادة. قال ابن معين: ثقة. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال موسى بن ربيعة: كان الحرث من العباد قانتاً لله وكان إذا انصرف من صلاة عشاء الآخرة يدخل بيته فيصلي ركعتين ويجاء بعشائه فيوضع عنده فهو ينظر إليه فيقول: أصلي أيضاً ركعتين، فإذا فرغ من الركعتين يقول: أصلي أيضاً ركعتين فلا يزال يصلي ركعتين حتى يصبح فيكون عشاؤه وسحوره واحداً. روى له مسلم والترمذي والنسائي.

(المرتبة الثانية: أن يقوم نصف الليل، وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف

السلف، وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأوّل من الليل والسُدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل.

المرتبة الثالثة: أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسُدس الأخير، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة، وكانوا يكرهون ذلك. ويقلل صفرة الوجه والشهرة به، فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلّت صفرة وجهه وقلّ نعاسه. وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه

وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأوّل من الليل) أي بعد العشاء الآخرة إلى أن يكمل أربع ساعات منه **(و)** ينام **(السُدس الأخير منه)** وهو قبل الفجر بنحو ساعة ونصف **(حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه)** نحو أربع ساعات **(فهو الأفضل)** وهذا الاعتبار في ليالي الشتاء، وأما في الليالي القصيرة فيقع قيامه في وسط الليل نحو ساعتين فقط، وقد أشار إلى هذا المرتبة صاحب القوت فقال: فإن أحب المريد نام ثلث الليل الأوّل وقام نصفه ونام سُدسه الآخر.

(المرتبة الثالثة: أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأوّل والسدس الآخر) وأشار إليه صاحب القوت بقوله وان أراد نام نصف الليل وقام ثلثه ونام سدسه، **(وبالجملة نوم آخر الليل محبوب)** وفي نسخة: مستحب **(لأنه يذهب النعاس)** وهو النوم القليل وهي ريح لطيفة تأتي من قبل الدماغ تغطي على العين ولا يصل إلى القلب، فإذا وصل إليه كان نوماً **(بالغداة)** أي الصبح قبل طلوع الشمس وبعده، **(وكانوا يكرهون)** ذلك أي النعاس بالغداة. **(ويقلل صفرة الوجه)** فإنه إذا لم يأخذ الراحة قبل الفجر فترت الأعضاء وغلب الكسل فإن غالبه ولم يمكنه من نفسه أورث صفرة اللون في الوجه وفي سائر البدن **(والشهرة به، فلو قام أكثر الليل ونام سحراً)** أي في وقت السحر وهو السدس الأخير من الليل **(قلّت صفرة وجهه وقلّ نعاسه)** ونشطت الأعضاء وتنبهت القوّة.

ولفظ القوت: ونوم آخر الليل مستحب لمعنيين. أحدهما: أنه يذهب بالنعاس بالغدوات وقد كانوا يكرهون النعاس بالغداة ويأمرون الناعس بعد صلاة الصبح بالنوم والمعنى الثاني: أنه يقل صفرة الوجه فلو قام العبد أكثر الليل ونام سحراً أذهب نعاسه بالغداة وقلت صفرة وجهه، ولو نام أكثر الليل وسهر من السحر جلب عليه النعاس بالغداة وصفرة الوجه، فليتق العبد ذلك فإنه باب غامض من الشهرة والشهوة الخفية به، وليقل شرب الماء بالليل فقد يكون منه الصفرة سيما آخر الليل وبعد الانتباه من النوم اهـ.

(قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن) يعني الجماع **(وإلا اضطجع في مصلاه)** أي موضعه الذي ينام فيه **(ويصلي حتى يأتيه بلال)** المؤذن رضي الله عنه **(فيؤذنه)** أي يعلمه **(بالصلاة»)**.

للصلاة » وقالت أيضاً رضي الله عنها : « ما ألفيته بعد السحر إلاَّ نائماً » حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح سنّة ، منهم أبو هريرة رضي الله عنه . وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب ، وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من اوراد النهار ، وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود ﷺ .

قال العراقي : رواه مسلم من حديث عائشة : « كان ينام أول الليل ويحيي آخره ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام » . وقال النسائي : « فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كانت له حاجة ألم بأهله » . ولأبي داود « كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة » وهو متفق عليه بلفظ : « كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة » . وقال مسلم : « إذا صلى ركعتي الفجر » .

(وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما ألفيته بعد السحر الأعلى إلا نائماً ») تعني رسول الله ﷺ كذا في القوت .

قال العراقي : متفق عليه بلفظ : « ما ألفي رسول الله ﷺ السحر الأعلى في بيتي إلا نائماً » لم يقل البخاري « الأعلى » وقال ابن ماجه : « ما كنت ألفي أو ألقى النبي ﷺ من آخر الليل إلا وهو نائم عندي » اهـ .

وفي القوت : وفي الخبر الآخر : « كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الأيمن ضجعة حتى يأتيه بلال فيخرج معه إلى الصلاة » فقد كانوا يستحبون هذه بعد الوتر قبل صلاة الصبح ، **(حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح)** وبعد الوتر **(سنة منهم أبو هريرة)** رضي الله عنه كذا في القوت .

(وكان نوم هذا الوقت) من آخر الليل وفي الثلث الأخير مزيد لأهل الحضور و**(سبباً للمكاشفة)** لهم عن الملكوت **(والمشاهدة)** واستماع العلوم من الجبروت **(من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب)** الصافية الواعية **(وفيه)** سكن و**(استراحة تعين)** العمال وأهل المجاهدة **(على الورد الأول من أوراد النهار)** ، ولذلك حظرت بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر ليستريح عمال الله سبحانه وأهل أوراد الليل والنهار فيها ، والنوم من آخر الليل هو نقصان لأهل السهو والغفلة من حيث كان فريداً لأهل الشهود واليقظة لأنه آخر خدمة أولئك ففيه راحتهم وهو تطاول النوم والغفلة بهؤلاء فهو نقصهم . **(وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود عليه السلام)** . قال صاحب القوت : وقد روي أنه من أفضل القيام جاء ذلك في روايتين .

المرتبة الرابعة: أن يقوم سدس الليل أو خُمسه وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السُدس الأخير منه.

المرتبة الخامسة: أن لا يراعي التقدير، فإن ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه، ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم، ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم، فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل، وأشد الأعمال وأفضلها. وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ وهو طريقة ابن عمر وأولي العزم من الصحابة

(**المرتبة الرابعة: أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضل ذلك أن يكون في النصف الأخير**) منه (**وقبل السدس الأخير منه**) أشار إليه صاحب القوت بقوله: ولا يدع العبد أن يقوم مقدار خمس الليل أو سدسه، وهو ورد من أوراد الليل، أو وردان على اختلافهما في الطول والقصر متفرقاً كان قيامه أو متصلاً. وأي ورد أحياه من الليل بأي نوع من الأذكار فقد دخل في أهل البلد وله معهم نصيب.

(**المرتبة الخامسة: أن لا يراعي التقدير**)فلا يكون قيامه ونومه موزوناً عدلاً (**فإن ذلك إنما يتيسر لنبي**)بقلب دائم اليقظة و(**يوحى إليه**)من الله سبحانه، ولا يسلك هذا الطريق إلا بأسباب هي زادك لأن كل طريق يقطع بزاد مثله، فمن أراد أخذ من زاده هكذا ذكره صاحب القوت، وأتبعه بذكر الأسباب الثمانية التي ذكرها المصنف آنفاً. ثم قال: فهذه رياضة المريد إلى أن يألف القيام فيتجافى جنبه حينئذ لما في قلبه من الخوف والرجاء الذي قد استكن فيه، وقد اقتصر صاحب القوت على أن مراعاة التقدير يتيسر لنبي بوحي، وزاد المصنف فقال: (**أو لمن يعرف منازل القمر**)الثمانية والعشرين وكيفية حلول القمر فيها، ومتى يحل وكم يمكث ومتى يرتحل معرفة جيدة بكثرة الملازمة والتجربة، (**ويوكل به**)مع ذلك (**من يراقبه ويوقظه، ثم**)هذا فيه ما فيه من التعب المفضي إلى اختلال أمور كثيرة فإنه (**ربما يضطرب ذلك في ليالي الغيم**)فيحول بينه وبين رؤيته للمنازل، (**ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فينام، فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم**) ثم يقوم آخر الليل (**فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وهو من أشد الأعمال وأفضلها**) وهذه طريقة أهل الحضور واليقظة وأهل الأفكار والتذكرة. (**وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ**)، ففي الخبر: ما كنت تريد أن ترى رسول الله ﷺ قائماً إلا رأيته، ولا كنت تريد أن تراه نائماً إلا رأيته.

قال العراقي: روى أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أم سلمة: « كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ». وللبخاري من حديث ابن عباس: « صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه » الحديث اهـ.

وجماعة من التابعين رضي الله عنهم. وكان بعض السلف يقول: هي أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عيناً، فأما قيام رسول الله ﷺ من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثيه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي، ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل ﴿إنَّ ربَّك يعلم أنَّك تقومُ أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾ [المزمّل: ٢٠] فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله: ﴿ونصفه وثلثه﴾ كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ ـ يعني الديك ـ وهذا يكون السُدس فما دونه. وروى غير

قلت: وللنسائي: «كان يصلي العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى، ثم إنه يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الأخيرة تكون إلى الصبح».

(وهي طريقة ابن عمر) ولفظ القوت: وكان هذا مذهب ابن عمر **(رضي الله عنهما وأولي العزم من الصحابة)** في قيام الليل، **(و)** فعله **(جماعة من التابعين)** رحمهم الله تعـالى. **(وكان بعض السلف يقول: هي أول نومة فإن انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنـام الله عيني)** نقله صاحب القوت بلفظ: «ثم عدت إلى نومة أخرى، ونقل صاحب العوارف مثله وزاد قال: وحكى لي بعض الفقراء عن شيخ له أنه كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة بالنهار لليوم والليلة، **(فأما قيام رسول الله ﷺ من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد، بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه)** وفي بعض النسخ: أو ثلثيه بعد قوله أو ثلثه **(مختلف ذلك في الليالي)**.

قال العراقي: رواه الشيخان من حديث ابن عباس: فقام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ» الحديث. وفي رواية للبخاري: «فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء» الحديث. ولأبي داود، «حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ» الحديث. ولمسلم من حديث عائشة: «فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل».

(يـدل على ذلك قول الله عز وجل في الموضعين من سورة المزمل ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾). ولفظ القوت: وقد كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة نصف الليل وليلة ثلثه وليلة ثلثيه وذلك مذكور في أول الآيتين من قيام الليل في سورة المزمل. وقد كان ﷺ يقوم ليلة نصف الليل ونصف سدسه معه، ويقوم ليلة ربعه، ويقوم ليلة سدس الليل حسب، وذلك مذكور في أخرى الآيتين من قيام الليل اهـ.

(فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله: ﴿ونصفه وثلثه﴾ كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع، وإن نصب كان نصف الليل وثلثه).

واحد أنه قال: «راعيت صلاة رسول الله ﷺ في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ حتى بلغ ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٤] ثم استل من فراشه سواكاً فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام، ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى، ثم استيقظ فقال ما قال أوّل مرة وفعل ما فعل أوّل مرة».

ولفظ القوت: وهذا على قراءة من كسر ونصفه وثلثه فأما من نصب فقال ونصفه وثلثه فإنه يعني يقوم النصف من نصف السدس والنصف وحده والثلث وحده، وهو الذي ذكرناه من الآية الأولى. وقد جاء في التفسير نحو هذا، وهو ﷺ مفترض عليه صلاة الليل فالآية الأولى أمره بقيام الليل فيها، والأخرى عنه بقيامه كيف هو فالأجود أن يكون ما أخبر عنه مواطئاً لما أمر به فالذي أمره به أن قال: ﴿قم الليل﴾ ثم استثنى القليل منه وقال: ﴿إلا قليلا﴾ ثم فسر أمره وقال: ﴿نصفه أو أنقص﴾ من النصف قليلاً يعني، والله سبحانه وتعالى أعلم أنقص نصف السدس أو ثلث النصف هـذان أقل أسماء النقصان عند العرب، ثم قال: ﴿أو زد عليه﴾ نصف سدس الليل لأنه أخبر عنه في الآية الأخرى بأقل من الثلثين، فقال عز وجل: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل﴾ يكون هذا نصف ونصف سدس وهو أقل التسمية عندهم، ثم قال: ونصفه أي ويعلم أنك تقوم أيضاً نصفه وثلثه. أي: وتقوم ثلثه. فهذه الأخبار أشبه لوطء الأمر من قراءة من كسر فقال ونصفه وثلثه يريد ويقوم أدنى من نصفه وهو الربع أو الثلث، وأدنى من ثلثه وهو السدس أو نصف السدس.

(وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يقوم) من الليل **(إذا سمع الصارخ»)** قال العراقي: متفق عليه.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي. **(أي الديك)** وإنما سمي به لكونه كثير الصياح ليلاً. قال الطيبي: إذا في الحديث لمجرد الظرف، **(وهذا يكون السدس فما دونه)**. ولفظ القوت: هذا يكون من السحر فكان هذا يكون سدس الليل أو نصف سدسه اهـ.

وقال ابن ناصر: أول ما يصيح الديك نصف الليل غالباً وقال ابن بطال: ثلثه، ثم قال صاحب القوت: وهذا أيضاً فيه رخصة وسعة لقوام الليل، قلنا ذلك تقريباً لا تحديداً والله سبحانه وتعالى العالم الحكيم، والنصب اختيارنا في القراءة على معنى كثرة القيام ولمواطأة الخبر عنه للأمر.

(وروي عن بعض الصحابة) كذا في النسخ. وفي نسخة العراقي: وروى غير واحد من الصحابة، ووقع في بعض النسخ وروى واقد وأخاله تصحيفاً **(أنه قال: «راعيت صلاة رسول الله ﷺ ليلاً فنام بعد العشاء زماناً، ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ حتى بلغ (إنك لا تخلف الميعاد﴾ ثم استل من فراشه سواكاً فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت قد صلى مثل الذي نام، ثم اضطجع حتى قلت قد نام مثل ما صلى، ثم**

المرتبة السادسة: وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله، وقد جاء في الأثر: صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة، فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه، وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء. ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة.

استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة»). قال العراقي: رواه النسائي من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: قلت وأنا في سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرقبن رسول الله ﷺ، فذكر نحوه. وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال: «لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة». فذكر الحديث وفيه: «أنه أخذ سواكه من مؤخرة الرحل» وهذا يدل على أنه أيضاً كان في سفر.

(**المرتبة السادسة: وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين**) وبه فسر الأثر الآتي للمصنف قريباً (**أو يتعذر عليه الطهارة**) لمانع من مرض ثقيل أو برد شديد أو عدم وجدان الماء في ذلك الوقت، (**فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله**)، ففضله واسع كما أن رحمته وسعت كل شيء.

(**وقد جاء في الأثر: صل من الليل ولو قدر حلب شاة**). قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً: نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة، ولأبي الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسلاً لا بد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة اهـ.

قلت: أورد هذا الأثر صاحب القوت وقال هذا يكون مقدار أربع ركعات ويكون مقدار ركعتين اهـ.

وروى ابن أبي شيبة، والبيهقي، ومحمد بن نصر في الصلاة، عن الحسن مرسلاً: صلوا من الليل ولو أربعاً صلوا من الليل ولو ركعتين ما من أهل بيت تعرف لهم صلاة من الليل إلا ناداهم منادياً أهل البيت قوموا لصلاتكم وإياس بن معاوية المذكور هو المزني، ومرسله رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم بلفظ: «لا بد من صلاة بليل ولو حلب ناقة ولو حلب شاة وما كان بعد صلاة العشاء الأخيرة فهو من الليل. (**فهذه طرق القسمة**) في صلاة الليل (**فليتخير المريد**) السالك في طريق الحق (**لنفسه ما رآه أيسر عليه**) وأسهل، (**وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل**) أي يترك (**إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء**) مما ذكر آنفاً، (**ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه**

ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره.

وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما إلى القدر. فليس يجري أمرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور، إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة، ولا الخامسة دون الرابعة.

هي المرتبة السابعة) ولفظ القوت: وإن أراد المريد إحياء الوردين اللذين من أول الليل أحدهما: بين العشاءين، والثاني: قبل نومة الناس فإن إحياء هذين الوردين عند بعض العلماء أفضل من صيام يوم، ثم ليقم الورد الرابع وهو ما بين الفجرين وهو أول ثلث الليل الآخر أو، الورد الخامس وهو السحر الآخر قبل طلوع الفجر الثاني وهو يصلح للقراءة والإستغفار إن كان لم يعتد القيام في جوف الليل، وأي ورد أحياه من الليل بأي نوع من الأذكار فقد دخل في أهل الليل وله معهم نصيب اهـ.

قلت: وروى الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: من صلى أربع ركعات بعد العشاء ثم أوتر فنام على وتره فهو في صلاة حتى يصبح. **(ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره)** في الشتاء والصيف.

(وأما في المرتبة الخامسة والسابعة فلم ينظر فيهما إلى المقدار وليس يجري أمرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة).

تنبيه:

اشتهر على الألسنة حديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» واختلف فيه قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة: لا أصل له، وإن روي من طرق عند ابن ماجه، وأورد الكثير منها القضاعي وغيره، ولكن قد رأيت بخط شيخنا في بعض أجوبته أنه ضعيف بل قواه بعضهم والمعتمد الاول، وقد أطنب ابن عدي في رده ومثلوا في الموضوع غير المقصد لكثرة طرقه. قال أبو طاهر: ظن القضاعي أن الحديث صحيح وهو معذور لأنه لم يكن حافظاً اهـ.

واتفق أئمة الحديث ابن عدي، والدارقطني، والعقيلي، وابن حبان، والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت حين دخل عليه. وقال ابن عدي: سرقه جماعة عن ثابت كعبد الله بن شبرمة الشريكي، وعبد الحميد بن بحر وغيرهما اهـ كلام السخاوي.

قلت: رواه ابن ماجه عن إسماعيل بن محمد الطلحي، عن ثابت بن موسى الضرير العابد، عن شريك عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال الذهبي: فيه ثابت بن موسى الضرير الكوفي العابد. قال يحي: كذاب، وقال ابن نمير: خبر باطل، وقال الحاكم: هذا لم يثبت، وسببه أن ثابت بن إبراهيم الزاهد كان يقوم الليل، فأصبح يوماً فأتى

....

مجلس شريك وهو على الحديث فقال: حدثنا شقيق بن سلمة عن أبي مسعود فوقع نظره على هذا الزاهد فقال شريك: من كثرت صلاته الخ. فسمعه الزاهد فظن أنه متن الإسناد فرواه مسنداً فصار حديثاً عند من لا يعرف الحديث اهـ.

وذكر الحافظ هذا السبب من وجه آخر بعد أن قال لا أصل له، ولم يقصد ثابت وضعه، وإنما دخل على شريك وهو بمجلس إملائه عند قوله: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال رسول الله ﷺ ولم يذكر المتن، فقال شريك: متصلاً بالسند أو المتن حين نظر إلى ثابت ممازحاً به من كثرة صلاته الخ معرضاً بزهده وعبادته، فظن ثابت أن هذا متن السند فحدث به. وقال الحافظ السيوطي في أعذب المناهل: حكم الحفاظ على هذا الحديث بالوضع وأطبقوا على أنه موضوع هذا لفظه، ثم أنه قد أورده في جامعه الكبير والصغير. قال في الكبير رواه ابن ماجه والعقيلي والبيهقي عن جابر وابن عساكر عن أنس، واقتصر في الصغير على إشارة ابن ماجه، ولذا وجد شارحه المناوي سبيلاً في الطعن عليه حيث قال: إذا كان الحديث موضوعاً باتفاق المحدثين فكيف يورده في كتاب ادعى أنه صانه عما تفرد به وضاع والله أعلم.

وعلى تقدير ثبوت الحديث فاختلف في المراد بالنهار، فالمشهور أنه نهار الدنيا ومعناه استنار وجهه وعلاه بهاء وضياء، وقيل: المراد به نهار القيامة، وهذا قد ذكره الثعلبي وأورده السهروردي في آخر الباب الخامس والأربعين في ذكر فضل قيام الليل من كتاب العوارف ما لفظه: وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار، ويجوز أن يكون لمعنيين:

أحدهما: أن المشكاة تستنير بالمصباح فإذا صار سراج اليقين في القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح إشراقاً فتكسب مشكاة القلب نوراً وضياء. كان سهل بن عبد الله يقول: اليقين نار، والإقرار فتيله، والعمل زيت. وقد قال الله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [الفتح: ٢٩] وقال تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] فنور اليقين من نور الله تعالى من زجاجة القلب يزداد ضياء بكثرة زيت العمل، فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدري، وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القلب، وأيضاً يلين القلب بنار النور ويسرى لينه إلى القالب فيلين القالب بلين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذي عمهم. قال الله تعالى: ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣] وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين، فإذا امتلأ القلب بالنور ولأن القلب بما يسري فيه من الأنين والسرور يندرج المكان والزمان في نور القلب، وتندرج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق الأرض أرض القالب بنور ربها إذ يصير القلب سماوياً والقالب أرضياً ولذة تلاوة كلام الله تعالى في عمل المناجاة تستركون الكائنات، والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود في مزاحمة صفو الشهود، فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع للهاجس حثيث وفي مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحة إلى خاتمة من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم.

بيان الليالي والأيام الفاضلة:

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنّة خمس عشرة ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فإنها مواسم الخيرات ومظان التجارات، ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح، ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح، فستة من هذه الليالي في شهر رمضان. خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان، فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر. وقال ابن الزبير رحمه الله: هي ليلة القدر، وأما التسع الأخر فأوّل ليلة

والوجه الثاني للحديث المذكور معناه أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتتداركه المعونة من الله تعالى في تصاريفه، ويكون معاناً في مصدره ومورده فتحسن وجوه مقاصده وأفعاله، وينتظم في سلك السداد مسددة أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب، والله أعلم.

بيان الليالي الفاضلة المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها(و) ذكر مواصلة الأوراد في الأيام الفاضلة:

(اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فإنها مواسم الخيرات) أي معالمها **(ومظان التجارات، ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح)** فهو أشد محافظة لها فإن البضائع لا تروج إلا في المواسم، **(ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح)** في أعماله، **(فستة من هذه الليالي في شهر رمضان)** خاصة **(خمسة هي أوتار العشر الأخير)** الحادية والعشرين، والثالثة، والخامسة والعشرين، والسابعة والعشرين، والتاسعة والعشرين. **(إذ فيها تطلب ليلة القدر)** فإنها عند الشافعي وآخرين منحصرة في العشر الأواخر، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكفنا مع رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان فخرجنا صبيحة عشرين فخطبنا رسول الله ﷺ صبيحة عشرين فقال: « إني رأيت ليلة القدر وإني نسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في وتر فإني أريت أني أسجد في ماء وطين » الحديث. وفي بعض روايات مسلم: « إني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة، ثم أعتكف العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي إنها في العشر الأواخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف ». الحديث. والصحيح من مذهب الشافعي أنها تختص بالعشر الأخير، وإنها في الأوتار أرجى منها في الأشفاع.

(وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر. وقال ابن الزبير) عبد الله رضي الله عنه: **(هي ليلة القدر)** هكذا وقع في النسخ عزو هذا القول إلى ابن الزبير، والمشهور حكاية هذا القول عن زيد بن أرقم، وابن مسعود، والحسن البصري، ففي معجم الطبراني عن زيد بن أرقم قال: ما أشك وما أرتاب أنها ليلة سبع

من المحرم وليلة عاشوراء وأوّل ليلة من رجب وليلة النصف منه **وليلة سبع وعشرين منه** وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة، فقد قال ﷺ : « **للعامل في هذه الليلة حسنات** مائة سنة » فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة **فاتحة الكتاب** وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلّـم في آخرهن ثم يقول: « **سبحان الله** والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة **ويصلي على النبي** ﷺ مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته **ويصبح صائماً فإن الله** **يستجيب دعاءه** كله إلا أن يدعو في معصية » . وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما

عشرة. ليلة أنزل القرآن ويوم التقى الجمعان. وعن زيد بن ثابت أنه كان يحيي ليلة سبع عشرة فقيل له تحيي ليلة سبع عشرة. قال: إن فيها أنزل القرآن وفي صبيحتها فرق بين الحق والباطل وكان يصبح فيها بهيج الوجه.

(**وأما التسعة الأخر**) هكذا في النسخ وبه يكمل العدد إذ ذكر أنهن خمسة عشرة ليلة في السنة، وفي بعض النسخ، وأما الثمان الأخر وهو خطأ، (**فأول ليلة من المحرم أو العاشرة أو الحادية عشر**) على اختلاف بين العلماء في تعيين عاشوراء، (**وأول ليلة من**) شهر (**رجب وليلة النصف منه**) أي من رجب (**وليلة سبع وعشرين منه**) أي من رجب، (**وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة. قال النبي ﷺ : « للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة » فمن صلى فيها إثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فإن الله سبحانه يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في معصية »**) قال العراقي ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الخبازي رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل، عن أبان، عن أنس. ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان اهـ.

قلت: وروى الديلمي من طريق خالد بن الهياج بن بسطام، عن أبيه، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان رضي الله عنه رفعه: « في رجب يوم وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة سنة وقام مائة سنة وهي لثلاث بقين من رجب في ذلك اليوم بعث الله محمداً نبياً ». قال السيوطي في ذيل الموضوعات: هياج تركوا حديثه.

(**وليلة النصف من شعبان**) قال صاحب القوت: وقد كانوا يصلون (**فيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الإخلاص عشر مرات**) يكون الجميع ألف مرة. (**كانوا**) يسمونها صلاة

أوردناه في صلاة التطوّع، وليلة عرفة وليلتا العيدين قال ﷺ: « من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ».

الخير **(ولا يتركونها)** ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها، وربما صلوها جماعة، **(كما أوردناه في صلاة التطوع)**. وتقدم هناك عن الحسن قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أن من صلى هذه الصلاة من هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة قضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة هكذا ذكره صاحب القوت.

ورواه محمد بن ناصر الحافظ بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً « يا علي من صلى مائة ركعة من ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد عشر مرات قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة » الحديث بطوله ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة.

وروي الجوزقاني بسنده إلى ابن عمر مرفوعاً « من قرأ ليلة النصف من شعبان ألف مرة قل هو الله أحد في مائة ركعة لم يخرج من الدنيا حتى يبعث الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من النار وثلاثون يعصمونه من أن يخطىء وعشر يكيدون من عاداه ».

وروي الديلمي في مسند الفردوس بسنده إلى محمد بن مروان الذهلي، عن أبي يحي حدثني أربعة وثلاثون من أصحاب النبي ﷺ قالوا: قال رسول الله ﷺ: فذكر مثله سواء. وفي الطريقين مجاهيل وضعفاء بمرة.

(وليلة عرفة وليلة العيدين) الفطر والأضحى. **(قال ﷺ: « من أحيا ليلة العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب »)** قال العراقي: رواه ابن ماجة بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة اهـ.

قلت: رواه من طريق بقية عن أبي أمامة بلفظ: « من قام ليلتي العيد لله محتسباً لم يمت قلبه حين تموت القلوب » وبقية صدوق لكنه كثير التدليس، وقد رواه بالعنعنة. ورواه ابن شاهين بسند فيه ضعيف ومجهول، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: « من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » فسياق المصنف أشبه بهذا السياق من سياق ابن ماجه، وفي السند عمر بن هارون البلخي ضعيف. وقال الحافظ: حديث مضطرب الإسناد، وقد خولف في صحابيه وفي رفعه. ورواه الحسن بن سفيان عن عبادة أيضاً وفيه بشر بن رافع متهم بالوضع، وقال النووي في الأذكار: يستحب إحياء ليلتي العيد بالذكر والصلاة وغيرهما من الطاعات لهذا الحديث فإنه وإن كان ضعيفاً. لكن أحاديث الفضائل يسامح فيها. قال: والأظهر أنه يحصل الإحياء بمعظم الليل اهـ.

وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: « من أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة. ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر ». **قال الحافظ: حديث غريب،**

وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها يوم عرفة، ويوم

وعبد الرحيم بن زيد العمي راويه متروك، وسبقه ابن الجوزي فقال: حديث لا يصح. وعبد الرحيم قال يحي: كذاب، وقال النسائي: متروك. وقال الشافعي: بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال أول ليلة من رجب، وليلة نصف شعبان، وليلتي العيد وليلة الجمعة.

تنبيه:

قال صاحب القوت: وقد قيل ان هذه يعني ليلة النصف من شعبان هي التي قال الله تعالى فيها: ﴿يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤] وأنه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الأحكام إلى مثلها من قابل والله أعلم.

والصحيح من ذلك عندي أنه في ليلة القدر وبذلك سميت لأن التنزيل يشهد له إذ في أول الآية ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان: ٣] ثم وصفها فقال: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ فالقرآن إنما أنزل في ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليلة مواطئاً لقوله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] اهـ.

(وأما الأيام الفاضلة؛ فهي تسعة عشر يوماً يستحب مواصلة الأوراد فيها) والدؤب في العبادة.

(يوم عرفة) روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: « من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة كتب الله تعالى له ألف ألف حسنة ورفع له بكل حرف درجة في الجنة بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام » الحديث. وفيه ضعاف ومجاهيل، وراويه النهاس بن فهم عن قتادة وسعيد لا يساوي شيئاً.

وروى الحسن ومعاوية بن قرة وأبو وائل عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما مرفوعاً « من صلى يوم عرفة ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب ثلاث مرات في كل مرة يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم ويختم آخرها بآمين، ثم يقرأ بقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات، وقل هو الله أحد مائة مرة يبدأ في كل مرة ببسم الله الرحمن الرحيم إلا قال الله عز وجل لملائكته أشهدكم أني قد غفرت له ». قال السيوطي: لا يصح راويه عبد الرحمن بن أنعم ضعفوه. قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات ويدلس.

(ويوم عاشوراء) وفضل هذا اليوم وما ورد فيه مشهور لا نطيل بذكره، فقد أفرد بالتآليف. وفي الخبر « صوم يوم عرفة يكفّر سنة ماضية وسنة مستقبلة، وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة » رواه ابن ماجه عن أبي سعيد. وروى الديلمي من حديث ابن عمرو « من صام يوم الزينة أدرك ما فاته من صيام السنة » يعني يوم عاشوراء.

عاشوراء، ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم. روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً» وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد ﷺ بالرسالة. ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة، ويوما العيدين، والأيام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة، والأيام المعدودات وهي أيام التشريق. وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام، وإذا

(ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم روى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله عز وجل له صيام ستين شهراً» وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد ﷺ بالرسالة)**. قال العراقي: رواه أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه اهـ.

قلت: وقد سبق في حديث سلمان في ذلك اليوم بعث الله محمداً ﷺ نبياً **(وهو يوم وقعة بدر)**. رواه الطبراني عن زيد بن أرقم وقد تقدم قريباً.

(ويوم النصف من شعبان) صبيحة ليلة البراءة.

(ويوم الجمعة) وقد ورد في فضله أخبار تقدم ذكرها في كتاب الصلاة.

(ويوما العيد) يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى.

(والأيام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والأيام المعدودات وهي أيام التشريق) وقد تقدم الكلام عليها في كتاب الحج، **(وقد روي عن أنس)** بن مالك رضي الله عنه **(عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة»)** هكذا أورده صاحب القوت، وقد تقدم في الباب الخامس من الصلاة. أورده هناك مقتصراً على الجملة الأولى، ورواه بجملته ابن حبان في الضعفاء، وأبو نعيم في الحلية، والدارقطني في الأفراد، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب من حديث عائشة.

قال العراقي: هناك ولم أجده من حديث أنس. قال الدارقطني في الأفراد: حدثنا أبو محمد بن صاعد، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن عبد العزيز بن أبان، عن الثوري، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. وأما أبو نعيم فقال في الحلية بعد أن أخرجه تفرد به إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي خالد القرشي. وأما البيهقي فأورده من طريقين وقال: لا يصح، وإنما يعرف من حديث عبد العزيز بن أبان عن سفيان وهو ضعيف بمرة، وهو عن الثوري باطل ليس له أصل. وأعله ابن الجوزي بعبد العزيز فأورده في الموضوعات وقال: تفرد به وهو كذاب. وقال الذهبي في الميزان: هو أحد المتروكين. قال يحيى: كذاب خبيث حدث بأحاديث موضوعة. وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه. وقال البخاري: تركوا حديثه وساق له هذا الخبر، ونازع السيوطي ابن الجوزي في دعوى تفرد عبد العزيز به وأورد له طريقاً أخرى في اللآلئ المصنوعة.

سلم شهر رمضان سلمت السنة ». وقال بعض العلماء: من أخذ مهنأه في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنأه في الآخرة، وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء.

ومن فواضل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى، وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة، والله أعلم. وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين.

ومعنى الحديث إذا سلم يوم الجمعة من وقوع الآثام فيه سلمت أيام الأسبوع من المؤاخذة، وإذا سلم رمضان من ارتكاب المحرمات فيه سلمت السنة كلها من المؤاخذات، وذلك لأنه سبحانه جعل لأهل كل ملة يوماً يتفرغون فيه لعبادته ويتخلون عن الشغل الدنيوي، فيوم الجمعة يوم عبادة هذه الأمة وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان، فلهذا من صح وسلم له يوم جمعته سلمت له أيام أسبوعه كلها، ومن صح وسلم له رمضان صح له سائر سنته. فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام ومن لم يسلم له يوم الجمعة أو رمضان فقد باء بعظيم.

(**وقال بعض العلماء**) ولفظ القوت: وقال بعض علمائنا وكأنه يشير بذلك إلى سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: (**من أخذ مهنأه في الأيام الخمسة**) ولفظ القوت في هذه الأيام الخمسة (**في الدنيا لم ينـل مهنأه في الآخرة**). وقال أيضاً: أيام يرجى فيها الفضل من الله تعالى، فإذا اشتغلت فيها بهواك وعاجل الدنيا فمتى ترجو الفضل والمزيد، (**وأراد به**) أي بقوله هذه الأيام الخمسة: (**العيدين والجمعة وعرفة ويوم عاشـوراء ومـن فـواضـل الأيـام في الأسبوع**) بعد هذا (**الخميس والإثنين**) يومان (**يرفع فيهما الأعمال إلى الله عز وجل**)، ومن فواضل الشهور الأربعة الحرم، وهم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب خصهن الله عز وجل بالنهي عن الظلم فيهن لعظيم حرماتها، فكذلك الأعمال لها فيهن فضل على غيرها وأفضلها: ذو الحجة لوقوع الحج فيه ولما خص به من الأيام المعلومات والأيام المعدودات، ثم ذو القعدة لجمعه الوصفين معاً وهو من أشهر الحرم ومن أشهر الحج، فأما المحرم ورجب فليسا من أشهر الحج، وأما شوال فليس من أشهر الحرم، ولكنه من أشهر الحج وأفضل الأيام في أشهر العشر أن العشر الأواخر من شهر رمضان والعشر الأول من ذي الحجة وبعدهما عشر المحرم من أوله، فالأعمال في هذه الأيام لها فضل ومزيد على سائر الشهور، وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة بنا إلى الإعادة والله أعلم.

وإذا أحب الله عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بأفضل الأعمال ليثيبه أفضل الثواب وإذا مقت عبداً استعمله بأسوأ الأعمال في فضائل الأوقات ليضاعف له السيئات بانتقاص من حرمات الشعائر وانتهاك الحرم في الحرمات، ويقال: من علامات التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من

غير قصد لها ، وصرف المعاصي عنك مع الطلب لها ، وفتح باب اللجا والافتقار إلى الله عز وجل في الشدة والرخاء ، ومن علامة الخذلان تعسير الخيرات عليك مع الطلب لها ، وتيسير المعاصي لك مع الهرب منها ، وغلق باب اللجا والافتقار إلى الله عز وجل في كل حال . فنسأل الله عز وجل بفضله حسن التوفيق والاختيار ، ونعوذ به من سوء القضاء والأقدار ، وقد تم شرح كتاب ترتيب الأوراد ، وبه تم ربع العبادات ويتلوه ربع العادات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . اللهم إني أتوسل إليك بمصنف هذا الكتاب أن تجبر كسري وتلطف بي في عواقبي وتشفي لي مريضي وتكشف ما بي، فقد ضقت ذرعاً وذبت همًّا وأمسيت لا أستطيع نفعاً .

قال الشيخ المؤلف حفظه الله : وكان الفراغ من تحرير هذا في وقت صلاة العشاء الآخرة ليلة السبت لعشر مضين من جمادى الثانية من شهور سنة ١١٩٨ اختتمها الله بخير وإلى خير ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الأكل وهو الأوّل من ربع العادات من كتاب إحياء العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ناصر كل صابر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل الأمور العادية مقصودة لمواضع الحاجات، وأجرى سنته في حفظ قوام البدن بتناول ما يستعان به على الطاعات، وخلق الشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات. أحمده على أن ركب الآدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات، وجعله مستودع خلاصة الأرض والسموات، وجعل عالم الشهادة وما فيها من الحيوان والنبات عمارة وإصلاحاً للبدن وكون فيه الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة آمن بها من فساد الطويات واعوجاج الهيئات وأسلم بها من رداءة الطبائع وتخريب البنيان، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبيه النبيه، المعصوم من التمويه، القانت المصلح الحكيم المرسل بالآيات الواضحات، والدلائل القاطعات، الآمر أمته بإصلاح النيات، وعلى آله الهداة وأصحابه الثقات، والتابعين لهم بإحسان إلى ما بعد المهات، ما أجريت العادات، لإحياء مراسم العبادات.

أما بعد، فهذا شرح **(كتاب آداب الأكل)** وهو الأول من ربع العادات من الإحياء لإمام العلوم حجة الإسلام قطب دائرة الفهوم أبي حامد الغزالي المخصوص بالتقديم على كل إمام ومأموم، سقى الله ضريحه صوب الغفران، وأحيا بمعارفه ميت القلوب في كل زمان يحل من رشق ألفاظه ما خفى ودق تيسيراً للطالبين، ويحقق من رموز معانيه الأقوم الأحق إرشاداً للراغبين فمن أمّ متنه بهذا الشرح حاز حسن السلوك وأذن له بالدخول في مقاصير الملوك فهو نعم الحضير في المسالك والدليل لكل سالك، والصديق الصادق، والرفيق الموافق. شرعت فيه وجوارحي هدف سهام الآلام، وخواطري أحاطت بها شغل الشواغل من وراء ومن أمام، فإلى الله أشكو بثي وحزني وهو المعين لا إله سواه ولا شافي إلا إياه، إليه فوضت أمري وعليه اعتمدت في تيسير عسيري، سبحانه سبحانه جل شأنه ما أعظم امتنانه وهو حسبي ونعم الوكيل وعليه قصد السبيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم) اقتداء بكتاب الله العظيم واقتفاء لآثار

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات، فخلق الأرض والسموات، وأنزل الماء الفرات من المعصرات، فأخرج به الحب والنبات، وقدّر الأرزاق والأقوات، وحفظ

نبيه الكريم، إذ باسمه الشريف يتبرك في مبادئ الأمور وبسره تنال الأماني وتنشرح الصدور، ثم أردفه بقوله: **(الحمد لله)** إذ ما من خير من خيور الدنيا والآخرة إلا وهو موليه، فالحمد في الحقيقة كله له وهو رأس الشكر لكونه أدل على مكان النعم لخفاء الاعتقاد، فمن لم يحمده لم يشكره وما بكم من نعمة فمن الله **(الذي أحسن تدبير الكائنات)** أي المخلوقات الكونية، وأصل الكون حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن وهو مرادف للوجود المطلق العام وتدبيرها النظر في عواقبها بما يصلحها مما يفسدها، والمراد بإحسانه هذا إعطاؤها ما يليق لها وبها، وإليه يشير قوله تعالى في مقام المنة ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه: ٥٠] **(فخلق الأرض)** متوسطة بين الصلابة والرخاوة حتى صارت متهيأة كالفراش المبسوط **(والسموات)** كالقبة المضروبة عليها، والأرض هو الجرم المقابل للسماء الجامع لنبات كل نابت ظاهراً وباطناً، فالظاهر كالمواليد وكل ما الماء أصله والباطن كالأعمال والأخلاق وجمعها أرضون ولم تجمع في القرآن ولذلك آثر صيغة الإفراد، **(وأنزل الماء الفرات)** أي العذب يقال: فرت الماء فروتة كسهل سهولة إذا عذب ولا يجمع إلا نادراً على فرتان كغراب وغربان **(من المعصرات)** أي من السحائب من أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض، أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، أو هي الرياح ذوات الأعاصير، وإنما جعلت مبدأ للإنزال لأنها تنشئ السحاب وتدر أخلافه. في الجملة إشارة إلى آيتين.

إحداهما: قوله تعالى: ﴿أسقيناكم ماء فراتاً﴾ [المرسلات: ٢٧] وأراد به ماء السماء فإنه عذب سهل.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ [النبأ: ١٤] أي منصباً بكثرة والفرات بالمعنى المذكور يرسم هكذا بالتاء المطولة، وأما بمعنى النهر المشهور فيرسم بالوجهين، وفي الآية الأولى دليل على أن سقى وأسقى يستعملان في الخير خلافاً لمن ادعى أن سقى للخير وأسقى في الشر، **(فأنشأ الحب والنبات)** الحب اسم لتام النبات المنتهي إلى صلاحية كونه طعاماً للآدمي الذي هو أتم خلقه، والنبات هو ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أم لا كالنجم، لكن خص عرفاً بما لا ساق له بل خص عند العامة بما يأكله الحيوان ومن يعتبر الحقائق فإنه يستعمله في كل نام نباتاً وحيواناً. **(وقدر الأرزاق والأقوات)** هو من باب عطف الخاص على العام. إذ الأرزاق جمع رزق بالكسر وهو ما يسوقه الله إلى الحيوان للتغذي أي ما به قوام الجسم ونماؤه، والأقوات جمع قوت بالضم هو ما يمسك الرمق. والرزق على قسمين ظاهر وهي الأقوات والأطعمة وذلك للظواهر وهي الأبدان، وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والأسرار، والله تعالى هو المتولي بتقدير الرزقين فالأرزاق تتناول الأقوات وغيرها وتقدير كل منها بقدرة الله ومشيئته. ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سبباً في إخراجها كالنطفة للحيوان

بالمأكولات قوى الحيوانات، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات، والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات، وتتضاعف بتعاقب الساعات، وسلم تسليماً كثيراً.

بأن أجرى عادته بإفاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منها، أو أبدع في الماء قوة فاعلية وفي الأرض قوة قابلية فتولد من اجتماعهما أنواع الرزق والأقوات، وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد، ولكن له في إنشائها مدرجاً من حال إلى حال صنائع وحكم يجدد فيها لأولي الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظيم قدرته ما ليس ذلك في إيجادها دفعة واحدة، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ [البقرة: ٢٢] وفي الجملة إشارة إلى قوله تعالى ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ [فصلت: ١٠] **(وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات)** وهي من الأمور الطبيعية، إعلم أنه لما وجدت أفعال تصدر من البدن بعضها إرادي كالقيام والقعود وبعضها غير إرادي كحركة القلب للترويح وتوليد الكبد للدم فلا محالة أن في كل عضو معنى هو الذي يقوم بذلك الفعل وهو المعنى بالقوة، فالقوة هيئة في الجسم الحيواني بها قوى على أن يفعل أفعاله بالذات، وهي ثلاثة أجناس: إحداها القوى الطبيعية، والثانية القوى النفسانية، والثالثة القوى الحيوانية. وهذا القسم الأخير هي القوة التي إذا حصلت في الأعضاء هيأتها لقبول الحس والحركة، وبالجملة تفيد الحياة والأفعال المنسوبة إلى الحي فهي مبدأ لحركة القلب والشرايين، ولحركة الجوهر الروحي اللطيف إلى الأعضاء والقوى النفسانية لا تحدث في الروح والأعضاء إلا بعد حدوث هذه القوة بخلاف القوى الطبيعية، فإنها توجد في النبات، وإن تعطل عضو من القوى النفسانية ولم يتعطل من هذه القوى فهو حي ألا يرى أن العضو الخدر والمفلوج فاقدانٌ لقوة الحس والحركة وهو مع ذلك حي، وإلا لفسد وعفن فإذاً فيه قوة تحفظ حياته وليس هذه القوة قوة التغذية وغيرها، وإلا لكان النبات مستعداً لقبول الحس والحركة. **(وأعان على الطاعات)** جمع طاعة وهي كل ما فيه رضا وتقرب إلى الله تعالى، وهي عندنا موافقة الأمر، وعند المعتزلة موافقة الإرادة **(والأعمال الصالحات)** والعمل الصالح هو المراعى من العلم، وأصله الإخلاص في النية وبلوغ الوسع في المحاولة بحسب علم العامل وأحكامه **(بأكل الطيبات)** وهي الحلال من المأكولات فهو مما يعين على حسن الطاعة وسلوك سبيل العمل الصالح. وفي الخبر «أطب طعمتك تستجب دعوتك». **(والصلاة على)** سيدنا **(محمد ذي المعجزات الباهرات)** أي الظاهرات ظهور القمر على سائر الكواكب، ولذا قيل للقمر الباهر، وقيل معناه الغالبات أو الفاضلات، وهذه المعاني متقاربة والمعجزة أمر خارق للعادة يدعو إلى الخير والسعادة مقرون بالتحدي قصد به إظهار صدق مدعي الرسالة، وقد تقدم ما يتعلق بها في آخر كتاب العقائد، **(وعلى آله)** هو من يؤول إليه بالقرابة القريبة، **(وأصحابه)** من تشرف بمشاهدته وصحبته ولو لحظة. **(صلاة تتوالى)** أي تتكرر **(على ممر الأوقات)** على مرورها وقتاً بعد وقت، **(وتتضاعف)** أي تزيد ضعفاً

أما بعد؛ فإن مقصد ذوي الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات. والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُوا من الطَّيِّبَاتِ واعملوا صالحاً﴾ [المؤمنون: ٥١] فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملاً يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه، وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها

(**بتعاقب الساعات**) وهي أجزاء الزمان وتعاقبها بأن يأتي بعضها عقب بعض، (**وسلم تسليماً كثيراً**) كثيراً.

(**أما بعد؛ فإن مقصد أولي الألباب**) أي مطمح نظرهم من قصدهم، وأولو الألباب أصحاب العقول الزكية الراجحة (**لقاء الله سبحانه**) والنظر إليه (**في دار الثواب**) أي الجنة، (**ولا طريق للوصول إلى اللقاء**) المذكور (**إلا بالعلم**) بالله (**والعمل**) لله تعالى وهو المدبر بالعلم المذكور، (**ولا يمكن المواظبة**) أي المداومة (**عليهما**) على وجه الكمال (**إلا بسلامة البدن**) الذي هو مسكن الروح الإنساني من العلل والعوارض، (**ولا يصفو سلامة البدن**) بحفظه ومراعاته (**إلا بالأطعمة والأقوات**) المغذية له، (**والتناول منها قدر الحاجة**) أي قدر ما يحتاج إليه البدن مع محبته له (**على تكرر الأوقات**) فمع تكررها يتكرر التناول (**فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين**): يعني به الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كما صرح به صاحب القوت، (**أن الأكل من الدين**) قدمه الله على العمل (**وعليه نبه رب العالمين**) جل شأنه (**وهو أصدق القائلين ﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾**). وكان سهل يقول: من لم يحسن أدب الأكل لم يحسن أدب العمل، (**فمن يقدم على الأكل**) بنية صالحة وهي (**يستعين به على العلم والعمل**) أي على تحصيلهما (**ويقوى به على التقوى**) وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة (**فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملاً سدى**) وهو بالضم مقصوراً يقال: تركته سدى أي مهماً فذكره بعد المهمل تأكيد (**يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى**) فيأكل من غير قانون ينتهي إليه كما تأكل الدواب، (**فإنما هو**) أي الأكل (**ذريعة الى الدين ووسيلة إليه**) أي إلى إقامته (**ينبغي أن تظهر**) أشعة (**أنوار الدين عليه، وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها**). وأصل الزمام بالكسر الخيط الذي يشد في البرة أو في الخشاش ثم يشد إليه المقود ثم سمي به المقود نفسه وقد زمه زماً شد عليه زمامه، (**ويلجم المتقي بلجامها**) وهو ما يشد به فم الفرس عربي، وقيل: معرّب (**حتى يتزن بميزان**

وإحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وإن كان فيها أوفى حظ النفس. قال ﷺ: « إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته ». وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعياً فيه آدابه ووظائفه.

وها نحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها في أربعة أبواب وفصل في آخرها.

الباب الأوّل: فيا لا بدّ للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل.

الباب الثاني: فيا يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل.

الباب الثالث: فيا يخص تقديم الطعام إلى الاخوان الزائرين.

الباب الرابع: فيا يخص الدعوة والضيافة وأشباهها.

الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها) أي التأخر عنها، **(فيصير بسببها مدفعة للوزر)** أي محلاً لدفعه **(ومجلبة للأجر)** أي محلاً لجلبه، **(وإن كان فيها أوفى حظ النفس. قال ﷺ « إن الرجل ليؤجر)** أي يثاب **(حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه)** أي إلى فمه **(وإلى في امرأته »)** أي فمها. كذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص « وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك ».

(وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين) أي[1] **(مراعياً فيه آدابه ووظائفه. وها نحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها في أربعة أبواب و)** زيادة **(فصل في آخرها)** لبيان متممات **(الأبواب)**.

الباب الأول: فيا لا بد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل) وحده.

(الباب الثاني: فيا يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل). أي مع جماعة.

(الباب الثالث: فيا يخص تقديم الطعام إلى الأخوان الزائرين) الداخلين إليه بقصد الزيارة من غير طلب.

(الباب الرابع: فيا يخص الدعوة والضيافة وأسبابها). فهذه أربعة أبواب تجمع جميع الآداب والسنن المعروفة.

---

(١) هنا بياض بالأصل.

الباب الأوّل

فيا لا بد للمنفرد منه:

وهو ثلاثة أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل، وقسم بعد الفراغ منه.

الباب الأول

فيا لا بد للمنفرد منه

(وهي ثلاثة أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل، وقسم بعد الفراغ منه) . ولنقدم قبل الخوض في المقصود بمقدمة في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة. فاعلم أن المريد السالك بحسن نيته وصحة مقصده ونور علمه وإتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة، فإنما هو وقته لله تعالى ويريد حياته لله تعالى فتدخل عليه أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته، وتحف بعاداته أنوار يقظته وحسن نيته فتتنور العادات وتشكل بالعبادات، ولهذا ورد « نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح وصمته حكمة » هذا مع كون النوم عين الغفلة، ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة، فتناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب، وبه قوام البدن بإحياء سنة الله تعالى بذلك، والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة. وقد ورد « أرض الجنة قيعان نباتها التسبيح والتقديس » والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا، والروح والقلب من طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما صلحاً لعمارة الدارين، والله تعالى ركب الآدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الأرضين والسموات، وجعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمي، فكون الطبائع وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواماً للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرات للآدمي يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه، فالطعام يصل إلى المعدة وفي المعدة طبائع أربع، وفي الطعام طبائع أربع. فإذا أراد الله تعالى اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من طبائع الطعام فتأخذ الحرارة البرودة والرطوبة اليبوسة فيعتدل المزاج ويأمن الاعوجاج، وإذا أراد الله إفناء قالب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم.

روي عن وهب بن منبه قال: وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام إني خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء: من رطب ويابس وبارد وسخن، وذلك لأني خلقته من التراب وهو يابس

القسم الأوّل: في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة:

الأوّل: أن يكون الطعام بعد كونه حلالاً في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسنّة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين ـ على ما سيأتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام ـ وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل تفخيماً لأمر الحرام وتعظيماً لبركة

ورطوبته من الماء وحرارته من قبيل النفس وبرودته من قبيل الروح، وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هي ملاك الجسم بإذني وبهن قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بالأخرى منهن: المرة السوداء، والمرة الصفراء، والبلغم، والدم. ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء، ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء، ومسكن الحرارة في الدم، ومسكن البرودة في البلغم، فأيما جسد اعتدلت طبيعته اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاكه وقوامه، فكانت كل واحدة منهن ربعاً لا تزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت بنيته، فإن زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيتها بقدر غلبتها حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقدارهن. رواه صاحب الحلية من طريق عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب.

وكما أن للمعدة طبائع تتدبر بموافقة طباع الطعام، فللقلب أيضاً مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعاية واليقظة يعرف انحراف القلب من اللقمة المتناولة. تارة يحدث في القلب من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلى الفضول، وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت، وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة، وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة. فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى بعين البصيرة تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال هو مهم طلبه للقالب، فللقلب أهم وأولى وتصرف الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القلب، ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت كموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقي الأسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء، والله أعلم.

القسم الأول: في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة:

(**الأول: أن يكون الطعام**) الذي يأكله (**بعد كونه حلالاً في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسنة والورع**) بأن تكون عينه معروفة لم تختلط بعين أخرى من ظلم وخيانة وأشار إلى موافقته لحكم السنة بقوله: (**لم يكتسب بسبب مكروه**) في الشرع (**و**)أن يكون سببه مباحاً (**لا**) بسبب محظور في الشرع (**بحكم هوى ومداهنة في دين**) ودنيا (**على ما سيأتي**) بيان ذلك (**في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام**) إن شاء الله تعالى، (**وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم**) الأمر بالأكل على الأمر بالشكر فقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله﴾ [البقرة: ١٧٢] وقدم (**النهي عن الأكل**

الحلال، فقال تعالى: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا لا تأكُلُوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ إلى قوله: ﴿ولا تَقْتُلُوا أنفسكم﴾ [النساء: ٢٩] الآية. فالأصل في الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين.

الثاني: غسل اليد؛ قال ﷺ: «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم». وفي رواية: «ينفي الفقر قبل الطعام وبعده». ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي

بالباطل) أي بالحرام **(على القتل)** للأنفس **(تفخيماً لأمر الحرام)** الذي هو الأكل بالباطل **(وتعظيماً لبركة الحلال فقال تعالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾)** ففيه تفضيل لأكل الحلال وتعظيم للأكل بالإبطال، **(فالأصل في الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين)**. وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام، وإن ما ذكره المصنف من طيبه في نفسه من جهة الكسب وموافقة السنة وانتفاء حكم الهوى والمداهنة هي علامات الحلال الثلاث.

(الثاني: غسل اليد) واليد عند أهل اللغة من المنكب إلى أطراف الأصابع، لكن المراد هنا غسلها إلى الرسغ، ثم إن المراد من اليد هنا اليمنى واليسرى معاً فمن اقتصر على إحداهما لم يصب السنة كما هو عادة بعض المترفهين، وكذا من عادتهم غسل أطراف الأصابع فقط وهو أيضاً بعيد عن السنة. **(قال ﷺ «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم»)** أي الجنون. قال العراقي: رواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية موسى الرضى عن آبائه متصلاً.

(وفي رواية) من حديث ابن عباس «الوضوء **(ينفي الفقر قبل الطعام وبعده»)** لأن في ذلك شكراً للنعمة ووفاء بحرمة الطعام والشكر يوجب المزيد. رواه الطبراني في الأوسط من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ «الوضوء قبل الطعام وبعده ينفي الفقر» وهو من سنن المرسلين. قال الهيثمي: نهشل بن سعيد متروك. وقال العراقي: ضعيف جداً والضحاك لم يسمع ابن عباس، وقال ولده الولي العراقي: سنده ضعيف ولكن له شواهد وهي وإن كانت ضعيفة أيضاً لكنها تكسبه فضل قوة. منها: ما تقدم من رواية موسى الرضى، ومنها ما رواه أبو داود والترمذي عن سلمان «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده».

قلت: وهذا الحديث الأخير رواه كذلك أحمد والحاكم كلهم في الأطعمة عن سلمان قال: قرأت في التوراة بركة الطعام الوضوء قبله فذكرته للنبي ﷺ فذكره. والحديث ضعفه أبو داود، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث قيس بن الربيع وهو مضعف، وقال الحاكم: تفرّد به قيس، وقال الذهبي: هو مع ضعف قيس فيه إرسال، لكن قال الحافظ المنذري قيس وإن كان فيه كلام لسوء حفظه لا يخرج الإسناد عن حد الحسن.

وروى الحاكم في تاريخه من رواية الحكم بن عبد الله الإيلي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعاً «الوضوء قبل الطعام حسنة وبعد الطعام حسنتان». قال السيوطي في الخصائص: إنما كان غسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة.

الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة، ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة.

الثالث: أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله ﷺ من رفعه على المائدة. كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام وضعه على

قلت: ويؤيده ما مرَّ من قصة سلمان قريباً ثم أن المراد بالوضوء في هذه الأحاديث الوضوء اللغوي وهو غسل اليدين إلى الرسغين وهذا لا يناقضه ما رواه الترمذي أنه ﷺ قرب إليه طعام فقالوا: ألا نأتيك بوضوء؟ قال «إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة» لأن المراد بذلك الوضوء الشرعي، وهنا الوضوء اللغوي وفيه رد على من زعم كراهة غسل اليد قبل الطعام وبعده وما تمسك به أنه من فعل الأعاجم لا يصلح حجة ولا يدل على اعتباره دليل، **(ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة)** وذلك قبل الطعام متوهم وبعده متحقق، **(ولأن الأكل)** أي للطعام الذي يأكله إنما هو **(لقصد الاستعانة على الدين)** والتقوي على الطاعات وهو **(عبادة)** لأن ما يستعان به علي العبادات عبادة كما تقدم، **(فهو جدير)** بهذا الاعتبار **(بأن يقدم عليه ما يجري مجرى الطهارة من الصلاة)**.

وقال صاحب العوارف: وإنما كان الوضوء قبل الطعام موجباً لنفي الفقر لأن غسل اليد قبل الطعام استقبال للنعمة بالأدب، وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد، فصار غسل اليد مستجلباً للنعمة مذهباً للفقر، فقد روى أنس عن النبي ﷺ «من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه وإذا رفع».

قلت: هذا الحديث رواه ابن ماجه من طريق جنادة بن المفلس عن كثير بن سليم عن أنس وجنادة وكثير ضعيفان. قال المنذري في الترغيب: المراد بالوضوء هنا غسل اليدين.

(الثالث: أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله ﷺ من رفعه على المائدة). اعلم أن السفرة في الأصل اسم لطعام يصنع للمسافر والجمع سفر كغرفة وغرف، وسميت الجلدة التي يُوعّى فيها الطعام سفرة مجازاً. كذا في المصباح. والمائدة من ماده ميداً أعطاه فهي فاعلة بمعنى مفعولة لأن المالك مادها للناس أي أعطاهم إياها، وقيل: مشتقة من ماد يميد إذا تحرك فهي إسم فاعل على الباب. كذا في المصباح.

(كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام وضعه على الأرض). قال العراقي: رواه أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلاً، ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاعة وثقه أحمد وضعفه الدارقطني اهـ.

قلت: وروى الطبراني من حديث ابن عباس كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض، وقد تقدم الكلام عليه في الباب الثاني من كتاب الدعوات **(فهو أقرب إلى التواضع)** أي وضع

الأرض فهذا أقرب إلى التواضع، فإن لم يكن فعلى السفرة فإنها تذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى. وقال أنس بن مالك رحمه الله: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة. قيل: فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ قال: على السفرة. وقيل: أربع أحدثت بعد رسول الله ﷺ: الموائد والمناخل والاشنان والشبع. واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهي

الطعام على الأرض، **(فإن لم يكن فعلى السفرة لأنها تذكر السفر)** أي الخروج للارتحال أو قطع المسافة **(ويتذكر من السفر سفر الآخرة)** بانتقال الفكر إليه **(و)** يتذكر مع ذلك **(حاجته إلى زاد التقوى)** فإن لكل سفر زاداً يصلح له وأن سفر زاد الآخرة التقوى والعمل الصالح.

(وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه: **(ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة. قيل: فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ قال: على السُفَر)** الخوان بالكسر ويضم هو المائدة ما لم يكن عليها طعام معرب يعتاد بعض المترفهين الأكل عليه احترازاً عن خفض رؤسهم، فالأكل عليه بدعة لكنها جائزة قاله ابن حجر المكي في شرح الشمائل. وسكرجة بضم أحرفه الثلاث مع تشديد الراء، وقيل: الصواب فتح رائه لأنه معرب عن مفتوحها وهي إناء صغير يجعل فيه ما يشهى ويهضم من الموائد حول الأطعمة. والحديث قال العراقي رواه البخاري.

قلت: وكذا رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه. قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي عن يونس بن الفرات، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا سكرجة. قال: فعلى ماذا كانوا يأكلون؟ قال: على السُفَر. ولفظ الترمذي: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قيل: جعلت الواو هنا للتعظيم كما في ﴿رب ارجعون﴾ أوله ﷺ ولاهل بيته فظاهر أو للصحابة فإنما عدل عن القياس لأنه يتأسون بأحواله ﷺ، فكان السؤال عن أحوالهم كالسؤال عن حاله.

(وقيل: أربع أحدثت بعد رسول الله ﷺ: الموائد والمناخل والأشنان والشبع) كذا في القوت، ونقله أيضاً ابن الحاج في المدخل، وأوّل الأربعة حدوث الشبع، وقد نقل ذلك عن عائشة رضي الله عنها، فالموائد جمع مائدة تقدم ذكرها، والمناخل جمع منخل بضم أوّله، وثالثه اسم لما ينخل به وهو من النوادر التي وردت بضم الميم والقياس الكسر لأنه آلة. كذا في المصباح. والأشنان بالضم والكسر لغة معرب، والشبع بكسر الشين المعجمة وفتح الموحدة الامتلاء من الطعام. قيل: هو اسم، وقيل: مصدر وقد تسكن الباء لأجل التخفيف.

(واعلم أنا وإن قلنا أن الأكل على السفرة أولى) لموافقته بالسنّة **(فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة أو تحريم)** والمراد بالكراهة هنا كراهة التنزيه بدليل قوله: أو تحريم، وهي إذا أطلقت تنصرف إلى

كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهي. وما يقال أنه أبدع بعد رسول الله ﷺ فليس كل ما أبدع منهياً، بل المنهي بدعة تضاد سنّة ثابتة وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته، بل الابداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة، فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة في النظافة، فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضاً، وكان مناديلهم أخمص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحباً، وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينتهِ إلى التنعم المفرط. وأما المائدة فتيسير للأكل وهو أيضاً مباح ما لم ينتهِ إلى الكبر والتعاظم. وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات وتحريك الأدواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات.

التحريم كما حققه ابن القيم في اعلام الموقعين، واستدل بأقوال الأئمة من المذاهب الأربعة (إذ لم يثبت فيه نهي) صريح، (**وما يقال أنه أبدع**) أي أحدث (**بعد رسول الله ﷺ فليس كل ما أبدع منهياً**) مطلقاً، (**بل المنهي بدعة تضاد سنّة ثابتة وتدفع امراً من الشرع مع بقاء علته**) وأما ما شهد لجنسه أصل في الشرع إن اقتضته مصلحة تندفع به مفسدة فإنه يسمى بدعة إلا انها مباحة (**بل الابداع قد يجب في بعض الأحوال**) لاقتضاء مصلحة (**إذا تغيرت الأسباب**) والعلل (**و**) لا يخفى أنه (**ليس في**) استعمال (**المائدة إلا رفع الطعام على الأرض لتيسير الأكل**) وتسهيله عند تناوله، (**وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه، والأربع التي جمعت في أنها بدعة ليست متساوية**) في الحكم، (**بل الاشنان أتم في التنظيف**) وإزالة الدسومات، (**وكانوا**) فيما سلف (**لا يستعملونه**) في غسل أيديهم (**لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم**) أي لم تكن عادة لهم بذلك (**أو لا يتيسر**) تحصيله (**وكانوا مشغولين بأمور**) دينية هي (**أهم من المبالغة في النظافة**) والتشدد فيها، (**فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضاً**) كما عرف من سيرتهم، (**وكان منادلهم أخمص في النظافة**) أو يتمسحون بالحصى كما ذكر عن أصحاب الصفة وتقدم جميع ذلك في كتاب سر الطهارة (**وذلك لا يمنع كون الغسل**) بالماء (**مستحباً**) وهذا ظاهر (**وأما المنخل فالمقصود منه**) نخل الدقيق واخذ الخلاصة منه وفيه (**تطييب الطعام وذلك مباح**) شرعاً (**ما لم ينته إلى الكبر والتعاظم**) فحينئذ ينهى عنه، (**وأما الشبع فهو أشد هذه الأربع**) في الانتهاء عنه، (**فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات**) الباطنة (**وتحريك الأدواء في البدن**) من سوء طبيعة وفساد مزاج وثقل وهيضة ودوّار وغير ذلك. (**فليدرك**)

الرابع: أن يحسن الجلسة على السفرة في أوّل جلوسه ويستديمها. كذلك كان رسول الله ﷺ ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه، وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول: «لا آكل متكئاً إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». والشرب متكئاً مكروه للمعدة أيضاً ويكره الأكل نائماً

المتأمل (**التفرقة بين هذه المبدعات**) الأربعة، (**فإنها ليست على وتيرة واحدة**) وإنما تختلف أحكامها باختلاف الأسباب والعلل.

(**الرابع: أن يحسن الجلسة**) بكسر الجيم اسم لهيئة الجلوس (**على السفرة في أوّل جلوسه**) عليها (**ويستديمها**) إلى أن يفرغ، (**كذلك كان رسول الله ﷺ ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه، وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول: «لا آكل متكئاً إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد»**).

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عبد الله بن بسر في أثناء حديث أتوا بتلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله الحديث. وله وللنسائي من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع.

وروى أبو الحسن بن المقري في الشمائل من حديثه كان إذا جلس على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وافعل كما يفعل العبد» واسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورد بسند حسن «أهديت للنبي ﷺ شاة فجثا على ركبته يأكل، فقال له اعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال: إن الله جعلني كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً وإنما فعل ﷺ ذلك تواضعاً لله تعالى، ومن ثم قال: إنما أنا عبد اجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد».

وفي خبر مرسل أو معضل عن الزهري «أتى النبي ﷺ ملك لم يأته قبلها فقال: إن ربك يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً أو نبياً ملكاً فنظر إلى جبريل كالمستشير له فأومأ إليه ان تواضع فقال: لا بل عبداً نبياً. قال: فما أكل متكئاً قط». لكنه أخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد أنه أكل متكئاً مرة، فإن صح فهو زيادة مقبولة. ويؤيدها ما أخرجه ابن شاهين عن عطاء بن يسار أن جبريل رأى النبي ﷺ يأكل متكئاً فنهاه. وفسر الأكثرون الاتكاء بالميل على أحد الجانبين لأنه يضر بالآكل فإنه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة وتضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء. ونقل في الشفاء عن المحققين أنهم فسروه بالتمكن للأكل والقعود في الجلوس كالمتربع المعتمد على وطاء تحته، لأنّ هذه الهيئة تستدعي كثرة الأكل والكبر، وورد بسند ضعيف زجر النبي ﷺ أن يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الأكل. قال مالك رحمه الله: هو نوع من الإتكاء. قال بعض المتأخرين: هنا في هذا إشارة من مالك إلى كراهة كل ما يعد الأكل فيه متكئاً ولا يختص بصفة بعينها، واختلفوا في حكم الاتكاء في الأكل فقال ابن القاص:

ومتكئاً إلا ما يتنقل به من الحبوب. روي عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كعكاً على ترس وهو مضطجع، ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله.

كراهته من خصائصه ﷺ، وقال غيره: يكره أيضاً لغيره إلا لضرورة، وعليه يحمل ما ورد عن جمع من السلف وتعقب الحمل المذكور بان ابن أبي شيبة أخرج عن جمع منهم الجواز مطلقاً، لكن يؤيد الأوّل ما أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً عن النخعـي: كانوا يكرهون أن يأكلوا تكاة مخافة أن تعظم بطونهم، وإن ثبت كون الاتكاء مكروهاً أو خلاف الأولى فالسنّة ان يجلس جاثياً على ركبتيه وظهور قدميه أو ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى.

قال ابن القيم: ويذكر عنه ﷺ أنه كان يجلس للأكل متوركاً على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعاً لله عز وجل وأدباً بين يديه. قال: وهذه الهيئة أنفع الهيئات للأكل وأفضلها لأن الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه.

وأما حديث أنس: «رأيته يأكل وهو مقع من الجوع» فقد أخرجه الترمذي أيضاً في الشمائل، ومعناه أي جالس على أليتيه ناصب ساقيه. هذا هو الاقعاء المكروه في الصلاة، وإنما لم يكره هنا لأنه ثم تشبه بالكلاب وهنا تشبه بالأرقاء ففيه غاية التواضع، ولهم اقعاء ثان لكنه مسنون في الجلوس بين السجدتين لأنه صح عنه ﷺ أنه فعله فيه، وهو أن ينصب ساقيه ويجلس على عقبيه. قيل: وهذا هو المراد هنا والأصح الأوّل لأن هيئته تدل على أنه ﷺ غير متكلف ولا يعتني بشأن الأكل. وفي القاموس اقعى في جلـوسه تساند إلى ما وراءه، وهذا يشعر بمزيد الرغبة عن الأكل المناسب لحاله ﷺ، وحينئذ فمعنى وهو مقع من الجوع أي مستند إلى ما وراءه من الضعف الحاصل له بسبب الجوع وبـما قررته يعلم أن الاستناد ليس من مندوبات الأكل لأنه ﷺ لم يفعله إلا لذلك الضعف الحاصل له ﷺ، وقوله: كان يقول «لا آكل متكئاً» رواه البخاري والترمذي في الشمائل من حديث أبي جحيفة، وقوله «إنما أنا عبد» الخ تقدم قبله من حديث أنس بلفظ «وافعل» بدل «اجلس». ورواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله «واجلس». ورواه أحمد في الزهد من حديث عطاء بن أبي رباح، ومن حديث الحسن بجملته مرسلاً.

(والشرب متكئاً مكروه للمعدة أيضاً) لأنه من فعل المتكبرين وأيضاً يضعف الكبد، **(ويكره الأكل متكئاً ونائماً إلا ما يتنقل به من الحبوب)**. ولفظ القوت: والأكل متكئاً أو نائماً ليس من السنّة إلا ما يتناول أو يتنقل من الحبوب وما في معناها، فقوله «متكئاً» قد تقدم تفصيله قريباً. وقوله «ونائماً» عام سواء كان على ظهره أو بطنه أو على أحد جنبيه. والتنقل: تناول النقل بضم النون وفتحها مع سكون القاف اسم للحبوب وما في معناها تتناول.

(روي عن علي رضي الله عنه أنه أكل كعكاً على ترس وهو مضطجع، ويقال: منبطح على بطنه) ولفظ القوت: قد رؤي عليّ كرم الله وجهه وهو يأكل على ترس مضطجعاً كعكاً، ويقال منبطحاً على بطنه، **(والعرب تفعله)**. ولكن فيما يتنقل به خاصة، فقد روى ابن ماجه «أنه ﷺ نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه».

الخامس: أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعاً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل. قال ابراهيم بن شيبان: منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل. فإنه إذا أكل لأجل قوّة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثاره القناعة على الاتساع. قال ﷺ: « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلّبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس »

(الخامس: أن ينوي بأكله أن يتقوى به) على البر والتقوى و**(على طاعة الله تعالى)** والاستعانة بخدمته ليكون مطيعاً بالأكل، **(ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل)** كما يقصده المترفهون. **(قال إبراهيم بن شيبان: منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي)** وفي نسخة بشهوتي، **(ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة)** أي لأجل أن يتقوى على العبادة **(لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع)** بحيث تبقى هناك الشهوة الداعية للأكل، **(فإن الشبع)** المفرط **(يمنع من العبادة)** أي من القيام بحقوقها **(ولا يقوى عليها)** لارتخاء العروق عند امتلاء المعدة. **(فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثار القناعة)** على الحرص والتقلل **(على الاتساع)** والأدب فيه على الشره.

(قال ﷺ « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه) لما فاته من خيور كثيرة جعل البطن كالأوعية التي تتخذ ظروفاً توهيناً لشأنه، ثم جعله شر الأوعية لأنها تستعمل في غير ما هي له، والبطن خلق لأنه يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضي إلى فساد الدين والدنيا فيكون شراً منها، ووجه تحقق ثبوت الوصف في المفضل عليه أن ملء الأوعية لا يخلو عن طمع أو حرص في الدنيا، وكلاهما شر على الفاعل. والشبع يوقع في مداحض فيزيغ عن الحق ويغلب عليه الكسل فيمنعه من التعبد وتكثر فيه مواد الفضول فيكثر غضبه وشهوته ويزيد حرصه فيوقعه في طلب ما زاد على الحاجة. **(حسب ابن آدم)** أي يكفيه وفي رواية: بحسب ابن آدم **(لقيمات)** جمع لقيمة تصغير لقمة، وهذه الصيغة لجمع القلة لما دون العشرة. وفي رواية « أكلات » محركة جمع أكلة بالضم وهي بمعناها أي يكفيه هذا القدر في سدّ الرمق وامساك القوة، ولذا قال: **(يقمن صلبه)** أي ظهره تسمية للكل باسم جزئه **(فإن لم يفعل)** وفي رواية: فإن كان لا محالة أي من التجاوز عما ذكر فلتكن أثلاثاً **(فثلث طعام)** أي مأكول، وفي رواية: لطعامه **(وثلث شراب)** أي مشروب، وفي رواية لشرابه، **(وثلث)** يدعه **(للنفس »)** بالتحريك يعني يبقى من ملئه قدر الثلث ليتمكن من النفس، وهذا غاية ما اختير للأكل وهو أنفع ما للبدن والقلب، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنها أسباب حياة الحيوان، وأيضاً لما كان في الإنسان ثلاثة أجزاء أرضي ومائي وهوائي قسم طعامه وشرابه ونفسه إلى الاجزاء الثلاثة، وترك الناري لقول جمع من الاطباء ليس في البدن جزء ناري ذكره ابن القيم.

ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد ما لا بدّ من تقديمه على الأكل. ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب، وسيأتي فائدة قلة الأكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات.

السادس: أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم، وقد ورد الأمر باكرام الخبز، فكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن

قال العراقي: هذا الحديث رواه الترمذي، وقال: حسن، والنسائي، وابن ماجه من حديث المقدام بن معد يكرب.

قلت: وكذا رواه ابن المبارك في الزهد، وأحمد، وابن سعد، وابن جرير، والطبراني، والحاكم، وابن حبان، والبيهقي. وقال الحاكم: هو صحيح وسيأتي الكلام على هذا الحديث في كتاب كسر الشهوتين عند ذكر فوائد الجوع.

(**ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد يده إلى الطعام إلا وهو جائع**) يشتهي الطعام، (**فيكون الجوع أحد ما لا بدّ من تقديمه على الأكل، ثم ينبغي أن يرفع اليد**) من الطعام (**قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب**) لعدم حاجته إليه، (**وسيأتي فائدة قلة الأكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شره الطعام من ربع المهلكات**) إن شاء الله تعالى.

(**السادس: أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام**) وأن يقنع بالمأكول من القسم، (**ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة**) فوق ما حضر (**و**) يقطع نظره عن (**انتظار الأدم**) أي ما يؤتدم به، (**بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم**) وهو قول غالب القطان، فإن الخبز وحده نعمة مستقلة وفيه كفاية لرد حاجة المحتاج لاسيما إذا كان مسخناً. (**وقد ورد الأمر باكرام الخبز**) وهو قوله ﷺ «أكرموا الخبز» أي بسائر أنواعه، ومن إكرامه أن لا ينتظر به الأدم، (**فكل ما يديم الرمق**) أي يمسك قوته ويحفظها (**ويقوى على العبادة**) أي على الاتيان بها (**فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر**) ومن استحقاره أن لا يكتفي به وينتظر به الأدم، والحديث المذكور رواه البيهقي والحاكم من حديث عائشة من طريق غالب القطان عن كريمة بنت همام عنها. قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي وفيه قصة. ورواه البغوي في معجمه، وابن قتيبة في غريبه عن ابن عباس، وسيأتي باقي الكلام على هذا الحديث قريباً في القسم الثاني، واختلفوا في معنى اكرام الخبز فقيل: هو هذا الذي ذكره المصنف، وهو قول غالب القطان، وأورده عليه بعضهم بانه غير جيد لما قالوا أن أكل الخبز مأدوماً من أسباب

يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع. قال ﷺ: « إذا حضر العَشاء والعِشاء فابدأوا بالعَشاء ». وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشائه. ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرورة فالأولى تقديم الصلاة، فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت تاقت النفس أو لم تتق لعموم الخبر، ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالباً.

السابع: أن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده. قال ﷺ:

حفظ الصحة. وعندي هذا غير وارد فإن المقام مقام الزهد والتقلل، فالذي يسد الرمق شيء وما يتسبب منه حفظ الصحة شيء آخر فتأمل.

وبقية معاني هذا الحديث تأتي قريباً (**بل لا ينتظر بالخبز الصلاة وإن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع**) يمكنه تحصيل كل منهما. (**قال ﷺ: « إذا حضر العشاء**) بفتح العين اسم للطعام الذي يؤكل في العشية (**والعشاء**) بكسر العين هي العشاء الأخيرة (**فابدأوا بالعشاء**) بفتح العين تقدم الحديث في الصلاة. رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وعائشة، والمعروف من روايته « إذا وضع الطعام وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء » قال راويه: (**وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع**) الإقامة و(**قراءة الإمام وهو لا يقوم من عشائه**) عملاً بالحديث نقله صاحب القوت.

(**ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة**) على الطعام، (**فأما إن حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوّش أمره فتقديمه على الصلاة أحب**) لكن (**عند اتساع الوقت**) ولا ينظر حينئذ إلى غيره (**تاقت النفس أو لم تتق لعموم الخبر**) الوارد فيه، (**لأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع**) على السفرة (**وإن لم يكن الجوع غالباً**) فقطع هذا الالتفات أولى ليحضر في الصلاة بقلبه على أكمل حالات الباطن.

(**السابع: أن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام**) فأحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي رواه جابر مرفوعاً. أخرجه أبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي، وأبو الشيخ في الثواب، والطبراني، والضياء في المختارة كلهم من رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج واسناده حسن، (**ولو من أهله وولده**) وخادمه فيجمعهم كلهم ويأكل معهم، والسر في ذلك أن اجتماع الانفاس وعظم الجمع أسباب نصبها الله سبحانه مقتضية لفيض الرحمة وتنزلات غيث النعمة، وهذا كالمحسوس عند أهل الطريق ولكن العبد لجهله يغلب عليه الشاهد على الغائب والحس على العقل.

« اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه ». وقال أنس رضي الله عنه: « كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده ». وقال ﷺ: « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي ».

القسم الثاني في آداب حالة الأكل:

وهو أن يبدأ « ببسم الله » في أوّله و « بالحمد لله » في آخره ولو قال مع كل لقمة: « بسم الله » فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى، ويقول مع اللقمة الأولى: « بسم الله » ومع الثانية « بسم الله الرحمن » ومع الثالثة « بسم الله الرحمن الرحيم » ويجهر به

(قال ﷺ: « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه ») قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه من حديث وحشي بن حرب باسناد حسن اهـ.

قلت: روياه في الأطعمة، ورواه أيضاً أحمد، وابن حبان، والحاكم في الجهاد بزيادة « واذكروا اسم الله » والامر للندب. وفي الحديث قصة وهي: قال رجل يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع فقال « لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا ». الحديث. وقال ابن عبد البر: إسناده ضعيف.

وعن عمر رضي الله عنه مرفوعاً « كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة » رواه ابن ماجه، ورواه العسكري في المواعظ بلفظ « وإن البركة في الجماعة ».

(وقال أنس رضي الله عنه « كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده ») قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف.

القسم الثاني: في آداب حالة الأكل:

(وهو أن يبدأ باسم الله تعالى في أوّله وبالحمد في آخره) بأن يقول « بسم الله » وفي آخره « الحمد لله ». وعن أنس مرفوعاً « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسم الله تعالى، فقوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام: ١٢١] تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان. واختلف الشافعي، وأبو حنيفة في وجوب ذلك وفهم الصوفي منه تقييد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل الطعام إلا مقترناً بالذكر وذلك فريضة وقته وأدبه، ويرى أن تناول الطعام والماء داء ينتج من آفة النفس ومتابعة هواها ويرى ذكر الله دواءه وترياقه، ويروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه، فجاء اعرابي فأكله بلقمتين، فقال ﷺ « اما أنه لو كان يسمي الله لكفاكم فإذا أكل أحدكم طعاماً فليقل بسم الله فإن نسي أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوّله وآخره ». **(ولو قال مع كل لقمة)** يرفعها إلى فمه **(« بسم الله » فهو أحسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى، ويقول مع اللقمة الأولى « بسم الله » ومع الثانية « بسم الله الرحمن » ومع الثالثة « بسم الله الرحمن الرحيم »)**

ليذكر غيره ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغّر اللقمة ويجود مضغها وما لم

هكذا ذكره صاحب القوت وإن أتم مع أول لقمة كان حسناً، **(ويجهر به ليذكر غيره)** إن كان ناسياً أو غافلاً.

قال صاحب العوارف: واعلم أن ذكر اسم الله تعالى في أوّل الطعام هو الدواء النافع لدفع عوارض القلب الحادثة من اللقمة المتناولة. قال: وحكي أن الإمام أبا حامد الغزالي قدس سره لما رجع إلى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح فقصده زائراً فصادفه وهو في صحراء له يبذر الحنطة في الأرض، فلما رآه أقبل إليه وحادثه، فجاءه رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي، فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال: لأني أبذر هذا البذر بقلب حاضر ذاكر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئاً، فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر. قال: وكان بعض الفقراء عند الأكل يشرع في قراءة سورة من القرآن يخص الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروهاً يغير مزاج القلب. قال: وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول: أنا آكل وأنا أصلي يشير إلى حضور القلب في الطعام، وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه وقت الأكل، ويرى للذكر وحضور القلب في الأكل أثراً كبيراً لا يسعه الإهمال له. قال: ومن الذكر عند الأكل الفكر فيما هيأ الله تعالى له من الأسنان المعينة له على الأكل، فمنها الكاسرة، ومنها القاطعة، ومنها الطاحنة. وما جعل الله من الماء الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحاً لما كان شحماً حتى لا يتغير، وكيف جعل النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك في المضغ والسوغ، وكيف جعل القوة الهاضمة متسلطة على الطعام تفصله وتجذبه متعلقاً مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر، وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ويفسد الطعام ولا ينفصل ولا يتصل إلى كل عضو نصيبه، وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين، ويطول شرح ذلك. فمن أراد الاعتبار يطالع تشريح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى في تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض في اصلاح الغذاء واستجلاب القوة منه للأعضاء وانقسامه إلى الدم والتفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، فتبارك الله أحسن الخالقين، فالفكر في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والتدبير فيه من الذكر. قال: ومما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب أن يدعو في أوّل الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عوناً على الطاعة، ويكون من دعائه: اللهم صلّ على محمد وآل محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عوناً لنا إلى ما تحب، وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغاً لنا فيما تحب اهـ. سياق صاحب العوارف.

(ويأكل باليمين) أي تأدباً على الأصح، وقيل: وجوباً ويدل له ما في مسلم أنه ﷺ رأى من يأكل بشماله فنهاه فقال: لا أستطيع فشلّت يمينه فلم يرفعها إلى فيه حتى مات. وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة رفعه «ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فإن

يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى فإن ذلك عجلة في الأكل وأن لا يذم مأكولاً. « كان ﷺ لا يعيب مأكولاً كان إذا أعجبه أكله وإلاَّ تركه » وأن يأكل مما يليه إلاَّ الفاكهة فإن له أن يجيل يده فيها. قال ﷺ: « كُلْ مما يليك » ثم كان ﷺ يدور على الفاكهة

الشيطان يـأكل بشمـاله ويشرب بشماله ويعطي بشماله ويأخذ بشماله. وروى أحمد والشيخان والأربعة من حديث عائشة « كان يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شأنه كله ». روى أحمد من حديث حفصة رضي الله عنها قالت: « كان يجعل يمينه لأكله وثيابه وشربه ووضوئه وأخذه وعطائه وشماله لما سوى ذلك ».

(ويبدأ بالملح ويختم به) هكذا نقله صاحب القوت، وصاحب العوارف قال الأخير: روي عن رسول الله ﷺ انه قال « يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء منهـا الجنـون والجذام والبرص ووجـع البطـن ووجـع الأضراس ». وذكـره ابـن الجوزي في الموضوعات، وسيأتي الكلام عليه في الفصل الأخير. وروت عائشة رضي الله عنها قالت: لدغت رسول الله ﷺ عقرب في ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال: عليَّ بذلك الأبيض الذي يكون في العجين فجئنا بملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ».

(ويصغر اللقمة) قدر ما يسعه الفم تصغيراً وسطاً، **(ويجوّد مضغهـا)** ذكـره صـاحـب القوت، **(وما لم يبتلعها لم يمد اليد إلى الاخرى فإن ذلك عجلة في الأكل)**، وكل ذلك من الآداب. وفي تصغير اللقمة سدّ باب الشره والإعانة على المضغ وفي جودة المضغ فائدة طبية وهي سرعة انهضامه في المعدة فما لم يجوّد مضغه بطؤ هضمه، **(و)** من الأدب **(أن لا يذم مأكولاً)** ولا يعيبه إن أعجبه أكله وإن لم يعجبه تركه. **(« كان ﷺ لا يعيب مأكولاً كان إذا أعجبه أكله وإلاَّ تركه »)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(ويأكل مما يليه) فإنه سّنة وإن كان وحده وفي خبر ضعيف التفصيل بينهما إذا كان الطعام لوناً واحداً فلا يتعدى الآكل ما يليه، وأما إذا كان أكثر فيتعداه **(إلا الفاكهة)** ونحوها مما لا يقذر في الأكل من غير ما يلي الآكل، **(فإن له أن يجيل)** أي يدير **(يده)** بلا كراهة فيه لأنه لا ضرر في ذلك ولا تقذر. **(قال ﷺ « كل مما يليك »)** قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة اهـ.

قلت: ورواه الترمذي في الشمائل بلفظ « يا بني ادن فسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » وعمر بن أبي سلمة هذا ربيبه ﷺ أمه أم سلمة دخل عليها ﷺ وهو رضيع، وقوله « كل مما يليك » أي ندباً على الأصح، وقيل: وجوباً لما فيه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره والنهمة، وانتصر له السبكي ونص عليه الشافعي في الرسالة ومواضع من الأم، ويؤخذ من الحديث أنه يندب

فقيل له في ذلك فقال: « ليس هو نوعاً واحداً » وأن لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام، بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قلّ الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم أيضاً فقد نهي عنه وقال: « إنهشوه نهشاً » ولا يوضع على الخبز

لمن على الطعام تعليم من ظهر منه اخلال بشيء من مندوباته. **(ثم كان)** ﷺ **(يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال « ليس هو نوعاً واحداً »)** أي فلا ضرر في إجالة اليد فيها ولا تقذر، رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عكراش بن ذؤيب، وفيه: فجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق فقال: يا عكراش « كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد » قال الترمذي: غريب، ورواه ابن حبان في الضعفاء. وروى الخطيب في ترجمة عبيد بن القاسم عن عائشة مرفوعاً « كان إذا أتي بطعام أكل مما يليه وإذا أتي بالتمر جالت يده فيه ».

(وان لا يأكل من ذروة القصعة) أي أعلاها تنزيهاً على الأصح، وإن قال البويطي في المختصر ويحرم الأكل من رأس الثريد والتعريس على الطريق والقران في التمر، فقد ذكروا أن هذه الثلاثة مكروهة لا محرمة، وكذا قوله: **(ولا من وسط الطعام)** كل ذلك إن لم يعلم رضا من يأكل معه، وإلاّ فلا حرمة ولا كراهة لما ورد « انه ﷺ كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة لأنه علم أن أحداً لا يكره ذلك ولا يستقذره » وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس « إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه ». ورواه البيهقي من حديثه بلفظ « كلوا في القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة تنزل في وسطها ». وعن عبد الله ابن بسر مرفوعاً « كلوا من حواليها وذروا ذروتها يبارك فيها » رواه أبو داود وابن ماجه. وعن وائلة بن الأسقع رفعه « كلوا بسم الله من حواليها واعفوا عن رأسها فإن البركة تأتيها من فوقها » رواه ابن ماجه. **(بل يأكل من استدارة الرغيف)** كذا في القوت أي فلا يأكل من وسط الرغيف من لبابه ويترك حواليه كما هو عادة المترفهين **(إلا إذا قلّ الخبز)** وكثر الآكلون، **(فيكسر الخبز)** قطعاً فيستعان بتكسير الخبز على التفرقة، **(ولا يقطع)** الخبز **(بالسكين)** فإنه مناف لإكرامه، وأيضاً يورث الفقر فيما قالوا. والحديث رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة، وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب، ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف.

(ولا يقطع اللحم أيضاً) بالسكين كما هو عادة الأجلاف من الاتراك فقد نهى عنه، **(وقال:)** ولكن **(انهشوه نهشاً)** بالسين والشين معاً نقله ابن فارس عن الأصمعي وهو أخذ اللحم بمقدم الأسنان للأكل، وقيل بالسين المهملة فقط واقتصر عليه ابن السكيت. ونقل الأزهري عن الليث قال: هو بالشين المعجمة تناول البعير كنهش الحية وبالمهملة القبض على اللحم ونثره وعكسه ثعلب فقال: بالمهملة يكون باطراف الاسنان، وبالمعجمة يكون بالأسنان والأضراس، ومال ابن القوطية إلى قول الليث. وتحقيق هذا المقام في شرحي على القاموس، والحديث رواه الترمذي وابن ماجه من حديث صفوان بن أمية بسند ضعيف.

قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به. قال ﷺ: «أكرموا الخبز فإن الله تعالى أنزله من

(ولا يوضع على الخبز قصعة ولا) غيرها فإنه إهانة للخبز **(إلا ما يؤكل به)** من الأدم فإنه لا بأس بذلك. **(قال ﷺ أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء »)** يعني المطر، وأخرجه من بركات الأرض يعني من نباتها، وذلك لأن الخبز غذاء البدن، والغذاء قوام الروح، وقد شرفه الله وجعله من أشرف الأرزاق نعمة منه، فمن تهاون به فوضع عليه غير ادامة فقد سخط النعمة وكفرها، فإذا جفاها نفرت وإذا نفرت لم تكد ترجع رواه هكذا الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن الحجاج بن علاط بن خالد بن نويرة السلمي البهزي، وهو والد نصر الذي نفاه عمر من المدينة لحسنه. ورواه ابن منده في تاريخ الصحابة والمخلص والبغوي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، وكذا رواه أبو نعيم في المعرفة والحلية، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات وتبعه السيوطي، والحق أن طرق هذا الحديث كلها ضعيفة مضطربة وبعضها أشد في الضعف من بعض، ولكن له شواهد فالحكم عليه بالوضع غير جيد.

فمن تلك الشواهد ما رواه الطبراني في الكبير عن أبي سكينة نزيل حمص «أكرموا الخبز فإن الله أكرمه فمن أكرم الخبز أكرمه الله تعالى». وفي بعض نسخ الطبراني «فمن أكرم الخبز فقد أكرم الله تعالى» وفيه خلف بن يحي وهو ضعيف.

ومنها ما رواه الطبراني أيضاً، وعنه أبو نعيم في الحلية من طريق ابراهيم بن أبي علية قال: سمعت عبد الله بن أبي حرام يقول: قال رسول الله ﷺ «أكرموا الخبز فإن الله سخر له بركات السموات والارض» وفيه غياث بن ابراهيم وضّاع، وفي بعض رواياته فإنه من بركات السماء والأرض. ورواه البزار نحو ذلك بزيادة فيه.

ومنها ما رواه ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: لا أعلم إلا أنه رفعه قال «أكرموا الخبز فإن الله سخر له السموات والارض».

ومنها ما يروى عن ابن عباس أيضاً مما رفع «ما استخف قوم بحق الخبز إلاّ ابتلاهم الله بالجوع».

ومنها ما رواه المخلص وتمام وغيرهما من حديث نمير بن الوليد بن نمير بن أوس الدمشقي عن أبيه عن جده عن أبي موسى الأشعري رفعه «أكرموا الخبز فإن الله سخر له بركات السموات والأرض والحديد والبقر وابن آدم».

وأعظم الشواهد حديث عائشة «أكرموا الخبز» قد تقدم ذكره، وأنه رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن. قال الحاكم: صحيح الاسناد عن عائشة. قال الحافظ ابن حجر: فهذا شاهد صالح، وقد علم مما تقدم أن المراد بإكرام الخبز عدم وضع شيء عليه كالقصعة ونحوها. وأخرج الترمذي عن الثوري انه كان يكره وضع القصعة على الخبز. وقيل: معناه أن لا يطرح على

بركات السماء ». ولا يمسح يده بالخبز. وقال ﷺ: « إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ». ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهى عنه، بل يصبر

الأرض تهاوناً به، ومنه قول بعضهم « الخبز يباس ولا يداس ». وقال آخر: الحنطة إذا ديست اشتكت إلى ربها، ومنه يكون القحط.

ونقل القطب الشعراني قدس سره عن بعض مشايخ الزوايا بالقرافة أنه كان تدخل له من معلوم الزاوية كل سنة الحنطة فكان يأمر الصوفية ذلك اليوم أن يلقطوها من الأرض مما يتناثر من التراسين حتى لا تداس، ويقول: هو اكرام لها وأن فعلهم هذا بهذه النية هو عين الذكر. هكذا أو بمعناه. وفي قول المصنف: إلا مايؤكل به فيه ردّ على من زعم أنه لا يجوز وضع اللحم والأدام فوق الخبز نظراً لظاهر الحديث، فقد ورد أن النبي ﷺ وضع تمرة على كسرة وقال « هذه ادام هذه » لكن قد يقال إن التمر لا يلوث ولا يغير، وأما اللحم والسمك يلوثان الخبز ويغيرانه فليحذر من ذلك.

(**ولا يمسح يده بالخبز**) لأنه يلوثه وفيه إهانة له، (**وقال ﷺ « إذا وقعت**) وفي رواية « سقطت » (**لقمة أحدكم**) من يده عند إرادة أكلها أو من فمه بعد وضعها فيه، وذلك أوكد لما فيه من استحضار الحاضرين. قال الولي العراقي: ويتأكد بعد المضغ لأنها بعد رميها على هذه الحالة لا ينتفع بها لعيافة النفوس لها. قال ابن العربي: وذلك إما من منازعة الشيطان له فيها حين لم يسم الله عليها وإلا بسبب آخر، ويرجح الاوّل قوله الآتي ولا يدعها للشيطان إذ هو انما يستحل إذا لم يذكر اسم الله عليه (**فليأخذها**) بيده من الأرض (**وليمط**) أي يزل (**ما كان بها من أذى**) وفي رواية: من الاذى أي من تراب ونحوه مما تعاف وإن تنجست طهرها إن أمكن وليأكلها أو يطعمها غيره أو يطعمها حيواناً (**ولا يدعها**) أي لا يتركها (**للشيطان**) إبليس لما فيه من إضاعة نعمة الله واستحقارها، والمانع من تناول تلك اللقمة الكبر غالباً وذلك مما يحب للشيطان ويرضاه ويدعوه إليه (**ولا يمسح يده بالمنديل**). قيل: المراد به هنا منديل الفم لا منديل المسح بعد غسل اليد (**حتى يلعقها**) أي يلحسها (**أو يلعقها**) بضم حرف المضارعة أي غيره إنساناً أو حيواناً علل ذلك بقوله (**فإنه لا يدري في أي طعامه**) تكون (**البركة »**) أي التغذية والقوة على الطاعة.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس وجابر اهـ.

قلت: ولفظ حديث جابر « إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها فإنه لا يدري في أي طعامه البركة » كذلك رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه، وعند أحمد والشيخين وأبي داود وأبن ماجه من حديث ابن عباس بالجملة الأولى فقط.

إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وتراً سبعاً أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين وما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها، وكذا كل ما له عجم وثفل. وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلبس على غيره فيأكله، وأن لا يكثر

ورواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ « إذا أكل أحدكم طعاماً فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة » وكذلك ورواه الطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت، وفي الأوسط عن أنس.

(**ولا ينفخ في الطعام الحار**) ليبرد (**فهو منهي عنه**) ففي حديث عائشة مرفوعاً « النفخ في الطعام يذهب بالبركة » قال العراقي: حديث النهي عن النفخ في الطعام والشراب رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس، وهو عند أبي داود والترمذي وصححه وابن ماجه إلا انهم قالوا في الاناء، وللترمذي وصححه من حديث أبي سعيد نهي عن النفخ في الشراب اهـ.

قلت: حديث ابن عباس عند الطبراني بزيادة والتمرة وألحق بها الفاكهاني الكتاب تنزيهاً، وفي سنده محمد بن جابر وهو ضعيف والتنفس في معنى النفخ.

(**بل يصبر إلى أن يتسهل أكله**) وفي النهي عن النفخ في الطعام وجهان: أحدهما أن فعله يدل على شرهه واعجاله، والثاني ربما يسقط مع النفخ بعض فتات الريق فيستقذره من يأكل معه، (**و**) يستحب أن (**يأكل من التمر وتراً**) أي يقتصر على الوتر من العدد (**سبعاً أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين**) كذا في القوت، (**أو ما اتفق**) بحسب الحال والوقت لكن مع الاقتصار على الوتر فإنه عدد محبوب (**ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق**) لأنه ربما تعافه النفوس. روى الشرازي في الألقاب من حديث علي رضي الله عنه رفعه « نهي أن يلقي النوى على الطبق الذي يؤكل منه الرطب أو التمر » أي لئلا يختلط بالتمر والنوى مبتل من ريق الفم عند الأكل، ولا يعارضه ما رواه الحاكم عن أنس رفعه « كان يأكل الرطب ويلقي النوى على الطبق » وقال: صحيح على شرطها، وأقره الذهبي فإن المراد هنا بالطبق الموضوع تحت إناء الرطب لا الذي فيه الرطب أو التمر. (**ولا يجمع**) النوى (**في كفه بل يضع من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها**) هكذا ذكره صاحب القوت. وقال غيره: يلقي النوى على ظهر أصبعه حتى يجتمع فيلقيه خارج الطبق. وأخرج أبو بكر الشافعي في فوائده عن أنس بسند ضعيف « أنه أكل الرطب يوماً في بيته وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى ويأكل هو بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ». (**وكذا ما**) كان في معناه (**مما له عجم أو ثفل**)كذا في القوت، (**وأن لا يترك ما استرذله من الطعام في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله**) . ولفظ القوت: وما رذله من المأكول مع الجماعة فلا يرده في القصعة فيأكله غيره إن وقع بيده أكله وإلا تركه مع الثفل، (**وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام**) فقد نهى عنه

الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غصَّ بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل: إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة.

وأما الشرب: فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول: « بسم الله » ويشربه مصاً لا عباً. قال ﷺ: « مصوا الماء مصاً ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب ». ولا يشرب قائماً ولا

طباً لأنه يمنع الطعام عن تهيئه للهضم **(إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه)** وفي حالة الغص يشرب وجوباً لإساغة اللقمة، وأما في حالة صدق العطش فهو مخير إن شاء شرب وإن شاء دفعه عن نفسه، **(فقد قيل: إن ذلك)** أي الشرب عند صدق العطش **(مستحب في الطب و)** ذلك لأنهم ذكروا **(أنه دباغ المعدة)**. وقال بعضهم: شرب الماء البارد على الطعام خير من زيادة ألوان نقله صاحب القوت. وقال أيضاً: الشرب في تضاعيف الأكل مستحب من جهة الطب.

(وأما الشرب؛ فأدبه أن يأخذ الكوز) أو القدح **(بيمينه)** أي بيده اليمنى اشرفها **(ويقول « بسم الله » ويشربه مصاً)** أي على مهلة شرباً رفيقاً **(لا عباً)** أي تتابعاً من غير تنفس. **(قال ﷺ « مصوا الماء مصاً)** أي أشربوا شرباً رفيقاً **(ولا تعبوه عباً »)** أي لا تشربوه بكثرة من غير تنفس. هكذا رواه البيهقي من حديث أنس بسند بيِّن.

وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالشطر الأوّل، ولأبي داود في المراسيل من رواية عطاء بن أبي رياح « إذا شربتم فاشربوا مصاً » اهـ.

قلت: وفي بعض روايات حديث أنس وعلي زيادة **(« فإن الكباد من العب »)** الكباد كغراب وجع الكبد. قال ابن القيم: وقد علم بالتجربة أن هجوم الماء جملة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها بخلاف وروده على التدريج. ألا ترى أن صب الماء البارد على القدر وهي تفور يضر، وبالتدريج لا ومن آفات النهل دفعة ان في أوّل الشرب يتصاعد البخار الدخاني الذي يغشي الكبد والقلب لورود البارد عليه، فإذا شرب دفعة اتفق عند نزول الماء صعود البخار فيتصادمان ويتدافعان فتحدث من ذلك أمراض رديئة. ولفظ مسند الفردوس من حديث علي « إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً ولا تشربوه عباً » فإن العب يورث الكباد. وروى سعيد بن منصور في السنن وابن السني وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي، والبيهقي من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن الحرث النوفلي مرسلاً « إذا شرب أحدكم فليمص مصاً ولا يعب عباً فإن الكباد من العب ».

وهذه الشواهد يعضد بعضها بعضاً، ومن ثم حكم بعضهم على حديث علي بالحسن، فقول ابن العربي في العارضة حديث الكباد من العب باطل فيه نظر، وأما حديث أبي داود في المراسيل الذي ذكره العراقي ففيه زيادة وهي « وإذا استكتم فاستاكوا عرضاً » قال ابن القطان: وفيه محمد بن خالد القرشي لا يعرف، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر بأن محمداً هذا وثقه ابن معين وابن حبان، والحديث ورد من طرق عند البغوي والعقيلي وابن منده وابن عدي والطبراني وغيرهم بأسانيد وإن

مضطجعاً فإنه ﷺ نهى عن الشرب قائماً. وروي أنه ﷺ شرب قائماً ولعله كان لعذر.

كانت مضطربة به كما قاله ابن عبد البر، لكن اجتماعها أحدث قوة صيرته حسناً. وروى الطبراني من حديث أم سلمة «كان يبدأ بالشراب إذا كان صائماً وكان لا يعب» يشرب مرتين أو ثلاثاً. وعند الديلمي في حديث أنس بعد قوله مصاً زيادة وهي فانه أهنأ وأمرأ.

(ولا يشرب قائماً ولا مضطجعاً فإنه ﷺ «نهى عن الشرب قائماً») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة.

(وروى «انه ﷺ شرب قائماً») قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس وذلك من زمزم اهـ.

قلت: رواية الشيخين أتيت النبي ﷺ بدلو من ماء زمزم فشرب وهو قائم. وروى البخاري عن علي انه شرب قائماً ثم قال: إن اناساً يكرهون الشرب قائماً وأن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت. وروى عاصم عن الشعبي ان ابن عباس حدثهم قال: سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم. قال عاصم: فحلف عكرمة ما كان يومئذ إلا على بعير أخرجه البخاري. ورواه ابن حزم عنه. قال المحب الطبري في مناسكه: ويجوز أن يكون الأمر على ما حلف عليه عكرمة وهو أنه شرب وهو على الراحلة ويطلق عليه قائم، ويكون ذلك مراد ابن عباس من قوله «قائماً» فلا يكون بينه وبين النهي عن الشرب قائماً تصادر وهذا هو الذي عناه المصنف بقوله **(ولعله كان لعذر)** وهو الركوب.

قال الطبري: ويجوز أن يحمل على ظاهره ويكون دليلاً على إباحة الشرب قائماً.

وعن ابن عباس أيضاً أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقاه فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: اسقني، فقال: يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه، فقال: «اسقني فشرب ثم أتى زمزم وهم يسقون عليها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح» ثم قال: «لولا أن تغلبوا لنزعت حتى أضع الحبل على هذه» وأشار إلى عاتقه أخرجاه.

قال الطبري: وفي هذا دليل على ترجيح الاحتمال الأول في الحديث قبله لأن قوله «لنزعت» يدل على أنه كان راكباً إلا أنه ﷺ مكث بمكة قبل الوقوف أربعة أيام بلياليها من صبيحة يوم الأحد إلى صبيحة يوم الخميس، فلعل ابن عباس سقاه من زمزم وهو قائم في بعض تلك الأيام اهـ.

وقال ابن حجر المكي في شرح الشمائل قوله «فشرب وهو قائم» إنما فعله مع أن عادته الشرب قاعداً ونهيه عن الشرب قائماً، وقوله فيما رواه مسلم «لا يشربن أحدكم قائماً» فمن نسي فليقيء للبيان أن نهيه ﷺ عن الشرب قائماً ليس للتحريم بل للتنزيه. وأن الامر بالاستقاء ليس للإيجاب

ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية. وقد قال ﷺ بعد الشرب: « الحمد لله الذي جعله عـذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا ». والكوز وكل

بل للندب، وقول من قال ليس الشرب من ماء زمزم قائماً اتباعاً له ﷺ إنما يسلم له لو لم يصح النهي عن الشرب قائماً، وأما بعد صحته قائماً فيكون الفعل مبيناً للجواز لا يقال النهي مطلقاً، وشربه من ماء زمزم مقيد فلم يتواردا على محل واحد لأنا نقول ليس النهي مطلقاً بل هو عام، فـالشرب من زمزم قائماً من افراده فدخل تحت النهي فوجب حمله على أنه لبيان الجواز. ولو سلمنا أنه مطلق لكان محمولاً على المقيد فلم يفد المقيد غير الجواز أيضاً. لا يقال النبي ﷺ نزه عن فعل المكروه كالمحرم، فكيف يشرب قائماً لأنا نقول شربه قائماً لبيان الجواز وهذا واجب عليه فلم يفعل مكروهاً بل واجباً. وهكذا يقال في كل فعل فعله ﷺ لبيان الجواز مع نهيه عنه أو عما يشمله، واعلم أن كلاً من حديث نهيه وفعله ﷺ المذكورين صحيح وأن الجمع بينهما ما قررناه، وحيث أمكن الجمع بين حديثين وجب المصير إليه، ودعوى النسخ ليست في محلها. وتضعيف خبر النهي غير مسموع مع إخراج مسلم له والاستدلال لعدم الكراهة بفعل الخلفاء الأربعة غير جار على قواعد الأصوليين، مع أنه لا يقاوم ما صح عنه ﷺ سيما في الشرب قائماً ضرر، ومن ثم ندب الاستقاء منه حتى للناسي لأنه محرك خلطاً يكون القيء دواءه.

قال ابن القيم: وللشرب قائماً آفات. منها أنه لا يحصل به الري التام ولا يستمر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة إلى المعدة، فيخشى منه أن يبرد حرارتها ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج، وكل هذا يضر بالشارب قائماً. وعند أحمد عن أبي هريرة أنه رأى رجلاً يشرب قائماً فقال: قه. فقال: لم؟ فقال: أيسرك أن يشرب معك الهر؟ قال: لا. قال: شرب معك من هذا أشد منه الشيطان. وروى الترمذي في الشمائل من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ شرب قائماً وقاعداً. قال الشارح: أي مرة قائماً لبيان الجواز، ومراراً كثيرة بل هي الأكثر المعروف المستقر من أحواله ﷺ قاعداً اهـ.

(ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه) أي على ثيابه أو شيء بين يديه فيفسده فإن شرب من قدح فلا يراعي ذلك، **(وينظر في الكوز قبل الشرب)** لئلا يكون به شيء مما يؤذي من قذى وغيره **(ولا يتجشأ في الكوز)** أي لا يخرج الجشاء عند شربه في الكوز وهو صوت مع ريح يخرج من الفم عند حصول الشبع، فقد ورد النهي عن ذلك لأنه يغير الماء ويقذره فتعافه النفوس، **(بل ينحيه)** أي يبعده **(عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية)** أي يشرب ثم يزيله عن فمه ثم يشرب ثم يفعل كذلك، **(وقد قال ﷺ بعد الشرب)** أي بعد انفصاله عنه مرة واحدة **(« الحمد لله الذي جعله)** أي الماء وفي رواية « جعل الماء » **(عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا »)** رواه الطبراني في الدعاء مرسلاً من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين،

ما يدار على القوم يدار يمنة، وقد شرب رسول الله ﷺ لبناً وأبو بكر رضي الله عنه عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية، فقال عمر رضي الله عنه: أعط أبا بكر فناول الاعرابي وقال: الأيمن فالأيمن، ويشرب في ثلاثة أنفاس بحمد الله في أواخرها ويسمى بالله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأوّل «الحمد لله» وفي الثاني يزيد «رب العالمين»

ولفظه «الحمد لله الذي سقانا» الخ. ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية كلاهما من طريق الفضيل عن جابر الجعفي عن أبي جعفر. قال ابن القيم: غريب، وقال الحافظ في تخريج الأذكار: هو مع إرساله ضعيف من أجل الجعفي.

(والكوز): أو القدح **(كلما يدار على القوم يدار يمنة)** أي على جهة اليمين، فقد ورد أنه **(شرب رسول الله ﷺ لبناً وأبو بكر رضي الله عنه)** قاعد **(عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر)** رضي الله عنه قاعد **(ناحية، فقال عمر رضي الله عنه: أعط أبا بكر فناول الأعرابي)** ولم يناول أبا بكر **(وقال: الأيمن فالأيمن)** أي ابتدؤا بالأيمن، أو قدموا الأيمن. يعني من على اليمين في نحو الشرب فهو منصوب، وروي رفعه وخبره محذوف أي الأيمن أحق، ورجحه العيني بقوله في بعض طرق الحديث الأيمنون فالأيمنون، وكرر لفظ الأيمن ثلاثاً للتأكيد إشارة إلى ندب الابتداء بالأيمن ولو مفضولاً، وحكي عليه الاتفاق بل قال ابن حزم: لا يجوز مناولة غير الأيمن إلا بإذنه. قال ابن العربي: وتقديم من على اليمين ليس لمعنى فيه بل لمعنى في جهة اليمين رواه مالك وأحمد والشيخان والاربعة من حديث أنس بلفظ «أتي النبي ﷺ بلبن شيب بماء وعن يمينه اعرابي وعن شماله أبو بكر فشرب ثم أعطى الأعرابي» ثم ذكره. وفي بعض ألفاظ البخاري ألا فيمنوا.

(ويشرب في ثلاثة أنفاس)، فقد روى أحمد والستة من حديث أنس: كان إذا شرب تنفس ثلاثاً ويقول «هو أهنأ وأمرأ وأبرأ» **(يحمد الله في أواخرها ويسمي الله في أوائلها)** وهذا هو المراد بما رواه الترمذي في الشمائل وابن السني والطبراني من حديث ابن مسعود رفعه «كان يتنفس في الإناء ثلاثاً أي بأن يشرب ثم يزيله عن فمه ويتنفس ثم يشرب ثم يفعل كذلك، فإذا أخرّه حمد الله يفعل ذلك ثلاث مرات.

وفي الغيلانيات من حديث ابن مسعود رفعه «كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً يحمد على كل نفس ويشكر عند آخرهن»

وأما ما ورد من النهي عن التنفس في الأناء فالمراد به في جوف الإناء وذلك لأنه يغير الماء إما لتغير الفم بمأكول أو ترك سواك أو لأن النفس يصعد بخار المعدة وفي الشرب من غير تنفس ضرر كبير من جهة الطب، (و) يندب أن **(يقول في آخر النفس الأوّل «الحمدلله» وفي الثاني يزيد «رب العالمين» وفي الثالث يزيد «الرحمن الرحيم»)** هكذا نقله صاحب القوت

وفي الثالث يزيد « الرحمن الرحيم » فهذا قريب من عشرين أدباً في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار.

القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام:

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلعق أصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام. قال ﷺ: « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ».

وصاحب العوارف، (**فهذا**) الذي ذكرناه (**قريب من عشرين أدباً في حالة الأكل والشرب دل عليه الآثار والاخبار**)، ولذا قال سهل: من لم يحسن أدب الأكل لم يحسن أدب العمل. وكان بعض السلف يقول: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الأكل والنوم، وكانوا يكون لأحدهم في الأكل نية صالحة كما يكون له في الجوع نية صالحة.

القسم الثالث مايستحب بعد الطعام:

(**وهو أن يمسك**) عن الأكل (**قبل**) حصول (**الشبع**) بأن يرفع يده قبل الامتلاء بمقدار ثلث بطنه أو نصفه كذلك سنّة السلف وهو أصح للجسم. وقال حكيم من أهل الطب: إن الدواء الذي لا داء فيه أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك منه وأنت تشتهيه (**ويلعق أصابعه**)، فقد روى جابر عن رسول الله ﷺ قال « إذا أكل أحدكم طعاماً فليمص أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة ». وروى أحمد ومسلم والثلاثة من حديث أنس رفعه « كان إذا أكل لعق أصابعه الثلاث » ورواه الحاكم وزاد « التي أكل بها » وهذا أدب حسن وسنّة جميلة لإشعاره بعدم الشره في الطعام، وبالاقتصار على ما يحتاجه، وذلك أن الثلاث يستقل بها الظريف الخبير، وهذا فيما يمكن فيه ذلك من الأطعمة وإلاَّ فيستعين بما يحتاج من أصابعه.

(**ثم يمسح بالمنديل**) وهي خرقة الغمر، (**ثم يغسلها**) أي تلك الاصابع ثم يمسح بالمنديل ما على الأصابع من البلل، فقد روى أبو يعلى من حديث ابن عمر رفعه « من أكل من هذه اللحوم فليغسل يده من ريح وجده لا يؤذي من حذاه ». وعن أبي هريرة رفعه « من بات وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه ».

(**ويلتقط فتات الطعام**) وهو ما يتفتت منه ويتكسر ويسقط حوالي المائدة ويأكله. (**قال ﷺ « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده »**) هكذا هو في القوت.

قال العراقي: رواه أبو الشيخ في الثواب من حديث جابر بلفظ « أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق » وله من حديث الحجاج بن علاط السلمي « أعطي سعة في الرزق ووقي الحمق في ولده وولد ولده » وكلاهما منكر جداً اهـ.

قلت: وقد روي في الباب من طرق مختلفة. منها: ما رواه الخطيب في المؤتلف عن هدبة بن

ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه، أما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر

خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رفعه «من أكل ماتحت المائدة أمن من الفقر» قال الحافظ بن حجر في أطراف المختارة سنده في هدبة على شرط مسلم، والمتن منكر فينظر فيمن دون هدبة.

ومنها: عن ابن عباس مرفوعاً «من أكل ما يسقط من الخوان نفي عنه الفقر ونفي عن ولده الحمق» رواه أبو الحسن ابن معروف في فضائل بني هاشم والخطيب وابن النجار في تاريخيها.

ومنها: عن الحجاج بن علاط السلمي رفعه «من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من الرزق ووقي الحمق في ولده وولد ولده» رواه الباوردي.

ومنها: عن عبد الله بن أم حرام الأنصاري رفعه «من أكل ما يسقط من السفرة غفر له» رواه الطبراني والبزار وفيه غياث بن ابراهيم ضعيف.

ومنها: عن أبي هريرة رفعه «من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي من الحمق من ولده وولد ولده» رواه ابن عساكر وفيه إسحاق بن نجيح كذاب.

ومنها: عن ابن عباس أيضاً «من أكل ما يسقط من الخوان فرزق أولاداً كانوا صباحاً» رواه الشيرازي في الألقاب، والخطيب، وابن عساكر.

(ويتخلل) بعد الطعام أي يستعمل الخلال في أسنانه لإخراج ما بقي من بقايا الطعام فيه خصوصاً عقب أكل اللحم، فإنه يتعلق منه في أصول الاسنان شيء لا يخرج إلا بالخلال، **(ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه، وأما المخرج بالخلال فيرميه)** ولفظ القوت: ولا يزدرد ما أخرج الخلال من بين أسنانه، فإنه داء ومكروه، وما لاكه بلسانه فلا بأس أن يزدرده.

قلت: والسر في ذلك أن ما يخرجه الخلال ملوث بالدم غالباً فيتنجس، وأما ما لاكه بلسانه فهو يخرج بسهوله من غير تلويث بدم فلا بأس بازدراده، وقد روي هذا المعنى من حديث أبي هريرة عند البيهقي: «من أكل طعاماً فما تخلل فليلفظ ومالاك بلسانه فليبلع من فعل فقد أحسن ومن لا فلا جرم». وأما التخلل فيروى عن ابن مسعود مرفوعاً تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة» وفي رواية: «تخللوا فإنه مصحة للناب والنواجذ» هكذا رواه الطبراني في الأوسط، وفي إبراهيم بن حبان. قال ابن عدي: أحاديثه موضوعة. وقال المنذري: رواه في الأوسط هكذا مرفوعاً، ووقفه في الكبير على ابن مسعود بإسناد حسن وهو الأشبه والتخلل في اللغة إخراج الخلة بالكسر، وهو ما يبقى بين الأسنان من الطعام والخلال اسم للعود الذي يخرج به والمخرج يسمى خلالة بالضم.

(ويتمضمض بعد الخلال) أي لما يعقب الخلال بعض الدم فيتنجس به الفم فيزيله

عن أهل البيت عليهم السلام، وأن يلعق القصعة ويشرب ماءها. ويقال: من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة. وإن التقاط الفتات مهور الحور العين. وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه. قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُم واشْكُرُوا للهِ﴾ [البقرة: ١٧٢] ومهما أكل حلالاً قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات. اللهم اطعمنا طيباً واستعملنا صالحاً. وإن أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال. اللهم لا تجعله قوّة لنا على معصيتك، ويقرأ

بالمضمضة، (**ففيه أثر عن أهل البيت**) هكذا في القوت إلا أنه قال عن بعض أهل البيت، (**وأن يلعق القصعة**) وما في معناه كالصفحة والصحن، (**يقال: من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة**) أي بمنزلة عتق رقبة هكذا نقله صاحب القوت، وقد روي مرفوعاً بمعناه من حديث نبيشة الخير الهذلي رفعه: «من أكل في قصعة ولحسها استغفرت له القصعة» رواه الترمذي من حديث المعلى بن راشد حدثتني جدتي أم عاصم قالت: دخل علينا نبيشة الخير، ونحن نأكل في قصعة فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: فذكره وهكذا أخرجه ابن ماجه وآخرون منهم أحمد والبغوي والدارمي وابن أبي خيثمة وابن السكن وابن شاهين. وقال الترمذي: غريب، وكذا قال الدارقطني، وأورده بعضهم بلفظ: «تستغفر الصحفة للاحسين». وقال صاحب العوارف: وروى أنس قال: أمر رسول الله ﷺ بإسلات القصعة وهو مسحها من الطعام. وروى الطبراني في الكبير من حديث العرباض بن سارية: «من لعق الصحفة ولعق أصابعه أشبعه الله في الدنيا والآخرة» وروى الحكيم الترمذي من حديث أنس بمثل سياق حديث نبيشة عند الترمذي إلا أنه زاد «وصلت عليه» وثبت في صحيح مسلم عن جابر «الأمر بلعق الأصابع والصفحة فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة» وفي لفظ لابن حبان «ولا ترفع الصحفة حتى تلعقها فإن في آخر الطعام البركة». (**و**) يقال (**أن التقاط الفتات من حوالي المائدة**) وأكلها (**مهور الحور العين**) نقله صاحب القوت، ولفظه: وليأكل ما سقط من فتات الطعام. يقال: أنه مهور الحور العين، (**وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه**) ورؤيته نعمة هو عين الشكر والشكر يستوجب المزيد ومن أدب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وأنها منه وحده لا شريك له فيها ويعتقد الشكر له عليها.

(**قال الله تعالى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله﴾ [البقرة: ١٧٢] ومهما أكل حلالاً قال «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيباً واستعملنا صالحاً»**) كذا في القوت إلا أنه قال: «اللهم اطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحا» وزاد «وليكثر شكر الله على ذلك». (**وإن أكل شبهة**) أي طعاماً فيه شبهة حرام (**فليقل: الحمد لله على كل حال. اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك**) كذا في القوت (**ويقرأ بعد**) فراغه (**من الطعام: قل هو الله أحد ولإيلاف قريش**) كذا في القوت، ونقله كذلك صاحب

بعـــد الطعـــام قـــل هـــو الله أحـــد ، ولإيلاف قـــريش ، ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولاً فـإن أكـل طعـام الغير فليـدع لـه وليقـل : اللهـم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيراً وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين . وإن أفطر عند قوم فليقل : أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة . وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفىء بدموعه وحزنه حرَّ النار التي تعرض لها لقوله ﷺ : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو ، وليقل إذا أكل لبناً اللهم بارك لنا فيما

العوارف . أما قل هو الله أحد فلأجل حصول البركة فإنها تعدل ثلث القرآن وتنفي عن قارئها الفقر ، ولأنها تعرف بسورة الإخلاص فيلاحظ معنى الإخلاص فيما أكله ، وأيضاً فإنها تعرف بالصمدية لاشتمالها على إسم الصمد وهو ما لا جوف له ولا يحتاج إلى طعام وشراب فيلاحظ هذه المعاني عند قراءتها بعد الطعام ، وأما لإيلاف قريش فلمناسبة الإلفة والاجتماع والأمان من الخوف والجوع .

(**ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولاً**) روي ذلك من حديث ابن عمر بلفظ : « إذا وضعت المائدة فلا يقومن حتى ترفع المائدة » . (**فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل**) في دعائه : (**اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل منه خيراً وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين**) كذا في القوت ، (**وإن فطر عند قوم فليقل**) أي إذا نزل ضيفاً عند قوم وهو صائم فأفطر فليقل في دعائه : (**أفطر عندكم الصائمون**) خبر بمعنى الدعاء بالخير والبركة لأن أفعال الصائمين تدل على اتساع الحال وكثرة الخير إذ من عجز عن نفسه فهو عن غيره أعجز ، (**وأكل طعامكم الأبرار**) دعـاء واخبار ، (**وصلت عليكم الملائكة**) أي استغفرت لكم . رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير بسند حسن ، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث أنس ، وفي إحدى روايتي النسائي بلفظ : « تنزلت » بدل « وصلت » .

قال العراقي : إسناده صحيح ، ونازعه تلميذه الحافظ وقال فيه معمر ، وهو وإن احتج به الشيخان فإن روايته عن ثابت بخصوصه مقدوح فيها ، (**وليكثر الإستغفار والحزن على ما أكل من شبهة**) فليس من يأكل وهو يبكي مثل من يأكل وهو يضحك ، (**ليطفىء بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله ﷺ « كل لحم**) وفي رواية : كل جسد (**نبت من حرام**) وفي رواية : من سحت (**فالنار أولى به »**) هذا وعيد شديد يفيد أن أكل أموال الناس بالباطل من الكبائر ، (**وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو**) كذا في القوت .

قال العراقي : والحديث رواه البيهقي في الشعب بلفظ « لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به » اهـ .

قلت : وسيأتي هذا الحديث في كتاب الحلال والحرام . ووجد بخط الحافظ أنه رواه أبو نعيم في

رزقتنا وزدنا منه، فإن أكل غيره قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيراً منه، فذلك الدعاء مما خص به رسول الله ﷺ اللبن لعموم نفعه. ويستحب عقيب الطعام أن يقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء

الحلية من حديث أبي بكر وعائشة وجابر بلفظ: «كل جسد نبت من سحت» ونحوه من حديث ابن عباس في الصغير للطبراني اهـ.

قلت: رواه البيهقي وأبو نعيم من حديث زيد بن أرقم عن أبي بكر رضي الله عنهما قال زيد: كان لابي بكر مملوك يعلى عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ثم قال: من أين جئت به؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فاعطوني قال: أف لك كدت أن تهلكني فادخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج، قيل له: لا تخرج إلا بالماء، فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها فقيل له: كل هذا من أكل لقمة. قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره. وفي الإسناد عبد الواحد بن واصل أورده الذهبي في الضعفاء وقال: ضعفه الأزدي وعبد الواحد بن زيد. قال البخاري والنسائي متروك، وروى ابن جرير من حديث ابن عمر «كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به» قيل: وما السحت؟ قال: الرشوة في الحكم.

(وليقل إذا أكل لبناً أو شربه: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه) وإن أكل غيره قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيراً منه، **(فذلك الدعاء مما خص به رسول الله ﷺ اللبن لعموم نفعه)** ووجه ذلك أنه يجزيء مكان الطعام والشراب كما ورد ذلك في حديث ابن عباس، فلا خير من اللبن وبهذا يندفع قول بعضهم: هل يلحق ما عدا اللبن من الأشربة به أو بالطعام، ووجه اندفاعه أن الحديث صريح في تخصيص ذلك باللبن.

قال ابن عباس: دخلت أنا ورسول الله ﷺ وخالد بن الوليد على ميمونة، فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله فقال لي: الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالداً. فقلت: ما كنت أؤثر على سؤرك أحداً، ثم قال رسول الله ﷺ: من أطعمه الله طعاماً فليقل: «اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم باركنا لنا فيه وزدنا منه». وقال ﷺ: «ليس شيء يجزيء مكان الطعام والشراب غير اللبن». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي واللفظ له: هذا حديث حسن. وروى النسائي الفصل الأول منه قاله صاحب سلاح المؤمن، ورواه كذلك أحمد، وابن سعد، وابن السني في عمل يوم وليلة، وفي بعض ألفاظهم: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيراً منه».

(ويستحب عقب الطعام أن يقول) هذا الدعاء **(الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا)** الظاهر أن يأتي بهذا، وإن كان وحده رعاية للفظ الوارد وهو ثم يأتي في دعاء الافتتاح بنجو حنيفاً مسلماً على إرادة الشخص رعاية للوارد ما أمكن وقد تقدم الكلام على

ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد. أويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركاً فيه كما أنت أهله ومستحقه. اللهم أطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحاً واجعله عوناً لنا على طاعتك، ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك، وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن

ذلك في كتاب الصلاة وفي تقديم سيدنا على مولانا خلاف فمنعه الصلاح الصفدي في شرح العقيدة الزيدونية، والمشهور في الإستعمال جوازه **(يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف، فلك الحمد أويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة)** والظاهر أن هذا الدعاء عقيب قراءة سورة قريش وألم نشرح ففي آخر قريش ﴿أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [قريش: ٤] وفي الإنشراح ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ★ ووجدك ضالاً فهدى ★ ووجدك عائلاً فأغنى﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨] فاشتق الدعاء من السورتين، **(فلك الحمد حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركاً فيه كما أنت** أهله ومستحقه. **اللهم أطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحاً واجعله عوناً لنا على طاعتك، ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك)** هذا إذا كان الطعام لا شبهة فيه كما تقدم قريباً وهذا الذي أورده المصنف من الدعاء لم أره مجموعاً في الحديث، والمأثور منه أنه ﷺ كان إذا رفع مائدته يقول: « الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا ». رواه الجماعة إلا مسلماً. وفي رواية للبخاري أيضاً كان إذا رفع من طعامه قال: « الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور » وقال مرة: « لك الحمد ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغني ربنا ». وفي رواية الترمذي وابن ماجه وإحدى روايات النسائي: « الحمد لله حمدا » وفي لفظ للنسائي: « اللهم لك الحمد حمداً » وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » رواه الأربعة واللفظ لأبي داود وابن ماجه ولفظ الترمذي كان النبي ﷺ إذا أكل أو شرب قال، فذكره.

وعن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه » الحديث رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط البخاري، وقال الترمذي: حسن غريب.

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: « الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجاً » رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في الصحيح.

وعن أبي هريرة قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء يعني النبي ﷺ فانطلقنا معه، فلما طعم وغسل يده أو يديه قال: « الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافي ولا مكفور ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي

يجعل الأشنان في كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولاً ، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ، ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهراً وبطناً ويستغني بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله .

أطعم من الطعام وأسقى من الشراب وكسا من العري وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً الحمد لله رب العالمين » . رواه النسائي واللفظ له والحاكم وابن حبان في صحيحيهما . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

وروى ابن أبي شيبة من مرسل سعيد بن جبير أنه ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال : « اللهم أشبعت وأرويت فهنيئاً ورزقتنا فاكثرت وأطبت فزدنا » والله أعلم .

(وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يجعل الأشنان على كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولاً) قال صاحب القوت : ليس كل أحد يحسن أدب الغسل كما ليس كل إنسان يعرف سنة الأكل ، فمن غسل يده باشنان ابتدأ بغسل أصابعه الثلاث أولاً ثم جعل الأشنان في راحته اليسرى ، **(ويضرب يده على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه)** بأن يمره عليه ، **(ثم ينعم غسل الفم بإصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ، ثم يغسل أصابعه)** من ذلك الماء ، ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه **(ظهراً وبطناً ويستغني بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم)** لتلاقي الغمر إليه من يديه ، **(و)** هذا يكفيه من **(إعادة غسله)** فهذا أدب الغسل بالأشنان ، وهكذا أورده صاحب القوت ونقله عنه صاحب العوارف وغيره .

الباب الثاني

فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل وهي سبعة

الأول: أن لا يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به ، فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له .

الثاني: أن لا يسكتوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها .

الباب الثاني

فيما يزيد بسبب الإجتماع والمشاركة في الأكل

(وهي سبعة):

(الأولى: أن لا يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل) بأن يكون عالماً **(إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به، فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الإنتظار إذا اشرأبوا)** أي تهيئوا ورفعوا أبصارهم **(للأكل واجتمعوا له)** فإن انتظار المائدة الحاضرة من جملة جهد البلاء.

ولفظ القوت: ولا يكون أول من يبتدىء بالأكل حتى يسبق صاحب المنزل والأكبر إلا أن يكون إماماً يقتدى به، أو يكون القوم منقبضين فيبسطهم بالابتداء اهـ.

وروى الشيخان، وأبو داود من حديث سهل بن أبي حثمة رفعه: « الكبر الكبر » **أي** كبروا الكبر فهو منصوب على الإغراء.

(الثاني: أن لا يسكتوا على الطعام) إذا شرعوا في الأكل **(فإن ذلك من سيرة العجم)** فإنهم يعدون الكلام في حالة الأكل من سوء الأدب وليس كذلك، **(ولكن يتكلمون بالمعروف)** وبما يناسب الوقت والحال، **(ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها)** ليعتبروا بذلك، ولكن لا يتكلم وهو يمضغ اللقمة فربما يبدو منها شيء فيقذر الطعام.

الثالث: أن يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله، فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقاً لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركاً، بل ينبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم، فإن قلّل رفيقه نشطه ورغبه في الأكل وقال له: «كلْ» ولا يزيد في قوله: «كُل» على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وافراط. كان رسول الله ﷺ إذا خوطب في شيء ثلاثاً لم يراجع بعد ثلاث،

(الثالث: يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله، فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقاً لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركاً) فإن لكل منهما حقاً لا يتعداه، **(بل ينبغي أن يقصد الإيثار)** أي يؤثر رفيقه على نفسه، **(ولا يأكل تمرتين في دفعة)** واحدة وهو القران المنهي عنه، لأن فيه إحجافاً برفيقه مع ما فيه من الشره المزري، **(إلا إذا فعلوا ذلك)** فيوافقهم وحينئذ فلا إحجاف، **(أو استأذنهم)** فأذنوا له فيجوز وتقوم مقام صريح الإذن قرينة تغلب على الظن رضاهم، ولا يكفي إذن واحد من الشركاء، بل يشترط إذن الكل. قال الحافظ ابن حجر: وهذا يقوي مذهب من يصحح هبة المجهول روى أحمد والستة من حديث ابن عمر: «نهى عن الإقران إلا أن يستأذن الرجل أخاه» هكذا هو لفظ الحديث. قال عياض: والصواب القران بلا ألف. وقال الحافظ: وهي اللغة الفصحى، وهكذا جاء عند الطيالسي وأحمد، والنهي للتنزيه إن كان الآكل مالكاً مطلق التصرف، وإلا فللتحريم. وقال ابن بطال: هو للندب مطلقاً عند الجمهور لأن الذي يوضع للأكل سبيله سبيل المكارمة لا التشاح لاختلاف الناس في الأكل، والأرجح الأول، ومثل التمرتين اللقمتان كما صرح به ابن العربي **(وإن قلل رفيقه)** من الأكل إنقباضاً وحياء **(بسطه ورغبه في الأكل وقال له: «كل»)** هكذا هو بضم الكاف أمر من أكل يأكل أصله أأكل، وسمعت بعض الأعراب بمصر يقول لرفيقه: إذا تأخر عن الأكل «كل» بكسر الكاف، ويظنه كل من سمعه لحناً، وعندي أنه مختصر من واكل من المواكلة والله أعلم.

(ولا يزيد في قوله «كل» على ثلاث مرات) لا متوالياً بل يجعل بين كل كلمة وكلمة مسافة بحسب الوقت والحال، **(فإن ذلك)** أي الزيادة على الثلاث **(إلحاح وإفراط)** وقد نهي عن كل منهما. ولفظ القوت: وإذا عرضت على أخيك الطعام مرة أو مرتين فلا تلحن عليه، وكذلك إذا دعوته فكره فقد قالوا: لا تلزم أخاك ما يشق عليه ولا تزيدن على ثلاث مرات فإن الإلحاح ما زاد على ثلاث وليس ذلك من السنة والأدب إلا فيما لا بد منه مما للجمع فيه أدب. قالوا: **(كان ﷺ إذا خوطب في شيء ثلاثاً لم يراجع بعد ثلاث)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث جابر في حديث طويل له، ومن حديث ابن أبي حدرد أيضاً وإسنادهما حسن، **(وكان ﷺ يكرر الكلام ثلاثاً)** ويعيد القول ثلاثاً كذا في القوت. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس: «كان يعيد الكلمة ثلاثاً» اهـ.

وكان ﷺ يكرر الكلام ثلاثاً. فليس من الأدب الزيادة عليه، فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع. قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: الطعام أهون من أن يحلف عليه.

الرابع: أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له: «كُل». قال بعض الأدباء: أحسن الآكلين أكلاً من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤونة القول، ولا ينبغي أن يدع شيئاً مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه، فإن ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئاً في الوحدة، ولكن يعودّ نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع. نعم لو قلل من أكله إيثاراً لإخوانه ونظراً لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن. وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه

قلت ورواه الترمذي والحاكم بزيادة: «لتعقل عنه» أي الكلمة التي يتكلم بها كان يعيدها ثلاث مرات ليتدبرها السامعون ويرسخ معناها في القوة العاقلة.

(فليس من الأدب الزيادة عليه) أي على الثلاث، **(فأما الحلف عليه بالأكل)** كما هو عليه عامة الناس اليوم **(فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: الطعام أهون من أن يحلف عليه)**، وقال مرة: أيسر من أن يدعى إلى ذلك يعظم حق المؤمن، وقد كان سعيد بن أبي عروبة بهذه المنزلة لم يكن يعرض على إخوانه الطعام، ولكنه كان يظهره ويعرضه فكان اللحم مسلوخاً معلقاً والخبز موجوداً ظاهراً، وكان ذلك مشاعاً في منزله لمن أراد تناوله. وكان الثوري يقول: إذا زارك أخوك فلا تقل له أقدم إليك ولكن قدم إليه ما عندك فإن أكل وإلا فارفعه.

(الرابع: أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له «كل») فإن ذلك يحشمه فربما يقطعه. **(قال بعض الأدباء أحسن الآكلين أكلاً من لم يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول)** كذا في القوت، **(ولا ينبغي أن يدع)** أي يترك **(شيئاً مما يشتهيه)** من المأكول **(لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع)** وهو منهى عنه، فإنه يفضي إلى التصنع في العمل، **(بل يجري على المعتاد)** من أحواله، **(ولا ينقص من عادته)** في أكله المعتاد **(في الوحدة)** أي حالة أكله وحده منفرداً عن إخوانه، **(ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى)** يتمرن عليه، وعند ذلك **(لا يحتاج إلى التصنع عند الإجتماع)** وهذا أدب الصوفية. **(نعم. لو قلل من أكله إيثاراً)** على نفسه **(لإخوانه و)** قدمه إليهم **(نظراً لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن)** عندهم، **(وإن زاد في الأكل على نية المساعدة)** للجماعة **(وتحريك نشاط القوم في الأكل)** أو بنية فضل الأكل مع الإخوان **(فلا بأس به بل هو حسن)** نقله صاحب القوت بمعناه. **(وكان)** عبد الله **(بن المبارك)** رحمه الله **(يقدم فاخر**

ويقول: من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهماً وكان يَعدُّ النوى ويعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط، وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: أحب اخواني إليَّ أكثرهم أكلاً وأعظمهم لقمة وأثقلهم علي من يحوجني إلى تعهده في الأكل. وكل هذا إشارة إلى الجري على المعتاد وترك التصنع. وقال جعفر رحمه الله أيضاً: تتبين جودة محبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله.

الخامس: أن غسل اليد في الطست لا بأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يفعل ذلك فإذا قدّم الطست إليه غيره إكراماً له فليقبله.

الرطب إلى إخوانه ويقول: من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهماً وكان يعدّ النوى) أي الموجود في يدهم اليسرى، **(ويعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم)** نقله صاحب القوت، **(وذلك لدفع الحياء)** والإنقباض عنهم **(وزيادة النشاط في الإنبساط)** مع الإخوان **(قال جعفر بن محمد)** بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى: **(أحب إخواني إليّ أكثرهم أكلاً)** أي لطعامي، **(وأعظمهم لقمة وأثقلهم علي من يحوجني إلى تعهده في الأكل)** نقله صاحب القوت، **(وكل هذا إشارة إلى الجري على المعتاد وترك التصنع)** في الأكل، **(وقال جعفر أيضاً: تبين محبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله)** نقله صاحب القوت أيضاً، وهذا لأنه يدخل عليه السرور بذلك الأكل فيكون دليلاً على محبته، فإن قلل الأكل لقلة الطعام فحسن. روي أن سفيان الثوري دعا إبراهيم بن أدهم وأصحابه إلى طعام فقصروا في الأكل فلما رفع الطعام قال له الثوري: إنك قصرت في الأكل، فقال إبراهيم: لأنك قصرت في الطعام فقصرنا في الأكل.

(الخامس: غسل اليد) بعد الفراغ من الطعام **(في الطست)** في المصباح. قال ابن قتيبة: أصلها طس فأبدل من أحد الضعفين تاء لثقل اجتماع المثلين لأنه يقال في الجمع طساس كسهم وسهام، وفي التصغير طسيسة وجمعت أيضاً على طسوس باعتبار الأصل، وعلى طسوت باعتبار اللفظ. قال ابن الأنباري، قال الفراء: كلام العرب طسه، وقد يقال: طس بغير هاء فهي مؤنثة وطيء تقول طست كما قالوا في لص لصق. ونقل عن بعضهم التذكير والتأنيث. وقال الزجاج: التأنيث أكثر كلام العرب، وقال السجستاني: هي أعجمية معربة، وقال الأزهري: هي دخيلة في كلام العرب لأن التاء والطاء لا يجتمعان في كلمة عربية. **(لا بأس به)** وإن كان في قصعة أو إناء من خزف فهو أقرب إلى السنة، **(وله أن يتنخم فيه)** عند غسل يده وفمه، والنخامة ما كان من الحلق **(إن أكل وحده وإن أكل مع غيره، فلا ينبغي أن يفعل ذلك)** فربما يستقذره أخوه وهو مخالف للأدب، وإن بزق فيه بعد أن يفرغ الجماعة ورفع الطست لا بأس به، **(فإذا قدم الطست إليه غيره إكراماً فليقبله)** ولا يرده، فقد روي أنه **(اجتمع أنس بن مالك)** رضي

اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام، فقدَّم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها، فإنما يكرم الله عز وجل. وروي أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصبّ الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال: يا أبا معاوية تدري من صب على يدك؟ فقال: لا. قال: صبه أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته فأجلّك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله. ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار. فإن لم يفعلوا فلا ينبغي أن يصب ماء كل

الله عنه **(وثابت)** أبو محمد **(البناني)** التابعي رحمه الله تعالى **(على طعام فقدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت)** من تقدمه في غسل اليد وكأنه استحيا حضور شيخه أنس، **(فقال أنس: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فإنما تكرم الله عز وجل)** نقله صاحب القوت ولفظ: فإنه إنما يكرم الله عز وجل.

قلت: ومعنى ذلك رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر: «من أكرم أمرأ مسلماً فإنما يكرم الله تعالى» وسنده ضعيف، وفي بعض ألفاظه: «قد أكرم أخاه المؤمن».

(وروي أن هارون الرشيد) العباسي **(دعا أبا معاوية الضرير)** هو محمد بن حازم التميمي السعدي مولاهم. يقال: عمي وهو ابن أربع سنين. قال العجلي: كوفي ثقة، وقال يعقوب ابن شيبة: كان من الثقات وربما دلس، وقال النسائي ثقة، وقال ابن خراش: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان حافظاً متقناً ولكنه كان مرجئاً. ولد سنة ثلاث عشرة ومائة ومات سنة أربع وتسعين ومائة روى له الجماعة. **(فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال)** ولفظ القوت: قيل له **(يا أبا معاوية تدري من صب على يدك؟ فقال: لا. قال: صبه أمير المؤمنين، فقال)** يا أمير المؤمنين: **(إنما أكرمت العلم وأجللته)** أي عظمته، **(فأجلك الله وأكرمك كما أجللت وأكرمت العلم وأهله)** هكذا نقله صاحب القوت ونقله كذلك صاحب العوارف إلا أنه قال: دعا أبا معاوية وأمر أن يقدم له طعام، فلما أكل صب الرشيد الماء على يده في الطست والباقي سواء. ولم تزل سنة الملوك الماضين في إجلالهم. وحكى لي من أثق به من المغاربة أن مولاي إسماعيل بن مولاي الشريف جد ملوك المغرب الآن دعا علماء عصره وفيهم أبو الوفاء اليوسي وقدم إليهم الطعام، فلما فرغوا صب على أيديهم الماء فامتنع أبو الوفاء فغضب في امتناعه لذلك.

(ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة، فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الإنتظار) هذا إذا كان الطست واسعاً والأباريق متعددة، وإلا فليقدم الكبير وذو السن والفضل والشرف، **(فإن لم يفعلوا فلا ينبغي أن يصب ماء كل**

واحد بل يجمع الماء في الطست. قال ﷺ: «اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم». قيل: إن المراد به هذا. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم. وقال ابن مسعود: اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنّة الاعاجم. والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائماً وأحب أن يكون جالساً لأنه أقرب إلى التواضع، وكره بعضهم جلوسه فروي أنه صب على يد واحد خادم جالساً فقام المصبوب عليه فقيل له: لمَ قمت؟ فقال: أحدنا لا بدّ وأن يكون قائماً وهذا أولى لأنه أيسر للصب والغسل وأقرب إلى

واحد) على حدة **(بل يجمع الماء)** المستعمل **(في الطست)** ويرمي به مرة واحدة، وهذا أيضاً إذا كان الطست واسعاً يجمع ماء الكل فإن كان صغيراً وامتلأ بغسل بعض الجماعة فينبغي أن يصب ثم يؤتى لمن لم يغسل.

(قال ﷺ: «إجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم») والوضوء بالفتح اسم الماء الذي يتوضأ به.

قال العراقي: رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به، وجعل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم، وقال: إنه معضل اهـ. وقال العراقي في موضع آخر: وفيه نظر.

(قيل إن المراد به هذا) الذي ذكر هو ما يجمع من المياه بعد غسل الأيدي فإنه يسمى وضوءاً. **(وكتب عمر بن عبد العزيز)** الأموي رحمه الله تعالى **(إلى الأمصار أن لا ترفع الطست من بين يدي القوم إلا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم)** نقله هكذا صاحب القوت، ورواه البيهقي في الشعب بلفظ: «إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بواسط يحض أن الرجل يتوضأ في طست ثم يأمر بها فتهراق وهذا من زي الأعاجم فتوضؤا فيها فإذا امتلأت فاهريقوها.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(اجتمعوا على غسل اليد في طست واحدة ولا تستنوا بسنة الأعاجم)** نقله صاحب القوت أيضاً، وفي هذا المعنى حديث مرفوع عن ابن عمر: «اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس». رواه البيهقي والخطيب والديلمي وضعفه البيهقي وقال: في إسناده من يجهل، وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح، وأكثر رواته ضعفاء ومجاهيل.

(والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائماً) على رجليه، **(وأحب أن يكون جالساً لأنه أقرب إلى التواضع)** والمراد بالبعض هنا صاحب القوت فإنه هو الذي قال: وأكره قيام الخادم وأحب إلي أن يصب على يده جالساً اهـ.

(وكره بعضهم جلوسه فروي أنه صب على يد واحد خادم جالساً فقام المصبوب عليه فقيل له: لم قمت؟ فقال: أحدنا لا بد وأن يكون قائماً) قال الشيخ: **(وهذا أولى لأنه أيسر**

تواضع الذي يصب، وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك، ففي الطست إذاً سبعة آداب: أن لا يبزق فيه، وأن يقدم به المتبوع، وأن يقبل الإكرام بالتقديم، وان يدار يمنة، وأن يجتمع فيه جماعة، وأن يجمع الماء فيه، وأن يكون الخادم قائماً، وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفرش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه. هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في أوّل نزوله عليه وقال: لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض.

السادس: أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل يمد اليد

للصب والغسل وأقرب إلى تواضع الذي يصب) وهذا إذا كان الطست صغيراً وأمكن الخادم حمله بيده اليسرى والإبريق في اليمنى، فإذا كان كبيراً لا يمكنه ذلك، **(وإذا كان له)** أي للخادم **(نية فيه)** صالحة وهو التبرك بخدمة الإخوان وأهل الفضل **(فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك)** من غير نكير، **(ففي الطست إذاً سبعة آداب)** تقدمت الإشارة لبعض ذلك. الأول: **(أن لا يبزق فيه)** لئلا يستقذره رفيقه. هذا إذا كان مع جماعة فإن كان منفرداً أو بزق فيه بعد أن يرفع فلا بأس كما تقدم، **(و)** الثاني: **(أن يقدم به المتبوع)** أي الرئيس أولاً **(و)** الثالث: **(أن يقبل الإكرام بالتقديم)** ولو كان مفضولاً ولا يرده كما تقدم، **(و)** الرابع: **(أن يدار يمنة)** تشريفاً لجهة اليمين، **(و)** الخامس: **(أن تجتمع فيه جماعة)** يغسلون معاً. **(و)** السادس: **(أن يجمع الماء فيه)** ثم يهراق، **(و)** السابع: **(أن يكون الخادم قائماً)** في وقت الصب وفيه اختلاف، فهذه آداب سبعة. **(و)** من الأدب **(أن يمج الماء من فيه)** بعد أن يمضمضه **(ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه)** ثم يمر الماء على يده هذا إذا كان الطست مكشوفاً فإنه ربما أدى إلى تناثر شيء منه، وأما إذا كان مغطياً فيرسل الماء من فيه إلى الطست ولا يحتاج إلى إرساله من اليد، **(و)** من الأدب **(أن يصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه)** تبركاً به وإكراماً له، وهذان الأدبان حقيق بأن يلحقا بالآداب السبعة، فتكون تسعة ولكن المصنف أفردهما في الذكر عن السبعة. **(هكذا فعل مالك بالشافعي رحمها الله تعالى في أول نزوله عليه)** بالمدينة، وكان الشافعي عمره إذ ذاك دون العشرين، وذلك أنه قدم إليه الطعام فلما فرغ صب مالك الماء على يده **(وقال: لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض)**، ويقال: ثلاثة لا يستحيا من خدمتهم الضيف والوالد والدابة.

(السادس: أن لا ينظر إلى أصحابه) أي إلى وجوههم قصداً، والمراد تكرار النظر، **(ولا يراقب أكلهم فيستحيون)** من ذلك، **(بل يغض بصره ويشتغل بنفسه)** فهذا أعون لهم على

ويقبضها ويتناول قليلاً قليلاً إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلّل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيراً فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم، فإن امتنع لسبب فليعتذر إليهم دفعاً للخجلة عنهم.

السابع: أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه، وإذا أخرج شيئاً من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره، ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره، واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات.

الأكل، فإن المراقبة تورث الانقباض، **(ولا يمسك)** يده عن الطعام **(قبل إخوانه إذا كانوا يتحشمون الأكل بعده)** أو يحتاجون إلى بسط **(بل يمد اليد)** إلى الطعام **(ويقبضها)** ويريهم أنه يأكل، **(ويتناول قليلاً)** منه **(إلى أن يستوفوا)** غرضهم منه، **(فإن كان قليل الأكل)** أي من عادته ذلك **(توقف في الابتداء وقلّل الأكل)** وتربص **(حتى إذا توسعوا في الطعام)** بأن أكلوا صدراً منه **(أكل معهم آخراً)** ليستوي أكله مع أكلهم، فإن كانوا علماء لم يكرهوا ذلك منه، **(فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم)** كذا في القوت قال: وقد كان بعض الرؤساء من الأجواد إذا دعا الناس إلى طعامه يدعو الخباز فيقول: أعلم الناس بما عندك من الألوان. قال: فسألت بعض جلسائه لم يفعل هذا؟ فقال: لينتقي الرجل منهم نفسه لما يشتهي من الألوان. قال: ثم يدعهم يأكلون حتى إذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام فأكل وقال لهم: بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم فكان السلف يستحسنون ذلك منه، **(فإن امتنع)** عن الأكل **(لسبب)** بأن كان سبق له الأكل فلم يحب إدخال طعام على طعام أو غير ذلك، **(فليعتذر إليهم)** ويخبرهم عن السبب والعلة **(دفعاً للخجلة عنهم)** ليبسطوا في الأكل.

وروى صاحب العوارف عن ابن عمر رفعه: «إذا وضعت المائدة فلا يقومن رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يرفع القوم وليقلل فإن الرجل يخجل جليسه فيقبض يده، وعسى أن يكون له في الطعام حاجة».

(السابع: أن لا يفعل ما يستقذر غيره) وقد بينه بقوله: **(فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه)** فربما يتساقط من فيه شيء فيها، **(وإذا أخرج شيئاً من فيه)** نحو لقمة أو عظمة **(صرف وجهه عن الطعام وأخذ بيساره)** ورماه بعيداً أو تحت الخوان، فكل ما ذكر مما يستقذره صاحبه، **(و)** من ذلك أيضاً أن **(لا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة)** وهذا وإن لم يكن مستقذراً في الحقيقة **(فقد يكرهه غيره)** فليجتنب من ذلك. **(واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل)** فإنه كذلك مما يكرهه غيره، **(ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات)** الشرعية والعرفية والطبيعية لئلا يورث التنافر للسامعين.

الباب الثالث

في آداب تقديم الطعام إلى الاخوان الزائرين

تقديم الطعام إلى الاخوان فيه فضل كثير. قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم. وقال الحسن رحمه الله: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحيي أن يسأله عن ذلك. هذا مع ما ورد من الاخبار في الإطعام. قال ﷺ: «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع». وروي عن بعض علماء خراسان أنه كان

الباب الثالث

في آداب تقديم الطعام إلى الأخوان الزائرين

(**إعلم أن تقديم الطعام إلى الإخوان**) الواردين عليه سواء بدعوة أم لا (**فيه فضل كثير**) وثواب جزيل. (**قال جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين بن علي (**رضي الله عنهما: إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم**) نقله صاحب القوت. (**وقال الحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحيي أن يسأله عن ذلك**) نقله صاحب القوت. (**هذا مع ما ورد من الأخبار في**) فضل (**الإطعام. قال ﷺ «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم**) أي تستغفر له (**ما دامت مائدته موضوعة**) أي مدة دوام وضعها للأضياف (**بين يديه حتى ترفع»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بلفظ «إن الملائكة تصلي» وجزم المنذري بضعفه، وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب وقال: تفرد به بندار بن علي. قال الحكيم الترمذي: سؤال الملائكة ربهم أن يغفر لعبده من الأسباب الموجبة للمغفرة له فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يشاء بأوليائه وأعدائه وجعلها أسباباً لإرادته كما جعلها أسباباً لوقوع مراده، فمنه السبب والمسبب، وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى الأسباب الموجبة لمحبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب والكل منه وإليه وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

يقدم إلى إخوانه طعاماً كثيراً لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك » فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك. وفي الخبر: « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه ». وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده. وفي الخبر: « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الاخوان ». وقال علي رضي الله عنه: لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إليَّ من أن أعتق رقبة. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: من كرم المرء طيب زاده

(وروي عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاماً كثيراً لا يقدرون على أكله جميعه وكان يقول) ولفظ القوت: أنه كان إذا دعا إخوانه قدم إليهم نحو القفيز من صنوف الأطعمة والحبوب والفواكه اليابسة، فسئل عن ذلك فقال: **(بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك » فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك)** أي ولا نحاسب عليه. كذا في القوت، وقال في موضع آخر: وفي تقديم المأكول الكثير ليرجع أكثره نية حسنة لما جاء فيه: إن من أكل ما فضل من الإخوان لم يحاسب عليه. قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه ») ولفظ القوت وفي خبر عن بعض السلف، وقال العراقي هو في الحديث الذي بعده بمعناه. **(وكان بعضهم يكثر)** من **(الأكل)** مع الجماعة **(لذلك ويقلل)** منه **(إذا أكل وحده)** نقله صاحب القوت.

(وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحر وما أفطر عليه والأكل مع الإخوان ») هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه الأزدي في الضعفاء من حديث جابر « ثلاثة لا يُسألون عن النعيم الصائم والمفطر والرجل يأكل مع ضيفه ». أورده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث، وللديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة اهـ.

(وقال علي رضي الله عنه: لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إليّ من أن أعتق رقبة) أورده صاحب القوت، وسيأتي له في آداب الصحبة بلفظ: « لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إليّ من أن أعتق رقبة » ورواه محمد بن عبد الكريم السمرقندي في روح المجالس بلفظ « لأن أجمع نفراً من إخواني على صاع أو صاعين من طعام أحب إليَّ من أن أدخل السوق فاشتري عبداً فأعتقه ».

(وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه) نقله صاحب القوت، وتقدم ذكره في كتاب الحج مع اختلاف عبارة. **(وكان**

في سفره وبذله لأصحابه. وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق. وقيل: اجتماع الإخوان على الكفاية مع الإنس والإلفة ليس هو من الدنيا. وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة: «يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني». وقال ﷺ: «إذا جاءكم الزائر فأكرموه». وقال ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى

الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق) أي من الخصال الدالة عليها كذا في القوت. **(وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن)** وعلى الذكر، **(ولا يتفرقون إلا عن ذواق)** أي عن شيء من الطعام يذوقونه أي يطعمونه نقله صاحب القوت «وعن» هنا بمعنى بعد نظير قوله تعالى ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ [الإنشقاق: ١٩] وروى الترمذي في الشمائل في صفته ﷺ أن أصحابه لم يكونوا يتفرقون عنه إلا عن ذواق. قال الشارح: إلا عن مطعوم حسي غالباً أو معنوي دائماً وهو العلم، وقال بعض أهل الاعتبار: ما أجبت الدعوة إلا لما أتذكر بها نعيم الجنة طعام ينقل من غير كلفة ولا مؤنة، ولذلك **(قيل: اجتماع الإخوان على الكفاية مع الإلفة ليس هو من الدنيا)** كذا في القوت.

(وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة «يا ابن آدم جعت فلم تطعمني، فيقول: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك المسلم فلم تطعمه، ولو أطعمته كنت أطعمتني») هكذا أورده في القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «استطعمتك فلم تطعمني».

(وقال ﷺ «إذا جاءكم الزائر فأكرموه») ندباً مؤكداً ببشر وطلاقة وجه ولين جانب وقضاء حاجة وضيافة بما يليق بحال الزائر والمزور. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن لال من طريقه، وفيه يحيى بن مسلم. قال الذهبي: ضعفه الجماعة.

(وقال ﷺ «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها) لكونها شفافة لا تحجب ما وراءها **(هي لمن)** وفي رواية: «أعدها الله لمن» **(ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام»)** وفي رواية «لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام» وفي أخرى «واصل» بدل «تابع» وفي أخرى زيادة «أفشى السلام». قال العراقي: رواه الترمذي من حديث علي وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه اهـ.

بالليل والناس نيام ». وقال ﷺ : « خيركم من أطعم الطعام » وقال ﷺ : « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام ».

وأما آدابه : فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام. أما الدخول فليس من السنّة أن يقصد قوماً متربصاً لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل، فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه. قال الله تعالى: ﴿لا تدخلُوا بيوتَ النّبي إلا أن يؤذنَ لكم إلى

قلت: ورواه كذلك أحمد، وابن حبان، والبيهقي من حديث أبي مالك الأشعري. قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن معانق، ووثقه ابن حبان ووقعت في رواية البيهقي زيادة قال: يا رسول الله وما إطعام الطعام؟ قال « من قات عياله » قيل: وما وصال الصيام؟ قال « من صام رمضان ثم أدرك رمضان فصامه ». قيل وما إفشاء السلام؟ قال « مصافحة أخيك » قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال « صلاة العشاء الآخرة » اهـ. وهو وإن ضعفه ابن عدي لكن أقام له ابن القيم شواهد يعتضد بها ومع ملاحظته لا يمكن التفسير بغيره، والله أعلم.

(وقال ﷺ « خيركم من أطعم الطعام ») قال العراقي: رواه أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: ولكن بزيادة « ورد السلام » وهكذا رواه أبو الشيخ في الثواب[1] في جزئه، وأبو يعلى، وابن عساكر كلهم من طريق حمزة بن صهيب عن أبيه.

(وقال ﷺ « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام ») قال العراقي: رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو، وقال ابن حبان: ليس من حديث رسول الله ﷺ، وقال الذهبي: غريب منكر اهـ.

قلت: هذا لفظ الحاكم، ورواه أيضاً النسائي والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق كلهم بلفظ « من أطعم أخاه من الخبز حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه وفيه كل خندق مسيرة سبعمائة عام ».

(وأما آدابه، فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام. أما) آداب **(الدخول، فليس من السنة أن يقصد)** الرجل **(قوماً متربصاً)** أي متحيناً **(لوقت طعامهم)** أي حضور طعامهم ليصادفه، **(فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه . قال الله تعالى ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ يعني**

---

(١) هنا بياض بالأصل.

طعام غير ناظرين إناهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني منتظرين حينه ونضجه. وفي الخبر: « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً ». ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له، فإذا قيل له: « كُل » نظر فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد، وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل، أما إذا كان جائعاً فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به. قصد رسول الله وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعاً. والدخول على مثل هذه الحالة

منتظرين حينه ونضجه)، فالناظر هنا بمعنى المنتظر، ومن هنا حملت المعتزلة قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] بمعنى منتظرة وهو مردود بوجوه مذكورة في محالها من كتاب قواعد العقائد.

(وفي الخبر « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً ») قال العراقي: رواه البيهقي من حديث عائشة نحوه، وضعفه، ولأبي داود من حديث ابن عمر « من دخل على غير دعوة دخل سارقاً وخرج مغيراً » وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ البيهقي « من دخل عل قوم لطعام لم يدع إليه فأكل دخل فاسقاً وأكل ما لا يحل له » وهكذا رواه ابن النجار أيضاً. وأما لفظ أبي داود فأوله: « من دعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوة » الخ وقد رواه البيهقي أيضاً.

(ولكن حق الداخل إذا لم يتربص) أي لم يتحين الوقت **(واتفق)** في دخوله من غير قصد **(إن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له)** اقبل إلينا أو تفضل أو **(كل)** أو نحو ذلك من الألفاظ الدالة على صريح الأكل **(نظر، فإن علم أنهم يقولون على محبة لمساعدته فليساعد ويجلس)** ويأكل **(معهم، وإن كانوا يقولونه)** من وراء القلب وإنما يقولونه تعذيراً و**(حياء منه)** والباطن مخالف للظاهر، **(فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل)** لهم بعدم الأكل مهما أمكن ويظهر في نفسه إن سبق له الأكل، ولا يقدر على مناولة شيء من الطعام، **(أما إذا كان جائعاً فقصد بعض إخوانه ليطعمه)** مما عنده **(ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به)** فإنه غير مخالف للسنَّة.

(قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان) بفتح التاء الفوقية وتشديد الياء التحتية المكسورة **(وأبي أيوب)** خالد بن زيد **(الأنصاري)** كذا في النسخ بالإفراد والصواب الأنصاريين رضي الله عنهم **(لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعاً)**. قال العراقي: أما قصة أبي الهيثم فرواها الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: حسن غريب صحيح، والقصة عند مسلم، لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم، وإنما قال رجل من الأنصار، وأما قصة أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ.

إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعـام وهي عادة السلف، وكان عون بن عبدالله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة، ولآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر، ولآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة. فكان اخوانهم معلومهم بدلاً عن كسبهم، وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم، فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه، إذ المراد من الإذن الرضا لا سيا في الأطعمة وأمرها على السعة. فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف

(والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف)، ولفظ القوت: ومن طرقته فاقة من الفقراء فقصد بعض إخوانه يتصدى للأكل عنده، فجائز له ذلك بشرطين لا يكون عنده موجود من طعام ونيته أن يؤجر أخوه ويكون هو الجالب لأجره لأنه عرضه للمثوبة، فهذا داخل في التعاون على البر والتقوى وداخل في التحاض على طعام المسكين ونفسه كغيره من الفقراء، ولأن أخاه لا يعلم بصورة حاله ولو علمه لسره ذلك ففيه إدخال السرور عليه من حيث يعلم، وقد فعل هذا جماعة من السلف وقد روي بمعناه أثر من ثلاثة طرق للسلف الصالح.

(كان عون بن عبد الله المسعودي) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد قال أحمد وابن معين والعجلي ثقة، وذكر الترمذي والدارقطني أن روايته عن عبد الله بن مسعود مرسلة. وعن أبي أسامة قال: وصل إلى عون أكثر من عشرين ألف درهم فقال له أصحابه: لو اعتقدت عقدة لولدك فقال اعتقدها لنفسي واعتقد الله عز وجل لولدي: قال أبو أسامة: فلم يكن في المسعوديين أحسن حالاً من ولد عون روى له الجماعة إلا البخاري، **(له ثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة)** بأن كان يكون عند كل واحد يوماً، **(و)** كان **(لآخر ثلاثون)** صديقاً **(يدور عليهم في الشهر)** مرة، **(و)** كان **(لآخر سبعة)** أصدقاء وكانوا يقدمون هذه الأخلاق مع إخوانهم ويؤثرونها على المكاسب، **(فكان إخوانهم يعطونهم بـدلاً عـن كسبهـم)** والهمـزة في الإعلال للإزالة، ولم يكـن هـؤلاء يتكسبـون ولا يـدخـرون. **(وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم)**، وكانوا يسألونهم ذلك بنية صالحة ويقسمون عليهم فيه ويرونه من أفضل الأعمال، وكان هؤلاء للإنصاف يكرمون إخوانهم بإجابتهم وكونهم عندهم. قال صاحب القوت: ومنهم من كان منقطعاً في منزل أخيه قد أفرده بمكان يقوم بكفايته ولا يبرح من منزله على الدوام يحكم فيه ويتحكم كما يكون في منزل نفسه.

(فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه إذ أكل من طعامه، فله أن يأكل بغير إذنه، إذ المراد من الإذن الرضا لا سيا في الأطعمة وأمرها على السعة) ولفظ القوت: ومن علم من أخيه أنه يحب أن يأكل من طعامه، فلا بأس أن يأكل بغير

وهو غير راضٍ فأكل طعامه مكروه، ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب. وقد قال تعالى ﴿أو صديقكم﴾ [النور : ٦١] ودخل رسول الله ﷺ دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة، وكان الطعام من الصدقة فقال: « بلغت الصدقة محلها ». وذلك لعلمه بسرورها بذلك، ولذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن، فإن لم يعلم فلا بدّ من الاستئذان أوّلاً ثم الدخول. وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن، وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول: هكذا كنا. وروي عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة، فقال له هشام: ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا لكع اتل عليّ آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى:

إذن لأن علمه بحقيقة حاله ينوب عن إذنه في الأكل لقوله ﷺ في هذا المعنى « رسول الرجل إلى الرجل إذنه » إذ قد علم بإذنه له بالدخول عليه فأغناه عن الاستئذان.

(**فربّ رجل يصرح بالإذن ويحلف**) عليه (**وهو غير راض**) بالقلب (**فأكل طعامه مكروه**) أي فإن علمت من كراهته لأكلك لطعامه فلا تأكل ولو أذن لك بقوله (**ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب، وقد قال تعالى ﴿أو صديقكم﴾ ودخل رسول الله ﷺ دار بريرة**) مولاة لعائشة رضي الله عنها اشترتها وأعتقتها (**وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال**) ﷺ (**« بلغت الصدقة محلها »**) هو عليها صدقة ولنا هدية، (**وذلك لعلمه بسرورها بذلك**) هكذا أورده صاحب القوت وهما قصتان.

قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة « أهدي لبريرة لحم فقال النبي ﷺ هو لها صدقة ولنا هدية ». وأما قوله « بلغت محلها » فقاله في الشاة التي أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضاً من حديث أم عطية.

(**ولذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن**) استدل بفعله ﷺ حيث دخل دار بريرة وهي لم تكن حاضرة لعلمه أنها تسر بذلك، (**فإن لم يعلم**) بسروره له (**فلا بد من الاستئذان أولاً ثم الدخول**) بعده، (**وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن**) البصري (**فيأكلون ما يجدون بغير إذن، وكان الحسن**) ربما (**يدخل ويرى ذلك**) أي فعلهم (**فيسّر به ويقول هكذا كنا**) يشير إلى بدايته، وكانت بدايته في زمن الصحابة. (**وروي عن الحسن**) نفسه (**أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال**) الذي يبيع الحبوب والفواكه اليابسة (**يأخذ من هذه الجونة**) وهي السفطة (**تينة ومن هذه**) الثانية (**قسبة فقال له هشام**) الأوقص: (**ما بدا لك يا أبا سعيد**) وهي كنية الحسن (**في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا لكع**) بضم ففتح وهو اللئيم (**اتل عليّ آية الأكل فتلا**) ﴿ولا على

﴿أو صديقكم﴾ فقال: فمن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب. ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون، فدخل الثوري وجعل يقول: ذكرتموني أخلاق السلف. هكذا كانوا. وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال: كلوا فجاء رب المنزل فلم يرَ شيئاً فقيل له قد أخذه فلان، فقال: قد أحسن فلما لقيه قال: يا أخي إن عادوا فَعُدْ. فهذه آداب الدخول.

أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم﴾ (إلى قوله ﴿أو صديقكم﴾ [النور: ٦١] فقال:) ولفظ القوت قلت: (فمن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت إليه النفس) أي ارتاحت ومالت، (واطمأن إليه القلب) أي سكن فإذا كان كذلك فلا إذن له في ماله. هكذا أورده صاحب القوت.

(وجاء قوم إلى منزل سفيان) بن سعيد (الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة) وكانوا يعلقونها على وتد، (وجعلوا يأكلون) ما فيها من الخبز والطعام، (فدخل الثوري وجعل يقول: ذكرتموني أخلاق السلف) الماضين، (هكذا كانوا) يفعلون أورده صاحب القوت.

(وزار قوم بعض التابعين) أي ممن له أخذ من الصحابة (ولم يكن عنده) إذ ذاك (ما يقدم إليهم) من الطعام، (فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر) قد طبخها (وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك، فحمله كله فقدمه إلى أصحابه فقال: كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئاً) من الطعام الذي هيأه فسأل عنه، (فقيل له: قد أخذه فلان) لأضيافه، (فقال: قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي إن عادوا فعد) نقله صاحب القوت. فهذه آداب الدخول، ولكن ليس لكل أحد ينظر إلى ظواهر هذه القصص فيدخل البيوت بغير استئذان ويمد يده إلى ما يحل له النظر إليه فضلاً عن الأخذ، ولكن بشروط هي الآن أعز من الكبريت الأحمر، فأين الذي يطمئن إليه القلب أو تستروح النفوس إليه، ولذا قال القائل:

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً ... لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

وقد رأيت جماعة من المنسوبين إلى الطائفة العلية قد استولى عليهم الشيطان بوساوسه، وأراهم أن جميع ما في يد الأحباب مشترك الانتفاع لا ملك لهم حقيقة، فإذا دخلوا بيت واحد منهم فما وقع عليه بصرهم أخذوه مأكولاً كان أو ملبوساً أو نقداً أو متاعاً سواء رضي به صاحب الشيء أو

وأما آداب التقـديم : فترك التكلف أولاً وتقديم ما حضر ، فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه ، وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال : لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه . وقال بعض السلف في تفسير التكلف : أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه . وقال بعضهم : ما أبالي بمن أتاني من اخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولـو تكلفـت له لكرهت مجيئه وملته . وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي فقلت له :

لم يرض ، وهده الطريقة أقرب إلى طريقة الإباحية . أعاذنا الله من ذلك فليحذر المريد من معاشرة أولئك ، والله أعلم .

(**فأما آداب التقديم فترك التكلف أولاً**) وهو ما يفعله الإنسان بمشقة أو بتصنع أو بتبشع (**وتقديم ما حضر**) وتيسر ويسهل في الحال من كل ما يؤكل عادة فإنه أدوم للرجوع وأذهب لكراهة رب المنزل ، (**فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك**) أي لا يأخذ من الدين (**فيشوّش على نفسه**) بالهم في أدائه مع عدم القدرة عليه ، (**وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته**) أو لقوت من يمونه (**ولم تسمح نفسه بالتقديم**) إلى الضيف ، (**فلا ينبغي أن يقدم**) . وقد كان من المتقدمين من إذا دخل عليه وهو يأكل لم يعرض على إخوانه الأكل إذا لم يحب أن يأكل معه خشية التزين بالقول أو لئلا يعرضهم لما يكرهون .

(**دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال: لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه**) ولفظ القوت : دخل قوم على أبي عاصم ، وكان ذا زهد وهو يأكل فذكره وفيه : لأطعمتكم منه ، وكان بعض العلماء يقول: التكلف في الطعام أن يأخذه بدين او يطعمه من خيانة .

(**وقال بعض السلف في تفسير التكلف: أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت**) أي لا يكون من مأكلك (**بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة**) فتشق على نفسك بذلك ، (**و**)قد (**كان الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**يقول: إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه**) أورده صاحب القوت ، وأبو بكر بن أبي الدنيا في إقراء الضيف .

(**وقال بعضهم: ما أبالي من أتاني من أخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ، ولو**) أني (**تكلفت له لكَرهت**) دوام (**مجيئه وملته**) فهذا لعمري ثمرة التكلف للكثرة والجودة الملل وكراهة العود . كذا في القوت .

(**وقال بعضهم: كنت أدخل على بعض إخواني فيتكلف لي**) ولفظ القوت: وقال لي

إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه، فأما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه. ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم. روي أن رجلاً دعا علياً رضي الله عنه فقال علي: أجيبك على ثلاث شرائط، لا تدخل من السوق شيئاً، ولا تدخر ما في البيت، ولا تجحف بعيالك. وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعاً إلا ويحضر شيئاً منه. وقال بعضهم: دخلنا على جابر بن عبدالله فقدم إلينا خبزاً وخلاً وقال: لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم. وقال بعضهم: إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وإن

بعض الشيوخ كنت آنس ببعض إخواني فكنت أكثر زيارته فكان يتكلف الأشياء الطيبة الثمينة، **(فقلت له)** يوماً: حدثني عن شيء أسألك عنه **(إنك لا تأكل)** إذا كنت **(وحدك)** مثل **(هذا)** الذي تقدمه إلي؟ قال: لا. قلت: **(ولا أنا)** في منزلي إذا كنت وحدي لا آكل مثل هذا، **(فما بالنا إذا اجتمعنا أكلنا)** ونحن لا نأكل مثله على الانفراد هذا من التكلف، **(فإما أن تقطع هذا التكلف)** بأن نرجع إلى ما نأكله من الانفراد **(أو أقطع المجيء)** قال: **(فقطع التكلف)** وكان يقدم ما عنده وما يأكل جميعاً مثله، **(ودام اجتماعنا)** ومعاشرتنا بسببه. هكذا أورده صاحب القوت.

(ومن التكلف أن يقدم) للضيف **(جميع ما عنده)** من الطعام **(فيجحف بعياله)** يذرهم جياعاً **(ويؤذي قلوبهم)** إلا أن يكون العيال قلوبهم في صدق التوكل على الله كقلب رب المنزل، وفي القوت: ولا يتكلف لإخوانه من المأكول ما يثقل عليه ثمنه أو يأخذه بدين أو يكتسبه بمشقة أو من شبهة ولا يدخر عنهم ما بحضرته ولا يستأثر بشيء دونه ولا يضر عياله.

(روي أن رجلاً دعا عليًّا رضي الله عنه) إلى منزله **(فقال: أجيبك على ثلاث شرائط: لا تدخل من السوق شيئاً)** أي لا تتكلف بشراء شيء من السوق، **(ولا تدخر ما في البيت)** بل تحضر جميعه، **(ولا تجحف بعيالك)** نقله صاحب القوت بلفظ: ولا تجحف بالعيال أي لا تضر بهم بأخذ قوتهم فيشتغل قلبهم، **(وكان بعضهم)** إذا دعا أخاه **(يقدم)** إليه **(من كل ما في البيت)** من أنواع الطعام **(فلا يترك نوعاً إلا ويحضر شيئاً منه)** وهذا من جملة إكرام الضيف. **(وفي الخبر دخلنا على جابر بن عبد الله)** الأنصاري رضي الله عنهما **(فقدم إلينا خبزاً وخلاً وقال «لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم»)** قال العراقي: رواه أحمد دون قوله «لولا أنا نهينا» وهي من حديث سلمان الفارسي، وسيأتي بعده. وكلاهما ضعيف، وللبخاري عن عمر بن الخطاب «نهينا عن التكلف» اهـ.

قلت: الحديث بتمامه في مسند الإمام أبي حنيفة للحارثي قال: أخبرنا محمد بن سعيد، أخبرنا المنذر بن محمد، حدثني أبي، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، حدثني أبو حنيفة ومسعر بن كدام، عن

استزرت فلا تبق ولا تذر . وقال سلمان: أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا ، وأن نقدم إليه ما حضرنا . وفي حديث يونس النبي ﷺ أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسراً وجزَّ لهم بقلاً كان يزرعه ثم قال لهم: كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون: لا ندري أيهما أعظم وزراً الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه.

جابر رضي الله عنه أنه دخل عليه يوماً وقرب إليه خبزاً وخلاً ، ثم قال « إن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف ولولا ذلك لتكلفت لكم » وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « نعم الادام الخل » وأخرج أبو محمد التميمي في جزء له من طريق عبيد الله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار قال: جاء إلى جابر رجال من أصحاب النبي ﷺ فقرب إليهم خبزاً وخلاً فقال: كلوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « نعم الادام الخل » وزاد في رواية « وهلاك بالمرء أن يحتقر ما في بيته يقدمه لأصحابه وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم لهم ».

(وقال بعضهم: إذ قصدت للزيارة فقدم ما حضر) في الطعام من غير تكلف **(وإن استزرت)** أي طلبت للزيارة **(فلا تبق)** من همتك **(شيئاً ولا تذر)** أي ولا تترك نقله صاحب القوت.

(وقال سلمان) الفارسي رضي الله عنه: **(أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم ما حضرنا)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، ولأحمد: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أو لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك، وللطبراني: نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا اهـ.

قلت: حديث سلمان عند الحاكم في الأطعمة بلفظ « نهي عن التكلف للضيف » قال الذهبي: سنده لين.

(وفي حديث يونس النبي عليه السلام) هو يونس بن متى نسب إلى أمه، وقيل: هو اسم أبيه ﷺ **(أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسراً)** من شعير **(وجزَّ لهم بقلاً كان يزرعه، ثم قال)**: كلوا **(لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم)** كذا أورده صاحب القوت.

(و)روي **(عن أنس بن مالك وغيره من الصحابة)** رضي الله عنهم **(أنهم كانوا يقدمون)** لإخوانهم **(ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر)** والدقل **(ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزراً الذي يحتقر ما قدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه)** كذا في القوت والعوارف. زاد صاحب القوت: وقد روينا في معناه خبراً مسنداً ، وقد كان أنس وغيره يقدمون ما عندهم إلى إخوانهم ويقولون إن الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق.

الأدب الثاني: وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره، فإن خيّره أخوه بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه كذلك السنّة ففي الخبر أنه ما خير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما. وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال: مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدّم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً، فقال صاحبي: لو كان في هذا الملح صعتر كان أطيب، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعتراً فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة. هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه وأو كراهته له، فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح، فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلاً عنده ببغداد، وكان الزعفراني يكتب

(**الأدب الثاني: وهو للزائر**) فإذا زار أخاه (**أن لا يقترح**) على رب المنزل والاقتراح الاستدعاء والطلب، ومنه قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

(**ولا يتحكم**) عليه (**بشيء**) من أنواع الطعام (**بعينه**) ويسميه فيقول: أريد كذا فليس ذلك من القناعة، (**فربما يشق على المزور إحضاره**) ويوقعه فيما لا يستطيعه، (**فإن خيره أخوه**) المزور (**بين طعامين**) أي بين نوعين من الطعام (**فليختر**) أقربهما إليه و(**أيسرهما**) أي أسهلهما (**عليه كذلك السنَّة ففي الخبر « أنه ما خير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة، وزاد « ما لم يكن إثماً » ولم يذكرها مسلم في بعض طرقه اهـ.

(**وروى الأعمش**) سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي الفقيه (**عن أبي وائل**) شقيق بن سلمة الأسدي من العلماء العاملين له إدراك وسمع عمر ومعاذاً، وعنه منصور والأعمش توفي سنة ٨٣ (**قال: مضيت مع صاحب لي نزور سلمان**) رضي الله عنه (**فقدم إلينا شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي: لو كان في هذا الملح صعتر**) يقال بالصاد وبالسين وبالزاي وهو نبت بري حار (**كان أطيب فخرج سلمان**) رضي الله عنه (**فرهن**) عند البقال (**مطهرته**) بالكسر أي الأداوة التي كان يتوضأ بها (**وأخذ**) منه (**صعتراً، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت فلم تكن مطهرتي مرهونة**) عند البقال كذا أورده صاحب القوت. (**هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له، فإن علم أنه**) ممن يأنس به وإنه مما (**يسر باقتراحه**) عليه (**و**) أنه (**يتيسر عليه ذلك**) أي تحصيله (**فلا يكره له الاقتراح**). قد (**فعل الشافعي**) محمد بن ادريس رضي الله عنه (**ذلك مع**) تلميذه الحسن بن محمد بن الصباح (**الزعفراني**) أبو علي البغدادي روى عن سفيان بن عيينة وشبابة

كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية، فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لوناً آخر بخطه، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال: ما أمرت بهذا؟ فعرضت عليه الرقعة ملحقاً فيها خط الشافعي، فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه. وقال أبو بكر الكتاني: دخلت على السري فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له: أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة؟ فضحك وقال: هذا أفضل لك من حجة. وقال بعضهم: الأكل

وعفان، وهو من رواة مذهب الشافعي القديم، وعنه جماعة منهم البخاري في صحيحه، وأبو حاتم الدارقي وقال: صدوق. وقال النسائي وابن أبي حاتم ثقة، وقال ابن حبان في الثقات كان راوياً للشافعي، وكان يحضر أحمد وأبو ثور عند الشافعي وهو الذي يتولى القراءة عليه. قال الزعفراني: لما قرأت كتاب الرسالة على الشافعي قال لي: من أي العرب أنت؟ قلت: ما أنا بعربي وما أنا إلا من قرية يقال لها الزعفرانية. قال: فأنت سيد هذه القرية توفي سنة ٢٢٦. **(إذ كان نازلاً عنده ببغداد)** بالجانب الغربي منها، ولفظ القوت: نازلاً عليه ببغداد. **(وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية)**، ولفظ القوت: فكانا يخرجان يوم الجمعة إلى الصلاة فكان الزعفراني يكتب في رقعة للجارية ما تصلح من الألوان، **(فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لوناً آخر بخطه، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال: ما أمرت بهذا فعرضت عليه الرقعة ملحقاً فيها خط الشافعي، فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه)**. ولفظ القوت: فدعا الشافعي ذات يوم الجارية بالرقعة فنظر فيها ثم زاد لوناً أشتهاه، فلما جاء الزعفراني وقدمت الجارية ذلك اللون أنكره إذ لم يأمرها به فسألها عنه فأخبرته أن الشافعي رضي الله عنه زاد ذلك في الرقعة، فقال: أريني الرقعة فلما نظر إلى خط الشافعي ملحقاً في الرقعة بذلك اللون فرح بذلك وأعجبه، فقال: أنت حرة لوجه الله تعالى فأعتقها سروراً منه بفعل الشافعي ذلك، وإليه نسب درب الزعفراني بباب الشعير اهـ.

(وقال أبو بكر الكتاني) وهو من مشايخ الرسالة إسمه محمد بن علي بغدادي الأصل صحب الجنيد والخراز والنوري وجاور بمكة إلى أن مات بهاسنة ٣٢٢: **(دخلت على السري)** بن المفلس السقطي خال الجنيد وشيخه **(فجاء بفتيت)** أي خبز مفتوت، **(وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت: أي شيء هو ذا تعمل أنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك)** السري **(وقال: هذا أفضل لك من حجة)** كذا في القوت أي عمل قليل وثوابه كثير لما فيه من النية الحسنة بادخال السرور على أخيه.

(وقال بعضهم: الأكل على ثلاثة أنواع) أكل **(مع الفقراء)** الصادقين **(بالايثار)** أي

على ثلاثة أنواع. مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب.

الأدب الثالث: أن يشهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح، فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل. قال رسول الله ﷺ: «من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى». وقال ﷺ فيما رواه جابر: «من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف

يؤثر بعضهم على بعض فيود أن يأكل أخوه أكثر منه، (و) أكل (**مع الإخوان**) على طريق السلوك (**بالانبساط**) وترك الحشمة، (و) أكل (**مع أبناء الدنيا**) من أرباب الأموال (**بالأدب**) وحفظ الحرمة والسكون.

(**الأدب الثالث: أن يشهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة**) منشرحة (**بفعل ما يقترح، فذلك حسن وفيه أجر**) كبير (**وفضل جزيل**). قال داود ابن علي الظاهري: حدثنا أبو ثور قال: كان الشافعي رضي الله عنه يشتري الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلوى ويشترط عليها هو أن لا يقربها لأنه كان عليلاً بالباسور، ويقول لنا: تشهوا ما أحببتم فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون. قال: فيقول لها بعض أصحابنا اعملي لنا اليوم كذا وكذا، فكنا نحن الذين نأمرها بما نريد وهو مسرور بذلك. وفي القوت: فإن شهّاه أخوه وسأله فلا بأس أن يذكر له شهوته ليصنعها فيعينه على فضيلتها، فقد روينا في فضل ذلك غير حديث، منها الحديث المشهور:

(**قال ﷺ «من صادف من أخيه شهوة غفر له»**) قال العراقي: رواه البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء «من وافق من أخيه شهوة غفر له» قال ابن الجوزي: حديث موضوع اهـ.

قلت: رواه الطبراني في الكبير من طريق نصر بن نجيح الباهلي، عن عمرو بن حفص النهدي، عن زياد النميري، عن أنس عن أبي الدرداء. قال الذهبي في الضعفاء: هذا اسناد مجهول. وقال الهيثمي: زياد النميري وثقه ابن حبان وقال: يخطيء وضعفه غيره، وفيه من لم أعرفه هكذا قال، فالذي يظهر من سياقهم أن هذا الحديث ضعيف شديد الضعف، وقول ابن الجوزي أنه موضوع فيه نظر.

(**«ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى»**) قال العراقي: رواه ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق «من سر مؤمناً فإنما يسر الله تعالى» الحديث قال العقيلي: لا أصل له اهـ.

قلت: وروي نحوه من حديث ابن مسعود رفعه «من سر مسلماً بعدي فقد سرني في قبري ومن سرني في قبري فقد سره الله يوم القيامة» هكذا رواه أبو الحسن بن شمعون في أماليه وابن النجار.

(**وقال ﷺ فيما رواه**) أبو الزبير عن (**جابر**) رضي الله عنه (**«من لذذ أخاه بما يشتهي**

سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد ».

الأدب الرابع: أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً؟ بل ينبغي أن يقدم إن كان. قال الثوري: إذا زارك أخوك فلا تقل له أتأكل أو أقدم إليك؟ ولكن قدّم فإن أكل وإلاَّ فارفع، وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم. قال الثوري: إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك. وقال بعض الصوفية: إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاماً، وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب.

كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد ») هكذا هو في القوت، وقال العراقي: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعمي، عن أبي الزبير عن جابر، وقال أحمد بن حنبل: هذا باطل كذب اهـ.

قلت: ويروى عن أبي هريرة مرفوعاً « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار » رواه البيهقي. وعن معاذ « من أطعم مؤمناً حتى يشبعه من سغب أدخله الله باباً من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله » رواه الطبراني. وعن أبي سعيد « من أطعم مسلماً جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة » رواه أبو نعيم في الحلية. وعن عبد الله بن جراد « من أطعم كبداً جائعاً أطعمه الله من أطيب طعام الجنة » رواه الديلمي.

(الأدب الرابع: أن لا يقول) المزور **(له)** أي للزائر **(هل أقدم لك طعاماً)** أو هل تأكل، **(بل ينبغي أن يقدم)** له من غير أن يقول **(قال سفيان الثوري)** رحمه الله تعالى: **(إذا زارك أخوك فلا تقل)** له **(هل تأكل أقدم إليك)** الطعام، **ولكن قدّم)** له **(فإن أكل)**، فهو المراد **(وإلا فارفع)** من بين يديه. كذا في القوت، **(وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهره عليهم أو يصفه لهم)** سواء إن هو قد أكله أو لم يأكله. **(قال)** سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك)** نقله صاحب القوت، وذلك لئلا يتعلق قلبهم بذلك الطعام فيشوّش خاطرهم.

(وقال بعض الصوفية: إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاماً) فإن ديدنهم الأكل فإنهم لا يملكون شيئاً فيأكلون به فالأولى مؤاساتهم بالأكل لأجل حضور قلبهم في العبادة، **(وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة)** فإنهم يحبون مذاكرة العلم، **(وإذا دخل القراء)** أي أهل التلاوة **(فدلوهم على المحراب)** فإن ديدنهم الصلاة والعبادة، وقد تجتمع هذه الأوصاف بأن كان قارئاً وفقيهاً وفقيراً فيقدم له ما هو الأهم وهو الإطعام.

الباب الرابع
في آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أولاً ، ثم الإجابة ، ثم الحضور ، ثم تقديم الطعام ، ثم الأكل ، ثم الانصراف . ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى .

فضيلة الضيافة: قال ﷺ : « لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله » . وقال ﷺ : « لا خير فيمن لا يضيف »

الباب الرابع

في آداب الضيافة

من ضافه ضيفاً إذا نزل عنده فهو ضيف ، ويطلق على الواحد والجمع ، وأضفته قريته ، وأصل الضيف الميل . يقال : ضافت الشمس للغروب مالت ، والضيف من مال بك نزولاً وصارت الضيافة متعارفة في القرى **(ومظان الآداب فيها ستة : الدعوة أوّلاً ، ثم الإجابة ، ثم الحضور ، ثم تقديم الطعام ، ثم الأكل ، ثم الانصراف . ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى .**

فضيلة الضيافة : قال ﷺ « لا تتكلفوا) وفي رواية بحذف احدى التاءين **(للضيف فتبغضوه)** أي تملوا الضيافة وترغبوا عنها فيكون سبباً لبغض الضيف **(فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله »)** قال العراقي : رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث سلمان « لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه » وفيه محمد بن الفرج الازرق تكلم فيه اهـ .

قلت : ورواه البيهقي كذلك ، وعند ابن عساكر في التاريخ « لا تكلفوا للضيف » وعن أبي قرصافة مرفوعاً « يا عائشة لا تتكلفي للضيف فتمليه ولكن اطعميه مما تأكلين » رواه أبو عبد الله محمد بن باكويه الشيرازي والرافعي من طريق عياض بن أبي قرصافة عن أبيه .

(وقال ﷺ « لا خير فيمن لا يضيف ») أي لا يطعم الضيف الذي ينزل به أي إذا كان قادراً على ضيافته ولم يعارضه ما هو أهم من ذلك كنفقة من تلزمه مؤنته . قال العراقي : رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة اهـ .

ومرَّ رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرّ بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال ﷺ: « انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خُلقاً حسناً فعل ». وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: « أنه نزل به ﷺ ضيف فقال: قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب، فقال اليهودي: والله ما أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال: والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده ». وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه، وكان يكني أبا

قلت: وكذلك رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي. قال المنذري: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة.

(ومرَّ رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه، ومرَّ بامرأة لها شويهات) جمع قلة شويهة وهي مصغر شاة فأضافته **(فذبحت له)** من تلك الشويهات، **(فقال ﷺ « انظروا إليها إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل »)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية ابن المنهال مرسلاً.

(وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ) وكان قبطياً قيل اسمه إبراهيم وقيل أسلم، وكان للعباس أوّلاً. روى عنه أولاده وأبو سعيد المقبري مات بعد عثمان **(« أنه نزل به ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودي)** وسماه **(نزل بي ضيف فاسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب، فقال اليهودي: لا والله لا أسلفه إلا برهن فأخبرته، فقال: والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض لو أسلفني لأدّيته فاذهب بدرعي)** وكان من حديد **(وارهنه عنده »)** قال العراقي: رواه إسحاق بن راهوية في مسنده، والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن مردويه في التفسير بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الترمذي في الشمائل. وقال الشراح: اسم هذا اليهودي أبو الشحم من الأوس رهنها عنده في ثلاثين صاعاً من شعير رواه الشيخان. وروى الترمذي بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله وأنه لم يفكها حتى مات ﷺ.

(وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه) ذكره محمد بن عبد الكريم السمر قندي في كتاب روح المجالس أنه عليه السلام كان إذا أراد أن يتغدى ولم يحضره ضيف خرج مسيرة ميل أو ميلين يطلب من يتغذى معه اهـ.

وقال ابن أبي الدنيا في قرى الضيف: حدثنا أحمد بن جميل، أخبرنا عبد الله عن طلحة، عن

الضيفان، ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة. وقال قوّام الموضع أنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف. وسئل رسول الله ﷺ ما الإيمان؟ فقال: « إطعام الطعام وبذل السلام ». وقال ﷺ: « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ». وسئل عن الحج المبرور فقال: « إطعام الطعام وطيب الكلام ». وقال أنس رضي

عطاء قال: كان ابراهيم عليه السلام إذا أراد أن يتغذى خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه، وهو أول من سّن الضيافة وعظم امرها.

قال أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم في كتاب الاوائل: حدثنا وهبان بن بقية، حدثنا خالد عن محمد بن عمرو، عن ابي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً :أول من ضيف الضيف إبراهيم عليه السلام، ورواه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف عن محمد بن عبد الله بن المبارك، حدثنا أبو أسامة، حدثنا محمد بن عمرو فذكره مثله. قال: وحدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن يحيى بن سعبد، عن سعيد بن المسيب قال: كان ابراهيم أوّل من أضاف الضيف.

(و) لذلك (كان يكنى أبا الضيفان) رواه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف من طريق سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال: كان ابراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد، (ولصدق نيته فيه) أي في أمر الضيافة (دامت ضيافته في مشهده) في غار حبرون (إلى يومنا هذا، فلا يتقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع) أي خدمته القائمون بشعار الكنس والايقاد الملازمون هنالك (أنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف)، وقد اتفق لي أني لما وردت لزيارته كان معي جماعة نحو الخمسة، فلما فرغت من الزيارة إذا أنا بسماط ممدود وفيه من أنواع الأطعمة فتعجبت لكوني ما أعرف هناك أحداً فمن أين هذا؟ فقال لي واحد: لا تتعجب هذه ضيافة الخليل عليه السلام وهي لكل قادم إلى زيارته، ثم أني كنت في ضيافته ثلاثة أيام في أرغد عيش صلى الله عليه وعلى ولده وسلم.

(وسئل رسول الله ﷺ: ما الايمان؟ فقال « إطعام الطعام وبذل السلام ») رواه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ « أي الإسلام خير » قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف ».

(وقال ﷺ « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ») رواه الترمذي وصححه، والحاكم من حديث معاذ رضي الله عنه، وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث « اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات ».

(وسئل) ﷺ (عن الحج المبرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام ») تقدم في الحج.
(وقال أنس) بن مالك (رضي الله عنه: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة) أي

الله عنه: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة. والاخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها.

أما الدعوة فينبغي للداعي أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفساق. قال ﷺ: «أكل طعامك الابرار» في دعائه لبعض من دعا له. وقال ﷺ: «لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي» ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص. قال ﷺ: «شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء». وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن اهمالهم إيحاش وقطع رحم، وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيحاشاً لقلوب الباقين، وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر

ملائكة الرحمة. **(والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام)** كثيرة **(لا تحصى)** تقدم بعضها في آخر الباب الثاني **(فلنذكر آدابها)**.

(أما الدعوة)، بالفتح اسم من دعوت الناس إذا طلبتهم ليأكلوا عندك يقال: نحن في دعوة فلان ومدعاته ودعاه بمعنى وبالكسر في النسب. قال أبو عبيدة: هذا كلام أكثر العرب إلاَّ عدي الرباب. فإنهم يعكسون ويجعلون الفتح في النسب والكسر في الطعام، **(فينبغي للداعي أن يقصد بدعوته العباد)** أي الصالحين من عباد الله تعالى الاتقياء دون الفساق. قال ﷺ لمن دعا له «أكل طعامك الابرار» في دعائه لبعض من دعا. قال أنس جاء النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت ثم أكل، ثم قال النبي ﷺ «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة». رواه أبو داود والنسائي واللفظ لأبي داود وقد تقدم قريباً.

(وقال ﷺ «لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي») ذاك لأن التقي قد كفاك الاجتهاد في المأكول للتقوى فأغناك عن السؤال عنه ولأن التقي إذا استطعمته استعان بالطعمة على البر والتقوى فتصير معاوناً له عليها فتشركه في بره، وتقدم تخريج الحديث في كتاب الزكاة، ولذا قال: **(ويقصد الفقراء)** بدعوته **(دون الأغنياء على الخصوص قال ﷺ «شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الاغنياء دون الفقراء)** ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله». متفق عليه من حديث أبي هريرة، وعند مسلم «يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها» ورواه البخاري مرفوعاً بلفظ «ويترك الفقراء» وهو عند الطبراني والديلمي من حديث ابن عباس بلفظ «يدعى إليه الشبعان ويحبس عنه الجائع» والمراد بالوليمة وليمة العرس لأنها المعهودة عندهم سماه شراً على الغالب فإنهم يخصون بها الأغنياء.

(وينبغي أن لا يهمل أقاربه) في النسب **(في ضيافته فإن إهمالهم إيحاش)** أي يورث الوحشة والتنافر في القلوب، **(وقطع رحم)** ووبال قطع الرحم أكثر من الإيحاش، **(وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه)** الأقرب فالاقرب، **(فإن في تخصيص البعض)** دون

بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة، وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته. قال سفيان: من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة، ولو علم ذلك لما كان يأكله، وإطعام التقي إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق يقويه على الفسق. قال رجل خياط لابن المبارك: أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة؟ قال: لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم. وأما الإجابة فهي سنّة

البعض (**إيحاشاً لقلوب الباقين**)، وهكذا الحال في جيرانه فإنه إذا دعا جماعة وترك الجيران أورث الوحشة في قلوبهم، فينبغي المراعاة في كل ذلك مهما استطاع، فيجعل لكل واحد من هذه الأصناف حداً معلوماً فيقدم الأقرب في النسب ثم الصديق فإن له حقاً لازماً، وهل يقدم الجار على الصديق أو الصديق على الجار فالذي يظهر أن الجار مقدم لوجوه عديدة. (**وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر**) بين الأقران (**بل**) ينوي بدعوته (**استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنّة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين**). فهذه ثلاث نيات لا بدّ من احضارها في القلب ليكون الداعي مأجوراً في دعوته مثاباً في حركته. (**وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة، وإذا حضر تأذى بالحاضرين**) أو تأذى به بعض من حضر في المجلس (**بسبب من الأسباب**) العوارض وهذا يقع كثيراً، (**وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب أجابته**) ولا يكرهها.

(**قال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى: (**من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فله خطيئة**) أي كتبت عليه خطيئة، (**فإن أجاب المدعوّ**) فأكل (**فله خطيئتان**) أي كتب عليه خطيئتان، فالمعنى في الخطيئة الأولى لأنه أظهر بلسانه خلاف ما في قلبه فتصنع بالكلام، وهذا من السمعة وداخل في محبة أن يحمد بما لم يفعل، والمعنى في الخطيئتين ان إجابه أخوه فالخطيئة الثانية لأنه (**حمله على الأكل مع كراهته**) ولم يعلم حقيقته منه فلم ينصحه فيما أظهر له من نفسه فعرضه لما يكره، (**ولو علم**) أخوه (**ذلك**) أي أنه غير محب لإجابته (**لما كان يأكله**) أي الطعام، ولأنه قد أدخله في السمعة، ولذلك كانت عليه خطيئة ثانية، (**و**) إنما قلنا يخص بالدعوة الصالحين والفقراء دون الفسقة لأن (**إطعام الفقراء**) والصالحين (**إعانة**) لهم (**على الطاعة**) وعلى البر والتقوى فيشاركهم في الثلاثة، (**وإطعام الفاسق يقويه على الفسق**) الذي هو مركوز في جبلته كما (**قال رجل خياط لابن المبارك**) عبد الله رحمه الله تعالى: (**أنا أخيط ثياب السلاطين**)ولفظ القوت إني أخيط لبس وكلاء هؤلاء يعني الأمراء، (**فهل تخاف ان أكون من أعوان الظلمة**) أي داخلاً في وعيدهم؟ (**قال: لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك**). أي لك

مؤكدة، وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع. قال ﷺ: «لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت».

وللإجابة خمسة آداب:

الأول: أن لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه، ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال: انتظار المرقة ذل، وقال آخر: إذا وضعت

(الخيط والإبرة. أما أنت فمن الظلمة أنفسهم) ولفظ القوت فقال: لست من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الإبر والخيوط اهـ.

وهذا من باب المبالغة تنزيلاً للمعين لهم منزلة أنفسهم، وبالغ آخرون فقالوا: إنما اعوان الظلمة الحداد الذي صنع تلك الابرة، والغزال الذي غزل ذلك الخيط وكل هذا تحذير من التقرب لهم ومجاورتهم ودعوتهم فتستلزم اكرامهم ومداراتهم والسكوت عما هم عليه من المظالم، وغير ذلك من المخازي. وكل ذلك من أسباب المقت نعوذ بالله من ذلك، وقد عمل ذو النون المصري أغمض من ذلك كما سيأتي في الفصل الذي في آخر الأبواب.

(وأما الاجابة فهي سنّة مؤكدة) على المشهور من مذهب الشافعي رضي الله عنه سواء كانت الدعوة عرساً أو غيره كختان وعقيقة، **(وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع)** كوليمة عرس عند توفر الشروط المبينة في الفروع قالوا: لا تجب إجابة لغير وليمة عرس مطلقاً، ومنه وليمة التسري، وقيل تجب. واختاره السبكي، وبعض أصحاب الشافعي أوجب الاجابة إلى الدعوة مطلقاً عرساً كان أو غيره بشرطه نظر الظاهر حديث ابن عمر «من دعي إلى عرس أو نحوه فليجب» رواه مسلم، ولما رواه أبو هريرة «ومن لا يجيب الدعوة فقد عصى الله ورسوله» رواه مسلم ايضاً. ونقله ابن عبد البرعن العنبري، وزعم ابن حزم انه قول جمهور الصحابة والتابعين، وهو الذي فهمه ابن عمر من الخبر. روى عبد الرزاق في مصنفه باسناد صحيح عنه أنه دعى إلى طعام فقال رجل اعفني فقال ابن عمر: إنه لا عافية لك من هذا فقم، وجزم باختصاص الوجوب بوليمة النكاح المالكية والحنفية والحنابلة وجمهور الشافعية وبالغ السرخسي منهم فنقل فيه الاجماع.

(قال ﷺ «لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إليَّ ذراع لقبلت») رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساعد، والجمع أكرع وجمع الجمع أكارع. وقال الأزهري أكارع الدابة قوائمها وقال ابن فارس الكراع من الدابة ما دون الكعب.

(وللإجابة خمسة آداب:

الأول: ان لا يميز الغني بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه، ولذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة). اعلم ان الدعوة المختصة بالأغنياء اختلف في إجابتها فظاهر حديث

يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي. ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنّة. كان ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين. ومرَّ الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذي يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسراً على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلّم عليهم فقالوا له: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: نعم إن الله لا يحب المستكبرين، فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلّم عليهم وركب وقال: قد أجبتكم فأجيبوني. قالوا:

« شر الطعام طعام الوليمة » وفيه « ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » صريح في وجوبها. واقتضاه كلام شراح مسلم وصرح به الطيبي فقال: والحاصل أن الاجابة واجبة فيجيب الدعوة ويأكل شر الطعام اهـ.

لكن الذي أطلقه الشافعية عدم الوجوب إذا خص الاغنياء، وإليه يشير كلام المصنف كما ترى، وقد ينزل الوجوب على ما إذا خصهم لالغناهم بل لجوار أو اجتماع حرفة أو غير ذلك والله أعلم.

(وقال) بعض المتكبرين: أنا لا أجيب دعوة. قيل له: ولم؟ قال: **(انتظار المرقةذل، وقال آخر)** منهم: **(إذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي)** نقل القولين صاحب القوت. **(ومن التكبر من يجيب)** دعوة **(الأغنياء)** لعظمهم في عينه **(دون الفقراء)** لكبره في نفسه، ومنهم من لا يجيب إلا نظراءه وأشكاله من مثل طبقته ومرتبته في الرئاسة في الدنيا **(وهو خلاف السنّة)**، فقد ورد في الإجابة فعلاً وقولاً. أما فعلاً فما روي أنه **(كان ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث أنس دون ذكر المسكين، وضعفه الترمذي وصححه الحاكم اهـ.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات، وعند الحاكم « كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ». وأما قولاً فما تقدم آنفاً. ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله بعد قوله: شر الطعام طعام الوليمة.

(ومر الحسن بن علي) كذا في النسخ، مثله في العوارف، وفي بعض نسخ الكتاب الحسين بن علي **(رضي الله عنهما)** ومثله في القوت **(بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق)** أي ممر الناس حيث يقرعون بنعالهم **(وقد نشروا كسراً)** من الخبز **(على الأرض في الرمل وهم يأكلون و)** كان **(هو على بغلته فسلّم عليهم)** لما مرَّ عليهم فردوا عليه **(فقالوا: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله. فقال: نعم. إن الله لا يحب المستكبرين)** ثم ثنى وركه **(فنزل)** عن دابته **(وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلّم عليهم وركب)** وفي خبر آخر زيادة **(وقال: وقد أجبتكم فاجيبوني. قالوا: نعم فوعدهم)** المجيء **(وقتاً)** من النهار

نعم، فوعدهم وقتاً معلوماً فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم. وأما قول القائل: إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك، فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يداً له على المدعو، ورسول الله ﷺ كان يحضر لعلمه أن الداعي له يتقلد منة ويرى ذلك شرفاً وذخراً لنفسه في الدنيا والآخرة، فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفاً فليس من السنّة اجابته، بل الأولى التعلل، ولذلك قال بعض الصوفية: لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك

(معلوماً فحضروا) فرحَّب بهم ورفع مجلسهم **(فقدم إليهم)** ولفظ القوت ثم قال: يا وذات هاتي ما كنت تدخرين فأخرجت الجارية **(فاخر)** ما عندها من **(الطعام وجلس يأكل معهم)** رضي الله عنه وأرضاه عنا.

(وأما قول القائل: إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم: هذا خلاف السنّة) وهو صاحب القوت كما تقدم النقل عنه آنفاً، **(وليس كذلك)** أي ليس هذا القول على عمومه مخالفاً للسنّة **(فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد به منّة وكان ذلك يداً له على المدعو)**، ففي هذه الصور الثلاث يتحقق الذل ويسلم لقائله ما أراده، **(ورسول الله ﷺ كان يحضر)** الدعوة **(لعلمه أن الداعي له يتقلد منّة ويرى ذلك شرفاً)** يتشرف به، **(وذخراً لنفسه في الدنيا والآخرة)** فهو يفرح به ويرى أن الفضل له على كل حال، **(فهذا)** إذاً **(يختلف باختلاف الحال، فمن ظن أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة)** ومفاخرة بين الأقران **(أو تكلفاً)** بمشقة **(فليس من السنّة اجابته)**. رواه أبو داود من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ نهى عن طعام المتباريين» **قال أبو داود**: أكثر من رواه عن جرير لا يذكر فيه ابن عباس، وروى العقيلي في الضعفاء «نهى النبي ﷺ عن طعام المتباهيين» والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء قاله أبو موسى المديني. قاله العراقي.

قلت: ورواه الحاكم أيضاً بزيادة «أن يؤكل» وقال: صحيح. وأقره الذهبي في التلخيص، لكن في الميزان صوابه مرسل وهو معنى قول أبي داود السابق، أو معنى التباري أن يفعل كل منهما فوق فعل صاحبه ليكون طعامه أكثر وآنق، فيدخل فيه معنى المصنف أو تكلفاً إذا قصد أحدهما تعجيز الآخر ففيه مشقة كما أنه رياء، **(بل الأولى)** في هذه الصورة **(التعلل)** عن الإجابة، **(ولذلك قال بعض الصوفية)** رحمه الله تعالى **(لا تجب إلا دعوة من يرى)** لك انك **(أكلت رزقك وأنه سلم)** إياه **(إليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه)** نقله صاحب القوت وقال: فهذه شهادة العارف من الداعين، كذلك شهادة المدعوّين من

الوديعة منه. وقال سري السقطي رحمه الله: آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة، فإذا علم المدعو أنه لا منة في ذلك فلا ينبغي أن يرد. وقال أبو تراب النخشبي رحمة الله عليه: عرض عليَّ طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوماً فعلمت أنه عقوبته. وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه: كل من دعاك تمر إليه فقال: أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني.

الثاني: أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك. يقال في التوراة أو في بعض الكتب: سِرْميلاً عد مريضاً سرميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال

الموحدين أن يشهدوا الداعي الأوّل والمجيب الآخر والمعطي الباطن والرازق الظاهر، كما امتحن أصحابه بذلك بعض الصوفيين بلغني أن رجلاً دعا إماماً من الصوفية في أصحابه إلى طعام فلما أخذ القوم مجلسهم ينتظرون نقل الطعام إليهم خرج إليهم شيخهم فقال: إن هذا الرجل يزعم أنه دعاكم وإنكم تأكلون طعامه فحرام على من يشهده في فعله أن يأكل. قال: فقاموا كلهم فخرجوا ولم يستحل الأكل إذ كانوا لا يرونه في الفعل إلا غلاماً حدثاً فإنه قعد إذ لم تثبت شهادته ولم ينفذ نظره العبارة لنا، والمعنى لقائله مثله أو نحوه.

(وقال سري) بن المفلس **(السقطي)** رحمه الله تعالى: **(آه على لقمة ليس لله فيها تبعة)** أي لا شبهة فيها **(ولا لمخلوق فيها منّة)** يقلدها على الآكل، **(فإن علم المدعو أنه لا منّة فيها فلا ينبغي أن يرد)** الداعي إليه.

(قال أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى) واسمه عسكر بن حصين ترجمه القشيري في الرسالة. صحب حاتماً الأصم. مات سنة ٢٤٥ بالبادية. **(عرض عليَّ طعام فامتنعت)** عن تناوله **(فابتليت بالجوع أربعة عشر يوماً فعلمت أنه عقوبته)**. وحكى القشيري نظير هذا القول في رسالته في ترجمته بسنده أنه قال: تمنّت عليّ نفسي مرة خبزاً وبيضاً وأنا في سفر فعدلت عن الطريق إلى قرية، فوثب رجل وتعلق بي وقال: كان هذا مع اللصوص فضربوني سبعين خشبة فوقف علينا رجل فصرخ وقال: هذا أبو تراب النخشبي فخلوني واعتذروا لي وادخلني الرجل منزله وقدم إليَّ خبزاً وبيضاً فقلت: كلي بعد سبعين جلدة.

(وقيل لمعروف) بن فيروز **(الكرخي رحمه الله تعالى: كل من دعاك إلى)** طعامه **(تمر إليه. فقال: أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني)** فهذا مقام من شاهد الداعي الأوّل.

(الثاني: أنه لا يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع) عنها **(لفقر الداعي وعدم جاهه، بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة فلا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك)** بل يأتيها **(يقال)**: إن **(في التوراة أو في بعض الكتب)** السماوية **(سرميلاً عد مريضاً. سرميلين شيع**

أجب دعوة. سر أربعة أميال زر أخاً في الله، وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحي فهو أولى من الميت. وقال ﷺ: «لو دعيت إلى كراع الغميم لأجبت» وهو موضع على أميال من المدينة أفطر فيه رسول الله ﷺ في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره.

الثالث: ان لا يمتنع لكونه صائماً بل يحضر، فإن كان يسر أخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم، وأفضل

جنازة. سر ثلاثة أميال أجب دعوة. سر أربعة أميال زر أخاً في الله تعالى، وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة) وفضلها على العيادة وشهود الجنازة، **(لأن فيه قضاء حق الحي فهو أولى من الميت)** كذا نقله صاحب القوت. **(وقال ﷺ: «لو دعيت إلى كراع الغميم لأجبت»)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: ذكر الغميم فيه لا يعرف، والمعروف لو دعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث، ويرد هذه الزيادة ما رواه الترمذي من حديث أنس: «لو أهدي إلى كراع لقبلت» اهـ. **(وهو)** أي كراع الغميم **(موضع على أميال من المدينة)** كذا في القوت، وسيأتي الكلام عليه قريباً **(أفطر فيه رسول الله ﷺ)** في رمضان **(لما بلغه)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر في عام الفتح، **(وقصر عنده في سفره)** كذا في القوت. قال العراقي: لم أقف له على أصل، وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر «كان يقصر الصلاة بالعقيق» يريد إذا بلغه، وهذا يرد الاول لأن بين العقيق وبين المدينه ثلاثة أميال، وقيل: أكثر. وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم اهـ.

قلت: وعبارة القاموس: وكراع الغميم موضع على ثلاثة أميال من عسفان، وزاد في العباب للصغاني. والغميم وادٍ أضيف إليه الكراع ووقع في التكملة للصغاني المذكور على ثمانية أميال، وذكر شيخنا المرحوم أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي سقى الله جدثـه صوب الغفران في حاشيته على القاموس صوابه على ثلاثة أميال من مكة انتهى.

والغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة قاله نصر، وقد تبع المصنف صاحب القوت في هذا السياق على عادته في هذا الكتاب وبني على هذه الزيادة الأصل الثاني من آداب الإجابة وهو الإجابة إلى الموضع البعيد وهذه لو ثبت لفظ الغميم وقد عرفت ما فيه فليتأمل.

(الثالث: أن لا يمتنع) عن الإجابة **(لكونه صائماً بل)** يجيب الدعوة و**(يحضر فإن كان)** يعلم أنه **(يسر أخاه إفطاره)** وأكله **(فليفطر)** لأجله **(وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه)** وإرادة إكرامه بذلك **(ما يحتسب في الصوم)** من الأجر **(وأفضل)** لأنها نية صالحة، وقد كان بعضهم إذا كان يوم فطره أكل مع إخوانه ويحتسب في أكله ما يحتسب

ذلك في صوم التطوّع، وإن لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر، وإن تحقق انه متكلف فليتعلل، وقد قال ﷺ لمن امتنع بعذر الصوم: « تكلف لك أخوك وتقول إني صائم ». وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم. ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل: الكحل والدهن أحد القراءين.

الرابع: أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط

في صومه، **(وذلك في صوم التطوع)** إذ هو في ذلك أمير نفسه **(وإن لم يتحقق سرور قلبه به)** وإنما قال له أنا أسر بأكلك **(فليصدقه بالظاهر)** وليحسن الظن به **(وليفطر وإن تحقق أنه تكلف)** ومع ذلك لم يلفظ به لسانه **(فليتعلل)** عن الأكل ويكره له حينئذ الخروج من عقد الصوم لغير نية هي أبلغ منه أو مثله، فصومه حينئذ أفضل، وكان على هذه القدم شيخنا المرحوم العارف بالله تعالى محمد بن شاهين الدمياطي نفع به، والشيخ الصالح أحمد بن محمد الراشدي رحمه الله تعالى، وصاحبنا الشيخ الصالح عبد المنعم بن عبد الرحمن الأنصاري بارك الله فيه. **(وقد قال ﷺ لمن امتنع بعذر الصوم: « تكلف لك أخوك وتقول إني صائم »)** قال العراقي: رواه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً فأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم، فقال رسول الله ﷺ: « دعاكم أخوكم وتكلف لكم » الحديث. وللدارقطني نحوه من حديث جابر ولا يصحان اهـ.

(وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أفضل الحسنات إكرام الجلساء) كذا في القوت ومن جملة إكرامهم مؤاساتهم وتأنيسهم بالمؤاكلة **(فالإفطار عبادة)** فاضلة **(بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم)** وهذا معنى قوله آنفاً أفضل، **(ومهما لم يفطر فضيافته الطيب)** أي نوع كان وهو أيضاً مختلف باختلاف البلدان، ففي الحجاز واليمن الأعطار المستخرجة من الصندل والورد الليمون وغيرها ثم إتباعها بماء الورد والكادي وبمصر والشام والروم الاقتصار على ماء الورد فقط، **(والمجمرة)** بكسر الميم هي ما يتجمر فيها من العود والعنبر، **(والحديث الطيب)** الذي تتأنس به النفوس وفي المجمرة خلاف لأبي حنيفة وأصحابه، **(وقد قيل: الكحل والدهن أحد القراءين)** وفي بعض النسخ أحد القريين، وفي القوت دعا عبد الله ابن الزبير الحسن بن علي رضي الله عنهم فحضر هو وأصحابه فأكلوا ولم يأكل هو، فقيل: ألا تأكل؟ قال: إني صائم ولكن تحفة الصائم. قالوا: وما هي؟ قال: الدهن والمجمرة. وكذلك يقال: الكحل والدهن أحد القريين، واللبن أحد اللحمين، والفكاهة والحديث للضيف إحدى الضيافتين، فيستحب لمن كان صائماً فحضر ولم يأكل أن يطيب وإن يحيا فذاك زاده.

(الرابع: أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة) أي فيه شبهة حرام، **(أو)** كان **(الموضع)** مغصوباً **(أو البساط المفروش غير حلال، أو كان يقام في الموضع منكر)**

المفروش من غير حلال، أو كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شيء من المزامير والملاهي، أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك. فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها، وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للمباهاة والفخر.

الخامس: أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملاً للآخرة، وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله

شرعي من تناول مسكر بعد الطعام، ولو لم ير في ذلك الوقت و(**من فرش ديباج**) وهو الحرير (**أو إناء فضة**) مما يستعمله كإبريق أو طست أو طبق أو غطاء كوز أو نحو ذلك، (**أو تصوير حيوان**) ذي روح (**على سقف أو حائط**) بخلاف ما إذا كان تصوير شجر أو جبل أو بحر أو مدينة أو غير ذلك مما لا روح فيه، (**أو سماع شيء من المزامير**) جمع مزمار آلة الزمر (**والملاهي**) وهي أعم من المزامير، (**أو التشاغل بنوع من اللهو**) المحرم (**والهزء**) والسخرية (**واللعب**) الممنوع، (**فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستحبابها**) من أصلها (**ويوجب تحريمه**) تارة (**أو كراهيته**) أخرى، وفي البساط المفروش من حرير وكذا الوسائد أو ما فيه تصوير حيوان إذا كان يداس عليه خلاف لأبي حنيفة وأصحابه سيأتي ذكره قريباً. (**وكذلك**) الحال (**إذا كان الداعي ظالماً**) مشهوراً في الظلم، (**أو مبتدعاً**) مستمراً على بدعته، (**أو فاسقاً**) مشهوراً فسقه غير مستور، (**أو شريراً**) أي صاحب شر، (**أو متكلفاً**) في دعوته (**طالباً للمباهاة**) والمباراة (**والفخر**) على أقرانه. فكل ذلك مما يمنع الإجابة من أصلها. قال صاحب القوت: خمسة لا تجاب دعوتهم وإن دعي ولم يعلم ثم علم فلا حرج عليه أن يخرج من بيت المبتدع وأعوان الظلمة وآكل الربا والفاسق المعلن بفسقه، ومن كان الأغلب على ماله الحرام ولم يكن يدع من الآثام في معاملة الأنام.

(**الخامس: أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهـوة البطن فيكون عاملاً في**) باب من (**أبواب الدنيا**) وساعياً في حظ نفسه وملء جوفه، (**بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للآخرة**) إذ الأعمال بالنيات والإجابة من الأعمال فمن نواها دنيا كانت له دنيا لعاجل حظه ومن أراد بهاالآخرة فهي له آخرة يحسن نيته وان لم تحضر نيته أو أعتل بفسادها توقف حتى يهيء الله تعالى نية صالحة تكون الإجابة عليها أو ترك الإجابة إذا كانت بغير نية لأنها من أفاضل الأعمال، فيحتاج إلى أحسن النيات لوجود العلم فيها فتكثر بها الحسنات ويفقد الهوى منها فيسلم فيها من السيئات وإلا كانت إجابته هزواً، (**وذلك بأن تكون نيته الإقتداء بسنة رسول الله ﷺ من قوله: «لو دعيت إلى كراع لأجبت»**) فهذا ظاهر في الإجابة على القليل، وقد تقدم الكلام عليه قريباً وهي الأولى.

ﷺ في قوله: « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وينوي الحذر من معصية الله لقوله ﷺ: « من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله ». وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله ﷺ: « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله ». وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً

(و) الثانية: **(ينوي الحذر من معصية الله)** ومعصية رسوله **(لقوله ﷺ: « من لم يجب الداعي فقد عصى الله »)** لفظ مسلم من حديث أبي هريرة في أثناء حديث « ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » ورواه البخاري موقوفاً وقد تقدم ذكره قريباً عند ذكر الوليمة.

(و) الثالثة: **(ينوي إكرام أخيه المؤمن إتباعاً لقوله ﷺ: « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله »)** وفي نسخة: « فإنما يكرم الله تعالى » قال العراقي: رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث جابر، والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر وإسنادهما ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بلفظ: « من أكرم امرأ مسلماً فإنما يكرم الله تعالى » وروى ابن النجار في تاريخه من حديث ابن عمر بلفظ: « من أكرم أخاه فإنما يكرم الله تعالى ». ولا سيما إذا كان الداعي مع كونه أخاه في الإيمان يكون ذا سن في الإسلام، فعن أنس مرفوعاً: « من أكرم ذا سن في الإسلام كأنه قد أكرم نوحاً في قومه، ومن أكرم نوحاً في قومه فقد أكرم الله تعالى » رواه أبو نعيم والديلمي والخطيب وابن عساكر، وفيه يعقوب بن تحية الواسطي لا شيء، وبكر بن أحمد بن محمد الواسطي مجهول، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وتعقب.

(و) الرابعة: **(ينوي إدخال السرور عليه)** بإجابته **(لقوله ﷺ: « من سر مؤمناً فقد سر الله »)** تقدم في الباب الذي قبله. وعن أبي هريرة رفعه: « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه خبزاً رواه ابن ابي الدنيا في قضاء الحوائج، والبيهقي في السنن ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر، وروى الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة: « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس ». وعن ابن عباس مرفوعاً: « من أدخل على مؤمن سروراً فقد سرني ومن سرني فقد اتخذ عند الله عهداً ومن اتخذ عند الله عهداً فلن تمسه النار أبداً » رواه الدارقطني في الافراد، وأبو الشيخ في الثواب. قال الدارقطني: تفرد به زيد بن سعيد الواسطي. قال الذهبي في معجمه: هذا خبر منكر، ورواته ثقات أعلام. فالآفة زيد هذا ولم أر أحداً ذكره بجرح ولا تعديل، وعنه أيضاً: « من أدخل على أخيه المسلم فرحاً أو سروراً في دار الدنيا خلق الله عز وجل من ذلك خلقاً تدفع به عنه الآفات في دار الدنيا وإذا كان يوم القيامة كان قريباً منه فإذا مر به هول يفزعه قال له لا تخف فيقول له فمن أنت؟ فيقول: أنا الفرح أو السرور الذي أدخلته على أخيك في دار الدنيا » رواه الخطيب وابن النجار.

لقوله ﷺ : « من سرَّ مؤمناً فقد سرَّ الله » . وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله إذ شرط رسول الله ﷺ فيه التزاور والتباذل لله . وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً ، وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه . فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها ؟ وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب ، وفي مثل هذا قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو

(و) الخامسة : **(ينوي مع ذلك زيارته)** فيصير ذلك نافلة له تماماً على الذي أحسن و **(ليكون من المتحابين في الله)** وقد جاء في فضل الزيارة في الله تعالى وإن بها يستحق ولاية الله تعالى وأنها علامة ولاية المتحابين في الله . **(إذ شرط رسول الله ﷺ)** فيه شيئين **(التزاور)** في الله **(والتباذل لله)** يشير بذلك إلى حديث أبي هريرة : « وجبت محبتي للمتزاورين فيّ المتباذلين فيّ » رواه مسلم . وعند أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث معاذ قال الله تعالى : « وجبت محبتي للمتحابين والمتجالسين فيّ والمتباذلين فيّ والمتزاورين فيّ » وعندهم أيضاً ما عدا البيهقي من حديث عبادة بن الصامت قال الله تعالى : « حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتواصلين في وحقت محبتي للمتباذلين في » الحديث . **(وقد حصل البذل من أحد الجانبين)** وبقيت الزيارة **(فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً)** على الخبر السائر : إن الإجابة من التواضع كما تقدم من أن المتكبرين لا يجيبون الداعي .

(و) السادسة : **(ينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه)** عن الإجابة **(ويطلق اللسان فيه)** بالرجم بالغيب **(بأن يحمل على تكبر أو استحقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه)** فبإجابته يسقط عنه مؤنة سوء الظن ويزيل الشك فيه باليقين به . **(فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها فكيف بمجموعها)** لمن وفق لعلمها والعمل بها .

(وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب) ولفظ القوت وكان بعض السلف يقول : إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الأكل والنوم ، وقد كان السلف الصالح يكون لأحدهم في الأكل نية صالحة ، كما يكون له في الجوع نية صالحة والذي يأكل بغير نية الآخرة للعادة والشهوة والمتعة قد يجوع لغير الآخرة للعادة والشهوة أيضاً والتزين للخلق ، وهذا من دقيق آفات النفوس فحسن من أكل بنية الآخرة ولأجل الله تعالى كحسن من جاع لأجل الله تعالى وبنية الآخرة ، وإلا كان من أبواب الدنيا . **(وفي مثل هذا قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله**

امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ». والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات. أما

ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »)أخبرناه القطب نجم الدين أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الشافعي الأزهري، والشيخ الفقيه أبو المعالي الحسن بن علي أحمد المنطاوي رحمها الله تعالى لقراءته على كل واحد منهما وهما يسمعان في مجلسين مفترقين.

قال الأول: أخبرنا عبد العزيز بن إبراهيم الزيادي قراءة عليه وهو يسمع، وقال الثاني: أخبرنا عبد الجواد بن القاسم الميداني قرأت عليه قالا: أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء البابلي، أخبرنا علي بن يحي الزيادي، أخبرنا المسند يوسف بن عبد الله الأرميوني، أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أخبرنا الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، أخبرنا الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي قال: أخبرنا المسند أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي، أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم، أخبرنا عبد الوهاب بن علي وعبد الرحمن بن أحمد الحموي والمبارك بن المعطرش قالوا: أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا محمد بن محمد بن إبراهيم البزار، أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدثنا عبد الله ابن روح المدائني ومحمد بن رمح البزار قالا: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يحي بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » الحديث هذا حديث فرد صحيح أخرجه الأئمة الستة. فأخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يزيد بن هارون فوقع بدلاً لهما عالياً، واتفق عليه الشيخان من رواية مالك وحماد بن زيد وابن عيينة وعبد الوهاب الثقفي. وأخرجه البخاري وأبو داود من رواية الثوري، ومسلم من طريق الليث، وابن المبارك وأبي خالد الأحمر وحفص بن غياث والترمذي من رواية عبد الوهاب الثقفي، والنسائي من طريق مالك، وحماد بن زيد وابن المبارك وأبي خالد الأحمر وابن ماجه أيضاً من رواية الليث عشرتهم عن يحي ابن سعيد الأنصاري أورده البخاري في سبع مواضع من كتابه الصحيح في بدء الوحي والإيمان والنكاح والهجرة وترك الحيل والعتق والنذور، ومسلم في الجهاد، وأبو داود في الطلاق، والترمذي في الجهاد والنسائي في الإيمان، وابن ماجه في الزهد، وهذا الحديث من أفراد الصحيح لم يصح عن النبي ﷺ إلا من حديث عمر، ولا عن عمر إلا من رواية علقمة، ولا عن علقمة إلا من رواية محمد بن إبراهيم التيمي، ولا عن التيمي إلا من رواية يحي بن يحي بن سعيد الأنصاري. قال أبو بكر البزار في مسنده: لا نعلم روي هذا الكلام إلا عن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ بهذا الإسناد. وقال الخطابي: لا أعلم خلافاً بين أهل الحديث في أنه لم يصح مسنداً عن النبي ﷺ إلا من رواية عمر. وقال الترمذي بعد تخريجه: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث يحي بن سعيد اهـ.

المنهيات فلا. فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات، بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث.

وقد روي هذا الحديث أيضاً من غير طريق عمر بن الخطاب، فرواه أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم. فحديث أبي سعيد رواه الدارقطني في غرائب مالك من رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن أبي يسار عنه قال: وتفرد به ابن أبي رواد. وحديث أبي هريرة رواه الرشيدي العطار في بعض تخاريجه وهو وهم أيضاً. وحديث أنس رواه ابن عساكر من رواية يحي بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن أنس بن مالك وقال: هذا حديث غريب جداً والمحفوظ حديث عمر. وحديث علي رواه محمد بن ياسر الجياني بإسناد ضعيف. وأما من تابع علقمة عليه فذكر أبو أحمد الحاكم أن موسى بن عقبة رواه عن نافع وعلقمة، وأما من تابع يحي بن سعيد عليه فقد رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية عبد ربه بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي وقال هو غلط. وذكر الدارقطني أنه رواه حجاج بن أرطاة عن محمد بن إبراهيم، وأنه رواه سهل بن حقير عن الدراوردي، وابن عيينة وأنس بن عياض عن محمد بن عمرو بن علقمة عن محمد بن إبراهيم ووهم سهل على هؤلاء الثلاثة، وإنما رووه عن يحي بن سعيد. وقال الحافظ أبو موسى المديني: أنه رواه عن يحي بن سعيد سبعمائة رجل، وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل فيه أنه ثلث العلم، وقيل: ربعه: وقيل خمسه والكلام على فوائده وما يستنبط منه من الأحكام طويل الذيل قد أفرد بتأليف لا نطيل به هنا، فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظر منتهى الآمال للحافظ السيوطي فإنه قد جمع وأوعى.

(والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات أما المنهيات فلا. فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر) مثلاً **(أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال: الأعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي في طاعة)** شرعية **(المباهاة)** بين أقرانه **(وطلب المال)** وغيره **(انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين)** المباحات والطاعات **(لا في القسم الثالث)** أي المنهيات.

قال الولي العراقي في شرح التقريب: كما اشترطوا النية في العبادة اشترطوا في تعاطي ما هو مباح في نفس الأمر أن لا يكون معه نية تقتضي تحريمه كمن جامع امرأته ظاناً أنها اجنبية أو شرب شراباً مباحاً وهو ظان أنه خمر أو أقدم على استعمال ملكه ظاناً أنه لأجنبي ونحو ذلك. فإنه يحرم عليه تعاطي ذلك اعتباراً بنيته، وإن كان مباحاً لـه فـي نفس الأمر غير أن ذلك لا يوجب حداً

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبتة فإنه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوّش عليه، وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراماً فليتواضع. قال ﷺ: « إن من التواضع لله الرضا بالدون من

ولا ضماناً لعدم التعدي في نفس الأمر، بل زاد بعضهم على هذا بأنه لو تعاطى شرب الماء وهو يعلم أنه ماء ولكن على صورة استعمال الحرام كشربه في آنية الخمر في صورة مجلس الشراب صار حراماً لتشبهه بالشربة، وإن كانت النية لا يتصور وقوعها على الحرام مع العلم بحله ونحوه لو جامع أهله وهو في ذهنه مجامعة من يحرم عليه وصور في ذهنه أنه يجامع تلك الصورة المحرمة فإنه يحرم عليه ذلك وكل ذلك لتشبهه بصورة الحرام، والله أعلم.

(**وأما الحضور فآدابه أن يدخل الدار**) التي دعي إليها (**ولا يتصدر**) أي لا يقصد صدر المجلس (**فيأخذ أحسن الأماكن**) وأعلاها، (**بل يتواضع**) في جلوسه يجلس حيث انتهى به المجلس (**ولا يطول الإنتظار عليهم**) بحيث يبطىء في المجيء فينتظرونه (**ولا يعجل**) في المجيء (**بحيث يفاجئهم قبل**) الوقت وقبل (**تمام الإستعداد**) للطعام ولوازمه إلا أن علم من حال الداعي أنه يفرح بمجيئه قبل تمام الإستعداد ليستأنس به فلا بأس، أو كان بالمدعو عذر لو تأخر كان سبباً لعدم حضوره، وكان على هذا القدم شيخنا العارف بالله محمد بن علي الجزائي الشاذلي رحمه الله تعالى كان إذا دعاه أحد إخوانه بكر إليه من أول النهار ويعتذر له في تبكيره بما يزيل به الوحشة عن الداعي وأتباعه، (**و**) إذا حضر (**لا يضيق المكان على الحاضرين**) في المجلس الذين سبقوه في الحضور (**بالزحمة**) بأن يزاحمهم على مكانهم طلباً للعلو والرئاسة، (**بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع**) خصه به (**لم يخالفه البتة فإنه**) أي صاحب المكان (**يكون قد رتب في نفسه موضع كل واحد**) ما يليق به (**فمخالفته تشوش عليه**) وتغير مزاجه، (**وإن أشار إليه بعض الضيفان بالإرتفاع**) في المجلس بأن وسعوا له (**إكراماً**) له (**فليتواضع**) ولا يغتر بما رفعوا من شأنه فالفضيلة إنما هي بالكمالات العلمية والعملية لا برفعة المواضع، فلو جلس صاحباً عند النعال صار موضعه صدراً فليحذر من هذا التنافس فإنه سم قاتل.

(**قال ﷺ: « إن من التواضع لله الرضا بالدون في المجلس »**) قال العراقي رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد اهـ.

المجلس ». ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فإنه دليل على الشره. ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس. وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء، كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما. وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال: الغسل قبل الطعام لرب البيت أوّلاً لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه، وإذا دخل فرأى منكراً غيَّره إن قدر وإلاَّ انكر بلسانه

قلت ورواه أيضاً الطبراني في الأوسط والبيهقي في السنن بلفظ: « بالدون من شرف المجالس » وفيه أيوب بن سليمان بن عبد الله. قال الهيثمي: لم أعرفه ولا والده وبقية رجاله ثقات اهـ.

وقال المناوي: فيه أيضاً سليمان بن أيوب الطلحي. قال في اللسان: صاحب مناكير وقد وثق. وقال ابن عدي: عامة أحاديثه لا يتابع عليها ثم أورد له أخباراً هذا منها.

(ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء) أي الذي يخرجن منه ويدخلن فيه لقضاء الحاجات **(وسترهم)** كذا في النسخ، **(ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام)** وهو باب المطبخ **(فإنه دليل الشره)** والحرص، **(ويخص بالتحية)** أي السلام **(والسؤال)** عن الحال **(من يقرب منه)** في المجلس **(إذا جلس)** ليدخل بذلك على المخاطب سروراً فإنه ربما كان حصل له نوع انقباض عند دخوله عليه وعليهم، ولا يلوي صدره وعضده عمن هو بجنبه بالتفاته إلى واحد فإنه ربما يورث الإيحاش للمعطوف عنه، وإنما يتكلم بلسانه ويلتفت بوجهه فقط إكراماً للحاضرين ولا يسألهم عما لا يليق ذكره في المجلس، وإنما يكون المحاورة في حكايات الصالحين وأهل الخير ليقتدوا بهم، ولأجل أن تنزل البركات عند ذكرهم ولا يستقصي في السؤال فربما يخجل صاحبه بذلك. **(وإذا دخل ضيف)** واتفق أنه دعاه رب المنزل **(للمبيت)** بأن كان بيته بعيداً أو محبة **(فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء)** أي محل قضاء الحاجة وهي كناية حسنة أي بيت إراقة الماء **(وموضع الوضوء)** هذا إذا كان مستغرباً لم يدخل الموضع قط، وإلا فلا يحتاج إلى تعريفه لاشتهار كل من الثلاثة في المواضع المورودة غالباً، وإنما قدم القبلة في الذكر لشرفها ولأن أكثر أحوال المدعوين أن يكونوا متوضئين، فإذا أراهم القبلة فإنه ربما يكون سبباً لصلاتهم فتحصل البركة لصاحب الدار. **(كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما)** لما نزل عنده بالمدينة **(وغسل مالك يده قبل)** حضور **(الطعام)** و**(قبل القوم وقال: الغسل قبل الطعام لرب البيت)** أي صاحب المنزل **(أولاً)** قبل الجماعة ليتعلموا منه ما ينفع في دينهم، و**(لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل)** قبل الناس، **(وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل)** بعد الجماعة وهو أقرب إلى التواضع و**(لينتظر أن يدخل من يأكل)** من طعامه **(فيأكل معه)** لحوز الثواب، ومن هنا

وانصرف. والمنكر فرش الديباج واستعمال أواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان

تؤخر الأجواد أطعمتهم إلى قرب العشاء لأجل هذا الإنتظار. ورأيت على هذا القدم عامة من عرفته ببلاد مصر من الأعراب بل ومشايخ الزوايا على هذا القدم، وكنت أسمع مشايخي يقولون: إنما يتأخر رب المنزل بعد الجماعة في الغسل لئلا ينتظر من بالمجلس من ذوي الأنساب والهيئات الطست والإبريق فتسيء أخلاقهم بخلاف الأول. **(وإذا دخل)** الدار **(فرأى)** فيها **(منكراً)** من المناكير الشرعية **(غيره)** بيده **(إن قدر)** وكان ممن يتأهل لإزالته من غير إصابة مكروه له في دينه أو عرضه أو ماله، **(وإلا أنكر بلسانه)** أي بالتكلم جهراً في كونه منكراً شرعاً **(وانصرف)** وسقط عنه حق الإجابة. **(والمنكر)** أنواع.

منها: (فرش الديباج) وهو ما سداه ولحمته إبريسم معرب ديبا ثم كثر استعماله ثم اشتقت العرب فقالوا: دبج الغيث الأرض دبجاً من باب ضرب إذا سقاها فأنبتت أزهارها مختلفة لأنه عندهم اسم للمنقش، ونقل الأزهري أن كسر الدال أصوب من الفتح، واختلف في الباء فقيل زائدة ووزنه فيعال، ولهذا يجمع بالياء. وقيل: هي أصل فيقال دبابيج، وقد تقدم هذه العبارة في كتاب تلاوة القرآن. وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: « أهدي إلى رسول الله ﷺ فروج حرير فلبسه ثم صلى فيه ثم نزعه نزعاً عنيفاً شديداً كالكاره له ثم قال: لا ينبغي هذا للمتقين » فالإشارة بقوله: « هذا » هل هي إلى اللبس الذي وقع منه أو إلى الحرير فيقدر ما هو أعم من اللبس وهو الإستعمال لأن الذوات لا توصف بتحريم ولا تحليل، ويترتب عليه أن الحديث هل يدل على تحريم الإفتراش أم لا. إن قلنا بالثاني دل على ذلك، وإن قلنا بالأول فقد يقال: إن الإفتراش ليس لبساً، وقد يقال هو لبس للمقاعد ونحوها ولبس كل شيء بحسبه. وقد قال أنس رضي الله عنه: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس وإنما يلبس الحصير بالإفتراش، والجمهور على تحريم الإفتراش، وخالف في ذلك أبو حنيفة فجوزه، وبه قال عبد الملك بن حبيب من المالكية، وقد قطع النزاع في ذلك حديث حذيفة: « نهانا النبي ﷺ عن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليه » رواه البخاري في صحيحه. قال الولي العراقي: ومن العجب أن الرافعي من أصحابنا صحح أنه يحرم على النساء افتراش الحرير وإن كان يجوز لهن لبسه قطعاً، لكن الصحيح جوازه لهن أيضاً وبه قطع العراقيون والمتولي وصححه النووي.

(و) من المنكر **(استعمال أواني الذهب والفضة)** عامة، فدخل فيها أغطية الكيزان والدوارق وظروف الطاسات التي تشرب بها القهوة ونحوها. فإن كلاً من ذلك يعد استعمالاً واستعمال كل شيء بحسبه، وعليه إجماع الأئمة وهو المعروف من نصوص أصحابنا الفقهاء الحنفية من المتقدمين، ولا يلتفت إلى ما أفتى به بعض المتأخرين في جواز شيء من ذلك، وقد ورد في استعمال هذه الأواني وعيد شديد. ففي حديث أم سلمة: « من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم » رواه مسلم. وفي حديث ابن عمر: « من شرب في إناء ذهب أو فضة أو إناء فيه شيء من ذلك إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » رواه البيهقي في المعرفة، والخطيب

وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال أحمد رحمه الله: إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال: إذا رأى كلة فينبغي أن يخرج فإن ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حراً ولا برداً ولا تستر شيئاً، وكذلك قال: يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة. وقال: إذا اكترى بيتاً فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكها فإن لم يقدر خرج. وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في الكلة وتزيين

وابن عساكر. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « نهي عن الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة » رواه النسائي.

(و) من المنكر **(التصوير)** أي تصوير ذي روح من الحيوانات **(على الحيطان)** والسقوف، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم.

(و) من المنكر **(سماع الملاهي والمزامير)** وهي آلة الملاهي بأجمعها، وسيأتي الكلام على ذلك في كتاب السماع والوجد.

(و) من المنكر **(حضور النسوة المتكشفات الوجوه)** ويفهم منه أنهن إن حضرن مستترات لغرض من الاغراض الشرعية فلا بأس بذلك إذا أمنوا على أنفسهم من الإفتتان. **(وغير ذلك من المحرمات)** الشرعية فإنها تسمى منكرات إذ المنكر ما أنكره الشارع ولم يقبله.

وفي القوت: ومن دعي إلى طعام وكان في بيت الداعي إحدى خصال خمس: فلا تجب دعوته ولا حرج في ترك إجابته إن كانت مائدته يشرب بعدها مسكر، وإن لم يعاينه في الحال أو كان في الأثاث فراش حرير أو ديباج، أو كان في الآنية ذهب أو فضة، أو كان الحائط مستراً بالثياب كما تستر الكعبة، أو كانت صورة ذات روح في ستر منصوب، أو في حائط، ومن أجاب الدعوة فرأى إحدى هذه الخمس فعليه أن يخرج أو يخرج ذلك. فإن قعد فقد شركهم في فعلهم. **(حتى قال)** الإمام **(أحمد)** بن حنبل **(رحمه الله تعالى: إذا رأى مكحلة)** وهي القارورة الصغيرة يوضع فيها الكحل **(رأسها مفضض)** أي معمول بالفضة **(ينبغي أن يخرج، ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة)** من فضة أو ذهب أو صفر أو نحاس يشعب بها الإناء والجمع ضبات كجنة وجنات وضبه بالتثقيل عمله ضبة. **(وقال: إذا رأى كلة)** بالكسر أي ستراً رقيقاً يخاط شبه الثلث والجمع كلل كسدرة وسدر، **(فينبغي أن يخرج فإن ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حراً ولا ترد برداً ولا تستر شيئاً، وكذلك قال: يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة، وقال: إذا اكترى بيتاً فيه صورة، أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكها فإن لم يقدر خرج)**. وهذه الأقوال المحكية عن الإمام أحمد قد حكاها صاحب القوت.

الحيطان بالديباج فإن ذلك لا ينتهي إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال. قال رسول

ونحن نورد ذلك بتمامه قال: دعي الإمام أحمد بن حنبل إلى طعام فأجاب في جماعة من أصحابه، فلما استقر في المنزل رأى إناء من فضة في البيت فخرج وخرج أصحابه معه لم يطعموا. ويقال: إنه خرج من أسفط مزانة رآها كأن رأسها المغطاة به من فضة لم يصبر فخرج بذلك. حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى إلى الوليمة من أي شيء يخرج قال: خرج أبو أيوب حين دعي فرأى البيت قد ستر، ودعي حذيفة فرأى شيئاً من زي الأعاجم فخرج. وقال: من تزيا بزي قوم فهو منهم. قلت لأبي عبد الله: فإن رأى شيئاً من فضة؟ فقال: ما كان يستعمل يعجبني أن يخرج. قلت: فإن كان اشنانية رأسها من فضة ترى أن يخرج؟ قال: نعم أرى أن يخرج قال: وسمعته يقول: دعانا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكنا نختلف إلى عفان فإذا إناء من فضة فخرجت فاتبعني جماعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم، فقلت لأبي عبد الله: الرجل يدعى فيرى المكحلة رأسها مفضضة قال نعم هذا يستعمل كلما استعمل فأخرج منه إنما رخص في الضبة أو نحوها فهو أسهل، وسألته عن الكلة فكرهها. قلت: فالقيه أو احله فلم ير بها بأساً. قلت لأبي عبد الله: إن رجلاً دعا قوماً فجيء بطست فضة أو إبريق فكسره هل يجوز كسره؟ قال: نعم، وسألته عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج ترى أن يقعد عليه أو يقعد في بيت آخر؟ قال: فقد خرج أبو أيوب وحذيفة، وقد روي عن ابن مسعود الخروج. قلت: ترى أن يأمرهم؟ قال: نعم يقول هذا لا يجوز. قلت لأبي عبد الله: الرجل يكون في بيته قبة ديباج يدعى إليه للشيء؟ قال: لا تدخل عليه ولا تجلس معه قال الرجل يدعى فيرى الكلة فكرهها. وقال: هو رياء لا تحرس من حر ولا ترد من برد. قلت: الرجل يدعى فيرى ستراً فيه تصاوير. قال: لا تنظر إليه. قلت: فقد أنظر إليه؟ قال: إن أمكنك خلعه خلعته وسألته عن الستر يكتب فيه القرآن فكره ذلك، وقال: لا يكتب القرآن على شيء منصوب لا ستر ولا غيره. قلت: الرجل يكتري البيت فيه التصاوير ترى أن يحكه؟ قال: نعم. قلت لأبي عبد الله: دخلت حماماً فرأيت فيه صورة ترى أن أحك الرأس؟ قال: نعم. هذا آخر ما استفتاه أبو بكر المروزي.

قال المصنف: **(وكل ما ذكره صحيح)** أي لا مطعن فيه **(وإنما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فإن ذلك لا ينتهي إلى)** حد **(التحريم إذ الحرير)** أي استعماله **(محرم على الرجال)** وهو الثوب الذي كله حرير، فلو كان بعضه حريراً وبعضه كتاناً أو صوفاً فالصحيح الذي جزم به أكثر الشافعية أنه إن كان الحرير أكثر وزناً حرم، وإن كان غيره أكثر وزناً لم يصح على الأصح. وكذا لو استويا لا تحريم على الأصح، ولم يعتبر القفال الوزن وإنما اعتبر الظهور فقال: إن ظهر الحرير حرم وإن قل وزنه وإن استتر لم يحرم، وإن كثر وزنه، وقد يستثنى من الحرير مواضع معروفة. منها ما إذا احتاج إليه لحر أو برد. ومنها: ما إذا

الله ﷺ : « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها » . وما على الحائط ليس منسوباً إلى الذكور ولو حرم هذا الحـرم تزيين الكعبة بل الأولى إباحته لموجب قوله تعالى : ﴿ قُلْ من حرَّم زينة الله﴾ [الأعراف : ٣٢] لا سيما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر ، وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى

دعت إليه حاجة كجرب أو قمل ، ومنها : ما إذا فاجأته الحرب ولم يجد غيره ، ولذا يجوز أن يلبس منه ما هو وقاية للقتال كالديباج الصفيق الذي لا يقـوم غيره مقـامـه ، وقـال بعـض أصحـاب الشافعي : يجوز لبسه في الحرب مطلقاً لما فيه من حسن الهيئة وزينة الإسلام كتحلية السيف ، والصحيح تخصيصه بحالة الضرورة ولكل من هذه الصور دليل يخصه معروف في موضعه .

(قال رسول الله ﷺ « هذان حرام على ذكور أمتي ») قال العراقي : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي ، وفيه أبو أفلـح الهمـداني جهلـه ابـن القطـان ، وللنسـائـي والترمذي وصححه من حديث أبي موسى نحوه . قال العراقي : الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند ، وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلاً لم يسم اهـ .

قلت : وروى الطبراني في الأوسط من حديث عمر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده صورتان إحداهما من ذهب والأخرى من حرير فقال : « هذان حرام على الذكور من أمتي حلال للإناث » ولفظ الحديث صريح في تحريم لبسه للرجال دون الإناث فإنه مباح لهن ، وأخذ بذلك جمهور العلماء من السلف والخلف ، وحكي الإجماع عليه ، ولكن حكى القاضي عياض وغيره عن قوم إباحته للرجال والنساء . وعن عبد الله بن الزبير تحريمه على الفريقين . قال النووي : ثم انعقد الإجماع على إباحته للنساء وتحريمه على الرجال .

(وما على الحيطان ليس منسوباً إلى الذكور) فلا يكون داخلاً في التحريم **(ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة فالأولى إباحته بموجب قوله تعالى ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ ولا سيا في وقت الزينة إذا لم يتخذه عادة للتفاخر)** ، وقد يقال من قبل الإمام أحمد : أن الذي يلبس الحيطان تحريمه لا لأجل كونه حريراً فقط ، بل يراعى فيه تضييع المال وكسر خواطر الفقراء ووضع الأشياء في غير محالها ، وفيه مخالفة لأحوال السلف الصالحين ولا يقاس على تزيين الكعبة ، فإن لكل مقام مقالاً . وهذا وجه دقيق في الورع وسد على من يتوسع في الحلال فضلاً عن الحرام ، وكأنه أراد بوقت الزينة الأعياد والولائم ونحو ذلك ، وقيد الإباحة بما لم يتخذ عادة للتفاخر وأنت خبير أن مثل هذه الإلباسات في مثل هذه الأوقات لا تجعل إلا للتباهي والتفاخر بين الأقران والتطاول عليهم بمثل هذه ليقال فلان فعل كذا وكذا ولم يبق هناك بعد هذا من النيات نية صالحة يعتد بها في تزيين الحيطان واتخاذ الكلل ، ومع تسليم ما ذكره المصنف من الاستدلال على الإباحة بظاهر الآية المذكورة يقال : أليس ذلك مخالفاً لسنته ﷺ وسنة أصحابه من بعده؟ فتأمل في ملحظ الإمام أحمد نفعنا الله بهم أجمعين .

الديباج مهما لبسه الجواري والنساء. والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة.

وأما احضار الطعام فله آداب خمسة:

الأوّل: تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف، وقد قال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون المتأخر فقيراً أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير، وأحد المعنيين في

ثم قال: **(وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه فلا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجواري والنساء، فالحيطان في معنى النساء إذ ليس موصوفاً بالذكورية)**، وقد يقال: إذا لم تكن الحيطان موصوفة بالذكورية فليست كذلك موصوفة بالأنوثية وكونها في معنى النساء لأجل الاستمتاع بالنظر بعيد. ألا ترى إلى حديث البراء في الصحيحين «نهانا عن سبع» الحديث وفيه «وعن المياثر» وفسره القاضي عياض في المشارق بأنها سروج تتخذ من الديباج، أو هي أغشية السروج من الحرير، ولا يخفى أن السروج ليست موصوفة بالذكورية فلم حرمت أغشيتها من الحرير وليس ذلك إلا لما فيه من الترفه والتفاخر والتشبه بزي الأعاجم، وقد يتعدد في بعض الأوقات فيشق تركها على من اعتادها. فالحاصل أن تحلية الكعبة والمصحف وأمثال ذلك قالوا بإباحته لأجل التعظيم، وأما تحلية الحيطان وتزيينها بالحرير وغير ذلك فمن الإسراف الحرام والله أعلم.

(وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة).

(الأول: تعجيله) في وقته **(فذلك)** معدود **(من إكرام الضيف، وقد قال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي شريح اهـ.

قلت: هو قطعة من الحديث أوله «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره» وآخره «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» وهكذا رواه أيضاً أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي شريح وأبي هريرة. وروى هذه الجملة فقط مع زيادة أخرى أحمد من حديث أبي سعيد الخدري، وتلك الزيادة يأتي ذكرها في آخر هذا الباب. وعند الطبراني في أثناء حديث ابن عمر بلفظ «ومن كان يؤمن بالله ورسوله» وروى أحمد في أثناء حديث رجال من الصحابة بلفظ «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله وليكرم ضيفه».

(ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون المتأخر فقيراً فينكسر

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ [الذاريات: ٢٤] أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى: ﴿فما لَبِثَ أن جاء بعجل حنيذ﴾ [هود: ٦٩] وقوله: ﴿فَرَاغَ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ [الذاريات: ٢٦] والروغان الذهاب بسرعة. وقيل في خفية. وقيل جاء بفخذ من لحم، وإنما سمي عجلاً لأنه عجّله ولم يلبث. قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة. فإنها من سنّة رسول الله

قلبه بذلك فلا بأس بالتأخير) . ولفظ القوت: ومن السنَّة والأدب أن لا ينتظر بالطعام غائب إذا حضر جماعة، ولكن يأكل من حضر فإن حرمة الحاضر مع حضور الطعام أوجب من انتظار الغائب إلا أن يكون الغائب فقيراً فلا بأس أن ينتظر ليرفع من شأنه ولئلا ينكسر قلبه، وإن كان الغائب غنياً لم ينتظر مع حضور الفقراء، فإن انتظار الغني معصية، ولما كان طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك الفقراء سمي شر الطعام لأجل الأغنياء والطعام لا تعبد عليه وإنما الشر إسم لأهل الطعام الداعين عليه الأغنياء التاركين للفقراء اهـ.

قلت: وكذلك إذا كان الغائب من ذوي الشرف والفضل والكمال وممن يتبرك به فلا بأس في التأخير لانتظار مجيئه إكراماً لحاله وجبراً لخاطره **(وأحد المعنيين في)** تأويل **(قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾)** قيل: المكرمين **(أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم)**، والمعنى الثاني خدمته إياهم بنفسه، **(ودل عليه)** أي على معنى التعجيل **(قوله تعالى ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾)** أي فما احتبس ولا أقام. والحنيذ: النضيج، **(وقوله تعالى ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ والروغان)** مصدر راغ يروغ وهو **(الذهاب)** يمنة ويسرة **(بسرعة)** من غير أن يستقر في جهة، و**(قيل)** هو الذهاب **(في خفية)** مأخوذ من روغان الثعلب، **(وقيل)** في تأويله أنه **(جاء بفخذ من لحم وإنما سمي عجلاً لأنه عجله ولم يلبث به)** ثم وصفه بأنه سمين نضيج، وهو من غرائب التفسير، كل ذلك نقله صاحب القوت، وتبعه المصنف في سياقه.

(وقال حاتم الأصم) تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنّة رسول الله ﷺ. إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب)** . رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال: سمعت نصر بن أبي نصر يقول: سمعت أحمد بن سليمان الكفرساني يقول: وجدت في كتابي عن حاتم الأصم قال: كان يقال العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب اهـ.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد: « **الأناة من الله والعجلة من الشيطان** ». وسنده ضعيف، وأما الاستثناء فروى أبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص « **التؤدة في كل**

ﷺ : إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب.

شيء خير إلا في عمل الآخرة» وقال الأعمش: لا أعلم إلا أنه رفعه. وروى المزي في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن نفيع عن مشيخة من قومه أن النبي ﷺ قال «الأناة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صيح في خيل الله، وإذا نودي بالصلاة، وإذا كانت الجنازة» الحديث. وهذا مرسل، وللترمذي من حديث علي «ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤاً» وسنده حسن اهـ.

قلت: حديث سهل بن سعد رواه أيضاً العسكري وغيره من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه عن جده، وقد تكلم بعضهم في عبد المهيمن وضعفه من قبل حفظه، فهذا معنى قول العراقي: وسنده ضعيف. وأما حديث سعد بن أبي وقاص فرواه أبو داود في الأدب، والحاكم في الإيمان، والبيهقي في السنن وقال الحاكم: صحيح على شرطهما. وقال المنذري: لم يذكر الأعمش فيه من حدثه ولم يجزم برفعه، وقوله «إلا في عمل الآخرة» أي فإن المستحسن الجهد فيه لتكثير القربات ورفع الدرجات وأمور الآخرة محمودة العواقب، فلا ينبغي التؤدة فيها. قيل: كان البوشنجي في الخلاء فدعا خادمه فقال: انزع قميصي واعطه فلاناً فقال: هلا صبرت حتى تخرج؟ قال: خطر لي بذله ولا آمن من نفسي التغير.

ومن شواهد الباب حديث أنس «التأني من الله والعجلة من الشيطان» رواه أبو بكر بن أبي شيبة، ومن طريقه أبو يعلى، وابن منيع، والحرث بن أبي أسامة في مسانيدهم من رواية سنان بن سعد، ورواه البيهقي فسماه سعد بن سنان وسعد ضعيف، وقيل: لم يسمع من أنس، وحديث ابن عباس مرفوعاً «إذا تأنيت أصبت أو كدت تصيب وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئ». رواه البيهقي من طريق محمد بن سواد عن سعيد بن سماك بن حرب عن أبيه عن عكرمة عنه وسعيد. قال فيه ابن أبي حاتم متروك. وحديث عقبة بن عامر مرفوعاً «من تأنى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد» رواه الطبراني والعسكري والقضاعي من طريق ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عنه. وروى العسكري من حديث سهل بن أسلم عن الحسن رفعه مرسلاً «التأني من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا» أي تثبتوا في الأمور وقال ابن القيم: إنما كانت العجلة من الشيطان لأنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب وضع الشيء بغير محله وتجلب الشرور وتمنع الخيور وهي متولدة بين خلقين مذمومين التفريط والاستعجال قبل الوقت اهـ.

وأما حديث علي عند الترمذي فلفظه «ثلاث لا تؤخرهن الصلاة إذا أتت» هكذا بفوقيتين بخط العراقي. وقال التوربشتي: هو تصحيف، والمحفوظ «آنت» بالمد والنون على زنة حانت «والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤاً» هكذا أخرجه في الصلاة، ورواه الحاكم في النكاح وصححه. وقال الترمذي: غريب وليس سنده بمتصل، وهو من رواية وهب عن سعد بن عبد الله الجهني عن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن علي. قال الذهبي: وسعيد مجهول وقد ذكره ابن حبان في الضعفاء اهـ.

ويستحب التعجيل في الوليمة. قيل: الوليمة في أوّل يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء.

الثاني: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أوّلاً إن كانت فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل المعدة. وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في

وجزم الحافظ ابن حجر في تخريج الهداية بضعف سنده. وقال في تخريج الرافعي: رواه الحاكم من هذا الوجه فجعل محله سعيد بن عبد الرحمن الجمحي وهو من أغاليطه الفاحشة اهـ.

ولما رواه البيهقي في سننه عن سعيد عن عبد الله هذا قال: وفي الباب أحاديث كلها واهية أمثلها هذا، وبه عرف ما في جزم الحافظ العراقي بحسنه والله أعلم.

وفي هذا الحديث قصة وهي ما أخرجه ابن دريد والعسكري أن معاوية رضي الله عنه قال يوماً وعنده الأحنف بن قيس: ما يعدل الأناة شيء. فقال الأحنف: إلا في ثلاث تبادر بالعمل الصالح أجلك وتعجل إخراج ميتك وتنكح كفؤاً يملك، فقال رجل: إنا لا نفتقر في ذلك إلى الأحنف. قال: فلم؟ قال: لأنه عندنا عن رسول الله ﷺ حدثنا علي فذكره.

(**ويستحب التعجيل في الوليمة**) وهو طعام العرس، وأما طعام الأملاك فهو قصيعة والجمع الولائم، (**فأول اليوم سنّة**) قال ﷺ لعبد الرحمن بن عوف وقد جمع إليه أهله «أولم ولو بشاة» اصنع وليمة، (**و**)في اليوم (**الثاني معروف، و**)في اليوم (**الثالث رياء**) فإن لم يمكنه جمع الكل في يوم أو يومين فدعا جماعة في أول يوم، وآخرين في ثاني يوم، وآخرين في ثالث يوم فلا يكون رياء، بل أصاب فيما صنع، ثم رأيت في شرح الشمائل لابن حجر قال: الوليمة طعام يصنع عند عقد النكاح أو بعده، ويحتمل أنها إذا فعلت بعده يشترط قربها منه بحيث ينسب إليه عرفاً، ويحتمل استمرار طلبها وإن طال الزمن قياساً على ما قالوه في العقيقة من بقائها إلى البلوغ مطالباً بها الأب، ثم ينتقل الطلب إلى الولد نفسه، والأفضل فعلها بعد الدخول اقتداء بفعله ﷺ.

(**الثاني: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة إن كانت**) حاضرة، (**فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة**) أي تغيراً (**فينبغي أن تقع في أسفل المعدة**) فتعين لما سيرد عليه من الطعام، فإذا قدم ما يستحيل بطيئاً ثم أتبعه بما يستحيل سريعاً فسدت المعدة وحصل فيها اختلاف، فمما يسرع استحالته من الفواكه الخوخ والتوت والخربز الأصفر والعنب والمشمش والرمان والسفرجل والتوت الحلو، وما عدا ذلك يؤخر بعد الطعام، والبطيخ الأخضر لثقله على المعدة يؤخر بعد الطعام ولكنه يهضم ما جاوره يقدم فلذا يجمع بينهما وجملة القول في الفواكه والثمار أنها قليلة الغذاء بالنسبة إلى الحبوب ولحوم الحيوانات وأجزائها والاستكثار منها يولد الحميات العفنة لأنها تملأ الدم مائيته يغلي في البدن فيعفن، وينبغي أن يتجنب قشورها لعدم انهضامها والتصاقها بالمعدة والأمعاء، ويتجنب الذي لم يدرك ولم ينضج والتي عفنت أو قاربت العفونة والثمار الرطبة اللينة سريعة الانحدار سريعة النفوذ في البدن سريعة الاستفراغ بالبول والتحلل من

الجلد ولذلك صارت قليلة الغذاء، وأما الغليظة منها فحالها على خلاف ذلك، وكل ما كان منها أسرع انحداره وألان البطء أحمد مما بطؤ انحداره، وما كان منها ألين فهو أجود مما كان أصلب، وما يمكن أن يدخر من جميع الثمار ويبقى فهو أحمد وما كان يسرع إليه الفساد خارجاً فهو في البدن أيضاً كذلك وينبغي أن تترك الفواكه كلها حتى تجف قليلاً ثم تؤكل، والتين النضيج أكثر تغذية وينحدر عن المعدة سريعاً وينهضم سريعاً، والجميز أسرع نزولاً من التين وألطف نفخاً إلا أنه أردأ للمعدة وأسرع إلى القيء قليل الغذاء يسهل البطن، والعنب أفضل من الرطب إلا أنه أقل غذاء من التين، والأجود أن يمتص ليسرع هضمه وانحداره، فإن عجمه وقشره باردان يابسان، والزبيب أغذى من العنب وأوفق للمعدة من التين، والأولى أن يؤكل بعد نزع عجمه وهو صديق للمعدة والكبد مقوٍ لها والرطب يولد دماً رديئاً سريع التعفن أقل حرارة من التمر، والتمر أصناف كثيرة أردؤها أغلظها جرماً وجميع أصنافه عسر الإنهضام وما ينفذ منها في البدن من الغذاء غليظ، ومن أصلح ما يؤكل معه والرطب اللوز والخشخاش، والتوت الحلو رديء الغذاء قليله مفسد للدم يسرع الإنحدار عن المعدة إذا كانت خالية من الطعام نقية من الخلط وإلا فسد فيها فساداً عجيباً فلا يستكثر منه، والمشمش سريع الفساد في المعدة والدم المتولد منه سريع العفونة فلا ينبغي أن يؤكل بعد الطعام فإنه يفسد ويطفو في فم المعدة، والخوخ ينبغي أن يؤكل قبل الطعام ليصادف من المعدة حرارة تعين على هضمه ولا تؤكل عليه الأغذية الحامضة وهو يشهي الطعام إلا أنه بطيء النزول عسر الإستحالة إلى الدم. والرمان بأصنافه جيد الكيموس قليل الغذاء، والسفرجل من أصلح الأشياء لتقوية المعدة ويعين على هضم الطعام، ولا يكاد يفسد في المعدة والإكثار منه قبل الطعام يولد المغص ويعقل البطن، وأما بعده فإنه يدفع الطعام عن رأس المعدة ويمنع البخار عن الدماغ. والتفاح بأنواعه بطيء الانحدار يولد خلطاً غليظاً لكنه مقو للقلب خاصة. وأما الليمون المركب وهو المسمى بالبرتكال فهو أقرب إلى الاعتدال من لحم الأترج وأسرع هضماً وأخف على المعدة فيقدم على الطعام، والكمثري كثير الغذاء أحمد خلطاً من التفاح وأسرع هضماً منه إذا أكل بعد الطعام ينحدر سريعاً ثم يعقل، والجوز قليل الغذاء بطيء الإنهضام رديء للمعدة الحارة، وأما الباردة فتهضمه وتغتذي به، والبندق أغذى من الجوز سريع الانحدار عن المعدة والأمعاء، واللوز شبيه بالجوز إلا أنه أبطأ انهضاماً ويصلحه الزبيب والفستق ينبغي أن يؤكل بعد الطعام لما فيه من القبض. والنبق بارد رطب مولد للبلغم مسكن للصفراء مقو للمعدة، والموز محمود الغذاء بطيء الانحدار عن المعدة مغث لها ثقيل عليها ولا يتناول بعده طعام حتى ينحدر. والبطيخ بأنواعه يستحيل صفراء إذا أكل مما يلي مبزره. ولم يدخل فيه إلى ناحية القشر خصوصاً إذا أكل على جوع شديد ولم يتبع بطعام. وقيل: يستحيل إلى أي خلط وافق في المعدة وهو سريع الانحدار عن المعدة والأمعاء، والإكثار منه يولد الهيضة فإذا أحس بها فليتقايأه فإنه سم وأكله على الخواء مضر، وينبغي أن يؤكل بين طعامين عند صيرورة الأول كيلوساً. والقثاء والخيار بطيئا الانحدار يتولد منهما في العروق خلط غليظ. وأما قصب السكر فإنه يمص بعد الطعام فيعين على الهضم ويولد دماً

قوله تعالى: ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ [الواقعة: ٢٠] ثم قال: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ [الواقعة: ٢١] ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام:

معتدلاً ويدر البول. وهذا القدر في معرفة ما يؤكل قبل الطعام أو بعده من الفواكه والثمار كافٍ في درك المقصود، والله أعلم.

(وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة) على الطعام **(في قوله تعالى)** في صفة أهل الجنة ﴿وفاكهة مما يتخيرون★ ولحم طير مما يشتهون﴾ ففي ذكر الفاكهة قبل اللحم دليل على تقديمها عليه، **(ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم)** المشوي **(والثريد)** وهو فعيل بمعنى مفعول. يقال: ثرد الخبز ثرداً من باب قتل، وهو أن تفته ثم تبله بمرق وقد يكون معه اللحم والاسم الثردة. **(فقد قال ﷺ « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »)** هكذا رواه ابن أبي شيبة والترمذي في الشمائل من حديث أنس، والترمذي أيضاً في الشمائل من حديث أبي موسى، والخطيب في المتفق والمفترق من حديث عائشة. ورواه أبو نعيم في فضائل الصحابة من حديثها بزيادة في أوله « فضل عائشة على النساء كفضل تهامة على ما سواها ». ورواه ابن ماجه والديلمي من حديث أنس بلفظ فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على النساء » قال المناوي: ضرب المثل بالثريد لأنه أفضل طعامهم، ولأنه ركب من خبز ولحم ومرقة ولا نظير له في الأطعمة، ثم إنه جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم، فخص المثل به إيذاناً بأنها جمعت مع حسن الخلق حسن الخلق وحسن الحديث وحلاوة المنطق. وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل والتحبب للبعل، ومن ثم عقلت عنه ما لم يعقل غيرها من نسائه. وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال إلا قليلاً.

قال ابن القيم: الثريد وإن كان مركباً فإنه مركب من خبز ولحم، فالخبز أفضل الأقوات، واللحم سيد الأدام، فإذا اجتمعا لم يكن بعدهما غاية، وفي أفضلهما خلاف، والصواب أن الحاجة للخبز أعم واللحم أفضل وهو أشبه بجوهر البدن من كل ما عداه اهـ.

وقال ابن حجر المكي في شرح الشمائل قوله « على النساء » أي حتى آسية وأم موسى فيما يظهر، وإن استثنى بعضهم آسية وضم إليها مريم، وما قاله فيها محتمل لحديث « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران » وفي رواية لابن أبي شيبة زيادة « وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد » فإذا فضلت فاطمة فعائشة أولى. وذهب بعضهم إلى تأويل النساء بنسائه ﷺ لتخرج مريم وأم موسى وحواء وآسية. نعم تستثنى خديجة فإنها أفضل من عائشة على الأصح لتصريحه ﷺ لعائشة بأنه لم يرزق منها خيراً من خديجة، وفاطمة أفضل منها إذ لا يعدل بضعته ﷺ أحد، وبه يعلم أن بقية أولاده ﷺ كفاطمة، وإن نسب الأفضلية ما فيهن من البضعة الشريفة. وقوله « على سائر الطعام » أي من جنسه بلا ثريد لما في الثريد من النفع وسهولة مساغه وتيسر تناوله وأخذ الكفاية منه بسرعة، ومن أمثالهم الثريد أحد اللحمين، وروى أبو داود « أحب الطعام إلى رسول

« فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ». فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات، ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ ـ أي المحنوذ وهو الذي أجيد نضجه وهو أحد معني الاكرام أعني تقديم اللحم. وقال تعالى في وصف الطيبات: ﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ [البقرة: ٥٧] المن العسل والسلوى اللحم، سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الأدام

الله ﷺ الثريد من الخبز والثريد من الحيس » وفي الحديث « سيد الأدام اللحم » وقضيته بل صريحه أن سيد الأطعمة اللحم والخبز ومرق اللحم في الثريد قائم مقامه، بل ربما يكون أولى منه كما ذكره الأطباء في ماء اللحم بالكيفية التي يذكرونها فيه. قالوا: هو يعيد الشيخ إلى صباه اهـ.

(**فإن جمع إليه حلاوة بعد فقد جمع الطيبات**) لأن كلاً من اللحم والثريد والحلاوة طيب في نفسه مفضل على غيره كما سيأتي، (**ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف إبراهيم**) المكرمين (**إذ أحضر العجل الحنيذ أي المحنوذ**) إشارة إلى أنه فعيل بمعنى مفعول، (**وهو الذي أجيد**) أي أنعم (**نضجه**) وما لم يجد نضجه فهو مضر على المعدة، (**وهو أحد معني الإكرام، أعني تقديم اللحم**) على سائر الأطعمة. والمعنى الثاني قد تقدم ذكره وهو التعجيل في الإحضار، ومعنى ثالث قد ذكرناه أيضاً وهو خدمة الضيف بنفسه.

(**وقال تعالى في وصف الطيبات ﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ المن**) شيء شبه (**العسل**) يسقط من السماء فيجني وهو الترنجبين قاله السدي وحلاوة القدرة سمي مناً لأنه مما من الله به على بني إسرائيل. ومعنى الترنجبين العسل الذي يسقط كالعرق وهي فارسية معربة أصلها ترانكبين قيل: كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس. وروى ابن جرير عن الربيع قال: المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه. (**والسلوى**) فعلى من السلو: (**اللحم سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الأدام**) إذ فيه غنية عن جميعه (**ولا يقوم غيره مقامه**) هكذا ذكره صاحب القوت، والمشهور في التفاسير أن المراد بالسلوى هنا طائر نحو الحمامة أطول ساقاً وعنقاً منها شبيه بلون السماء سريع الحركة بعثه الله على بني إسرائيل لما ملوا من أكل الخبز والمن وهم في التيه. روي ذلك عن ابن عباس، (**ولذلك قال ﷺ « سيد الأدام اللحم »**) رواه أبو القاسم تمام الرازي في فوائده قال:

حدثنا أبي هو محمد بن عبد الله، حدثنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن الحسن المهرقاني بالري، حدثنا أحمد بن خليل البغدادي، حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي، حدثنا أبو هلال محمد بن سليم الراسبي، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: فذكره بزيادة. وسيد الشراب الماء وسيد الرياحين الفاغية، وقد وقع لنا هذا الحديث مسلسلاً بالنحو.

ورواه الحافظ أبو بكر بن مسدي في مسلسلاته عن الأستاذ أبي جعفر الورغي، عن أبي

ولا يقوم غيره مقامه، ولذلك قال ﷺ: «سيد الأدام اللحم». ثم قال بعد ذكر المن والسلوى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة: ١٧٢] فاللحم والحلاوة من الطيبات. قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله وتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل. قال المأمون: شرب الماء بثلج يخلص الشكر. وقال بعض الأدباء: إذا دعوت إخوانك

عبد الله الكاتب، عن أبي القاسم الإفليلي، عن قاسم بن أصبغ، عن ابن قتيبة صاحب الغريب، عن أحمد بن خليل البغدادي، عن الأصمعي بسنده بلفظ «سيد آدام الدنيا والآخرة اللحم، وسيد ريحان أهل الجنة الفاغية» ورواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الطب النبوي نحوه.

وروى أبو نعيم في الطب أيضاً من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضى عن آبائه عن علي رضي الله عنه بلفظ «سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم» والطائي متروك.

وعند ابن ماجه من حديث أبي الدرداء «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم» وسنده ضعيف.

(ثم قال تعالى بعد ذكر المن والسلوى: ﴿كلوا من طيّبات ما رزقناكم﴾) على إرادة القول أي وقلنا لهم ذلك، **(فاللحم والحلاوة من الطيبات)** أي من طيبات الرزق. **(قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى)** نقله صاحب القوت، وهذا لمن يملك نفسه قبل أن تملكه فلا يخشى انقلاب الطيبات شهوات فمثله إذا أكل منها أعطاها مقامها من الشكر والرضا، **(وتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد)** في أثناء الطعام، **(وصب الماء الفاتر على اليد)** بعد الفراغ من الطعام **(عند الغسل)** أي غسل اليد فإنه من جملة النعيم ولا سيما في أوقات البرد.

(قال المأمون) عبد الله بن هارون العباسي الخليفة وكان من حكماء الخلفاء: **(شرب الماء بثلج)** أي ممزوجاً به **(يخلص الشكر لله)** عز وجل نقله صاحب القوت، وقد ورد في الخبر «كان أحب الشراب اليه ﷺ الحلو البارد» وهذا لا ينافي كمال زهده ﷺ، لأن ذلك فيه مزيد الشهود لعظائم نعم الحق واخلاص الشكر له عز وجل من غير أن يكون فيه اشعار بتكلف ولا خيلاء البتة بخلاف المأكل، وإلى هذا اشار المأمون بقوله السابق، فلذلك كان النبي ﷺ يشرب نفيس الشراب غالباً ولا يأكل نفيس الطعام غالباً. وروى أبو داود «أنه ﷺ كان يستعذب له من بيوت السقيا». قال ابن بطال: واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم، وقد شرب الصالحون الماء الحلو وطلبوه، وكان ﷺ يشرب العسل الممزوج بماء بارد. قال ابن القيم: وفيه من حفظ الصحة ما لا يهتدي لمعرفته إلا أفاضل الأطباء، فالماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن، والعسل على الريق يزيل البلغم ويدفع عن المعدة الفضلات ويفتح سددها. وكان

فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماءاً بارداً فقد أكملت الضيافة. وأنفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء: لم تكن تحتاج إلى هذا اذا كان خبزك جيداً وماؤك بارداً وخلك حامضاً فهو كفاية. وقال بعضهم: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين. ويقال: إن الملائكة تحضر المائدة إذا

ﷺ يشرب اللبن خالصاً تارة وبالماء البارد أخرى يكسر حره بالماء البارد. وروى الطبراني أنه ﷺ دخل على أنصاري في حائطه يحول الماء فقال له: إن كان عندك ماء بات في شنه، فقال: عندي ماء بات في شنه، فانطلق للعريش فسكب في قدح ماء ثم حلب عليه من داجـن فشرب ﷺ، فالذي تلخص هنا من معاني الطيبات تقديم الفاكهة أوّلاً ثم اللحم وخيره السمين وخير اللحم السمين ما كان نضيجاً قد أجيد طبخه بتوابل، ثم الماء البارد وحده أو مخلوط بعسل أو سكر أو نقع فيه الزبيب، ثم الحلاوة ثم غسل اليد بالماء الفاتر فكل ذلك داخل في حد الطيبات.

(وقال بعض الادباء: إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية) نوع من الطعام يعمل بالحصرم بارد نافع للصفراء والدم ممسك للبطن إلا انه يولد رياحاً في الأمعاء والمعدة لأنه من ثمرة فجة لم تنضج، **(وبورانية)** نوع من الطعام عمل لبوران بنت سهل وزير المأمون فنسب إليها، **(وسقيتهم ماءاً بارداً فقد أكملت الضيافة)** نقله صاحب القوت.

(وأنفق بعضهم دراهم) كثيرة **(في ضيافة)** ولفظ القوت: ودعا بعض الرؤساء اخوانه وأنفق عليهم مائتي درهم **(فقال)** له **(بعض الحكماء: لم يكن يحتاج إلى هذا)** كله **(إذا كان خبزك جيداً)** بأن كان نظيفاً قد ملك عجينه وأجيد نضجه في تنور ظاهراً وباطناً **(وخلك حامضاً)** أي صادق الحموضة غير متغير الطعم، **(وماؤك بارداً)** عذباً **(فهو كفاية)** نقله صاحب القوت. والخبز وحده فاكهة إذا كان جيداً ولا ينتظر به الأدام إلا ما كان المتيسر من خل أو بقل أو ملح.

(وقال بعضهم: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان) والمراد بالحلاوة ما يعمل من السكر الأبيض واللوز وهو المعروف بهريسة اللوز، ويليه الحلاوة المصرية المعروفة بالطحينية وللفقراء الزبيب والتمر، **(والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين)** نقله صاحب القوت بلفظ: خير من الزيادة على لونين، وأما معنى التمكن فسيأتي للمصنف قريباً. وقال آخر: شرب الماء البارد على الطعام خير من زيادة ألوان، **(ويقال: إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل)** نقله صاحب القوت، والبقل كل نبات اخضرت به الأرض، والبقول التي تحضر على المائدة هي الخس الهندبا الطرخشقوق الحماض البقلة الحمقاء البادروج النعناع الصعتر الفوتنج الرشاد الكرفس الكزبرة البصل الثوم الكراث الفجل الشبت الجزر السنداب وجملة القول فيها أن البقول كلها لا ينال البدن منها إلا أقل ما يكون من الغذاء، والذي لا ينال منها مائي رقيق رديء يقل الانتفاع به لا يكـاد ينهضم ما يتناول منها غير مطبوخ، وذلك انها قد عدمت في طباعها النضج

كان عليها بقل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة. وفي الخبر: إن المائدة التي أنزلت على بني إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث. وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان، فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة.

والبلوغ، بل توجد فجة من أوّل نبتها إلى أن تجف فلأنها تكون في أول نبتها ألطف وأطرى ثم تصير بآخرة أصلب وأعصى، وكذلك أصول النباتات كلها رديئة الغذاء، وجميع النباتات الحريفة التي تؤكل فإنها ما دامت طرية في النشؤ تكون ناقصة القوى لكثرة ما فيها من الرطوبة، فلذلك قد تصير غذاء وإذا يبست اشتدت كيفياتها وانقلبت عن أن تكون غذاء وصارت دواء لا يصلح إلا لتطييب الطعام. ومن البقول ما أصله أقوى من قضبانه كالفجل والبصل والثلجم وما أشبهها، ومنها ما قضبانه وورقه أقوى من أصله لاستلابها الغذاء الذي اجتلبته من الأرض إلى نفسها كالخس والكرنب وما يؤكل منه أصله فبزره وقضبانه لا يكاد يؤكل وكل نبات يؤكل ثمره أو بزره لا يكاد يؤكل أصله وجميع أصناف البقول ما كان منها برياً فهو أشد يبساً، ولذلك يكون أردأ غذاء وأشبه بالدواء، وما كان منها بستانياً فهو أكثر رطوبة وما ينبت في المشرقة والمواضع العطشة أقوى في بابه، ولما كانت البقول أقرب إلى الرداءة من الفواكه والثمار كثيراً فينبغي أن يتناول منها ما تدعو إليه الشهوة شيء قليل، ويتحرى أن يكون مما يحمد منها ويناسب المزاج والحال والوقت الحاضر، والله أعلم.

(ولما فيه من التزين بالخضرة) وهو محبوب. **(وفي الخبر: « إن المائدة التي أنزلت على بني اسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث)** وهو أنواع، والمراد به هنا هو النبطي، ويعرف بكراث المائدة وهو نبت دقيق جداً يخرج من تحت الأرض ورقاً ثلاثاً وما تحت الأرض من أصوله أبيض مستطيل غير مستدير، **(وكان عليها سمكة وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح، و)** كان عليها **(سبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان)** هكذا ساقه صاحب القوت، **(فهدا إذا جمع فحسن الموافقة)** ولفظ القوت: فهذا من أحسن الطعام إذا اتفق اهـ.

وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات من حديث سلمان الفارسي قال: « لما سأل الحواريون عيسى بن مريم المائدة كره ذلك جداً ومنعهم عن سؤالهم إياها ووعظهم فأبوا، فلما رأى منهم ذلك قام فلبس الشعر الأسود ثم اغتسل ودخل مصلاه فصلى ما شاء الله. ثم قام مستقبل القبلة وصف قدميه حتى استويتا فألصق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وغض بصره وطأطأ رأسه خشوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض حيال وجهه من خشوعه، فلما رأى ذلك دعا الله فأنزل عليهم سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من

الثالث: أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده. وهو خلاف السنّة فإنه حيلة في استكثار الأكل. وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة

فلك السماء تهوي إليهم، وعيسى يبكي ويدعو ويتضرع، فما زال كذلك حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريون وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط. وخرَّ عيسى والحواريون سجداً شكراً له ثم أقبلوا عليها، فإذا عليها منديل مغطى فسمَّى الله تعالى وكشف عنها المنديل، فإذا عليها سمكة ضخمة مشوية ليس عليها بواسير وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلاً حولها بقول من كل صنف غير الكراث، وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح، وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتونة، وعلى الآخر تمرات، وعلى الآخر خمس رمانات» الحديث.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في خبر المائدة قال: «فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم».

وروى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال «نزلت المائدة عليها من ثمر الجنة». وروى ابن الانباري في كتاب الاضداد، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: مائدة من السماء أي خبزاً وسمكاً. وروى أيضاً في الكتاب المذكور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة أن الخبز الذي أنزله الله مع المائدة من أرز، وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: انزلت المائدة خوان عليه خبز وسمك، وروى ابن جرير عن إسحاق بن عبدالله: أن المائدة نزلت وعليها سبعة أرغفةوسبعة أحوات يأكلون منها ما شاؤا. وروى عبد بن حميد وابن الأنباري وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: أنزل على المائدة كل شيء إلا اللحم. والمائدة: الخوان.

(والثالث: أن يقدم الألوان ألطفها حتى يستوفي منه) أي من ذلك اللون **(من يريد)** من الحاضرين **(فلا يكثر الأكل بعده)** لما أنه حصل له الاستيفاء، **(وعادة المترفهين تقديم الغليظ من الطعام)** على اللطيف منه **(ليستأنف)** أي يبتديء **(حركة الشهوة بمصادفة)** اللون **(اللطيف بعده وهو خلاف السنّة، فإنه حيلة في الاستكثار للأكل)**. ولفظ القوت: وينبغي إذا حضرت الألوان أن يبتديء بتقدمة الألطف، فالألطف والأطيب فالأطيب أوّلاً. مثل أن يبتديء بالشواء قبل الثريد، ويقدم الطباهج قبل السكباج فكذلك سنّة العرب ليصادف جوعهم أطيب الطعام فيستوفوا من ذلك أوفر النصيب فيكون أثوب لصاحبه وأقل لأكلهم، فإن احتاجوا إلى ما بعده من غليظ الطعام تناولوا منه قليلاً، وإنما قدم أهل الدنيا الألوان الغليظة على اللطيفة ليتسع أكلهم وتنفتق شهواتهم فيكون للون اللطيف موضع آخر وليكونوا قد أكلوا من اللون الآخر اللطيف الأقل، وهذا غير مستحب عند أبناء الآخرة. وقال في موضع آخر: فإن اتفق للعبد

الألوان دفعة واحدة ويصففون القصاع من الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي. وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه. ويحكى عن بعض أصحاب المروءات انه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان. وقال بعض الشيوخ: قدم إليَّ بعض المشايخ لوناً بالشام، فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخراً، فقال: وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه. وقال آخر: كنا جماعة في ضيافة فقدم إلينا ألوان من الرؤوس المشوية طبيخاً وقديداً فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لوناً أو حملاً، فجاءنا بالطست ولم يقدم

لونان. أحدهما ألطف من الآخر ابتدأ بالألطف منهما، فلعل الكفاية تتم به فيستريح من الآخر، وإنما قدم أهل الدنيا غليظ الألوان على رقيقه ليتسعوا في الأكل وتنفتق شهواتهم، فيكون لكل لون لطيف مكان آخر، وشبه بعضهم المعدة بمنزلة جراب ملآنة جوزاً حتى لم يبق فيه فضل للجوز فجئت بسمسم فصببته عليه فأخذ لنفسه موضعاً في خلال الجوز فوسع الجراب السمسم للطفه مع الجوز، فكذلك المعدة إذا ألقيت فيها طعاماً رقيقاً لطيفاً بعد طعام غليظ أخذته للشهوات في أماكنها فتمكن فيها بعد الشبع مما قبله، والعرب تعيب ذلك ولا تفعله إذ من سنتهم أن يبتدأ باللحم قبل الثريد. قال رجل منهم لبعض الأنباط: أنت من الذين يبتدؤن بالثريد قبل الشواء فذم أهل العراق بذلك.

(و) قد (**كان من سنة المتقدمين أن يقدموا جميع الألوان دفعة**) واحدة (**ويصففون الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي**) وهذا أحسن كذا في القوت، (**وإن لم يكن عنده إلاّ لون واحد**) من الطعام (**ذكره**) لهم (**ليستوفوا منه**) غرضهم (**ولا ينتظروا أطيب منه**). ولفظ القوت: وليكن ما يقدم لهم معلوماً لهم، ولو قال لهم: إن لم يكن عنده إلا لون واحد ليس يحضر إلا هذا ليستوفوا منه ولا يتطلعوا إلى غيره كان صواباً.

(**ويحكي عن بعض أرباب المرؤات أنه كان يكتب نسخة**) أي رقعة (**بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان**)، وبعضهم كان يدعو خبازه فيقول: أعلم الناس بما عندك من الألوان فسئل عن ذلك فقال: ليستبقي الرجل منهم نفسه لما يشتهي من الألوان، (**وقال بعض الشيوخ: قدَّم إليَّ بعض المشايخ لوناً بالشام**) ولفظ القوت: حدثني بعض شيوخنا عن شيخ له قال: قدّم إليَّ بعض أهل الشام لوناً من طبيخ (**فقلت**) له: (**عندنا بالعراق إنما يقدم هذا**) اللـون (**آخراً**) أي آخر الألوان، (**فقال: وكذلك**) هو عندنا (**بالشام و**) إذا به (**لم يكن**) عنده (**له لون غيره**) قال: (**فخجلت منه**) كذا في القوت بتغيير يسير، ثم قال صاحب القوت بالسند السابق. (**وقال**) لي (**آخر: كنا**) في (**جماعة**) عند رجل في ضيافة (**فقدَّم إلينا**) ولفظ القوت: فجعل يقدم إلينا (**ألواناً من الرؤوس المشوية**) منها (**طبيخاً و**) منها (**قديداً فكنا نأكل**) ولفظ القوت: فجعلنا نقصر في الأكل (**ننتظر بعدها لوناً أو حملاً**) ولفظ

غيرها، فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزّاحاً: إن الله تعالى يقدر أن يخلق رؤوساً بلا أبدان. قال: وبتنا تلك الليلة جياعاً نطلب فتيتاً للسحور. **فلهذا** يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده.

الرابع: أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهي من التمكن على المائدة التي يقال انها خير من لونين، فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال، ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان. حكي عن الستوري وكان صوفياً مزاحاً حضر عند واحد من أبناء الدنيا على

القوت: نتوقع بعدها الألوان أو حملاً أو جدياً قال: **(فجاء بالطست)** أي لغسل الأيادي **(ولم يقدم غيرها، فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الجماعة)** ولفظ القوت: فقال لي بعض الشيوخ، **(وكان مزاحاً)** أي ممن يحب المزاح والفكاهة في الحديث: **(إن الله تعالى يقدر أن يخلق رؤساً بلا أبدان. قال: وبتنا تلك الليلة جياعاً نطلب فتيتاً للسحور)**. ولفظ القوت: فبتنا تلك الليلة جياعاً وطلب بعضنا في آخر الليل خبزاً وفتيتاً للسحور، **(فلهذا يستحب أن يحضر الجميع)** من الألوان جملة واحدة **(أو يخبر)** هم **(بما عنده)** من الألوان.

(الرابع: أن لايبادر إلى رفع الألوان) كما يفعله المترفهون يأخذون من كل لون لقمة أو لقمتين ويرفعونه بسرعة، **(بل يمكن الحاضرين من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها)** أي عن الألوان، **(فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما سيحضره أو بقي فيه حاجة للأكل فينغص عليه بالمبادرة)**. ولفظ القوت: وينبغي أن يمكنهم من تبقية الألوان ولا يرفعها حتى يرفعوا أيديهم، فإنه من الأدب والمعروف، ولعل فيهم ما يكون عنده مما قدم أشهى إليه مما يقدم بعد، وقد يكون فيهم من به حاجة إلى فضل أكل فينغص عليه برفعه قبل أن يستوفي ما في نفسه اهـ.

زاد المصنف: **(وهو من التمكن على المائدة الذي يقال إنه خير من)** زيادة **(لونين)** وقد تقدم نقل هذا القول قريباً. قال: **(ويحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال، ويحتمل أن يراد به سعة المكان)** فهذه ثلاثة أوجه في معنى التمكن، والوجه الأوّل هو الأقرب، والوجه الأخير يحتمل أن يكون على حقيقته أي فيجلسهم في موضع واحد، أو المراد به عدم التزاحم على المائدة بكثرة الأيدي فيشوش خاطرهم.

(حكي عن) أبي عبد الله **(الستوري)** بضم السين المهملة جمع ستر، وهذه النسبة لمن يحفظ الأستار بأبواب الملوك ولمن يحمل أستار الكعبة، **(وكان صوفياً مزّاحاً)** ترجمه صاحب الحلية، وفي المحدثين ممن عرف بهذه النسبة رجلان: أبو الحسن علي بن الفضل بن إدريس بن الحسن بن

مائدة فقدَّم إليهم حملاً ـ وكان في صاحب المائدة بخل ـ فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال: يا غلام ارفع إلى الصبيان، فرفع الحمل إلى داخل الدار فقام الستوري يعدو خلف الحمل فقيل له: إلى أين؟ فقال: آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل. ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فإنهم يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم أكلاً. كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام وأكل وقال: بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم. وكان السلف يستحسنون ذلك منه.

الخامس: أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص في المروءة،

محمد السامري، وعبد العزيز بن محمد بن نصر الستوريان. الأوّل حدث عن الحسن بن عرفة، والثاني عن إسماعيل الصفَّار، والمذكور هنا رجل آخر غيرهما. ولفظ القوت: حدثني بعض أصحابنا عن الستوري وكان صوفياً أنه (**حضر عند بعض أبناء الدنيا على مائدة**) قد (**قدم عليها حملاً**) وهو بالتحريك ولد الضأن في السنة الأولى، والجمع حملان بالضم، (**وكان في صاحب المائدة بخل**) فجعلوا يأكلونه، (**فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره**) من بخله (**وقال: يا غلام ارفع إلى الصبيان فرفع الغلام الحمل إلى داخل الدار فقام الستوري**) رحمه الله تعالى (**يعدو خلف الحمل فقيل له: إلى أين**)؟ ولفظ القوت: فقال صاحب الدار إلى أين أبا عبد الله؟ (**فقال**): أمرُّ (**آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وردَّ الحمل**) أمر برده حتى استوفوا منه، (**ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم**) حتى يرفعوا أيديهم، وقد ورد في ذلك خبر تقدم ذكره (**لأنهم يستحيون**) فلا يستوفون أكلهم، (**بل ينبغي أن يكون**) صاحب المائدة (**آخرهم**) رفعاً و (**أكلاً. كان بعض الكرام**) من الأجواد يأمر خبازه أن (**يخبر القوم بجميع الألوان**) الذي عنده من الطعام. قال الراوي: فسألت بعض جلسائه لم يفعل هذا فقال ليستبقي الرجل منهم نفسه لما يشتهي من الألوان. قال: (**ويتركهم**) يأكلون حتى (**يستوفوا فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومدَّ يده إلى الطعام وأكل، وقال**) لهم: (**بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم**) حكاه صاحب القوت قال: (**وكان السلف يستحسنون ذلك منه**) لما فيه من أخبار الألوان وتمكينهم من المائدة وهما وصفان حسنان، وكأن صاحب القوت عنى ببعض الكرام من الأجواد عبد الله بن عامر بن كريز فقد قرأت في روح المجالس لمحمد بن عبد الكريم السمرقندي قال فيه، وكان إذا أراد عبد الله ان يتغذى أمر بوضع المائدة وقال: كلوا وتشاغل هو حتى يقرب فراغ أصحابه، ثم يتقدم إلى المائدة فيقول: استقبلوا الأكل فلا يقوم أحد إلاَّ كظيظاً. وقال ابن عائشة: كان يحتاج لمائدة عبد الله في كل يوم عشرة أجربة طعام بما يتبعها من اللحم والحلوى وغير ذلك.

(**الخامس: أن يقدم من الطعام**) إليهم (**قدر**) الحاجة إليه و(**الكفاية فإن التقليل عن**

والزيادة عليه تصنع ومراءاة. لا سيما إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع، ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم إذ في الحديث أنه لا يحاسب عليه. أحضر ابراهيم بن أدهم رحمه الله طعاماً كثيراً على مائدته فقال له سفيان: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفاً؟ فقال ابراهيم: ليس في الطعام سرف. فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نهينا أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه، وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة. ومن

الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراءاة) ولفظ القوت: ولا ينبغي أن يقدم إلا ما يجب أن يأكلوه من كل شيء ومقدار الحاجة والكفاية من المأكول فيجمع بين السّنة والفضيلة. وقال في موضع آخر: وأكره ان يقدم من الطعام إلا ما يريد أن يأكل ولا يترك منه شيء ولا يستثني هو ولا أهل البيت في أنفسهم رجوع شيء منه، وإلاّ كان ما يقدمه مما ينوي رجوع بعضه أو لا يحب أكل كله تصنعاً ومباهاة اهـ.

(لا سيما إذا كان لا تسمح نفسه بأن يأكلوا الكل) مما أحضره **(إلا أن يقدم الكثير)** بنية حسنة **(وهو طيب النفس)** لا يستثني رجوع شيء منه. **(لو أخذوا الجميع)** منه **(ونوى أن يتبرك بفضيلة طعامهم إذ في الحديث أنه لا يحاسب عليه)** كما تقدم قريباً.

يحكى أنه **(أحضر)** أبو إسحاق **(ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى طعاماً كثيراً على مائدته)** وكان قد دعا سفيان الثوري والإوزاعي في جماعة من الأصحاب **(فقال له سفيان: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا إسرافاً؟ فقال ابراهيم: ليس في الطعام إسراف)** نقله صاحب القوت بلفظ: وروينا أن سفيان الثوري دعا إبراهيم بن أدهم وأصحابه إلى طعام فقصروا في الأكل، فلما رفع الطعام قال له الثوري: إنك قصرت في الأكل، فقال ابراهيم: لأنك قصرت في الطعام فقصرنا في الأكل. قال: ودعا إبراهيم الثوري أصحابه على طعام فاكثر منه فقال له سفيان يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا إسرافاً؟ فقال ابراهيم: ليس في الطعام سرف. وفي رواية أخرى زيادة: إنما الإسراف في الأثاث واللباس. قال: وهذا روي عن سيرة السلف، **(فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف)** ومباهاة، وقد نهي عن كل منهما، أما التكلف فقد تقدم ما ورد فيه.

وأما المباهاة فقد **(قال ابن مسعود رضي الله عنه: نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه)** رواه صاحب القوت أي يفاخر بطعامه أقرانه ليكون أكثرهم إطعاماً ويرى منه ذلك، **(و)** قد كره جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم **(أكل طعام المباهاة)** والمباراة، فإن علم بذلك من قدم إليه ذلك الطعام لا يستحب له في الورع أن يأكل منه لأن المأكول إذا قدم ليؤكل بعضه ويرجع أكثره فهو تصنع وتزيين فلا يأكل المتقون من هذا لأنه لا يدري كم مقدار ما يحبون أن يأكلوا منه، وطعام المباهاة مكروه لمن يقدمه بهذه النية إلى إخوانه لأنه قد عرضهم لتناول ما

ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله ﷺ فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع . وينبغي أن يعزل أولاً نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم. وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالإذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به فإن كان يظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ ، وإذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع

يكرهون، وقد دلّس عليهم ما لا يعلمون، وأيضاً فإنه شيء قد قدمه لأجل الله تعالى، فلا يصح أن يستثنى ارتجاع شيء منه بمنزلة من يخرج الرغيف أو الشيء للسائل فيجده قد انصرف فيكره أن يرجع فيه فيأكله، وقالوا: يعزله حتى يأتي سائل آخر فيدفعه إليه، (**ولهذا كان لا يرفع من بين يدي رسول الله ﷺ فضلة طعام قط**) . ولفظ القوت: ما رفع من بين يدي رسول الله ﷺ الخ قال: وذلك (**لأنهم كانوا**) مخلصين في كل شيء (**لا يقدمون إلا**) كفايتهم و (**قدر الحاجة ولا يأكلون**) إلا بعد رجوعهم، وإذا أكلوا لم يأكلوا (**تمام الشبع**) ولا يتركون الأكل وفي نفوسهم منه شيء. (**وينبغي أن يعزل أولاً نصيب أهل البيت**) من الطعام قبل تقديمه إلى أخوانه (**حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه**) ولا تحدث به نفوسهم فإنه مكروه لهم، (**فلعله**) أن (**لا يرجع**) منه شيء فيكون ذلك إخراجاً من الآكلين ومنقصة لهم، (**فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم، ويكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم**) وهذا عليهم أشد من إكرامهم بالطعام وما كان مضراً بالأهل يكون مضيعاً للأصل، (**وما بقي من الأطعمة**) بعد الفراغ من الأكل (**فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة**) بفتح الزاي وتضم. قال الليث: هي في الأصل الصنيعة إلى الناس. يقال: أتخذ فلان زلة وهي أيضاً لما تحمل من مائدة صديقك أو قريبك عراقية اشتق ذلك من الصنيع إلى الناس اهـ.

وعن ابن شميل: كنا في زلة فلان أي في عرسه، وقال أبو عمرو: وأزللت له زلة ولا يقال زللت، وجوز صاحب القاموس أنها مولدة تكلمت بها عامة العراقيين، وقد بينت ذلك في شرحي على القاموس، وذكرها الخفاجي في بعض مؤلفاته واعتمد على أنها مولدة، وأهل الحجاز يسمون ما يؤخذ من رؤوس الأموال لامرائهم زالة وهو من ذلك (**إلا إذا صرح صاحب الطعام بالإذن فيه**) لهم أن يأخذوه (**عن قلب راض**) وصدر منشرح، (**أو علم ذلك بقرينة حاله**) ولو لم يأذن فيه باللسان (**و**) علم (**أنه يفرح به**) فلا بأس بأخذه، (**فإن كان يظن كراهته**

الرفقاء، فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء.

(فأما) الإنصراف فله ثلاثة آداب.

الأوّل: أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنّة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه قال عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، وقال عليه السلام: «إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار» قال أبو قتادة: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: «كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن

فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه) بأخذه **(فينبغي)** للآخذ **(مراعاة)** وصف **(العدل والنصفة)** محركة بمعنى الانصاف **(مع الرفقاء)** الحاضرين، **(فلا ينبغي أن يأخذ الواحد)** منه **(إلا ما يخصه أو ما يرضي به رفيقه عن طوع)** نفس **(لا عن حياء)** وانقباض. وكان بعض أهل الحديث إذا أكل مع إخوانه ترك من الرغيف فوق رغيف يعزله معه. وكان سيار بن حاتم إذا حضر على مائدة أكل لقيمات ثم يقول: اعزلوا نصيبي، وأكل ذات يوم على مائدة في جماعة فلما جاءت الحلوى نزع قلنسوته ثم قال: اجعلوا سهمي في هذه. نقله صاحب القوت، وهذا وأمثاله إذا فعله أحد في زماننا لعد منقصة في الدين والمروءة.

(فأما الإنصراف) بعد الفراغ **(فله آداب ثلاثة:**

الأول: أن يخرج) صاحب الدعوة **(مع الضيف إلى باب الدار)** إن أمكنه وإلاَّ فإلى باب مجلسه، **(وذلك)** معدود **(من إكرام الضيف، وقد أمر)** الداعي **(باكرامه. قال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»)** تقدم الكلام عليه قريباً، فكل ما يعد إكراماً له فهو داخل في عموم هذا الخبر. **(وقال ﷺ: «إن من سنّة الضيف أن يشيّع إلى باب الدار»)** يعني المحل الذي أتاه فيه داراً كان أو خلوة أو معبداً إيناساً وإكراماً له لينصرف طيب النفس، ويشبه أن يكون المراد بالضيف ما يشمل الزائر ونحوه وإن لم يقدم له ضيافة. رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ «إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار» واسناده ضعيف على ما قال البيهقي لأن فيه علي بن عروة وهو متروك.

(قال أبو قتادة) الحرث بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه فارس رسول الله ﷺ **(قدم وفد النجاشي)** ملك الحبشة وإسمه أصحمة **(على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه)** من غير استعانة بأحد **(فقال له الصحابة: نحن نكفيك يا رسول الله فيهم)** أي في القيام بمؤونة خدمتهم، **(فقال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين)** إذ كانوا عندهم في الهجرة **(وأنا أحب أن أكافئهم»)** وتقدم أن تولي خدمة الضيف بنفسه أحد معاني قوله تعالى ﴿ضيف ابراهيم

أكافئهم» وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة. قيل للاوزاعي رضي الله عنه: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث. وقال يزيد بن أبي زياد: ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى الا حدثنا حديثاً حسناً وأطعمنا طعاماً حسناً.

الثاني: أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير، **فذلك** من حسن الخلق والتواضع. قال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم

المكرمين﴾ **(وتمام الإكرام طلاقة الوجه)** وحسن الإقبال عليه **(وطيب الحديث)** ولينه **(عند الدخول)** بالتلقي **(و)** عند **(الخروج وعلى المائدة)** فهذه المواضع الثلاثة فيها يتم اكرام الضيف بما ذكره.

(قيل للاوزاعي) عبد الرحمن بن عمر الدمشقي الفقيه، والأوزاع قبائل متفرقة من حمير **(ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الكلام)** أي فهما ينبئان عن المرؤة وصدق الإخلاص.

(قال يزيد بن أبي زياد) الكوفي مولى بني هاشم، روى عن مولاه عبد الله بن الحرث بن نوفل وأبي حجيفة وابن أبي ليلى، وعنه زائدة وابن ادريس. عالم صدوق. مات سنة ١٣٧: **(ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى)** الانصاري المدني. روى عن أبيه وعمر ومعاذ، وعنه ابنه عيسى، وبه كني وحفيده عبد الله وثابت وكان اصحابه يعظمونه كأنه أمير **(إلا حدثنا حديثاً حسناً وأطعمنا طعاماً حسناً)**.

وروى المزي في ترجمته من التهذيب عن يزيد بن أبي زياد قال، قال لي مولاي عبد الله بن الحرث بن نوفل: اجمع بيني وبين عبد الرحمن بن أبي ليلى فجمعت بينهما فقال عبد الله: ما ظننت أن النساء ولدت مثل هذا. روى له الجماعة، ومات في وقعة الجماجم سنة ٨٣. وقد علم من سياقه أن الإحسان في الطعام مطلوب أيضاً كالإحسان في الكلام وكلاهما معدود في إكرام الضيف، ومن هنا قال القائل

صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

وقال:

بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف بمن يعطي القرى وهو يضحك

(الثاني: أن ينصرف الضيف) وهو **(طيب النفس)** منشرح الصدر **(وإن جرى في حقه تقصير)** عن واجب إكرامه، **(فذلك من حسن الخلق والتواضع)** وهو معنى ما **(قال ﷺ «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»)** نقله صاحب القوت، وقال عن بعضهم: هو الرجل يسأل أخوانه أن يفطر معهم نهاراً ويسهر معهم ليلاً، ويكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم تخلقاً معهم فيدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم اهـ.

القائم». ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل وقال: قد خرج القوم، فقال: هل بقي بقية؟ قال: لا، قال: فكسرة إن بقيت؟ قال: لم تبق، قال: فالقدر أمسحها؟ قال: قد غسلتها، فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال: قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية، فهذا هو معنى التواضع وحسن الْخُلق. وحكي أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي إلى دعوة أبيه أربع مرات فردّه الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطييباً لقلب الصبي بالحضور ولقلب الأب بالانصراف، فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد، وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها، فلا تنكسر بما يجري من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من

والحديث رواه الطبراني في الكبير عن أبي امامة، وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف بلفظ «درجة القائم بالليل الظامىء بالهواجر» ورواه أيضاً الحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرطهما، وأقره الذهبي في التلخيص.

(**ودعي بعض السلف برسول**) ولفظ القوت: وعمل بعض السلف صنيعاً فدعا رجلاً (**فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكان قد تفرقوا وخرجوا**) ولفظ القوت بعد الرسول: ثم أعلم وقد انصرف الناس عنده فقصد منزله فدق عليه الباب، (**فخرج إليه صاحب المنزل وقال**): هل من حاجة؟ قال: إنك دعوتني فلم يتفق ذلك، فقد جئت الآن لما أعلمت، فقال: (**خرج القوم**) أي انصرف الناس، (**فقال: هل بقي بقية**) ولفظ القوت: فهل بقيت منهم بقية؟ (**قال: لا. قال: فكسرة إن بقيت قال: لم يبق**) شيء (**قال: القدور أمسحها. قال: قد غسلناها فانصرف بحمد الله تعالى، فقيل له في**) مسألته عن (**ذلك. فقال: قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق و**) نفس هذا في الضعة والذلة وسقوطها من مراتب الأنفة تشبه بما (**حكي أن**) ابن الكرنبي (**استاذ أبي القاسم الجنيد**) بن محمد البغدادي رحمه الله تعالى (**دعاه صبي**) صغير السن (**إلى دعوة**) أبيه (**أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع**) في دعوة واحدة، (**وهو يرجع في كل مرة تطييباً لقلب الصبي في الحضور ولقلب الأب في الإنصراف، فهذه نفوس**) مشاهدة للبلوى من المولى (**قد ذللت بالتواضع لله عز وجل فاطمأنت بالتوحيد**) موضوعة على الصفة (**وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجري من العباد من إذلال**) ورد (**كما لا تستبشر بما يجري منهم من إكرام**) وقبول، (**بل يرون الكل من الواحد القهار**) وصاحب هذه النفس مقامه المشاهدة في التوحيد وهي طريق مفرد لإفراد وحال

الاكرام بل يرون الكل من الواحد القهار. ولذلك قال بعضهم: أنا لا أجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤونته وحسابه.

الثالث: أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة، وإذا نزل ضيفاً فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج إلى اخراجه. قال ﷺ: «الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة». نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله

مجدد لآحاد **(ولذلك قال بعضهم)** أي من أهل البصيرة: **(إنا لا نجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة)** وفي القوت نعيم الجنة ينقل بلا كلفة ولا مؤنة. **(أي هو طعام يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه)** أما الكد فلأنه ينقل بلا مشقة، وأما المؤنة فهي على الداعي، وأما الحساب فقد تقدم أن ما أكل مع الإخوان على المائدة لا يحاسب عليه، ونظر هذا القائل نظر الإعتبار وطريق أولي الأبصار.

(الثالث: أن لا يخرج) الضيف **(إلا برضا صاحب المنزل وإذنه)** قالوا: إن الضيف في حكم المضيف **(ويراعي قلبه في قدر الإقامة)** فإن وجده طيب النفس سمحاً بالزاد واسع المكان قليل الملل أطال في الإقامة ولا بأس، **(وإذا نزل ضيفاً فلا يزيد على ثلاثة أيام)** بلياليها، **(فربما يتبرم به)** أي يتضجر **(ويحتاج إلى إحراجه)** أي إيقاعه في الحرج، وفي بعض النسخ إلى اخراجه بالخاء المعجمة، ولفظ القوت: وليس من السنة أن يقيم للضيافة فوق ثلاثة أيام حتى يحرجه ويتبرم به بأثر في ذلك اهـ.

(قال رسول الله ﷺ: «الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة») يعني إذا نزل به ضيف فحقه أن يضيفه ثلاثة أيام بلياليها يتحفه في الأول ويقدم له في الآخرين ما حضر وجرت به عادته من غير كلفة ولا إضرار بمؤنة شرط أن يفضل عنهم وفيه عموم يشمل الغني والفقير والمسلم والكافر والبر والفاجر، والجمع بينه وبين الخبر الذي تقدم: «لا يأكل طعامك إلا تقي» فالمراد غير الضيافة مما هو أعلى في الإكرام من مؤاكلتك معه واتحافك إياه بالظرف واللطف، وإذا كان الكافر يرعى حق جواره فالمسلم الفاسق أولى، وإذا لم يجد فاضلاً عن مؤنة من يمونه فلا ضيافة عليه بل ليس له ذلك، وأما خبر الأنصاري المشهور الذي أثنى الله ورسوله عليه وعلى امرأته بإيثارهما الضيف على أنفسهما وصبيانهما حيث نومتهم أمهم بأمر حتى أكل الضيف فأجيب عما اقتضاه ظاهره من تقديمها على ما يحتاجه الصبيان بأن الضيافة مقدمة لتأكدها، والإختلاف في وجوبها، وبأن الصبية لم تشتد حاجتهم للأكل، وإنما خافا إن الطعام لو قدم للضيف وهم مستيقظون لم يصبروا على عدم الأكل منه، وإن لم يكونوا جياعاً.

والحديث رواه البخاري عن أبي شريح الكعبي، وأحمد وأبو داود عن أبي هريرة بلفظ: «فما كان وراء ذلك فهو صدقة» ولا يقال قضية جعله ما زاد على الثلاث صدقة إن ما قبلها واجب لأنا نقول إنما سماه صدقة للتنفير عنه. إذ كثير من الناس سيما الأغنياء يأنفون من أكل الصدقة.

المقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل. قال رسول الله ﷺ : « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان ».

ورواه بلفظ المصنف أحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد، والبزار عن ابن عمر، والطبراني في الأوسط عن ابن عباس، وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف وقول العراقي أنه متفق عليه من حديث أبي شريح كأنه يريد معناه لا لفظه. ورواه البزار أيضاً من حديث ابن مسعود بزيادة وكل معروف صدقة ورجال إسناده ثقات.

وروى الباوردي وابن قانع والطبراني في الكبير والضياء في المختارة من حديث الثلب بن ربيعة رضي الله عنه بلفظ: « الضيافة ثلاث ليال حق لازم فما في سوى ذلك فهو صدقة » قال المنذري: إسناده فيه نظر، وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفه، وقد أخذ بظاهره أحمد فأوجبها، وحمله الجمهور على أنه كان ذلك في صدر الإسلام ثم نسخ أو أن الكلام في أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المار، أو في المضطرين أو مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الزكاة من جهة الإمام.

ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا في قرى الضيف عن أبي هريرة بلفظ المصنف بزيادة: « وعلى الضيف أن يتحول بعد ثلاثة أيام » وعند الطبراني في الكبير من حديث طارق بن أشيم بلفظ: « فما كان فوق ذلك فهو معروف ».

(**نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب**) وانشراح صدر وطيب نفس بقرائن دلت على ذلك (**فله المقام**) أي الإقامة (**إذ ذاك**) بلا خطر فيه، (**ويستحب أن يكون عنده**) أي المضيف (**فراش للضيف النازل**) عليه بما اعتاده أهل بلده من وطاء ووسادة وغطاء، فهذه الثلاثة لا بد من ذلك. لا سيما في أيام الشتاء، وأن يكون الموضع كناً يأوي إليه من البرد ولا يبيت الضيف يريه نجوم السماء، ولذا قال الشعراوي قدس سره في المواثيق والعهود: عهد إلينا مشايخنا أن لا نضيف أحداً في ليالي الشتاء، وذلك لما يحصل لرب المنزل من تبييته عنده في ليالي الشتاء من الحرج والمشقة من قبل الفرش والغطاء، فربما لا يكون عنده فراش زائد عن أهله وعياله، وربما يؤثر بفراش عياله للضيف فيبردون وهذا حرج، وإنما قلنا بما اعتاده أهل بلده وبحسب الوقت، فإن الفراش له لوازم تختلف باختلاف البلدان، فإذا كان الوقت بارداً أو كان البيت مشرفاً على المواضع الندية أو قريباً من الأشجار فلا يخلو عن البعوض والبرغوث، فلا بد من كلة وهي المعروفة بالناموسية فوق الفرش تقيه من تلك المؤذيات، وهذا في الثغور كدمياط ورشيد مشاهد لا يستطيع أحد أن ينام بلا كلة ففيها حماية عن أذى الناموس وما في معناه من الهوام المؤذية وهكذا عامة بلاد مصر، ولكن في أوقات مخصوصة تكثر فيها تلك الهوام. وفي البلاد الحجازية لا يحتاج الضيف إلى كبير مؤنة في الفراش لأن الغالب على تلك البلاد الحر، وكذلك سائر تهامة اليمن ما عدا نجودها فإنهم فيها يحتاجون إلى الكلة لدفع أذى البرغوث واستغنوا عنها بفلقتين من الملاءة يخيطان، فإذا أراد أحدهم أن ينام قلع ما عليه من ثيابه ودخل فيها ثم يربط على فمها بخيط

فصل

يجمع آداباً ومناهي طبية وشرعية متفرقة

الأول: حكي عن ابراهيم النخعي أنه قال: الأكل في السوق دناءة، وأسند إلى رسول

يشده فيأمن من الأذى، وهذا أقرب إلى سيرة السلف من استعمال الكلة فإنها تذكّره الكفن ومبيته في قبره فلا يغلب عليه سلطان النوم.

(قال ﷺ: « فراش للرجل وفراش للمرأة) كذا في النسخ والرواية لامرأته **(وفراش للضيف)** قال الطيبي: فراش مبتدأ مخصصه محذوف يدل عليه قوله **(والرابع للشيطان »)** أي فراش واحد كاف للرجل، وفراش واحد كاف للمرأة، وفراش واحد كاف للضيف، والرابع زائد على الحاجة وسرف واتخاذه مماثل لعرض الدنيا وزخارفها فهو للمباهاة والإختيال والكبر، وذلك مذموم مضاف إلى الشيطان لأنه يرتضيه ويحث عليه، فكأنه له أو هو على ظاهره وأن الشيطان يبيت عليه ويقيل، وفيه جواز اتخاذ الإنسان من الفرش والآلات ما يحتاجه ويترفه به.

قال القرطبي: وهذا الحديث إنما جاء مبيناً ما يجوز للإنسان أن يتوسع فيه ويترفه به من الفرش لا أن الأفضل أن يكون له فراش يختص به، ولإمرأته فراش فقد كان ﷺ ليس له إلا فراش واحد في بيت عائشة وكانا ينامان عليه ويجلسان عليه نهاراً، وأما فراش الضيف فيتعين للمضيف إعداده لأنه من إكرامه والقيام بحقه لأنه لا يتأتى له شرعاً الاضطجاع ولا النوم معه، وأهله على فراش واحد. ومقصود الحديث أن الرجل إذا اراد أن يتوسع في الفرش فغايته ثلاث، والرابع لا يحتاجه فهو سرف وفقه الحديث ترك الإكثار من الآلات والأشياء المباحة والترفه بها، وأن يقتصر على حاجته، ونسبة الرابع للشيطان ذم له ولا يدل على تحريم إتخاذه، وإنما هو من قبيل خبر أن الشيطان يستحل الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه ولا يدل ذلك على تحريمه فكذا الفراش اهـ.

قيل: وفي الحديث أنه لا يلزمه المبيت مع زوجته بفراش ورد بأن النوم معها وإن لم يجب لكن علم من أدلة أخرى أنه أولى حيث لا عذر لمواظبة النبي ﷺ عليه، والحديث أخرجه أحمد ومسلم في اللباس، وأبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فصل

يجمع آداباً ومناهي طبية وشرعية:

من أخبار وآثار جاءت **(متفرقة)** منثورة في الأطعمة والأكل من بين نقص وفضل هي طرائق السلف الصالح وصنائع العرب لم تكن ذكرت في تضاعيف الكلام السابق وقد نقلت من كلام القدماء.

(الأول: حكي عن إبراهيم) بن يزيد **(النخعي)** رحمه الله تعالى وهو من كبار التابعين

الله ﷺ وإسناده غريب. وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا

(أنه قال: الأكل في السوق دناءة) أي لؤم وخبث قاله السرقسطي، **(وأسند هذا إلى رسول الله ﷺ، وإسناده غريب)** تبع المصنف في سياقه صاحب القوت ولفظه: وفي خبر سعيد بن لقمان عن عبد الرحمن الأنصاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأكل في السوق دناءة» ثم قال: هذا غريب مسنده، وليس بذلك الصحيح إنه من قول التابعين إبراهيم النخعي ومن دونه اهـ.

قلت: روي من حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي أمامة، والذي أشار إليه صاحب القوت، فقد أخرجه ابن عدي في الكامل فقال: حدثنا القاسم بن زكريا، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا محمد ابن الفرات، حدثني سعيد بن لقمان فساقه. قال ابن الجوزي بعد إيراده إياه من طريق ابن عدي: لا يصح محمد بن الفرات كذاب، وله طريق أخرى عند الخطيب في التاريخ قال: أنبأنا محمد بن علي ابن يعقوب، حدثنا أبو زرعة أحمد بن الحسين، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن خربان الصفار، حدثنا أبو بشر الهيثم بن سهل، حدثنا مالك بن سعيد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. قال ابن الجوزي: الهيثم ضعيف.

وأما حديث أبي أمامة فروي من طريقين. إحداهما: قال ابن عدي في الكامل سمعت عمران السجستاني يقول: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا بقية، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة رفعه «الأكل في السوق دناءة» قال ابن الجوزي: القاسم وجعفر مجروحان.

والثانية قال العقيلي في الضعفاء: حدثنا أحمد بن داود، حدثنا محمد بن سليمان الوني، حدثنا بقية، عن عمر بن موسى الوجيهي، عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً مثله. قال ابن الجوزي: الوجيهي كذاب. قال العقيلي: لا يثبت في هذا الباب شيء.

قلت: بل ثبت فيه حديث أبي هريرة وهو الذي أوردناه من طريق الخطيب وهو أمثلها، وغاية ما يقال فيه أنه ضعيف لضعف الهيثم، فقد قال الدارقطني: الهيثم بن سهل التستري ضعيف اهـ.

وما رأيت أحداً وصفه بالكذب ففي ايراد ابن الجوزي إياه في الموضوعات مناقش فيه، وكذا قول المصنف تبعاً لصاحب القوت أنه من قول إبراهيم النخعي ليس بصحيح، وإن كان سمع منه، فمن باب الرواية لا أنه من أقواله، وقول صاحب القوت: وليس بذاك يشير إلى أن الراوي عن سعيد بن لقمان وهو محمد بن الفرات كذاب كما تقدم، وهو قول أحمد وأبي بكر بن أبي شيبة. وقال الدارقطني: ليس بالقوي، وقد يقال أنه روي عن أبي داود صاحب السنن أنه سئل عنه فقال: روي عن محارب بن دثار أحاديث موضوعة، وهذا الحديث ليس من روايته عن محارب فلا يدخل في خبر الموضوع، فقد يكون الراوي قد تكلم في روايته عن أشخاص خاصة مع أنه له أحاديث عن غيره تكون صالحة، وهذا دقيق جداً وتمييزه صعب، ولما ذكرناه اقتصر الحافظ العراقي في تخريج

نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام. ورؤي بعض المشايخ من المتصوّفة المعروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال: ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت، فقيل: تدخل المسجد؟ قال: أستحيي أن أدخل بيته للأكل فيه. ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص، فمن لا يليق ذلك

هذا الكتاب على تضعيف هذا الحديث ولم يحكم بوضعه فقال: رواه الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف، ورواه ابن عدي في الكامل من حديثه وحديث أبي هريرة اهـ.

(وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام) هكذا رواه صاحب القوت، قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن حبان اهـ.

أي فدل ذلك على جواز الأكل في السوق، وهذا عندي فيه نظر إذ غايته أنه أخبر أنهم كانوا يأكلون وهم يمشون ويشربون وهم قيام ولا ينكر عليهم في فعلهم ذاك منكر. أي: فليس الأكل ماشياً والشرب قائماً منكراً، بل هو معروف إذ لو كان منكراً لما سكت عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وليس في هذا ما يدل على جواز الأكل في السوق إلا من طريق العموم، وإلا فليس كل مشي مشياً إلى السوق إذ يحتمل أنه يأكل وهو يمشي في بيته إلى المسجد أو غير ذلك، ويصدق على ما إذا كان يمشي وهو في بيته خطوات من غير أن يخرج من بابه على أنه ليس كل طريق سوقاً إنما السوق موضع البيع والشراء، والأخذ والعطاء والتجارات والأرباح، فلا يكون ضداً لحديث أبي هريرة السابق فتأمل ذلك. وفي قوله: «ونشرب ونحن قيام» إشارة إلى جواز الشرب قياماً وسبق النهي عنه: «وإن الكباد منه» وسبق كذلك الجمع بينهما فراجعه.

(ورؤي بعض المشايخ المتصوفة المعروفين يأكل في السوق) ولفظ القوت: ورؤي بعض الصوفية يمشي في السوق وهو يأكل وكان ممن يشار إليه **(فقيل له في ذلك. فقال: ويحك أجوع في السوق فآكل في البيت)** ولفظ القوت فقلت له: يرحمك الله تأكل في السوق، فقال: عافاك الله فإذا جعت في السوق فآكل في البيت، **(فقيل: تدخل المسجد. فقال: أستحي منه أن أدخل بيته للأكل)** ولفظ القوت: قلت فلو دخلت بعض المساجد قال أستحيي الخ، ثم قال صاحب القوت: هذا لأنه رأى الأكل من أبواب الدنيا فدخل في طريقها، كما قيل: الأسواق موائد الآباق أبقوا من الخدمة فجلسوا في الأسواق.

وقال المصنف: **(ووجه الجمع)** بين الحديثين **(أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس وهو حسن)** عنده محبوب لديه، ففي الخبر: «أنا وأمتي برآء من التكلف» **فإذا** كان بهذه النية فليس بدناءة والأعمال إنما تتميز بنياتها **(و)** هو بعينه **(خرق)** حجاب **(مروءة من بعض)** الناس **(فهو مكروه)** عنده **(ويختلف ذلك بعادات البلاد)** ففي مدينة الروم العظمى

بسابق أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة، ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعاً.

الثاني: قال علي رضي الله عنه: من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من

وصنعاء اليمن يفعلون ذلك من غير كراهة، وفي عامة البلاد يكرهونه، **(و)** يختلف أيضاً باختلاف **(أحوال الأشخاص)** فمنهم من لا ينظر إليه في ذلك إذا فعل ومن هذا القسم الملازمون للأسواق طول النهار برسم البيع والشراء، فربما يكون بين بيته والسوق مسافة بعيدة فيقتصر على الأكل في السوق ولا يأتي منزله إلا آخر النهار، فمثل هؤلاء يباح لهم ذلك ضرورة. وأما من لم تكن له عادة في الخروج إلى السوق ولا في الجلوس بالحوانيت فلا أرى لمثله أن يختار لنفسه الأكل والشرب في السوق، ولو جاع أو عطش بل يصبر حتى يأتي منزله ولا ضرورة يضطر إليها. وإلى هذا التفصيل أشار المصنف بقوله: **(فمن لا يليق ذلك بسابق أعماله)** أي لم يكن ممن سبق له العمل بذلك **(حمل ذلك على قلة المروءة)** وسقوطها ودناءة الهمة **(وفرط الشره)** والحرص **(ويقدح ذلك في الشهادة)** والتزكية والعدالة، **(ومن يليق ذلك بجميع أفعاله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعاً)** وهضماً للنفس ولا يسقط مقامه بذلك لصدقه في نيته وحسن إخلاصه، ثم إن هذا الذي ذكره المصنف من الأكل في السوق جوازاً ومنعاً هو أدب شرعي لا مدخل للأطباء فيه، وقد يكون له مدخل في النهي عن الأكل ماشياً وعن الشرب قائماً أما الشرب قائماً فقد تقدم أنه منهي شرعاً وطباً وأما الأكل ماشياً فيقولون: إن المعدة لا تتهيأ لتلقي الطعام في حالة المشي فينهون عنه في تلك الحالة. نعم يأمرون بالحركة بعد استقرار الطعام في الجوف كما سيأتي.

(الثاني: قال) أمير المؤمنين **(علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من ابتدأ طعامه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء)**. ولفظ القوت: وعن جويبر، عن الضحاك، عن النزال ابن سبرة، عن علي رضي الله عنه: من ابتدأ غداءه بالملح الخ.

قلت: أخرجه البيهقي في الشعب بلفظ القوت قال: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عيسى بن الأشعث، عن جويبر، عن الضحاك، عن النزال بن سبرة، عن علي قال: من ابتدأ غداءه بالملح فذكره. وروى ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، عن أبيه، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي رضي الله عنه مرفوعاً «يا علي عليك بالملح فإنه شفاء من سبعين داء الجذام والبرص والجنون» ثم قال: لا يصح والمتهم عبد الله بن أحمد الطائي وأبوه، فإنهما يرويان نسخة من أهل البيت كلها باطلة.

قال الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة، قال أبو عبد الله بن منده في كتاب أخبار أصبهان، أخبرنا عبد الله بن إبراهيم المقبري، حدثنا عمرو بن مسلم بن الزبير، حدثنا إبراهيم بن حبان بن

البلاء، ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه، ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم يرَ في جسده شيئاً يكرهه واللحم ينبت اللحم، والثريد

حنظلة بن عامر بن سويد، عن علقمة بن سعد بن معاذ، حدثني أبي عن أبيه عن جده مرفوعاً «استغنموا طعامكم بالملح فوالذي نفسي بيده إنه ليرد ثلاثاً وسبعين نوعاً من البلاء» أو قال «من الداء» اهـ.

(و) بالسند السابق في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(من أكل كل يوم سبع تمرات عجوة)**[1] منصوب على أنه صفة أو عطف بيان لتمرات **(قتلت كل دابة في بطنه)** ولفظ القوت: ومن أكل يوماً والباقي سواء. قال الزمخشري في الفائق: العجوة تمر بالمدينة من غرس رسول الله ﷺ، وظاهر قول أمير المؤمنين خصوصية عجوة المدينة، وقيل: أراد العموم. وقال السيد السمهودي في تاريخ المدنية لم يزل الناس على التبرك بالعجوة وهو النوع المعروف الذي يؤثره الخلف عن السلف بالمدينة ولا يرتابون في تسميته بالعجوة اهـ.

وقد روي عن بريدة مرفوعاً «العجوة من فاكهة الجنة» ويروى عن أبي هريرة وأبي سعيد وجابر وابن عباس رفعوه« العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم». وروى أحمد والشيخان وأبو داود من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رفعه «من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر». وقوله: «قتلت كل دابة في بطنه» أي لخاصية فيها كما أن من خواصها دفع السم والسحر، وهذه فائدة شرعية لا طبية فإن الحكماء لم يذكروا في خواص التمور قتل الديدان من البطن ولا دفع السم والسحر، وقد وجدت لقول علي شاهداً من حديث ابن عباس في المرفوع، ولكن لا ينهض للعدد فيه.

قال ابن عدي: حدثنا الحسين بن محمد بن عفير، أنبأنا شعيب بن سلمة، حدثنا عصمة بن محمد بن موسى بن عقبة عن كريب، عن ابن عباس رفعه «كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود».

قال ابن الجوزي: لا يصح عصمة كذاب، وتخصيص العدد أيضاً لخاصية فيه ليست في غيره من الأعداد لكون السبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه إذ العدد شفع ووتر والوتر أول وثان والشفع كذلك، فهذه أربع مراتب أول وثان ووتر أول وثان، ولا تجتمع هذه المراتب من أقل من سبعة وهي عدد كل جامع لمراتب العدد الأربعة الشفع والوتر والأوائل والثواني، والمراد بالوتر الأول الثلاثة وبالثاني الخمسة وبالشفع الأول الإثنين والثاني الأربعة وللأطباء اعتناء عظيم بالسبعة سيما في البحارين، وقال بقراط: كل شيء في هذا العلم مقدر على سبعة أجزاء وشرط الإنتفاع بهذا وما أشبهه حسن الإعتقاد وتلقيه بالقبول. والله أعلم.

(و) بالسند المتقدم إلى أمير المؤمنين في القوت قال: و**(من أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئاً يكرهه)** أي من الآلام والأمراض، والزبيب نسبة إلى العنب

(١) هكذا هو في الأصل ولعل الصواب مجرور أو منصوب على التمييز تأمل اهـ. ـ مصححه.

....

نسبة التين اليابس إلى الطري وهو أغذى من العنب ، وقيدها بالحمراء لكونها أجود أنواعها . لا سيما إذا كانت لحيمة مكثرة صادقة الحلاوة رقيقة القشر ، والأولى أن يؤكل بعد نزع عجمه وهو مقو للمعدة والكبد خصوصاً إذا أكل ومضغ جيداً بعجمه جيد لوجع الأمعاء ويخصب البدن ويسمن وله قوة ينفخ ويحلل تحليلاً معتدلاً .

وروى أبو نعيم في الطب النبوي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً : « عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة ويذهب بالبلغم ويشد العصب ويذهب بالعياء ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالهم » وتخصيصه بهذا العدد لأنه من ضرب سبعة في ثلاثة ، ولما كان أضعف غذاء من التمر روعي فيها تضعيف العدد ثلاثاً .

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال : **(واللحم ينبت اللحم)** أي أكله ينبت لحم الجسد ويسمن ، والمراد به مطلق اللحم من الضأن الحولي والفحولي والأجدية والدجاج والقبج والطبهوج والدراج والأوز وفراخ الحمام النواهض ، ثم إن اللحوم أقوى أنواع الأغذية قريب الإستحالة إلى الدم ، ولذلك صارت الحيوانات التي تغتذي منها أقوى وأشد صولة وقهراً لما يغالبه ، وكذلك الأمم التي جرت عادتهم من الإستكثار غير أن هضمها يصعب إلا على من كانت القوة الهاضمة منه قوية وهي من أغذية الأصحاء الأقوياء أصحاب الكد والتعب ، ولا يحتمل إدمانها غيرهم لأنها يتولد منها دم منتن صحيح كثير ، وذلك لأن اللحم متولد من الدم وهو دم ، وإذا قدرت القوة الهاضمة على استمرائه عاد أكثره دماً وقلت الفضلة اليابسة التي تخرج منه لأن عامة ما في اللحم يصير غذاء بخلاف الحبوب ، ولذلك قيل : إن اللحم ينبت اللحم وإن اللحم أقل الطعام نجواً . وقد روي هذا مرفوعاً .

قال الديلمي في مسند الفردوس : أخبرنا أبي أخبرنا أبو إسحاق الرازي ، حدثنا محمد بن أحمد الحافظ ببخارى ، حدثنا خلف الخيام ، حدثنا أبو بكر محمد بن سعيد بن عامر ، حدثنا رجاء بن مقاتل ، حدثنا سليمان بن عمرو النخعي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه عن علي رفعه « اللحم ينبت اللحم ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه » سليمان النخعي كذاب .

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال : **(الثريد طعام العرب)** الثريد : فعيل بمعنى مفعول وقد تقدم أنه عبارة عن خبز يفت في مرقة ، وقد يكون معه لحم وهو أسهل الأطعمة وأخفها وألذها وأسرعها تناولاً وألطفها كيموساً . وقد كانت العرب قاطبة من قديم الزمان إلى وقتناهذا لا يأكلون غالباً إلا منه هو الأصل في الأطعمة وما عداه تابع له ، ولهذه الأوصاف الجليلة كان النبي ﷺ يحبه كثيراً ، فقد روى أبو داود والحاكم من حديث ابن عباس : « كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز والثريد من الحيس » وأمر به ﷺ تنويهاً لشأنه فقال : « أثردوا ولو بالماء » رواه الطبراني في الأوسط عن أنس .

طعام العرب، والبسقارجات تعظم البطن وترخي الإليتين، ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء، والشحم يخرج مثله من الداء، ولن تستشفي النفساء بشيء أفضل من

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(البسقارجات)** بكسر الموحدة وسكون السين المهملة لفظه فارسية معناها مرقة اللحم والدجاج، والمراد منها ما يطبخ في أمراقها من اللحم بأن يقطع اللحم أقطاعاً متوسطة أو الدجاج على مفاصله ويقلى ويترك بعد غليانه زماناً لينشف ثم يسلق بالبصل والجزر والكراث، ثم يخرج من مائه وقد زالت عنه اللزوجة فيغسل بالماء البارد ثم يغلى بالأبازير والبقول غلياناً جيداً، ثم يطرح اللحم أو الدجاج والتوابل ويكون وقودها على سكون ويحلى بالسكر ويصبغ بالزعفران **(تعظم البطن)** أي تورث فيه ضخامة إذا أدمن على أكلها، **(وترخي الإلتين)** مثنى الالية بفتح الهمزة أي تكثر لحمها لخاصية فيها.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(لحم البقرداء ولبنها شفاء وسمنها دواء)** وهذا قد روي مرفوعاً من حديث مليكة بنت عمرو الجعفية: « ألبان البقر شفاء وسمنها دواء ولحومها داء » رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي. وفي سند البيهقي ضعف.

وعن ابن مسعود مرفوعاً « عليكم بألبان البقر فإنها ترم من أكل الشجر وهو شفاء من كل داء » رواه الحاكم، وعنه أيضاً « عليكم بألبان البقر فإنها دواء وأسمانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإن لحومها داء » رواه السني وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي، وفيهما أيضاً من حديث صهيب مرفوعاً: « عليكم بألبان البقر فإنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء » وإنما قال لحم البقر داء لأنه من أغذية أصحاب الكد عسر الإنهضام يولد دماً عكراً سودانياً ويولد أمراضاً سودانية كالبهق والسرطان والقوبا والجرب والجذام وداء النيل والدوال والوسواس وحمى الربع وغلظ الطحال، وأما لبنه فإنه شفاء الأمراض السودانية والغم والوسواس ويحفظ الصحة ويرطب البدن ويطلق البطن بإعتدال وشربه بالعسل ينقي القروح الباطنة وينفع من نحو سم ولدغ حية وعقرب، وأما سمنه فإنها ترياق السموم المشروبة وهو أقوى من غيره من السمون.

و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(الشحم يخرج مثله من الداء)** أعلم أن الشحم من الحيوان معروف والجمع الشحومة وهو جسم أبيض لين في الغاية مثل الإلية في ذوات الأربع حار رطب في الأول ينفع من خشونة الحلق ويرخي وغذاؤه يسير والدم المتولد منه رديء، وإنما يصلح منه قدر يسير بقدر ما يلذذ الطعام ويطيب ولا يصلح أن يغتذي به لرداءة غذائه، وكذلك الحكم في السمن والإلية.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(لن تستشفي النفساء بشيء أفضل من الرطب)**. أما النفساء بضم ففتح ممدود هي المرأة التي نفست بالولد مبنياً للمفعول والجمع نفاس بالكسر ومثله ناقة عشراء وعشار. وأما الرطب بضم ففتح هو الجنى من ثمار النخل وأوله بلح ثم بسر ثم رطب، وبين ذلك مراتب ذكرها صاحب القاموس وهو حار في الثانية رطب في الأولى

الرطب، والسمك يذيب الجسد، وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم، ومن أراد البقاء

نافع للمعدة الباردة ويزيد في المني ويلين الطبع. وروي عن علي مرفوعاً: «اطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر فليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران». أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم معا في الطب النبوي، والعقيلي وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر.

وقال الخطيب في التاريخ: أخبرنا الحسين بن الحسن المخزومي، حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا أبو عبد الله محمد بن خلف المروزي، حدثنا داود بن سليمان الجرجاني، حدثنا سليمان بن عمرو، عن سعيد بن طارق الأشجعي، عن سلمة بن قيس رفعه «اطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها ذلك حليماً فإنه كان طعام مريم حين ولدت عيسى ولو علم الله طعاماً كان خيراً لها من التمر لأطعمها إياه». أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال سليمان النخعي وداود كذابان. قال الحافظ السيوطي: قد توبع داود. وأخرجه أبو عبد الله بن منده في كتاب أخبار أصبهان، أخبرنا أبو أحمد، حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن أحمد الأعرج حدثنا حامد بن المسود، حدثنا الحسن بن قتيبة، حدثنا سليمان بن عمرو النخعي به. وأخرجه أبو نعيم في الطب من طريق حامد بن المسور اهـ.

وفي الدر المنثور له أخرج عبد بن حميد عن شقيق قال: «لو علم الله أن شيئاً للنساء خير من الرطب لآثر مريم به». وأخرج أيضاً عن عمرو بن ميمون قال: «ليس للنساء خير من الرطب والتمر». وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن الربيع بن خيثم قال «ليس للنفساء عندي دواء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل».

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين **(قال: السمك يذيب الجسد)**، اعلم أن السمك أنواعه كثيرة وطبائعه مختلفة بحسب اختلاف أجساده في العظم والصغر والتوسط والغذاء الذي يغتذي به، والمواضع التي يتولد فيها من الصخري واللجي والبحري وبحسب صفتها من القلي والشيّ والطبخ والتمقير والتمليح، وهو بأنواعه بارد رطب لا خير في تناوله يولد أمراضاً خبيثة عسر الهضم بطيء الوقوف في المعدة يرخي الأعصاب يورث السدد سريع الاستحالة إلى الفساد، فهذا معنى قول أمير المؤمنين أنه يذيب الجسد. وقد روي هذا القول مرفوعاً من حديث أبي أمامة.

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: حدثنا أبو شافع معبد بن جمعة وابن خاقان، حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس، حدثنا العلاء بن مسلمة الرواس، حدثنا عبد الرحمن بن عفراء، عن برد بن سنان، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعاً «أكل السمك يذهب الجسد» قال أبو شافع: قلت لأبي يعقوب ما معنى هذا الحديث؟ قال إذا أكله يجوب حتى لا يذكر الجسد. أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: هذا حديث ليس بشيء لا في إسناده ولا في معناه، ولعله يذيب

ولا بقاء فليباكر بالغداء وليكرر العشاء وليلبس الحذاء، ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين.

الجسد. فاختلط على الراوي وفسره على الغلط، والقاسم مجروح، وعبد الرحمن ليس بشيء، والعلاء يروي الموضوعات عن الثقات.

قلت: العلاء روى عنه الترمذي، وابن صاعد وهو بغدادي روى عن ضمرة وعلي بن عاصم والطبقة. قال الذهبي في الكاشف: اتهم وزاد في الديوان بالوضع.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(قراءة القرآن والسواك يذهب البلغم)** أي كل منهما. والقراءة أعم من أن تكون نظراً في المصحف أو على ظهر القلب سراً أو جهراً، والسواك التسوّك وفي كل منهما خاصية لإذهاب البلغم، وقد روي في السواك من حديث أنس مرفوعاً ما هو مصرح بأنه يذهب البلغم قال « عليكم بالسواك فنعم الشيء السواك يذهب الحفر وينزع البلغم ويجلو البصر ويشد اللثة ويذهب بالبخر ويصلح المعدة ويزيد في درجات الجنة ويحمده الملائكة ويرضي الرب ويسخط الشيطان » رواه عبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا. وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب تلاوة القرآن وفي كتاب الطهارة.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين)** هكذا هو في القوت وهو آخر كلام أمير المؤمنين، والغداء ما يؤكل من الطعام في أوائل النهار، والمراد بالمباكرة الإسراع إليه في قُبُل النهار فإنه أوفق الأوقات لتناول الطعام وأحسنها، والمراد بغشيان النساء مجامعتهن أو ليقلل في الجماع مهما أمكن، فإن الافراط فيه يسقط الشهوة ويضر العصب والبصر جداً، ويوقع في الرعشة والتشنج وضعف القلب ويحدث الخفقان وظلمة الحواس وينقص من جوهر الروح الحيواني ويهيء الدق ويوجب السهر والجفاف ويسرع الشيب وينقص من شعر الحاجبين والرأس وأشفار العين ويكثر اللحية وشعر سائر البدن، وإن كان ولا بد فينبغي أن يكون بعد استقرار الغذاء في قعر المعدة حتى يكون ضرره أقل مما إذا كان طافياً، وعند اعتدال البدن في طبيعته، وينبغي أن لا يقوم عليه إلا إذا قويت الشهوت وحصل الانتشار التام عن اجتماع المني في أوعيته وكثرته وشدة الشبق من غير ذكره ولا في فكره في مستحسن ولا نظر إليه، ولا يكون عن حكة كما يكون عند الجرب ولا عن كثرة رياح بلا شهوة، وعلى هذا فلا حدّ له معين، ويستثنى من النساء العجوز والصغيرة جداً والحائض والنفساء، فليحذر الانسان عن مجامعتهن فإنه مضر. قيل: وطء الحائض والنفساء يولد الجذام في الولد، وكذا عن جماع التي لم تجامع مدة، والمريضة والقبيحة المنظر والبكر والعاقر ولا التي لا تشتهيها النفس، وكل هذه تضعف بالخاصية.

وأما قوله: وليخف الرداء وهو الدين، فقد جاء هكذا مفسراً في كتاب النهاية لابن الأثير، والتهذيب للازهري وقال ابن سيده في المحكم: وفي حديث علي رضي الله عنه: من سرّه النساء ولا

الثالث: قال الحجاج لبعض الأطباء صف لي صفة آخذ بها ولا أعدوها. قال: لا تنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتياً ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها ولا تأكلن طعاماً إلا أجدت مضغه، وكل ما أحببت من الطعام ولا تشربن عليه فإذا شربت فلا تأكلن عليه

نساء فليباكر الغذاء وليـكر العشاء وليخفف الرداء وليحد الخراء وليقل غشيان النساء. قال: الرداء هنا الدين قال ثعلب: أراد لو زاد شيء في العافية لزاد هذا ولا يكون. وفي التهذيب بعد ذكر الحديث قالوا: وما تخفيف الرداء في البقاء؟ قال: قلة الدين. قال الأزهري: سماه رداء لأن الرداء يقع على المنكبين ومجتمع العنق والدين أمانة، والعرب تقول: هذا لك في عنقي ولازم رقبتي. زاد ابن الأثير وهي أي الرقبة موضع الرداء، وذكر هذا القول غير واحد ونسبوه إلى فقيه العرب. ويقال: أكرى العشاء وغيره إذا أخَّره، ومنه قوله: وليكر العشاء وهو مخالف لما اشتهر من أمثالهم خير الغذاء بواكره وخير العشاء سوابره، وما تقدم من تفسير الرداء بالدين هو الذي جاء في قوله كما ذكرناه، وإلاَّ فلو حمل على الحقيقة كان له وجه فإن تخفيف ما يرتدى به والتعوّد عليه مما أوصاه الحكماء كما ذكروه في تدبير الملبوس والله أعلم.

وجاء: «خير الغذاء بواكره» في حديث أنس. رواه الديلمي من طريق عنبسة بن عبد الرحمن عن أبي زكريا اليماني عنه رفعه «خير الغذاء بواكره وأطيبه أوله وأنفعه» قال ابن الجوزي: عنبسة يضع الحديث.

(الثالث): في أخبار الامراء. **(قال الحجاج)** بن يوسف الثقفي **(لبعض الأطباء)** وهو يتاذوف الفيلسوف كما هو في القوت، وله ترجمة واسعة في وفيات الأعيان للصلاح الصفدي: **(صف لي صفة آخذ بها)** أي أعمل بها **(ولا أعدوها)** أي لا أتجاوزها. **(قال)** له: **(لا تنكح)** أي لا تجامع **(من النساء إلا فتاة)** أي شابة، فإن جماع العجوز الهرمة والصغيرة جداً مضر بالخاصية كما تقدم، **(ولا تأكل من اللحم إلا فتياً)** أي الحولي من الضأن والفحول، فلحوم الهرمى من الحيوانات صلبة بطيئة الانهضام قليلة الغذاء مسيخة الطعم تخالطها زهومة لعدم الدسومة والرطوبة التي تطيبها ولحوم الصغار جداً كثيرة الفضول قليلة الغذاء بلغمية إلا انها تنحدر سريعاً إلى المعدة، **(ولا تأكل المطبوخ)** من اللحم وغيره **(حتى ينعم نضجه)** ويتم استواؤه، **(ولا تشر بن دواء إلا من علة)** أي لا تستعملن دواء أكلاً كان أو شرباً إلا من احتياج له في إزالة علة حادثة، **(ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها)** وهو ما استوى على الشجرة وتم استواؤه فإن الفجة لا خير فيها، **(ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مضغه)** بالأسنان، فإن الذي لم يمضغ جداً لا ينهضم سريعاً، **(وكُلْ ما أحببت من الطعام)** واشتهت نفسك، ومالت إليه مما تستلذه **(ولا تشرب عليه)** فإنه يفسده ويبطئه من الإنهضام، **(فإذا)** طلبت نفسك و**(شربت عليه فلا تأكل عليه بعده شيئاً)** لئلا يتخلل الماء بين طعامين فإنه مضر للمعدة، **(ولا تحبس البول**

شيئاً، ولا تحبس الغائط والبول، وإذا أكلت بالنهار فنم وإذا أكلت بالليل فامشِ قبل أن تنام ولو مائة خطوة. وفي معناه قول العرب: تغد تمد تعش تمش يعني تمدد كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ذهبَ إلى أهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ [القيامة: ٣٣] أي يتمطط. ويقال: إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه.

الرابع: في الخبر: قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة، والعرب تقول: ترك

والغائط) أي فإن ضررهما شديد يورث أمراضاً عسرة البرء، **(وإذا أكلت بالنهار فنم)** ليأخذ كل عضو نصيبه منه والنوم يعين على الهضم، **(وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة)** فإن المشي من أعظم أسباب الهضم، وإنما حسن النوم بالنهار عقب الطعام من غير مشي لأن النهار مظنة الحركات فما يقع فيها منها كافية في الهضم، والليل مظنة السكون والدعة والراحة، فلا بد فيه من حركة. واستحسن بعض المتأخرين الاقتصار على أربعين خطوة. وتكون الحركة فيها متساوية إقبالاً وإدباراً والقول المذكور هكذا نقله صاحب القوت، **وقال وفيما** قاله الفيلسوف حكمة قد ورد ببعضها آثار قد يروى في خبر مقطوع ذكره أبو الخطاب عن عبد الله بن بكر يرفعه «من استقلَّ برأيه فلا يتداوى فرب دواء يورث داء». وكانت الحكماء تقول: دافع بالدواء قوتك بالداء، وقال بعضهم: مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب ينقيه ولكن يخلقه. وقال بقراط الفيلسوف: الدواء من فوق والداء من تحت، فمن كان داؤه في بطنه فوق سرته سقي الدواء، ومن كان داؤه تحت سرته حقن، ومن لم يكن به داء من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء فإن سقي عمل في الصحة داء إذ لم يجد داء يعمل فيه. وقال بعضهم: نهاني الأطباء عن الشرب في تضاعيف الطعام.

(وفي معناه) أي قول الفيلسوف الذي ذكره **(قول العرب: تغد)** و**(تمد تعش)** و**(تمش يعني تمدد)** أبدلوا الألف من الدال الثانية كراهية التكرار، ثم حذفوها للتخفيف والازدواج وابقوا الفتحة لتدل عليها، **(كما قال تعالى)** **(ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾أي يتمطط)** فابدل من الطاء الثانية ألفاً يعني يمد مطاه يرفع ظهره، وأما في حبس الغائط فقد قال بعض الفلاسفة: الطعام إذا خرج نجوه قبل ست ساعات فهو مكروه من المعدة، وإذا بقي فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو ضرر على المعدة. **(ويقال: إن حبس البول)** في مثانته **(يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سدّ مجراه)** ففاض من جوانبه.

(الرابع: في الخبر قطع العروق مسقمة) أي يحمل على السقم، فإن العروق أنهار البدن فإذا قطعت بالكي أو غيره انقطعت المادة فيسقم البدن لذلك، **(وترك العشاء)** وهو ما يؤكل آخر النهار من الطعام **(مهرمة)** أي يحمل على الهرم والضعف. **قال العراقي**: رواه ابن عدي في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشطر الأوّل، والترمذي من حديث أنس بالشطر الثاني وكلاهما ضعيف. وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث جابر اهـ.

الغذاء يذهب بشحم الكاذة ـ يعني الإلية ـ وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أي تتغذى إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضاً أقل لشهوته لما يرى في السوق. وقال حكيم لسمين: أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فممّ هي؟ قال: من أكل لباب البر وصغار المعز وأدّهن بجام بنفسج وألبس الكتان.

قلت: الشطر الأوّل رواه الديلمي بزيادة لفظ «قطع العرق مسقمة والحجامة خير منه» والشطر الثاني عند الترمذي «تعشوا ولو بكف من حشف فإن ترك العشاء مهرمة» رواه من طريق محمد بن يعلى الكوفي عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، عن عبد الملك بن علان، عن أنس. ثم قال: هٰذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعنبسة ضعيف وعبد الملك بن علان مجهول اهـ.

قال العراقي في شرحه على السنن: مداره على عنبسة وهو متفق على ضعفه، وقال النسائي: هو متروك، وقال أبو حاتم: وضّاع، ومن ثم حكم ابن الجوزي والصغاني بوضعه .

قال الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة: لحديث أنس طريق آخر رواه ابن النجار في تاريخه قال: قرأت على أبي بكر محمد بن حامد الضرير المقري باصبهان عن أبي نصر أحمد بن عمر الغازي، حدثنا أبو القاسم أحمد بن علي النيسابوري، حدثنا أبو أحمد عبدالله بن أحمد الفرضي، حدثنا عبد الصمد بن علي الطستي، حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو محمد الطائي، حدثني أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الوليد الانماطي، حدثني أبو شعيب صالح بن دينار السوسي، حدثنا يحي بن سعيد القطان، حدثنا أبو الهيثم القرشي، عن موسى، عن عقبة عن أنس رفعه «ترك العشاء مهرمة تعشوا ولو بكف من حشف» قال: وقد روي أيضاً من حديث جابر.

قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله الرقي، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام ابن عبد الله بن باياه المخزومي، حدثنا عبد الله بن ميمون، عن محمد بن المنكدر عن جابر رفعه «لا تدعوا العشاء ولو بكف من تمر فان تركه يهرم» اهـ.

(والعرب تقول: ترك الغذاء يذهب بشحم الكاذة أي الإلية) نقله صاحب القوت. **(و)** ذكر الأصمعي **(أنه قال بعض الحكماء لابنه)** فيما أوصاه: **(يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أي تتغذى)** نقله صاحب القوت **(إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش)** أي الخفة فسماه حلماً لذلك مبالغة، **(وهو أيضاً أقل لشهوة ما يرى في السوق)**. ولفظ القوت، وكذلك يقال في تناول الشيء قبل الخروج إلى السوق وقبل لقاء الناس أنه أقل للشهوة في الأسواق واقطع للطمع بلقاء الناس، وأنشد هلال بن خيثم:

وإن قراب البطن يكفيك ملؤه ... ويكفيك سؤلان الأمور اجتنابها

(وقال حكيم لسمين) رآه: **(أرى عليك قطيفة)** أي كساء **(من نسيج أضراسك فما هي؟ قال: أكل لباب البر)** أي خالصه يعني الخبز المتخذ منه، **(وصغار المعز)** يعني لحوم الحولي منه، **(وادّهن بجام بنفسج)** أي قارورة من دهنه، **(وألبس الكتان)** أي الصفيق منه

الخامس: الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض، هكذا قيل. وقال بعضهم: من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة. ورأى رسول الله ﷺ صهيباً يأكل تمراً وإحدى عينيه رمداء، **فقال:** أتأكل التمر وأنت رمد؟ **فقال:** يا رسول الله إنما آكل بالشق الآخر يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ.

وكلاهما ينعمان البدن نقله صاحب القوت. قال: وقيل لرجل رؤي سميناً ما أسمنك؟ **قال:** أكل الحار وشرب القار والاتكاء على شمالي والأكل من غير مالي، وقيل لآخر حسن الجسم: ما أحسن جسمك. **فقال:** قلة الفكر وطول الدعة والنوم على الكظة.

(**الخامسة: الحمية**) بكسر الحاء أي الاحتماء مما يؤذي البدن (**تضر بالصحيح**) المزاج (**كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل**) ولفظ القوت وقال بعض أهل الطب: الحمية احدى العلتين، ويقال: الحمية للصحيح ضارة كما أنها للعليل نافعة الدواء إذا لم يجد ما يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها، وأنشد بعض العرب:

ألا رب حــزم كــان للسقــم علـــة   وعلــة بــدء الداء حفـــظ التقلـــل

(**وقال بعضهم**) هو لقمان كما هو في القوت: (**من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى**) أي في (**شك**) مما يأمل (**من العوافي**) جمع العافية كذا في القوت، (**وهذا حسن في حال الصحة**) زاد صاحب القوت وكان يقال: ليس الطبيب من حمى الملوك ومنعهم من الشهوات إنما الطبيب من خلاهم وما يريدون ثم دبر سياستهم على ذلك حتى تستقيم أجسادهم. وقال مدني عندنا بالحجاز لبعض الاعراب: أخبرني ما تأكلون وما تدعون. فقال: نأكل ما دبّ ودرج إلا أم حبين، فقال المدني: ليهن أم حبين منكم العافية. (**و**) في الخبر: (**رأى رسول الله ﷺ صهيباً**) هو ابن سنان المعروف بالرومي رضي الله عنه من نجباء الصحابة (**واحدى عينيه رمدة وهو يأكل التمر فقال: تأكل التمر وأنت رمد؟ فقال يا رسول الله: إنما أمضغ بالشق الآخر يعني جانب**) العين (**السليمة فضحك رسول الله ﷺ منه**) كذا هو في القوت.

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد انتهى.

قال ابن حجر المكي في شرح الشمائل، **قال بعض الأطباء: أنفع ما يكون الحمية للناقه من** المرض لأن التخلط يوجب انتكاسه وهو أصعب من ابتداء المرض، والحمية للصحيح مضرة كالتخليط للمريض والناقه، وقد تشتد الشهوة والميل إلى ضار فيتناول منه يسيراً فتقوى الطبيعة على هضمه فلا يضر بل ربما ينفع بل قد يكون أنفع من دواء يكرهه المريض، ولذا أقر ﷺ صهيباً وهو أرمد على تناول التمرات اليسيرة، وخبره في ابن ماجه: **قدمت على النبي ﷺ** وبين يديه خبز وتمر فقال: **أدن وكل فأخذت تمراً فأكلت، فقال: أتأكل تمراً وبك رمد؟ فقلت: يا رسول**

السادس: أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت، ولما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام: «إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون» فذلك سنّة، وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه إلا ما يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم.

السابع: لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم فإن أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب. ردّ بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال: كنت مكرهاً، فقال: رأيتك تقصد الأطيب وتكبِّر اللقمة وما كنت مكرهاً عليه؟ وأجبر السلطان هذا المزكي

الله أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم ﷺ. ففيه إشارة إلى الحمية وعدم التخليط، وأن الرمد يضره التمر ما لم تصدق الشهوة اهـ.

(**السادس:**) في حكم طعام المآتم (**يستحب أن يحمل طعام**) مصنوع (**إلى أهل الميت**) لشغلهم عن أنفسهم وإصلاح طعامهم بميتهم، (**و**) في الخبر: (**لما جاء نعي**) أي خبر موت (**جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه**) وذلك حين استشهد بغزوة مؤتة، وأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك، وأن الله أبدل له جناحين من الجنة بدل اليدين فلقب لذلك بذي الجناحين وبالطيار. (**قال رسول الله ﷺ «إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامه فاحملوا إليهم ما يأكلون»**) قال العراقي: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن، ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس، (**فذلك سنّة**) في حمل الطعام إلى أهل (**الميت واذ قدم ذلك إلى الجمع حلّ الأكل منه إلا ما يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم**) وحاصل هذا أن الطعام الذي يصنع للمآتم على قسمين: قسم منه يصنعه أهل الميت للنوائح والبواكي ومن يعينهم على الجزع فأكل هذا منهي عنه، وقسم يحمل إليهم لشغلهم عن أنفسهم وإصلاح طعامهم بميتهم فهذا لا بأس بحمله إليهم، ويجوز الأكل منه إن أطعموه غيرهم لأنه من البر والمعروف إذا لم يرد به النوائح ولا المجالسة على القبور للجزع والأسى كذا في القوت.

(**السابع: لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم**) وفاجر فإنه إن أكل طعامها صار من أعوانها مشاركاً لها في الطعمة، (**فإن أكره**) أي أكرهه سلطان على طعام أو قدم إليه شبهة أجبره على أكلها، (**فليقلل الأكل**) أي ليقلل بعلالة منه ولينقر تنقيراً ولا يكبر اللقم ولا يستكثر في الطعمة وليأكل ما يسد رمقه وما يخاف التلف لنفسه إن هو فارقه، (**ولا يقصد الطعام إلا طيب. رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان**) ولفظ القوت: حدثني بعض الشهود أن مزكياً من أهل العلم بخراسان رد شهادة شاهد أكل من طعام سلطان أجبره، (**فقال: كنت مكرهاً**) ولفظ القوت: أنه كان أجبرني على الأكل. (**قال**): قد علمت ذلك ولم أرد شهادتك لأنك أكلت، ولكني (**رأيتك تقصد الأطيب وتكبِّر اللقمة وما كنت مكرهاً عليه**) ولفظ القوت:

على الأكل **فقال**: أما أن آكل وأخلي التزكية أو أزكي ولا آكل، فلم يجدوا بداً من تزكيته فتركوه. وحكي أن ذا النون المصري حبس ولم يأكل أياماً في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعاماً من مغزلها على يد السجان فامتنع فلم يأكل، فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال: كان حلالاً ولكن جاءني على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجَّان وهذا غاية الورع.

فهل كان أجبرك على هذا فلأجل هذا جرحتك عند الحاكم، قال لنا الشيخ: **(وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل)** من ماله **(فقال)** اختاروا إحدى الخصلتين **(إما أن آكل)** كما أمرتم **(وأخلي التزكية)** أي لا أزكي أحداً بعد ذلك ولا أجرح ولا أعدل شاهداً **(أو أزكي ولا آكل)** من طعامكم، فنظر السلطان وذووه **(فلم يجدوا بداً من تزكيته)** لحسن نظره وقيامه بشأن الحكام وهم محتاجون إليه لأنه كان قليل النظير **(فتركوه)** وحده فلم يأكل من طعامهم شيئاً وأجبروا من كان معه. قال صاحب القوت: وكانوا قد حملوا من نيسابور إلى بخارى في قصة طويلة حذفت سببها، والمعنى هذا باختلاف الألفاظ التي سمعتها ولكن توخيت ما سمعت على المعنى، قال: وقد كان بشر بن الحرث يقول في الآكل من الشبهات يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة، وكان إذا نفر وتكلم في الحلال قيل له فأنت يا أبا نصر من أين تأكل؟ فكان يقول: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك. وقد كان سري السقطي رحمه الله تعالى يقول: لا يصبر على ترك الشبهات إلا من ترك الشهوات ففي تدبره أن من أحب الشهوات لم يترك الشبهات كما كان الزهري إذا عوتب في صحبة بني مروان يقول: أصدقكم الحق اتسعنا في الشهوات فضاق علينا ما في أيدينا فانبسطنا إليهم.

(و) من هذا الباب ما **(حكي أن ذا النون المصري)** المكنى أبا الفيض من أهل الخبرة ترجمه أبو نعيم في الحلية والقشيري في الرسالة. قال القشيري اسمه ثوبان بن إبراهيم، وقيل الفيض ابن إبراهيم، وأبوه كان نوبياً فائق هذا الشأن وواحد وقته علماً وحالاً وورعاً وأدباً، وكان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية توفي سنة ٢٤٥. **(رحمه الله تعالى حبس)** في كلام أنكره عليه العامة من العلم الغامض، وكان الحابس له على ذلك متولي مصر إذ ذاك من طرف الخلفاء، وهذه القصة غير التي حصلت له ببغداد فإنهم سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل وردَّه مكرماً، وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذي النون كما في الرسالة، **(فلم يأكل أياماً في السجن)** مدة مقامه فيه وكانت المائدة تختلف إليه من قبل السلطان فلم يكن يطعم منها شيئاً، **(وكانت له أخت)** قد آخته **(في الله فبعثت إليه من غزلها)** أي من أجرته **(طعاماً)** ودفعته إليه **(على يد السجَّان)** فحمله إليه وعرفه أنه من قبل تلك العجوز الصالحة **(فامتنع ولم يأكل)** منه أيضاً فعلت ذلك معه مدة مقامه في السجن وهو يرده ولا يأكل، **(فعاتبته المرأة بعد ذلك)** لما لقيته على ردّ الطعام وقالت: قد علمت أنه كان من مغزلي. **(فقال)**: نعم **(كان حلالاً ولكن جاءني على طبق**

الثامن: حكي عن فتح الموصلي رحمه الله أنه دخل على بشر الحافي زائراً فأخرج بشر درهماً فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال: اشترِ به طعاماً جيداً وأدماً طيباً. قال: فاشتريت خبزاً نظيفاً وقلت: لم يقل النبي ﷺ لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشريت تمراً جيداً فقدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال بشر: أتدرون لم قلت اشترِ طعاماً طيباً؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر، أتدرون لِمَ لم يقل لي كُلْ؟ لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كُلْ. أتدرون لم حمل ما بقي؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل. وحكى أبو علي الروذباري رحمه الله عز وجل أنه اتخذ

ظالم) فرددته لأجل الظرف، **(أشار به إلى يد السجّان)** شبهه بالطبق. **(وهذا غاية الورع)** وفي القوت: هذا أغمض في الورع وما سمعت أدق منه.

(الثامن: حكي عن فتح الموصلي رحمه الله تعالى) تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(أنه دخل على بشر)** بن الحرث **(الحافي)** رحمه الله تعالى **(زائراً فأخرج بشر درهماً فدفعه لأحمد الجلاّء خادمه)** ترجمه أبو نعيم في الحلية وهو من كبار الصوفية **(وقال: اشتر به طعاماً جيداً وأداماً طيباً فاشتريت)** ببعض ذلك الدرهم **(خبزاً نظيفاً)** أي من لباب البر، **(وقلت)** في نفسي: **(لم يقل النبي ﷺ لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن)** كما تقدم تخريجه قريباً **(فاشتريت اللبن)** إداماً للخبز ببعض الدرهم، **(واشتريت بباقيه تمراً جيداً فقدمت إليه)** أي إلى فتح الموصلي، **(فأكل وأخذ الباقي)** أي ما فضل من أكله وقام، **(فقال: تدرون لم قلت اشتر طعاماً طيباً؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر)** لله تعالى، وقد تقدم من كلام أبي سليمان الداراني ما يقرب من ذلك، وكذا من كلام المأمون العباسي في شرب الماء بالثلج. **(تدرون لم لم يقل لي)** فتح **(كُلْ لأنه)** ضيف وارد، و**(ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كُل)** بل صاحب الدار هو الذي يقول له ذلك. **(تدرون لم حمل ما بقي)** من الطعام، **(لأنه إذا صح التوكل)** على الله **(لم يضر الحمل)** ولو أن ظاهره مناقض لمقام التوكل، ولكن عند الكمل في هذا المقام يتساوى الأمران.

وذكر صاحب القوت في باب رياضة المريدين في الأكل ما نصه: كان بشر رحمه الله تعالى قد أصبح ذات يوم صائماً فزاره فتح الموصلي: قال حسين المغازلي: فدفع إليَّ كفاً من دراهم فقال: اشتر لنا أطيب ما تجد من الحلاوة وأطيب ما تجد من الطيب. قال: وما قال لي مثل ذلك قط فوضعت الطعام بين أيديهم فجعل يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره. قال: ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم، فقال: خذ لنا بهذه خبزاً وعسلاً وخبز حواري، فقلت يا أبا إسحاق بهذا كله. فقال: ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال.

(وحكى أبو علي) محمد بن القاسم بن منصور بن شهيريار **(الروذباري)** الإمام الجليل شيخ

ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجل: قد أسرفت، فقال له: ادخل فَكُلْ ما أوقدته لغير الله فأطفئه، فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع، واشترى أبو علي الروذباري أحمالاً من السكر وأمر الحلاويين حتى بنوا جداراً من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها.

التاسع: قال الشافعي رضي الله عنه: الأكل على أربعة أنحاء. الأكل باصبع من المقت، وبأصبعين من الكبر، وبثلاث أصابع من السنة، وبأربع وخمس من الشره. وأربعة

الصوفية في وقته اختلف في اسمه فقيل كما ذكرناه وهو الذي قدمه ابن الصلاح، وقال أبو عبد الرحمن السلمي أنه الأصح، وذكره كذلك القشيري في الرسالة وقيل: هو محمد بن أحمد بن القاسم، وهو الذي ذكره ابن السمعاني في الأنساب، وكذلك الخطيب ذكره في المحمدين من تاريخه، وقيل الحسين بن همام حكاه ابن السمعاني أيضاً. سكن بغداد ونشأ بها على طريقة حسنة، وصحب أبا القاسم الجنيد، وأبا الحسين النوري؛ وأبا حمزة وطبقتهم، وصحب بالشام أبا عبد الله ابن الجلاء وغيره، وتفقه بابن سريج، وسمع الحديث من مسعود الرملي وغيره، وانتقل إلى مصر واستوطنها وصار شيخ الصوفية بها، وأخذ عنه جماعة منهم ابن أخته أحمد بن عطاء الروذباري، ومحمد بن عبد الله بن شاذان الرازي، وأحمد بن علي الوجيهي، ومعروف الزنجاني وآخرون. قال القشيري: هو أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة مات سنة ٣٢٢. (**عن رجل أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج، فقال له رجل: أسرفت. فقال: ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فاطفئه، فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع**). وله من هذا النحو حكايات وطرف ونوادر أورد غالبها أبو نعيم في الحلية (**واشترى أبو علي الروذباري**) رحمه الله تعالى هذا الذي ذكرنا ترجمته (**أحمالاً من السكر وأمر الحلاويين**) الذي يطبخون السكر ويعالجون الحلوى (**حتى بنوا جداراً من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من السكر، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها**) وهذا من الإنفاق في سبيل الله مما كان يحبه ويحبونه ولهم أحوال مختلفة ونيات صالحة.

(**قال الشافعي رضي الله عنه: الأكل على أربعة انحاء**) أي أنواع. (**الأكل باصبع**) واحدة (**من المقت، و**) الأكل (**بأصبعين من الكبر، و**) الأكل (**بثلاثة أصابع من السنّة، و**) الأكل (**بأربع وخمس من الشره**).

قلت بعض ذلك قد ورد مرفوعاً. قال العراقي: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك « كان النبي ﷺ يأكل بثلاث أصابع » وروى ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس موقوفاً « كل بثلاث أصابع فإنه من السنة ». اهـ.

أشياء تقوي البدن: أكل اللحم، وشم الطيب، وكثرة الغسل من غير جماع، ولبس الكتان. وأربعة توهن البدن: كثرة الجماع، وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق،

قلت: ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس مرفوعاً «يا ابن عباس لا تأكل بأصبعين فإنها أكلة الشيطان وكل بثلاث أصابع». ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديثه مرفوعاً «لا تأكلوا بهاتين وأشار بالابهام والمشيرة كلوا بثلاث فإنها سنّة ولا تأكلوا بخمس فإنها أكلة الأعراب».

وروى أبو أحمد الفطري في جزئه، وابن النجار من حديث أبي هريرة رفعه «الأكل باصبع واحدة أكل الشيطان وبالاثنين أكل الجبابرة وبالثلاث أكل الأنبياء». وروى الترمذي في الشمائل كان يأكل باصابعه الثلاث. قال الشارح: الإبهام والسبابة والوسطى يبدأ بالوسطى لكونها أكثر تلويثاً إذ هي أطول فيقبض فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أول ما ينزل في الطعام ثم بالسبابة ثم بالابهام لخبر الطبراني في الأوسط: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالابهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام. وفي الأحاديث ندب الأكل بالثلاث، ومحله أن كفت وإلاَّ فكما في المائع زاد بحسب الحاجة وإنما اقتصر ﷺ على الثلاثة لأنه الأنفع إذ الأكل باصبع أكل المتكبرين لا يستلذ به الآكل ولا يستمريه لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن أخذ حقه حبة حبة، وبالخمس يوجب إزدحام الطعام على مجراه والمعدة فربما انسد مجراه فأوجب الموت فوراً، وما جاء في حديث مرسل أنه ﷺ كان إذا أكل أكل بخمس هو محمول على المائع، والله أعلم.

(و) قالت الحكماء (**أربع**) خصال (**تقوي البدن: أكل اللحم**) أي الحولي من الضأن والعجول كما تقدم وتقوي البصر أيضاً بخاصية، (**وشم الطيب**) أي الروائح الطيبة من أي نوع كان، (**وكثرة الغسل من غير جماع**) أي المداومة عليه فإنه يعيد القوة إلى البدن، (**ولبس الكتان**) الصفيق فإنه ينعم البدن ويقويه.

(**وأربع توهن البدن**) أي تضعفه (**كثرة الجماع**) مع وجود الداعية إليه بل هو مهلك، وقد أشار إليه القائل:

ثلاث مهلكات للأنام	وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطء	وإدخال الطعام على الطعام

وتقدم أن الجماع ليست له مدة مقدرة، وإنما هو عند شدة الشبق وانتشار الذكر من غير سابق فكر أو نظر إلى صورة جميلة، وقد يعرض ذلك عند مطالعة كتب الباه والأخبار المحكية في المناكحين فهو شهوة عارضة لا اعتبار لها، (**وكثرة الهم**) لأنه يريده ولا يستطيعه فإنه يضني البدن ويسهر العين ويورث القلق بخاصية فيه، والهم يختلف باختلاف الأشخاص والأمر المهم فيه فقد يكون الشيء الصعب في نفسه عند شخص سهلاً يسيراً عند آخر، وقد يكون الأمر المهتم به مما

وكثرة أكل الحموضة. وأربعة تقوي البصر: الجلوس تجاه القبلة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف الملبس. وأربعة توهن البصر: النظر إلى القذر، والنظر إلى المصلوب، والنظر إلى فرج المرأة، والقعود في استدبار القبلة. وأربعة تزيد في الجماع:

يستطيعه من غير مشقة فلا يكترث له فهو أقل من الأوّل، ومن جملة الهموم ثقل الدين حتى قيل لاهم إلا همّ الدين، ولا وجع إلا وجع العين فتحمله أحد أسباب تضعف البدن، **(وكثرة شرب الماء على الريق)** أي عند قيامه من النوم قبل أن يتناول شيئاً من المأكول. ومفهومه أن القليل منه في بعض الأحيان لا يضر. قالوا: إذا احتاج الإنسان إلى شرب ماء وقد دعته نفسه إليه لإطفاء لهيب الكبد، فليشرب من كوز ضيق الرأس وليمصه مصاً نحو ثلاث مرات، فإنه لا يضره. ويضاده ما رواه ابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة رفعه «شرب الماء على الريق يعقد الشحم» قال: وفيه عاصم بن سليمان العبدي كان يضع ويمكن الجمع بينهما فتأمل، **(وكثرة أكل الحموضة)** وهي نوع من الطعم معروف واستثنى بعضهم منه الليمون، وقالوا: كل حامض داء إلا الليمون وسبب ذلك أن الحوامض بأنواعها تفسد الدم وقوّة البدن إنما هي من الدم.

(وأربع تقوي البصر) أي نور العين **(الجلوس على حيال القبلة)** أي تجاهها وليداوم على ذلك، فقد ورد «أكرم المجالس ما استقبل به القبلة». **(و)** استعمال **(الكحل عند)** إرادة **(النوم)** أي بالليل، ويشترط أن يكون المكتحل به هو الاثمد، ففي الخبر أن النبي ﷺ كان يكتحل به وهو أشرف الأكحال، وقد ذكر الصاغاني في تركيب غبق في تكملته على الصحاح أن زرقاء اليمامة كانت تغتبق كل ليلة بالاثمد وذكر لها قصة، وإنما قيده عند النوم فإنه أنفع للعين لهدوّها وسكونها عن الحركات، **(والنظر إلى الخضرة)** من أي نوع كان، فقد قيل: أربع يذهبن عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن وفي النظر إلى الخضرة أخبار وردت غالبها لا يخلو من موضوع أو ضعف منكر، وقد ألف فيه الحافظ السيوطي رسالة جمع فيها الأخبار الواردة فيه. **(وتنظيف الملبس)** فإنه يقل الهم ويقوي البصر ويفرح النفس، والمراد من تنظيفه غسله من الأوساخ والنجاسات وما يتولد من الأعراق من إدمان اللبس، وهذا يختلف باختلاف البلدان والأشخاص، ففي البلاد الحارة لا يصبر الإنسان على ملبس سبعة أيام متوالية لكثرة الأعراق، وفي البلاد الباردة يصبر سبعة وعشرة فصاعداً. وبالنظر إلى الاشخاص فأصحاب الكد والأشغال الشاقة والساعون في المعاش تتقذر ملابسهم أكثر من أصحاب الدعة وملازمي البيوت.

(وأربع توهن البصر) أي تضعفه **(النظر إلى القذر)** أي الشيء المستقذر تنبو عنه، فإذا كرر النظر إليه فقد كلفها ما لا تستطيع فيضعف نورها لأنها بطبعها لا تميل إلا إلى مستحسن **(والنظر إلى المصلوب)** على الخشبة والمراد تكرير النظر إليه، فأما إذا وقع فجأة عليه وعلى الذي قبله فليس داخلاً فيه، **(والنظر إلى فرج المرأة)** أو إلى داخله عند الجماع بالقصد والاختيار، فأما إذا وقع بصره عليه عند الجماع من غير قصد أو نظر في ظاهره فليس داخلاً فيه، بل قيل إنه يورث العمى أعاذنا الله من ذلك، وقد جرب ذلك حتى قيل: إن سيدنا عبد الله بن

أكل العصافير، وأكل الاطريفل الأكبر، وأكل الفستق، وأكل الجرجير. والنوم على

عباس إنما أصيب في بصره من أجل ذلك، وكان إذا جامع لولا يكشف عليه ويراه ما تم حظه في الجماع، وعلى هذا القدم جماعة. لكن ينبغي الحذر من ذلك وعدم التقصد، وفي الخبر: إن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت منه ولا رأى مني تعني به النبي ﷺ، فهذا هو السنّة والأدب. **(والقعود في استدبار القبلة)** أي يوليها بظهره.

(وأربع تزيد في النكاح) أي قوّة الجماع **(أكل العصافير)** جمع عصفور وهو طائر معروف وأجوده الشتوي السمين حار يابس في الثانية يزيد في الباه ويهيج الأنعاظ وخاصة خصيته ودماغه، وخصوصاً إذا كان في وقت هيجانه، وخصوصاً إذا اتخذ منه عجة بصفرة البيض، وينبغي أن يعمل بدهن اللوز. **(وأكل الاطر يفل الأكبر)** هي بالكسر لفظة عجمية عربت يقع على الهليلج الكافلي والبليلج والأملج، وثالثتها مقوية للأعضاء العصبية دابغة لآلات الغذاء من الفضلات جمعت وركبت لمساواتها في المنفعة ومعونة بعضها بعضاً وجعلت متساوية الوزن لتشابه قواها ومنافعها، وقد يضاف إليها الهليلج الأصفر والأسود والمندى بمثل أوزانها لقربها منها في المزاج والمنفعة والتقوية والتنقية فيصير أكمل وأقوى فعلاً، وتلت بعد سحقها بالسمن أو دهن اللوز لكسر شدة يبوستها لأن اليبوسة ضارة للقوّة الهاضمة إذا جاوزت بعد التقوية مكان الغذاء، ولذلك إدمان الاطر يفل يورث الهزال والسمن أولى لأنه أقوى الأدهان الموافقة لمزاج الإنسان إن استعمل في الوقت، فأما إذا تأخر استعماله فدهن اللوز أولى لأن السمن تتغير رائحته سريعاً، وقد ينقع الأملج في اللبن ليزول تجفيفه ويسمى سمن أملج وذلك في غير الاطر يفلات أولى، وينبغي أن يجعل العسل ضعف الأدوية في الأطر يفلات حيث يراد تمام فعلها وكماله، وقد يجعل ثلاثة أمثاله ليصير ألطف وأقل بشاعة وتدق الأجزاء دقاً جريشاً ناعماً ويودع في ظرف صيني أو زجاج أو فضلة أو ذهب أو قلعي لا ظرف رصاص أسود، ولا يملأ الظرف منه بل يترك له منافس تخرج منها الأبخرة، ثم يخزن في الشعير ليرجع إلى الحالة الأولى، ووقت استعماله أن يكون بالليل عند النوم إلا إذا كانت مسهلة فإنها تستعمل في النهار وقيده بالأكبر لأنه أكبر وأصغر، فالاصغر منسوب لرفع رياح البواسير ويقوي الحواس ويصفي الذهن ويمنع سرعة الشيب، وأما الأكبر فيزيد عليه بأنه يعين على الباه إعانة قوية ويسمن البدن، وتركيبه غير الثلاثة المذكورة من خمسة عشر جزءاً ذكرها الأطباء في كتبهم وهو مشهور لا نطيل به هنا.

وجاء خبر في الأطر يفل روى الديلمي من طريق أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، حدثني أبي، عن جده سليمان، عن أبيه، عن جده ابن عباس قال: كنا عند النبي ﷺ وأكل مراً فسألنا عن الدواء فقال: هذا الاطريفل. قلنا: وما الاطريفل؟ قال هليلج أسود وبليلج وأملج يغلى بسمن البقر ويعمل بعسل.

(وأكل الفستُق) هو بالضم من تركيب اللوز على حبة الخضراء يقوي فم المعدة ويمنع الغثيان

أربعة أنحاء : فنوم على القفا . وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض ، ونوم على اليمين ، وهو نوم العلماء والعباد ، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم ، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين . وأربعة تزيد في العقل : ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء . وأربعة هن من العباد لا يخطو

ووجع الكبد ويقوي القلب ويفرحه ويزكي ويزيد في الباه وينفع من السعال البلغمي . **(وأكل الجرجير)** هو بالكسر نبت منه بري وبستاني حار في الثانية رطب في الأولى مهيج للباه ، ولا ينبغي أن يؤكل وحده لأنه يصدع لشدة إسخانه ويظلم العين فيخلط بالخس والهندبا ليعتدل وفيه هضم الطعام وإدرار البول .

(والنوم على أربعة انحاء فنوم على القفا) أي على الظهر ، **(وهو نوم الأنبياء عليهم السلام)** فإنهم **(يتفكرون في خلق السموات والأرض)** وما فيها من العجائب الدالة على عظيم قدرته وباهر سلطانه ، وهو أيضاً نوم المجاذيب وهو من عادة الضعفاء من المرضى لما يعرض لعضلاتهم من الضعف ولأعصابهم فلا يحمل جنباً جنباً بل يسرع إلى الاستلقاء على الظهر إذ الظهر أقوى من الجنب ، وهذه الهيئة من النوم مذمومة عند الأطباء . قالوا : النوم مستلقياً على الظهر يهيء الأمراض الردية مثل السكتة والسل والسعال وأوجاع العصب والظهر والنزلة والزكام والفالج ، وذلك لأنه يميل بالفضول إلى خلف فيحبس من مجاريها التي هي قدام مثل المنخرين والحنك لكنه يقوي الباه . **(ونوع على اليمين وهو نوم العلماء والعباد)** القائمين بالليل وهو أسرع إلى الانتباه لأن القلب يبقى معلقاً . **(ونوم على الشمال وهو نوم الملوك)** أصحاب الدعة والراحة ونوم الحكماء كذلك **(ليهضم طعامهم)** ، وقد ذكروا في تدبير النوم أن من استعان به على الهضم فليبتدىء أولاً بالنوم على اليمين قليلاً لينحدر الغذاء إلى قعر المعدة لميلها إلى اليمين لسهولة جذب الكبد له فهناك الهضم ثم عاد إلى اليسار طويلاً ليشتمل الكبد على المعدة فيسخنها فإذا تم الهضم عاد إلى اليمين ليعين على الانحدار إلى جهة الكبد ، **(ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين)** والمنافقين والكفار . قالوا : إن النوم على البطن يعين على الهضم معونة جيدة كما يخفف من الحار الغريزي ويحصره فيكثر .

(وأربع تزيد في العقل) وتقويه **(ترك الفضول من الكلام)** وهو ما لا يعنيه منه ، وقد وردت فيه أخبار استوفاها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الصمت ، وكان يقال بترك الفضول تكمل العقول ، وباحتمال المؤنات يجب السؤدد ، ولا يتجرأ على الكلام إلا فائق أو مائق . **(والسواك)** وقد ورد فيه من حديث ابن عباس وأبي هريرة أنه يذهب بالبلغم ويزيد في العقل ، **(ومجالسة الصالحين ، و)** مخالطة **(العلماء)** أرباب الدين . روى الطبراني في الكبير ، والخرائطي في مكارم الأخلاق والعسكري في الأمثال من حديث أبي حجيفة « جالسوا العلماء وسائلوا الكبراء

خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن. وقال أيضاً: عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت؟ وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت؟ وقال: لم أرَ شيئاً أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب، والله أعلم بالصواب.

وخالطوا الحكماء» وروى الديلمي من حديث أنس «جالس العلماء تعرف في السماء ووقر كبير المسلمين تجاورني في الجنة».

(**وأربع هي من العبادة لا تخطو خطوة إلا على الوضوء**) فقد ورد أنه سلاح المؤمن وتقدم في كتاب الطهارة، (**وكثرة السجود**) فقد ورد «أعني على نفسك بكثرة السجود» وتقدم في كتاب الصلاة، (**ولزوم المساجد**) أي معاهدتها في أوقات الصلوات والجلوس فيها انتظاراً لها والدخول فيها أوائل الناس قبل الوقت والخروج منها في أواخرهم، (**وكثرة قراءة القرآن**) غيباً أو نظراً في المصحف، وقد ورد في كل ذلك ما تقدم ذكره.

(**وقال أيضاً عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت**) لأن الحمام يحلل فضول البدن ويفتح المسام، فإذا دخله خالي الجوف أورثه الهزال فإذا خرج وأكل طعاماً حصل السدد في العروق فيكون سبباً لهلاكه، كما أن دخوله على البطنة يولد القولنج، والمستحب أن يتناول شيئاً قبل دخوله فإنه يسمن ولكن يخاف منه السدد فليحترز عنها بالسكنجبين الساذج أو البزوري ثم يتغذى بعده فيسمن باعتدال مع الأمن من السدد، (**وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت**) قالوا غذاء المحتجم يجب أن يكون بعد مضي ساعة، وكذلك لا يبادر بالجماع بعدها وقبلها، وكذا الغضب الشديد والحركة الكثيرة المتعبة، ومن أكل البيض بعد الحجامة أصابته اللقوة.

(**وقال الشافعي رضي الله عنه: لم أر شيئاً أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب**) هكذا أورده الايدي والبيهقي كلاهما في ترجمته، ونقله ابن السبكي وابن كثير كلاهما في الطبقات، والحافظ ابن حجر في بذل الماعون. والبنفسج نبت معروف فإذا أطلق أريد به زهره فقط أجوده الأزرق اللازوردي المضاعف بارد رطب في الأوّل يولد دماً معتدلاً ويسكن الصداع الدموي والصفراوي شماً وضماداً وشمه يجلب النوم، والادهان بدهنه ينفع من السهر ويرطب البدن ويعدل الأخلاط وهو طلاء جيد للجرب، وينبغي أن يكون المستعمل من زهره المقطوع العروق ليكون مضرته للمعدة أقل، وطريق تجفيف البنفسج أن يقطف زهره ويبسط في الظل حتى ينشف وإذا نشف يخلى ساعة في الشمس ويرفع. وهكذا تجفيف الورد وسائر الأزهار اللطيفة لئلا تزول ألوانها فتضعف أفعالها وقد يخلط مع السكر المدقوق ويرفع ويسمى هذا خميرة، وأما شرابه المتخذ من جلاب السكر معتدل في البرد مرطب ينفع من ذات الجنب والرئة وآلات الصدر ووجع الكلى والمثانة ويدر البول والصفراء ويلين الطبع برفق، وصفته أن يؤخذ لكل عشرة أرطال سكر محلول

من البنفسج العراقي الأزرق السالم من العفونة سبع أواق ينقع في ماء شديد الحرارة ويترك حتى يبرد ويوضع على النار في قدر برام ويغطى بغطاء خشب ويترك حتى ينقص منه الربع، وينزل عن النار حتى يبرد ويمرس مرساً خفيفاً ويصفى ويلقى على ذلك السكر المحلول ويؤخذ له قوام، وأما دهنه فبارد رطب ينفع الجرب طلاء ويلين صلابة المفاصل والعصب وينفع من الصداع الحار اليابس وينوّم أصحاب السهر ولاستخراجه طرق كثيرة ليس هذا محل ذكرها.

تنبيه:

الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء وهو مضر بالحيوان والنبات يحدث للجدري والحصبة والطواعين والجمرة والأكلة وسائر القروح الخبيثة والحميات، وسبب ذلك إما أرضي أو سماوي كالماء الآسن والجيف الكثيرة كما في الملاحم إذا لم تدفن القتلى ولم تحرق والتربة الكثيرة النداء الكثيرة العفن، وقد يكون عن بخار رديء من ثمار أو بقول عفنة، أو من بحر، أو من خنادق، أو آجام. وإذا كثرت الشهب والنجوم في آخر الصيف وفي الخريف انذر بالوباء، وكذلك الجنوب والصبا في الكانونين، وإذا كثرت علامات المطر ولم يمطر وتكرر ذلك فمزاج الشتاء فاسد، وإذا رأيت الحشرات والضفادع كثرت وصرفت الحيوانات الزكية الحس كاللقلق وغابت قبل أوان غيبتها عادة، وهربت الفأرة من حجرها سدرة ملقاة، فالوباء قريب والتدبير فيه تعديل المزاج بالأشربة الباردة، وهجر الجماع والحلاوات والفواكه المحلوّة والسريعة الفساد كالخوخ والمشمش والبطيخ الأصفر والقراصيا الحلوة والتوت الحلو والرطب، واجتناب الاغذية الردية وترك الحركة العنيفة والامتلاء، ولا يصابر على جوع ولا عطش ويشرب الماء المبرد بثلج وجمد، وشرب الماء عبا خير من شربه قليلاً قليلاً فإنه ربما أضر لتثويره الحرارة وإن لم تكن شهوة الغذاء يتكلف الأكل قليلاً لتتعلق الحرارة بمادة الحياة، ويقتصر على المجففات والحوامض كلها جيدة، ويطرح في الماء المشروب الطين الأرمني أو يسير خل ويقلل من الحمّام والأعراق، ومن أنفع الأدوية في أيامه هذا صبر سقوطري جزآن زعفران جزء مر صافي جزء يؤخذ منه نصف مثقال بماء ورد.

(خاتمة):

تشتمل على مهمات: منها ما فيه إيضاح لما أبهمه المصنف، ومنها ما فيه تفصيل لما أجمله، ومنها ماله تعلق بكماله بحسب المناسبة.

الأولى: تدبير الأسباب الضرورية كالمأكول، فينبغي أن يؤخذ من الغذاء الملائم قدر ما يمسك القوّة ويشد الشهوة ولا يمدد المعدة ولا يثقل عليها ولا يسرع معه عطش ولا يتبعه جشاء فاسد ولا يحدث منه نفخ، بل تعقبه خفة وراحة ويدفع فضلاته في الوقت المعتاد، ويقتصر على الخبز النقي من الشوائب المؤذية كالشلم وعلى لحوم الحولي من الضأن والعجول والأجدية، ولا يؤكل بلا شهوة صادقة لأنه لا تشتمل عليه المعدة ولا تقبله القوّة الهاضمة فيفسد ويفسد، ولا بدافع الشهوة

....

الهائجة لأن المعدة الخالية الطالبة للغذاء إذا لم يرد عليها شيء من الأغذية ينصب إليها مر أو صديدي يبطل الشهوة الصادقة ويمرر الفم ويوجب التهوّع، وإدخال طعام على طعام لم ينهضم رديء، وتكثير الألوان محير للطبيعة والغذاء اللذيذ أحمد ولا يكثر منه ولا يتحرك على الطعام إلا يسيراً قدر ما يجدده.

الثانية: في ترتيب الأطعمة. يقدم الألطف على الاغلظ فيقدم البقول المسلوقة على البيض وهو على لحم الطير وهو على لحم ذوات الأربع، ويقدم الفواكه الملينة على الطعام كالعنب والتين، وتؤخر القابضة بعد استقراره في المعدة كالتفاح والكمثري والسفرجل إلا لمن به زلق في المعدة، وأما البطيخ فلا يؤخذ مع غذاء آخر فيفسده، وتقدم الفواكه على البقول، والبقول على الثرائد، والثرائد على اللحمان، والحلوى يجب أن يكون آخر الأشياء لثقله وإبطاء هضمه وملازمة التفه فيسقط الشهوة، والحامض يجفف ويسرع الهرم ويضر العصب، والحلو يرخي الشهوة ويحمي الأبدان ويوافق الأعصاب، والمالح يجفف ويهزل، والمر يضاد المزاج والشهوة والطبيعة إذ هو أبعد الأشياء عن جوهر الغذاء، فليدفع مضرة الحلو بالحامض والحامض بالحلو والدسم بالمالح أو الحريف وبالعكس، يعني إذا أكل حافظ الصحة في يوم أو يومين غذاء حلواً مثلاً، فينبغي أن يأكل في يوم آخر غذاء حامضاً حتى يتدارك ماحصل من ذلك، ويجوز أن يكون عقيب الحلو حامضاً قليلاً، والثاني على هذا القياس، وملازمة الحمية تفكك القوة وتهزل البدن بل هي في الصحة كالتخليط في المرض، وليس المراد بهذا أن يجمع بين ألوان وأصناف كثيرة من الأغذية والأشربة في أكلة واحدة، بل المراد إما ما قلنا من تدارك الحلو بالحامض والتفه بالحريض والمالح وهما به أو أن يجمع بين غذاءين مختلفين ولا يتجاوز ثلاثة لأن الأكثر منها محير للطبيعة وليترك الغذاء وفي النفس له بقية شهوة، فإن البقية من تقاضي الجوع فيبطل بعد ساعة ويبقى هو خفيف النفس نشيطاً محمود الهضم آمناً من قوله الفضولي: وإن أكل شهوته ثقل عليه بعد ذلك، وإن أفرط يوماً جاع في اليوم الثاني، وأطال النوم في مكان معتدل لتبعث الحرارة وتدفع الفضلات الحاصلة في أوعية الغذاء ومراعاة العادات في الواجبات وغيرها واجبة، وأجود النوب للأكل أن يؤكل في يومين ثلاث مرات. أعني في يوم مرتين طرفي النهار، وفي يوم مرة وسط النهار، وصاحب المعدة الحارة لا يأكل مرة واحدة ما يكفيه بل يتدرج قليلاً قليلاً والأغذية تختلف باختلاف الطبيعة.

الثالثة: في ذكر ما ينهى عن الجمع بين الأغذية. فاعلم أنه قد نهى المجربون عن الجمع بين الأغذية في نوبة واحدة، بل في يوم واحد يعسر أذيات كثير منها بالقياس. قالوا: لا يجمع بين السمك واللبن فيولدان أمراضاً مزمنة كالجذام والفالج، ولا لبن مع حامض حتى نهوا عن الجمع بين المضيرة والاجاجية، ولا السويق على الأرز باللبن، ولا العنب على الرؤوس، ولا الرمان على الهريسة، والمنهي في هذه الثلاثة هذا الترتيب والتعقيب لا مطلق الجمع، فإنه يجوز أن يؤكل أولاً

....

العنب، ثم الرؤوس والرمان، ثم الهريسة والسويق، ثم الارز ولا الخل مع الارز، ولا الماست مع الفجل ولا مع لحوم الطير، ولا بين فراخ الحمام والثوم والبصل والخردل، ولا يطبخ اللحم القديد بالخل والثوم، ولا يجمع بين الثوم والسمك الطري والتين، فإنه يخاف أن يورث البهق والبرص، ولا يجمع بين بيض الدجاج والجبن الطري، ولا بين الباقلا والصقراط، ولا بين الثوم والبصل، ولا بين البيض والسمك فإنهما إذا اجتمعا في المعدة يولدان القولنج وريح البواسير ووجع الأضراس، ولا يؤكل العسل على البطيخ ولا بالعكس، ولا ينبغي أن يجعل الخل في الإناء المتخذ من النحاس والقلعي.

الرابعة: في تدبير المشروب، فاعلم انه إنما يستعمل من الماء المحمود ما كان خالص البرد عند العطش الصادق قدر الري بغير زيادة عليه بعد سروع الغذاء للهضم لا عقيب الطعام، فإنه يفحج بل يتربص المحرور بعده نصف ساعة وغيره لا أقل من ساعتين، فإن الصبر على العطش يوهن العطش ويكسره، ثم أنه قد يذهب به وخصوصاً في المرطوبين، كما يذهب الصبر على السعلة بالسعلة، وعن الحكة بالحك واستعماله في خلال الطعام أردأ لانه يفرق بين الغذاء ويطفئه في المعدة فلا ينهضم جيداً وتحصل منه مفاسد على أن من الناس من ينتفع بذلك وهو حار المعدة، ولا سيما عند تناول غذاء يابس بالفعل. وينبغي أن يحذر من شرب الماء الصادق البرد دفعة مقداراً كثيراً قبل الطعام وبعده، لأنه يطفيء حرارة المعدة، وفي خلال الأكل وبعد أن يترك الأكل ساعة لا ينبغي أن يستوفي الري بل يتجرع جرعاً لأن الماء إذا كثر في هذا الوقت منع المعدة عن الاحتواء على الطعام وولد النفخ والقراقر وأساء الهضم، وربما أورث انطلاق البطن، وقلة الشرب على المائدة والامتناع عنه محمود إلا أن الحار المعدة إذا احتمل العطش عند ذلك بسط الطعام في معدته وفسد وهاج الجشاء الدخاني، ولذلك يكون الأصلح له أن يتحمل العطش تحملاً شديداً ولا يعطي نفسه ريحاً، لكن يسكن بأثره العطش بالتجرع قليلاً قليلاً ما دام يأكل. ومن الناس من تكون شهوته للغذاء ضعيفة، فإذا شرب الماء قويت وذلك لتعديله حرارة المعدة، والشرب على الريق أو عقب الحركة وخصوصاً الجماع، وعلى الفاكهة وخصوصاً البطيخ وفي الحمام أو عقيبه رديء جداً ماء كان المشروب أو شراباً، فإن لم يكن فقليل من كوز ضيق الرأس امتصاصاً إن كان كالاحتياج إلى الماء بسبب حرارة المريء والرئة ويبوستهما، وإن كان اشتعال في المعدة أو الكبد فيرخص الري دفعة لئلا يؤدي إلى احتراق، فلا يجوز الشرب على الريق إلا للمحموم والمحرور والمخمور فقط، وكثيراً ما يكون عطش عن بلغم مالح أو لزج، وكلما روعي بالشرب ازداد فإن صبر عليه أنضجت الطبيعة المادة المعطشة، وإذابتها فسكن من ذاته ومن مثل هذا كثيراً ما يسكن بالأشياء الحارة كالعسل وبذر الرازيانج وعصيره، وما دام الطعام في المعدة فلا يشرب غير الماء.

الخامسة: تقدم للمصنف أن الحلوى بعد الطعام من الطيبات من الرزق فاحتاج الأمر إلى التكلم على أنواعها وكيفياتها، ليكون الآكل منها على بصيرة. فاعلم أن جميع الحلاوات زائد في الدم والمني

مسمن للبدن ويغذي غذاء كثيراً جداً. والشيء الحلو إذ كان من الأشياء الأصلية كالتمر والعسل كان أشد تثخيناً واحراقاً للدم، وأما الحلوى الدسم كالفالوذجات والأخبصة وما أشبهها فإنها أقل غائلة من تثوير الحرارة إلا أنها أثقل على المعدة لمكان الدسومة، وكل طعام حلو ودسم فهو يشبع سريعاً من قبل أنه ينبسط وينتفخ فيصير من اليسير منه مقدار كثير فيملأ البطن لذلك، وكل غذاء غليظ لزج إذا خلط حلاوة فهو سريع الإحداث للسدد في الكبد والطحال، وقد تتولد منه الحجارة في الكلى والمثانة خصوصاً ما اتخذ بالدقيق والنشا وتعقل البطن أيضاً، وما اتخذ بالعسل فهو أقل ضرراً لمن كانت احشاؤه سليمة من السدد، وما عمل بالسكر الطبرزد واللوز والمقشر فهو أقل إسخاناً. فمن أنواع الحلاويات التي يؤتي بها بعد الطعام عادة الفالوذج أجوده السكري وهو كثير الغذاء بطيء النزول والهضم يضر أصحاب السدد في الطحال والكبد، والمتخذ بالسكر ودهن اللوز معتدل يصلح لمن نهك بدنه وإدمانه يورث السدد. وأما المشايخ والمبرودون فالعسلي أوفق لهم.

ومنها: القطائف وهو الكنافة بمصر والفداوش بالمغرب غليظ وخم كثير الغذاء يصلح لمن أدمن الرياضة وهو بطيء الهضم، والإدمان عليه يحدث الحصى في المثانة.

ومنها: الزلابية وهي أخف من القطائف وأنفع انهضاماً ينفع من السعال الرطب، والعسلية منها قوية الاسخان، والسكرية أسكن حرارة.

ومنها: المهلبية وهي المتخذة من دقيق الأرز والسكر واللبن كثيرة الغذاء مقوية للبدن جداً زائدة في الدم والمني ملينة للصدر وتضر بالصفراويين، وينبغي أن يطال النوم بعدها ولا يؤكل على أطعمة غليظة حامضة.

ومنها: التعاطف ويدخل تحته أنواع كاللوزينج والجوزية والخشخاشية والفستقية والسمسمية المعروفة بالطحينية، وصنعته أن يعقد السكر المحلول أو العسل على نار هادئة ويصير بحيث إذا أخذ منه وبرد تكسر وتقصف، ثم يعجن منه بعد رفعه ما يراد عجنه فيه كاللوز وهي اللوزينج وهي صالحة للصدر والرئة وخشونة المثانة، أو الجوز فهي الجوزية وهي قريبة الفعل من اللوزية، والخشخاش وهي الخشخاشية جالبة للنوم جيدة للسعال وحرقة البول زائدة في الباءة أو الفستق فهي الفستقية توافق من كان في صدره أو رئته خلط بلغمي ولمن به سدد في هذه المواضع، أو السمسم فهي الطحينية وهي أكثر غذاء وفيه وخامة وثقل نافع من السعال والرئة ويرخي لمعدة أوحب الصنوبر فهي الصنوبرية وهي كالتي قبلها في كثرة الغذاء ويولد دماً محموداً. وكل هذه الانواع أسرع نزولاً وأقل غذاء من سائر أنواع الحلاويات التي فيها دهن وخبز ودقيق، ويصلح لمن لا يحتاج إلى غذاء كثير.

ومن أنواع الحلاويات الحيس وهي حلواء تتخذ من السمن والكعك، والتمر كثير الغذاء بطيء النزول لا ينبغي أن يؤكل على طعام غليظ ويعتنى بسرعة هضمه واخراجه من البطن بالنوم الطويل والمتخذ بالزبد أليق وأعدل.

منها: الخبيص وصنعته أن يؤخذ نصف رطل دهن لوز ويوضع على النار في طنجير وينثر عليه لب خبز وسميد مفتوت أو مفروك ويحرك على نار هادئة، ثم يطرح عليه رطل سكر نقي مدقوق

منخول ويحرك وينزل رطباً ويفرق فيجعل فوقه السكر الطبرزد، ومنهم من يجعل بدل دهن اللوز ربع رطل شيرج طري. ومنهم من يجعل عوضها لبناً حليباً. وبالجملة صنعته تختلف بحسب العادات فطبيعته أيضاً تختلف بحسبها وبحسب ما يختلط به من الأغذية والأبازير والفواكه، وبالجملة فهو أقل لزوجة من الفالوذج وأصلح للدماغ، لكنه يفسد سريعاً في المعدة ولا ينحدر.

ومنها: العصيدة أما المتخذة بالتمر ودقيق الأرز فكثيرة الغذاء بطيئة النزول مولدة للحصى وأوجاع المفاصل إن أدمن، ولا ينبغي أن تؤكل على الأطعمة القابضة الحامضة كالحصرمية ونحوها، ولا على الكثيرة الغذاء البطيئة النزول كالرؤس والشوى. وأما المتخذة من دقيق الحنطة والسكر فدون ذلك في الغلظ واللزوجة وأبعد من الرداءة.

(تذييل): فيه تكميلان:

الأول: قال الحرث بن كلدة طبيب العرب: دافع بالدواء ما وجدت له مدفعاً لا تشربه إلا عن ضرورة فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله، ولا ينبغي أن تأكل إلا على نقاء تام أو جوع صادق وطعام موافق وتكف من الطعام وأنت تشتهيه، ولا تبادر إلى شرب الماء حتى تستوفي في غذاءك وتصبر بعده ساعة، ولا تأكلن في ظلمة، ولا تطعم ما لا تعرفه، ولا من طعام محترق ولا حار جداً ولا دسم جداً، وليكن طعامك خبز البر واللحم الرخص، ولا تجاوز في الطعام حد الشبع بل يكون دون الشبع. وقال أفلاطون: الإستقلال مما يضر خير من الاستكثار مما ينفع، وقال: خفف طعامك تأمن سقامك. وقال بختيشوع بن جبريل: أصل الأسقام إدخال الطعام على الطعام. ومن كلامه: كل قليلاً تعش طويلاً. وقال ثابت بن قرة: الأكل على الشبع داء والشرب على الجوع رداء. وقال معمر: أنهاكم عن الطعام الذي يفسد الذهن، وكان لا يتعرض للباذنجان والبصل والباقلا والعدس والكراث والكسفرة وكان يقول: الباذنجان يفسد في شهر ما يصلحه البلاذر في عام. وقال الحكيم السوادي: الدواء الذي لا داء معه أنه تجلس على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه، فقال له المأمون: أصبت.

الثاني: قال محمد بن عبد الكريم السمرقندي في روح المجالس وروح المجالس في الباب العاشر منه في العنصرة نقلاً عن سليمان بن طراروييس البلالية من أهل الفتوة ما نصه: الفتى لا يكون نضاحاً ولا مساحاً ولا مخضراً ولا ملتقطاً ولامقصراً ولا دلاكاً ولا لحاظاً ولا نسافاً ولا مكوكباً ولا نفاضاً ولا محلقماً ولا محولاً ولا مصاصاً ولا مرسالاً ولا نشالاً ولا لكاماً ولا لطاعاً ولا قطاعاً ولا بلاعاً ولا جراراً ولا جرافاً ولا نفاخاً ولا حاسياً ولا مبادراً ولا مغربلاً ولا مطفلاً ولا مدفاناً ولا زقاقاً ولا مكرماً ولا موصلاً ولا مكارياً ولا فارشاً ولا جبساً ولا رجساً ولا مجولقاً ولا مكروشاً ولا نهاشاً ولا مقشراً ولا مداداً ولا مسوغاً ولا دفاعاً ولا مثلثاً ولا منعلاً ولا شمسياً ولا واغلاً ولا محرماً ولا مغالطاً ولا منكراً ولا متكئاً ولا محتبياً ولا مكاساً ولا يتكلم وصاحبه يتحدث.

تفسير هذه الكلمات **النضاح**: الذي إذا غسل يديه في الطست وفرغ من غسلها نفض يديه ونضح على أصحابه.

والمساح: الذي إذا مسح يده بالمنديل دلكها دلكاً شديداً يريد بذلك إزالة الوسخ من يديه.

المخضر: الذي لا يدلك شفتيه من الغمر إلا بعد أن يجيد الدلك بالأشنان، فإذا فعل ذلك فقد خضرهما.

والمقصر: الذي يمس المنديل مساً ويكتفي بذلك دون المسح، فكأنما أمره بمنزلة بين المنزلتين.

والملتقط: الذي يلتقط فتات الخبز وغيره إذا رفعت المائدة.

والدلاك: الذي لا ينقي يديه بالأشنان والماء ويجيد دلكها بالمنديل يريد إزالة الغمر حتى يوسخ المنديل.

واللحاظ: الذي لا يلاحظ القدر هل أدركت ويلاحظ لقم أصحابه.

والنساف: الذي يتناول حرف رغيف فيتحرى به مواضع الدسم والودك من الصحفة والقدر.

والمكوكب: الذي يكتل اللقمة الكبيرة من الأرز أو من الثريد ثم يدفعها إلى حلقه ويبلعها.

والنفاض: الذي ينفض يده في القصعة بعد أن يضع اللقمة في فيه.

والمحلقم: الذي يتكلم واللقمة قد بلغت حلقومه ولا يصبر إلى وقت الإمكان.

والمحول: الذي إذا رأى كثرة النوى بين يديه يحتال حتى يخلطه بنوى أصحابه.

والمصاص: الذي يمص جوف قصبة العظم.

والمرسال: الذي يرسل اللقمة في حلقه إرسالاً فتسمع لها همهمة وتقول إليك يا فؤادي.

والنشال: الذي إذا طبخ القدر أو شوي اللحم تناول قطعة فأكلها قبل إدراكها واستأثر بها دون أصحابه.

واللكام: الذي يدخل اللقمة في فيه قبل أن يزدرد الأخرى فهو يلكمها.

والقطاع: الذي يعض اللقمة فيبقى منها قطعة في يده فيعيدها إلى القطاع.

واللطاع: الذي يلطع أصابعه وما تبقى في آخر القدر والقصعة.

والبلاع: الذي يبتلع من النهم اللقمة قبل أن يجيد مضغها.

والجرار الذي يجر الطعام من بين يدي صاحبه إلى قدامه.

والجراف: الذي يجعل أصابعه كالمجرفة فيحمل عليها شيئاً كثيراً.

والنفاخ: الذي ينفخ في الطعام الحار، ويكره ذلك لخصال: أولها: أنه لا يفعل ذلك إلا للنهم،

والآخر ربما أن النفخ أخرج من الفم بخاراً كريهاً أو بزاقاً، وأخرى أنه من السخف. وأهل الظرف يكرهونه.

والحاسي: الذي يجعل قصعة المرق تحت لحيته فيتحساه.

والمبادر: الذي يوالي بين اللقم بالعجلة.

والمغربل: الذي يأخذ سكرجة الملح فيحركها تحريكاً يجمع الأبزار في رأسها ليأكله.

والمطفل: الذي يأتي القوم إلى طعام لم يدع إليه ولا هو ممن إذا أتاهم سروا بطلعته وآنسوا بحديثه.

المرسال: الذي يمشي مع أصحابه في شجر ملتف أو نخل فيصرف عن وجهه الأغصان ثم يرسلها على وجه من يمشي خلفه.

والمدفان: الذي يدفن اللحم في القصعة تحت الثريد ويجعله قدامه ويأكله.

والزقاق: الذي في فيه لقمة لم يسغها فيشرب عليها الماء وهي في فيه فيخرج من فيه الفتات في كوز القوم فيتنغص على مؤاكليه.

والمكرم: الذي يصيح بالغناء بارك الله عليك وأحسنت والله وذلك يشغل اسماع القوم عما يحبوه من السماع.

والموصل:الذي إذا تحدث وصل حديثاً بحديث وأدخل شيئاً في شيء وقرمط وسلسل وطول وأبرم.

والمكاري: الغلام الأمرد الجميل الذي لا صاحب له فيحفظه فهو مطلق مخلى يطوف على الفتيان ويقتحم منازلهم.

والرفاش: الذي يرفش لحيته حتى ترى عارضيه من قفاه كأن لرأسه جناحين وكان لحيته رفش أو مشط حائك وهـو زي كل صفعان ناقص.

والجبس: الثقيل البغيض الكز الأخلاق.

والرجس: المنتن القذر ولا يكون على هذه الصفة إلا دباغ أو سماك أو رواس أو محناتي أو بيطار أو ماسبذي.

والمجولق: الذي يأكل الكثير ولا يكاد يشبع كأن بطنه جوالق.

والمكروش: الذي يضع العظام والمشاش فإذا مصه ثم استخرج الفتات من فيه فرمى به فقذر ، وقع عليه.

والنهاشُ: الذي ينهش العظم نهشاً كما ينهش السبع.

والمقشر: الذي إذا صادف أرزاً أو جوذاباً أو لبنا عليه سكر قشر ما عليه من السكر فاستأثر به دون أصحابه.

والمداد: الذي يعض على العصب الذي لم ينضج والقطعة من اللحم لم تنضج ويمدها بفيه ويوترها بيده فربما قطعها بشدة يكون لها انتضاح على ثوب المؤاكل.

والمسوغ: الذي يعض على اللقمة فلا يزال يتلمظ بها ولا يسيغها إلا بالماء.

والدفاع: الذي يكون في القصعة عظم في الجانب الذي يليه فينحيه بلقمة من الثريد ويصير مكانه قطعة من لحم وهو يري أنه يسوي الثريد.

والمثلث: الذي يثلث وسادة النوم ويتكىء عليها فربما خرقها.

والمنعل: الذي يأخذ القطعة من الخبز فيلويها ويجعلها مثل الملعقة ليحمل اللبن والدبس وما أشبه ذلك.

والشمسي: العيار المقامر الذي لا تراه الدهر إلا عرياناً في قطعة عباء أو تبان قد أحرقت الشمس جلده وصيرته كميتاً فهماً.

والواغل: في الشراب مثل المطفل في الطعام والمحدث أن يكون ساقي القوم فيشتغل بالحديث ولا يكون ساقياً من يريد الماء.

والمغالط: الذي يطلب منه الماء فيدفع الكوز إلى غير من يطلبه أو يشربه هو بنفسه.

والمكامن: الذي إذا ناولته الشيء ليأكله يمدّ يده لأخذه وهو يقول لا أريده وماذا أعمل به وأنا شبعان.

وقال يوسف بن الزنجي كان سليمان بن طرار قاضي الفتيان حسن السيرة مقبول الصورة عند القوم، وكان مكباباً صاحب أطراف وكان يقول: إياكم وفضول النظر فإنه يدعو إلى فضول القول والعمل، وكان ترك التزويج مخافة أن يجد لذة فيدعوه ذلك إلى الزنا. قال يوسف: وما كان أشد القوم ولا أسنهم، ولكن كان أشد القوم تمسكاً بما كان عليه الأوائل. قال: وما زلت أرى في الفتيان نقصاناً مذمات سليمان والله أعلم.

وهذا آخر ما أردت من شرح كتاب آداب الأكل من الإحياء، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات مصلياً مسلماً على حبيبه محمد وآله وصحبه ماتكررت الأوقات وتداورت الساعات. كتبته وقد بلغت الروح التراقي والى الله أشكو ما ألاقي وهو مفرج الشدائد ومهون العظائم لا إله غيره ولا خير إلا خيره، وذلك عند أذان عصر يوم السبت لخمس بقين من جمادي الثانية سنة ١١٩٨. قاله بفمه وكتبه بقلمه العبد أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني فرج الله كروبه وستر عيوبه بمنه وكرمه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

انتهى الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله:

كتاب آداب النكاح.

فهرس الجزء الخامس من إتحاف السادة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة